اشهر الحوادث واعظم الرجال

استقلال اميركا

من سلطة الانكليز

نريد باميركا في هذا المقام جمهورية الولايات المتحدة الاميركية . مساحتها نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون من الاميال المربعة وسكانها نحو ثمانين مليوناً . ونقتصر من البحث في استقلالها على ذكر اسبابه وما اعدهُ طلابه للوصول اليه نريد بذلك درساً لنا وعبرة لامثالنا — فنقدم الكلام على كيفية دخولها في حوزة الانكليز والاسباب التي بعثتها على النهوض للاستقلال والوسائل التي ساعدتها على ذلك

١ — كيف دخلت اميركا في حوزة انكلترا

لما اكتشفت اميركا في آخر القرن الخامس عشر تسابق الناس من اوربا وغيرها الى استيطانها واستثمار ارضها واستخراج معادنها . وكانت المهاجرة في باديء الرأي بلا قانون او رابطة ثم تداخلت الحكومات في شؤونها وقلما اختصمن في اقتسامها لانها كانت اوسع من ان تسع مطامعهن . واتفق ان الانكليز كانت اكثر مهاجرتهم الى اواسط اميركا الشمالية وسكانها يومئذ هنود همج لا مدنية عندهم ولا حضارة . فاصدر جيمس الاول ملك الانكليز في اول القرن السادس عشر امراً لبعض رعاياه يملكهم به البقعة الواقعة بين درجة ٣٤ و ٤٥ من العرض الشمالي . وكانت انكلترا في ذلك العهد تفتتح البلاد على ايدي الشركات فانقسم اصحاب ذلك الامر الى شركتين عرفت احداها بشركة لندن والاخرى بشركة بليموث . وضعت الاولى يدها على القسم الجنوبي والاخرى على القسم الشمالي ولكل منهما مجلس ينظر في شؤونها يقيم في لندن . ومن شروط هذا التمليك ان يكون الانكليز المهاجرون الى تلك البقعة من رعايا انكلترا مثل رعاياها في سائر مستعمراتها وقاست هاتان الشركتان في اول الامر من عذاب الغربة والمرض والقحط والوحشة

ما اضعف عزائم اعضائها حتى اوشكوا ان يرجعوا الى بلادهم وهموا بذلك غير مرة ثم تقاعدوا وصبروا حتى اذا تعودوا الاقليم وتحسنت حالهم بالتدريج انشأوا المدن وشكلوا المجالس • على انهم ما لبثوا ان تنازلوا عن اعمالهم للحكومة الانكليزية (شركة لندن سنة ١٦٣٤ وشركة بليموث سنة ١٦٣٥) فانفذت الحكومة من يتولى شؤون مستعمراتها هناك • وكان الاسبانيون قد فعلوا مثل فعلها فنزح جماعة منهم توطنوا جنوبي املاك الانكليز بخليج المكسيك والفرنساويون توطنوا في شماليها فرأت انكلترا نفسها بين مناظرين وخافت مطامعهما فأخذت تستعد للدفاع وهي في اعدل بقاع تلك القارة اهليا واخصبها تربة • وكان الهولنديون من جهة أخرى يحاولون وضع ايديهم على بعضها وقد أقام بعضهم في مكان نيويورك الآن مقاماً سموه امستردام الجديدة والفوا شركة سموها شركة الهند الغربية أقامت في بعض بقاع الشمال وسموا البلاد التي توطنوها هولندا الجديدة • وفعلت مثل ذلك ايضاً شركة اسوجية وضعت يدها على نهر دلاوار داخل ارض الهولنديين فلم يطل مقام الاسوجيين هناك

اما الانكليز فاستولوا على احسن حصة من الغنيمة وأخذوا في توسيع دائرة سلطانهم فاختصموا مع الهولنديين حتى انتشبت الحرب بينهما سنة ١٦٦٤ وفاز الانكليز ووضعوا ايديهم على املاك الهولنديين فاعطاها ملك الانكليز الى اخيه دوق يورك وابدل اسم نيوامستردام باسم نيويورك نسبة اليه • واخذت تلك البقاع في النمو وتسارع الانكليز الى المهاجرة في اواسط القرن السابع عشر وانشأوا المدن وسموها باسماء رجالهم او بلادهم مثل بنسلفانيا ونيوجرزي وماري لاند وكارولينا وجورجيا وفرجينيا ولم يكن الانكليز الى ذلك الحين قد سنوا قواعد الاستعمار دفعاً للنزاع • وكان اصحاب الاملاك منهم في اميركا طبقات متفاوتة وفيهم المالك بوضع اليد والمالك بأمر الملك أو هبة منه فوقع بين المهاجرين وعمال الحكومة نزاع آل الى دخول المستعمرة كلها في حوزة الحكومة فتضامت ممتلكات الانكليز هناك واصبحت مستعمرة واحدة يحكمها رجال يرسلهم ملك الانكليز من انكلترا • ولكل من تلك الولايات امتيازات تختلف عما سواها فاختلفت انواع حكوماتها وعلاقاتها بالحكومة المركزية في انكلترا مما يطول بنا شرحه • فضلاً عن الاختلافات المذهبية وكانت الحكومة تعمل على حمل كنيسة انكلترا صاحبة السيادة على تلك المذاهب

وكان سكان تلك القارة خليطاً من أمم أوربا وهنود اميركا وفيهم الانكليزي

والالماني والفرنساوي والهولندي وغيره ثم تغلبت لغة الحكومة بالتدريج فاصبح القوم يتفاهمون باللغة الانكليزية بعد عناء شديد وكانت الحكومة تستعمل الشدة في هذا السبيل حتى اصبحت اواسط هذه القارة من جورجيا الى ماساشوستس تتكلم لساناً واحداً هو الانكليزي ويعترفون بدولة واحدة هي انكلترا

٢ — اسباب نهوض الاميركان لطلب الاستقلال وما اعدوه لذلك

كان الانكليز يعتقدون في ذلك العهد ان النبات او الحيوان اذا نقل الى بلد غير بلده انحطت رتبته وضعفت قواه فالشعوب الاوروبية التي انتقلت الى اميركا اصبحت في اعتبارهم احط رتبة من أصولها الباقية في أوربا ولذلك كان الانكليز ينظرون الى اخوانهم الاميركان نظرهم الى شعب ضعيف وما زال هذا الوهم متسلطاً على علماء اوربا الى آخر القرن الثامن عشر • فكان الانكليزي اذا نزح اليه بعض اهله من اميركا عاملهم معاملة اهل المدن الكبرى للفلاحين • وامسك اهل النفوذ في انكلترا عن ان يمنحوا الاميركان امتيازات الطبقة الانكليزية العليا فافضى ذلك الى نفور الاميركان من أمهم انكلترا ونما فيهم حب الديموقراطية وانفقت اميالهم من هذا القبيل مع اختلافها في بعض الشؤون الداخلية والانكليز غافلون عن هذه النتائج

وكان الاميركان في الولايات الجنوبية قد أثروا وتوفرت اموالهم لخصب الارض وسهولة استغلالها صيفاً وشتاء وأهم محصولاتها التبغ والنيلة والارز فأخذوا يقلدون الانكليز في وسائل المدنية ولم يكتفوا من ذلك باسباب الترف والقصف كما نفعل نحن في تقليد الافرنج ولكنهم قلدوهم بطلب العلم فارسلوا ابناءهم الى انكلترا يقيمون في مدارسها الجامعة يتلقون العلوم العالية — وهي وحدها تستطيع ان تعلم الناس حقوقهم وواجباتهم وتدلهم على سبيل الرقي وتذيع الآداب الراقية بين ابناء الوطن الفقراء الذين لا تأذن ماليتهم بالتفرغ للعلم العالي • وأدرك الاميركان هذه الحقيقة منذ نيف ومئة سنة فنقلوا الى بلادهم العلوم العالية وانشأوا المدارس على مثال مدارس أوربا الكبرى انفقوا في انشائها الاموال الطائلة واختاروا لها الاساتذة الماهرين — لم يعتمدوا في ذلك على حكومة ولا دولة — فبلغ عددها سنة ١٧٦٠ ست مدارس كلية كبرى وسكان اميركا يومئذ لا يزيدون على عشر سكان مصر الآن وليس عندنا مدرسة كلية واحدة !

واشتغل الاميركان بالتجارة وبنوا السفن من اول عهد نزوحهم واهتموا بالزراعة واستخراج المعادن فتدفقت الثروة بين ايديهم تدفقاً ونبغ منهم رجال الاعمال ونشأت فيهم

الحرية الشخصية والمبادىء الديموقراطية فاصبحوا ينظرون الى العالم القديم نظر المعجب بمواهبه وقواه والانكليز لا يزالون على اعتقادهم بانحطاط ذلك الشعب الحديث وان تلك المستعمرة انما انشئت لخدمة مصالح انكلترا وترويج صناعتها وتوسيع تجارتها . واذا نهض الاميركاني يطلب حقاً او امتيازاً ضربه الانكليزي على رأسه بعصا من حديد فيرضخ متربصاً حتى يتقوى ويستعد للقيام

فلما ارتقت تجارة اميركا وصناعتها عمدت الى استثمار ذلك الارتقاء بعقد المعاهدات التجارية مع الامم الاخرى فعدّت انكلترا ذلك مجحفاً بمصالحها فاعترضتها ومنعتها فتألمت اميركا لهذا الاعتراض لكنها كظمت وصبرت . وكان من جملة تلك القيود ان الاميركان لا يجوز لهم تصدير البضائع من اميركا الى انكلترا الا في سفن انكليزية وان صادرات اميركا الهامة كالسكر والتبغ والنيلة ونحوها من محصولاتها او مصنوعاتها لا يجوز تصديرها لغير انكلترا فآل ذلك طبعاً الى تضييق سبل الاتجار على ذلك الشعب النشيط

وشكلت انكلترا لزيادة التضييق مجلساً سمته « مجلس التجارة والزراعة » جاء بلية كبرى على تلك المستعمرة وكان من اول عمله انه نظر سنة ١٦٩٩ في تشكي اصحاب المعامل الانكليزية من الاضرار التي تلحق بهم من تصدير الاميركان المنسوجات الصوفية والمصنوعات الخشبية للخارج فاصدر قراراً يمنع تصدير هذه البضائع من اميركا وجزاء من يصدّر شيئاً منها القبض على ما يصدّره اذا كان سفينة او عربة ووقوعه طائلة القصاص . ولم يدخر هذا المجلس وسعاً في التضييق من كل ناحية فضلاً عن تحريضه الحكام الانكليز في اميركا ان يوعزوا الى شعبها ان يكف عن الاشتغال بالصناعة وعن انشاء المعامل . ومن اشد المعامل الاميركانية وطأة على الانكليز معامل الحديد فأصدر المجلس امراً بتوقيفها سنة ١٧١٩ ثم أصدر قراراً آخر سنة ١٧٥٠ بمنع معامل تطريق الحديد وتقطيعه واصطناع الفولاذ ونحو ذلك . واخيراً منعوا تصدير المصنوعات من ولاية الى ولاية في اميركا نفسها فنتج عن هذا الضغط اجتماع كلمة المظلومين ونهوضهم . فنهضوا واستصرخوا رجال السياسة وتقاضوا الى الرأي العام ولا من مجيب . حتى أفضت وزارة انكلترا الى وليم بت السياسي الشهير في في اواسط القرن الثامن عشر فسمع صراخهم وقضى لانكلترا ان تجعل للصناعة الخارجية حدّاً تقف عنده ولكنهُ حكم في مقابل ذلك ان يكون للاميركان حق النيابة في البرلمان

وكان الشعب الاميركي في اثناء ذلك بنمو وتجارته تتسع وصناعته تزداد وكلها تعود الى منفعة الانكليز وحدهم . فكانت البضائع الاميركية التي تدخل انكلترا سنة ١٧٠٠ قيمتها

٢,٠٠٠,٠٠٠ ريال فأصبحت سنة ١٧٦٠ اربعة ملايين . وكان الوارد منها الى اميركا يقدَّر بميلون ريال ونصف فأصبحت قيمته ١٣,٠٠٠,٠٠٠ ريال . وبلغ عدد سكان تلك الولايات سنة ١٧٦٠ نحو ١,٥٠٠,٠٠٠ نفس اي نحو ربع سكان انكلترا في ذلك العهد . ولم يكن الاميركان يجهلون هذه المزايا وقد تربوا وتعلموا العلوم العالية ففهموا حقيقة مركزهم ومبلغ قوتهم. وتعلموا من التضييق والاستبداد كيف يتحدون و يتعاونون ولم يكن يعوزهم من وسائل الاستقلال الا القوة العسكرية والتدرب على الاعمال الحربية فاتتهم هذه الامنية على اهون سبيل . وذلك ان الحكومة الانكليزية ارادت ان لا يكون لها شريك في اميركا الشمالية وكان رعاياها هناك سنة ١٧٥٠ نحو مليون نفس و بعض المليون يقيمون على شواطئ تلك القارة كما تقدم بين الفرنساويين والاسبان ولم يكن عدد الفرنساويين يزيد على ١٠٠,٠٠٠ نفس والمنافسة بين انكلترا وفرنسا قديمة وكل منهما تعمل على اذلال صاحبتها — والانكليز أقوى على المهاجرة والاستعمار من الفرنساويين لان الانكليزي اذا فتح بلداً او احتل مملكة اقام بين اهله قيام المترفع عنهم فلا يختلط بهم الا من حيث يتوسم الكسب او نفوذ الكلمة فيبقى محافظاً على جنسيته الخالصة ويبقى على اخلاقه الغريزية . واما الفرنساوي فانه كثير الميل الى الاختلاط بالشعب الذي يحتل بلده او يستولي عليه فتضيع جنسيته في الامة المحكومة وتذهب مزيته

فلما نزل الفرنساويون اميركا اختلطوا بهنودها حتى تزوجوا منهم وقربوهم فاكتسبوا نصرتهم في محاربة الانكليز فاصبح الانكليز محصورين على الشواطئ واوغل الفرنساويون في الداخلية ولذلك كان هؤلاء يظنون انفسهم مع قلة عددهم قادرين على مناهضة الانكليز والاستئثار بتلك القارة العظيمة

بدأ التنازع بين الامتين في اواخر القرن السابع عشر فانتشبت حرب بينهما كان الهنود فيها انصاراً للفرنساويين وجرت حروب أخرى انتهت كل منها بمعاهدة سلم آخرها معاهدة اكس لاشبل سنة ١٧٤٨ وثقلت وطأة الهنود على الانكليز لان الهنود كانوا اذا غلبوا اكثروا من الفتك و بالغوا بالاسر والقتل والاسترقاق . وكان للمذاهب الدينية دخل في ذلك الخصام لان الفرنساويين كان معظمهم على المذهب الكاثوليكي والانكليز من البروتستانت . وانتبه الانكليز لما يهددهم واخذوا يوغلون في القارة لتوسيع دائرة املاكهم وتألفت لهذه الغاية شركة اسمها « شركة ارض اوهايو » لامتلاك ٦٠٠,٠٠٠ قصبة من الارض في البلاد المعروفة بهذا الاسم الآن . فمضت لاحتلالها فعلم الفرنساويون بذلك

فعمدوا الى صدها وارسلوا اناساً يفهمون الانكليز ان هذه البلاد من املاك الفرنساويين فلم يغير ذلك شيئاً من عزيمتهم فبنوا حصناً عند ملتقى نهري الغاني ومونوجاهله في المحل المعروف الآن باسم بتسبورج — فعلوا ذلك بناء على معاهدة عقدوها قبلاً مع الهنود باعتبار ان مكان الحصن المذكور جزء من فرجينيا وهي في ايدي الانكليز . فافضى ذلك الى حرب بين الدولتين تعرف في تاريخ اوربا بحرب السنين السبع وبتاريخ اميركا بحرب الفرنساويين والهنود لان الهنود كانوا عوناً كبيراً للفرنساويين فيها

ومن غرائب الاتفاق ان الرسول الذي انفذه الانكليز الى الفرنساويين بالبلاغ الاخير (اولتيماتم) كان جورج وشنطون الذي صار محرر اميركا بعد ذلك وكان يومئذ في الثانية والعشرين من عمره يشتغل بمساحة الاراضي فانتدبه حاكم فرجينيا لحمل البلاغ فقاسى في الطريق خطراً شديداً من وعورة المسالك ووحشتها فضلاً عن البرد والمطر حتى لقي قائد الفرنساويين ودفع اليه البلاغ وعاد بالجواب السلبي فاستعد الفريقان للقتال واول واقعة ربحها الانكليز في هذه الحرب كانت على يد جورج وشنطون في ٤ يوليو سنة ١٧٥٤ واشتد اللجاج بين الدولتين وطال زمن الحرب وانتصرت اسبانيا لفرنسا وانتهت المعارك بمعاهدة عقدت في باريس ثم غدر الهنود بالفرنساويين فعاد الظفر للانكليز واستقلوا بالولايات المتحدة ولم يبق لتينك الدولتين الا بعض البلاد مما لا يدخل في موضوع هذه المقالة لاننا نبحث في استقلال اميركا من الانكليز . فلما فرغ الاميركان من حروب اعدائهم عادت امهم انكلترا الى ما كانت عليه من التضييق عليهم

٣ — جورج الثالث ملك الانكليز وسياسته

واتفق عند الفراغ من تلك الحرب ان عرش انكلترا كان قد افضى الى الملك جورج الثالث بعد وفاة جده جورج الثاني في ٢٥ اكتوبر سنة ١٧٦٠ وكان جورج الثالث مع ضعف رأيه وبعده عن الدهاء والسياسة يريد ان يحكم شعبه بنفسه ويقبض على ازمة الحكومة بيده . وكان حسن القصد محباً لمصلحة وطنه ساهراً على ترقية دولته ولكنه كان عاجزاً عن استخدام نوابغ زمانه السياسيين فزاد ذلك في ضعفه — لان الملك اذا استأثر بالسلطة واستبد في الامور وان كان من اهل الدهاء والتعقل كثرت عثراته وخيف سقوطه فكيف اذا كان ضعيف الرأي . وزد على ذلك ان الملك جورج المشار اليه كان شديد الغيرة من رجال السياسة الذين عاصروه وخصوصاً وليم بت السياسي الشهير فصمم منذ تولى المملكة ان يحكمها على خطة رسمها لنفسه وكان صلب الرأي عنيداً الى ما يفوق التصديق . وكان

في المملكة حزبٌ يعرف بحزب الملك يرون له حق التصرف في انتخاب الوزراء وارباب الدولة وحزبٌ يرى ذلك الحق للبرلمان . فلما تولى جورج المذكور كان حزب الملك متغلباً فزاده تغلبه استبداداً وكثرت الرشوة في عهده واصبحت الاحزاب تباع بالمال يتسابق الى ابتياعها الملك من جهة ورجال البرلمان من جهة أخرى وكبير هذا الحزب ولم بت المتقدم ذكره

واتفق وقوع حرب السنين السبع في اول ولاية جورج المذكور فرغب في الفراغ منها ليتفرغ للتمتع بسلطته المركزية ولكنهُ خرج منها وقد تعب جنده وفرغت خزينته وغفل عما خبأته الاقدار وفاته ان القوي قد يبلى باقوى منه فعاد الى ضرب الضرائب الفادحة على رعاياه الاميركان وفي جملتها ضريبة الطوابع وهي عبارة عن طوابع تلصق على العرائض والصكوك وغيرها مما لم يسبق لهُ مثيل في حكومة انكلترا فتذمر الاميركان من هذه الضريبة وقام خطباؤهم وساستهم يخطبون ويحرضون الناس على انكار هذه المظالم والتعريض بالملك جورج والاشارة الى التخلص منهُ ولو بالسيف حتى قال باتريك هنري احد ساستهم في مجلس التأم في فرجينيا ما معناه «ان يوليوس قيصر بلي ببروتس وبلي شارلس الأول بكرومويل واما جورج الثالث ..» فقطع السامعون كلام الخطيب وصاح بعضهم «يا للخيانة يا للخيانة» اما الخطيب فبعد السكوت هنيهة قال «فقد يستفيد من مثالها واذا كان ذلك خيانة فلاغنى عنها»

وتألفت الجمعيات السرية والجهارية باسماء مختلفة كانت تعقد ليلاً ونهاراً يخطب فيها الخطباء ويعظ الواعظون يتظلمون او يستحثون او يتحالفون . وفي جملتها جمعية اشتهرت بجمعية «ابناء الحرية» اتت بالمعجزات لم يكن عملها قاصراً على الكلام ولكنها كانت تبذل الاموال والارواح لا يبالي احد اعضائها ان يقول الحق ولو قطع رأسه . وكانت الحكومة عينت جماعة لبيع الطوابع المتقدم ذكرها فكان الاميركان اذا بصروا بواحد منهم اذاقوه مر العذاب من الاحتقار والاهانة . واخيراً التأم مؤتمر من نواب الولايات سنة ١٧٦٥ وقرر بالاجماع ان الحكومة الانكليزية لا حقَّ لها في وضع هذه الضريبة ورفعوا بذلك عريضة الى الملك ومذكرات للبرلمان . وكانت الحكومة قد عينت يوم اول نوفمبر من السنة المذكورة للشروع باستخدام هذه الطوابع فاوقف الاميركان كل عمل في ذلك اليوم فطلعت شمس اول نوفمبر سنة ١٧٦٥ والسكون مخيم على اميركا الانكليزية وقد اقفلت الحوانيت وانحلت المجالس وربطت الاجراس وخنقت الاعلام في البر والبحر كأنهم في حزن شديد . ثم ثار بعض رعاع الشعب الاميركي وهجموا على الموظفين الانكليز فقتلوا بعضاً وعذبوا آخرين .

واجمع رجال الاعمال على ايقاف المعاملة التجارية مع انكلترا فلا يستجلبون شيئاً من مصنوعاتها حتى تقرر الحكومة ابطال هذه الضريبة فوقع هذا الخبر وقوع الصاعقة على الانكليز ولاسيما التجار فضموا اصواتهم الى اصوات الاميركان وطلبوا من الحكومة الغاء تلك الضريبة فالغتها بعد جدال طويل والفضل في ذلك لمستر بت وكان حرّ القول حريصاً على العدل ومن اقواله من خطبته في مجلس العموم «من رأيي ايها السادة ان هذه الدولة لا يحق لها وضع الضرائب على مستعمراتها .. ان اميركا عنيدة .. نكاد نقوم قومة واحدة »

وقد صبر الاميركان على امهم صبر الابن البار بوالديه واستنهضوا شفقتها وطالبوها بالحسنى واعترفوا لها بالسيادة وان تضرب عليهم الضرائب اذا شاءت بشرط ان يكون ذلك على يد نواب ينوبون عنهم في مجلس البرلمان اسوة بسائر الانكليز وتكون اميركا ولاية من ولايات انكلترا مثل سكوتلاندا مثلاً ولها مثل حقوقها وحريتها لا ان تكون تحت سيطرة البرلمان بدون ان يكون لها نواب فيه والاَّ فانها تتولى حكومتها الذاتية بنفسها فتضع الضرائب او ترفعها تسنّ القوانين او تنسخها على ما يتراءى لحكوماتها فلم يزدد حزب الملك من هذه المظاهرات الا عناداً فاخذوا يستنبطون الاساليب للتثقيل على الاميركان انتقاماً منهم فضيقوا عليهم سبل الاستخدام بقرار مفاده ان مناصب القضاء ونحوها لا ينالها احد ولا تقدّر رواتبها الا بارادة الملك . وقررت زيادة جنودها الانكليزية في اميركا الى عشرين فرقة تنال رواتبها وسائر نفقاتها من خزينة اميركا وجعلت لضباطها امتيازات واطلقت ايديهم في الاعمال بدون مصادقة مجالس الولايات واتخذت كل وسيلة لاذلال الاميركان وازهاق روح الديموقراطية منهم . وضيقوا على التجارة فزادوا عدد الموظفين في الجمارك واوعزوا اليهم ان يفتشوا السفن الخارجة والداخلة لئلاً يكون فيها تجارة مع غير الانكليز وكان التفتيش ينتهي غالباً بالنهب او القتل فاصبح الاميركان مغلولي الايدي لا يامنون على اموالهم ولا ارواحهم

فالثورة بدأ بها الانكليز لا الاميركان وهؤلاء انما اضطروا للدفاع عن انفسهم فاخذت الولايات تتقارب وتتآلف مع تباعدها في النظامات والدرجات والفت لجنة مشتركة للدفاع عن حقوقها — وهي اول خطوة خطوها نحو الاتحاد . والنواب الانكليز في اميركا بدلاً من تنبيه حكومتهم الى الخطر الذي يهدد سلطتها زادوا في التشديد واتهموا الساعين في الاتحاد بانهم يسعون في فصل اميركا عن انكلترا . فاعادوا ضريبة الطوابع على ان تتناول كل ما يكتب الى الحكومة من عقود الزواج والاشغال والتجارة والعقارات وتختلف قيمة

الطوابع باختلاف قيمة العقد وكل عقد بلا طابع لا يعمل به · وجعلوا المال المجموع من هذه الضريبة ينفق في زيادة الجند الانكليزي باميركا وامر الملك في اثناء ذلك ان تتكفل الولايات الاميركية بكل ما يحتاج اليه ذلك الجند من المؤونة وسائر حاجيات المعيشة كالحطب والشمع والخل وادوات الطبخ والنوم وان ينزلوا الجنود في الخانات او المنازل

اصدرت انكلترا هذه الاوامر وهي لا تتوقع ان تلقى مقاومة لكنها ما لبثت ان احست بالعواقب لان الاميركان هبوا هبة واحدة في سائر الولايات وعقدوا الاجتماعات ونهض خطباؤهم وقوادهم للمقاومة وقرروا عزل الحكام الانكليز عن مناصبهم وايقاف قرارات الحكومة الانكليزية وبرلمانها والتعويض عن ذلك باحكامهم موقتاً واشتدت صيحة الجرائد تعضد الشعب في مطالبه بلهجة شديدة · وما لبث الانكليز في انكلترا ان هبوا من رقادهم وشعروا بما يهدد سلطتهم وان اهل المستعمرات قد يطلبون الاستقلال وقد ينالونه · ولكن يقظتهم جاءت متأخرة ولم تعد ملافاة الخطر في الامكان · وكان الاميركان قد تهيأ لهم كل ما يحتاجون اليه في طلب الاستقلال فناهضوا الدولة وحاربوها وظهروا عليها وتحرروا بعد وقائع كثيرة لا نتعرض لها وانما اردنا الاقتصار على ايراد المعدات التي اعدها ذلك الشعب الحي للاستقلال والاسباب التي بعثته على النهوض لعل في ذلك عبرة لنا

فالامركان لجأوا الى ذلك لسوء تصرف حكامهم يومئذ وصبروا على الضيم وهم يعدون المال والرجال · ولم يذكروا رغبتهم في الاستقلال الا بعد ان نفدت حيلهم من الاسترحام والاستعطاف والمطالبة والدفاع وبعد ان تحققوا اقتدارهم على مناوأة دولة الانكليز — على ان هذه الدولة لو ادركت حقيقة مركزها ولم تستخف بالرجال لما منعتهم طلباً بل كانت تمنحهم الحرية هبة منها رغبة في حفظ صداقتهم للاستعانة بهم عند الاقتضاء · ولا ريب عندنا انها لو كانت يومئذ على ما هي عليه اليوم من الحنكة والدربة وممارسة الامور لم يقع ما وقع من سفك الدماء ولم يكن الاميركان باب للثورة لانهم انما عمدوا اليها للتخلص من المظالم فاتوا اعمالاً يخلدها لهم التاريخ وكانوا قدوة لسائر الامم في طلب الحرية والاستهلاك في سبيلها · وعلموا الناس كيف تطلب الحرية ومتى تطلب لانهم لم يأتوا حركة ولا قالوا كلمة الا بعد ان استوثقوا من انفسهم واستعدوا الاستعداد التام لذلك العمل العظيم · فنشأ منهم القواد وارباب السياسة والعلماء والخطباء وارتقت ادابهم وتهذبت نفوسهم وتولوا اعظم الاعمال واكبر المناصب وجندوا الجند وتدربوا على الحركات العسكرية وجربوا انفسهم على نفقة غيرهم وكان لهم نصراء من اعداء دولتهم اعني فرنسا فانها نصرت الاميركان انتقاماً من الانكليز

وخلاصة ما تستلفت الانتباه اليه ان الاميركان لم يطلبوا الاستقلال الا مضطرين ولم يخطوا نحوه خطوة الا بعد الاستعداد التام فبدأوا بتهذيب الامة بالعلم الراقي وكانوا يرسلون ابناءهم الى كليات انكلترا ثم انشاوا الكليات لانفسهم لا يبالون ببذل المال في هذا السبيل فنبغ منهم جماعة من كبار العقول اهل الدهاء وكانوا قد تدربوا على الجندية وملاقاة الابطال ومع ذلك فانهم لم ينهضوا لطلب الاستقلال الا بعد ان بذلوا الجهد في استبقاء القديم على قدمه فلما يئسوا وراوا في انفسهم الكفاءة للاستقلال استقلوا · ولولا ما نالهم من احتقار الانكليز وعناد ملكهم واستبداده في وضع المغارم ولو قبلت انكلترا ان تعاملهم كما تعامل رعاياها الانكليز من حيث الحقوق والامتيازات لظلوا تحت رايتها وكانوا عوناً كبيراً لها ولكن لله في خلقه حكمة لا تدركها العقول

فيكتور هوجو

من قصيدة لحافظ افندي ابراهيم

أعجمي كاد يعلو نجمه ... في سماء الشعر نجم العربي
صافح العلياء فيها والتقى ... بالمعري فوق هام الشهب
كان حر النفس ارترضى العلى ... تظمأ الاملاك ان لم يشرب
عاف في منفاه ان يدنو به ... عفو ذاك الجاهل المغتصب
بشروه بالتداني ونسوا ... انه ذاك العصامي الابي
كتب المنفي سطراً للذي ... جاده بالعفو فاقرأ واعجب
ابريء عنه يعفو مذنب ... كيف تسدي العفو كف المذنب
جاء والاحلام في احفادها ... ما لها في صحبها من مذهب
طبع الظلم على أقفالها ... باطاه خاتماً من ذهب
جاءها هوغو بشأو دونه ... عزة التاج وزهو المركب
ساءه أن لا يرى في قومه ... سيرة الاسلام في عهد النبي
قلت عن نفسك قولاً محكماً ... لم تشبه شائبات الكذب
أنا كالمنجم تبر وثرى ... فاطرحوا تبري وصونوا ذهبي

مصر والشام

تعاونهما والعلائق بينهما

من اول عهد التاريخ الى الآن

ماذا جنيتِ وما جناه ابوكِ　　اظلمتهم يامصر ام ظلموكِ
فبسمت للغرب الطموح واهله　　ومنحتهم فوق الذي منحوكِ
وعبستِ في وجه الشآم وانما　　قطر الشام وان عبست اخوكِ
(حافظ)

تمهيد في الدخيل والاصيل

كثر تحدث الناس بلفظ الدخلاء الذي يرد في بعض الصحف ويراد به السوريون وهي تقول انها تعني جماعة منهم تعتقد انهم يسيئون مصر والمصريين وان لفظ الدخيل مشتق من الدخَل لا من الدخول . ومهما يكن من حقيقة المراد فنحن لا حكم لنا على السرائر ولكننا رأينا الناس يفهمون مما يقال عن الدخلاء انها مشتقة من الدخول وان المراد بها السوريون على الاجمال . فاردنا ان نقول كلمة في العلائق بين مصر والشام وتعاونهما من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن حتى يزول من النفوس ما قد يخامرها من الشك في الاخاء بين هذين القطرين ويثبت في الاذهان ان المصري والسوري اخوان لا يستغني احدهما عن الآخر . وقبل الدخول في الموضوع نمهد الكلام في حقيقة الشعب المصري وتاريخ تألفه والعناصر التي يتألف منها :

ما من بلد كثر فيه الاجانب واختلطوا باهله من قديم الزمان الى الآن اكثر من مصر . وقد بدأ ذلك قبل زمن التاريخ اذ يستدل من درس اصناف الناس في وادي النيل ان سكانه الاصليين من غير الشعوب القوقاسية وان القوقاسيين نزحوا اليه قبل عهد التاريخ وطردوا اهله وقاموا مقامهم وعمروهُ قبل عهد الفراعنة . ثم جاء الفراعنة على اختلاف دولهم وعصورهم وهم في الغالب غرباء فتحوا هذه البلاد وانشأوا فيها التمدن المصري القديم وقد جاؤها طبعاً بجند من ابناء جلدتهم ثم نزح اليها اهلهم وأقاموا في ظلهم وفيهم الساميون والاثيوبيون والحثيون والعرب والفينيقيون وغيرهم . ومنهم من تولى عرشها واورثهُ لاعقابه وفيهم من أنشأ فيها المتاجر او المعامل أو المغارس . ثم جاءها

٢ — التعاون السياسي

وآل تقارب القطرين موقعاً وطبيعةً الى الاشتراك في الاحوال السياسية فاذا طمع فاتحٌ باحدهما فتح الآخر واذا استولت دولة على احدهما ضمت اليها الآخر اعتبر ذلك من عهد الفراعنة فقد طمع رعمسيس الثاني صاحب مصر بسوريا ففتحها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وطمع الرعاة حكام الشام (على الغالب) ففتحوا مصر ولما زحف الفرس على هذه البقاع فتحوا البلادين جميعاً وكذلك فعل اليونان والرومان والعرب ومن توالى بعدهم من دول المسلمين الى اليوم

ففي زمن الراشدين كانت مصر والشام امارتين تابعتين للدولة الاسلامية ومركزها المدينة ولما نشأت الدولة الاموية في الشام كانت مصر تحت رعايتها وكانت اعز الامارات اليها حتى تولاها ابناء الخلفاء واخوتهم كعبد العزيز بن مروان اخي الخليفة عبد الملك بن مروان تولاها احدى وعشرين سنة وعبدالله بن عبد الملك تولاها خمس سنين وكذلك محمد ابن عبد الملك بن مروان . ولما انتقلت الخلافة الى بني العباس وجعلوا كرسيهم في العراق اصبحت الشام ومصر امارتين تحت راية العباسيين يصيب احداهما ما يصيب الاخرى حتى اذا استقلَّ ابن طولون بمصر في اواسط القرن الثالث للهجرة كان اقصى مراده ان يضم اليها الشام وهكذا يقال في الدولة الاخشيدية

ولما صارت مصر دار مملكة في عهد الدولة الفاطمية الشيعية في اواسط القرن الرابع للهجرة دخلت معظم الشام في سلطانهم ثم تغلب عليها السلاجقة واتابكتهم . فلما نشأت الدولة الايوبية في مصر وكان الصليبيون قد فتحوا بيت المقدس فاول شيء باشره صلاح الدين انه ضم الشام اليها بعد اخراج الصليبيين فتحها . ولما توفي اقتسم اولاده واخوته واولادهم مملكته ورجعت بعد نزاع طويل الى ثلاثة اقسام يحكمها ثلاث دول تعرف بالحلبية والدمشقية والمصرية واشتدت هجمات الصليبيين في تلك الاثناء على مصر والشام معاً فكانت هذه الدول تتعاون على ردهم بالمال والرجال . ومن اشهر حوادث التعاون على الصليبيين ما جرى في مصر على عهد الملك الكامل بن العادل الايوبي فان الصليبيين توالى هجومهم على دمياط وسائر السواحل حتى فتحوها وهددوا القطر المصري فتحصن لهم الملك الكامل في المنزلة (مكان المنصورة الان) وبعث يستنجد ملوك الشام على الصليبيين . اما هؤلاء فاتخذوا دمياط معقلاً ومستودعاً وخرجوا يطلبون المسلمين في معسكرهم بالمنزلة وامر الكامل ان ينادى الجهاد في سائر انحاء القطر وبعد قليل جاءه المدد من الشام

جماعات من الاتراك والارناؤط والمغاربة واهل مصر يعدُّون انفسهم يومئذ أُمة واحدة وكل منهم يعدُّ نفسه مصرياً حتى الامراء المماليك فانهم كانوا يعرفون بالامراء المصريين وهم اما جركس او اتراك او نحو ذلك

وهكذا يقال في رجال محمد علي فانهم توطنوا القطر وتناسلوا فيه ومع قرب عهدهم من اصولهم واكثرهم من الاتراك والارناؤط والجركس فهم يعدون نفسهم من المصريين ومنهم فئة كبيرة من اهل الوجاهة والنفوذ ونسميهم مولدين بالنسبة الى الذين سبقوهم الى الاندماج في الامة المصرية وجميعهم بالحقيقة غرباء • فانهم تدرجوا من طبقة الغرباء الى المولدين ثم الى الوطنيين فترى مما تقدم ان حق الوطنية في مصر انما يكتسب بطول الاقامة وتوالي التناسل

وقد اصاب الشام ايضاً نحو ذلك الاختلاط لانها كانت شريكة مصر في المصائب والنعم ينال كلاً منهما من السراء او الضراء ما ينال صاحبتها من فتح او احتلال او ظلم او هجرة

واما العلائق بينهما بقطع النظر عن الطوارىء الخارجية فقد كانت وثيقة العرى تتجدد بتوالي الاعوام — ولبيان ذلك نقسم الكلام في هذا الموضوع الى اربعة اقسام باعتبار نوع العلاقة فنقول:

١ — العلائق الطبيعية

مصر والشام باعتبار طبيعتهما بلدٌ واحد لانهما متاختان لا يفصلهما بحرٌ ولا صحراء ولا جبل تبتدىء احداهما حيث تنتهي الاخرى مباشرة ولذلك كانتا متقاربتين بطبيعة الاقليم من الحر والبرد تظللهما سماء واحدة ويكتنفهما جو واحد فتقارب اهلوهما بالطباع والامزجة وتوالت عليهما احوال متشابهة فأصبحا متشابهين بالعادات والاخلاق وتشابها بالطعام والشراب واللباس والمأوى • وهما الآن يخضعان لسلطان واحد ويتكلمان لغة واحدة واديانهما متماثلة كل دين لما يقابله

وبالجملة فالقطران قطر واحد يقسم الى شطرين مصر والشام كما تقسم مصر الى الوجهين البحري والقبلي وكما تقسم الشام الى سوريا وفلسطين ونحو ذلك • وهما في نظر اهل الغرب بلدٌ واحد فاذا انتقدوا عاداتنا او اخلاقنا او امتدحوا شيئاً من اعمالنا — وقليلاً ما يفعلون — عبروا عنا بالعرب او الشرقيين ولم يميزوا بين المصري والسوري

الفرس القدماء في القرن السادس قبل الميلاد ففتحوها وهم يعدون اهلها أمة واحدة هي الامة المصرية . ولو سألت كل فرد من افراد تلك الامة يومئذ لما ترددوا في الانتساب اليها فاقاموا بينهم وتناسلوا وبنوا القلاع وسموها باسماء بلادهم . وجاء بعدهم اليونان وتكاثروا خصوصاً في عصر البطالسة وطال مقامهم ورسخت اقدامهم وخلفوا في وادي النيل آثاراً باقية واللغة القبطية لا تزال تكتب بالاحرف اليونانية الى اليوم . ناهيك بما فيها من الفاظ تلك اللغة ومصطلاحاتها الدينية والسياسية . ثم فتحها الرومان قبيل التاريخ المسيحي . وجعلوها اهراءهم ومخازن اقواتهم . وفي اواسط القرن السابع للميلاد جاءها العرب وقد اختلطت انساب تلك الامم بالتزاوج وعرف الحاصل من ذلك بالامة القبطية وهي الامة المصرية غير من كان فيها من حامية الروم عند الفتح ولم ينضموا الى المصريين لحداثة عهدهم في مصر فكانوا أشبه شيء بجيش الاحتلال . اما المولودون منهم فيها فكانوا يعدون انفسهم من اهلها حتى المقوقس نفسه زعيم الحزب الوطني يومئذ فانه من اصل يوناني

فلما رسخت قدم العرب بمصر نزحوا اليها قبائل وبطوناً واختلطوا باهلها فتولدت طبقة من العرب المولدين وهم يعدُّون انفسهم مصريين واعلى القرق الامباط عنهم بالدين ولما قامت الدولة العباسية وعظم شأن الفرس وتولوا الاعمال في المملكة الاسلامية نزح جماعة منهم الى مصر حتى اذا تولاها آل طولون في اواسط القرن الثالث للهجرة جاءها الاتراك من بطانة الخدمة المعتصم بالله وأقاموا فيها واختلطوا بالعرب والفرس والقبط وفي اواسط القرن الرابع جاء الفاطميون من شمالي افريقيا ففتحوا مصر بجند اكثره من قبائل البربر ومعهم جماعة من عرب الاندلس المولدين وفيهم الدم الاسباني او الافرنجي واستعان الخلفاء الفاطميون في اثناء دولتهم بجنود من الترك والكرد والديلم والارمن والعبيد السودان وغيرهم وكانوا يبتاعونهم او يستأجرونهم فيقيمون بمصر ويتزاوجون ويتوالدون ولا حرج في ذلك حتى الخلفاء فكثيراً ما كانوا يتخذون امهات اولاد من الترك او السودان او الارمن . فالخليفة المستنصر الفاطمي المتوفى سنة ٤٨٧ هـ كانت امه سودانية وتزايد وفود الاكراد خصوصاً في عهد الدولة الايوبية ثم تكاثر الاتراك والجركس والارمن والمغول وغيرهم في زمن السلاطين المماليك . فلما تولت الدولة العثمانية اضيف الى مزيج الامة المصرية جماعة الانكشارية وهم اخلاط من امم شتى وجماعة الارناؤط وغيرهم . حتى اذا اقبل العصر الاخير وهو يبدأ في اول القرن الماضي وفد على مصر

يتقدمه اخوه الملك الاشرف موسى بن العادل وفي ساقته اخوه الآخر الملك المعظم عيسى واتحدا الجيشان وغلبوا الافرنج وهزموهم هزيمة منكرة وانقذوا البلاد منهم وسموا المعسكر الذي انشأوه بالمنزلة مدينة «المنصورة» اشارة الى انتصارهم بها . ومن لطيف ما جرى على اثر ذلك وفيه دليل الى هذا التعاون ان الملك الكامل أولم في المنصورة وليمة شهدها اخواه المذكوران موسى الاشرف وعيسى المعظم وامم الكامل محمد وحضر الاحتفال جم غفير من الاعيان ورجال الدولة فلما اكتمل الجمع امر الملك الاشرف موسى جارية فغنت هذين البيتين وفيهما اشارة الى بلائه في الاعداء وهما :

ولما طغى فرعون عكا وقومه وجاء الى مصر ليفسد في الارض
اتى نحوهم موسى وفي يده العصا فاغرقهم في اليمّ بعضاً على بعض

فطرب الاشرف وقال لها بالله كرري فشقّ ذلك على الملك الكامل فاسكتها وقال لجاريته غني انت فاخذت العود وغنت :

ايا اهل دين الكفر قوموا لتنظروا لما قد جرى في وقتنا وتجدّدا
اعبّاد عيسى ان عيسى وحزبه وموسى جميعاً ينصران محمدا

وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن جبارة اولها (الى الوجد الا ان ابيت مسهدا) فاعجب ذلك الملك الكامل وامر لكل من الجاريتين بجائزة

ولما نشأت دولة المماليك سلاطين مصر لم تخرج الشام من سلطانهم يوماً واحداً ثم دخلتا جميعاً في حوزة الدولة العلية في اوائل القرن العاشر للهجرة على يد السلطان سليم الفاتح العثماني وما زالتا تحت رعايتها الى اليوم

وكان امراء مصر المماليك وهم تحت رعاية الدولة العلية اذا ارادوا الخروج على عدو او على الدولة نفسها استعانوا بالشام فكانتا تتضافران على صيانة مصالحهما المشتركة وغير المشتركة

فلما اراد علي بك الكبير صاحب مصر ان يستقلّ عن الدولة العلية استعان بالشيخ ضاهر العمر صاحب عكا فاعانه ونصره وكذلك فعل محمد علي باشا جد العائلة الخديوية لما ارسل ابنه ابراهيم لفتح الشام فانه استعان باكبر امرائها الامير بشير الشهابي فنصره وعرض مركزه وحياته للخطر في سبيل نصرته والناس يعلمون ما كانت عاقبة ذلك وكيف اخرج الامير المذكور من وطنه منفياً ومات في دار الغربة

وكان اكبر رجال شورى ابراهيم في تلك الحملة رجلاً سورياً مسيحيا اسمه بحري بك يقال ان محمد علي لما ودع ابنه ابراهيم يوم خروجه الى الشام كان بحري بك معه فوضع محمد

علي يده على كتفه وقال له « بحري بك ان ابراهيم ذاهب الى بلدك ٠٠ » فانحنى بحري مطيعاً وفداه الخدمة حقها٠ وزد على ذلك تعاون القطرين في القاء الطوارىء الطبيعية كالمرض ونحوه او الاحن السياسية كالثورات والاضطهادات٠ فالامراء المماليك لما دهمهم بونابرت بجنده وفرّوا من وجهه لجأ جماعة منهم الى الشام واعانهم أهلها في كثير من حاجياتهم واغراضهم حتى انقذوا واحداً من السوريين قتل الجنرال كلابر في قصره بمصر٠ ولما قام عرابي بذل الكتاب السوريون المقيمون في مصر جهدهم في رده عن عزمه خوفاً من العواقب فلم يسمع نداءهم٠ حتى اذا استفحل امر العرابيين واشتعلت هذه البلاد بنار الثورة لم يجد المصريون ملجأ يقيهم شر تلك الحوادث افضل من سوريا ولبنان فلاقوا فيهما كل رعاية واكرام كما يلاقي السوريون في هذه الايام بنزوحهم الى مصر٠ ناهيك بالتجاء اهل كل قطر الى القطر الآخر في ايام الاوبئة كالطاعون والهواء الاصفر والغالب ان يكون المصريون اللاجئين٠ ثم ان المجاورة لا تقتضي المسالمة دائماً فقد دامت الحروب بين اثينا وسبارطة اعواماً سفكت بها الدماء واما مصر والشام فلم يسمع ان اهل البلد الواحد طمع بجيرانه وانما كان يطمع في ذلك الامراء او السلاطين او الخلفاء رغبة في الفتح او الغزو فيقاسي اهل البلدين العذاب بسبب ذلك ولو تركوا لانفسهم لعاشوا بسلام ووئام

٣ — التعاون التجاري والصناعي

مصر بلاد زراعية والسوريون اصحاب تجارة فما برحوا من عهد الفينيقيين يحملون تجارة مصر الى الاصقاع البعيدة ويحملون اليها تجارة تلك الاصقاع يستفيدون ثمرات الاتجار ويروجون حاصلات مصر فكانت الفائدة متبادلة بين البلدين منذ القدم وكان ذلك شانهم في كل عصر ودولة٠ وفي هذه النهضة كان للسوريين النصيب الاوفر في ترويج التجارة واكثر الاغنياء المشهورين في سوريا اكتسبوا اموالهم بالتجارة وجانب كبير منها بحاصلات القطر المصري كالقطن والحبوب وغيرهما وبما يحملونه الى مصر من مصنوعات اوربا والشام والعراق٠ وكانت جمارك مصر على عهد الامراء المماليك في ايدي السوريين يضمنونها من الحكومة على عادة اهل ذلك الزمان

وكان السوريون ياتون مصر بتجارتهم فيبيعونها بالجملة و يشترون غيرها و يعودون الى حيث يبيعونها كعادة التجار المسافرين وقلما عني احدهم بالاقامة فيها٠ والمشهور انهم بدأوا باستيطانها من اوائل القرن الثامن عشر فانتقلت بعض العائلات المسيحية الدمشقية من طائفة الروم الملكيين الى القاهرة والاسكندرية لاتساع تجارتهم او اعمالهم فيها واقتدى بهم

جماعة من ابناء هذه الطائفة وغيرها من سائر انحاء سوريا وعرفوا باسم الشوام ويراد بهم اهل سوريا وفلسطين وحلب والعراق اي من حدود غزة الى شواطىء دجلة وكانوا يشتغلون بالتجارة والصناعة واخذوا يفتحون الحوانيت للبيع والشراء وفيهم باعة الاجواخ والخرداوات والسماسرة والصياغ والنساجون . فالمتزوجون منهم يقيمون في منازل خاصة بهم واما العزاب فينزلون في الوكالات او الخانات في جهات الحمزاوي وما جاوره ومعظمهم من الروم الكاثوليك ومعهم كهنتهم وكانوا يقاسون مشقة كبيرة باجراء قوانينهم الكنائسية المتعلقة بالاحوال الشخصية كالزواج والميراث لمقاومة بطريرك القسطنطينية لهم رغبة منهُ في جمع شمل الطائفتين . فكان يستصدر الاوامر من الباب العالي لمعاكستهم وهم يلجأُون لقضاء مصالحهم الشخصية الى المحكمة الشرعية للحصول على الفتوى فيها . وقد اطلعنا على ترجمة احدى هذه الفتاوي الى الفرنساوية مؤرخة في ٨ شعبان سنة ١١٩٦ هـ مذيلة بتواقيع الشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي والشيخ حسن الكفراوي الشافعي والشيخ احمد الدردير المالكي والشيخ صالح الحنبلي وللطائفة الكاثوليكية تاريخ لا محل له هنا

ولما تولى محمد علي مصر كان فيها من السوريين ٣٠٠٠ نفس في القاهرة و ٥٠٠ في دمياط و ٢٥٠ في الاسكندرية ومثلها في رشيد . وكانوا قد جمعوا ثروة حسنة لتوسطهم في التجارة بين الافرنج والامراء المماليك فيشترون الاجواخ والحرير وسائر ادوات المنازل والاثاث وغيرها من الافرنج و يبيعونها للامراء والكشاف وسائر الاعيان

وكان تقاطر السوريين الى مصر على عهد محمد علي قليلاً لانه احتكر تجارة القطن لنفسه وكان يوجه بها الى أوربا وغيرها فوجهوا عنايتهم الى تجارة السودان فنزح كثيرون منهم الى الخرطوم ودنقلا و بربر وغيرها وأنشأوا المتاجر الكبرى بالسن والريش والصمغ . حتى اذا تولى اسماعيل وله شغف بتقريب الاجانب وتقليدهم بالعمارة والحضارة كان قد نبغ من السوريين طائفة كبيرة من عارفي اللغة الفرنساوية ممن تخرجوا في مدرسة عينطورة وغيرها والحكومة تحتاج الى مترجمين وكتاب يعرفون هذه اللغة مع اللغة العربية نظرًا لدخول الافرنج بمصالح الحكومة المصرية ففتح للسوريين باب الاستخدام وهم لا يميلون اليه من فطرتهم لكنهم أُطمعوا بالرواتب الحسنة فاستخدموا وتكاثروا في عهد اسماعيل . وعقب ذلك الحوادث العرابية واحتلال الانكليز وكان قد نبغ من السوريين طائفة أخرى يعرفون اللغة الانكليزية من مدارس الاميركان والانكليز فاتسع لهم باب الاستخدام في مصر بعد ان دخلت اللغة الانكليزية في مصالحها

ولكن السوري لايبرح من الاستخدام ولا هو مفطور عليه فظلت ثروتهم على حالها حتى حصلت النهضة المالية الاخيرة منذ بضع عشرة سنة ففتح لهم باب خلقوا للعمل فيه وهو التجارة والمعاملة بالماليات فتقاطروا الى مصر وفتحوا المتاجر واشتغلوا بالمضاربة واسسوا الشركات واقتنوا الابعديات وابتنوا المنازل فاثروا في جملة من أثرى من الوطنيين والاجانب بجدهم وتعبهم . وتضاعفت ثروتهم مراراً وحدثت في مصر نهضة تجارية هم اكبر المساعدين عليها واستعفى كثيرون من الموظفين في الحكومة المصرية وعادوا الى الاشتغال بالتجارة بالجد والامانة — غير المشتغلين بالمهن العلمية كالمحاماة والطب والصحافة ونحوها

فالسوريون تعاطوا التجارة بمصر كما يتعاطاها كل نازح اليها من جالية أوربا واسيا — ولا يلام الوطنيون اذا ساءهم ان يكتسب الغريب في بلادهم ما لا طاقة لهم باكتسابه لانقطاعهم عن التجارة الى الزراعة وخدمة الحكومة . ولكن اولئك الغرباء لاجناح عليهم اذا اكتسبوا اموالهم بتعبهم وعرق جبينهم ولا نصير لهم غير عملهم وامانتهم . وزد على ذلك ان السوريين اذا اكتسبوا مالاً من مصر فهو باقٍ فيها يزيدها ثروة وقوة لانهم اتخذوها وطناً لهم بعد وطنهم الاول . ولو كان وجودهم بمصر لايلائم مصلحة عمرانها لرجعوا عنها كما يرجع الافرنج الذين ينزحون الى سوريا للتجارة او نحوها فان احدهم لايلبث ان يقيم في بلد ويؤسس محلاً تجارياً حتى يرى الوطنيين قلدوه باستجلاب البضائع وتعلموا طرق بيعها وهم اقدر منه على ترويجها لمعرفتهم لغة الاهالي وعاداتهم فيضطر ذلك الافرنجي الى بيع محله لاحد مستخدميه من اهل ذلك البلد ويرجع الى بلده . ولدينا شواهد عيانية من هذا القبيل جرت في بيروت ودمشق وغيرها . فاذا فعل المصريون بالنزلاء مثل هذا الفعل لا لوم عليهم ولا تثريب ولكل مجتهد نصيب

٤ — التعاون الادبي والعلمي

كانت مصر في عهد الفراعنة مهد العلم ومبعث العرفان نبغ فيها الحكماء والاطباء والعلماء من الكهان العظام وكانت جارتها فينيقية واسطة عقد الاتصال بينها وبين معاصريها من الامم المتمدنة يومئذ في اشور وبابل وغيرهما . فكان الفينيقيون ينقلون اسباب المدنية والعلم بين تلك الامم مثل شأن خلفائهم السوريين في كل عصر وزمان . فنقلوا الى مصر كثيراً من علوم تلك الامم وشرائعها وآدابها وأخذوا عنها كثيراً من ضروب العلم والصناعة وفي جملتها شيئان خطيران غيرا احوال العمران وتركا في انفس الشعوب آثاراً لا تمحوها كرور الايام : احدهما احرف الهجاء فان الفينيقيين استنبطوها أخذاً عن

الحروف الهيروغليفية المصرية ثم نشروها في العالم ، ومنها تفرعت الاقلام التي تكتب بها لغات العالم المتمدن في القارات الخمس على ما فصلناه في غير هذا المكان • والشيء الآخر حمله اليهود عند خروجهم من مصر وتناقلوه فيما بينهم ودونوا بعضه في كتبهم • ففي كتب موسى كثير من العلوم والآداب والقواعد التي اقتبسها من الكهنة المصريين ولا يخفى عليك ما بني على تلك الكتب من الشرائع والقوانين الاجتماعية والآداب والاخلاق ولا يزال أثرها باقياً الى الآن • والفضل في الحالين لمصر بوضع الاساس ولاهل سوريا بالتحسين والنشر

ويلي عصر الفراعنة عصر اليونان وظهور مدرسة الاسكندرية التي عمرها جالية اليونان الفارين من الذل بعد ذهاب استقلالهم في عصر الاسكندر فأموا مصر والشام بكتبهم وعلومهم ونشطهم البطالسة بمصر والسلوقيون بالشام فابتنوا المدارس في الاسكندرية وانطاكية وبيروت فاحيوا العلم في الشرق كما اصابهم بعد ذلك بثمانية عشر قرناً اذ نزحوا من القسطنطينية بعد الفتح العثماني وحملوا كتبهم وعلومهم الى أوربا فاعانوا أهلها على هذه النهضة لانشاء التمدن الحديث • وزهت مدرسة الاسكندرية بالعلماء والحكماء واصبحت مورداً لطلاب العلم والمعرفة من سائر اقطار العالم فاستفاد العالم منها وفي جملتهم السوريون • واستفاد المصريون من مدارس الشام

فلما ظهر الاسلام وخفقت اعلام المسلمين على مدائن الشرق وانشأوا الدول ونظموا الحكومة واقبل طور الحضارة والتمدن عمدوا الى نقل العلوم القديمة فاستعان الخلفاء على ذلك بالسوريين لاطلاعهم على العلوم من قبل مع معرفتهم اللغات اللازمة للنقل فنقلوها والفوا فيها وهي النهضة العلمية العربية في العصر العباسي • فخدموا العالم الاسلامي على الاجمال وخصوصاً مصر لقربها منهم • فلما نضجت تلك النهضة ونشأ العلماء والمؤلفون من المسلمين وغيرهم في الطب والصيدلة والطبيعيات والتاريخ والادب كان القطران يتعاونان في هذا السبيل ويتبادلان الفائدة والمصلحة على أساليب تختلف باختلاف الاعصر والاحوال • فكان نبوغ العلماء وتاليف الكتب وانشاء المدارس والمكاتب يتبع زهو الدولة وتقدمها ويكون على معظمه حول بلاط الخليفة وحاشيته • فلما كان كرسي الخلافة في بغداد غلب ظهور العلماء في سوريا ولما قامت الدولة الفاطمية بمصر كثر ظهور النوابغ في مصر وهما تتبادلان الفائدة في كل حال

فلما توقفت الحركة العلمية بما أصاب التمدن الاسلامي من الانحطاط منذ القرن

السابع للهجرة قلّ نبوغ العلماء من الطائفتين ولم يقال ذلك شيئاً من تبادل الخدمة الادبية فكان من اشهر المؤلفين بمصر في ذلك العصر كاتبان سوريان احدهما المقريزي صاحب الخطط والآخر ابن ابي اصيبعة صاحب طبقات الاطباء وفيه تراجم اطباء المسلمين في كل بلاد الاسلام

على ان مصر في اثناء تلك الفترة كانت صاحبة الفضل الاول في حفظ بقايا التمدن الاسلامي في الجامع الازهر كما حفظت اديرة اوربا بقايا التمدن الروماني في اثناء الاجيال المظلمة حتى استعانوا بها في انشاء التمدن الحديث • فكانت مدرسة الازهر مصباحاً مضيئاً في غياهب تلك الاعصر وكان الطلبة يأتونها من اطراف العالم الاسلامي وخصوصاً الشام • وكان للشوام رواق خاص بهم لا يزال باقياً الى الآن ينسب اليهم • وقد نبغ في سوريا في عصر الانحطاط جماعة من العلماء تلقوا العلم في مدرسة الازهر

(النهضة الأخيرة) اما النهضة الحديثة في القطرين فالفضل الاول فيها لمصر على الشام لانها بدأت بمصر على عهد محمد علي بما انشأه فيها من المدارس الطبية والعسكرية والصيدلية والالسانية وما بذله من العناية في ترجمة كتب العلم الحديث ونشر المؤلفات القديمة • فلما نهض السوريون في اواسط القرن الماضي للاشتغال بالعلم كان لهم من مؤلفات المصريين اكبر معين في التعلم والتأليف وخصوصاً في النقل من الافرنجية الى العربية لان المصريين تعبوا في استخراج المصطلحات العلمية من كتب العرب فتناولها السوريون على اهون سبيل ولا سيما في كتب الطب والصيدلة والرياضات والطبيعيات • على ان للسوريين يداً في نقل الكتب على عهد محمد علي لانه استخدم في نقلها غير واحد منهم • ويقال بالاجمال ان مصر هي مؤسسة نهضة العلم الحديث في اول القرن الماضي • وكان السوريون في بادىء الرأي يتلقون الطب وفروعه بمدرسة القصر العيني ويستفيدون من مؤلفات أساتذتها والمتخرجين فيها حتى أنشئت المدرسة الكلية في بيروت فتحولت الافكار الى تلقي العلم فيها والاستفادة من مؤلفات أساتذتها • ونبغ في أواسط ذلك القرن طائفة حسنة من المشتغلين بالعلم في سوريا والفوا في الطب والتاريخ والعلم والادب واللغة وانتشرت كتبهم في مصر

ومن اكبر مقدمات هذه النهضة الطباعة وكانت في لبنان قبل مصر اما في المدن فاقدم المطابع واسبقها الى العمل مطبعة بولاق أنشئت في اوائل القرن الماضي لطبع الكتب القديمة والمترجمات الجديدة ولكن الذي اصطنع حروفها رجل سوري يقال له المسابكي

ومن اركان هذه النهضة الصحافة العربية وقد ظهرت اولاً بمصر واول صحيفة عربية « الوقائع المصرية » انشأها محمد علي باشا منذ ۷۷ سنة للاخبار الرسمية باللغتين التركية والعربية ثم صارت بالعربية وقد حرر في قسمها العربي الشيخ احمد فارس الشدياق . فمصر اسبق الى الصحافة الرسمية وسوريا اسبق الى الصحافة العمومية لان اقدم الصحف العربية « الجوائب » للشيخ احمد فارس المذكور انشأها في الاستانة سنة ١٨٦١ تليها جريدة « وادي النيل » لابي السعود افندي انشئت بمصر سنة ١٨٦٧ ثم مجلة « الجنان » انشاها البستاني في بيروت سنة ١٨٧٠ ثم توالت الجرائد في الظهور بمصر والشام

ونبغ في النصف الاخير من القرن الماضي جماعة من كتاب الصحف في بيروت لا يشق لهم غبار وتوافدوا على مصر في عهد اسماعيل فانشاوا الصحف واصلحوا الانشاء الصحافي وامامهم في ذلك يومئذ اديب اسحق وقد احدث في الصحافة نهضة جديدة يذكرها له التاريخ . وللسوريين فضل آخر على هذه النهضة بنقل التمثيل العربي الى مصر فانه نقل اليها في اثناء تلك الحركة وهي خدمة للسوريين في مصر يقابلها ما كان يبذله رجال مصر من المال في هذا السبيل ولولا ذلك لم تتمكن تلك القرائح من الظهور

وفضل مصر من هذا القبيل يتناول المشروعات العلمية التي انشأت في سوريا نفسها فاسماعيل باشا اول من نشط البستاني في تأليف دائرة المعارف فبذل له المال واباح له المكتبة الخديوية يحمل من كتبها ما شاء وقد اعترف البستاني بهذه الاريحية في صدر الجزء الاول من ذلك الكتاب النفيس فذكرها باقٍ ما بقيت دائرة المعارف

ناهيك بما كان يبذله اسماعيل في سبيل المشروعات الادبية التي احدثها السوريون بمصر من الصحف او المطابع او المراسح او المدارس حتى كان يجيز الشاعر على قصيدة والمؤلف على كتاب مما يحيي النفوس و يبعث على الاجتهاد في صناعة الادب . فاذا كان للسوريين فضل في احياء هذه النهضة وترقيتها فالفضل لمصر في تأسيسها وتغذيتها

واعتبر ذلك بما يسعى فيه المصريون اليوم من احياء اللغة العربية بجعلها لغة التعليم بما ينشئونه من الصحف والمجلات وتأليف الكتب فالسوريون يعملون معهم في ذلك يداً واحدة بمصر والشام لان المصلحة مشتركة . وزاد السوريون انهم ينشرون هذه اللغة وآدابها في سائر انحاء العالم ولا سيما اميركا الشمالية والجنوبية بما انشأوه هناك من الصحف السياسية والفوه من الجمعيات الادبية وقد نبغ منهم جماعة من الكتاب والشعراء

فمصر والشام اختان تشتركان بالمصالح السياسية والتجارية والادبية والعلمية وتتعاونان

في السراء والضراء وقد مضى عليها قرونٌ تقلبتا فيها على اديان عديدة وحكمتهما دول شتى وذاقتا الحلو والمرّ معاً وهما تتآلفان وتتحابان ولا يزال ذلك شأنهما الى اليوم

اما ما يفهم من اقوال بعض الصحف المصرية من ذكر الدخلاء بما يبعث على الخلاف فاذا كانت تريد به السوريين على الاجمال فانها هفوة نرجو رجوعها عنها بعد ان تبين لها ان السوري عامل امين يخدم الوطن الذي يقطنهُ بنشاط وامانة . وانهُ اكثر نفعاً لها واقل خطراً عليها من سائر العناصر التي يتألف منها سكان مصر واقدرهم على خدمة مصالحها بعلمه او رأيه او ماله واقربها مودة للمصريين تجمعه بهم جامعة اللغة والوطن والاقليم والدين والاخلاق والآداب والتقاليد والمصالح التجارية والادبية والعلمية



حرية الصحافة

في انكلترا ومصر

١ — الحرية على الاجمال

تقسم الحرية في نظر علماء الاخلاق الى حرية الفكر وحرية القول وحرية العمل . وقد يستغرب بعض اهل هذا الجيل قولنا « حرية الفكر » وكيف لا يكون الانسان حرًّا في فكره أي ان يفتكر كما يشاء اذا كان لا يقدر ان يقول او يفعل كما يشاء ولكن اهل الاجيال الوسطى ومن كان على شاكلتهم من المقيدين بالعادات او الاعتقادات فأولئك وامثالهم لا يفتكرون كما يريدون لانهم تعودوا الطاعة المطلقة والتسليم الاعمى لرؤسائهم او اساتذتهم او كهنتهم فلا يصدقون غير ما غرسوه في اذهانهم ولو كان مخالفاً لاحكام عقولهم وهو ما يعبر عنه بالتعصب الاعمى . ولولا ذلك لرأيت هداية الناس الى الصواب هينة ولكنها صعبة واصعبها ما كان من قبيل الاعتقاد الديني فان الانسان حريص على معتقده مثل حرصه على كرامة نفسه وقد يرى الخطأ في جانبه فيغالط نفسه ويقيد فكره دفاعاً عن معتقده الذي اصبح جزءًا من حياته ولا يزال مكابراً حتى تجرَّد السيوف وتسيل الدماء . وكم سفكت في هذا السبيل دماء اهل الاجيال المظلمة . واذا نظرنا في سبب الخصام بفكرٍ حرٍّ رأيناهم كانوا يختصمون على الاوهام

وقد يصل تقيد الفكر الى المكابرة بالحق الواضح مما يقع تحت الحواس الظاهرة كالقول

مثلاً بدوران الارض فقد اضطهد صاحب هذا الرأي حتى اتُّهم بالكفر قبل شيوع مذهبه — ذلك كان شأن الامم من قديم الزمان وكانت افكارهم صدى افكار قادتهم او زعمائهم او اساتذتهم فيدفعون كل فكر يخطر لهم اذا لم يوافق ما غرس في اذهانهم

ويمتاز عصر التمدن الحديث عن سائر الاعصر الماضية بشيوع الحرية فكرًا وقولاً وفعلاً . فأخذ الناس منذ بضعة قرون يطلقون العنان لافكارهم ولو خالفت ما قبلها وهم لا يخشون بأساً ولا رقيباً . اما القول والفعل فلا يتيسر اطلاق الحرية فيها لئلا يؤدي الى الاذى بالآخرين . ولتقييد تلك الحرية اقيمت الحكومات وسنّت القوانين وفرضت الشرائع وكان اهل الاعصر الماضية اكثر تقيداً منّا فكرًا وقولاً وفعلاً لان التقاليد حبست افكارهم والقوانين قيدت اقوالهم وافعالهم والحكومات الاستبدادية ضيقت عليهم طرقهم . فلما اطلقت قيود الافكار بعد عصر الاصلاح تبعتها قيود الاقوال والافعال وقد جاهدت الامم المتمدنة في سبيل كسر تلك القيود جهاد الابطال . ويدخل في حرية العمل ان تنجو الامة من سلطة الاجانب وتقبض على حكومتها بيدها فتخدم بلادها بحريتها كما فعلت اميركا بالنجاة من سلطة انكلترا

ويترتب على حرية القول ان يقول الرجل ما يخطر له او يراه . ويدخل تحتها حرية التأليف — وكان التأليف قبل عصر الطباعة مقيداً بارادة الرؤساء يراعي المؤلف فيه ما يرضي الملك او الامير او الرئيس او يميل فيه الى ما يوافق غرضه او غرض بعض محبيه . وقلّ من الف كتاباً بحرية تامة الاّ في العلوم التي لا سبيل لمراعاة الخاطر فيها اما كتب التاريخ والادب فاكثرها كتب ارضاء لرئيس او حزب او جماعة التماساً للجائزة او فراراً من العقاب — حتى في عصر التمدن الاسلامي فقد كان لارادة الملوك او الخلفاء او الامراء دخلٌ في المؤلفين والمؤلفات ولذلك رأيت الكتّاب في عصر الدولة العباسية سكتوا عن حسنات بني أُمية ولم يذكروا الا سيئاتهم ارضاء للخلفاء العباسيين وقس على ذلك

ويدخل في حرية القول ايضاً حرية المطبوعات على العموم والصحافة على الخصوص لانها عبارة عن اطلاق الحرية للكتاب ان ينشروا ما يقولونهُ — وهو موضوع بحثنا

٢ — حرية المطبوعات

لم تنل امم اوربا حرية المطبوعات الاّ بعد جهاد عظيم مثل جهادهم لنيل الاستقلال ونحن لا نستطيع تصور ذلك الجهاد لاننا لم نجرب هذا ولا ذاك ولان حرية الصحافة أتتنا غنيمة باردة مثل سائر اسباب المدنية الحاضرة : فقد وصلتنا العلوم والمصنوعات والاختراعات

ناضجة تامة فاقتطفنا ثمارها ونحن نيام . اما اصحاب هذا التمدن فقد بذلوا النفس والنفيس وضحوا المال والرجال قبل الحصول عليها . كانت الاقوال مقيدة قبل عصر الطباعة بقوانين كنائسية تمنع الناس التكلم او الكتابة الا ضمن حدود معينة ومن اسلحة هذه القوانين ديوان التفتيش . وكانت الحكومة تعضد الكنيسة في تقييد الاقوال وكان مجلس الاعيان في بلاد الانكليز يساعد الكنيسة في هذا التقييد فلا يؤذن لواعظ ان يخطب الا برخصة خصوصية . فلما اخترعت الطباعة انحصرت مراقبة حرية القول بالحكومة فاصبحت لا تسمح بطبع كتاب او صحيفة الا باذن منها يتناوله المؤلف ويكون بيده شبه حق يحصر منفعة الكتاب به

ولنتتبع تاريخ حرية المطبوعات في انكلترا — فقد كانت مراقبتها تأول اما الى منع الكاتب من نشر كتابه بالكلية او تاذن بنشره بعد تنقيحه او تعاقب ناشره اذا نشره بدون اذنها . وكانت تشدد على الخصوص في منع نشر ما يدور في مجلس البرلمان من المباحثات او ما هو من قبيل اجراءات الحكومة ويعاقب الناشر بالقتل . وفي عهد الملكة ماري سنة ١٥٥٦ حصرت الحكومة الانكليزية حق الطبع والنشر بشركة تشكلت يومئذ لهذه الغاية . واصدرت الحكومة سنة ١٥٨٥ امراً يحصر الطباعة في لندن واكسفورد وكمبريدج على ان لا يتجاوز عدد الطابعين ٢٠ طابعاً ومعهم اربعة من سابكي الحروف ولا تطبع شيئاً الا برخصة خصوصية . واذا اتهم احد انه طبع شيئاً بلا رخصة تمتدت الى بيته وفتشته بالقوة على يد موظف يسمونه « رسول المطابع » . وشددت في منع ادخال الكتب المطبوعة في الخارج اذا كانت من قبيل الجدل الديني او الانتقاد على الحكومة او الكنيسة وعينت لمراجعة الكتب قبل طبعها مراجع معينة حسب المواضيع : فالكتب القضائية تؤخذ الرخصة بطبعها من رئيس القضاة وكتب التاريخ باذن بطبعها احد نواب نظارة الداخلية والكتب العسكرية يأذن بطبعها قائد الجند العام . واما كتب الدين والفلسفة والشعر ونحوها من الادبيات فيرجع بها الى رئيس اساقفة كنتربري

وفي اواسط القرن السابع عشر عهد النظر في مراقبة المطبوعات الى البرلمان فعين أناساً يراقبونها تحت مناظرة الشركة التي تقدم ذكرها . وتجددت قوانين المراقبة سنة ١٦٨٠ بعد ان نظر فيها ١٢ قاضياً فقرروا « ان كل من يكتب او يطبع او يبيع مطبوعات فيها طعن على الناس او على احدهم تحجز ويعاقب صاحبها حسب القانون وكذلك ما يمس الحكومة وان يعاقب كتبة الاخبار على التحريف في نقلها وان لم يكن فيها طعن او قذف »

وكانت رخصة الطبع تعطى لمدة سنتين فجعلوها لسبع سنين . وللطباعة علاقة كبرى بالصحافة فلننظر في نيل هذه الحرية عن طريق الصحافة :

٣ – حرية الصحافة في انكلترا

كانت الصحافة الانكليزية في اول امرها تابعة باحكامها لسائر المطبوعات حتى اذا تولّى جورج الثالث ملك انكلترا مع ضعف رأيه وشدة عناده ورغبته في تولي امور الدولة بنفسه دون البرلمان اضطربت انكلترا وتفشت الرشوة فيها واصبحت المناصب تباع باسعار محددة حتى عضوية البرلمان . فاصبح الشعب لايامن على مصالحه لانه ضاع بين عناد الملك وكبرياء مجلس الاعيان وارتشاء مجلس العموم فاصبح لا يثق باحدى هذه القوات الثلاث فلجأ الى قوة رابعة اسعفته ونصرته وانالته مراده وهي « الصحافة » وكانت الى ذلك العهد تحت المراقبة مثل سائر المطبوعات . ولكن الشعب كان قد ارتقى وتشرّب روح الحرية الشخصية وآن له ان يفتكر بحرية ويقول بحرية وكتّاب الصحافة من ابناء العامة يشعرون بما يقاسيه اخوانهم من الضغط فاخذت الصحافة على عاتقها المناداة بشكوى العموم من اعمال الملك ووزرائه ومجلس البرلمان

واتفق في أثناء ذلك ان الحكومة الانكليزية عقدت مع فرنسا معاهدة باريس سنة ١٧٦٣ وفيها ما فيها من الاجحاف بمصالح الانكليز فالشعب لم يكن راضياً عنها . وكان بين الصحف يومئذ صحيفة اسمها « نورث بريتون » محررها عضو في مجلس العموم اسمه جون ويلكس فانتقد تلك المعاهدة وطعن على ارل بوت رئيس الوزارة لانه رضي بها وهي اول مرة تجرأ صحافي ان ينتقد وزيراً انتقاداً صريحاً ويسميه باسمه فتحدث الناس بذلك وتناقلته الصحف وهاج الرعاع حتى اضطر الارل المذكور ان يستقيل من منصبه

فخاف الملك جورج أن يصيبه ما اصاب وزيره ورأى ان وزارته لاتقوى على نصرته بين يدي هذا التيار المظيم فلجأ الى مجلس العموم وتقدم الى وليم بت زعيم ذلك المجلس ان يشكل وزارة جديدة . فرأى بت انه عاجز عن مناهضة الشعب فاشترط على الملك اذا شكل هو الوزارة ان يجعل اعضاءها ممن يرضاهم الشعب . فابى الملك وعهد بتشكيلها الى جورج غرانفيل فشكلها وأعضاؤها من الحزب الضعيف رأياً وفعلاً واول عمل عزمت عليه تكميم الصحافة وتأييد سلطة البرلمان في وضع الضرائب على المستعمرة الاميركية كما ذكرناه في « استقلال اميركا » من هذا الهلال — وبهمّ الشعب الانكليزي الغاء هذا القرار لانه يمس حرية الجمهور في انكلترا نفسها . وكان الشعب الانكليزي يكره غرانفل كما كان يكره ارل بوت فانقضت عليه الصحف بالطعن والقذف من كل ناحية وكتبت فيه المقالات السياسية الحادة وعرضت فيها بذكر الملك والقت عليه بعض التبعة

وأهم ما كتب بهذا الشأن مقالة نشرت سنة ١٧٦٤ في نورث بريتون جريدة جون ويلكس المتقدم ذكره جاء في جملتها « ان خطاب الملك للبرلمان يشتمل على كذب صريح »

فاصدرت الحكومة امراً مستعجلاً بالقبض على محرر الجريدة وصاحبها وطابعها . فقبض على جون ويلكس وسيق الى سجن برج لندن بدعوى كونه مجرماً سياسياً وحمل الآخرون الى السجون الاخرى تحت الحفظ . ثم انتبهت الوزارة الى تسرعها في مقاصة هذا المذنب وانها فتحت عليها مسألة سياسية دستورية — ولم يكن ويلكس بحد ذاته من الاهمية في شيء ولو لم تضطهده الوزارة وتمعن بمطاردته لمات خامل الذكر ولكن اضطهادها اياه جعل له شأناً كبيراً حتى اصبح نائباً عن مبدإ عظيم الاهمية يتعلق بالحرية والدستور اعني حرية الصحافة وساعده على ذلك أن قلوب الشعب كانت معه لانه كان يعبر عن احساسها . فكان من غريب امره انه وفق الى ثلاثة امور نالها الشعب الانكليزي على يده هي من أعظم أسباب تقدمه اهمها حرية الصحافة و قد ترتب عليها منافع دستورية هامة تتعلق بمجلس الاعيان وعلاقته بمجلس العموم

اما طابعو نورث بريتون فلم يطل حبسهم ونالوا عند خروجهم تعويضاً كبيراً لان القبض عليهم لم يكن قانونياً . وكذلك ويلكس فانه خرج ونال تعويضاً لنفس هذا السبب فاستأنف البرلمان محاكمته وأتي بالادلة على ادانته بجريمة القذف ففر الى فرنسا . وفي اثناء غيابه أصدر البرلمان قراراً باخراجه من عضويته وأسقاط كل حقوقه المدنية . وعمد البرلمان والوزارة معاً الى الاستبداد في مقاومة الصحافة فاصدر غرانفل رئيس الوزارة مائتي حكم ضد الصحف بانذار عمومي هاجت منه البلاد وماجت وثار الشعب الانكليزي بجملته لاعتباره تلك المقاومة ضده لان الصحف انما حكم عليها لانها نصرت مصلحته . فانحاز الشعب الى جانب ويلكس وأصبح شعارهم الذين ينادون به « ويلكس والحرية » فلم يستطع غرانفل الوقوف امام هذا التيار واضطر البرلمان ان يعترف رسمياً بان الانذار العمومي للجرائد غير قانوني ولم تصدر الحكومة الانكليزية انذاراً مثله من ذلك الحين

على ان الحكومة أخذت تعترض سير الصحافة وتسعى في قتلها من جهة أخرى فقررت سنة ١٧٧٦ ضريبة على كل نسخة من الجريدة بنساً ونصف بنس اي نحو سبعة ماليات وزادتها سنة ١٧٨٨ الى بنسين ثم زادتها سنة ١٧٩٤ الى بنسين ونصف وما زالت تزيدها حتى بلغت ضريبة الحكومة سنة ١٨١٥ اربعة بنسات على كل نسخة اي نحو غرشين مصريين فكانت النسخة تباع بسبعة بنسات او ثمانية والناس يطلبون الصحف

مهما يكن ثمنها لانهم في شوق الى استطلاع الاخبار وفي حاجة الى تأييد غرضهم • ثم انتبهت الحكومة الى خطأها فانزلت الضريبة الى بنس واحد على النسخة ونصف بنس على الملحق • وكانت قد وضعت على الصحافة ضرائب أخرى على طبعها وعلى اعلاناتها فتأخذ على الاعلان مهما يكن حجمه ثلاثة شلينات ونصف واذا تجرأ صاحب الجريدة على اصدارها بدون الطوابع الناطقة بدفع الغرامة وقع تحت طائلة القصاص فكان صاحب الجريدة في لندن يرسل الورق قبل طبعه الى مصلحة الطوابع ثم يحمله الى المطبعة — فاعتبر نفقات الصحف بما يلحقها من ضريبة الطوابع وضريبة الاعلانات فلا عجب اذا بيعت النسخة يومئذ بثمانية بنسات وهي تباع الآن بنس واحد • فلم يكن للفقراء سبيل الى ابتياع الصحف مع تشوقهم الى استطلاع الاخبار فكان يشترك جماعة منهم على ابتياع الصحيفة ويتناقلونها ويتدارسونها بالعناية لئلا تتمزق • فاحتال بعض الكتاب على اصدار نشرات في كراريس لم يسمها صحفاً ولا يدفع عليها ضريبة وكان يبيع النسخة بنفسين واحتال آخرون حيلاً أخرى لنشر الاخبار بالثمن المعتدل والحكومة تقف في طريقهم وتحاكمهم او تغرمهم مما يطول شرحه

ثم تغيرت السياسة وتولى الحكومة العقلاء فاخذوا في تخفيف الضرائب تدريجاً وتحويلها وتعديلها وتخفيف أجرة البريد حتى صارت الصحافة الانكليزية الى ما هي عليه الآن فضلاً عن حرية الطبع والنشر • وقس على ذلك سائر دول اوربا فان الصحافة حرة في معظمها وقل بينها من نال هذه النعمة الا بعد التعب والعذاب

٤ — حرية الصحافة بمصر

تاريخ الصحافة في الشرق يختلف عن تاريخها في الغرب اختلافاً عظيماً فالصحافة الغربية اقتضتها طبيعة العمران بعد ان تمدن الناس وتعلموا وتعددت احزابهم السياسية واحتاجوا الى ما يذيعون به آراءهم او يطلعون به على آراء الآخرين • فانشأوا الصحف لهذه الغاية والحكومات يومئذ لا تريد نشر الآراء على هذه الصورة خوفاً على اسرارها او ظهور ما تريد اخفاءه من اعمالها ولا هي تريد ان يرتفع صوت الشعب وتحد كلمته لان ذلك يقلل من نفوذها ويعرقل مساعيها فكانت تبذل جهدها في معارضة الصحف والتضييق عليها بالقوانين الصارمة والضرائب الفادحة حتى اصبح العدد الواحد من الجريدة يكلف صاحبها نحو غرشين ونصف كما رأيت ولكنه لم يكن يخاف تعطيل جريدته لانه كان يبيع العدد الواحد منها بثمانية بنسات او اكثر والناس في اضطرار للمطالعة للاسباب التي

قدمناها والشعب يمدها بسلاحه ونصيره • فاتحدا يداً واحدة على الحكومة حتى فازا اخيراً بحرية المطبوعات

اما الصحافة الشرقية فقد وضعت في الاصل لخدمة اغراض الحكومة او موظفيها والاهالي في غفلة عن معنى الصحافة او الغرض منها الا طائفة من الخاصة . واما جمهور الشعب وخصوصاً في مصر فكان مستغرقاً في زراعته لا تهمه الصحف ولا اصحابها فكان ارباب الصحف يستعينون على نشر جرائدهم بنفوذ الحكومة فضلاً عما كانت تبذله لهم في سبيل اصدارها ولا سيما في عصر اسماعيل فانه لم يدخر وسعاً في تنشيط الصحف ومساعدة اصحابها بالمال وكانت حكومته تشترك بمئات النسخ من الجرائد ولا تمنع مستخدميها من مساعدتها في تحصيل بدلات الاشتراك وكان بعض الوزراء يصحب وكلاء الجرائد بكتب التوصية للمديرين بامرهم بمساعدة تلك الجرائد في النشر وتحصيل اموالها . فكان الرجل من العمد او الفلاحين يشترك بالجريدة وهو لا يعرف القراءة وقد تاتيه اعدادها فلا يفتحها و يدفع بدل الاشتراك كانه ضريبة من جملة الضرائب التي لا مفرّ منها . وكان بعض مأموري الحكومة يستعملون في تحصيل بدل الاشتراك العنف كالجلد او الحبس مع علمهم ان الرجل لم يطلب الاشتراك ولا هو يحسن القراءة . وقد آلت هذه الطريقة طبعاً الى تعود الناس قراءة الصحف وان لم يكن هذا هو الغرض المقصود منها — ظل ذلك شان الصحافة بمصر الى اوائل الاحتلال ثم أخذت طريقاً آخر فصدرت الاوامر المشددة بمنع مستخدمي الحكومة من التوسط بامرها من حيث بدل الاشتراك او المكاتبات ونحوها

وقد مرّ على الصحافة الشرقية الى الآن ثلاثة ادوار الاول « دور الحضانة » كانت فيه الجرائد آلة في ايدي الحكام تسبّح باسمهم وتترنم باعمالهم واذا بحثت في السياسة فاكثر ابحاثها عن الدول البعيدة كما تفعل اكثر صحف سوريا اليوم . والدور الثاني « دور التمخض » يبدأ بنهضة الشعب المصري منذ ولاية المرحوم توفيق باشا وكان الناس في عهد ابيه اسماعيل تحت الضغط لان سياسته كانت تقضي بابعاد الوطنيين وتقريب الاجانب ولم تكن الجرائد تصرح بهذا الغرض اما تزلفاً الى اسماعيل او خوفاً على حياتها من عصاه . ولا يزال القوم يذكرون ما أصاب صاحب الاهرام رحمه الله لما نشر خبر مبلغ أنفق ولم يعرف سبب انفاقه فطلب اسماعيل احضاره باسرع من البرق ولو لم تنصره دولة أجنبية لقضي عليه

على ان الصحف كانت في اواخر ايام اسماعيل قد اخذت تستنشق روح الحرية مما كان

ينشر في بعض الجرائد الافرنجية التي تصدر بمصر وكانت تقلدها في حرية القلم الا ما يمس اسماعيل او سلطته . فكان الكتاب الوطنيون يرون اقلامهم مقيدة بهيبة ذلك الرجل الغضوب الفتاك فيكظمون

وكان ابنه توفيق رحمه الله محباً لمصر وفيه سهولة ودماثة وكان يشكون من شدة والده واسرافه والوطنيون يتوسمون نفعاً كبيراً بانتقال الخديوية اليه . فلما قبض على ازمتها سنة ١٨٧٩ لم يدخر وسعاً في مراعاة جانب الوطنيين وتقديمهم — ولعله بالغ باطلاق الحرية لهم وهم لم يتعودوها فانقلب الغرض المقصود منها الى ما لا يخفى على احد

اما الصحافة فظهرت فيها آثار الحرية اكثر مما ظهرت في غيرها فاطلقت لنفسها العنان في الانتقاد وطلب الاصلاح ولم يكن بمصر الى ذلك الحين جرائد تنتمي الى الاحزاب فلما قام العرابيون أنشأوا عدة جرائد للدفاع عن سياستهم اشهرها جريدة التنكيت التي سماها عرابي « لسان الأمة » وجريدة « الحجاز » و « الزمان » و « الطائف » وغيرها وظلت بعض الجرائد في جانب الحكومة فاضطرت هذه لايقاف ذلك التيار الى تقييد الاقوال فسنت قانوناً للمطبوعات سنة ١٨٨١ يقضي أنه لا يجوز لاحد انشاء مطبعة او جريدة الا باذن الحكومة بعد دفع تأمين مالي معين ولا يجوز للمطابع نشر كتاب ما لم تنل الاذن بطبعه من قلم المطبوعات والا وقع عليها العقاب وقس على ذلك . فلم يكن هذا التقييد الا ليزيد الخرق اتساعاً وانتهى الحال بالثورة العرابية ثم الاحتلال الانكليزي

ودخلت الصحافة المصرية بعد الاحتلال في دور ثالث نسميه « دور الولادة » لان الصحف تدرجت فيه الى ما يشبه الصحافة الافرنجية من حيث اعتمادها على نفسها في جلب الاخبار ونشرها وتدبير المشتركين وتحصيل البدل بعد ان كفت الحكومة عن التوسط بذلك وحصرت اشتراكها بنسخ قليلة من كل جريدة واهمل قانون المطبوعات عمداً وأطلقت حرية الاقلام فتعددت الصحف وانقسمت الى احزاب بعضها يمتدح الاحتلال ويطلب بقاءه والبعض الآخر يقبحه ويطلب الجلاء وهؤلاء فئتان فئة تطلب الجلاء بشدة وعنف وفئة تطلبه بالحسنى . وكل فئة من هذه الجرائد لا تنوب عن حزب معين له اعضاء معينون مثل الاحزاب في أوربا اذ ليس في مصر احزاب سياسية معينة ولكنها تعبر عن احساس طائفة من الناس يوافقون صاحب الجريدة على رأيه

فالجرائد عندنا هي التي تضع لآراء وتصور لها الاحزاب والعادة في العالم المتمدن ان الاحزاب هي تنشيء الصحف وتحارب بها وتدافع عنها بالاموال والارواح — لاتبالي

بتهديد الحكومة الا ضمن حدود القانون. ولا نظن جرائدنا مهما يبلغ من شدتها اذا آنست من الحكومة عيناً حمراء تستطيع الصبر على مقاومتها اذ ليس في قوانين مصر نص عن حرية المطبوعات ولا يقوم الشعب لنصرتها

فالصحافة اتت مصر ناضجة تامة النمو وأتتها حرية المطبوعات عفواً لم تسفك في سبيلها دماً ولا انفقت عليها درهماً . فعسى ان تحسن استخدام هذه الهبة لئلا تذهب من يدها . ولا يحسن بنا التمثل بدول أوربا في كل شيء لان احوالنا غير احوالهم . وتلك الدول اعطت رعاياها حرية المطبوعات مضطرة بعد جدال وحرب انتهت بتغلب الشعب فاذعنت الحكومة وكتبت لهم بذلك عهوداً دونتها في قوانينها وشرائعها ولا يسهل الغاء شيء منها الا بعد مصادقة مجالس الامة واما مصر فقد نالت تلك الحرية بارادة شخص اللورد كرومر فهي حرة عرفاً لا قانوناً . وقانون المطبوعات المتقدم ذكره لا يزال قابلاً للتنفيذ واذا ارادت الحكومة تنفيذه فمن يمنعها ؟ واذا صاحت الجرائد وشكت فمن ينصرها ؟

علموهم وكفى

ان كل الصيد في جوف الفرا

في مصر اليوم ضوضاء صحافية ناشئة عن نهضة في النفوس غايتها رفع مصر الى مصاف الامم الدستورية والدول المستقلة . فبعضها تطلب جلاء الانكليز والبعض الآخر يطلب تشكيل مجلس نواب وآخرون يطلبون تقديم الوطنيين في المناصب الكبرى وبعضهم يطلب توسيع دائرة التعليم وجعل اللغة العربية قاعدة التدريس في المدارس المصرية . واختلفوا في الاستقلال وطرق طلبه بين ان يكون بالعنف او بالحسنى عاجلاً او آجلاً وقد كتبوا في كل من هذه المطالب مقالات ضافية وتباحثوا وتجادلوا وتخاصموا — ولو احسنوا لجمعوا كل قواهم في طلب واحد يغنيهم عن سائرها لانه أساسها كلها وبدونه لا يتيسر الوصول اليها نعني « التعليم »

فسواء اردنا تشكيل مجلس نواب مع بقاء الاحتلال او بدونه او اردنا التقدم في المناصب الكبرى وسواء طلبنا الاستقلال التام بالعنف او التؤدة وسواء اردنا ان نفعل هذا او ذاك بارادة المحتلين او بغير ارادتهم لا يفيدنا التقدم في هذا السبيل خطوة واحدة الا بعد بث التعليم الكافي الذي يؤهل الامة لتولي امثال هذه الشؤون

لا ننكر رغبة المصريين في تعليم ابنائهم ولكننا نشكو من قلة المدارس الوافية بالغرض المقصود ٠ان الكتاتيب لا بأس بها وهي أساس التعليم ولكن الهمم انصرفت اليها دون سواها ونحن أحوج الى مدارس عالية تهذب النفوس وترقي العقول وتعلمنا ما لنا وما علينا مما الى مدارس تلقن الصرف والنحو والحساب والرسم ٠ اليس من العبث ان نطالب الحكم الدستوري او ننادي بالاستقلال الاداري او نلتمس النجاة من سيطرة الانكليز ونحن الى الآن عالة على مدارس الحكومة ليس عندنا مدرسة كلية واحدة ؟ الا يخجلنا ان تقدر ثروتنا باربعمائة مليون جنيه وان يزيد احصاؤنا على اثني عشر مليون نفس وليس عندنا مدرسة كلية انشأناها باموالنا ولا الحكومة انشأتها لنا ؟ نهضنا في العام الماضي لانشاء مدرسة كلية فملأنا الفضاء صياحاً والفنا لها اللجان وحرضنا الاغنياء وافتتحنا الاكتتابات واستخدمنا في جمعها جماعة من خيرة فضلائنا ونخبة محبي الاصلاح بيننا ولكننا لم نخط بها حتى الآن خطوة تستحق الذكر ولم يتجاوز ما جمع من المال بضعة وعشرين الف جنيه اشترك في دفعها بعض اغنياء القطر ٠ ورأس مال هذه المدرسة لا يعجز عن تقديمه كله رجل واحد من الاغنياء اذا هزته الاريحية وأخذته الغيرة الوطنية كما يفعل اغنياء العالم المتمدن الذين نحداهم في طلب الدستور او الاستقلال فيغنينا باريحيته عن جمع ذلك المال بالقرش والجنيه من تلامذة المدارس وصغار المستخدمين

ايليق بنا ان نطلب النيابة او الاستقلال وهذه حالنا من الجهل ؟ لم نقرأ في التاريخ عن أمة نالت شيئاً من ذلك وهي في هذه الحالة سواء ارادت نيله بالسيف او بالقلم فانها لا تجد سبيلاً اليه وهب انها نالته وقبضت عليه بيدها فانها لا تحسن الاحتفاظ به ولا تلبث ان تضيعه وتكون حالها الثانية شراً من الأولى

كم من مرة حاول الهنود التملص من نير الانكليز وكم صاح خطباؤهم ونادت جرائدهم « الاستقلال الاستقلال » وكم استحثوا الامم واستنهضوا الهمم وكم ثارت شعوبهم فقاوموا الحكام وحاربوا الجنود فهل فازوا بما املوا كلا ٠ ولماذا ؟ لان عامتهم لم يتعلموا وبعبارة اخرى لم ترتق عقولهم وتتهذب نفوسهم الى درجة يدركون بها معنى اجتماع الكلمة فان بالعلم ينفى التعصب وبالعلم تجتمع الكلمة وتتحد القلوب وبالعلم تدرك الامة غايتها القصوى ٠ ولا يكفي تعليم الخاصة فان ذلك حاصل في اكثر الامم وانما الغرض تعليم العامة وتثقيفهم وتدريبهم لان جمهور الامة منهم ٠ ولا تفلح امة في مشروع وعامتها من الجهلاء

كم الحّ العثمانيون وكم كتب كتّابهم وخطب خطباؤهم يطلبون تأليف مجلس المبعوثان

(البرلمان العثماني) تشبهاً بدول اوربا فلما تألف لم يعش الاَّ قليلاً . ما الذي اماته ؟ اماته الجهل لانقول ذلك طعناً في معارف اعضائه معاذ الله فانهم خلاصة رجال المملكة العثمانية بلا خلاف ولكننا نقول ان البرلمان العثماني يحتاج الى اعضاء اسمى عقولاً وارقى آداباً واوثق اتحاداً من اعضاء البرلمان الفرنساوي او الانكليزي لان في سبيله عقبات ليست في سبل اولئك . يكفيك من آفات المملكة العثمانية اختلاف عناصرها ولغاتها ومذاهبها وسيادة التعصب فيها والتعصب ابو الانشقاق والانشقاق ينبوع الخراب فاذا احتاج اعضاء البرلمان الفرنساوي في اجتماع كلمتهم الى جزء من العلم كان اعضاء البرلمان العثماني في حاجة الى عشرة اجزاء فكيف ونحن لم نبلغ مبلغ اولئك بعد

لما انحلَّ مجلس المبعوثان قامت الامة العثمانية تلتمس اعادته وقد الحت في طلبه بعنف وشدة والّفت لذلك الجمعيات السرية وغيرها ولكنها تطلب عبثاً وترجو باطلاً . وهب ان الدولة اعادت ذلك المجلس الآن فانه منحلٌّ غداً لان الامة لم تبلغ درجة من العلم توهلها لمثل هذا العمل العظيم ولن تبلغه الاَّ بانتشار العلم بين افرادها على اختلاف طبقاتهم ولا نشترط عليهم نبذ التعصب فان العلم الصحيح يتكفل بذلك

ولا يغرنك نيل الفرس بعض هذه المطالب وهم لايفضلوننا بالرقي الأدبي ولا المادي فانهم نالوا الدستور بسعي جماعة من الخاصة لا بصوت الامة ولذلك يعسر عليهم الاحتفاظ به لانهُ جاءهم قبل اوانه فاذا تغيرت الاحوال او تبدلت الاشخاص عادت الامور الى ما كانت عليه

فمن الحكمة وسداد الرأي ان نسير على مقتضى ناموس الاجتماع فنصرف همنا الى ترقية الامة وتهذيب نفوسها وتدريبها على الاعمال ونترك سائر المطالب لابنائنا او احفادنا اذ يكونون ارقى عقولاً واوسع علماً من اهل هذا الجيل واقدر على فهم ما ينفعهم او يضرهم فينظرون في حالتهم فاذا رأوا الاستقلال انفع لهم طلبوه او رأوا الدستور ملائماً لأحوالهم التمسوه فيفعلون ذلك عن روية ونظر ويكون حكمهم اقرب الى الصواب

هذه أمة الاميركان رضخت تحت نير الانكليز الى اواخر القرن الثامن عشر وقاست من استبدادهم وظلمهم يومئذ ما يشيب لهوله الولدان كما فصلناه في صدر هذا الهلال . فصبروا وكظموا حتى تعلموا وتثقفوا ونظموا الحكومة والجيش ونشأ منهم العلماء ورجال السياسة والقواد وهم يحاسنون الانكليز ويستعطفونهم . فلما خاب نداؤهم ورأوا الاستقلال ضرورياً لبقائهم ووجدوا في انفسهم الكفاءة لنيله قاموا قومة رجل واحد وظفروا بما ارادوا . وقد

كان العلم اساس استعدادهم لانهم بعثوا ابناءهم لتلقيه اولاً في كليات اوربا ثم انشأوا كليات مثلها في بلادهم يخرج منها الشبان وقد تعلموا الاعتماد على النفس وادركوا معنى الوطن ومعني الحرية . ولما نهضوا للاستقلال كان عندهم ست مدارس كلية كبرى وعددهم يومئذ مليون نفس و بعض المليون فكيف نتشبه بهم ونحن نزيد على اثني عشر مليوناً أي نحو عشرة أضعافهم وليس عندنا مدرسة كلية واحدة ؟ ويظهر اننا مع ثروتنا وكثرتنا لانستطيع القيام بكلية واحدة !

ناهيك بما اعده الاميركان لاستقلالهم من الثروة الصناعية بانشاء المعامل والمناجم فضلاً عن الثروة التجارية التي يحسدهم الانكليز عليها — كل ذلك من ثمار التعليم العالي والتربية الصحيحة على الحرية الشخصية والشجاعة الادبية وعلو الهمة واجتماع الكلمة . فاين هذا كله منا وكيف ندركه بغير التعليم — فعلينا ان نطلب اولاً الاستقلال الادبي وبه نصل الى الاستقلال السياسي ونحن احوج الى ذلك الاستقلال منا الى هذا

اننا في حاجة الى التدرب على الاستقلال في الفكر والاستقلال في العمل حتى لا نبقى عالة على الحكومة لا نعلّم اولادنا الاّ في مدارسها ولا نرشح شباننا الاّ لخدمتها فاذا أغلقت الحكومة أبواب تلك المدارس بات ابناؤها بلا تعليم واذا أوصدت أبواب الخدمة دونهم تعرقلت مساعيهم و باتوا يشكون الفاقة

على ان الاستقلال الحقيقي الاساسي هو استقلال الامة بمصالحها وطرق معائشها في التجارة والزراعة والصناعة فتجتمع الثروة في ايديها والثروة دم المجتمع الانساني لاتحيا الامة بدونه فبدلاً من ان تتعلق معائش الامة على اهواء الحكومة تصبح الحكومة في حاجة الى ثروة الامة او الى رأيها

فنستلفت انتباه ارباب الصحف الذين جعلوا اقلامهم وقفاً على طلب الاصلاح والمناداة بخدمة المصلحة العامة ان يتكاتفوا على التماس الاصلاح من ابوابه . فبدلاً من ان يصرفوا ذكاءهم و ينفقوا قواهم في كتابة ما يثير خواطر الامة على حكومتها او يأول الى سوء الظن بمشيريها ان يحرضوها على التعليم والتهذيب و يستدروا اموال الاغنياء لانشاء المدارس العاليـة والخروج من طبقة القاصرين الذين لا يزالون عالة على سواهم لا يؤذن لهم ان يتعاطوا شؤونهم بانفسهم . ويستنهضوا هممهم للسعي في تثقيف ابنائهم وتدريبهم على الاعمال المستقلة الآيلة الى الثروة الحقيقية فاذا فعلوا ذلك قاموا بما يطلب منهم وتركوا ما وراءه الى من يأتي بعدهم ولا يكلف الله نفساً الاّ وسعها

احوال الدول المعاصرة

١ – الدولة العثمانية

١ ب سلطانها وعائلته

هو السلطان عبد الحميد الثاني ابن السلطان عبد المجيد ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ (١٥ شعبان سنة ١٢٤٥ هـ) وتولى عرش السلطنة في ٣١ اوغطس سنة ١٨٧٦ وهو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين آل عثمان من عهد تأسيس هذه الدولة والثاني والعشرون من سلاطينها بعد فتح القسطنطينية · والقاعدة في ارث عرش السلطنة العثمانية ان يليها ارشد الذكور اي اكبرهم سناً من الاخوة او الابناء · وللاسرة المالكة عقارات كثيرة تضاف الى ما يستولون عليه من الرواتب



جلالة السلطان عبد الحميد الثاني

وجلالته ربع القامة رقيق العضل جليل الطلعة اسمر اللون عالي الجبهة كبير العينين حادهما اعقف الانف قليلاً يخضب لحيته خضاباً تشوبه حمرة وفي محياه عبوسة تشير الى ما يحمل نفسه من المهام الكبرى · ليس لجلالته رسم فوتوغرافي منقول عنه رأساً والرسوم

المتداولة منقولة عن رجل كثير الشبه به ينوب عن جلالته في موقف التصوير باذن منه والصورة المنشورة هنا اقرب الصور شبهاً به

وهو قوي الارادة رابط الجأش يتسلط على عواطفه ويملك غضبه الى الدرجة القصوى . عفيف في طعامه وشرابه ياكل ابسط الاطعمة ولا يكثر من الوانها . ينهض من الفراش في الساعة الخامسة من الصباح وبعد الصلاة والوضوء يتناول القهوة ويدخن السيكاره ثم ياخذ بالعمل ولا يزال عاملاً الى الظهر ويرتاح بعد الطعام ساعة او غير ساعة ويخرج احياناً للنزهة على الجواد او في القارب . ويقضي بعض ساعات الفراغ بمطالعة الكتب واكثر مطالعاته في مؤلفات ما كيافلي الكاتب الايطالي ويفضل من المواضيع استطلاع الاسرار كقصص البوليس السري ونحوها وقصص الحروب والروايات المحزنة وفي قصره مكتبة فيها خيرة المؤلفات العصرية وغيرها مما كتبه الافرنج فضلاً عن المؤلفات العربية . وله المام بالنجارة ويحسن الرسم ويلهو بصناعة النجارة في معمل أقيم داخل القصر وكثيراً ما اصطنع بيده تحفاً قدمها لبعض اصدقائه من ملوك أوربا وبينها مصنوعات من اختراعه تدل على براعة وذكاء . وله المام بالكيمياء ويحب التجارب الكيماوية وله معمل خاص بذلك كثيراً ما حلل فيه طعامه وشرابه . وقد مضى على جلالته اعوام كثيرة وهو طبيب نفسه الا في الاحوال الهامة . يتناول عشاءه عند الغروب طعاماً بسيطاً وكثيراً ما يقضي ليله ساهراً في مراجعة الاوراق وتحقيق بعض المسائل . وهو يكره العتمة فلا يزال القصر مضيئاً طول الليل . اولاده عشرة خمسة ذكور وخمس اناث وهذه اسماء الذكور حسب سني ولادتهم وهم :

(١) محمد سليم افندي ولد في ١١ يناير سنة ١٨٧٠

(٢) عبد القادر افندي ولد في ٢٣ فبراير سنة ١٧٨٨

(٣) محمد برهان الدين افندي ولد في ١٩ دسمبر سنة ١٨٨٥

(٤) عبد الرحيم أفندي ولد سنة ١٨٩٢

(٥) محمد بدر افندي ولد سنة ١٨٩٥

واما الاناث فهن :

(١) زكية سلطانة ولدت في ١٢ يناير سنة ١٨٧١ وتزوجها نور الدين باشا في ٢٠ ابريل سنة ١٨٨٩

(٢) نعيمة سلطانة ولدت في ٥ أوغسطس سنة ١٨٧٦ وتزوجها محمد كمال الدين

باشا في ١٧ مارس سنة ١٨٩٨

(٣) رقيعة سلطانة ولدت سنة ١٨٨٤

(٤) عائشة سلطانة سنة ١٨٨٧

(٥) شادية سلطانة ولدت سنة ١٨٨٦

واخوته خمسة وهم :

(١) محمد مراد افندي ولد في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٠ وتولى عرش السلطنة عند خلع عمه السلطان عبد العزيز في ٣٠ مايو سنة ١٨٧٦ ثم أصيب بضعف عصبي اوجب خلعه وتولية جلالة السلطان الحالي عبد الحميد الثاني في ٣١ أوغسطس من تلك السنة

(٢) محمد رشاد افندي ولد في ٣ نوفبر سنة ١٨٤٤

(٣) كمال الدين افندي ولد في ٣ دسمبر سنة ١٨٤٧

(٤) سليمان افندي ولد سنة ١٨٦٠

(٥) وحيد الدين افندي ولد في ١٢ يناير سنة ١٨٦١

واخواته ثلاث هن :

(١) جميلة سلطانة ولدت في ١٨ اغسطس سنة ١٨٤٣ وتزوجت محمود جمال الدين



جواد جلالته امام باب القصر

باشا بن احمد فتحي باشا في يونيو سنة ١٨٥٨ وترملت سنة ١٨٩٢

(٢) سنيه سلطانه ولدت ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥١ وهي ارملة محمود باشا ابن خليل باشا

(٣) مديحة سلطانة ولدت سنة ١٨٥٧ وتزوجها نجيب باشا سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٨٨٥ فتزوجها فريد باشا سنة ١٨٨٦

٢ — حكومتها

الحكومة العثمانية اساسها الشريعة الاسلامية وجلالة السلطان مطلق الارادة في احكامه بشرط ان لا يخالف القرآن والسنة على مذهب ابي حنيفة · ومن اسس الشرائع المدنية والسياسية كتاب «قانون نامه» للسلطان سليمان الكبير وهو مجموع من الاوامر والارادات التي صدرت على ايامه وايام اسلافه · ويعين جلالة السلطان في احكامه رجلان كبيران هما الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وهو يوليهما ويعزلهما ويشترك في اختيار الثاني جماعة العلماء وقد دخل القوانين العثمانية كثير من مقتضيات التمدن الحديث كالخط الهمايوني الذي اصدره السلطان عبد المجيد في ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ عن اطلاق حرية الاديان والمساواة بين اصناف الرعايا ومثله الخط الشريف الذي اصدره جلالة السلطان الحالي سنة ١٨٧٦ والصدر الاعظم ينوب عن جلالة السلطان وحكومته في «المجلس الخاص» وهو يتألف من الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ووزراء العدلية والعسكرية والبحرية والخارجية والنافعة (الاشغال العمومية) والداخلية والمالية والاجراآت الخيرية والمعارف العمومية · وتقسم المملكة العثمانية الى ولايات ومتصرفيات تحتها سناجق واقضية ونواح وقرى والولايات درجات بين ممتازة وغير ممتازة

٣ — احصاؤها

مساحة المملكة العثمانية بما فيها الولايات الممتازة ١,٦٦٢,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس تقسم على هذه الصورة — اولاً الولايات الممتازة :

اسم الولاية	مساحتها	عدد سكانها
اسيا الصغرى (الاناضول)	١٩٣,٥٤٠	٩,٠٨٩,٢٠٠
الروملي	٦٥,٣٥٠	٦,١٣٠,٢٠٠
ارمينيا وكردستان	٧١,٣٩٠	٢,٤٧٠,٩٠٠
بين النهرين	١٤٣,٢٥٠	١,٣٩٨,٢٠٠
سوريا	١١٤,٤٣٠	٢,٨٩٠,٤٠٠
طرابلس الغرب وبنغازي	٣٩٨,٩٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠

ثانياً الولايات الممتازة

مصر	٤٠٠,٠٠٠	١٢,٠٠٠,٠٠٠
بلغاريا وتوابعها	٣٧,٢٠٠	٣,٧٤٤,٣٠٠
بوسنا والهرسك	١٩,٨٠٠	١,٥٩١,١٠٠
كريت	٣,٣٣٠	٣١٠,٤٠٠
قبرص	٣,٧١٠	٢٣٧,٠٠٠
ساموس	١٨٠	٥٤,٨٤٠

وفي المملكة العثمانية ٢,١٢٠ مسجداً منها ٣٧٩ في الاستانة وحدها وعدد المشائخ للمساجد المذكورة ١١,٦٠٠ شيخ ويتبع هذه المساجد ١,٧٨٠ مدرسة ابتدائية (كتاتيب) تعلم مجاناً وتنفق عليها الاوقاف سنويا نحو ١٥,٠٠٠ جنيه

٤ — ماليتها

للدولة العثمانية ابواب للايراد وابواب للانفاق تراها مدونة في ما يلي نقلاً عن ميزانية الحكومة لسنة ١٨٩٨ والمبالغ بالجنيه العثماني

مصادر الايراد	جنيه عثماني	ابواب النفقة	جنيه عثماني
العشور	٤,١٠٠,٠٠٠	المابين	٨٨٢,٥٥٠
الويركو (الخراج)	٢,٥١١,٩٢٤	للدين العمومي	٦,٤٥٩,٣٠٦
التمغة	٥٠٠,٠٠٠	التاسيسات الخيرية	٧٤٩,٤٨٤
البدل العسكري	٨٨٦,٣١٠	العسكرية	٤,٤٨٩,٦٩٨
ضرائب الاغنام	١,٩٣٧,٨٤٩	الجندرمة	١,٠١٣,٩٤٤
ايرادات اخرى	٣٢١,٢٧٣	البحرية	٥٤٦,٣٠٩
عوائد الجمارك	٢,٠٠٠,٠٠٠	الطوبجية	٤٦٢,١٧٧
« التبغ والملح والمشروبات الخ	٢,٥٧١,١٤٦	الصدارة العظمى والداخلية	٩٨٩,٣٢٢
الايرادات العسكرية	٥٣٢,٧٩٣	المالية	٦٦٨,٠١١
« الملكية	١,٩٦٢,٠٣٦	العدلية	٤٦١,٤٤١
من الرجي	٥١,٧٧٥	سائر المصالح	١,٧٠٧,٢٦٩
اموال الجزية	١,١٣٦,٣١٦		
(جملة الايراد)	١٨,٥١١,٣٢٢	(جملة النفقات)	١٨,٤٢٩,٤١١

٥ — جنديتها

كل مسلم تجاوز العشرين من عمره حق للحكومة تجنيده ويقضي في الجندية عشرين سنة . واما المسيحيون من رعاياها فيعوضون عن التجنيد بضريبة العسكرية معدلها ثلاثون غرشاً عن كل ذكر في السنة . والبدو من العرب والاكراد لا يجندون . ويتالف الجند العثماني من ثلاث درجات (١) الجند النظامي وهو القائم تحت السلاح او تحت الطلب ومدة الخدمة في هذه الدرجة ست سنين (٢) الرديف ومدته ثماني سنين (٣) المستحفظون ومدتهم ست سنوات . ويقسم الجند الى سبعة فيالق والفيلق عبارة عن جند قائم بنفسه بقواده وضباطه واركان حربه وعساكره ويقال له ايضاً عرضي او (اوردو) ولكل فيلق مقرٌّ في بعض اقسام المملكة على هذه الصورة :

الفيلق الاول	في الاستانة	الفيلق الخامس	في دمشق
« الثاني	« ادرنة	« السادس	« بغداد
« الثالث	« موناستير	« السابع	« صنعاء اليمن
« الرابع	« ارزنجان		

ويقسم الفيلق من المشاة الى طوابير وفرق وبلوكات . والجنود العثمانية من كل درجات الجندية بلغ عددهم سنة ١٩٠٣ نحو ١٫٠٠٠٫٠٠٤ واما القائمون تحت السلاح فهم :

نوع الجندية	عددهم
المشاة	٥٨٣,٢٠٠٠
الخيالة	٥٥,٣٠٠٠
الطوبجية	٥٤,٧٢٠
المهندسون	٧,٤٠٠
الجملة	١٢٠, ٧٠

واما قوتها البحرية فتقدَّر بنحو ثلاثين الف بين بحرية وجنود وضباط وغيرهم والحكومة تهتم بتنظيم الاسطول العثماني باصطناع دوارع جديدة حتى يضارع اساطيل الدول الكبرى

اللغة العربية في اميركا

﴿القاهرة﴾ حسن افندي محمد بالداخلية

اطلعت في مقالتكم النفيسة عن المدارس الاميرية المصرية واللغة العربية في الهلال السابع من السنة الماضية على فقرة ينتم فيها اشتراك اخواننا السوريين المسيحيين في نشر اللغة العربية بالعالم الجديد . فهل تعنون انهم يتكلمونها هناك وتعدون ذلك نشراً ام كيف ؟ نرجو ان تزيدونا ايضاحاً في هذا الشأن

﴿الهلال﴾ في اميركا الشمالية والجنوبية نحو ٢٠٠،٠٠٠ نفس من السوريين هاجروا اليها في اواخر القرن الماضي فهؤلاء كلهم يتكلمون اللغة العربية . وليس هذا المراد بنشرها وانما اردنا انهم مع اختلاطهم باهل البلاد التي نزلوها في الولايات المتحدة او المكسيك او البرازيل او الارجنتين او غيرها من ممالك تلك القارة قد حافظوا على لغتهم العربية واشتغلوا باحياء ادابها بما انشأُوه من الصحف او الفوه من الكتب او نظموه من الشعر او شكلوه من الجمعيات

اما الصحف فاقدم الصحف العربية باميركا « كوكب اميركا » صدرت في نيويورك سنة ١٨٩١ وهي الان في السنة السادسة عشرة ثم صدرت جريدة الفيحاء في كامبيناس من ولاية سان باولو بالبرازيل سنة ١٨٩٥ للمرحوم سليم بالش ثم انشأ المذكور جريدة البرازيل في السنة التالية . وتكاثر صدور الجرائد العربية في العالم الجديد من ذلك الحين حتى بلغ عدد ما صدر منها الى الآن نحو اربعين صحيفة متفرقة في الولايات المتحدة والمكسيك والبرازيل والأرجنتين — وهذه اسماء تلك الجرائد واماكنها واسماء مؤسسيها وسنة صدورها . والنجمة بجانب اسم الجريدة تشير الى انها لا تزال تصدر الى اليوم :

في الولايات المتحدة

اسم الجريدة	اسم مؤسسها	سنة تأسيسها	محل صدورها
كوكب اميركا *	نجيب عربيلي	١٨٩١	نيويورك
الايام	يوسف معلوف	١٨٩٧	« «
الهدى*	نعوم مكرزل	١٨٩٨	« «
العالم	جرجي جبور	١٨٩٩	« «
الاصلاح	شبل دموس	١٨٩٩	« «

مرآة الغرب *	نجيب دياب	١٨٩٩	« «
الوطنية	نعوم مكرزل	١٩٠٠	فيلادلفيا
الدائرة	عيسى معلوف	« «	نيويورك
الصخرة	جبرائيل قرقاز	١٩٠١	«
جراب الكردي	انطون زريق	١٩٠٢	«
الاقبال	صليبا وغصن	١٩٠٣	لورنس ماس
المهاجر *	امين غريب	١٩٠٣	نيويورك
المحيط *	منصور حنا حداد	١٩٠٤	« «
الجهاد	مارون خليل خوري	١٩٠٤	« «
الدمام	يوسف محفوظ	١٩٠٤	« «
الدليل *	اسعد الملكي	١٩٠٤	« «
الكلمة *	الاسقف دواويني	١٩٠٤	« «
المعرض	سليم شاهين	١٩٠٤	سانت لويس
المنبر *	عبد مخايل ذيبة	١٩٠٥	نيويورك
الوفاء *	يوسف مراد الخوري	١٩٠٦	لورنس ماس
الجامعة *	فرح انطون انتقلت من مصر ١٩٠٧		نيويورك

في البرازيل

الفيحاء ثم البرازيل	سليم بالش	١٨٩٥	كامبيناس سانباولو
الرقيب	نعوم لبكي	١٨٩٧	ريوجنايرو
الاصمعي	خليل ملوك	١٨٩٧	سانباولو
المناظر *	نعوم لبكي	١٨٩٩	« «
الصواب *	الخوري ومراد	١٩٠٠	ريوجنايرو
المنارة *	الجمعية المارونية	١٩٠١	سانباولو
العدل *	شكري انطون	١٩٠١	ريوجنايرو
الرموز *	رشيد خوري	١٩٠٢	سانباولو[1]

(١) ثم نقلت الى الارجنتين سنة ١٩٠٥

الافكار *	الدكتور ابو جرة	١٩٠٣	سانباولو
الشبيبة السورية	جمعية الشبان السوريين	١٩٠٣	ريوجنايرو
ابو الهول *	شكري خوري	١٩٠٦	سانباولو

في الارجنتين والمكسيك

الصبح	خليل شاول	١٨٩٩	بونس ايرس
صدى الجنوب	الخوري يوحنا	«	« «
الصدق *	ابراهيم وهبه خزامه	«	« «
السلام *	شمعون ونحاس	١٩٠٢	« «
الزمان *	مخائيل السمرا	١٩٠٥	« «
الحقائق *	ملحم فارس بوعلي	١٩٠٦	« «
الشرق *	البشلاني	١٩٠٦	المكسيك

وربما فاتنا ذكر جريدة او غير جريدة سهواً فاينبهنا العارفون . ناهيك بما أنشأوه من الجرائد في ممالك اوربا كالانباء والاتحاد وكشف النقاب والصدى والحقوق والبرجيس والشهرة والمرصاد في فرنسا . ومرآة الاحوال والخلافة في لندن وغيرها في اماكن أخرى واكثرها تعطل الآن

وكل هذه الجرائد تكتب بالعربية وكتابها ينادون باحياء اللغة العربية وترقية آدابها ولهم المقالات العديدة في هذا الموضوع . ونراهم في بعض الاحوال يفوقوننا غيرة على آداب اللغة وأدبائها وكثيراً ما انتقدوا تقصيرنا للسكوت عن ترجمة بعض النوابغ الذين يموتون بيننا او لاختصارنا في ذكر مآثرهم . اما المؤلفات فقد ألف اخواننا في اميركا عدة كتب أدبية ذكرناها في الهلال باوقاتها نحدوا فيها النسق الافرنجي في التأليف والتعبير

واما الشعر ففيهم غير واحد من خيرة الشعراء وقد تولد عندهم أسلوب جديد من النظم السهل لا نعرف له مثيلاً في العربية سميناه « الشعر الرستمي » نسبته الى اسعد افندي رستم اشهر من نظم منهُ . ويمتاز الشعر الرستمي بسهولته وبساطة عبارته وقربه من لغة العامة مع المحافظة على قواعد اللغة وادخال بعض المصطلحات العامية مما لا يؤدى باللغة الفصحى

واما الجمعيات فقد شكل منها اخواننا السوريون بأميركا اكثر من ثلاثين جمعية أدبية او خيرية او دينية او تهذيبية لا يزال نحو عشرين منها حية الى الآن اكثرها في البرازيل • وبعضها اشدُّ غيرة على اللغة وآدابها من اهل هذا اللسان بمصر • فان في سانباولو بالبرازيل جمعية ادبية اسمها « رواق المعري » غرضها رفع شأن اللغة العربية واحياء ذكر رجالها فاذا ظهر كتاب او اثر علمي قدرته قدرهُ وقررت منزلته تقريظاً وانتقاداً ونشرت خلاصة ذلك في جريدة المناظر • واذا مات رجل علمٍ اعترفت بفضله واحتفلت بتأبينه وذكر آثاره ورفع الستار عن رسمه كما فعلت بالمرحومين الشيخ محمد عبده والشيخ ابراهيم اليازجي • ولا نعرف مثل هذه الجمعية في مصر ولا الشام

ونبغ من الجالية السورية باميركا فضلاً عن اصحاب الجرائد ومحرريها الذين ذكرناهم جماعةٌ من المنشئين والشعراء والخطباء نقرأ نفثات اقلامهم على صفحات تلك الجرائد نذكر من تحضرنا اسماؤهم على الترتيب الابجدي بدون القاب — ففي الولايات المتحدة اسعد رستم واسعد ملحم والياس فرزان وامين ريحاني ورزق حداد وسلوم مكرزل وشبل دموس وعفيفة كرم وملحم خليل عبده وهيكل خوري ويوحنا العلم ويوسف زخم • وفي البرازيل اسطفان غليون ورفول سعادة وفارس نجم وقيس لبكي وقيصر معلوف وبتري شويري ونعمة يافث ويعقوب مرعب • وفي الارجنتين جرجس عساف وحافظ طرزي والخرياطي ونخول حنا ونهرا صعب — هؤلاء حضرتنا اسماؤهم ونحن نكتب هذه السطور وهم قليل من كثير

اعمار الحيوانات والنباتات

❊ نتشز مبسبسبي ❊ خليل افندي منصور رفول اليسير

هل لكم ان تفيدونا عن اعمار اشهر الحيوانات ومدة حملها وماهو اكبر سنٍ بلغ اليه النبات

❊ الهلال ❊ وجدوا بالاستقراء في الحيوانات المعروفة ان بين عمر الحيوان ومدة الحمل به نسبة ثابتة فكلما طالت مدة الحمل به طال بقاوهُ فيطابق ذلك المألوف من الاحكام العامة كقولهم كل ما يأتي سريعاً يذهب سريعاً والمادة التي تحمى سريعاً تبرد سريعاً وسريع الغضب سريع الرضا وقس على ذلك مما يدلُّ على تشابه النواميس الطبيعية والنواميس الادبية • وهاك جدولاً لاشهر الحيوانات وسني اعمارها ومدة الحمل بها مرتبة حسب مدة الحمل الاطول فالاطول

صحة العائلة

الصحة الحقيقية وكيف نحفظها

للدكتور فياض بالفجاله بمصر

يركض الانسان وراء الغنى بكل قواه فلا يألو جهداً في البحث واستطلاع اهل الخبرة ومراقبة حركة الاسواق المالية واستماع ما يقال فيها ومطالعة ما يكتب عنها وهو لو تأملت لا ينفق من العناية بصحته معشار ما ينفقه في سبيل الثروة التي ينشدها · يعتبر الصحة ملكاً بسيطاً يستولي عليه ساعة يولد فهو يجهل كيفية وصول هذا الملك اليه ولكنه يعتقد ان المحافظة عليه امر بسيط سهل قائم بنفسه بمقتضى مجرى الحياة الطبيعي و باليته مع ذلك يفهم ما هي الصحة الحقيقية · فالصحة كلمة يجهل معناها العامة ومما يحمل على الاسف ان جهلهم بها يسوقهم الى عادات يلتوي القصد بها عليهم وتكون حاجزاً في طريقهم نحو الراحة والسعادة

من الناس من يحسب الصحة في القوة العضلية فاذا كانوا ممن متعتهم الطبيعة بضخامة الجسم وعرض الاكتاف وصلابة الاعضاء دفعهم ذلك الاعتقاد الى التهور والاستخفاف بصغائر الامور التي كثيراً ما تكون مجلبة الويل لهم · واذا كانوا ضعاف التركيب في الظاهر نحاف الاجسام غلب الظن عليهم انهم في اقصى الحاجة الى التقوية وربما وصل بهم ذلك الى الوسواس او القنوط · والصحيح ان الصحة ليست في قوة العضل واعظم المصارعين الذين لا يعجزهم حمل الاثقال الباهظة لا يجولون جولة في مضمار الامراض بل ربما كانت مقاومتهم الحيوية قصيرة الاجل وكان الموت من وراء ادنى تغيير يعرض لهم في نظام معيشتهم

انظر الى المرأة هذا الكائن الضعيف البنية الطري الاعصاب فان صحتها بوجه عام احسن من صحة الرجل وهي تعمر اكثر منه ويؤيد ذلك الاحصاءات العديدة لان انتظام معيشتها لا تكلفها انفاق كثير من قوتها · واما ما قيل عن المرأة من انها زهرة شديدة التأثر قصيرة الحياة يؤذيها شعاع الفجر الضاحك او نسيم الليل الباكي فتحترق بابتسامة وتغرق في دمعة فهو كلام انتجته مخيلة الشعراء وتصورات المحبين · والغريب المضحك ان بعض النساء يصدقن هذا القول فيجتهدن في تاييده وتحقيق تلك الصورة بانفسهن فيفتخرن بالنحول ويتسابقن الى الصفرة والذبول

وكما ان الصحة ليست في القوة العضلية فهي ليست في السمن بل ان السمن شرٌّ من الهزال واذا زاد السمن صار داء عياء . والكبير الهامة المنتفخ الوجنتين الغليظ الرقبة البارز البطن قلما تكون دورته الدموية في انتظام واذا تعرض لبرد بسيط كان له من ورائه نزلة صدرية لا يقوى جسمه على دفعها فيموت ليومين او ثلاثة . ومن هذا القبيل المدمن على الخمر يحسبه الناظر اليه قويًا صحيحًا ولكن الطبيب الخبير يرى من خلال جسده ما تجمع من الدهن على قلبه المتمدد وكبده المتضخمة وكليتيه المتصلبتين

وامتلاء الوجه واحمرار الخدود لا يكفي للدلالة على الصحة فمن الناس من يكتسي وجهه حمرة وعلتها ورم في الرئة وكثير من البنات يسري الفقر في دمهن في سن المراهقة وتبقى وجوههن موردة لسبب بسيط هو تعدد الشرايين السطحية فيها

اما المناعة الطبيعية التي لبعضهم ضد الامراض الوافدة كالجدري والتيفوئيد مثلاً فلا تكفي ايضاً للدلالة على الصحة انما الصحة في مقاومة الادواء البسيطة والاعراض الخفيفة فصحيح الجسم اذا تعرض لبرد لا يسبب له زكاماً او حرًا فلا يصيبه احتقان او للهواء المحبوس فلا يشكو صداعاً . صحيح الجسم لا يصاب بارق اذا عمل اكثر مما تعود ان يعمله ولا يتألم من معدته اذا اكل اكثر مما تعود ان يأكل . صحيح الجسم من قوي على هذه المؤثرات الطفيفة التي تعرض للانسان في حياته اليومية وحفظ الموازنة في قواه فكان انفاقه منها اقل ما يمكن واستفادته غاية ما يستطاع فاذا استوفى هذه الشروط عاش طويلاً وقلما يموت بعلة او اذا اعتل فايام دائه قليلة وعزابه قصير

الصحة كالمال قسمت على الناس بلا مساواة فمنهم من يرث منها ارثاً شهيًا ومنهم من لا يصيبه الا النزر القليل وكلا الفريقين مضطر الى السعي الاول — لحفظ الارث والثاني لحصول على مثله — وهي كالمال سريعة النفاد يبعثرها الطيش ويفنيها الاسراف فتذهب بسهولة وتعوض بصعوبة . والذي يولد صحيحاً كاملاً كالذي يولد غنياً فاذا استسلم الى هوى النفس قاده التهور الى الافراط وما وراءه من سوء العاقبة وكم من اصحاء الاجسام افضت بهم قلة المبالاة بامور الصحة واعتدادهم بانفسهم وغرورهم بما ملكوا من هذا الكنز الثمين الى انفاقه جزافاً بلا حكمة فهم على حد ما قال سنيك الحكيم لا يموتون موتاً بل يقتلون انفسهم قتلاً

الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى الا ان كثيرين ممن لم يلبسوا هذا التاج استطاعوا الانتفاع بنتائجه وتوصلوا بالمداراة والعيشة المنتظمة الى مقاومة المؤثرات العارضة لهم في ميدان الوجود والتمتع بحياة طويلة سليمة ولم يمنعهم ضعف بنيتهم من ان

يكونوا اقوياء الدماغ . ولد فولتير ضعيفاً هزيلاً ولم يكن لاهله امل ببقائه وظل هكذا طول حياته يستقبل السنين ضاحكاً والامراض تنتابه حيناً بعد حين والموت يلوكه ولا يقوى على ابتلاعه حتى جاز الثمانين . وفكتور هيكو يحكي عن نفسه انه وُلِد في اقصى درجات الضعف حتى اضطرت امه الى حصر عنايتها فيه دون اخوته وبفضل التربية الصحية نما وشب ثم شاب وفي حياته من الاعمال قدر ما فيها من الايام

يزعم كارنجي المثري الشهير ان من اكبر المصائب على الانسان أن يخلق غنيا و يقول ان الشقاء هو المدرسة الوحيدة التي تعلم الانسان أن يكون قادراً على الاعمال العظيمة وهو قول تشهد بصحته الايام والحوادث وينطبق مضمونه على ما نحن بصدده فسعيد هو من يتعلم في مدرسة الضعف والالام التي يفتحها له الوجود ان يكون حكيماً في شبابه عادلاً في تصرفه سائراً في اعماله على نظام لا يعرف التفريط ولا يقارب الافراط وقد قال تيارس ان المستقبل في السياسة لمن كان اكثر حكمة من سواه والحياة الصحية كالسياسية من هذا القبيل فالمستقبل فيها للحكيم الذي لا يجور على صباه كي لا تجور عليه شيخوخته

ان حفظ الصحة اسهل من استرجاعها فمن يريد حفظ صحته يدرسها اولا ويعرف حقيقة ما هو عليه من الاستعداد والدفاع ودرجة احتماله التعب والجوع وغير ذلك حتى اذا تبينت له حدود مقاومته الحيوية لا يتعداها فاذا كان مثلاً قليل الاكل ورأى في الزيادة ضرراً كلما حاول اليها سبيلاً فليقتصر على القليل لأن العبرة بما يهضم لا بما يؤكل . واذا كانت مقدرته على الاعمال العقلية او الجسدية قليلة فيقنع بها اي اذا كان مثلاً لا يستطيع العمل اكثر من ساعة الا يتعب فليكتف بالساعة ولا يجهد جسمه او دماغه فالعمل القليل يفيد اذا قامت به الاعضاء لنفسها اكثر من الكثير اذا أكرهت عليه . ومتى توصل بالمراقبة والاختبار الى معرفة ما يؤذيه من المأكل ام الملبس ام العمل فلا عذر له اذا تعرض ثانية للاسباب التي تضعف قواه وتسلطت عليه العلل الجسدية والعقلية . والاعمال تنفع العامل او تضره حسب الطريقة التي يأخذ بها فالاسراع مضر بوجه الاجمال وخير الاعمال ما قامت به الاعضاء بتؤدة ولطف فانه لا يورث ضعفاً ولا كلالاً وكلما كثرت اشغال المرء زاد احتياجه الى استعمال الرفق بنفسه والتأني في عمله ولا يجوز الاسراع واجهاد القوى الا لمن كانت اشغاله قليلة لان وقت الراحة متوفر لديه بعدها

ولكن كثيراً من الشبان يخالفون هذه القاعدة فيشتغلون كثيرا و يرتاحون قليلا تدفعهم الحاجة الى القبول بشروط ينوء تحتها الجسم لان اصحاب المصانع والتجارة تعودوا أن يظلموا

مستخدميهم في سبيل الاقتصاد لانفسهم . الاستعباد الانساني لم يزل موجوداً عند ارق الشعوب المتمدنة انما صورته قد تغيرت . كان الرق في الزمن الأول بكل مفاد الكلمة الضعيف في قبضة القوي والفقير تحت سيطرة الغني ثم اشتد ساعد الفقير فارضاه الغني بشيء يدفعه اثناء اتعابه فصارت العبودية استخداماً قوت شوكة المستخدمين فاضطر رؤساوهم الى زيادة الاجور واشراكهم في الربح حرصاً على فائدتهم وخوفاً من اعتصابهم وصار الاستخدام شركة مقيدة وهكذا لايزال الرق رقاً وانما الفرق بين الناس ان البعض يستعملونه بقسوة وهم البخلاء و بعضهم بلين وهم المتساهلون في العطاء والمكافأة . والحقيقة اننا كلنا ارقاء بعضنا لبعض ولكن ليس احسن درجات الرق ارقاها . فمن لنا بمصلح انساني يقوم هذا الاعوجاج ويخفف عناء المستخدمين لنضمن لهم الصحة والعافية وطول الحياة ؟ كم من فتى بعيد الهمة ذكي الفواد ناضر العود اضطره الاستخدام الى تحميل نفسه فوق طاقتها فوقف في نصف الطريق شجيع البصر سقيم الجسم ضعيف القوى . وقد عرفت غير واحد ممن حصدهم الموت في مقتبل العمر ولا سبب لذلك غير اجهادهم الفكر والجسم في سبيل رضى روساء لا رحمة لهم لان العادة في ارباب المصالح ان يستكثروا المعاش وان قل ويستقلوا العمل وان كان كثيراً

وهناك شرط آخر اذا لم يقم به الانسان فاته الغرض المطلوب لتمام صحته والعناية بها فعليه ان يذكر ان الليل خلق للراحة كما خلق النهار للعمل فاذا عرف ان يتمتع به استطاع ان يشتغل عمره بطوله دون احتياج لان يستريح يوماً في الاسبوع او يوماً في الشهر او يوماً في السنة . وخلاصة القول ان الصحة اذا كانت على الغالب نصيباً يستلمه الانسان مع الحياة فهي في كثير من الاحيان نتيجة التربية الصحيحة والصبر الطويل

تاريخ التمدن الاسلامي

نقله الى اللغة الفرنساوية

صرحنا لبعض الافاضل منذ عامين بنقل كتابنا « تاريخ التمدن الاسلامي » الى اللغة الفرنساوية على ان يصدر الجزء الاول في خلال سنة والا جاز لسواه نقله فلم يصدر شيء حتى الآن . وتقدم الينا حضرة اسحق افندي قطان احد كبار المشتغلين بآداب اللغة العربية من اعضاء مجمع قرطاجنة العلمي ومحرري المجلة التونسية الفرنساوية الشهيرة ان يتولى ذلك بنفسه فينشر الترجمة اولاً في المجلة المذكورة ثم في كتاب على حدة . فلم نر مانعاً من نقل هذا الحق اليه — ونشرنا ذلك ليكون الاخرون على بصيرة

عجائب المخلوقات

الأقزام

ما زال الناس يلدون القصار والطوال من قديم الزمان وقد ذكر المؤرخون طوائف من الاقزام اشهرها البغمة في اواسط افريقيا ذكر هيرودوتس وبليني وغيرهما انها تقيم في صحراء ليبيا . وقد عثر بعض الذين اخترقوا اواسط افريقيا على جماعة من القصار تشبه ان تكون بقية تلك القبيلة — وقد فصلنا ذلك في الهلال السابع من السنة الرابعة عشرة



ريكون جنستاهو اقصر البشر اليوم

وكان الرومانيون في ابان تمدنهم وشيوع الترف والبذخ بين اظهرهم يجدُّون في اقتناء الاقزام للتلاهي بمنظرهم والضحك من حركاتهم في جملة اسباب لهوهم وكانوا اذا اعوزهم الاقزام

« اصطنعوا » اقزاماً بوسائل من القسوة والخشونة يتحداها النخاسون او تجار الرقيق غير خليقة ببني الانسان فيربونهم على الغذاء القليل و يعالجونهم بالادهان والعقاقير التي يزعمون انها تقصر القامة اهمها دهن الخلد او الخفاش يدهنون به العمود الفقري حال الولادة فيشبون قصاراً ضئالاً يبيعونهم لاهل اليسار واللهو و يسمونهم في اصطلاحهم « نانوس »

وكان الملوك في الاجيال الوسطى يهتمون باقتناء الاقزام للهو و بعضهم كان يقتني القردة لهذه الغاية وظلوا على نحو ذلك الى عهد غير بعيد · ومن غريب ما يحكى ان بعض امبراطرة النمسا في اواسط القرن السابع عشر جمع اقزام مملكته وجبابرتها اجابة لاقتراح الامبراطورة وقد ارادت ان تقابل بين القصار والطوال وترى نتيجة الجدال بينهما · فاجتمعوا في فينا وطمأنوا القصار اذ لا بأس عليهم من بطش الطوال ونبهوا على هؤلاء ان لا يمدّوا ايديهم بل يقتصروا على الكلام · فدار الجدال على سبيل المداعبة فكان الفوز للقصار وا كثرهم تعودوا المماجنة والمداعبة بمعاشرة الاغنياء واهل البلاط ونحوهم فاخذوا يسخرون من الطوال و يغالبونهم بالتهكم والتنكيت حتى استجاروا وطلبوا النجاة · واهتمت امبراطورة أخرى بتربية جيل من الاقزام بالتزاوج فيما بينهم لكنها لم تفلح

واشتهر جماعة من الاقزام من اقدم ازمنة التاريخ اقدمهم فيلتاس كوس اليوناني نبغ سنة ٣٣٠ قبل الميلاد في علم النحو والشعر وكان لقصره اذا جلس اثقلوه بالاحمال لئلا تحمله العاصفة وكان استاذاً لبطليموس فيلادلفوس الشهير ومنهم كونوباس قزم جوليا بنت اخت اغسطس كان طوله قدمين وقبضة وقزم آخر لها اسمه اندروميدا في مثل طوله

واشتهر عند المسلمين من القصار عبد الله بن مسعود وكان شديد القصر يكاد الجلوس يوارونه من قصره وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف كان قصيراً دحداحاً تزوج سكينة بنت الحسين بن علي فلم ترضه فخلعت منه · والحطيئة كان مفرط القصر ولذلك لقب بالحطيئة · وذو الرمة وكثير كانا قصيرين جداً وكان الوزير محمد بن القاسم قصيراً حتى احتيج ان يُقصر من ارتفاع سرير الخلافة اربع اصابع مفتوحة · وكان العباس بن الحسن الوزير قصيراً جداً وفيه قيل

لا تنظرنّ الى العباس من قصرٍ ... وانظر الى الفضل والمجد الذي سادا
ان النجوم نجوم الليل اصغرها ... في العين ابعدُها في الجوّ اصعادا

ومن اقزام الاجيال الاخيرة جون دستريكس من اهل القرن السادس عشر بلغ الخامسة والثلاثين من عمره وطالت لحيته ولم يزد طوله على ثلاثة اقدام وكان عالماً باللغات · وجوفري هدسن قزم انكليزي كان طوله وهو غلام ١٨ قيراطاً فقدمته دوكة بوكنهام

سنة ١٦٢٦ على مائدة الملك في رقاق على طبق كانهُ لون من الوان الحلوى · وانتشب بعد ذلك خصام بينه وبين المستر كروفت وطلبه للمبارزة فاتاه مسلحاً بحقنة (طلمبا) فغضب هدسن لاستخفافه به واغتنم فرصة اخرى اطلق فيها الرصاص على خصمه فقتلهُ سنة ١٦٥٣

ومنهم نقولا فري قزم ستنسلاس ملك بولندا توفي سنة ١٧٦٤ وسنه ٣٣ سنة وطوله ثلاثة اقدام · واغرب منه القزم ريتشبورغ المتوفى سنة ١٨٥٨ في باريس وكان طوله ٢٣ قيراطاً وكان في طفوليته خادماً في بيت اورليان ولما قام الفرنساويون للثورة انضم الى الثائرين وخدمهم خدماً لا يستطيعها سواه لانه كان يدخل باريس ويخرج منها متى شاء تحمله امرأة كما تحمل المراضع الاطفال ولا يشتبه احد به فينقل الاخبار والاسرار التي يخافون نقلها على ايدي الرجال · ومنهم شارلس ستراتوم الاميركاني عُرض في انكلترا سنة ١٨٤٦ وكان طوله وهو في الخامسة والعشرين من عمره ٣١ قيراطاً وتزوج امرأة طولها ٣٢ قيراطاً وولد لهما ولد وتوفيا سنة ١٨٨٣ ومنهم شيا القزم الصيني بلغ طوله وهو في الثانية والاربعين من عمره ٢٥ قيراطاً ولويزا زارتي من اهل المكسيك طولها ٢١ قيراطاً · وجاء مصر منذ عشرين سنة رجل وامرأة وعرضا للفرجة بالقاهرة لا يزيد طول احدهما على ٧٥ سنتيمتراً

ومن اقصر الاقزام الاحياء اليوم رجل اسمه ريكون جنسيتاهو من اهل جزائر المحيط طافوا به اشهر عواصم العالم وهو الان في السادسة والاربعين من عمره وطوله سبعون سنتيمتراً وهو صحيح البدن والعقل لم يصب بمرض في حياته وترى اسمه في صدر هذه المقالة

الراوي لطانيوس عبده

طانيوس عبده كاتب رشيق العبارة وشاعر خفيف الروح وهو مشهور في عالم الادب بحسن اختياره وسهولة انشائه ورقة اسلوبه بما كان يخطه يراعه في جريدتيه «فصل الخطاب» و«الشرق» وبما ظهر من اثاره في اداب اللغة العربية وما نقله عن الافرنجية من الروايات الكبرى واشهرها «روكامبول» وما نظمه من القصائد التي لا تلبث ان تدخل الاذن حتى تحتويها الذاكرة لسهولتها وحسن وقعها · ويسرُّنا انه عمد الى اصدار مجلة روائية سماها «الراوي» يصدر العدد الاول منها في اوائل اكتوبر الجاري في مئة صفحة ويتوالى صدورها كل اسبوع فيجتمع منها نحو ٥٠٠٠ صفحة في العام وبدل الاشتراك مئة غرش فقط فلا حاجة بعد ذلك الى استحثاث الادباء على الاشتراك فيها · وهي تطلب من صاحبها في الاسكندرية ومكتبة الهلال بمصر



الجزء الثاني من السنة السادسة عشرة

اول نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٧ و٢٥ رمضان سنة ١٣٢٥



ثورة الهند

للتخلص من سلطة الانكليز سنة ١٨٥٧

١ — تمهيد في تاريخ الهند

الهند ممالك كثيرة ودول شتى كان لها تمدن خاص وكتب قديمة وكانت آمنة من مطامع الفاتحين لبعدها عن دول التمدن القديم حول البحر المتوسط حتى جاءها الاسكندر الكبير في اول القرن الرابع قبل الميلاد فافتتحها ولم تطل سيادته عليها فعادت الى استقلالها. فلما ظهر الاسلام كانت في جملة ما اكتسحه المسلمون او افتتحوه فانتشر الاسلام بين اهلها وتسلطت الدول الاسلامية عليها من الترك او المغول وأوربا في أثناء ذلك مشتغلة بغفلتها في ظلمات من الجهل بعضها فوق بعض. حتى اذا أخذ اهلها بنهضتهم الاخيرة منذ بضعة قرون وعملوا على التماس اسباب المدنية كان في جملة مساعيهم في هذا السبيل الرحلة لاكتشاف طرق التجارة في انحاء المعمور وخصوصاً في الشرق البعيد

وكانوا يسمعون بالهند وغناها بمن يفد عليهم من التجار الذين كانوا يترددون بينهم وبينها برّاً وبحراً

فسافر كولمبوس سنة ١٤٩٢ في الاوقيانوس الاتلانتيكي وهو يتوقع الوصول الى الهند من جهة الغرب فاذا هو قد عثر باميركا فشغلته عن سواها واصبح ارتياد الهند من حظ فاسكودي غاما الرحالة البرتوغالي الشهير فدار حول رأس الرجاء الصالح وقطع الاوقيانوس الهندي سنة ١٤٩٨ حتى اتى الهند فرأى فوق ما كان يسمعه عن خصبها وثروتها ونقل ذلك الى دولته فبعث ملك البورتغال جيشاً لاحتلالها او افتتاحها فدافع الهنود عن اوطانهم فغلبهم المتمدنون على كثير منها — وانما غلبوهم بالعلم لا بالجند — واستأثروا بتجارة الهند لا يشاركهم فيها احد من دول أوربا فتمتعوا بذلك الاحتكار قرناً كاملاً (من سنة ١٥٠٠ — ١٦٠٠ م) وانما احتكروا التجارة باذن من البابا الكسندر السادس يخول لملك البورتوغال « رئاسة الملاحة والفتح والتجارة في الحبشة وجزيرة العرب والهند » ولم تكن طباع البورتغاليين تساعدهم على الاحتفاظ بتلك الزعامة لانهم كانوا اقرب الى الغزاة منهم الى التجار لما تعودوه من الحروب الدينية بينهم وبين المسلمين في الاندلس — فما لبثوا ان رأوا دول أوربا الاخرى تسابقهم الى الاجتزاء من تلك الغنيمة • واسبقهن الى خرق ذلك الحجاب هولندا وما زالت حتى غلبت على البورتغاليين واستأثرت بالسيادة على الشرق قرناً آخر (من سنة ١٦٠٠ — ١٧٠٠) وتاريخهم فيه طويل لا محل له هنا ونحن انما ننظر في سيطرة الانكليز على تلك البقاع

والانكليز أمة تجارية استعمارية وكانت من أكثر الدول طمعاً بالهند قبل ان يكتشفها فاسكودي غاما عن طريق رأس الرجاء وكانوا يلتمسون الوصول اليها من الشمال الغربي — حاولوا ذلك سنة ١٤٩٦ فلم يفلحوا ثم أرادوا السفر اليها من الشمال الشرقي غير مرة بين سنة ١٥٥٣ و ١٦١٦ ففشلوا وقد ضحوا في هذا السبيل غير واحد من رجالهم اهل الرحلة والعلم • على ان بعضهم كانوا يسافرون الى الهند من طريق رأس الرجاء بعد اكتشافه للتجارة او نحوها ولكنهم لم يجدوا سبيلاً للتملك او الاحتكار لسبق البورتغال والهولنديين الى ذلك • فاستنبطوا تدبيراً عاد عليهم بالفائدة العظمى وهو انهم الفوا لذلك شركة تجارية هي « شركة الهند الشرقية » قيل في سبب انشائها ان الهولنديين رفعوا أسعار البهارات التي كانوا يحملونها من الهند ويبيعونها للانكليز الى ضعفي ما كانت عليه فشق ذلك على تجار لندن فاجتمعوا سنة ١٥٩٩ برئاسة محافظ المدينة وقرروا

تأليف شركة تجارية تعامل الهند مباشرة ورفعوا قرارهم الى ملكتهم (اليصابات) فاوفدت الى امبراطور الهند تستأذن لتلك الشركة في المتاجرة ببلاده فاذن . فاصدرت الملكة امراً بانشائها سنة ١٦٠٠ واسمها يومئذ « شركة تجار لندن وحاكمهم الى الهند الشرقية » وكان رأس مالها ١٢٥ سهماً قيمتها ٧٢,٠٠٠ جنيه ثم رفعت الى ٤٠٠,٠٠٠ جنيه . ثم تألفت شركات أخرى لمثل هذا الغرض وقام التنازع بينها قرناً كاملاً حتى اتحدت سنة ١٧٠٩ الى شركة واحدة سميت « شركة تجار الانكليز المتحدة للتجارة في الهند الشرقية » ثم عرفت بشركة الهند الشرقية

اخذ الانكليز يتجرون اولاً مع جزائر الهند ولم يتسنَّ لهم دخول الهند نفسها لان البورتغاليين والهولنديين كانوا يمنعونهم منها بقوة السلاح . وجرت في سبيل ذلك حروب كثيرة سفكت فيها دماء غزيرة والانكليز صابرون يترقبون الفرص حتى اتيح لهم احتلال البر فكان اول بلد نزلوه مدراس ثم اخذوا يحتلون البلد بعد البلد باسم التجارة وهي غرضهم الرئيسي في ذلك الحين والبورتغاليون والهولنديون يتقهقرون بين ايديهم مما يطول شرحه . وكان الانكليز يقاسون اضطهاداً من امبراطور المغول ومعاكسة من رعاياه فرات الشركة المشار اليها ان تحتاط للدفاع عن مركزها في مثل هذه الاحوال فابتاعت الارضين وابتنت القصور والحصون فحسدتها الدول الاخرى فاخذت تقلدها بانشاء الشركات التجارية الشرقية وقام النزاع بين هذه الشركات ودولها وكل دولة تطلب الاستئثار بتلك البلاد واستعمارها لنفسها فكانت الغلبة اخيراً للشركة الانكليزية وانحلت سائر الشركات او ضعفت واصبح النفوذ الأول للانكليز ثم تحول هذا النفوذ الى سيادة كما سترى

٢ — كيف تسلط الانكليز على الهند

كانت الهند في اثناء تلك المنافسة تحت سلطة الدولة المغولية التي اسسها اكبرخان في اوائل القرن السادس عشر (هلال ١٠ سنة ١٢) ومن كبار ملوكها اورنغ زيب المتوفى سنة ١٧٠٧ (هلال ٩ سنة ١٥) وبلغت هذه الدولة معظم اتساعها في ايامه ثم اخذت بالتقهقر حتى صارت الى انكلترا سنة ١٨٥٧ على اثر الثورة التي نحن في صددها . وكانت عاصمة دولة المغول مدينة دهلي . ولما توفي اورنغ زيب لم يخلفه رجل قادر فتضعضعت مملكته واخذت في الانحلال واصبحت كل مملكة من ممالك الهند تطلب الاستقلال لنفسها واتفق قيام نادر شاه الفارسي الملقب بنابوليون الشرق في اواسط القرن الثامن عشر واحمد دوراني وغيرهما فاكتسحوا الهند ولم يطل سلطانهم عليها ولكنهم زادوها ضعفاً ولم تمض

على وفاة اورنغ زيب خمسون سنة حتى استقل جماعة المهراتة في الجنوب وهددوا دهلي وخلع الراجبوت سيادة المغول عنهم واقتدى بهم آخرون في مدراس وميسور وغيرها وبعض هذه الدول كانت تحافظ على سيادة المغول بالاسم

تخلصت انكلترا من منافسة البورتغال في آخر القرن السادس عشر ومن منافسة هولندا في آخر القرن السابع عشر ولكنها ظلت تخاف عدوًّا اشد وطأة من كليهما وهو فرنسا وكانت قد نالت حظها من تلك الغنيمة واحتلت مدنًا اقامت فيها شبه حاكم يحافظ على تجارتها . ففي اواسط القرن الثامن عشر كان نائبها في الهند دوبليكس يقيم في بونديشري ونائب الانكليز كلايف يقيم في مدراس والنزاع بين الانكليز والفرنساويين قديم لكنه تجدد سنة ١٧٤٣ باوربا وامتد الى الهند فتحارب النائبان هناك

وفي اثناء تلك الحرب سنحت للانكليز فرصة استولوا بها على البنغال . وكيفية ذلك ان حكومتها افضت سنة ١٧٥٦ الى شاب في الثامنة عشرة من عمره اسمه سراج الدولة غلب عليه الطيش واخذه الغرور فطارد رجالاً من اهله التجأ الى كلكتة وهي مقر معسكر الانكليز في ذلك العهد فاكتسح المدينة ففر الانكليز الا ١٤٦ شخصاً قبض عليهم سراج الدولة وزجهم في سجن عميق فاسد الهواء واقفل عليهم ابوابه . وبعد قليل اتت نجدة انكليزية انقذت المدينة وفتحت ذلك السجن فلم تجد فيه حيًّا الا ٢٣ نفساً فاثر ذلك في نفوس الانكليز لكنهم صبروا للفرص . وانتهت تلك الحركة بارجاع الانكليز الى حقوقهم السابقة وعادوا الى محاربة الفرنساويين فانحاز سراج الدولة الى هؤلاء وغلب الانكليز على كليهما فدخلت البنغال في سلطانهم تحت حكومة كلايف وانفردت انكلترا بسيادة الهند باسم الشركة الهندية الشرقية التي ذكرناها وهو نوع من الحكومة لم يسبق له مثيل . وكانت الشركة تولي امورها حاكماً عسكريًّا معه الجند والسلاح واول اولئك الحكام كلايف المشار اليه تولى سنة ١٧٥٨ وخلفه غيره وغيره الى سنة ١٨٥٧ فبلغ عدد الحكام المشار اليهم بضعة وعشرين حاكماً آخرهم الفيكونت كانين سنة ١٨٥٦ وفي ايامه حدثت الثورة الهندية التي نحن في صددها

٣ — اسباب الثورة

انفرد الانكليز بسلطة الهند بعد منازعة اسبانيا وهولندا وفرنسا عليها كما انفردوا بسلطة اميركا من قبل بمثل هذه المنازعة . وقد نهض كل من الاميركان والهنود لخلع نير سلطتهم ففاز الاميركان كما رأيت في الهلال الماضي وفشل الهنود كما سترى هنا . فما هو سبب هذا الفشل؟ ذلك ما نريد بيانه في ما يلي عبرة لنا ونحن تحت سيطرة تلك الدولة وقد انفردت

بسيطرتها على مصر بعد صبر طويل في منازعة تشبه تلك المنازعة من اكثر وجوهها . وقد زادها الزمان خبرة ودهاء حتى اصبحت لا تخطو خطوة الا وهي تنظر الى مابعدها تجنباً للوقوع في مثل الخسارة التي اصابتها باميركا

تسلط الانكليز على الهند بقوة التمدن الحديث من العدة والذخيرة والعلم والدهاء والهنود يومئذ في دور تقهقرهم وانحلال دولتهم وقد انقسموا على انفسهم وتفشت الفتن بين اظهرهم ولولا ذلك ما استطاعت انكلترا ان تحكمهم بجند لا يتجاوز عدده عشرات الالوف والهنود مئتا مليون او يزيدون . فوقعت هيبة الانكليز في نفوسهم واعتقدوا فيهم الفضل عليهم قوة وذكاء فرضخوا لسلطانهم واحتملوا نيرهم مرغمين وفي نفوسهم غلٌّ وفي قلوبهم كره شديد . والانكليز من الجهة الاخرى اعانتهم الفرص على نشر سلطانهم ورأوا انقياد الهنود فاستفرسوا وازدادوا عتوًّا واستبداداً واستخفوا بذلك الشعب واذلوه . وكان رجال الشركة المشار اليها من اكبر رؤسائها الى اصغر خدمتها من الملكيين والعسكريين ينظرون الى الهند نظرهم الى فريسة وقعت بين ايديهم لا يهمُّ احدهم منها الا ان يختطف ما يبلغ اليه امكانه من خيراتها بأية وسيلة كانت ويعود الى بلده . فكانوا يرتكبون في سبيل ذلك منكرات بالغ كتاب الانكليز انفسهم بانتقادها وشددوا النكير على مرتكبيها وعنفوهم تعنيفاً قارصاً عليها فما قولك بالهنود انفسهم؟ فكانوا يذعنون ويكظمون ومنهم فيالق من الفرسان والمشاة تحت قيادة ضباط من الانكليز فكثيرا يترقبون فرصة يثبون بها على حكامهم الظالمين وهؤلاء في غفلة واستخفاف يسيئون معاملة اولئك الجنود الوطنيين وضباطهم الافرنج بقوانين سنّها الحاكم الانكليزي لم يجدوها عادلة فابى الضباط العمل بها مرة وقدموا استعفاءهم فقابلهم الحاكم بالحزم والشدة وارجعهم عن عزمهم فرجعوا مستائين واقتدى بهم الجنود الوطنيون وتمرد جماعات منهم في اوقات مختلفة والحكومة تداوي الحاضر بالحاضر ولم تلتفت الى العواقب ولا بحثت عن العلة الاصلية

ومن امثلة تمردهم ان فرقتين من الجند الهندي في فلور من مقاطعة مدراس تمردتا مرة وهجمتا على جماعة من الجند الانكليزي سنة ١٨٥٦ فقتلتا منهم ١١٣ نفساً فجاءت الانكليز نجدة فقتلت من الهنود ٨٠٠ نفس . وتكرر ذلك غير مرة والانكليز لا يبالون وكثيرًا ما كان الجند الهندي يدبّر المكائد ويتهيأ للعصيان ويمنعهُ ضباطهُ ورؤساؤهُ الافرنج عن النهوض وتعلم الحكومة الانكليزية بذلك فلا تكافئ الضباط بغير الشكر البسيط وكان ينبغي لها ان ترقيهم او تجيزهم . على انها كانت تتهمهم احيانًا بالتحريض

على العصيان وتهمل البحث عن السبب الحقيقي . ولو بحثت عنه لما رأته يتجاوز التقصير ببعض مطالب الجند التي يسهل تلافيها . وكان اكثر تذمرهم من قوانين وضعت للملابس او الحلاقة تخالف ما يجيزه معتقد الهنود الديني — والانسان كما لا يخفى شديد الحرص على كرامته الدينية يغضب لها مثل غضبه لعرضه وماله والغضب للدين اشدّ نكاية واعظم خطراً لاشتراك الجماعات به فيسهل تكاتفهم للدفاع عنهُ . فالانكليز لم يكونوا يلتفتون الى شعور الهنود الديني ولو التفتوا اليهِ لكفوا انفسهم مؤونة الثورة وان كانت شكوى الهنود من امور لا يرى الانكليز لها اهمية باعتبار تمدنهم او ديانتهم — ولكل امرءٍ دينه . فكثيراً ما تمرد الهنود لاشاعة بلغت اليهم ان الحكومة ستلبسهم اطواقاً (ياقات) مصنوعة من جلد الخنازير او لان الانكليز يذبحون البقر ويأكلون لحمها وهي مقدسة عندهم

ومن امثلة الخلاف من هذا القبيل ان الهنود في محاربة بورما سنة ١٨٢٤ ابوا عبور نهرٍ مقدس لان عبورهُ في اعتقادهم اثمٌ فالحَّ الانكليز عليهم بعبوره فتمردوا ولم يستطيعوا ارجاعهم الى الطاعة الأ بالتعب . وثورة الهند الكبرى التي نحن في صددها انما كان الباعث عليها والمثير لها التعصب الديني . ناهيك بتقصير الحكومة من حيث الاعطيات فقد تمردت بعض فرق الجند بالبنغال سنة ١٨٤٤ وابوا الذهاب لاحتلال بلد فتحوه في السند الا اذا زيدت أعطياتهم . وحدث نحو هذا العصيان في فرق البنغال سنة ١٨٤٩ و١٨٥٠ والحكومة تتدارك الامور بالعلاج الموقت لتسكين الالم كالطبيب يُشكى اليهِ المٌ في الرأس ناتجٌ عن علة في المعدة فيعالج الالم بالمورفين ولا يلتفت الى المعدة . او كالمديون يطالبهُ الدائن بما عليه فيستدين من آخر ويفي الدين بالدين وهو يزعم انه فعل ما عليه

وقد تنبه لهذا الخطأ غير واحد من كبار الانكليز وانذروا حكومتهم بالخطر من قيام الجند الهندي وصرح بذلك السير شارلس نابيه قائد الجنود الانكليزية بالهند فغضب الحاكم لجرأته ومنعه من العود اليها فوقع بين الرجلين نفور لم ينته الأ باستعفاء القائد . فاصبحت البلاد في اضطراب والحكومة تموّه باظهار الامن فيها وتوهم الناس ان الهنود راضون عنها ولكن بعض الذين زاروا الهند في ذلك العهد حتى من الانكليز انفسهم اعلنوا ضعف هذه السياسة وابانوا للملأ ان الهنود يكرهونهم وان كانوا يخافونهم ويتهيبون من مناهضتهم — قال احدهم « ان الهندي قد يصافحك بيده ويحني لك رأسه لكنه لا يحييك بعينيه »

على ان هذا التهيب ما لبث ان ذهب بعد حرب القرم سنة ١٨٥٥ وقد جاهرت جرائد انكلترا يومئذ بما قاساه الانكليز فيها من الضيق والشدة كعادتهم في نشر الاخبار

ولم يلتفتوا الى تأثير ذلك في الهنود فادرك هؤلاء من تلك الاخبار ان الانكليز بشر مثلهم وخيل لهم ان نجم انكلترا قد آذن بالغروب — ساعدهم على هذا الاعتقاد ما كانوا يتناقلونه عن اسلافهم الذين دانوا للانكليز قبلهم «أن سيادة هذه الدولة لا تبقى اكثر من قرن واحد تنقضي بانقضائه » وهم يعتبرون تلك السيادة تبدأ بانتصار كلايف عليهم سنة ١٧٥٧ حين تغلب على سراج الدولة وادخل البنغال في سلطته • فلما اقبلت سنة ١٨٥٦ اخذ الهنود يسعون في تدبير الوسائل لخلع ذلك النير فالفوا العصابات السرية تتخابر على شكل الجمعيات الماسونية ووضعوا لانفسهم رموزاً وعلامات يتناقلون بها اغراضهم وآراءهم بين المدن او القرى ومن جملة ذلك اقراص من الحلوى (كعك) ينقلها بعض اهل القرية الواحدة الى شيخ القرية الاخرى وهذا ينقل مثلها الى ماوراءه والحكومة ترى ذلك وتظن القوم يتبادلون تلك الاقراص تفاؤلاً لدفع نازلة يخافونها والحقيقة ان الهنود مسلمهم وبرهميهم وبوذيهم مع اختلافهم في المذهب ورغم ما بينهم من الاحقاد اتفقوا على خلع نير الانكليز ولم يقدموا على هذا الخطر العظيم لو لم تكن الجندية معهم — وما من أمة تنهض لمثل هذا العمل الا بالجند

٤ — الشروع بالثورة

وكانت سلطة الانكليز قد امتدت تحت حكومة اللورد دالهوزي في العقد الاخير قبل الثورة (سنة ١٨٤٨—١٨٥٦) على بلاد ناكبور وسوترا وبرارجهانسي والاود وادخل دالهوزي الهند كثيراً من ثمار التمدن الحديث كالتلغراف والبريد والسكك الحديدية وسهل التجارة ولكنه كان عازماً على تجريد الهنود من كل قوة وجعل بلادهم ملكاً لانكلترا فهالهم ذلك • وزد عليه ان الجنود الهندية فضلاً عن كرهها للانكليز للاسباب التي قدمناها فان ضباطها الوطنيين كانوا محرومين من الارتقاء الا الى الرتب الصغرى بعد خدمة طويلة وهم الواسطة بين كبار الضباط الافرنج والعساكر الهنود

والسبب الاخير الذي عقبته الثورة مباشرة أن الحكومة ادخلت في جنديتها طرزاً جديداً من البنادق تعرف ببنادق انفيلد يقتضي استخدامها ان يمسح فشكها بالدهن فشاع بين الجنود ان الدهن الذي تصرفه الحكومة لهذا الغرض مؤلف من دهن الخنزير ودهن البقر وان الغرض من استخدامه اهانة الهنود وحرمانهم من الارتقاء في طبقات الاجتماع عندهم او حل جامعتهم فهاج غضبهم لذلك هياجاً شديداً فنشرت الحكومة المنشورات تؤكد فيها كذب هذه الاشاعة فلم تلق اصغاء ولاهي راعت احساس الوطنيين

فاستعرضت كوكبة من فرسانهم في ٢٣ افريل سنة ١٨٥٧ بمدينة ميروت على ٤٠ ميلاً من دهلي عاصمة الهند ودفعت اليهم الفشك وأمرتهم ان يستخدموهُ فتناولوهُ مكرهين الا ٨٥ جندياً ابوا استلامهُ فحكم عليهم بالسجن عشر سنين . صدر الحكم المذكور في ٩ مايو وتلي على جمهور الجند من الافرنج والهنود ثم اثقل المحكوم عليهم بالقيود وسيقوا الى السجن مشاة مسافة ميلين فشكا بعضهم العجز عن المشي بتلك الاثقال فلم يسمع صوته فعظم ذلك على الجنود الوطنية وعدُّوه اهانة لهم فاتفقوا على انقاذ المسجونين بالقوة . فذهبت كوكبة منهم في اليوم التالي الى السجن فكسروه واخرجوا المسجونين منه واعترضهم الانكليز فدفعوهم وقتلوا منهم ضابطاً كبيراً اسمه الاميرالاي فينيس وهو اول ضحية ذهبت في سبيل هذه الثورة وذبحوا كثيرين من الانكليز في مدينة ميروت المذكورة . فاتحدت الحامية الانكليزية هناك وصوبوا على العصاة المدافع والبنادق بما لا قبل لهم به ففروا وتركوا المدينة للانكليز ولجأوا الى دهلي .

وقد علمت ان دهلي عاصمة الدولة المغولية وقد مرَّت بها اجيال كانت فيها مظهر العظمة والفخامة والسيادة وكان فيها يومئذ شيخ طاعن في السن يناهز التسعين من عمره يتناول رزقه من الحكومة الانكليزية ومعهُ ابناؤه واحفاده واعوانه يقيمون بقصر الامارة كأنهم دولة قائمة بنفسها والشيخ المذكور بقية الدولة المغولية من نسل اورنغ زيب ولم يكن له سيادة حقيقية او حكومة ولكن الاهالي كانوا ينظرون اليه نظرهم الى حاكمهم الشرعي . وقد نشر ما كولي الكاتب الانكليزي قبل ذلك العام بربع قرن مقالاً انتقد به وجود هذا الشيخ هناك وحوله الاهل والاعوان وانذر الدولة الانكليزية بالعواقب فلم تسمع لهُ . فالهنود الذين فرّوا من ميروت جاؤا الى قصر الامارة بدهلي وهم ينادون انهم لا يعرفون ملكاً عليهم الاَّ هـذا الشيخ خليفة السلاطين ورفعوا العلم الهندي على سور ذلك القصر يطلبون البيعة لصاحبه سليل اورنغ زيب واهلاك الافرنج الذين « انما جاؤا ليسلبوهم ملكهم ويخرجوهم عن دينهم » فبعد ان بدأت الحركة بتمردٍ موضعي تحولت الى ثورة عامة

قال اللورد باكون الفيلسوف الانكليزي في الثورات الاهلية أنها ترجع باسبابها « اما الى بدعة في الدين او زيادة في الضرائب او تبديل في القوانين او خرق لحرمة الكبراء او التمادي في الظلم العام أو تقديم ضعفاء الامة او الغرباء او المتشردين » والناظر في نشوء ثورة الهند يرى اكثر هذه الاسباب متوفرًا فيها . فلما جاهر جند ميروت بالتمرد وافقهم جند دهلي وثاروا على ضباطهم فقتلوا بعضهم وهموا بسائر الافرنج المقيمين هناك وفيهم التجار

والصناع والكهنة والموظفون فقتلوا بعضهم وفرّ الباقون · وكان يوماً مريعاً بالغ الهنود فيه بالقتل والسلب والتشنيع

فلما بلغت اخبار هذه الثورة الى كلكتة اكبرها الحاكم اللورد كانين وقوادة وتولاهم الغضب والخوف معاً لقلة جندهم بالنسبة الى الجند الهندي · لان الانكليز لم يكن يتجاوز عددهم في الهند كلها ٦٠,٠٠٠ رجل بعضهم بعيدٌ عنهم على حدود الافغان وبيكو وبعضهم مشتتٌ في اماكن أخرى · واما الهنود فكان عددهم نحو ٣٢٠,٠٠٠ مقاتل والطريق بين كلكتة ودهلي في ايدي الوطنيين ليس للانكليز فيه حصن ولا حامية · ولكن السعد خدم هذه الدولة لانها كانت قبيل ذلك الحين في حرب ببلاد الفرس ولها جيش كبيرٌ على حدودها فاتفق في تلك الاثناء الفراغ من الحرب وعقد معاهدة الصلح فكل الجنود الانكليزية التي كانت هناك اصبحت مدداً لجندها في الهند · وكانت من الجهة الاخرى قد انفذت حملة عسكرية الى الصين فبعث اللورد كانين اليها ان توافيه لانقاذ الهند · واشتغل بالاعداد والترتيب والتجنيد فلم يدع رجلاً ولا غلاماً الاّ جنده وفرق السلاح وتاهب للعمل وكانت الثورة قد امتدت كامتداد النار في الهشيم فهاج الهنود في اندور واعظم جور وجيلانبور والله اباد فضلاً عن دهلي وميروت ولولا حزم كانين وتدبيره لقضي على سلطة الانكليز هناك من ذلك الحين · فالفضل في حفظها الى هذا الرجل الحازم رغم ما اعترضه من المشاكل لانه بعث حملة بقيادة الجنرال انسون لمحاصرة دهلي فتوفي بالكوليرا في ٢٧ مايو سنة ١٨٥٧ وخلفه آخر أُصيب بها ايضاً وتوفي باوائل يوليو في بضع ساعات فخلفه الجنرال ريد فاصابه ضعف عام اضطره الى الانسحاب فافضت القيادة الى الجنرال ولسن وهو الذي انجز العمل وفتح دهلي بعد حصار بضعة اشهر · وقد دافع عنها الهنود دفاع اليأس لعلمهم انهم اذا غُلبوا قتلوا وكان عددهم ٣٠,٠٠٠ مقاتل والانكليز ٧,٠٠٠ فدخل الانكليز دهلي والدماء جارية في اسواقها · واسرع ضابط انكليزيٌّ بشرذمة من جنده الى قصر الامارة للقبض على الزعيم الشيخ فعلم انه لجأ الى مكان يقال له « قبر همايون » على خمسة اميال من دهلي فركب اليه وفي حال وصوله امر المقيمين هناك بتسليم سلاحهم فاطاعوا فارسل الى الشيخ نفسه ان يسلم سلاحه على ان يضمن له حياته فقبل فجيء به على محفة وحملوه الى المدينة وأقاموه في قصرها لا يخافون بأسه لكبر سنه وضعفه لكنهم احتالوا بالقبض على من بقي من ابناء تلك العائلة وقتلوهم

وكان خبر سقوط دهلي وذهاب بقية الدولة المغولية ضربة كبيرة على سائر مدائن

الهند فهاج القوم وماجوا ولم يعودوا يبالون بما يأتونه من الفتك والتخريب وبينهم جماعات في نفوسهم ضغائن على الانكليز وكانوا صابرين عليها او كاظمين لها فلما رأوا ما كان من قهرهم وتغلبهم هبوا للانتقام فتنكوا بمن كان بين اظهرهم منهم وبالغ بعضهم في التشنيع بالقتل كما فعل نانا صاحب في بيتور ولكناوو كونبور وكان الفتك بهؤلاء على كيفية تشمئز منها النفوس يعت بها الارواح رخيصة وذبح فيها النساء والاطفال ذبح الاغنام باسم نانا صاحب المذكور مما تقشعر لتصوره الابدان

وقس على ذلك اعمال الثوار في بلاد الأود فقد لاقى الانكليز منهم الامرّين حتى اضطرت القوة العسكرية المقيمة هناك ان تتقهقر الى لكناو وتتحصن بها وتحمي من يلجأ اليها من الانكليز لكنها ما لبثت ان حوصرت وقتل قائدها السير لورانس

فاصبح همُّ كانين انقاذ لكناو لاهميتها ولكثرة من فيها من الانكليز فعهد بانقاذها الى الجنرال هافلوك وهو من خيرة رجال الانكليز حزماً ودراية وبسالة وكان قد اشتهر في حرب بورما سنة ١٨٢٥ فضلاً عن اشتهاره بالادب والتقوى وكان محبوباً يستهلك جنده في طاعته ٠ وكان السير جيمس اوترام في حملة أخرى ببلاد الاود فازمع على المسير للانضمام الى هافلوك واوترام ارقى رتبة منه لكنه عرف قدره فلم يطلب الرئاسة عليه بل قدم نفسه وجنده تحت امره فزاد ذلك في اقدام هافلوك وشدده في رفع الحصار عن لكناو ٠ وكان يومئذ في كلكتة وبينها وبين لكناو مسافة بعيدة كلها للاعداء فسار هافلوك بينهم كالسيف القاطع في العشب اليانع حتى أتى كونبور وفيها نانا صاحب المتقدم ذكره فخرج اليه وارتد خائباً مهزوماً وانتقم الانكليز للاطفال والنساء الذين قتلهم نانا انتقاماً انتقده كتاب الانكليز وعابوا مرتكبيه المتمدنين اكثر مما عابوا مثله لنانا صاحب

واشتد الحصار على لكناو وحاميتها يصيحون ويستغيثون مخافة ان يصيبهم ما اصاب اهل كونبور فاسرع هافلوك بجنده والاعداء يعترضونه في الطريق وهو يفلّ جموعهم حتى وصل لكناو في اواخر سبتمبر وجنده مع جند اوترام لايزيد على ٥,٦٠٠ مقاتل وعدد الهنود يربو على ٥٠,٠٠٠ ولكن النظام يجعل العشرة تقاوم المئة وتغلبها ٠ وبلغ الجند وهم هناك ان السير كولين كمبل بطل المّا في القرم تعين قائداً عاماً للجنود الانكليزية في الهند وانه وصل اليها فانتعشت قلوبهم وتشددوا ٠ ولانطيل الشرح في تفصيل الوقائع لاننا نريد بما نكتبه العبرة والموعظة اكثر مما نريد الحكاية او القصة — فالانكليز على قلة عددهم انتصروا على الهنود فافرجوا عن لكناو وغيرها وفتحوا سائر المعاقل لكنهم خسروا

كثيرين من كبار قوادهم وفي جملتهم هافلوك المذكور فانه مات هناك بالدزنطاريا . وقد صبر الهنود وجالدوا وهم كثار وفيهم شجاعة وانما ينقصهم التدريب والنظام وانقضت الثورة في اواسط سنة ١٨٥٨ وكانت نتيجتها ان الهند بعد ان كانت تحت سيطرة شركة تجارية اعلنت دولة انكلترا انها ملك لها تتصرف بها كما تشاء

٥ — العبرة التاريخية . الاميركان والهنود والمصريون

كان الاميركان في اقصى الغرب والهنود في اقصى الشرق وكلاهما تحت سلطة الانكليز وقد حاول كل منهما الخروج من سيادتها لاسباب متشابهة ترجع الى ضغط الانكليز عليهم واستئثارهم بمنافع بلادهم . ففاز الاميركان وعددهم لا يزيد على مليون ونصف وجندهم قليل وفشل الهنود وهم مئتا مليون وجندهم ستة اضعاف الجند الانكليزي . فما الذي يمتاز به الاميركان حتى ظفروا بضالتهم مع قلة عددهم ؟ انما يمتازون بالعلم والتربية فان سبعة آلاف رجل لا يهاجمون مدينة حصينة على اسوارها ٣٠,٠٠٠ مقاتل ويفتحوها عنوة الا اذا كانوا يفوقون تلك الحامية بالتدريب العسكري والنظام الحربي . ألم يفتح الانكليز دهلي بسبعة آلاف وحاميتها ثلاثون الفاً ؟ وقد افرجوا عن لكناو بخمسة آلاف وستمائة مقاتل والهنود حولها خمسون الفاً — وانما غلبوا بالنظام العسكري والتدريب على الثبات في مواقف القتال وكل ذلك من نتائج التعليم والتربية

لم يطلب الاميركان الاستقلال الا بعد ان توثقوا من قوتهم وتدربوا على الحروب فحاربوا الانكليز بسلاح مثل سلاحهم وعقول مثل عقولهم ورجال مثل رجالهم ونظام مثل نظامهم لانهم تعلموا بمدارس مثل مدارسهم وتربوا مثل تربيتهم . واما الهنود فقد كانوا ينفرون من كل ما هو انكليزي ويستنكفون من تقليد الانكليز وسائر الافرنج بشيء من أسباب رقيهم لشدة تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم ولو تعلموا وتثقفت عقولهم لزالت هذه الاوهام من خواطرهم وعلموا حقيقة مركزهم ولم يبدوا حركة قبل ان يستعدوا لها علماً وعملاً

ولم يكن الانكليز قبل الثورة يهمهم تعليم الهنود فتركوهم على ما كانوا عليه من العلم القديم والتربية القديمة وهما لا يغنيان فتيلا بين يدي التمدن الحديث . والهنود لم يهتموا بترقية التعليم من عند انفسهم ببذل الاموال في انشاء المدارس لانهم مثلنا كانوا ولا يزالون حتى الآن عالة على الحكومة في التعليم والتربية - وليس من مصلحة الفاتحين ترقية الشعب

الخاضع لهم الى مصاف الامم الراقية التي يخشى بطشها وان كانوا لا يمنعونها من الرقي اذا هي ارادته باجتهادها وسعيها وأنفقت عليه من اموالها

والانكليز اليوم اهل حكمة ودهاء ينظرون الى جواهر الامور دون اعراضها فهم اذا استعمروا بلداً او احتلوه انما يهمهم من استبقائه لهم الانتفاع بتجارته وزراعته دون سواهم او ان يمتازوا بالانتفاع منه على سواهم • فاذا تأتى لهم ذلك بلا استعمار او سيادة قنعوا • فارتقاء مستعمرات انكلترا في معارج المدنية لا يضرّها بل هو يزيد اسباب كسبها وان كانت لا ترى من مصلحتها السعي في ذلك بنفسها • فاذا تعلمت الهند وتنظمت حتى اصبحت قادرة على مناهضة انكلترا والاستقلال من سلطتها فانكلترا لا تحاربها ولكنها تعطيها استقلالها بمحالفة او عهد تشترط فيه ان يكون لها التقدم على سواها بالانتفاع من محصولات تلك البلاد او تجارتها — هكذا فعلت سنة ١٩٠١ باوستراليا وكانت من مستعمراتها كما كانت اميركا وكما هي الهند الآن ولكن الاوستراليين تعلموا وتربوا وارتقوا وعلمت انكلترا قدرتهم على الاستقلال فمنحتهم اياه راضيةً على شروط مفيدة للجانبين

على ان هذه النتائج لا يرجى وصول الهنود اليها طالما كان التعليم العالي عندهم في ايدي الحكومة فهي لا تعلمهم ما تخشى معه على مصلحتها — يدلك على ذلك ان الانكليز مضى عليهم نصف قرن منذ اصبحت الهند ملكاً لهم وليس فيها مدرسة كلية ولا جامعة تستحق الذكر . ولو راجعت تقاريرهم واخبارهم لرأيتهم يذكرون في الهند خمس مدارس جامعة انشأوا ثلاثاً منها في السنة التي هبت فيها الثورة واحدة في كلكتة والأخريان في مدراس وبمباي ثم انشأوا اثنتين أخريين في الله اباد والبنجاب . وقد يتوهم القارئ لاول وهلة انها من قبيل جامعة اكسفورد او كمبريدج وما هي بالحقيقة الا لجان لامتحان التلامذة الذين يتخرجون في المدارس الكلية وهذه لا تقاس بالمدارس الكلية في العالم المتمدن . ومع ان عددها يناهز مئتي كلية فهي لا ترقي الامة لانها لا تعلم علوم الكليات الكبرى وانما سموها كليات تمويهاً وترغيباً ـ كما نسمي نحن الشهادة التي ينالها تلامذة المدارس العالية بمصر « بكلوريا » وعلومها لا تكاد تقابل بعلوم المدارس الاستعدادية الصغرى . ويدلنا على منزلة الهند الادبية حال صحافتها فعدد الصحف فيها ٨٩٠ صحيفة اي انها لا تزيد على اربعة اضعاف صحفنا عدداً وسكان الهند يزيدون على خمسة عشر ضعف سكان هذا القطر

ولا فائدة من كل ما بسطناه ان لم يكن فيه عبرة لنا وقد سئمنا تكرار الشكوى من

ضعف وسائل التعليم عندنا ونحن لسوء الحظ لانزال الى اليوم عالة على الحكومة في التعليم وهي لا تعلمنا الاً ما يوافق مصلحتها . ولا يسعنا انكار الخطوة الكبرى التي خطتها نظارة المعارف في سبيل ترقية التعليم بعد ان تولى شؤونها سعد باشا زغلول ناظرها الجديد بل هي دخلت على يده في عصر جديد . ولكن أما آن لنا ان نخرج من طور الطفولية وننفض ذل الوصاية ونخلع ثوب الخمول ونتشبه بالامم الراقية ببذل المال في طلب العلم ؟ وفينا الاغنياء وبعضهم من ارباب الملايين وهم يطالبون الحكومة بالدستور تشبهاً بالامم الراقية وما من امة نالت هذه النعمة بمجرد الطلب وانما نالها بالتعليم العالي والتربية الصحيحة حتى يصير جمهور الامة عالماً بماله وماعليه . ولايتسنى ذلك الاَّ بان نتولى الامة تعليم ابنائها بنفسها فتنشىء المدارس الكبرى من مالها وتدخل فيها التعليم الراقي وتختار لها اساتذة يفيدون بقدوتهم اكثرمما يفيدون بعلمهم فيبثون في الشبيبة المصرية روح الفضيلة و يعلمونهم الاعتماد على النفس وعلو الهمة ليدركوا معنى الحرية الشخصية و يتعودوا استقلال الفكر . لا يكفينا ان نقلد المتمدنين بطلب الدستور بل يجب علينا اولاً ان نقلدهم بطلب العلم وهو اساس التمدن الحقيقي ومرجع الادارة والسياسة وقوام الاجتماع

العلم والادب

من ادب اولاده ارغم حساده

من لم يتأدب في صغره لم يترأس في كبره

من فاته الادب لم ينتفع بالحسب

اهل الادب هم الاكثرون وان قلّوا

لولا العلم لكان الناس كالبهائم

من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابداً

زلة العالم لا تستقال واذا ذل العالم ذل به العالم

مات خزنة المال وهم احياء وعاش خزان العلم وهم اموات

العلم انفس شيء انت ذاخره ... من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
اقبل على العلم واستقبل مقاصده ... فاول العلم اقبال وآخره

ومن الاحاديث المأثورة : هلاك امتي في شيئين ترك العلم وجمع المال

تاريخ الازياء الشرقية

من اقدم الازمنة الى الآن

نريد بالازياء الشرقية ما يكتسي به اهل الشرق الادنى بمصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما يليها من العالم الاسلامي . ونريد بتاريخها ماتقلبت عليه من الاشكال والاحوال من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن بما تعاقب على الشرق من الدول المختلفة جنساً ووطناً ولغة ولا ننظر في احوالها قبل التاريخ لان ذلك يتعلق بتاريخ الكساء على العموم وقد كتبنا فيه مقالة ضافية في السنة الرابعة من الهلال في جملة مقالاتنا عن « تاريخ الانسان في اوائل العمران » فنكتفي هنا بتاريخ الكساء الشرقي على الخصوص . وتسهيلاً للبحث نقسم الكلام في ذلك الى ملابس الرجال وملابس النساء ونستوفي الكلام في كل منها على حدة :

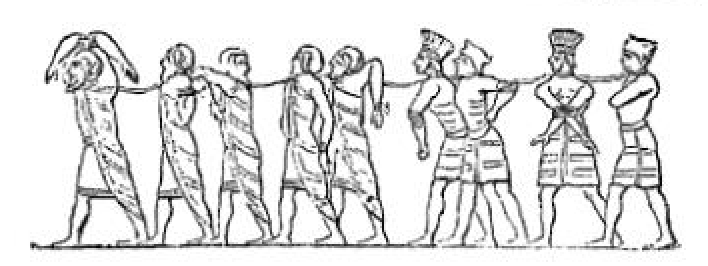
١ — ملابس الرجال

قضى الانسان دهوراً وهو يكتسي بالتراب يجبله ويمرغ به جلده ثم اكتسى باوراق الشجر وجلود الحيوانات حتى اذا اخترع الغزل والحياكة اصطنع الاقمشة يلتف بها كالشملة او النقاب ثم اخترع الخياطة فاصطنع الاثواب وتفنن في اشكالها وازيائها والوانها على ما تقتضيه طبائع الاقاليم واذواق اهلها وسائر احوالهم من العسر واليسر والحر والبرد . ونقسم الكلام في ملابس الرجال الى ما كان منها قبل الاسلام وما كان بعده

ملابس الرجال قبل الاسلام

اقدم كساء اتخذه الشرقيون بعد اختراع الحياكة الشملة وهي قطعة من نسيج قطني كالملاءة لا تزال شائعة عند اهل البادية الى اليوم يأتزرون ببعضها ويرسلون طرفاً منها مستطيلاً على اكتافهم حتى يتدلى على ظهورهم فيغطي معظم الصدر والظهر وترى في الشكل الاول رجالاً من الحثيين الذين عمروا الشام واسيا الصغرى قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد وجدت صورهم على الآثار المصرية في جملة الاسرى الاجانب

وترى على بعضهم شملة التحف معظمها وارسل بعضها على ظهره . وقد يغطي بها رأسه



ش ١ — الشملة

او يتخذ شملة صغيرة يلفها حول رأسه كالعمامة · وقد يقتصر من الشملة على ما يحيط بالحقوين كالمرط او الوزرة ويترك سائر جسمه عاريًا وهو ابسط انواع الكساء من المحوك بلا خياطة كما ترى في الشكل الثاني وهي ضروب من البسة عامة المصريين القدماء

اما ابسط الاكسية من المخيط فهو القميص او القنباز وعند المصريين القفطان وهو اقدم الالبسة الشرقية كانوا يلبسونه بلا سراويل ويختلف طولاً وقصرًا باختلاف الامم والاشخاص فالعامة من الصناع والفلاحين والفعلة كانوا يلبسونه قصيرًا لا يتجاوز اسفل الركبة ولا يزال ذلك شان اهل البادية الى اليوم فيكتفي احدهم بذلك القفطان او القميص بلا نعال ولا عمامة وهو شان عامة السودان لهذا العهد فانهم يخرجون بشملة او قفطان قصير حفاة الاقدام مكشوفي الرؤوس ويطلقون شعورهم فتجعد وتتراكم كالعمامة او القلنسوة وربما استخدموها مغرزًا لنبل او مثبر او نحوهما من الادوات الصغيرة

ش ٢ — الوزرة

اما الخاصة والكهان ورجال الدولة فكانوا يطيلون قفاطينهم ويخيطونها من قماش ثمين كالخز او الاستبرق او الابريسم يزركشونها بالحرير او يطرزونها بالقصب وربما زينوها بمناطق من الجلد الملوَّن او الذهب او لبسوا فوقها الدواريع او علقوا عليها ادوات الزينة وقد يلبسون تحتها السراويل القصيرة ويقتدي بهم خدم البلاط فيطيلون قفاطينهم احترامًا لهم كما ترى في الشكل الثالث


ش ٣ — ملك اشوري وخادمه

على أن الملوك المحاربين اوالقواد كانوا يلبسون القفطان قصيراً ويميزونه عن ملابس العامة بالحلي والطراز او يجملونه بشكل يليق بمناصبهم كما كان يفعل الفراعنة فان ملوكهم كانوا يأتزرون فوق القفطان بمآزر عليها اصناف الزينة يطول بنا وصفها وتراها في الشكل الرابع

على أن البلاد الباردة في شمالي العراق وفارس اقتاد اهلها بطبيعة الاقليم الى اصطناع السراويل التماساً للدفء وربما لبسوها بلا قميص او هو الوزرة وقد تحولت الى سراويل بالتدريج

(لباس الرأس) — واما لباس الرأس فكان خاصاً بكبار القوم من الحكام او الكهنة او الامراء ونحوهم وقد يتخذه العامة في بعض الاحوال اتقاء البرد او الحر او المطر · وابسطه النقاب لانه يلقى على الرأس بلا كلفة ولا صناعة وقد كان في الزمن القديم بعض الشملة وهو كساء المغاربة الى اليوم · ثم جعلوه قطعة مستقلة يغطي بها الرأس ويتقى سقوطها بعصابة هي العقال وهما لباس الرأس في بدو العرب حتى الآن ويعبرون عنهما بالكوفية والعقال · وكان عامة المصريين القدماء يلبسون على رؤوسهم كساء كالكيس يغطون به شعورهم


ش ٤ — لباس الفراعنة ونسائهم

على ان القاعدة العامة في كساء الرأس ان يكون المراد به في الاصل الزينة او علامة شرف او رتبة او منصب فاذا شاع استخدام نوع منها وابتذل لبسه العامة ٠ ويرجع كساء الرأس في الشرق القديم الى ثلاثة اشكال العمامة والقلنسوة والضفائر ٠ فالضفائر اكسية من الشعر تصنع جدائل مصففة ومتراكبة بعضها فوق بعض بشكل ارأس كان المصريون القدماء يلبسونها على رؤوسهم رجالاً ونساء حتى الامراء والقواد ولا نعرف أمة شاركتهم بهذه العادة وترى امثلة كثيرة من هذه الضفائر في المتحف المصري

اما القلنسوة فوعاء يخاط من الجلد او النسيج او يصنع من اللباد بشكل يلائم الرأس وهي ضروب شتى اهمها تيجان الفراعنة واشكالها عديدة بين هرمي الشكل واسطوانيه مفرد أو مزدوج ٠ وعلى التاج علامات ورموز ٠ ومنها قلانس ملوك اشور كالقبعة او الخوذة انظر الشكل الثالث ٠ وقلنسوة الملك عندهم أشبه بقلانس الفرس الى اليوم وهي قريبة الشبه بالطربوش وكانت هذه التيجان للفراعنة والاشوريين تصنع من الذهب او نحاك به أو ترصّع

والعمامة تشبه قلنسوة الكهنة من عهد موسى وهارون ولعل العرب قلدوا اليهود بها ولم يكن يلبسها الا كبارهم ولذلك قالوا العمائم تيجان العرب ولا نظنها كانت شائعة قبل الاسلام الا في الخاصة كالكهان والامراء ولما ظهر الاسلام لبسها النبي واصحابه ثم لبسها كل مسلم كما سترى



ش ٥ — نعال المصريين القدماء

(الاحذية) اما الاحذية فيقال فيها مايقال بكساء الرأس لانها كانت من لباس الخاصة ولاسيا في مصر وأشور وفينيقية واما جزيرة العرب فالنعال كانت قليلة فيها ولا سيا في البادية الا المدن كالطائف والمدينة ومكة وصنعاء فقد كانت شائعة فيها ٠ وهي يومئذ نعال من جلد أو خشب مشدودة بسيور من جلد اوخوص او مرس وكان المصريون القدماء ينسجون نعالاً من سعف النخل

وقد تفننوا باصطناعها على اشكال كثيرة ترى امثلة منها في الشكل الخامس فان سيورها مجدولة على الغالب من القنب او الياف البردي ٠ اما الاشوريون فاحذيتهم


ش ٦ — النعال الاشورية

تختلف عن هذه بان نعالها لا تستطيل وتستدق من الامام بل هي تنتهي عند اسفل الابهام وتشد الى القدم بسيور منحرفة تكسو العقب وتشد من الامام بسيور فوق الابهام على اسلوب لطيف كما ترى في الشكل السادس

ملابس الرجال بعد الاسلام

الاسلام غير وجه البسيطة وبدّل نظام الاجتماع بما ترتّب على فتوحه من تقارب الامم المتباعدة او اختلاطها فلا غرو اذا احدث تغييراً في الازياء والناظر في هذا التغيير يراه قد مرّ باربعة اعصر وهي العربي والفارسي والتركي والعصر الافرنجي الأخير فننظر في كل منها :

١ — العصر العربي

نشأ الاسلام في جزيرة العرب ولباس الرجال فيها القفطان وما يتبعه من قميص او عباءة او ازار او بردة او حبرة والخاصة يلبسون العمائم وينتعلون الاحذية . فالنبي واصحابه كانوا من الخاصة وما لبث ان ظهر الاسلام حتى اصبح العرب قواداً وامراء واهل دولة فشاعت العمامة فيهم على اختلاف الطبقات واصبحت شعار المسلمين . وكانوا لا يعرفون من الانسجة غير القطن والصوف الا من كان يفد منهم على الشام وفارس في زمن الجاهلية لتجارة او رحلة فكانوا يقلدون اهلها باتخاذ بعض الانسجة الثمينة ومن فعل ذلك اشتهر فعله بين القبائل وجرى ذكره على الالسنة بانه اول من لبس الثوب الفلاني او اتخذ النسيج الفلاني . اما بعد الاسلام فزاد اختلاط العرب بتلك الامم واضطروا بطبيعة العمران الى تقليدها ولا سيما في عهد بني امية مع محافظتهم على الزي العربي الاصلي . فابقوا العمامة والقفطان والقميص والبردة ولكنهم حاكوها من الحرير والخز ولونوها بالالوان الزاهية وطرزوها بالقصب او الذهب وقد كان ذلك محظوراً على المسلمين في عصر الراشدين . والامويون اول من اطلق سبيل البذخ والترف لكنهم حافظوا على الزي العربي لان دولتهم كانت عربية بدوية شديدة التعصب للعرب ولم يقتبسوا من ملابس الروم او الفرس غير الجبة والطيلسان والقباء . وظلت العمامة كما هي مع اختلاف قليل . اما القفطان فبعد ان كان قصيراً وقد اوصى النبي ان لا يتجاوز اسفل الركبة فانهم ارسلوه الى الاقدام وارتدوا فوقه بالجبة واحتذوا النعال وتفننوا في صنعها . وفي الشكل السابع امثلة من لباس العرب في الدولة الاموية وهو يكاد يكون لباس هذه الايام

ذلك كان زي المسلمين الذين تحضروا بعد الفتح على اختلاف طبقاتهم لا تتفاوت البستهم الاّ بالالوان والاتقان والزي الاصلي واحد · فكان بعضهم يصنع قفطانه من القطن وآخر يصنعه من الحرير او البز وآخر ينسجه بالذهب وآخر يطرزه بالقصب وكان بنو امية يكثرون من الثياب الموشاة · وكذلك العمائم فاختلفت اشكالها والوانها واقدارها واصبح لكل من طبقات العامة وطبقات الخاصة عمامة تختلف عن عمائم الطبقات الاخر شكلاً ولوناً وهنداماً بين المستديرة والمسلطحة والمستطيلة والمخروطية والمنحرفة وذات الذؤابة والذؤابتين كما ترى في الشكل الثامن · واعتبر ذلك في الحذاء والجبة والقباء وغيرها مما يضيق عنه المقام



ش ٧ — ملابس المسلمين في العصر الاموي

ش ٨ — اشكال العمائم

٢ — العصر الفارسي

يبدأ هذا العصر بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ لانها قامت بقواد من الفرس ونظمها وزراء من الفرس واقيمت قصبتها على حدود بلاد الفرس وكان خلفاؤها يقدمون رجال الفرس ويقلدونهم ويقتبسون عاداتهم ومن جملتها الازياء · وكانت ملابس الفرس تمتاز عن ملابس العرب بالقلنسوة بدل العمامة وبالسراويل بدل القفطان ويلبسون فوق السراويل القباء او الجبة او الدراعة · وكانت القلنسوة في العراق من عهد الاشوريين كما رايت فلعل الفرس اقتبسوها منهم لما فتحوا بلادهم او كانت عندهم من قبل · اما العرب فالذي نعلمه ان المنصور ثاني الخلفاء العباسيين لم يكفه تسرّب الزي الفارسي تدريجاً بطبيعة العمران فامر رجاله سنة ١٥٣ هـ ان يجعلوه زيّهم الرسمي بان يلبسوا القلانس الطويلة تدعم بعيدان من داخلها بدل العمائم او يعتموا فوقها بعمامة صغيرة وان يلبسوا الاقبية والدراريع وان تعلق السيوف باوساطهم — ويشبه ذلك اختصاص العسكرية

يلبسها الخاص اليوم . فلما شاع هذا الزي في رجال الدولة قلدهم بعض الخاصة او التجار فلبسوا القلنسوة ولم يطولوها ولفوا العمائم حولها كما ترى في الشكل التاسع

اما جمهور المسلمين ولاسيما الفقهاء والعلماء فقد ظلوا على اللباس العربي وهو العمامة والقفطان والجبة كما تقدم لانه في اعتبارهم شعار المسلمين



ش ٩ — العمامة حول القلنسوة

واقتبس العرب من الفرس في ذلك العصر السراويل الظاهرة تصنع من الخز او الديباج او القطن او الصوف ويلبس فوقها القباء قصيرًا حتى تظهر ساق السراويل مرسلة الى القدمين كما ترى في الشكل العاشر

ولما شاع لبس السراويل الفارسية تفنن الناس في ازيائها بين قصير وطويل وواسع وضيق باختلاف طبقاتهم وعاداتهم . وشاع لبس الطيالسة في العصر الفارسي وتفنن الناس بالالبسة كما تفننوا بالآنية والعدة . واختصت كل طائفة بزي وترجع كلها الى زيين عامين زي الجند وهو القلنسوة بالعمامة او بدونها ويلحق بهم رجال الدولة . وزي الفقهاء والعلماء وهو العمامة والقفطان الطويل ويلحق بهم العامة

ش ١٠ — السراويل الفارسية

اما الاحذية فقد تحولت عند الخاصة الى حذاء كالجراب تدخل القدم فيه يسمونه الخف ويلبسون فوقه حذاء قصيرًا يكسو القدم الى اسفل الكاحل يسمونه الجرموق وربما سموه

ايضاً البابوج ولفظه فارسي من «پا» رجل «وبوش» لباس . ويضيق المقام عن تعداد اصناف الالبسة التي شاعت في هذا العصر يصنعونها من البز او الخز او الديباج او الوشي من القطن او الحرير الصوف ويغلب ان تكون الوانها زاهية براقة كالاحمر والاصفر والاخضر الا رجال الدولة العباسية فقد كان لباسهم الرسمي الاسود كما كان لباس الدولة الأموية الابيض

٢ — العصر التركي

يبدأ هذا العصر بتجنيد المعتصم للاتراك في اوائل القرن الثالث للهجرة ثم توافدهم بعد ذلك من فرغانة واشروسنة وسائر تركستان الى العراق والشام ومصر واقتدى بهم الجركس والاكراد وغيرهم للخدمة في الجند او للفتح كالسلاجقة واتابكتهم والايوبيين الاكراد ومماليكهم وآل عثمان وغيرهم . وكان لبلاد الترك ازياء تخالف الازياء التي كانت شائعة في الشرق الادنى فانتقال الاتراك الى هذه البلاد اثر في اخلاق اهلها وآدابهم وملابسهم . ويصعب علينا تعيين التغيير الذي حدث في الازياء وانما يقال بالاجمال ان العصر التركي يمتاز بتكاثر لبس الفرو والسمور والوشق والسنجاب ولكنه قلما اثر في ملابس العلماء والفقهاء وجمهور العامة فان هؤلاء ظلوا على ما كانوا عليه من الجبة والقفطان والعمامة ولا يزالون عليه الى الآن

على ان العصر التركي يمتاز بالتغيير الذي اصاب ازياء رجال الدولة والاجناد ومن يلحق بهم من جالية الاتراك للتجارة او الصناعة . ففي الدولة العثمانية مثلاً كانت ملابس الاجناد ورجال الحكومة تختلف باختلاف الاعصر واختلاف الرتب ولا سيا ملابس الرأس فقد تنوعت في القرنين السادس عشر والسابع عشر تنوعاً عجيباً . واليك امثلة منها :



ش ١١ — لباس الرأس في الجند التركي القديم

وفي الشكل ١١ سبعة ازياء ننشرها على سبيل المثال في الاول قلنسوة كبير اغوات الانكشارية بالقاهرة والثاني امير من امراء المماليك والسادس رأس ابي طبق وهو المندوب الذي كان المماليك يبعثونه لتبليغ الباشا في قلعة القاهرة عزله واسمه يدل على نوع لباس رأسه فقد سمي ابا طبق لان عمامته تشبه القصعة . اما الرابع والخامس والسابع فهي اشكال ملابس فرقة من الجند العثماني

كانت تمشي بركاب سلاطين آل عثمان في خروجهم الى الصلاة او الى مكان آخر في القرن السادس عشر للميلاد . اما الشكل الثالث فهو رأس احد اغوات الانكشارية نحو ذلك الزمن

وظلت العمامة مع ذلك شائعة في بعض فرق الجيش او هي لباس العساكر على الاجمال وان اختلفت شكلاً وهنداماً كما ترى في الشكل الثاني عشر وهي تمثل احد اغوات الانكشارية وثلاثة من رجاله . فترى عليه القفطان والجبة وعليهم السراويل الواسعة والكبران وهو القباء القصير وعلى رؤوسهم العمامة




ش ١٢ — احد اغوات الانكشارية ورجاله

واعتبر هذا الاختلاف في سائر رجال الدولة . وقد يكون للامير او الآغا او الوزير اشكال من اللباس يبدلها حسب الاقتضاء فيلبس القلنسوة تارة والعمامة اخرى ويلبس السراويل آونة والقفطان آونة اخرى . والقاعدة في انتشار الازياء ان يبدأ بها السلاطين او الخلفاء وتنتقل منهم الى الامراء والوزراء ولا تزال تنتشر حتى تصل الى الكاتب الصغير والنفر من الجند حتى العامة . ويتخذ الخاصة زياً آخر ترفعاً عن مشابهة العامة ثم يبتذل هذا الزي كالذي سبقه فيبدلونه بغيره

على ان الخلفاء والسلاطين ظلوا يلبسون العمائم حول القلانس او بدونها وتفننوا باختيار الانسجة التي تصنع القلانس او العمائم منها بين ان تكون من الوشي او


ش ١٣ — تيجان ملوك الشرق

الديباج او الخز بالتطريز او بدونه وتفنن بعضهم باشكالها تفنناً عجباً ولا يزال هذا التفنن باقية في ملوك المشرق بتيجان يلبسونها باوقات مختلفة ترى امثلة منها في الشكل الثالث عشر

عن ان الازياء لم تكن تستقر على شكل واحد قرناً كاملاً وربما تبدلت كل بضع سنين او عند تبديل السلاطين او الامراء واليك مثال من ذلك التبديل ذكره المقريزي في وصف لباس الجند التركي بمصر على عهد السلاطين المماليك قال :



ش ــ ١٤ كبار رجال الدولة العثمانية في القرن السابع عشر

« كان من الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامراء وسائر العساكر انما يلبسون على رؤوسهم كلوتة صفراء مضربة تضريباً عريضاً ولها كلاليب بغير عمامة فوقها وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدبوقة وهي في كيس حرير اما احمر او اصفر واوساطهم مشدودة ببنود من قطن بعلبكي مصبوغ عوضاً عن الحوائص وعليهم اقبية اما بيض او مشجرة احمر وازرق وهي ضيقة الاكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم واخفافهم من جلد بلغاري اسود وفي ارجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان ومن فوق القبا كمران بحلق وابزيم وصوالق بلغاري كبار يسع الواحد منها اكثر من نصف ويبة غلة مغروز فيه منديل طوله ثلاثة اذرع فلم يزل هذا زيهم منذ استولوا بديار مصر على الملك من سنة ثمان واربعين وستمائة الى ان قام في المملكة الملك المنصور قلاوون فغير هذا الزي بأحسن منه ولبسوا الشاشات وابطلوا لبس الكم الضيق واقترح كل احد من المنصورية ملابس حسنة

فلما ملك ابنه الاشرف خليل جمع خاصكيته ومماليكه وتخير لهم الملابس الحسنة وبدل الكلوتات الجوح والصفر ورسم لجميع الامراء ان يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركش والطرازات الزركش والكلايش الزركش والاقبية الاطلس المعدني حتى يميز الامير بلبسه من غيره وكذلك في الملبوس الابيض ان يكون رفيعاً واتخذ السروج المرصعة والأكوار المرصعة فعرفت بالاشرفية وكانت قبل ذلك سروجهم بقرابيس كبار شنعاء وركب كبار بشعة فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون استجدّ العمائم الناصرية وهي صغار فلما قام الامير يلبغا العمريّ الخاصكي عمل الكلوتات اليلبغاوية وكانت كباراً واستجد الامير سلار في ايام الملك الناصر محمد القباء الذي يعرف بالسلاري وكان قبل ذلك يعرف بغلوطاق فلما تملك الملك الظاهر برقوق عمل هذه الكلوتات الجركسية وهي اكبر الى اليلبغاوية وفيها عوج *

اما الشربوش وهو اصل الطربوش الشائع الآن فقد كان في دولة الاتراك شيئاً يشبه التاج مثلث الشكل بلا عمامة حوله يلبسه الامراء والوزراء ويلبسون معه من الاثواب ما يميز رتبة لابسه كما ترى في الشكل الرابع عشر وفيه صورة الوزير في اليسار تليها صورة القائمقام فرئيس افندي فالخاجيغان



ش ١٥ — جند البحرية العثمانية في القرن ١٨

وكان للبحرية العثمانية في القرن الثاني عشر لباس خاص يختلف عن سائر البسة الجند وهو عبارة عن سراويل واسعة فوقها كبران قصير والعمامة على الرأس كما ترى في الشكل الخامس عشر

وسنأتي على وصف لباس الرجال في العصر الاخير ثم ملابس النساء في فرصة اخرى

التعليم دليل القوة

قوة الامة بمدارسها وكثرة الطلبة ككثرة الجند

قلنا في غير هذا المكان ان الامة اذا ارادت الاستقلال او الدستور او اي سبب من اسباب الارتقاء الاداري او السياسي لا تناله الا بالعلم والتربية ونحن موءيدون قولنا الآن بالارقام وهي اصدق الادلة واوضح البراهين لانها مبنية على الاحصاء الرسمي :

النسبة بين سكان المملكة وعدد الطلبة في مدارسها

اذا نظرت الى الممالك المتمدنة وقابلت بين عدد سكان كل منهن وعدد الطلبة في مدارسها رأيت اقربهن الى الارتقاء اكثرهن طلبة وكلما زاد عدد الطلبة في امة زاد اقتدارها العسكري و الاداري او السياسي او التجاري وكانت اقرب الى المدنية والرقي في طبقات الاجتماع — وهذا جدول فيه عدد السكان في اشهر الممالك المتمدنة وعدد التلامذة في مدارسها نقلاً عن الاحصاآت الرسمية الاخيرة وقد رتبناها باعتبار كثرة الطلبة فيها :

اسم المملكة	سكانها	عدد الطلبة بمدارسها	نسبة الطلبة في المئة
الولايات المتحدة	٧٦,٣٠٣,٠٠٠	١٨,٨٨٧,٠٠٠	٢٣'٥
انكلترا	٤١,٩٧٦,٠٠٠	٧,٠٠٠,٠٠٠	١٦'٦
اليابان	٤٧,٩٠٠,٠٠٠	٧,٥٥١,٠٠٠	١٥'٧
المانيا	٦٠,٥٠٠,٠٠٠	٩,٤٠٠,٠٠٠	١٥'٦
النمسا	٢٦,١٥٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	١٥'٤
فرنسا	٣٩,٢٠٠,٠٠٠	٥,٥٠٠,٠٠٠	١٤'٣
ايطاليا	٣٣,٠٠٠,٠٠٠	٤,٧٠٠,٠٠٠	١٤'١
روسيا	١٢٥,٥٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠	٤'٨
مصر	١٢,٠٠٠,٠٠٠	٢٥٧,٦٩٤	٢'١
الهند	٢٤٩,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	١'٧

فترى من الامعان في هذا الجدول ان اكثر الامم عناية في تعليم ابنائها الولايات المتحدة الاميركية ولا عجب فان الاميركان ذاقوا ثمار التعليم لانه كان عوناً لهم في

استقلالهم فزادوا رغبة فيه وهم اليوم أكثر الامم تقدماً في الاختراع والصناعة والثروة حتى اصبحت اوربا تخافهم على تجارتها وصناعتها • ويلي الاميركان الانكليز وهم أكثر الممالك العظمى سعياً في تعليم ابنائهم ولكن الفرق بينهم وبين الاميركان في ذلك أكثر من الفرق بينهم وبين سائر الدول

ويلي الانكليز اليابان فانهم أسبق دول أوربا (الا انكلترا) الى تعليم ابنائهم وهم أكثر طلبة من المانيا والنمسا وفرنسا وايطاليا • فهل تستغرب بعد ذلك حصولهم على الدستور ؟ وقد ظهر ذلك للعالم بغتة فظنوه حصل لاسباب فوق العادة فاذا علمت منزلة هذه الامة من التعليم رأيتها نالت هذه النعمة بحق جرياً على الناموس العام • لكنها فعلت ذلك بالتوءدة والهدوء ولم تصح او تستغث أو تستصرخ كما نفعل نحن • وبعضنا يفاخر دول أوربا بتقدم اليابان لانهم مشارقة مثلنا ويلتمس ان تنال الدستور كما نالوه وفاته ان التعليم عندهم ارق مما هو عندنا بسبعة أضعاف بالنظر الى عدد المتعلمين • اما بالنظر الى درجات العلوم فربما فاقونا عشرين ضعفاً لان عندهم مدرستين جامعتين عدد المعلمين فيهما ٤١٠ وعدد طلبتهما ٥,٨٥١ طالباً وكل منهما مؤلفة من عدة كليات للقضاء والطب والادب والعلم والهندسة والزراعة • وفي اليابان مئة مكتبة عدد مجلداتها ١,١٠٠,٠٠٠ مجلد — وعدد صحفها ومجلاتها ١٥٩٠ صحيفة — فلا عجب اذا نالت الدستور • ولا غرو اذا غلبت دولة الروس في حربها الاخيرة والروس اضعف دول أوربا تعليماً وهم يطلبون الدستور عبثاً وكيف يصلحون له ونسبة الطلبة في مدارسهم الى عددهم كنسبة ٤٫٨ الى مئة ؟ ليس في العالم أمة تصلح لهذه النعمة والتعليم فيها ضعيف الى هذا الحد • فكيف بنا نحن ونسبة الطلبة بمدارسنا الى عددنا كنسبة ٢٫١ الى مئة وابعد منا عن ذلك أخواننا الهنود • فلندعهم يعالجون علتهم بانفسهم ولنلتفت الى علتنا ونعالجها

المدارس المصرية امس واليوم

ان داءنا يختلف عن ادواء سائر الامم لاختلاف حالنا عن احوالهم فاننا لا نشكو قلة المدارس اوقلة الطلبة فيها فقط بل نشكو ايضاً من اسلوب التعليم وقلة العلوم العالية ونغضب لتدريس العلوم بغير لغتنا خوفاً على جنسيتنا — وقد رأيت في الجدول ان عدد الطلبة في المدارس المصرية ٢٥٧,٦٩٤ طالباً وهو الاحصاء الرسمي الاخير الذي اصدرته ادارة عموم الاحصاء لسنة ١٩٠٧ مفصلاً ويدخل فيه تلامذة المدارس غير الاميرية ومنها المدارس الانكليزية والاميركية والنمساوية والفرنساوية والهولندية والالمانية

واليونانية والايطالية والروسية في مصر والارياف فضلاً عن المدارس الاميرية وزد على ذلك ان هذا العدد معظمه من تلامذة الكتاتيب الصغرى التي تعلم القراءة البسيطة وهي ٤,٥٥٤ كتاباً عدد تلامذتها ١٦٥,٥٨٧ طالباً فالباقي للمدارس الاخرى ٩٢,١٠٧ طلاب يقسمون باعتبار درجات التعليم على هذه الصورة

١٦,٧٧٥	طلبة المدارس التحضيرية
٥١,٠٠٠	« « الابتدائية
٤,٣٠٠	« « الثانوية
١٦,٥٥٧	« « العالية
٣,٤٧٥	« « الصناعية وغيرها
٩٢,١٠٧	(الجملة)

فاذا اعتبرنا ضعف التعليم في هذه الكتاتيب رأينا انفسنا احط الامم المتمدنة تعلياً ويزيد أسفنا اذا علمنا اننا سائرون في هذا الطريق نحو الوراء بخلاف سائر الامم . ولا نستدل على ذلك بغير الارقام الرسمية :

كان عدد تلامذة المدارس المصرية سنة الاحتلال (١٨٨٢) ١٥٥,٦٢٣ تلميذاً منها ١٢,٢٤٧ طالباً في المدارس الاجنبية او الاهلية والباقي وهو ١٤٣,٣٧٦ طالباً في المدارس الاميرية تقسم على درجات التعليم كما يأتي :

١٣٧,٥٥٣	تلامذة المدارس الابتدائية
٤,٩٥٦	« « الثانوية والتجهيزية
٨٦٧	« « الفنية كالطب والهندسة والحقوق وغيرها
١٤٣,٣٧٦	(الجملة)

وبلغ عدد التلامذة بعد الاحتلال بخمس سنين (١٨٨٧) نحو ٢٠٠,٠٠٠ تلميذ فاذا قابلنا تلامذة المدارس الاميرية في عام الاحتلال بتلامذتها اليوم باعتبار درجات التدريس رأينا حالنا متأخرة لان تلامذة المدارس الابتدائية كانوا سنة ١٨٨٢ ١٣٧,٥٥٣ تلميذاً وهم اليوم ٥١,٠٠٠ والمدارس الثانوية كان تلامذتها ٤,٩٥٦ فاصبح ٤,٣٠٠ اما التعليم العالي او الفني فيظهر لاول وهلة انه زاد اليوم عما كان عليه قبلاً لانه اصبح اضعاف ما كان عليه يومئذ . ولكن تلامذة التعليم العالي الذين عددهم

١٦,٥٥٠ طالباً منهم نحو عشرة آلاف من تلامذة الازهر اصحاب التعليم العالي هناك وهو غير ما تقتضيه مطالبنا لانه قاصر على التعليم الديني واللساني

فترى ان تلامذة اليوم معظمهم في الكتاتيب . ولا تنكر فوائد هذه المدارس الصغرى لكن كثرتها لا تفيد امة تريد النهوض الى مصاف الامم الراقية . وقد بينّا في مقالة « المدرسة الكلية المصرية » في السنة الماضية تقصير المدارس الثانوية عندنا عن امثالها في البلاد الاخرى فلا حاجة الى التكرار وانما اردنا المقابلة الاجمالية بين التعليم اليوم وما كان عليه قبلاً وقد ظهر اننا لم نتقدم في هذا السبيل اذا كنا لم نتأخر . فضلاً عن اهمال اللغة العربية — على اننا اصبحنا بعد وزارة سعد باشا زغلول نرجو تدارك ذلك وقد ظهرت تباشير عمله في احياء اللغة العربية بالمدارس المصرية وارسال التلامذة لتلقي العلم في اوربا

المدارس والمطبوعات بمصر

قد رأيت ان التعليم بمصر لم يتقدم في عهد الاحتلال . وقد تقدم كل شيء في مصر الأ التعليم وكان ينبغي ان يتقدم هو اولاً حتى تكون خطواتنا في التقدمات الاخرى ثابتة . وفي جملة ما تقدم ونما من اسباب المدنية عندنا « المطبوعات » وسبب تقدمها اطلاق حرية المطابع فتهافت الناس على انشاء الصحف والمجلات وتأليف الكتب والرسائل فتضاعف عدد المطبوعات تضاعفاً عجيباً يندر حصول مثله في مثل هذه المدة القصيرة . وهذا التضاعف ظاهر للعيان لا يحتاج الى برهان ولكننا نؤيده بالارقام . ولا سبيل لنا الى احصاء عدد المطبوعات اليوم ولا اهتمّ اسلافنا باحصائها قبلاً حتى نقابل بين الحالين ولكننا نرجع الى مقابلة ما يرافق الحركة العلمية من المواد التي لا نستغني عنها كالورق مثلاً فانه قوام المطبوعات ولا بد من نسبة بينه وبينها . وكل ما في مصر من ورق الطباعة والكتابة انما هو وارد اليها من الخارج . ويؤخذ من تقارير الجمارك الرسمية عن مقدار الورق الذي يدخل هذا القطر للطبع والكتابة انه تضاعف كثيراً بين سنة ١٨٨٥ واليوم ويقدرونه باثمانه كما يأتي :

سنة	ثمن الورق الوارد بالجنيه
١٨٨٥	٥,٠٠٠
١٨٩٦	٣٧,٠٠٠
١٩٠٦	١٠٤,٠٠٠

فترى الورق قد زاد اليوم عما كان عليه في اوائل الاحتلال اكثر من عشرين ضعفاً . وقد يعترض بان « بعض هذا الورق يصرف للكتابة في الاماكن التجارية ونحوها » ولكن

معظمه للمطبوعات وهو يدل في الحالين على سرعة الحركة الادبية · وهناك دليل رسمي آخر على تضاعف عدد المطبوعات نعني تقارير مصلحة البريد عما تبودل بواسطتها من المطبوعات في عهد الاحتلال سنة فسنة — نأتي على خلاصتها خوف التطويل وفيها عدد المطبوعات المتبادلة كالصحف والكتب والمنشورات ونحوها وهي :

سنة	المطبوعات المتبادلة في القطر	المتبادلة مع الخارج صادر ووارد
١٨٨٢	١,٧٦٥,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
١٨٨٧	٢,٤٠٠,٠٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠
١٨٩٢	٣,٠٠٠,٠٠٠	٢,١٠٠,٠٠٠
١٨٩٧	٦,٥٠٠,٠٠٠	٣,١٥٠,٠٠٠
١٩٠٢	٩,٤٠٠,٠٠٠	٤,٣٠٠,٠٠٠
١٩٠٦	١٢,٩٤٠,٠٠٠	٩,٠٠٠,٠٠٠

فيتضح من هذا الجدول ان المطبوعات زادت من اول الاحتلال الى الآن تسعة أضعافها ناهيك بزيادة عدد الصحف في اثناء هذه المدة ومعظم الصحف المنتشرة بمصر اليوم نشأت في عهد الاحتلال ونمت في ظل الحرية وقراؤها يزدادون كل يوم مما لايحتاج الى دليل غير زيادة المطابع والمكاتب · فقد انشأنا الهلال منذ ١٥ سنة وفي مصر بضع مطابع وعددها الآن يعدُّ بالعشرات · وانشأنا مكتبة الهلال وليس بمصر الامكاتب قليلة وهي اليوم كثيرة والطلب على الكتب يتزايد والناس يبذلون المال في ابتياع الكتب والمجلات · كل ذلك يؤكد نموَّ المطبوعات نموًّا كثيرًا وهو يدلُّ على زيادة الحركة الادبية وشوق الناس الى المطالعة · وقد علمت مع ذلك ان التعليم ضعيف — فما هي عاقبة هذا التفاوت ؟

ان العاقبة ظاهرة لاتفتقر الى بيان — انها ظاهرة في فوضى الآراء وفوضى الاحزاب وفوضى الاقلام · لان كتاب الصحف من ارقى طبقات الامة ادبًا وعلمًا يطالعون صحف الافرنج ويطلعون على ادابهم فترتقي مداركهم وتسمو نفوسهم فيريدون ان يسيروا بالشعب الى مثل ما رأوه في الامم الاخرى فيكتبون والشعب لا يحسن فهم مرادهم لانه مقصر عنهم بالعلم والتربية فيفسد التفاهم بينهما · يريد الكاتب مثلاً ان يكون بمصر رأي عام مثل سائر الامم او ان يجمع القوم على حزب او مطلب فيكتب ويشرح ويستحث فلا يجد ما يؤمله · وقد يؤانس من بعضهم اصغاء وتأمينًا ولكن على غير هدي اذ ربما نقض في الغد ما ابرمه اليوم والانسان غير المتعلم وان كان ذكيًا حسن القصد اذا عرضت عليه رأيًا وافقك عليه

وشايعك فيه فاذا اتاه سواك برأي يناقضه سايره او وافقه لعجزه عن مباحثته ودفع برهانه والشعب الذي لم ينضج علمه كالطفل ضعيف المعدة لايقوى على هضم اللحوم او المعجنات وهي تشبه المواضيع السياسية التي يقدمها الكتاب لغير المتعلمين فلا عجب اذا ظهر التلبك في اقوالهم واعمالهم . ولا غرو اذا انقسم الكتاب في الآراء والاحزاب لانهم يكتبون لشعب علمه اقل مما تقتضيه حالته الاجتماعية والسياسية . ولا علاج لهذا الاضطراب وهذه الفوضى الأ زيادة المدارس وترقية العلوم ولا يكون هذا الأ بانشاء المدارس الاهلية من مال الاهلين على مابيناه في مكان آخر من هذا الهلال

وصف القلم

قال احد الشعراء :

ما السيفُ والسيفُ سيفُ الكميّ ... بأخوف من قلم الكاتبِ
لهُ غايةٌ إن تأملتها ... ظهرتَ على سوءة الغائبِ
اداةُ المنية في جانبيه ... فمن مثله رهبة الراهبِ
سنان المنية في جانب ... وسيف المنية في جانبِ
الم تر في صدره كالسنان ... وفي الردف كالمرهف القاضبِ
تجرى به الكف في حالة ... على هيئة الطاعن الضاربِ

وقال عمر بن الخطاب « تفقهوا قبل ان تسودوا »

وصف الكتاب

وقال الجاحظ في وصف الكتاب « من لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من في الأرض واكتم للسر من صاحب السر واحفظ للوديعة من ارباب الوديعة . ولا اعلم جاراً ابرّ ولا خليطاً انصف ولا رفيقاً اطوع ولا معلماً اخضع ولاصاحباً اظهر كفاية ولا عناية ولا اقل املالاً وابراماً ولا ابعد عن مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب . ولا اعم بياناً ولا احسن مؤاتاة ولا اعجل مكافأة ولا شجرة اطول عمراً ولا اطيب ثمراً ولا اقرب مجتنىً ولا اسرع ادراكاً ولا اوجدُ في كل ابانٍ من كتاب . ولا اعلم نتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده و رخص ثمنه وامكان وجوده من كتاب »

صحة العائلة

النظافة صحة وادب

للدكتور فياش بالفجالة بمصر

مكتوب على ابواب المدارس والمستشفيات والاندية وقطار السفر ومركبات الترامواي والاومنبوس « البصق ممنوع » ومع ذلك لايزال الناس على اختلاف طبقاتهم واعمارهم وتربيتهم يبصقون في هذه الاماكن . لماذا ؟ لانهم تعودوا ذلك والعادة لها في كل شيء سلطان فلو آخذت احد هؤلاء بما فعل لاجابك معتذراً ببادرة السهو وعدم الانتباه وهو لو ينتبه مقلدٌ بذلك من حوله من صديق او قريب اوغريب بما يألفه الفكر من الصور التي تنطبع فيه بالتكرار وترسخ بالعادة — هكذا تسري في الناس المشارب وتعم الاخلاق وتبقى التقاليد

لقد بلغ علم الصحة هذا العهد تقدماً باهراً حتى غير كثيراً من عوائد الشعوب مما يتعلق بالملبس والمسكن والمفرش والطعام فاتسعت المنازل حيث كانت ضيقة وعرضت للنور بعد ان كانت مظلمة وبدلت الستائر الكثيفة بما هو ارق واسهل تنظيفاً وعم استعمال الدهان الابيض المصقول الذي ينم بالغبار ان لاصقه واخترعت للكناسة آلة تبتلع التراب بدلاً من ان تثيره واهتمت الحكومات بتزفيت الشوارع وقطرها حتى ان الخياطات اشتركن بهذه الحركة فرضين بتقصير اذيال الثياب تاركات للمجالس البلدية مهمة كنس الطرق — كل هذا جرى بفضل الهيجين الذي اثار على الجهل والاهمال حرباً عواناً الا ان النصر المبين التام لم يؤت له بها بعد لان هناك اموراً صغيرة في ذاتها كبيرة في نتائجها لم تزل منتشرة في طبقات الشعب راسخة في اخلاقهم وعوائدهم من كبيرهم وعالمهم الى صغيرهم وجاهلهم فلا بد لازالتها واستئصال شأفتها من الوقت الطويل والصبر الجميل ولا سيما لان النظافة بوجه الاجمال سطحية يقصد بها رضى العين قبل الصحة فهي فينا نتيجة الشعور والعواطف اكثر مما هي نتيجة الفكر والضمير ولنا في كل خطوة نخطوها في الحياة دليل على صحة هذا القول — خذ مثلاً حياتنا التناسلية وانظر تجد فرط اهتمامنا بظواهر الامور وتعلقنا بالعرض دون الجوهر فان كل ما يمثل صفاء الشباب ونضارة الصبوة نحبه لان الحب

من وظائف الشباب واخلاق الصبا ولذلك نجتهد بتنظيف ماظهر من الجسم كالوجه واليدين واهمال ما استتر . يسرنا مرأى الخدود الموردة والطرف الكحيل والانف اللامع ولا نبالي بما وراء الاسنان من الادران ولا نهتم بغسل الفم وهو ملتقى الجراثيم المرضية . نعرف ماتفرضه الصحة ولكن حب الزينة والتأنق والاعجاب يغلب على الفكر الصحي وبالجملة فكل ما نعمله من نظافة الجسم خاضع لسلطة الشعور مقيد بعاطفة الميل والذوق او ليست القبلة التي نضعها على جبين الصديق او فم الحبيب من اشد وسائل العدوى خطرًا ؟ نعلم ذلك ولا نأنف من التقبيل لانه يلذ لنا

وما نجري عليه في حياتنا التناسلية جار في سائر احوال الاجتماع فالمرأة التي تخرج للنزهة او الزيارات بعد ان تحلى بأحسن ما لديها وتتردى بأجمل ما عندها وتخلع على وجهها ورأسها غاية ما يبيح لها التفنن وتجود به الكيمياء تانف مثلاً من لمس المركبة باناملها ثم تحمل باذيالها الضافية غبار الطريق الى غرفة منامها — تحافظ على قفازها الجميل لانه مطمح الانظار وهي اذا عادت الى البيت القت شملتها على سرير النوم . ايّ باس اذا كانت العباءة معفرة وهي لاتزال جميلة المنظر ناعمة الملمس لامعة الحرير — كم من السيدات لا يحتملن على اجسامهن القميص الواحد يومين متواليين واذا جاءتهن المودة بجديد الازياء من مثله لبسنه بلا خوف دون ان يغسل وقد تكون اليد التي خاطته اوحاكته يد مريضة بالسل ؟

وليس الرجل بأقل من المرأة تعلقاً بالظواهر فهو يحمل كل يوم منديلاً نظيفاً مكوياً ثم يلقيه في وعاء لا يعرف النظافة وهو الجيب الذي لا يذوق الماء الا يوم ينفصل عن الرداء ويذهب في سبيل آخر . — يجلس الى المائدة مبتهجاً بمنظر ما عليها من الآنية النظيفة والمآكل الشهية ولا يتساءل اية يد قطفت تلك الاثمار وعجنت ذلك الخبز ولا يخطر على باله اذا كانت البقول مغسولة بماء المجاري كما يفعل الباعة عادة او اللحم مكسوًّا بغبار الطرق وبراز الذباب . حسبه من كل ذلك حسن الظاهر — اثمار مذهبة والوان جذابة فما الذي يطلبه فوق ذلك

كم مصاب بالزكام يجهل سبب دائه وقد يكون من الطاهي الذي يسعل في آنية الطبخ او من بصاق الضيف الذي يمر به الطبق فيتناول حاجته وهو يتكلم وينفث رشاشاً من ريقه فيه او من غطاء المائدة الملوث بالبصاق وعرق الايدي وما شا كل . ذلك الغطاء الممتاز بصفاته العجيبة لانه يبقى على الرغم من كل ذلك نظيفاً اياماً فلا يخطر تغييره على بال

احد ولا يعتبرونه وسخاً الا اذا صار اسود واصفر واحمر

تكنس الارض فيسرنا منظرها ولكن الهواء مشبع بالغبار المتطاير فنستنشقه من غير ان نشعر واذا بسطت المائدة بعد الكناسة لا تلبث تلك الذرات المتطايرة وفيها الجراثيم والمكروب ان ترسب على آنية الطعام فتكون في جملة الغذاء الذي نطلب من ورائه العافية والحياة

كم عدد الذين يغسلون ايديهم قبل الاكل ؟ نعتبر ايدينا نظيفة اذا لم تظهر عليها اثار الوحل او الحبر او غير ذلك من المواد الملونة ولا نحسب حساباً لما يلصق بها من الدراهم التي نتناقلها ومصافحة الناس وخلع الثياب والاحذية وغير ذلك

وانه ليطول بي الشرح ان اردت تعداد كل حركاتنا وعوائدنا التي نجني بها في شرع النظافة الصحية ونقصر بواجبها الحقيقي فلا نتبع الا العواطف والاميال وليست غايتي مما تقدم ان يضع كل واحد نصب عينيه هذه الامور التي قد تعكر حياة الرجل وتفضي به الى الوسواس فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يخطو خطوة دون ان يتحقق اين وكيف وماذا كما اني لا اطمع ان تزول هذه المساوئ من حالتنا الاجتماعية دفعة واحدة انما اعتقد تأثير التربية الصحية في معالجة هذه العوائد وارى من وراء تهذيب الضمير وتدريب الوجدان نتيجة حسنة . فاذا عودنا الخادم مثلاً ان يغسل يديه قبل بسط المائدة وبعدها ألف ذلك في حضرة اسياده وغيابهم . واني اعرف رجلاً من اهل الفضل لا يدخل بيته خادم الا عوده الاغتسال كل يوم حتى يصير فيه ملكة لا يحتاج معها الى مراقبة او توصية . واذا تذكر الرجل او المرأة ان النظافة لا تكون فقط بما يلائم الذوق والميل بل بما تقضي به الصحة توصلا الى تغيير كثير من هذه العوائد الراسخة فينا وابدالها باحسن منها . واذا انتبهت الحكومة الى جعل النظافة الزامية على قدر ما يصل اليه حكمها فمنعت اصحاب العاهات والامراض من الجولان في الاسواق وخصوصاً امراض العين الكثيرة التي يطوف بها حاملوها ولا رباط على اعينهم يدفع اذى الشمس والتراب المتطاير والذباب الحوم حولها . وعينت لكنس الشوارع اوقاتاً تكون فيها الناس مرتاحة في منازلها اي في اخر هزيع من الليل لا في رابعة النهار كما يجري الآن في الفجالة حيث تضطر المارة الى خوض ذلك العثير بين صفين من المكانس لا يامنون ضربة منها على الجانبين والزمت شركة الترامواي بتنظيف مركباتها من التراب المجتمع طبقات بعضها فوق بعض . اذا انتبهت الحكومة لعمل هذا كله تكون قد عملت بعض الواجب عليها نحو الصحة العمومية وخطت خطوة واسعة في سبيل النظافة لمنفعة الافراد والجمهور

وليست النظافة من الامور التي تامر بها الصحة فقط بل ان اداب السلوك والاجتماع يقضي بمراعاتها لان العوائد الحسنة مرآة الاخلاق الجميلة وقد عرف الاقدمون ذلك فجعلوا له ادابا والفوا فيه كتباً تتلى في دور الامراء وقصور الملوك حتى ان بلوتارك ذكر ذلك في كتاب تهذيب الشبيبة ومدرسة سالرن الشهيرة افسحت له مجالاً في تعاليمها وقد قام في منتصف القرن السادس عشر عالم هولاندي اسمه ارازم لقبوه فولتير اللاتين والف كتاباً بهذا الباب كان له شهرة طائرة وقد ترجم الى لغات عديدة وتناقلته الاجيال التالية . والذي حدا هذا الرجل الى وضع كتابه ما كان يراه حوله من عوائد معاصريه المستهجنة وهو رجل دقيق الشعور شديد الانفعال — كان اذا زار احدهم خاطبه المزور ورائحة الثوم تنبعث من فيه او بصق امامه فاصابه رشاش من بصاقه . ومنهم من كان يمسح حذاءه على مائدة الطعام واكثرهم كانوا يقطعون الخبز باسنانهم و يرجعونه الى القصعة فيغمسونه بالريق اونة وبالمرق أخرى . واذا ادير الطعام عليهم اهتم كل واحد باخذ احسن قطعة فيه غيرمبال بمن بعده — الى اخرما هناك من الاخلاق والعوائد التي تدل على انحطاط عن مراقي الادب والحشمة وكرم الطباع . ولم يقصد في كتابه هذا تهذيب قومه فقط بل جعله مجموعة وصايا صحية حرية بالاتباع . ومما يوعز عنه انه يامر بتنظيف الاسنان و ينهى عن استعمال بعض المواد التي تضر باللثة او غسل الاسنان بالبول و يشير باستعمال الماء والخل ومن هذه النصائح تدرك منزلة ذلك الجيل من النظافة والمعرفة بامور الصحة فان الاسنان الجميلة لم تكن موجودة حينئذ الا في مخيلة الشعراء والانفاس العطرية لا تستنشق الان من خلال بعض الاغاني والاشعار الغرامية حتى قيل ان لويس الرابع عشر كان ابخر الفم فلما عرف بقرار مجلسه الخاص الذي عقد للنظر فيما كانت تحضره عشيقته مدام مونتسپان من السموم نزل عليها باللوم والتقريع فكان جوابها له نعم انا مجرمة ولكن رائحة فمك كريهة . والظاهر ان الجواب كان مفحماً لان الملك سعى بقتل الاشاعة ودفن المسألة على هولها وخطارتها . ولم يغفل ارازم عن ذكر فضائل المنديل فهو يامر به لاجل المخط والبصق الا انه يتساهل في البصق ويأمر اذا بصق المرء على الارض ان يدوس بصاقه برجليه

وفي هذا الكتاب وصايا كثيرة مضحكة او سخيفة غير ما هو خليق بالذكر والاتباع وكلها تدل دلالة واضحة على اخلاق تلك الاجيال التي لا تختلف كثيرًا عن اخلاقنا على الرغم من انفراج المسافة بيننا وبينهم فانه بعد مرور اربعمئة سنة لا تزال فينا عوائد من مثل تلك العوائد ان لم يكن اقبح منها . الا ترى ان اكثر الناس تادبا لا يمتنعون عن

وضع اصابعهم في انوفهم حتى صار ذلك ملكة فيهم ؟ كم رجل حسن البزة يخط بيده ومنديله في جيبه ... كم عظيم اذا تكلم ارسل الدشوة في وجهك مرارًا وهو لا يعطس الا بضجة ولا يبصق الا بزئير وكم من الذين يبصقون اين ساروا واين حلوا في الشوارع وعلى السلالم وداخل البيوت على الارض وعلى البسط وخلف السرير. اعرف رجلاً من اهل العلم اقام زمناً في باريس ولا يزال كلما دخل مطعماً يأخذ المنشفة عن المائدة امامه و ينظف اذانه بها وهو منطلق في حديثه واكله لا يشعر بما يفعل

كان اجدادنا يقعدون على الارض عند تناولهم الطعام اما اليوم فقد ترقى الابناء الى المائدة والكرسي ولكن كثيرين ما زالوا يأكلون في القصعة الواحدة فماذا استفاد هولاء اذا كانوا لا يعرفون ان يتجنبوا خطر العدوى ولا سيما اذا كان الطعام من السائل كالحساء والمرق

قليل هم الذين يحافظون على مبادئ النظافة التي ترسمها الصحة والادب واذا وجد من وفى هذين الامرين حقهما فقد يكون ذلك امام الناس واذا خلا الى نفسه تساهل في كل شيء فلم يأنف من العبث باصابع رجليه او البصق في ناحية مستترة من بيته او ادخال اصبعه في انفه او تناول الطعام دون ان يغسل يديه مع ان الانسان الجميل حقيقة — ولا اجد اشرف من الجمال نعتاً اصفه به — هو الذي يحرص على النظافة في خلوته وفي اجتماعه فلا تكون هذه العوائد اللطيفة فيه عرضاً او تكلفاً ورياء بل ملكة وطبعاً وفطرة .

فمن لنا بمثل اراتمم ليقرع اسماع الجمهور من هذا الجيل وينبههم الى اجتناب هذه الخصال الشائنة والمضرة معاً مذكرًا اياهم ان النظافة صحة وانها ادب

قال ابراهيم الغزي في معنى الوطن :

ليست باوطانك اللاتي نشأت بها ... لكن ديار الذي تهواه اوطانُ
خير المواطن ما للنفس فيه هوى ... سم الخياط مع الاحباب ميدانُ
كل الديار اذا فكرت واحدة ... مع الحبيب وكل الناس اخوانُ

وقال الطغرائي في الصديق :

اخاك اخاك فهو اجل ذخر ... اذا نابتك نائبة الزمانِ
وان بانت اساءته فهبها ... لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذباً لا عيب فيه ... وهل عود يفوح بلا دخان

علموهم وكفى

كان لمقالتنا «علموهم وكفى» التي ظهرت في الهلال الماضي وقع حسن عند جمهور القراء وتناقلتها الصحف وجاءتنا كتب الادباء باستحسانها لموافقتها حاجة البلاد . ومن جملة ذلك الرسالة الآتية لسعادة صاحب الامضاء وفيها تذييل مفيد جدا بهذا الموضوع قال :

حضرة صاحب مجلة الهلال

قرأت المقالة التي عنوانها «علموهم وكفى» فلذَّ لي مافيهـا من العظة مع الحث على النهوض لبذل المال في سبيل هذه النهضة العلمية وتأسيس المدرسة الكلية لترقية نفوس الناشئة وتوسيع مداركهم وان ذلك ليس بالامر العسير على القطر المصري الذي قدّرت ثروته باربعمائة مليون جنيه وسكانه باثني عشر مليون نفس . وان ما جمع لهذا المشروع الجديد المفيد حتى الآن لا يزيد على بضعة عشرين الف جنيه مع ان رأس مال هـذه المدرسة لا يعجز عن تقديمه كله رجلٌ واحد من الاغنياء اذا هزّته الاريحة واخذته الغيرة الوطنية في سبيل العلم والعلم اساس العمران — فاذ كرتني هذه المقالة بما وصلت اليه ابحاثي اثناء اقامتي في اثينا عاصمة بلاد اليونان في الصيف الماضي اذ تبين لي بشهادة الارقام ان الشعب اليوناني من اشد الشعوب غيرة على وطنه واكثرهم بذلاً في سبيل مصلحته . لا يخفى ان اليونانيين لا يزيد عددهم على ثلاثة ملايين ولا تقاس ثروة بلادهم بثروة القطر المصري ومع ذلك فقد قام منهم في هذا العصر رجال بعضهم ماتوا ولكن اثارهم لن تموت وبعضهم لا يزالون احياء ولا يزيد عددهم جميعاً على عدد اصابع اليدين اذا علمت مقدار ما بذلوه في سبيل وطنهم من اموالهم الخصوصية في الاعمال الخيرية والمقاصد العلية مع قطع النظر عن الحكومة لرأيت عجباً واتضح لك تقصير اغنيائنا في هذا الشأن — واليك اسماء المتبرعين والمبالغ التي تبرعوا بها :

(١) الخواجه افيروف واهل مصر يعرفونه انفق مبلغ ثمانين الف جنيه في اعادة بناء الستاديون وهو المرسح القديم الذي انشأه اليونان القدماء للالعاب الاولمبية (الرياضية) ولا بأس من ايراد تاريخ هذا المرسح لان ايراده لا يخلو من فائدة — وذلك ان اليونان بنوا هذا المرسح في اثينا سنة ٣٣٠ قبل المسيح للالعاب الاولمبية والقاء الخطب وفي هذا المرسح كان الخطيب اليوناني والوطني الشهير ليكورغوس يلقي خطبه الحماسية اثناء حروب اسكندر المقدوني . بناؤه مستدير مدرَّج على شكل امفتياتر وكله من الرخام الجميل حتى المقاعد وبلغ عددهذه

القاعد خمسين الف قطعة كلها من الرخام وكان يجتمع فيه كل عام رجال اشداء يأتون من سائر الاقطار وفيهم القواد والملوك والامراء حتى ان بطليموس ملك مصر (سنة ٢٨٤ الى سنة ٢٤٦ قبل الميلاد) اتى اثينا ليشهد هذه الالعاب وقد اهتم ملك سوريا انطيوخوس (سنة ١٦٤ الى سنة ١٧٥) فادخل فيه بعض الترميمات . على ان الكوارث والحوادث اخربتا هذا الملعب على ممر الدهور وذهبتا بمقاعده الرخامية فاخذت الحمية الوطنية المرحوم افيروف المثري الشهير باسكندرية الذي توفي من بضع سنين فتبرع باعادة هذا البناء الفخيم الى ما كان عليه وقدرت نفقاته بمبلغ ثمانين الف جنيه تعهد بدفعها من جيبه راضياً مسروراً . فاستقدم مهرة المهندسين من ايطاليا والمانيا فقضوا السنين العديدة في قطع الرخام من الجبل على شكل المقاعد الرخامية الاصلية واستحضارها الى المرسح وتركيبها كما كانت عليه صفوفاً مدرجة في الجهات الاربع متلاصقة لا يتخللها من الفراغ الا طرق المرور ما بين المقاعد الى ماوراءها . وبلغ طول صف المقاعد ٦٠٠ قدم وعرضها ٤٠٠ قدم . وانشأ للمرسح المذكور درابزين من الرخام يحول بين المتفرجين واللاعبين ودرابزين آخر محيطاً بالمرسح اشبه بسور عظيم وهو من الرخام ايضاً . ومن جميل صنع هذا البناء الفخيم انك لا ترى فيه خشباً ولا حديداً ولا حجراً كلسياً اورملياً ولا قرميداً فيبدو لك كأنه قطعة واحدة من الرخام الابيض وقد نحتت نحتاً . ويتذكر القراء ان اليونان عينوا شهر ابريل من السنة الماضية للقيام بالالعاب الاولمبية . وتمثيلاً لاهمية هذه الالعاب وهذا المكان على الخصوص اقول ان جلالة ملك انكلترا شخص الى اثينا في شهر ابريل المذكور ليرى المكان ويشاهد الالعاب . وكانوا قد باعوا خمسين الف تذكرة دخول لخمسين الف مقعد فزاد الطالبون فصرفوا ١٥ الف تذكرة أخرى يقف اصحابها بالداير . فلما دخلنا الى هذا الملعب وتاملنا اتساعه ومقاعده دهشنا من فخامته وجماله ثم مشينا صعوداً في احدى هذه الطرقات الى الصف الاعلى وجلسنا على مقعد اشرفنا منه على سائر المقاعد وعددنا صفوفها فوجدناها ١٠٥ صفوف - أليس ذلك من عجائب العالم والآثار الخالدة التي تخلد ذكر بانيها ؟ فاقيم تمثال المرحوم افيروف بباب الدخول واقفاً يشير بيده لجهة الملعب ولسان حاله يقول انظروا هذا هو عملي . ثم بني المدرسة الحربية انفق عليها ٢٠,٠٠٠ جنيه

وبنى السجنين للاحداث احدهما للذكور والآخر للاناث انفق عليهما ٤,٠٠٠ جنيه ولا تخفى المنفعة التي تنتج من هذه السجون اذ لا يختلط الصغار بكبار المجرمين فضلاً عما يعلمون الاولاد فيها من الصناعة . والغرض من ذلك منعهم عن الشر والتمسك بالقواعد

القومية · وعلى ذكر ذلك اقول ان افيروف المشار اليه هو الذي بنى المدارس اليونانية باسكندرية وهي بنايات فخيمة احداها للذكور والاخرى للبنات اوقف لها ٠٠٠ا فدان تساري نحو مئة الف جنيه ولسان حاله يقول انه اكتسب ثروة في الاسكندرية فاراد يعمل فيه عملاً جميلاً · ولما فتحت وصيته وجد انه خصص ماية وخمسين الف جنيه لبناء مركب حربي تعلم فيه الفنون البحرية للتلامذة فجملة ما بذله افيروف ٠٠٠و٣٥٤ جنيه

(٢) الخواجه سينا وهو يوناني الاصل اقام طويلاً في فينا عاصمة النمسا واكتسب ثروة طائلة وتجنس بالجنسية النمساوية ونال لقب بارون ولكنه لم ينس دمه ودم اجداده ووطنه فبنى في اثينا دار الاكاديمي (مجمع العلماء) وكلها من الرخام قائمة على اعمدة في اجمل شكل وافخم وضع ولا يساعد المقام على وصفها انما يكفي لبيان قدرها انها كلفت مايتين وخمسين الف جنيه

(٣) الخواجه سنكرو بنى داراً للعجزة انفق عليها اربعة آلاف جنيه ثم رأى حالة السجون العمومية وكانت مثل السجون المصرية في الماضي فبنى سجوناً على القواعد الصحية انفق فيها خمسة آلاف جنيه وبنى داراً للبنات الفقيرات بمبلغ عشرة آلاف جنية يعلمن فيها الخياطة والتطريز وغير ذلك من الصنائع · ولما فتحت وصيته وجدوا انه ترك ماية الف جنيه تنفق في المنافع العمومية والجمعيات الخيرية ففتحت الحكومة شارعاً طويلاً من اثينا الى فاليرسمته باسمه

(٤) الخواجه فاساني بنى المدرسة البحرية وهي تظهر للقادم على اثينا فوق تل مرتفع انفق عليها عشرين الف جنيه واوقف لها في وصيته عشرين الف جنيه

(٥) الخواجه باغي افتكر فكراً آخر فبنى فندقين وفرشهما في احسن نقطة في البلد وخصص ايرادها للارامل والايتام انفق عليهما اربعين الف جنيه

(٦) حاجي كومنتا بنى مدرسة داخلية للصناعة يعلم فيها اولاد الفقراء بمبلغ عشرين الف جنيه

(٧) الخواجه ارساكي بنى بناء فخماً جداً يشغل شارعين مهمين في العاصمة للبنات الفقيرات يتعلمن فيهما الصنائع من كل فن ومطلب ومن ضمن ذلك تربية الاولاد والطبخ يقمن فيه باكل وشرب ودعي «ارساكيون» باسمه وقد انفق فيه اربعين الف جنيه ويساوي الان ماية الف جنيه على الاقل

(٨) الخواجه فاليانوس بنى المكتبة العمومية بمبلغ اربعين الف جنيه

(٩) الخواجات اخوان زابا بنوا داراً للعلوم والعمليات بمبلغ اربعين الف جنيه وتركوا في وصيتهم مائة الف جنيه تنفق في الاعمال الخيرية وجملة ماتبرع به اولئك الافاضل كما يأتي :

جنيه	
٣٥٤,٠٠٠	جملة مادفعه افيروف
٢٥٠,٠٠٠	« « « الخواجة شبنا
١١٩,٠٠٠	« « « « سنكرو
٤٠,٠٠٠	« « « « فاساني
٤٠,٠٠٠	« « « « باغي
٢٠,٠٠٠	« « « حاجي كوستا
٤٠,٠٠٠	« « « الخواجه ارساكي
٤٠,٠٠٠	« « « « فاليانوس
١٤٠,٠٠٠	« « « الخواجات اخوان زابا
١,٠٤٣,٠٠٠	(الجملة)

فهذه الارقام وقد اربت على مليون جنيه هي ارقام وسمية بذلها اربابها في نفس العاصمة . وهناك عشرات من المتبرعين كل يعمل في منفعة وطنه وحكومته مما لا يخفى على سكان هذا القطر لما نقراه في الجرائد اليومية العربية ان فلاناً مثلاً من اليونان توفي في الزقازيق وترك مالاً طائلاً اوصى به كله او بعضه للجمعية الخيرية والمستشفى والمدارس في بلده وآخر توفي في المنصوره او السودان وترك مبلغ كذا للاعمال الخير يقوا كثر المتبرعين فعلوا ما فعلوه في اثناء حياتهم ليتمتعوا بثمار غرسهم ويحققوا نجاح مشروعاتهم التي تخلد لهم فضلاً عظيماً وشهرة حميدة

(مصر) ادوار الياس

قال الشاعر :

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلةٌ فليس ينقصها التبذير والسرفُ
فان تولت فاحرى ان تجود بها فليس تبق ولكن شكرها خلفُ

باب السؤال والاقتراح

قدوم الامام عمر الى بيت المقدس

(القاهرة) محمد افندي حسني العامري

المفهوم مما تكتبونه عن تاريخ الاسلام في الهلال وتاريخ التمدن والروايات ان الامام عمر بن الخطاب جاء بيت المقدس لعقد معاهدة الصلح مع بطريركها وقد مثلتم ذلك القدوم بصورة وهمية نشرتموها في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٥٨ لكنني قرأت في مقتطف اكتوبر الجاري تقريظاً لتاريخ دول الاسلام تاليف رزق الله افندي منقريوس الصدفي ذيله بما يؤخذ منه الشك بقدوم عمر بن الخطاب الى بيت المقدس لان ذلك في اعتقاده من موضوعات الواقدي صاحب كتاب فتوح الشام . فهل اعتمدتم حضرتكم على الواقدي في نقل ذلك ام هو حقيقة تاريخية ثابتة

(الهلال) ليس في اخبار الفتح الاسلامي اثبت من قدوم عمر الى بيت المقدس الاّ دخول هذا البلد في حوزة المسلمين . ولم نعوّل في اثبات قدومه على رواية الواقدي لما أُدخل في كتابه من المبالغات ولا نحن نعوّل عليه في شيء من تاريخ الاسلام ولو راجعتم قائمة الكتب التي اعتمدنا عليها في تاريخ التمدن الاسلامي وقد نشرناها في ذيل الجزء الخامس منه لما رأيتم فيها ذكر هذا الكتاب ولا غيره من مؤلفات الواقدي . وانما اعتمدنا على مؤرخي الفتح وغيرهم من ثقاة الكتّاب الذين لا سبيل الى نقض اقوالهم الا بنقض تاريخ الاسلام . ولو اردنا ايراد كل ما قالوه لضاق بنا المقام وانما نذكر امثلة من سياق الخبر ثم نذكر اسماء المؤرخين الذين تناقلوه

اقدم من وصل الينا ذلك الخبر على يده ابو اسماعيل الازدي البصري صاحب فتوح الشام وهو من اهل اواسط القرن الثاني للهجرة وكتابه لامثيل له في كتب تاريخ الاسلام لان اكثره مخابرات رسمية دارت بين قواد المسلمين في اثناء فتح الشام والعراق او بينهم وبين الخليفة بالمدينة فكانوا اذا فتحوا بلداً اوحدث لديهم ما يدعو الى مشورة كتبوا الى

الخليفة يستشيرونه او كتب احدهم الى الآخر ان يقدم عليه او يلاقيه. ولا يخفى ما لهذه المراسلات الرسمية من القيمة التاريخية. وفي جملة ذلك كتاب كتبه ابو عبيدة من الشام الى الخليفة عمر بالمدينة بعد ان يئس من فتح بيت المقدس (ايليا) ولم يرض اهلها ان يصالحوه الا على يد الخليفة نفسه. وقبل ان يكتب بذلك الى عمر اخذ عليهم الايمان والمواثيق لئلا يأتي عمر ثم لايقبلوا الصلح فيكون في قدوم الخليفة مشقة وهذا نص كتابه :

« لعبد الله عمر امير المؤمنين من ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانا اقمنا على ايليا وظنوا ان لهم في المطاولة بهم فرجاً ورجاء فلم يزدهم الله بها الا ضيقاً ونقصاً وهزلاً فلما رأوا ذلك سالونا ان نعطيهم ما كانوا به ممتنعين قبل ذلك وله كارهين وانهم سالوا الصلح على ان يقدم عليهم امير المومنين فيكون هو المؤمن لهم والكاتب لهم كتاباً وانا خشينا ان يقدم امير المؤمنين ثم يغدر القوم فيرجعون فيكون مسيرك اصلحك الله عناء وفضلاً فاخذنا عليهم المواثيق المغلظة بايمانهم لان انت قدمت عليهم فامنتهم على انفسهم واموالهم ليقبلن ذلك وليودن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه اهل الذمة ففعلوا واخذنا عليهم الايمان بذلك فان رأيت يا امير المومنين ان تقدم علينا فافعل فان في مسيرك اجرًا وصلاحاً وعافية للمسلمين اراك الله مرشدك ويسر امري والسلام عليك »

ولما وصل الكتاب الى عمر بالمدينة جمع رؤوس المسلمين فقراه عليهم وشاورهم فنهاه عثمان بن عفان عن الذهاب لما في ذلك من المشقة ولان القوم قد ذلوا فلا يلبثون الا يسيرًا حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية. فاعترض علي بن ابي طالب على هذا الراي واشار على عمر بالذهاب لما في ذهابه من الاجر وحجب الدماء. فاطاع علياً وسافر حتى الى الجابية ومنها الى بيت المقدس وخرج المسلمون لاستقباله ثم عقد الصلح مع القوم ورجع الى المدينة في حديث طويل لا محل له هنا

وقال البلاذري في كتابه فتوح البلدان باواسط القرن الثالث للهجرة عند كلامه على فتح فلسطين ما نصه :

« ثم طلب اهل ايلياء من ابي عبيدة الامان والصلح على مثل ماصولح عليه اهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج والدخول في مادخل فيه نظراؤهم على ان يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق ثم صار الى ايلياء فانفذ صلح اهلها وكتب لهم وكان فتح ايلياء سنة ١٧ »

وفي كتب الادب تفصيل كثير يتعلق بقدوم عمر و يدلُّ على صحته وقد ذكر هذه الحادثة من المؤرخين الموثوق بصدقهم الطبري وابن الاثير وابن خلدون وابو الفداء وياقوت الحموي وغيرهم وكلهم متفقون معنىً وان اختلفوا لفظاً وفي اقوال بعضهم تفصيل في عدد المرات التي قدم بها عمر على الشام كما فعل ابن الاثير مما يطول شرحه

ميزانية الدولة العثمانية وديونها

(القاهرة) محمد آصف بك

ما هي ميزانية ايرادات ونفقات الدولة العليـة لسنة ١٩٠٦ او التي قبلها وكم هي ديون الدولة المشار اليها وكيف تدفع؟

(الهلال) نشرنا في الهلال الماضي ميزانية الدولة العلية لسنة ١٨٩٨ وهي آخر ميزانية اصدروها والحكومة العثمانية لا تنشر ميزانية سنوية كما تفعل سائر الدول .

واما ديونها فقد تجمعت في اثناء نصف قرن وكانت تجدد كل سنة او بضع سنين لسد بعض الحاجات من غرامة حربية او انشاء خط حديدي او لتحويل دين قديم. وبلغ مجموع الدين لاواسط العام الماضي (١٩٠٦) ١٠٤,٢٢٨,٠٠٠ جنيه عثماني ومعدل فائدتها ٤ في المئة وكان مجموع هذا الدين لسنة ١٨٩٨ نحو ١٣١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه عثماني . ومعظم الدين العثماني مضمون بواردات معينة تستولي عليها ادارة الديون منها ٧٤,٢٨٣,٥٠٠ جنيه تدفع بالتـدريج من دخل حاصلات البلاد كالملح ونحوه و١٩,٠٣٣,٧٨٣ جنيهاً تدفع من الجزية المضروبة على مصر . واليك مقدار ما استولت عليه ادارة الديون من الحاصلات او ضرائبها لسنة ١٩٠٦

	جنيه عثماني		
الملح	١,٠٣٧,٥٨٦	ضرائب التبغ	١٣٠,٣٢٤
المشروبات	٢٧١,٥٩٤	احتكار «	٨٢٥,٤٧٤
الطوابع	٤٣٩,٢٦٤	جزية الروملي	١١٤,٠٢٠
الاسماك	٦٣,٩٢٥	من الجمارك	١٥٢,٧٥٦
		شتى	١٩,٢٦١
الحرير	١١٧,٤٨٥	الجملة	٣,١٧١,٢٥٩

وكان مجموع هذه المحصولات منذ بضع سنين لا يزيد على مليونين فاخذ بالزيادة حتى زاد على ثلاثة ملايين جنيه كما ترى

متكاثف الظلال وبين اشجاره اربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الاشجار فلا تتخللها الشمس فكأن ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم اعاذنا الله منها . ولما وصلن الى تلك القباب نزلن الى الصهريج وانغمسن فيه وجردن ما عليهن من ثياب وحلى فتصدقن به وأُتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط فربط بعضه على وسطها و بعضه على راسها وكتفيها والنيران قد اضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض وصب عليها روغن كنجد وهو زيت الجلجلان فزاد في اشتعالها وهنالك نحو خمسة عشر رجلاً بايديهم حزم من الحطب الدقيق ومعهم نحو عشرة بايديهم خشب كبار واهل اطبال والابواق وقوف ينتظرون مجيء المراة وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بايديهم لئلا يدهشها النظر اليها فرايت احداهن لما وصلت الى تلك الملحفة نزعتها من ايدي الرجال بعنف وقالت لهم « ماراميترساني أزاتش (آتش) من ميدانم اواطش است رهاكني مارا » وهي تضحك ومعنى هذا الكلام « ابالنار تخوفونني انا اعلم انها نار محرقة اتركوني » ثم جمعت يديها على راسها للنار ورمت نفسها فيها وعند ذلك ضربت الاطبال والانفار والابواق ورمى الرجال ما بايديهم من الحطب عليها وجعل الآخرون تلك الخشب من فوقها لئلا تتحرك وارتفعت الاصوات وكثر الضجيج ولما رايت ذلك كدت اسقط عن فرسي ولولا اصحابي تداركوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت وكذلك يفعل اهل الهند ايضاً في الغرق يغرق كثير منهم انفسهم في نهر الكنك وهو الذي اليه يحجون وفيه يرمي برماد هؤلاء المحرقين وهم يقولون انه من الجنة واذا أتي احدهم ليغرق نفسه يقول لمن حضره لا تظنوا اني اغرق نفسي لاجل شيء من امور الدنيا او لقلة مال انما قصدي التقرب الى كساى وكساى (بضم الكاف والسين المهمل) اسم الله عزوجل بلسانهم ثم يغرق نفسه فاذا مات اخرجوه واحرقوه ورموا برماده في البحر المذكور »

الضيافة في مقدشو

وزار ابن بطوطة مقدشو على شاطيء افريقية الشرق في اول بلاد الزنج فذكر عادة اهلها وملكهم وطعامهم قال :

« سلطان مقدشو كما ذكرناه يقولون له الشيخ واسمه أبو بكر بن الشيخ عمر وهو في الاصل من البربرة وكلامه بالمقدشي ويعرف اللسان العربي ومن عوائد أنه متى وصل مركب يصعد اليه صنبوق السلطان فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن

ربانه وهو الرئيس وماوسقه ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف بذلك كله ويعرض على السلطان فمن يستحق ان ينزله عنده انزله • ولما وصلت مع القاضي المذكور وهو يعرف بابن البرهان المصري الاصل الى دار السلطان خرج بعض الفتيان فسلم على القاضي فقال له «بلغ الامانة وعرف مولانا الشيخ ان هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز» فبلغ ثم عاد وأتى بطبق فيه اوراق التنبول والفوفل فاعطاني عشرة أوراق مع قليل من الفوفل وأعطى القاضي كذلك وأعطى لاصحابي ولطلبة القاضي ما بقي في الطبق • وجاء بقمقم من ماء الورد الدمشقي فسكب عليّ وعلى القاضي وقال « ان مولانا امر ان ينزل بدار الطلبة » وهي دار معدّة لضيافة الطلبة فأخذ القاضي بيدي وجئنا الى تلك الدار وهي بمقربة من دار الشيخ مفروشة مرتبة بما تحتاج اليه ثم أتي بالطعام من دار الشيخ ومعه احد وزرائه وهو الموكل بالضيوف فقال « مولانا يسلم عليكم ويقول لكم قدمتم خير مقدم » ثم وضع الطعام فاكلنا وطعامهم الارز المطبوخ بالسمن يجعلونه في صحفة خشب كبيرة ويجعلون فوقه صحان الكوشان وهو الادام من الدجاج واللحم والحوت والبقول ويطبخون الموز قبل نضجه في اللبن الحليب ويجعلونه في صحفة ويجعلون اللبن المريب في صحفة ويجعلون عليه الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر المخلل والمملوح والزنجبيل الاخضر والعنبا وهي مثل التفاح ولكن لها نواة وهي اذا نضجت شديدة الحلاوة وتؤكل كالفاكهة وقبل نضجها حامضة كالليمون يصبرونها في الخل وهم اذا اكلوا لقمة من الارز اكلوا بعدها من هذه الموالح والمخللات والواحد من اهل مقدشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منا عادة وهم في نهاية من ضخامة الجسوم وسمنها ثم لما طعمنا انصرف عنا القاضي وأقمنا ثلاثة ايام يؤتى الينا بالطعام ثلاث مرات في اليوم وتلك عادتهم • فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة جاءني القاضي والطلبة واحد وزراء الشيخ واتوني بكسوة وكسوتهم فوطة خز يشدها الانسان في وسطه عوض السراويل فانهم لا يعرفونها ودراعة من المقطع المصري معلمة وفرجية من القدسي مبطنه وعمامة مصرية معلمة واتوا لاصحابي بكسى تناسبهم واتينا الجامع فصلينا خلف المقصورة فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي فرحب وتكلم بلسانهم مع القاضي ثم قال باللسان العربي « قدمت خير مقدم وشرفت بلادنا وآنستنا » وخرج الى صحن المسجد فوقف على قبر والده وهو مدفون هناك فقرأ ودعا ثم جاء الوزراء والامراء ووجوه الاجناد فسلموا وعادتهم في السلام كعادة اهل اليمن يضع سبابته في الارض ثم يجعلها على رأسه ويقول « ادام الله

عزك » ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبس نعليه وأمر القاضي ان ينتعل وامرني ان انتعل وتوجه الى منزله ماشياً وهو بالقرب من المسجد ومشى الناس كلهم حفاة ورفعت فوق رأسه اربع قباب من الحرير الملون وعلى أعلى كل قبة صورة طائر من ذهب . وكان لباسه في ذلك اليوم فرجية قدسي اخضر وتحتها من ثياب مصر وطروحاته الحسان وهو متقلد بفوطة حرير معتم بعمامة كبيرة وضربت بين يديه الطبول والابواق والانفار وأمراء الاجناد امامه وخلفه والقاضي والفقهاء والشرفاء معه ودخل الى مشوره على تلك الهيئة وقعد الوزراء والامراء ووجوه الاجناد في سقيفة هنالك وفرش للقاضي بساط لا يجلس معه غيره عليه والفقهاء والشرفاء معه ولم يزالوا كذلك الى صلاة العصر فلما صلوا العصر مع الشيخ أتى جميع الاجناد ووقفوا صفوفاً على قدر مراتبهم ثم ضربت الاطبال والانفار والابواق والصرنايات وعند ضربها لا يتحرك احد ولا يتزحزح عن مقامه ومن كان ماشياً لا يتحرك الى خلف ولا الى امام فاذا فرغ من ضرب الطبلخانة سلموا باصابعهم كما ذكرناه وانصرفوا »



بعد الهمة

قال المأمون لولده وعنده عمرو بن مسعدة ويحيى بن اكثم لا تعتبروا في علو الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي انهم والله ما بلغوا مراتبهم عندي الا بانفسهم انه من تبع منكم صغار الامور تبعه التصغير والتحقير وكان قليل ما يفتقد من كبارها اكثر من كثير ما يستدرك من الصغار فترفعوا عن دناءة الهمة وتفرغوا لجلائل الامور والتدبير واستكفوا الثقات وكونوا مثل كرام السباع التي لا تشتغل بصغار الطير والوحش بل بجليلها وكبارها واعلموا ان أقدامكم ان لم تتقدم بكم فان قائدكم لا يقدمكم ولا يغني الولي عنكم شيئاً مالم تعطوه حقه »

ونظر المأمون يوماً الى ابنه العباس واخيه المعتصم فابنه العباس يتخذ المصانع ويبني الضياع والمعتصم يتخذ الرجال فقال شعراً

يبني الرِّجالَ وغيرُهُ يبني القرى ... شتَّان بين قرى وبين رجالِ
قلِقٌ بكثرة مالهِ وضياعهِ ... حتى يفرِّقهُ على الأبطالِ

وقال الشاعر يذم هبوط الهمة :

اذا كنتَ لا ترجي لدفعِ ملمةٍ ... ولا انتَ في المعروف عندكَ مطمعُ
ولا انت ذو جاهٍ يعاش بجاههِ ... ولا انتَ يومَ الحشر ممن يشفعُ
فموتكَ في الدنيا وعيشك واحدٌ ... وعودُ خلالٍ من نوالك انفعُ

هذه المجموعة . ولما دنا اجله اوصى باهدائها الى الحديقة النباتية في نيو يورك فقبلتها ودفعت لوارثيه ١٠,٠٠٠ فرنك

سفينة قاعدتها من زجاج ذكر جول فرن في احدى رواياته سفينة قاعدتها من زجاج والعلماء يعدون ذلك يومئذ من الامور الوهمية . اما الآن فقد اصبح امرًا حقيقيًا لان الولايات المتحدة بنت سفينة قاعدتها من زجاج وهي معدة للنزهة فيتمتع راكبوها بما تقع عليه ابصارهم من غرائب البحر وما يحوي من اسماك مختلفة الاشكال ونباتات بحرية واصداف وصخور ونحو ذلك مما يشتاق الانسان الى رؤيته

جزيرة جديدة في ضواحي سنقابور اضافت الطبيعة الى ما يحكمه الانكليز في جزائر الهند جزيرة صغيرة ظهرت بغتةً في ضواحي سنقابور . واتفق ان ركاب بعض السفن الانكليزية مروا في تلك الناحية بيناير الماضي فرأوا تلك الجزيرة فدهشوا . وكان قد حصل هناك قبل مرورهم ببضعة ايام زلازل قوية انتهت ببروز هذه الجزيرة . ولما رآها قبطان السفينة اخبر بحرية انكلترا تلغرافيًا باكتشافه فارسلت الى محافظ ميناء (اكياب) تلغرافًا امرته فيه ان يذهب الى الجزيرة المشار اليها ويغرس فيها العلم الانكليزي ففعل

تربية الحيات في احدى مدن تكساس باميركا رجل مهنته تربية الافاعي على اختلاف انواعها والاتجار بها . يربيها في مزرعة مساحتها ١,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع . ولا يقل دخله السنوي من ذلك عن ٣٠,٠٠٠ فرنك . وهو يبيع ما يربيه فيها لاناس يحملونها الى المتاحف والمسارح يبيعونها باثمان باهظة

الشعراء والبخل

كان ابو العطاء السندي بباب ابي العباس السفاح وبنو هاشم يدخلون ويخرجون فقال

ان الخيارَ من البرية هاشمٌ ... وبنو أُمية ارذلُ الاشرارِ
وبنو امية عودهم من خروعٍ ... ولهاشمٍ في المجد عودُ نضارِ
أما الدعاةُ الى الجنان فهاشمٌ ... وبنو امية من دعاة النارِ
وبهاشمٍ زكت البلاد واعشبت ... وبنو امية كالسراب الجاري

فلم يؤذن له في الدخول على ابي العباس ولم يصله احد من بني هاشم فولى وهو يقول :

ياليتَ جود بني مروان عاد لنا ... وان عدل بني العباس في النارِ

ومن اقوال الشعراء في هجو البخلاء قول بعضهم :

اروحُ واغدو نحوكم في حوائجي ... فاصبحُ منها غدوة كالذي أُمسي
وقد كنت ارضى للصديق شفاعتي ... فقد صرت ارضى ان اشفع في نفسي

ومن اقوالهم في البخل بالطعام لبعضهم :

ما كنتُ احسبُ ان الخبز فاكهةٌ ... حتى نزلت على عوف بن خنزير
الحابسُ الروث في اعفاج بغلتـه ... بخلا على الحب من لقط العصافير

ولغيره
نوالك دونه خرطُ القتادِ ... وخبزك كالثريا في البعادِ
ترى الاصلاح صومك لا لنسك ... وكسرًا للرغيف من الفساد
ارى عمرَ الرغيف يطول جدًّا ... لديك كأنه من قوم عاد

ولآخر
اللؤم منك على الطعام طباع ... فعيال بيتك ما حييت جياع
واذا يمر بباب دارك سائلٌ ... هرّت عليـه نوابح وسباع
وعلى رغيفكَ حيةٌ مسمومةٌ ... وعلى خوانك عقربٌ وشجاعُ

ولآخر
يا تارك البيتِ على الضيفِ ... وهاربًا منـهُ منَ الخوفِ
ضيفكَ قد جاء بزاد لهُ ... فارجع فكن ضيفًا على الضيفِ
اذا اشتهى الضيفُ طبيخ الشتا ... اتاهُ بالشهوة في الصيفِ
وان دنا المسكين من بابهِ ... شدَّ على المسكين بالسيفِ

ولآخر
يكتبُ بالحبر على خبزه ... واللهِ لا يأكله الجارُ
ويسال الخادم من بخله ... ايُّ رغيف فيـه آثارُ

ولآخر
ويختم القِدْرَ على اهـله ... ويَشْعَبُ العظمَ بمسمارِ
والماء في منزله طرفـة ... يشرب به النـاس بمقـدارِ

ولآخر
ارى ضيفكَ في الدار ... وكرب الموت يغشاه
على خبزك مكتوبٌ ... سيكفيكهم الله

ولآخر
لابي نوح رغيف ... ابدًا في حجر داية
ابدًا يمسحه الدهـ ... ـر بكمّ ووقايـة
وله كاتب سرّ ... خط فيـه بعناية
فسيكفيكهم الله ... الى آخـر آيـة

آخر
الخبز يبطي حين يدعو به ... كأنه يقدم من قاف

ويمدح الملح لأصحابه   بقول هذا ملح سيراف
سيان اكل الخبز في داره   وقلع عينيه بخطاف

ولآخر
اما الرغيف لدى الخوا   ن فمن كريات الحرم
ما إن يجس ولا يُ   س ولا يذاق ولا يشم
فتراه اخضر يابساً   بالي النقوش من الهرم

ولآخر
اتينا ابا طاهر مفطرين   الى رحله فرجعنا صياما
وجاء بخبز له حامض   فقلت دعوه وموتوا كراما

مطبوعات جديدة

﴿احصاء تلامذة المدارس المصرية﴾ اهدتنا ادارة عموم الاحصاء بنظارة المالية احصاء مطولاً عن تلامذة المدارس المصرية الاميرية وغير الاميرية لسنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧ يدخل في ٢٦٥ صفحة كبيرة كلها جداول اجمالية وتفصيلية تبين عدد التلامذة بالنظر الى الجنسية وبالنظر الى درجات التعليم وعدد المعلمين · وخلاصة ذلك ان في مصر ٥٠٥ مدارس و٤,٥٥٤ كتاباً · اما المدارس فمتفرقة في انحاء القطر المصري منها ١٣٦ بالقاهرة و١٠٠ في الاسكندرية و٥٦ في مديرية اسيوط و٣٧ في مديرية الغربية والباقي في سائر البلاد · واما بالنظر الى جنسيتها فمن هذه المدارس ٢٠٠ مدرسة مصرية و١٢٠ انكليزية و٨٥ فرنساوية والباقي من سائر الامم · ومن هذه المدارس ٢٨١ مدرسة للذكور و٩١ للاناث و١٣٢ مختلطة · واما تلامذة هذه المدارس فعددهم ٩٢,١٠٧ منهم ٧١,٦٦٦ ذكوراً و٢٠,٤٤١ اناثاً · اما الكتاتيب فمنها ١٢٢ كتاباً اميرياً والباقي غير اميري اي ينفق عليها من جيوب الاهالي الا ٢٧٦٨ كتاباً تساعدها الحكومة في النفقة · وعدد تلامذة الكتاتيب ١٦٥,٥٨٧ تلميذاً وعدد المعلمين ٦,٨٥٠ معلماً · ويا حبذا لو ذيلت ادارة الاحصاء هذا الكشف بجدول يبين عدد المدارس المصرية وعدد تلامذتها في السنين الماضية سنة سنة حتى يتضح الفرق في حال التعلم بين هذه السنين

﴿العواطف الشريفة او صاحب معامل الحديد﴾ هي رواية اجتماعية غرامية لمؤلفها جورج اوهنه الكاتب الفرنساوي ونقلها الى العربية يوسف افندي طوا وتطلب من حضرته وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

الانتقام بعد سبع سنوات هي رواية ادبية « بقلم ناصيف افندي نقولاوس » ولم يذكر هل هي تأليفه او ترجمته . وقد طبعت بنفقة منصور افندي عبد المتعال وتطلب منه ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش

الكونت دي منغوميري هي رواية غرامية تاريخية اشهر من ان تعرّف لمؤلفها اسكندر دوماس الكبير وقد نقلها الى العربية قيصر افندي زينية وطبعت بنفقة ادارة جريدة المصور وتطلب منها ومن جورجي افندي غرزوري بالاسكندرية ومن مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البريد غرشان

دليل السلام او دليل الارجنتين بالعربية والاسبانية وهو اول كتاب من نوعه نشر في بلاد الارجنتين باميركا وفيه اسماء اهم التجار السوريين واعلانات اماكنهم في تلك الجمهورية الفه الخواجات شمعون اخوان اصحاب جريدة السلام التي تصدر هناك . والذي يتصفحه يري اهمية التجارة السورية في تلك البلاد

رواية الملك البائس تعريب ابراهيم افندي جلال من طلبة مدرسة الحقوق الخديوية (ولم يذكر اسم المؤلف) وقد جعلها تقدمة لسعادة عمر بك لطفي رئيس نادي المدارس العليا وخوجيها وهي تطلب من حضرة المعرب

السَنَد هي رسالة تتضمن اهم الملاحظات في احكام السند والسفتجة والحوالة مع صور كثيرة منها . تأليف ملحم افندي ابراهيم خلف في متصرفية لبنان وتطلب من حضرته ومكتبة الهلال بمصر

المحاورة الادبية هي رسالة مطولة في تفضيل الزواج على العزوبية مع ملاحظات عمومية تأليف عبد الملك افندي صدقي الكاتب بهندسة ري الفيوم وتطلب من ادارة جريدة مصر ومن مؤلفها بالفيوم وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

الجامعة الاسلامية واوربا هي مقالة اجتماعية لصديقنا رفيق بك العظم صاحب كتاب اشهر مشاهير الاسلام بحث فيها عن علاقة الجامعة الاسلامية باوربا بحثاً تاريخياً واجتماعياً وسياسياً . وفي شهرة حضرة المؤلف في هذه الابحاث ما يغني عن الاطراء

الرسائل التجارية هو كتاب في المراسلات التجارية باللغتين العربية والفرنساوية ليوسف افندي ابراهيم صادر ويوسف افندي نخله ثابت يشتمل على امثلة من الاذاعات وتحارير التوصية والكريديتو والاستعلام والطلبيات وتعريف بوصول البضاعة والمحاسبات الجارية والبوالس والتسويات والمعايدات والتهاني وغير ذلك مما يحتاج اليه التجار بالغربية

والفرنساوية وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً

﴿ الجغرافية الحديثة ﴾ هي جغرافية عمومية لحضرة احمد افندي حافظ بادارة عموم البوسطة وتشتمل على مقرر السنتين الثالثة والرابعة من القسم الابتدائي طبقاً لآخر بروغرام اصدرته نظارة المعارف العمومية وهو موضح بالخرائط اللازمة ومقسم تقسيماً كثير الملائمة لحاجة المدارس المصرية ومطبوع طبعاً متقناً نظيفاً ويطلب من حضرة المؤلف وثمن النسخة ستة غروش غير اجرة البريد

﴿ الحافظة ١١٣ ﴾ هو اسم رواية ادبية غرامية نشرت في جريدة الاخبار لسنة ١٩٠٧ وليس عليها اسم المؤلف ولا المعرب لكنها كثيرة التشويق للمطالعة وفيها عبرة للمطالعين وقد صدرت في جزئين صفحاتهما نحو خمسائة صفحة وتباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ستة غروش واجرة البريد غرش ونصف

(جورج سبيرو) هي رواية علمية مرجعها الى الحقيقة في العلم تأليف كاميل فلاماريون الفلكي الشهير وقد نقلها الى العربية زكي افندي نوفل وفيها كثير من الفوائد العلمية والابحاث الفلسفية • وهي تطلب من حضرة المعرب وجورج افندي غرزوزي بالاسكندرية وثمن النسخة خمسة غروش خالصة أجرة البريد

(اللسان العربي) هو كتيب في اللسان العامي المصري بالحرف الافرنجي تأليف المستر ارثور شوارتز الالماني نزيل مصر ضمنه قطعاً بلغة العامة بالحرف الافرنجي وهو عازم على انشاء جريدة تكتب بهذه الكيفية لانه يرى ان تستخدم هذه اللغة للكتابة في المواضيع العمومية بدل اللغة الفصحى وقد بينا ضعف هذا الرأي وسوء مغبته في اماكن كثيرة من الهلال والكتاب يطلب من حضرته .

(الاميرة فينيس) هي رواية تمثيلية في نصيحة الاخوان بمشاهد الزمان تأليف فايز افندي شمعان الاشقر مترجم بمصلحة الآثار التاريخية وتطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش

(هذا يلاشي تلك) رسالة فلسفية اجتماعية لفكتور هوجو نقلها الى العربية حنا افندي صاوه مع بعض التصرف وذيلها بابحاث وملاحظات وتطلب من حضرته

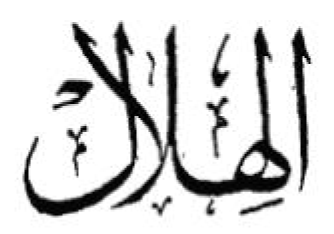
(نخب مكسيم غوركي) هو كتاب فيه منتخبات من اقوال مكسيم غوركي الكاتب الروسي الشهير في مقاومة الاستبداد ورفع الضغط عن المطبوعات نقله الى العربية سليم افندي قبعين ويطلب من حضرته

(مقامة الامثال السائرة) هي مقامة تشتمل على الامثال السائرة للشيخ ابي البركات جمال الدين العباسي البغدادي وفي ذيلها مقامة للشيخ عبد الرحمن الانصاري وكلاهما في كتاب صفحاته نحو مئة صفحة مطبوعة طبعاً متقناً بالشكل الكامل عني بطبعهما سعادة عبد القادر باشا الخضيري في بغداد

(كتاب الصلوات) هو كتاب الاجبية وفيه الصلوات الاعتيادية للكنيسة القبطية الارثوذكسية طبع بنفقة القس جرجس النقادي ويطلب من مكتبه الهلال وثمن النسخة ثمانية غروش والبريد غرش

⁂ جرائد جديدة ⁂ (١) الجامعة المصرية : هي جريدة ادبية سياسية تجارية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لاصحابها مرمي افندي محمد واحمد افندي راشد وع٠ د بدل اشتراكها مئة غرش بمصر و١٢٠ في الخارج (٢) المنير : هو صحيفة عامة تصدر بتونس مرة في الاسبوع لمديرها ومحررها محمد الشاذلي المورالي بدل اشتراكها عشرة فرنكات بتونس والجزائر وطرابلس الغرب و١٥ في الخارج (٣) كوكب افريقيا : هو جريدة سياسية ادبية تجارية تصدر في الجزائر مرة في الاسبوع لمدير محرريها السيد محمد كحول بدل اشتراكها في القطر الجزائري عشرة فرنكات و١٥ بالخارج (٤) التلميذ : هو جريدة سياسية علمية تصدر في بطرسبورج بروسيا مرة في الاسبوع لصاحبها عبد الرشيد افندي ابراهيم بدل اشتراكها اربعة روبلات في روسيا و١٥ فرنكاً بالخارج (٥) النصيحة : هي جريدة علمية ادبية سياسية تصدر في تونس مرة في الاسبوع لمديرها وصاحبها الصادق بن ابراهيم بدل اشتراكها ثمانية فرنكات في تونس وعشرة في الخارج

⁂ مجلات جديدة ⁂ (١) مجلة الصدق العثماني : هي مجلة ماسونية ادبية فكاهية تصدر بمصر مرتين في الشهر ترسل مجاناً لاعضاء محفل الصدق العثماني مديرها محمد افندي عثمان (٢) الصراط : مجلة اخلاقية ادبية علمية تصدر بالاسكندرية مرتين بالشهر لجمعية محامد الاخلاق وتطلب منها (٣) مجلة جمعية التعاون الاسلامي : هي مجلة علمية سياسية تصدر في مصر مرة بالشهر رئيس تحريرها الشريف منصور افندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي بدل اشتراكها ستون غرشاً (٤) الشمس : مجلة علمية تاريخية صحية تصدر بالزقازيق لصاحبها مسيحه افندي الجرجاوي المهندس بدل اشتراكها ١٥ غرشاً



الجزء الثالث من السنة السادسة عشرة

اول دسمبر (ك١) سنة ١٩٠٧ و٢٥ شوال سنة ١٣٢٥

احوال الدول المعاصرة

٢ — الدولة الانكليزية

١ — ملكها

هو ادوار السابع ابن الملكة فكتوريا والبرنس البرت سكسبورج وغوطا ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤١ وتزوج البرنسس الكسندرة بنت كريستيان التاسع ملك الدنمارك في ١٠ مارس سنة ١٨٦٣ وتولى عرش انكلترا يوم وفاة والدته في ٢٢ يناير سنة ١٩٠١ وهو الملك السابع من أسرة هانوفر

تربى الملك ادوار التربية الانكليزية الحقة التي امتازت بها انكلترا على سائر الامم حتى حسدتها اترابها عليها وقام علماء وأوربا يحرضون أممهم على الاقتداء بها في تربية ابنائهم لانها من ارقى ما وصل اليه التمدن الحديث من حيث حاجة الناس على اختلاف طبقاتهم فهي تلائم الصانع والتاجر والحاكم والعالم لانها تقوي البدن والعقل وترقي القلب والنفس وتدرب الانسان على العمل والثبات والاعتماد على النفس • فلا عجب اذا الف ديمولان الكاتب الفرنساوي كتابه «سر تقدم الانكليز» يحرض به أمته على تحديها والنسج على منوالها

نشأ ادوار السابع منذ طفوليته بين يدي والدة فاضلة هي قدوة الامهات وفخر الملكات فعهدت بتربيته الى اللادي لتلتن شقيقة امرأة غلادستون السياسي الشهير واوحت

اليها ان تدربه على معرفة الواجب وتعوده القيام به مثل سائر آحاد الناس . وكتب والده البرنس البرت في أثناء ذلك الى بعض اهله في عرض كلامه عن تعليم طفله فقال « يجب ان يعلم أحسن تعليم ويربى احسن تربية لان سعادة الامم تتوقف على تعليم ملوكها »

والعلم ينال معظمه من الكتب ولكن التربية يكتسب اكثرها بالتلقين والقدوة على ان تغرس في الطفل من حداثته الاولى . فالمعلم المولج بتربية ادوار واخوته كان يبث فيهم روح الصدق وعلو الهمة والاقتصاد فأنشأ لهم في روسبورن بيتاً علمهم فيه تدبير المنزل والتجارة ونحوها من الصنائع اليدوية وفرض لهم أجرة يتداولها من اتقن عمله وقام بما عليه . فكان الاستاذ يدوّن اعمال كل امير في قائمة فاذا انقضى الاسبوع أرسلت القائمة الى أبيهم فيأمر لهم بالاجور — لا يستنكفون من ذلك بل كانوا يتفاخرون به ويتنافسون في اتقان الصناعة وان كانوا في غنى عن التكسب بها ولكنها لذة ادبية تدل على ارتقاء النفس وسمو المدارك . وكان ادوار يحسن الرسم فصور صورة عرضت في جملة صور أخر بمعرض عام فبيعت بخمسة وخمسين جنيهاً لكنها أكسبت الامة الانكليزية ألوفاً وملايين لانها بثت فيهم حب العمل والمنافسة في ميدان الاتقان

ولم تكن تربية الغلام قاصرة على أستاذه ولكنه كان يقتبس اخلاق والديه ويقلدهما بعلو الهمة وكرم الخلق ومعرفة الواجب والاعتراف بالحق ولو خالف مصلحة نفسه — ذكروا انه زار باريس مع والديه سنة ١٨٥٥ وهو في الرابعة عشرة من عمره ومن جملة المشاهد التي تعهدوها قبر نابوليون الاول في الانفاليد ولا يخفى ما بين صاحب ذلك القبر والانكليز من التضاغن والتنافس . فلما وقفوا بين يدي القبر اشارت الملكة الى ابنها قائلة « اجثُ امام نابوليون العظيم » فكان من ثمار هذه الاشارة انه لما صار رجلاً وشخص للسياحة في الولايات المتحدة وأتى قبر وشنطون محرر اميركا لم يلتفت الى قهر صاحب ذلك القبر لجده جورج الثالث لانه تعود ان يقول الحق ولا يبخس الناس أشياءهم فوقف بازاء القبر خاشعاً حاسر الرأس ثم امر ان يغرس بجانبه شجرة من الكستنا اكراماً لمقامه

وتلقى الملك ادوار العلوم العالية في جامعة ايدنبورج فوجه التفاته الى العلوم التي يحتاج اليها ولاة الامور في درس احوال بلادهم الاقتصادية فاتقن علم الكيمياء الصناعية وتردد على المعامل يشاهد كل شيء بنفسه . وكان ابوه راغباً في العلم منشطاً لاهله فنشأ الملك على ذلك . فلما تزوج وولد له الاولاد رباهم هذه التربية وغرس فيهم من طفوليتهم البساطة في الكساء واوصى بتدريبهم على اعمال الحياة الحقيقية وكان هو ووالدتهم قدوة لهم

في ذلك . ولما كانت قوة انكلترا معظمها في البحر أمر ان يعلموا على ظهر الباخرة «بريطانيا» وان لايميز بينهم وبين سائر النوتية في شيء من الواجبات والحقوق



الملك ادوار والملكة الكسندرا

وكانت الملكة من الجهة الاخرى تدرب بناتها على مثل ذلك فاوعزت الى المربية ان تعلمهن اشغال البيت كالخياطة والطبخ وتدبير المنزل واصلاح الحديقة فشبين صحيحات الاجسام والعقول وقد تحلين بالكمالات الانسانية — فما اجدرهن ان يكن مثالاً لبنات الاغنياء بيننا اللواتي يجتنبن الالتفات الى مهام المنزل حطة — فبمثل هذه التربية غلب الانكليز لاقتداء الشعب بالملك ونعم القدوة

وبالجملة فقد تربى الملك ادوار تربية هيأته للمنصب الذي اعد له منذ ولادته وازداد حنكة ودربة بالاسفار التي اتاها في اثناء ولاية العهد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . ولا يخفى ما في هذه الاسفار من الفائدة للملوك ومن جرى مجراهم ولاسيما اذا كان السفر في بلادهم وبين رعاياهم فانه من اكبر اسباب التقريب بين الملك ورعيته فهم يزدادون تعلقاً به وهو يبذل

جهده في راحتهم. وقد طالت ولاية العهد على الملك ادوار لكنه لم يضيع فرصة لم يخدم بها بلاده بانشاء معاهد العلم او الصناعة او الاحسان فكانوا ينتدبونه لرئاسة اللجان التي تتألف لمثل هذه المشروعات فيتولاها و يأخذ بيدها. على ان قيامها تحت رعايته كافل لنجاحها بما يبذله الناس التماساً لرضى ولي عهدهم اوطوعاً لامره. والشواهد على ذلك كثيرة منها انشاء كلية للموسيقى وهو شديد الولع بهذا الفن ويعتقد انه يرقي الاذواق فعرض رأيه على الامة بخطاب القاه سنة ١٨٨٢ فكان جوابهم انهم اكتتبوا حالاً بمبلغ ١٢٦,٠٠٠ جنيه. فلما وقف لتدشين هذا العمل في السنة التالية قال قولاً رفع به نفوس العامة وقوى عزائمهم لانه بشرهم بدنو الوقت الذي لايبقى به تفاوت بين طبقات الامة الانكليزية وحثهم على السعي في هذا السبيل. وتولى رئاسة المدرسة الصناعية فحبب الى الناس تعلم الصنائع ورفع منزلة العامة والعمال

وترغيب الملك لرعيته في المشروعات النافعة يكفي وحده لنهوض الامة من الجهل الى العلم ومن الفقر الى الغنى — فكيف اذا تقدمهم بالعطاء وساعدهم بالرأي فانه يسرع في رقيهم سرعة البرق ولا يبدأون بمشروع الا اتموه سواء كان مدرسة او معملاً او شركة او جمعية واذا لم يكن للملك يد في خدمة رعيته الا من هذا الوجه لكفى بها خدمة

ومن مساعي الملك ادوار في هذا السبيل دخوله الجمعية الماسونية فقد ولد الولادة الماسونية سنة ١٨٦٨ وارتقى الى ارقى درجاتها وتولى رئاستها ونشط اصحابها. واهتمامه بمصالح الامة لم يمنعه من التمتع بمصلحة نفسه. وله ولع خاص بالصيد منذ نعومة اظفاره ويحب صيد التمساح بمصر والنمر والفيل في الهند. وله عناية بتربية الخيول والسباق وغير ذلك من وسائل الرياضة وهي لازمة للتربية البدنية مثل لزوم التعليم العقلي

تولى عرش انكلترا سنة ١٩٠١ ومملكته لاتغيب الشمس عنها ومساحتها ٥٣ ضعف مساحة فرنسا و٥٢ ضعف المانيا وثلاثة اضعاف الولايات المتحدة ونصف ضعفها. وهي ثلاثة اضعاف اوربا كلها وقد زادت مملكة الانكليز في ايام الملكة فيكتوريا ثلاثة ملايين ميل مربع وكان دخلها ٧٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فاصبح ٢٢٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه

٢ — اولاد الملك واخوته واخواته

اولاده اربعة (١) جورج فريدريك ولي العهد البرنس اوف ويلس ولد في ٣ يونيو سنة ١٨٦٥ وتزوج في ٦ يوليو سنة ١٨٩٣ بفكتوريا ماري ابنة دوك تك ورزق منها ستة اولاد ادوار البرت ولد سنة ١٨٩٤ والبرت فريدريك سنة ١٨٩٥ وفيكتوريا

الكسندره ١٨٩٧ وهنري وليم ١٩٠٠ وجورج ادوار سنة ١٩٠٣ وجون شارلس ١٩٠٥

(٢) البرنسيس لويزا ولدت في ٢٠ فبراير سنة ١٨٦٧ وتزوجت بدوك فايف سنة ١٨٨٩ وولدت منه ابنتين الكسندرا فيكتوريا سنة ١٨٩١ ومود الكسندرا سنة ١٨٩٣

(٣) البرنسيس فكتوريا الكسندرا ولدت سنة ١٨٦٨

(٤) البرنسيس مودشارلوت ولدت سنة ١٨٦٩ وتزوجت سنة ١٨٩٦ بالبرنس كارل الدنماركي وهو هاكون ملك نروج الآن

اخوته واخواته اربعة (١) البرنسيس هيلانة ولدت سنة ١٨٤٦ وتزوجت بالبرنس كرِستيان شلوسويج هلوستاين سنة ١٨٦٦ واولادها ثلاثة البرت جون ولد سنة ١٨٦٩ وفكتوريا ولدت سنة ١٨٧٠ ولويزا اوغسطا ولدت سنة ١٨٧٢ وتزوجت البرنس البرت أنهالت سنة ١٨٩١ وقد حلَّ عقد هذا الزواج سنة ١٩٠٠

(٢) البرنسيس لويزا ولدت سنة ١٨٤٨ وتزوجت سنة ١٨٧١ بالماركيز لورن الذي صار دوك ارجاريل سنة ١٩٠٠

(٣) البرنس ارثر دوك كانوت ولد سنة ١٨٥٠ وتزوج سنة ١٨٧٩ بالبرنسيس لويزا البروسيانية وولد له ثلاثة اولاد : مارغريت فكتوريا ولدت سنة ١٨٨٢ وتزوجت سنة ١٩٠٥ بالبرنس غوستافوس أدلفوس الاسوجي . وارثور ولد سنة ١٨٨٣ وفكتوريا ولدت سنة ١٨٨٦

(٤) البرنسيس بياتريس ولدت سنة ١٨٥٧ وتزوجت سنة ١٨٨٥ بالبرنس هنري ثالث ابناء البرنس الكسندرهيس وقد توفي سنة ١٨٩٦ واولادها منه اربعة الكسندر البرت ولد سنة ١٨٨٦ وفكتوريا اوجيني ولدت سنة ١٨٨٧ وتزوجت سنة ١٩٠٦ بالفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا . وليوبولد ارثر لويس ولد سنة ١٨٨٩ . وموريس فكتور دونلد ولد سنة ١٨٩١

٣ ــ نظام الحكومة الانكليزية

انَّ نظامها دستوري يرجع الحكم فيه الى رأي الامة فلا تسنُّ الحكومة قانوناً او تنفذ رأياً الاَّ بعد موافقة الامة عليه . وينوب عن الامة مجلسان يباحثان الحكومة ويجادلانها او يقترحان عليها هما مجلس الاعيان ومجلس العموم و يعبر عنهما بالبرلمان تأسسا في اوائل القرن الرابع عشر . و يلتئم البرلمان بايعاز الملك بعد اشارة المجلس الخصوصي قبل وقت اجتماعه بخمسة وثلاثين يوماً على الاقل وجرت العادة ان يوالي اجتماعاته بين فبراير واوغسطس من كل سنة للنظر في ما يعرض عليه من الشؤون و بعد المباحثات والاقتراحات يصدر قراراته

باغلبية الاصوات

يتالف مجلس الاعيان من الاشراف و بلغ عدد اعضائه للعام الماضي ٦١٣ عضواً وتنال عضويته اما بحق الارث او باقتراح الملك او باستحقاق المنصب كالاساقفة ونحوهم او بالانتخاب . ويتألف مجلس العموم من اعضاء ينتخبهم عامة الشعب لينوبوا عنهم وفيهم من ينوب عن المقاطعات او المدن او المراكز او نحوها من انكلترا وسكوتلاندا وايرلاندا ويشترط في المنتخب ان يكون بالغاً رشده وان يكون اسمه مقيداً في سجل المنتخبين . وللحكومة شروط في نوال حق الانتخاب لا محل لها هنا . وبلغ عدد المنتخبين للعام الماضي ٧,٢٦٦,٧٠٠ نفس اي نحو سدس الاهالي منهم ٥,٨٢٩,٨٨٤ من انكلترا والباقون من سكوتلاندا وايرلاندا . وانتخاب اعضاء البرلمان سري ولا ينتخب عضو لم يتجاوز سنه ٢١ سنة ولا يجوز انتخاب احد من الاشراف لعضوية مجلس العموم

والقوة التنفيذية في الدولة الانكليزية بقبضة الوزارة او مجلس الوزراء ولكنها تصدر باسم جلالة الملك . على ان هذا المجلس يتوقف تعيينه على راي مجلس العموم فهو يعين رئيس الوزارة باكثرية الاصوات وهذا يشكل الوزارة ولذلك كانت الحكومة في ايدي الشعب ومجلس الوزراء او النظار عندهم مؤلف من ١٩ وزيراً كل منهم يتولى رئاسة دائرة من دوائر الحكومة وهم :

(١) رئيس الوزراء ووزير الخزينة
(٢) رئيس المجلس
(٣) وزير العدلية
(٤) صاحب الختم الخاص
(٥) ناظر الخارجية
(٦) وزير الهند
(٧) ناظر الداخلية
(٨) ناظر المالية
(٩) وزير المستعمرات
(١٠) وزير الحربية
(١١) وزير البحرية
(١٢) نائب ايرلندا
(١٣) وزير التجارة
(١٤) وزير الحكومة المحلية
(١٥) « المعارف
(١٦) نائب سكوتلاندا
(١٧) وزير الزراعة والاسماك
(١٨) « البريد
(١٩) نائب دوكية لانكاستر

ولا ينال منصباً من هذه المناصب الا اصحاب العقول الكبيرة والآراء الصائبة وكلهم من المتخرجين في المدارس الراقيــة فرئيس الوزارة اليوم السير هنري كمبل بنرمن شيخ في

السبعين من عمره وقد تثقف في جامعة غلاسكو وفي كلية الثالوث في كمبريدج وتقلب في اهم مصالح الحكومة حتى بلغ رئاسة الوزارة وقد تضرس وتحنك . وقس على ذلك سائر الوزراء وفيهم المتخرجون من جامعة اكسفورد او كمبريدج او غلاسكو او ايدنبرج او غيرها ولم ينالوا هذه المناصب الاً بالتدريج والاستحقاق

٤ - احصاؤها

بلغ عدد سكان انكلترا باحصاء سنة ١٩٠١ نحو ٤٢,٠٠٠,٠٠٠ نفس ومساحة المملكة ١٢١,٣٩١ ميلاً مربعاً على هذه الصورة :

	مساحتها بالميل المربع	عدد السكان
انكلترا و ويلس	٥٨,٣٢٤	٣٢,٥٢٧,٨٤٣
سكوتلاندا	٣٠,٤٠٥	٤,٤٧٢,١٠٣
ايرلندا	٣٢,٣٦٠	٤,٤٥٨,٧٧٥
متفرقات	٣٠٢	٥١٨,١٠٦
(الجملة)	١٢١,٣٩١	٤١,٩٧٦,٨٢٧

هذا احصاء بريطانيا العظمى وسكانها واما المستعمرات فاحصاؤها اضعاف ذلك وقد فصلناه في الهلال الاول من السنة الماضية باعتبار القارات وخلاصته ان مساحة المستعمرات الانكليزية وسائر البلاد الداخلة في حماية الدولة الانكليزية ١١,٥٥٨,٩٣٢ ميلاً مربعاً وعدد السكان ٢٩٤,٨٩٣,٢٩٨ نفساً تقسم في القارات على هذه الصورة :

مستعمراتها	مساحتها بالاميال	عدد سكانها
في اوربا	١١٩	٢١٣,٦١٥
« اسيا	١,٦٣٧,٢١٥	٢٣٨,٦٦٤,٦٠٩
« افريقيا	٢,٨٨٠,٣١١	٤٣,٤٦٧,٦١٥
« اميركا	٣,٨٦٥,٢٦٥	٧,٤٢٦,٤٦٣
« اوستراليا	٣,١٧٦,٠٢٢	٥,١٢٠,٩٩٦
المجموع	١١,٥٥٨,٩٣٢	٢٩٤,٨٩٣,٢٩٨

٥ - ماليتها

بلغ دخل الحكومة الانكليزية للسنة الماضية ١٤٣,٧٤٣,٤٢٣ جنيهاً ونفقاتها ١٤٠,٥١١,٩٥٥ جنيهاً على هذه الصورة :

اولاً دخل الحكومة

١ من الجمارك على الوارد	
من التبغ	١٣,٣٧٠,٨٧٨
« الشاي	٦,٨١٤,٩٠٨
« المشروبات	٥,٠١١,٥٧٧
« القهوة	١٨١,١٦٧
« الاعناب	٢٤٧,٣٩٠
« الكوكو	١٩٩,٦٦١
« السكر ونحوه	٦,١٧٧,٩٥٣
مواد أخرى	٢٦٨,٦١٣
على الصادر من الفحم	٢,١٨٣,٩٧٣

٢ رسوم المشروبات	٣٠,٢٣١,٣٢٥
٣ ضرائب العقار ونحوه	١٢,٩٦٨,٠٨٢
٤ رسوم عقود ونحوها	٨,١٥٢,٩٩٢
٥ ضرائب الدخل	٣١,٢٩٤,٧٥١
٦ عوائد البيوت	١,٨٨٥,٩٩٩
٧ ضريبة الارض	٧٧٢,٩٦١
٨ مصلحة البريد	١٦,٨٢٣,٣٤٩
٩ مصلحة التلغراف	٤,٠٨٨,٩٥٣
١٠ متفرقات	٣,٠٩٠,١٩١
المجموع	١٤٣,٧٤٣,٤٢٣

ثانياً نفقاتها

١ على الدين الاهلي	٢٨,٠٠٠,٠٠٠
٢ « على ملحقاته	٢,٨٠٥,٩٥٥
٣ « الجيش	٢٨,٨٥٠,٠٠٠
٤ « البحرية	٣,٣٠٠,٠٠٠
٥ « المستخدمين الملكيين	٨,٤٣٠,٠٠٠
٦ « الجمارك وغيرها	٣,١٤٨,٠٠٠
٧ مصلحة البريد	١٠,٦٣٠,٠٠٠
٨ « التلغراف	٤,٦٤٨,٠٠٠
٩ « غيرها	٧٠٠,٠٠٠
الجملة	١٤٠,٥١١,٩٥٥

٦ ــ جندها البري والبحري

الجندية في انكلترا اختيارية والجند الانكليزي البري ينقسم الى سبعة، فيالق برأس كلاً منها فريق تحته ضباط على ما هو مشهور بمصر وغيرها . والجند عندهم طبقتان نظامي

ومساعد والعمدة على الجند النظامي وله شروط للخدمة تقسم الى مدات للعمل او الراحة او غير ذلك لامحل لتفصيلها وبلغ عدد الجند الانكليزي تحت السلاح لسنة ١٩٠٥ كما يأتي

أماكن الجند	عدده
في بريطانيا	١٢٩,٩٥٠
« الهند	٧٨,٠٦١
« جنوبي افريقية	١٩,٧٨٠
« مصر	٤,٢٥١
« البحر المتوسط	١٤,٧٦٦
« الصين وهونكونغ	١,٩٤٦
« الهند الغربية	٤,٢٢٥
« المستعمرات الاخر	٧,٤٢١
الجملة	٢٦٠,٤٠٠

ويضاف الى ذلك عدد الجند الوطني في الهند تحت النظام الانكليزي وهو ١١,٧٥٣

اما جندها البحري فهو نحو ١٢٩,٠٠٠ نفس مفرقة في سفنها واساطيلها وهي اسبق دول البحار وتليها الولايات المتحدة ففرنسا فاليابان فالمانيا فايطاليا فروسيا . وهذا عدد المدرعات الانكليزية لهذه السنة

اصناف الدوارع	عدد
دوارع كبري	٥٢
طوافات مدرعة	٣٢
« محمية	٦٥
سفن التوريد	٥١
نسافات	١٤٢
غواصات	٣٥
	٣٧٧

فجملة سفنها الحربية ٣٧٧ سفينة وهي آخذة في الزيادة كل عام بما تبتنيه منها

٧ — محصولاتها

اهم محصولات انكلترا من الزراعة والاسماك والمعادن والانسجة · اما الزراعة فمساحة الارض الزراعية في جزائر بريطانيا ٧٧,٦٨٤,٠٠٠ قصبة تزرع حنطة وبقولاً وخضراً ومراعي للماشية · واما الاسماك فبلغ وزن ما حمل منها في العام الماضي ١,٠٢٦,٢٨٠ طناً بلغت قيمتها نحو عشرة ملايين جنيه

واما المعادن فبلغت قيمة محصولها للعام الماضي ٤,٥٢٣,٧٢٩ جنيه أكثرها من ثمن الحديد · وبلغ وزن الفحم الذي استخرج في ذلك العام ٢٣٦,٠٢٨,٩٣٦ طناً قيمتها ٨٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فضلاً عن مستخرجات الدلغان والرمل والجير والملح والجبس وغيرها

واما منسوجات انكلترا فهي كثيرة وبلغ عدد المشتغلين في معامل النسج لسنة ١٩٠١ مليون نفس وبعض المليون ثلثاهم من الذكور والثلث الآخر من الاناث · والمنسوجات أهمها الصوفية والقطنية وبلغ وزن الصوف الذي دخل انكلترا للعام الماضي ٦٨٥,٠٠٠,٠٠٠ ليبرا غير صوفها هي فانها حفظت منه ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ليبرة

والتجارة تعرف حركتها من مقدار الوارد والصادر من اصناف السلع وقد بلغت قيمة الوارد على انكلترا لسنة ١٩٠٦ نحو ٦٠٧,٠٠٠,٠٠٠ جنيه والصادر ٣٧٥,٦٧٢,٠٠٠ جنيه · ولانكلترا سفن تجارية تحسدها عليها سائر الامم وبلغ عدد السفن التي تمخر البحار باسم انكلترا ٢٧,٣١٧ سفينة ثلثاها بخارية والثلث الآخر شراعية وبلغ محمولها كلها ١٢,٣٣٢,٤١٤ طناً

وفي انكلترا الآن ٢٢,٨٥٢ ميلاً من خطوط السكة الحديدية بلغت قيمة ماانفق عليها ١,٢٨٢,٨٠٠,٠٠٠ جنيه وبلغ عدد ركابها للعدد الماضي ١,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس · وفيها ٢٣,٢٨٣ مركزاً للبريد يتبادل بها من المراسلات ٢,٧٠٧,٢٠٠,٠٠٠ مراسلة في العام فيلحق الشخص الواحد من الانكليز ٦٢ رسالة وفيها ٢٠,٥١٣ مدرسة تلامذتها ٧,٠٠٠,٠٠٠ تلميذ وعدد المعلمين ٢٢٠,٠٠٠ معلم

تاريخ الاحزاب السياسية

من قديم الزمان الى الان

نريد بالحزب السياسي طائفة من الناس تجمعهم دولة واحدة يتكاتفون في نصرة مصالح الامة ولو آل ذلك الى الاحتجاج على الدولة او مناهضة الحكومة بالقلم او اللسان او السيف . وقد تتعدد الاحزاب في الامة الواحدة وتختلف طرقها ويشتد الجدال بينها حتى يأول الى الخصام وغرضها واحد هو خدمة المصلحة العامة وانما تختلف في الاسلوب المؤدي الى ذلك الغرض — ويصدق هذا التعريف على احزاب هذه الايام واما القدماء فاحزابهم غير احزابنا اذ لم يكن عندهم امة يخدمون مصلحتها لانهم كانوا طبقتين الخاصة والعامة . والخاصة هم اصحاب السيادة وقد يختلفون عليها فينقسمون الى احزاب تنشب الحرب بينها في التنازع على الاستئثار بالتسلط على العامة . فينحاز هؤلاء الى هذا الحزب او ذاك يسفكون دماءهم في نصرة بعض ظلامهم على البعض الآخر — ولا بأس من ايراد امثلة من الاحزاب القديمة ونقدم الكلام في طبقات الناس :

١ — طبقات الناس

ليس في الوجود حيان يتشابهان تمام المشابهة حتى النبات والجماد فكيف بالانسان مع تعدد العوامل المؤثرة عليه . فلا عجب اذا تفاوت الناس في قواهم ومواهبهم واصبحت الامة فيهم مؤلفة من طبقات ودرجات يستأثر قويها بضعيفها و يستبد كبيرها بصغيرها ويستخدم عاقلها جاهلها — ذلك كان شأن الامم التي تمدنت قديماً فالمصريون كانوا مؤلفين من طبقتين كبيرتين هما الخاصة والعامة والخاصة فئتان الملوك والكهنة . والعامة هم سائر الناس وفيهم الجند والرعاة والتجار والتراجمة والنوتية والصناع . وكذلك كان سائر الامم القديمة في اشور و بابل وفارس وفينيقية واليونان والرومان . والخاصة في كل حال هم اصحاب الامر والنهي وسائر الناس طغام اتباع لا صوت لهم ولا جامعة لا يخشى اجتماعهم ولا يخاف بأسهم . وربما عبروا عنهم بالعبيد وعبروا عن انفسهم بالاحرار وقد يأخذهم الكبر فينتسبون الى الالهة كما فعل اليونان فقد كانوا في اقدم احوالهم يقسمون الى ثلاث طبقات الاشراف والاحرار والعبيد والاشراف هم الملوك و يزعمون انهم من نسل الآلهة والاحرار هم اصحاب

الارضين ومنهم الامراء والقواد واما العبيد فهم العامة ومنهم العمال والصناع والخدم فلما استبحر عمرانهم وانتشرت العلوم بينهم انكروا انتساب الملوك الى الآلهة فانزلوهم الى مصاف الاحرار لكنهم لم يرفعوا طبقة العبيد فاصبحت الامة اليونانية طبقتين الاحرار والعبيد . وكذلك كان الرومان ولكنهم تفننوا في هذا التقسيم وفصلوه . فكانت الامة عندهم مؤلفة من ست طبقات (١) الاسر المالكة ويتبعهم اصحاب العقار والارضين (٢) سكان المدن الكبرى وهم مزيج من الصناع والمحررين (٣) سكان القرى (٤) الفلاحون (٥) العبيد (٦) المتشردون . والعبيد تتألف منهم معظم الامة .

وقس على ذلك التمدن الاسلامي فكانت الامة تتألف فيه من طبقتين الخاصة والعامة وكل منها مؤلفة من طبقات ورتب كما فصلنا ذلك في الجزء الخامس من تاريخ التمدن الاسلامي

٢ — العامة في العصور الماضية

واعتبر ذلك في سائر الامم القديمة والوسطى فان العامة لم يكن لها شان يراعى ولا صوت يسمع وانما كانوا آلة يتوكأ عليها اهل المطامع لنيل السيادة فلم يكونوا يعرفون الاحزاب الا التحاقاً بالخاصة وهؤلاء كانوا ينقسمون الى احزاب تتنازع السيادة ويستعين كل حزب منهم بطائفة من العامة يرمي بها خصمه كما يترامى الناس بالحجارة . والعامة راضون لا يتذمرون ولا يغضبون لاعتبارهم الخاصة من دم غير دمائهم — وانما اعتقدوا ذلك ورضوا بالذل والصغار وألفوا الظلم وتعوَّدوا الرياء لجهلهم وضعف قلوبهم

كانت العامة في العصر الاسلامي اخلاطاً من غوغاء ولفيف من امم شتى وصناعات شتى وكانوا لجهلهم اتباع من سبق اليهم او ملك ثقتهم او غلب على اعتقادهم بلا تمييز بين الفاضل والمفضول . وكان عقلاء الخاصة يعلمون ذلك فينظرون الى العامة نظرهم الى احقر البشر فقد سئل الامام علي عن العامة فقال « همج رعاع اتباع كل ناعق » . وقال الفضل بن يحيى « الناس اربع طبقات ملوك قدمهم الاستحقاق ووزراء فضلتهم الفطنة والرأي وعليَّة انهضهم اليسار واوساط ألحقهم بهم التأدب والناس بعدهم زبدٌ جفاء وسيلٌ غثاء لكع لكاع وربيطة اتضاع همُّ احدهم طعامهُ ونومه » . وقال معاوية للاحنف صف لي الناس فقال « رؤوس رفعهم الحظ واكتاف عظمهم التدبير واعجاز اشهرهم المال وادباء ألحقهم بهم التأدب والناس بعدهم اشباه البهائم ان جاعوا ساموا وان شبعوا ناموا » هذه هي آراء خاصة تلك الايام في عامتهم

فكان الخاصة ورجال المطامع اذا انقسموا الى احزاب استعانوا بالعامة وتضاربوا بهم واقدر الاحزاب على اكتساب ثقة العامة اغلبهم في ميادين السياسة · بذلك غلب معاوية علياً — غلبه باسترضاء العامة واصطناع الاحزاب بمداراة الناس واجتذاب قلوبهم وذكروا من امثلة ذلك ان رجلاً من اهل الكوفة دخل على بعيرله الى دمشق في حال منصرفهم عن واقعة صفين فتعلق به رجل من اهل دمشق فقال « هذه ناقتي أخذت مني في صفين » فارتفع امرهما الى معاوية واقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون انها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وامره بتسليم البعير اليه فقال الكوفي « اصلحك الله انه جمل وليس بناقة » فقال معاوية « هذا حكم قد أمضي » ودسَّ الى الكوفي بعد تفرقهم فاحضره وسأله عن ثمن بعيره ودفع اليه ضعفيه وبرَّه واحسن اليه وقال له « ابلغ علياً اني اقابله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل »

وبلغ من امرهم في طاعته انه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء واعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين اخرجه لنصرته · ثم ارتقى بهم الامر في طاعته الى ان جعلوا لعن علي سنَّة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير

واعتبر ذلك ايضاً في سائر العصور الاسلامية حتى في مدينة السلام بؤرة التمدن الاسلامي فان العامة كانوا جهلاء يتحزبون للفقهاء او الخلفاء باسم الدين وهم لا يعرفون من الدين الا اسمه · فقد ذكروا عن رجل من عامة بغداد انه شهد مجلس جماعة من العلماء اجتمعوا للمناظرة في ابي بكر وعمر وعلي ومعاوية فلما سمع جدالهم تصدى لبعض المباحثين وقال له « كم تطنبون في علي ومعاوية وفلان وفلان »

فقال له الرجل « فما تقول انت في علي »

قال « أليس هو ابا فاطمة »

قال « ومن هي فاطمة »

قال « امرأة النبي عليه السلام بنت عائشة اخت معاوية »

قال « فما كانت قصة علي »

قال « في غزاة حنين مع النبي وقد كان عبد الله بن علي حين خرج في طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر ونزل عبد الله بن علي الشام ووجه الى ابي العباس السفاح اشياخاً من اهل الشام من ارباب النعم والرياسة فحلفوا لابي العباس

السفاح انهم ما علموا لرسول الله قرابة ولا اهل بيت يرثونه غير بني امية حتى وليتم الخلافة

اولئك هم العامة في كل زمان ومكان وطلاب السلطة المطلقة لا يستغنون عنهم لانهم معظم الرعية وبهم تجبى الاموال ومنهم تتألف الجنود فمن استطاع كسب ثقتهم واجتذاب قلوبهم ملكوه ولا يجتذب قلوب العامة مثل الدين فاذا اجتمعت السياسة والدين تمت وسائط السلطة المطلقة وتولى امور الناس اكثرهم دهاء واقدرهم على استرضاء العامة بالتقوى

وبالجملة فقد ظهر في العالم القديم احزاب كثيرة تضاربت وتخاصمت وتنازعت ولكنها كانت تفعل ذلك مدفوعة بحب الذات طمعاً بالسيادة . فالعرب كانوا قبل الاسلام احزاباً تجمعها العصبية فلما جاء الاسلام اجتمعت هذه الاحزاب الى حزب واحد بجامعة الدين فلما فتحت ابواب السيادة بعد موت النبي انقسموا الى احزاب سياسية اقدمها الانصار والمهاجرون ثم هاشم وأمية ثم العرب وقريش ثم اليمن ومضر فالعرب والفرس والسنة والشيعة وتحزب اهل المدن بعضهم على بعض كالبصرة والكوفة والشام والمدينة . والاختلاف في كل حال بين الخاصة وهم الامراء والقواد واما العامة فيتبعونهم فينقسمون بانقسامهم ويذهبون ضحية مطامعهم

٣ — حقوق العامة من طبائع البداوة

اول من احترم رأي الامة اليونان القدماء لانهم اول من انشأ جمهورية ونشط الفكر الديموقراطي قبل الميلاد بعدة اجيال فجعلوا للشعب حقوقاً سياسية . واقتدى بهم الرومان في صدر دولتهم ثم عادوا الى الاستبداد . وربما ملَّ العامة الذل فنهضوا على الخاصة ولا سيما في الدولة الرومانية فيرضونهم بعضو ينتخبونه منهم للقضاء اونحو ذلك ويبقون على استبدادهم فيهم . وهؤلاء لا يطمعون بالسيادة او الحقوق السياسية وقلما كانوا ينهضون الا لنصرة الخاصة في احزابهم فينقسم هؤلاء الى حزبين او ثلاثة او اربعة فينقسم العامة مثلهم

توالى على اوربا اجيال في عصر الدولة الرومانية والعامة لا يزدادون الا ذلاً وجهلاً حتى سطا عليها قبائل الجرمان من الشمال وكانوا اهل بادية واستقلال وحرية كما كان العرب في جاهليتهم واوائل اسلامهم . فاختلط الجرمان بالرومان وبثوا فيهم روح الاستقلال ومبادىء الجمهورية كما فعل المسلمون في صدر دولتهم . فكان الجرمان في عهد بداوتهم يولون امراءهم بالانتخاب وانما ينتخبون اهل الكفاءة وقوة العارضة . ولكل فرد منهم بلغ رشده حق ان ينتخِب او ينتخَب . فبثوا هذه المبادىء في المملكة الرومانية لما فتحوها لكنها مالبثت ان ذهبت ضياعاً فعدلوا عنها الى الحكم المطلق والملك الموروث . وانما ذهبت تلك المبادىء منهم

بذهاب البداوة والانفة والاستقلال اذ أركنوا الى الترف والرخاء واستسلموا الى المطامع والملذات كما اصاب العرب بعد تمدنهم فحوّلوا الحكومة من الانتخاب الى الارث

ولم ترسخ الديموقراطية بأوربا في الاجيال الوسطى لاستيلاء الجهل على العامة وانحصار العلم في الخاصة ولو اراد الخاصة ان يمنحوا العامة حقوق الانتخاب ويجعلوا الحكومة طوع اصواتهم وهم جهلاء لأضاعوا دولتهم

فلما اشرق التمدن الحديث بانوار العلم وانشئت المدارس مع تعميم التعليم بين العامة والخاصة وسعت الحكومة بترغيب الناس في العلم واجبارهم عليه عادت مبادىء الديموقراطية الى الظهور وثبتت هذه المرة ونمت لانها مؤسسة على العلم الصحيح . فاصبح للعامة صوتٌ مسموع ورأيٌ نافذ . واصبحت مقاليد الامور راجعة اليهم فانقسموا الى احزاب اتفقت في خدمة الامة واختلفت في الطريق المؤدي اليها وهي الاحزاب السياسية التي نحن في صددها

٤ — حرية الافراد

على ان حرية الافراد بدأت بالتسرب الى شعوب اوربا منذ ظهور النصرانية لان تعاليمها تؤدي الى التسوية بين العامة والخاصة في نظر الدين . ولكن الاحوال لم تكن تأذن بظهور هذا الشعور لان نظام الاجتماع يومئذ كان يقضي بتفضيل الحكومة على الشعب ـ كانت الحكومة كل شيء والشعب لاشيء تضحي مصالحه في سبيل مصالحها . وكانت غاية التمدن عندهم ان يشتد ساعد الحكومة ويتسع سلطانها لاتبالي بما تسفكهُ في سبيل ذلك من دماء الافراد او الجماعات من العامة ولا هي تُسأل عنه ولاهم يعدُّون عملها خارجاً عن حقوقها لائتلافهم الظلم وتعودهم الاستبداد لانهم كانوا لا يفقهون معنى الاستقلال الذاتي او الحرية الشخصية . وكانوا يزدادون تمكناً من ذلك كلما تقهقرت الدولة لتفشي الجهل بين الناس — وهو عدو الانسانية وقاتل النفوس الابية و كلما زاد الشعب جهلاً زادت حكومته استبداداً وظلماً

قضت اوربا اجيالها الوسطى وهذه حالها حتى اذا انقلب تمدنها القديم ونشأ التمدن الحديث بعد ان ابدلت الدولة الرومانية بالدول الحالية تبدل نظام الاجتماع فيها وتحولت الأولية من الحكومة الى الشعب فاصبح الشعب الاصل والحكومة الفرع . و بعد ان كانت غاية الاجتماع تاييد الدولة وتوسيع دائرة المملكة ولو هلك الشعب اصبحت الغاية تاييد مصلحة الشعب والسعي في سعادة الفرد وما الحكومة الاَّ الوسيلة المؤدية الى ذلك . والفضل الاكبر في رفع منزلة العامة و بث روح الاستقلال فيهم للجرمان الذين هبطوا على المملكة الرومانية من الشمال فذهبوا بما بقي من سيادة الرومان في الغرب واسسوا الدول الحالية كما تقدم وكانوا اهل بادية

واستقلال كما كان العرب لما صعدوا اليها من الجنوب في صدر الاسلام وذهبوا بقيتها في الشرق . وحرية الاشخاص طبيعية في اهل البادية لتمرسهم بالغزو والحرب وكلهم محارب ذو باس وسيف وكلهم يشترك في اقتسام الغنيمة — اعتبر ذلك بما كان عليه العرب قبل تمدنهم اذ كان البدوي يخاطب الخليفة او الامير كما يخاطب بعض رفاقه

فتحول نظام الاجتماع في أوربا من سيادة الدولة الى سيادة الامة واصبحت الديموقراطية من اهم اغراض الامم ورافق ذلك تشكيل مجالس تنوب عن الشعب لمشاركة الحكومة في الرأي او الاقتراح وهو الدستور . وكان انتخاب النواب معروفاً في الاجيال الوسطى على كيفية أخرى اما انتخابهم على الكيفية الحالية فهو من محدثات الدول الجديدة . وقد ظهر اولا في اسبانيا فباشرته اراغون وقسطيلة في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد واقتدت بهما صقلية سنة ١٢٣٢ ثم جرمانيا سنة ١٢٥٥ فانكلترا سنة ١٢٦٥ ففرنسا سنة ١٣٠٢

تلك هي فاتحة إشراف الشعب على اعمال الحكومة واشتراكه في ارائها بواسطة مجالس النواب . فلا عجب اذا حافظ على حقوقه وغل ايديها عن الاستبداد فيه فاخذت حقوق الفرد تصان وحريته تظهر فوضع الدستور ونشأت الاحزاب الديموقراطية وساد الرأي الجمهوري

٥ — الاحزاب السياسية

لما سنت شعوب أوربا واميركا الدستور والفت مجالس النواب اصبحت هي المسئولة عن شؤونها السياسية وأحوالها الاجتماعية وكانت العامة قد تنفقت عقولهم واتسعت مداركهم بالعلم والتربية فزاد اهتمامهم بترقية حالتهم الاجتماعية وانصرفوا الى البحث في ذلك بواسطة نوابهم فاذا جرّهم البحث الى الاختلاف في مسالة هامة تحتاج الى اخذ وردّ تباينت آراؤهم في الوسائل المؤدية الى الغرض المقصود فينقسمون الى حزبين فاكثر لتسهيل البحث ويهتمّ كل حزب بايراد الادلة على صحة رأيه — يبدأ هذا الانقسام في النواب ويتطرق طبعاً الى الذين انابوهم وهم العامة والنائب لا يذهب الى راي او ينحاز الى حزب الا وهو عالم بمجمل رأي الذين انابوه فهو انما يؤدي واجباً عليه نحو منتخبيه وتختلف هذه الاحزاب قوة وعمراً باختلاف المسائل المختلف فيها

واقدم تحزب سياسي بين نواب الامة ظهر في انكلترا بين مجالس الاشراف والعموم ومنها حزبان عرفا بحزبي التوري والهويج Tory and whig ويراد بالتوري الاشراف او الخاصة وبالهويج الشعب . وكان حزب الشعب سبباً كبيراً في الغاء تجارة الرقيق ورفع

شان العامة · وربما ظهر في اوربا مثل هذه الاحزاب مما لا اهمية له · واما الاحزاب الجمهورية التي انقسم اليها عامة الشعب للبحث في مصلحة الامة فلم تظهر الا في اواخر القرن الثامن عشر ولا عجب اذا كان الاميركان هم الذين قاموا بها لانهم أول من نال الحرية بقوة الشعب

وذلك ان بلادهم كانت قبل استقلالها منقسمة الى ولايات كل منها مستقل بحكومته وشؤونه لا يجمعها الا الرضوخ لسلطة انكلترا · وارادت هذه الولايات ان تتحد وتشترك في الحكومة والنظام لكن الانكليز كانوا يفرقون بينها خوفاً من اتحادها عليهم · ولما نهضوا للاستقلال لم يكونوا قد اتفقوا على توحيد الولايات فلما فرغوا من الحرب واستقلوا عادوا الى البحث في ذلك فاختلفوا فيه وانقسموا سنة ١٧٨١ الى حزبين عرف احدهما بحزب الفدرال وهو القائل بالانضمام وحزب الانتيفدرال ضده · وفي سنة ١٧٨٨ غلب الحزب الاول وانضمت الولايات المتحدة الى مملكة واحدة سنة ١٧٨٩ وساد حزب الفدرال واستقل بتدبير شؤون الحكومة وانتظم اكبر رجال السياسة فيه

ثم اختلفوا في تنظيم حكومتهم من حيث علاقة الولايات بعضها ببعض فانقسموا الى حزبين احدهما يرى ان تكون الولايات تابعة لحكومة مركزية تشبه الحكومة الملكية والآخر يرى استقلال كل ولاية باحكامها · واتفق في اثناء ذلك قيام الفرنساويين على ملكهم لويس السادس عشر بالثورة الفرنساوية المشهورة سنة ١٧٨٩ وقد سموا انفسهم جمهوريين نسبة الى الجمهور واشارة الى نهوضهم لمقاومة سلطة الملك فاقتبس الاميركان هذه التسمية سنة ١٧٩٢ وسموا بها الحزب القائل بمنع توحيد الحكومة · وكان الحزب في اول تشكله ضعيفاً واخذ ينمو وحزب الفدرال باقٍ

وكان الاميركان قد عقدوا مع فرنسا عهداً سنة ١٧٧٨ يقضي بتعاونهما عند الحاجة على اثر ما كان من نصرة الفرنساويين للاميركان في استقلالهم فلما فاز الفرنساويون بجمهوريتهم حملوا على الدول سنة ١٧٩٣ وفي جملتهن انكلترا واستنجدوا الاميركان فتحير هؤلاء بين ان يقوموا بعهدهم ويعرفوا جميل فرنسا عليهم وبين ان يحاربوا انكلترا وتجارتهم في قبضتها فكان من رأي حزب الفدرال البقاء على الحياد ثم جاءهم مندوب من فرنسا يذكرهم بالعهود فاثر قدومه في الشعب وهاج وطفق يهدد الحكومة ويحثها على القيام بعهودها فلم ينجح ولكنه احدث حزباً ثالثاً عرف بالحزب الديموقراطي وهو يتفق مع الحزب الجمهوري من بعض الوجوه ويختلف من البعض الآخر · ثم اتحد الحزبان فسميا الحزب الديموقراطي الجمهوري

وتقلبت عليه احوال شتى . وقس على ذلك احزاب سائر الدول ففي انكلترا الاحرار وهم فرع من «الهويج» الذين تقدم ذكرهم ظهروا سنة ١٨٢٨ وحزب المحافظين وهو فرع من حزب «التوري» ظهر سنة ١٨٣٢ ولا يزال هذان الحزبان باقيين الى اليوم . وهكذا الاحزاب الفرنساوية وغيرها كالجمهوري والملكي والسوسيالست او الكومون والنشاليست وغيرها مما يطول بنا شرحه ولا فائدة من تفصيله في هذا المقام لاننا انما نريد العبرة والموعظة

٦ — احزابنا السياسية

قد رأيت ان الاحزاب السياسية لم تكن قبل تشكيل مجالس النواب ولا معنى لها بدون تلك المجالس اذ لا يمكن تحديد الحزب وغرضه وتعيين اتباعه ومريديه الا بوجود من ينوب عنهم نيابة رسمية . ولا ننكر ان الشعب حتى في ارقى الامم المتمدنة قد ينحاز الى حزب لا يعرف عنه شيئاً وقد يتعصب لغرض يساق اليه بالقدوة او الغيرة او التقليد وهو لا يفقهه . ولكنه يفعل ذلك اعتماداً على رأي رجل يثق به وقد انابه عنه باختياره ويشعر انه مكلف بنصرته والاخذ بيده مادياً وادبياً . والنائب من الجهة الاخرى يشعر انه مسئول عن مصلحة الذين انابوه ومراعاة احساسهم فلذلك كان اهل الحزب الواحد متضامنين متعاونين مترابطين لهم اندية يجتمعون بها وصحف يقراونها وينشرون آراءهم فيها واموال يبذلونها للانفاق في بث اغراضهم واصطناع الاحزاب او ابتياع المناصب . واذا انحازوا الى حزب استهلكوا في نصرته لا يتحولون عنه او يبدلونه لان في رجوعهم عاراً يعود عليهم بالاضرار المادية والادبية

فاين هذا من احزابنا على تعددها وتناقضها وما هي من الاحزاب السياسة في شيء وانما هي آراء يراها بعض الوجهاء او الادباء فيوافقه عليها جماعة من محبيه او مريديه ويكتفي في موافقتهم ان يقولوا مثل قوله ولا يتكلفون من وراء ذلك نفقة ولا يتكبدون مشقة ولا يخافون خطراً ولو فرض على احدهم جعلاً او كلفه قولاً لاعتذر وتقاعد وربما انسحب ولا سيما اذا علم ان الحكومة غير راضية عن الحزب الذي انضم اليه . ولا لوم عليه في ضعفه اذ ليس له نائب يدافع عنه ولا كان هو من الداعين الى تاليف الحزب وانما دعي اليه فرآه مطابقاً لمعتقده فاستحسنه فعدَّ استحسانه اشتراكاً فيه . فهو لا يرى نفسه مكلفاً بتضحية شيء في سبيل الدفاع عنه ولا صاحب الرأي الاصلي يكلفه ذلك لعلمه ان هذا لا يكون الا بمجالس النواب . وهذه انما تنال بعد ارتقاء الامة بالتعليم والتهذيب على ما فصلناه في غير هذا المكان

تاريخ الازياء الشرقية

١ — ملابس الرجال

٤ — العصر الاخير او الافرنكي

يمتاز هذا العصر بتمدن أتانا من أوربا في اوائل القرن الماضي ومعهُ عادات وازياء جديدة اقتبسناها بحكم الطبيعة القاضية بان يقلد الضعيف القوي فلبسنا الطربوش والبرنيطة والبنطلون والسترة والجزمة على اختلاف اشكالها • ويمتاز هذا العصر بالتقارب بين العامة والخاصة بالازياء ولا يميز العسكرية عن الملكية الا شرائط او علامات صغيرة اما الهندام على اجماله فواحد في كليهما



ش ١ — لباس العامة في اول القرن الماضي

كانت ملابس العامة قبيل هذه النهضة في اول القرن الماضي كما كانت عليه في صدر الاسلام تقريباً اعني الجبة والقفطان والعمامة على تفاوت في الشكل او اللون اقتضته طبيعة العصر كما ترى في الشكل الاول • وكانت هذه الملابس شاملة طبقات العامة على اختلاف مذاهبهم واعمارهم وان كانت تختلف شكلاً او لوناً باختلاف تلك المناصب • ولم يكن لاهل الذمة في اوائل الاسلام ان يقلدوا المسلمين بلابسهم وانما يؤذن لهم بلبس ما يميزهم عن المسلمين كالطيالسة العسلية على رؤوسهم والزنانير باوساطهم ثم اهمل هذا التفريق بتوالي الازمان • ولا يزال هذا الزي لباس الفقهاء والمتفقهين واهل الارياف الى الآن

اما الجند ورجال الدولة فقد كانت البستهم في اول القرن المذكور نحو ما كانت عليه قبل ذلك بقرن او قرنين على ما رايته في الشكل ١٢ و١٤ و١٥ من هذه المقالة في الهلال

الماضي • ويبدأ تاريخ ملابس الجند الحالية بنهضة محمد علي باشا اذ ألف الجند النظامي على مثال الجند الاوربي فانه عهد بذلك الى سليمان باشا الفرنساوي فالبس الجند لباساً يشبه ملابس الجند الفرنساوي في ذلك العهد مع بعض التعديل • وكان السلطان محمود الثاني قد اباد الانكشارية ونظم جنداً جديداً على الشكل الذي توخاه محمد علي وميزه بالطربوش فاقتدى محمد علي به والبس جنده الطربوش وهو شعار الجند العثماني الى الآن كما ان العمامة شعار الفقهاء واهل العلم



٢ — مخائيل مشاقه بلباسه الشرقي

وللطربوش تاريخ طويل تقلب فيه على احوال شتى قبل وصوله الى شكله المعروف • فقد رأيت انهم كانوا يسمون به التاج المثلث الشكل بلا عمامة • والظاهر انهم لفوا عليه العمامة بعدئذ واختاروا له اللون الاحمر ثم استعاضوا عن العمامة بكساء من الخيطان الخضراء



ش ٣ — جند محمد علي

كالشراريب تتعلق في قمته وترسل الى دائرته حتى تغطيه لمجرد الزينة ثم حسروا تلك الشراريب عن الجبهة لئلا تضايق اللابس وجعلوها سوداء فاصبحت الشراريب تحيط

بالطربوش من كل جهاته الا الامام (ش ٤) ثم ضموا الشرابة ضمة واحدة وهي الزر المعروف • وقد شاع استعمال الطربوش في بلاد الدولة العثمانية في ايام السلطان عبد المجيد • وكان شكله اسطوانياً ذي اربع زوايا هي أرطياته وكان يعرف بالطربوش المغربي لانهم كانوا يستجلبونه من بلاد المغرب ولما شاع بين العامة كان بعضهم يلف حوله عمامة صغيرة أو كبيرة وله زر طويل ازرق اللون يرسل الى الوراء فوق العمامة فلما كانت ايام السلطان عبد العزيز اصطنعوا منه شكلاً مخروطياً مقطوع القمة سمي عزيزياً نسبة الى السلطان المذكور وهو الباقي الى الآن (ش ٦)

ش ٤ — مصطفى رشيد باشا

وشاع في سوريا ومصر في اوائل القرن الماضي ايضاً نوع من السراويل يخاط من الجوخ ويطرز بالحرير على جانبيه ويلبسون فوقه الكبران القصير وعليه مثل هذا التطريز • ولعل هذا تخلف عن لباس الانكشارية مع بعض التغيير • وكان يلبسه محمد علي ورجاله المملكيون • وكانوا يلبسون نعالاً حمراء مستدقة في مقدمها فقلدهم به بعض الخاصة ثم شاع بين العامة وهو لباس طائفة من اهل الجيل الماضي في الشام ومصر (ش ٥) ـ لبسوه وآباؤهم يعدونه بدعة لانهم لم يألفوا غير الجبة والقفطان والعمامة فيبقى الاب عليها وابنه يلبس الشروال والكبران والطربوش

فلما نشأ ابناء هذا العصر وتعلموا بالمدارس الافرنجية واختلطوا بالافرنج واقتبسوا معارفهم وقلدوهم بآدابهم وعاداتهم كانت الازياء من جملتها — بدأ بذلك مستخدمو القناصل وكتابهم والكتاب في الاماكن التجارية الافرنجية ثم تلامذة المدارس الافرنجية فنشأ هذا الجيل وابناؤه يلبسون على الزي المعروف بالافرنجي وهو السترة والبنطلون والبرنيطة • وتختلف احذية هذه الايام عما تقدمها من اشكال الاحذية في القرون الماضية ان نعالها عالية عند الكعب فضلاً عن التفنن باشكالها والوانها ولم يكن عامة اسلافنا يعرفون غير المداس الاصفر والسرماية والخف والبابوج

ش ٥ — الشروال والكبران

ش ٦ — الشيخ احمد فارس يلبس الزي التركي

وفي اثناء ذلك اتخذت الدولة العثمانية هذا اللباس الافرنجي لرجال حكومتها وجندها مع استبقاء الطربوش شعارها الخاص فاقتدى الناس بها (ش ٦) والغالب في هذا الاقتباس ان يبدأ به الشبان اذ يشق على الكهول تغيير ما الفوه من العادات والازياء • فتقلب لباس اهل الجيل الماضي على ثلاثة ازياء كان اولا الجبة والقفطان والعمامة ثم دخل الشروال والكبران والطربوش المغربي ثم السترة والبنطلون والطربوش العزيزي • فربما رايت في البيت الواحد شيخاً يلبس العمامة والقفطان وابنه بالشروال والكبران وحفيده بالسترة والبنطلون والطربوش • وعند النصارى طبقة رابعة تلبس اللباس الافرنجي بالبرنيطة • ويظهر ان المستقبل للبرنيطة عندهم

ولا يلبس الطربوش الا من اضطر مراعاة لمصلحة او رضوخاً لامر لاننا نرى غلمان هذا الجيل يتعودون البرنيطة في طفوليتهم اذ نقلد الافرنج في تربية اطفالنا فنلبسهم مثل البسة اطفالهم ونتدرج في تقليدهم بملابس غلمانهم وشبانهم • ويساعد على تغلب البرنيطة انها اوفق للصحة من الطربوش ولا سيما في البلاد الحارة وانما يقف في سبيل

انتشارها اعتقاد عامة المسلمين ان لبسها يخالف تقاليد الدين الاسلامي . والذين لا يستقدون ذلك من الخاصة يتمسكون بالطربوش لانه شعار الدولة الاسلامية الكبرى

ولو قدر للانسان أن يعمل بما يرشده اليه عقله ويرى فيه نفعه لكان سعيداً ولكنه خلق عبداً للتقليد وصنيعة للعادة وانما ينظر في ظواهر الاشياء ويعتبر تأثيرها الوقتي من بهرجة او زينة والاّ لكان للمشارقة من اقدم ازيائهم ما هو خير لهم من كل زي جاء بعده . لان القفطان على بساطته افضل الالبسة التي تقلب عليها اسلافنا ولو اردنا بيان التفاضل بين تلك الازياء لرأينا القفطان انفعها واقربها الى الحشمة والبنطلون اضرّها وابعدها عن الحشمة لأن اللباس الواسع يتخلله الهواء وهو ضروري لسطح الجسد فينعشهُ ويجفف الابخرة التي تتصاعد عنهُ والانسان يتنفس من جلده كما يتنفس من رئتيه . فاذا حبسنا جسدنا بالبنطلون منعنا عنهُ وظيفة طبيعية . واعتبر ذلك ايضاً بالاحذية فالنعال او المداس اقرب الى صحة لابسيها من الاحذية الافرنجية الضاغطة على الجلد الى اعلى الكعب فتمنع تبخر العرق وتفسد المفرزات فتتصاعد عن الاقدام روائح كريهة لا تكون في الارجل المكشوفة للهواء . واما العمامة فالبرنيطة انفع منها للاسباب التي قدمناها فلو اراد احدنا ان يعمل بما يرشده اليه عقله لمنفعة جسمه لرجع الى ما كان يلبسهُ اجدادنا منذ ثلاثة آلاف سنة او ما يلبسهُ اهل البادية الآن وهو القفطان الواسع وفوقه الجبة لاتقاء البرد والنعال في القدمين تشدُّ بسير رفيع كأن لابسها حافٍ وانما يتقي وعورة الارض بالنعال . واما الرأس فيتركهُ مكشوفاً للهواء الا اذا اشتد الحر فيتقي اشعة الشمس بالبرنيطة واذا اشتد البرد اتقاه بالعمامة . وهل اغرب عندنا من ان نرى رجلاً بالقفطان والبرنيطة على هذه الصورة ؟ ولكننا لا نلوم رجلاً يبدل اللباس الضاغط على بدنه الحاجز بين جلده والهواء بلباس يريحهُ وينعشهُ

اللغة العربية في اميركا

نبهتنا جريدة « الوفاء » التي تصدر في لورنس ماس باميركا في اثناء كلامها عن مقالتنا « اللغة العربية في اميركا » انهُ فاتنا ان نذكر بين كتاب الصحف هناك نقولا حداد وخليل عساف بشاره وجبران خليل جبران و يوسف يونان . وان الوفاء انشأتهُ جمعية الشبان الزحليين وليس يوسف مراد الخوري رئيس تحريره — فنشكرها على هذا التنبيه

انتحار الملوك والعظماء

لخليل افندي الخوري محرر بالاهرام

ان مسالة الانتحار قد استلفتت انظار فئة كبيرة من علماء الاخلاق والاجتماع واصبحت الشغل الشاغل لاهل البحث والتنقيب فحسبوا الانتحار من الادواء التي تطرأ على اللاجئين اليه والعائذين به من كوارث هذه الحياة الدنيا . والعلة التي اراها لحسبانهم الانتحار داء هي قلته حتى في الاصقاع التي يكثر فيها بالنسبة الى سائر الاصقاع . وسواء كان هذا الداء محتمل الشفاء اوغير محتمله فهو خليق بان ينظر فيه و يتدارك امره . والناس الذين ينظرون في الاعمال البشرية من الوجهة اللاهوتية يشمئزون من الانتحار لانهم يحسبونه مخالفاً لارادة الحق سبحانه وتعالى . وبما ان اكثر الناس تحت تاثير الصبغة الدينية ان صريحاً او ضمناً فقد غالوا في البحث عن الانتحار من الوجهة الاخلاقية الادبية وذكروا كثيراً من احاديث التنفير وارهبوا البشر بتخويفات لا طائل تحتها . ومن الغريب المدهش ان ترى الاكثرين متفقين على ان المرء لا يقدم على الفتك بنفسه الا وقد استحوذ عليه اختلال في العقل او ارتياب في النقل وهذا من الاوهام الشائعة والاغلاط السائدة ونقل لنا التاريخ حوادث عن انتحار الملوك والعظماء تؤيد بادلة بالغة وحجج دامغة ضعف المذهب الذي يذهب اليه اولئك الناس ولا يحضرني الا بعضها وهي :

الملك كمبيس (٥٢٢ ق . م) وهو ابن قورش الفارسي المشهور منشيء الدولة الفارسية خلف والده واشرب منه حب الغزو وشن الغارة فبارح بلاده وحمل على المصريين حملة مدهشة وظهر عليهم في مواقع كثيرة ثم انفذ الى صحراء ليبيا خمسين الفاً من المقاتلة لاخضاع الناس وقمع شوكة الثائرين فهبت عليهم هناك عواصف السموم ونسفت الرمال نسفاً فابادتهم عن آخرهم ونمي خبرهم الى كمبيس فوقع في نفسه وقوع الحزن و بلغه ايضاً ان واحداً من زعماء عبدة النار تمثل باخي كمبيس المتوفى وادعى الملك فرقي سدة السلطنة الفارسية وتحيز له حزب من الدولة كبير فانثالت المصائب على كمبيس من جميع النواحي و يئس من البقاء فانتحر قبل ان يصل الى عاصمة مملكته

ودموستنيس (٣٣٩ ق . م) هو خطيب القرون الاولى لم يباره في الخطابة مبار نشأ في اثينا وكان يتهالك في حب بلاده و يموت في الذود عن وطنه طمحت في عصره عين فيلبس المقدوني الى بلاد اليونان فكان يتظاهر بمظاهر الصفاء ويتخلق بخلق الولاء حتى

اذا سنحت له الفرصة اغتنمها ورد كيد اليونان في نحورهم وحكم في امورهم فهال صوله ذلك الخطيب المصقع وعرف دموستنيس من اين تؤكل الكتف فحمس اهل اليونان بفصاحة بيانه وطلاقة لسانه واثار فيهم عواطف المروأة وحسن لهم مناهضة فيليب بما كان يلقيه عليهم من خطب الحماسة فاجتمعت قلوب القوم وتوصدت كلمتهم وهبوا كالنار الكامنة فجرت وقعة كورونا بين جماعة مقدونيا وجماعة اليونان وكسرهم فيليب شر كسرة فتفرقوا طرائق وتمزقوا اي ممزق . وكانت تلك الوقعة فاصلة بين الامتين وداعية الى سيطرة فيليب في بلد اليونان وظل اليونانيون خاضعين لمقدونيا حتى توفي فيليب وخلفه الاسكندر نابغة القائدين فهلعت لهيبته قلوب الاعادي واستتبت احكامه في مقاطعات اليونان على انه لما اخترمته المنون شق اولئك القوم عصا الطاعة بتحميس دموستنيس ولم يأتمروا بامر انتيباتر وهو خلف ذي القرنين على بلادهم فناجزوه ردحاً من الزمان واندحروا امامه فخاف دموستنيس منه ولجأ الى الفرار من اثينا فلحقه انتيباتر فلم ير طريقة للتخلص من يديه الا الانتحار فشرب السم وذهب ضحية محبة الوطن

وهنيبال (١٣٨ ف ٠ م) كانت قرطجنة احد الموانئ التي انشأها الفينيقيون على شاطئ افريقيا الشمالي واصبحت عاصمة الدولة القرطجنية التي اشتهرت في منازعتها للدولة الرومانية وكانت هذه في تلك القرون مشيدة الاركان معقودة الرايات في كل الاصقاع وقهرها هنيبال امير قرطجنة لانه ناوأها في صميم بلادها وكانت الحرب بين الفريقين سجالاً واسفرت عن انكسار القرطجنيين وظهور الرومانيين وكانت الوقعة الفاصلة في زاما المشهورة ولما وضعت تلك الحرب اوزارها عقد صلح بين الدولتين وعين بموجبه هنيبال حاكماً لمدينة قرطجنة فقصر عمله على اصلاح تلك المدينة واعلاء شانها فخاف الرومانيون ان يعود هنيبال مرة اخرى الى منازلتهم اذا انس من نفسه الكفاءة والاستعداد فطلبوا من القرطجنيين تسليمه لهم وشددوا عليهم بذلك فتردد القرطجنيون ثم اجمعوا على ارتكاب هذه الفعلة . على ان هنيبال فر من قرطجنة والتجأ الى حاكم افسس فاستقبله هذا بما يليق به من الحفاوة ولكن الزمان خؤون وسيف الرومان كان يعمل في كل بلد فنشبت بينهم وبين حاكم افسس حرب وانتصروا عليه انتصاراً باهراً وطلبوا اليه ان يلقي هنيبال في ايديهم فابى وهرب ذلك القائد المنكود الحظ الى مقاطعة بثينيا في ابعد صقاع اسيا الصغرى من الناحية الشمالية على ان الرومان لم يغفلوا عنه وتطاولت اعناقهم اليه فلم ير بداً من قتل نفسه للخلاص من عنفهم فانتحر بالسم ومات على يمينه ان يكره الامة الرومانية الى اخر الدوران

ومن دهاقنة القوم الذين فتكوا بنفوسهم في زمن الدولة الرومانية بروتس وكوص وهذان كانا من ارباب البسط والقبض . وتحرير خبر انتحارهما انهما اندمجا في سلك المتآمرين على اغتيال حياة يوليوس قيصر وكان قد رقي سنام المجد و بلغت مطامعه الى طلب الملك ولبس التاج ومعلوم ما كان في قلوب الرومان من الكره للملوك فلما انهي ذلك الى ولاة الحل والعقد اوجسوا خيفة وعقدوا النية على الاضرار بقيصر فقام بتلك المكيدة المشهورة بروتس وكوص وغيرهما من عظماء الرومان . وفي موعد انعقاد مجلس الامة فاجأ أولئك المتآمرون قيصر حال جلوسه في ردهة المجلس الكبرى ولم يعتم حتى انهالت عليه الطعنات من كل جانب وطعنه بروتس وكوص طعناً بالغاً فالتفت الى بروتس وقال هذه العبارة المأثورة « وانت ايضاً يا بروتس ؟ » ثم اسلم الروح

ووهم المتآمرون ان فعلتهم تجدو بالامة الى الجزل وتبعث الناس الى السرور فطفقوا يصيحون ويصخبون في الشوارع وانبروا يبشرون الرومان بانصداع بيضة قيصر وهبوط كلمة احزابه وسقوطه تحت سيوف اولئك المحزرين فضج الشعب واستاؤا من المتامرين ثم صعد انطونيوس (١) بجثة قيصر الى دكة الساحة العمومية وجعل يخطب على الرومان ويحمسهم فكادوا يبطشون بالمتآمرين باسنانهم واندفعوا الى المدينة مدججين بالاسلحة واستتب الامر لانطونيوس واغسطوس قيصر بجعلا قبلة عزائمهما اضعاف المتآمرين وتحرير البلاد من قلاقل المشاغبين . وكان بروتس وكوص قد فرّا الى الشرق وطفقت جماهير المقاتلة تتألب حولهم من كل ناحية والتقيا في آخر الامر بانطونيوس واغسطوس في فيلبي وحمي هنالك وطيس القتال بين الفريقين واسفر عن انهزام جنود المتآمرين وتضعضعت احوالهم فيئس بروتس وكوص من نيل الاماني وانتحرا وكان ذلك في القرن الاول قبل الميلاد

ونقل لنا التاريخ انه بعد مصرع ذينك العظيمين تنازع الملك اوغسطس وانطونيوس فكان علم الاول يخفق في المغرب وعلم الثاني يخفق في المشرق والدنيا بامرها تشخص بابصارها لتعرف لمن يكون اليوم . وذهب انطونيوس الى طرسوس وبعث رسلاً الى كليوبطره اخرة ملوك البطالسة في وادي النيل لتقدم اليه وتلقي تقارير بلدها بين يديه ليعلم ماجريات الحوادث في مصر لان قيصر كان قد غلب ذلك البلاد وولى كليوبطره من قبله . فتاهبت تلك الملكة وأبحرت من الاسكندرية في سفين مذهب وقد جهزت له مجاذيف فضية واشرعة حريرية ارجوانية وتردت بكل نوع من الملابس البديعة تقرباً من الالهة

(١) كان انطونيوس كاتم اسرار قيصر واعظم المقربين اليه

الجمال حتى افضت الى طرسوس فلما شاهدها انطونيوس علق بها واستحكم حبها في قلبه واستفزت عواطفه واسترقته كما استرقت قيصر من قبله · فتوغل في مهامه الشهوات ونسي المهمة التي جاء بها وكثرت التقولات في عالم الرومان وصاروا يفوقون سهام الملامة عليه لا سيما لما طلق زوجته وذاع في الخافقين انه ينوي جعل الاسكندرية عاصمة السلطنة الرومانية ويعلن قيصرون ابن قيصر المتوفى ولي عهده فازبدت الدنيا الرومانية وارغت ودارت بابصارها الى اوغسطوس لينشلها من تلك الورطة فطفق هذا يتحفز لمناجزة انطونيوس وكليوبطره والضرب عليهما سرادق العفاء اخر الدهر فاعد العدد ورسب من حوله المحاربين وقام الى اكتيوم احد المدافن اليونانية فاستقبلته عمائر انطونيوس وعمائر الدولة المصرية تمثلها سيدة النيل كليوبطره · على ان الاهة الجمال ولت هاربة وزايلت عمارتها ثم لحقها انطونيوس وانهيا الى الاسكندرية واكره أوغسطوس عمائر الاعداء الى الاستسلام لامره واستأسر خلقاً كثيراً وتوجه الى عاصمة مصر ولما علم انطونيوس بهبوطه في ذلك القطر عمد الى الانتحار وكانت كليوبطرة قد انفذت اليه خبراً كاذباً تنبئه انها ماتت فبئس ذلك العظيم وكان مصرعه انتحاراً وقيل انه قبل وفاته اوعز الى بعض حاشيته ان يحملوه الى كليوبطرة فعادت الى هواه واسلم الروح بين يديها وانها انما انفذت خبر موتها له لكي تتخلص منه وتشتغل بهوى اوغسطوس على ان هذا لم يكن غنجها ليأخذ بمجامع قلبه فصمد لها · ولما قنطت منه استحضرت صلاً وجعلته يلدغها في ذراعها فانتحرت بتلك الطريقة المدهشة فراراً من الوقوع في يدي ذلك العدو العنيد فلما نمي خبر موتها الى أوغسطوس بعث ضباطه الى غرفتها لكي يقفوا على حقيقة أمرها فشاهدوها بما كانت فيها من الجمال الرائع كانها لم تزل في عداد الاحياء ولم يروا عطباً في جسمها وكانت يومئذ في العام الثامن والثلاثين من عمرها على ان طريقة انتحارها ليست معروفة حق المعرفة

وآخر من اذكر من العظماء الذين انتحروا متردیت الكبير وحكايته انه كان ملكاً عظيماً وعاصر ملوك الرومان في القرن الاول قبل المسيح وتولى امر مقاطعة بنطس على شاطيء البحر الاسود الجنوبي · ولما سادت القلاقل في بلاد الرومان وانعقد غبارها في جو العالم السياسي وعظم التنافر بين الاحزاب عمد هو الى مناوأة الدولة الرومانية فقتل الوفاً من التجار الذين كانوا يقطنون اسيا الصغرى فزحف عليه سولا الروماني بجيش عرمرم واكرهه على التسليم ودفع غرامة باهظة على انه لم يمض بضعة اعوام حتى

عاد متردين الى التهييج واثارة القلاقل • والذي حثه هذه المرة على تلك الجرأة هو ماكان يراه من فساد الحكم الروماني وسوء السلطة واستبداد الرومانيين في بلاد الشرق فاثار الاهلين وهيج المقاتلين وصمم على مقاتلة تلك الدولة فانفذت اليه قنصلها لوكل على انه لم ينقض زمن وجيز حتى عصاه جنوده واتهمته دولته فاقالتــه من امرته وبعث بومبيوس بدلا منه فزحم هذا متردين في سهول ارمينيا وابلى فيه وفي جنوده بلاء حسناً ففر متردين الى بلاد القوقاس فاحجم بومبيوس عنه وتوجه الى سوريا وهناك اعمل سيفه في رقاب العباد واغتنم تلك الفرصة متردين وصار يهيج مواطنيه فالب حوله الاحزاب والمقاتلين وعقد النية على قطع اوربا والنزول الى ايطاليا في الشمال على ان الجد ادبر عنــه في ذلك الحين ففرق متردين فرقاً عظيماً وخاف ان يقع بين براثن الرومان ويهلكه الاعــداء فانتحر انتحاراً تخلص به من قبضة اولئك الغالبين

هذا وقد وصلت الى آخر الملوك والعظماء الذين انتحروا انتحاراً بعثهم عليه اليأس ولا اذكر احداً غــيرهم من الذين عظم امرهم في القرون الاولى وانتهت حياتهم بالانتحار — والسلام على من يضحي نفسه في سبيل الحق ولا يقول غير الحق·

امثال من الانكليزية

للدكتور ورتبات

الحكيم لا يشهر علمه حباً بالفخر لان الحكمة لا تأتي من مجرد الكلام بل الحكيم من يعمل وهو صامت والجاهل لا سلطة له على لسانه

لا في كتب العلم ولا في شيء آخر في الدنيا يعلن الحق كله

لا اعرف سماً في الكلام اشر من سم المداهنة • لا يسود فريق الا اذا كان لهم قائد عزوم

عمل الرجل يدل على أصله

لا يصلح العالم الا بالشدائد • الحكم السريع يخجل المرء في الغد

من يقول شيئاً يريده يسمع شيئاً لا يريده

كلمة حسنة مجابة لمحبة طويلة

الشاب الذي لا ينتصح كسفينة في البحر لا حبل لها ولا شراع ولا مرساة

الفضة والذهب يجعلان الباطل حقاً

صحة العائلة

التقبيل

للدكتور فياض بالفجالة بمصر

لا اعلم اذا كان كلامي في هذا الموضوع يعدُّ جسارة بل انا على يقين اني سأرضي به قوماً وأغضب آخرين وربما كان مجال الغضب اوسع لان التقليد والرياء وحب الذات اخلاق راسخة فينا وهي كانت ولا تزال اهم اسباب التقبيل : قبلة يد الرئيس ويد الكاهن ويد الاب . قبلة التعارف والوداع . قبلة الاستعطاف والمذلة . على ان املي ضعيف بالنتيجة من هذا البحث لاني اعرف ان نزع العادات اصعب من نزع الاسنة وان الارادة والعلم والتربية اضعف من ان تقوى على هدم التقاليد وان وجدت سبيلاً الى ذلك فلا يكون الا بتمادي الزمن

يقول المعترضون ماذا تريد من عادة دخلت في ذمام الدهر لتقادم العهد عليها وصارت مرتبطة بالوجود ارتباط الجسم باعضائه ؟ ماذا يهم اذا اساء الناس استعمالها فيما مضى فحمَّلوها وصمة عارهم وجعلوها وسيلة الغدر والنميمة فباع بها يهوذا المسيح وقتل بروتوس القيصر وحرَّمها كانون على الزوجين امام البنين ونفي من أجلها احد حكام رومة ؟ ألم تكن القبلة عربون المحبة والحنو والسلام وعرفان الجميل ؟ كم من الرجال طاشت بهم الحدة والغضب فارجعهم الى الصواب قبلة من نسائهم وكم دمعة من هؤلاء الصغار نشفتها قبلة الام ؟ ليست القبلة لساناً ولا عيناً ولا روحاً ولا دماً ولكن فيها شيئاً من العين واللسان والدم والروح لانها لغة القلب البشري وترجمان معانيه الخالدة . ولكم اعربت عما تضيق عنه فسحة الكون فهي للعواطف المضطرمة كالانبوب الذي يندفع منه البخار اماناً للمرجل ان ينشق . فالقبلة اذاً تعزية ولذة وتريد ان تحرمنا اياها

ثم ماذا تترك للمصورين والشعراء فانك تنزع منهم حلقة جميلة من سلسلة تصوراتهم

ولكن ما العمل بالاطباء فقد وجدوا ليداخلوا في كل امر فلا اكل ولا شرب ولا لباس ولا نوم الا لهم فيـه رأيٌ ونظر فهم على حد ما قال موليير او هيبوقراط يدخلون اصبعهم في الشجرة بين القشرة واللب . هلم ايها القاري، لاريك تحت المجهر ما يدهش له

بصرك من هذه الكائنات المتناهية في الصغر واذا ذكرت لك شيئاً من فعلها تكاد لا تصدق بوجود هذه العلاقة المكينة بين صغر السبب وكبر النتيجة : هذه هي جراثيم السل والتيفوئيد والنزلة الرئوية والخناق (الدفثيريا) وغيرها من الامراض الفتاكة تعيش في جسم الانسان او في خارجه وكثيراً ما كانت نقطة من بصاقنا ملتقى الملايين منها . فقد اثبت العلم ان فم الانسان الصحيح مباحٌ لها في كثير من الاحوال الا انها تكون فيه ساكنة هادئة كالاسد المقيد حتى اذا لاءمتها الفرص وثبت من ضجعتها وحملت حملاتها المنكرة . وفي الفم مكروبات غير هذه لا ينتج عنها اذى و بعضها نافع في الهضم لفعله بما يخالط الطعام من المواد النشوية والزلالية والسكرية من تذويب وتحليل ولكن هذه المكروبات النافعة عينها قد تتغير البيئة فينقلب نفعها ضرراً وتسبب بخر النفس وربما شاركها غيرها فاضاف الى خبث رائحة الفم تسوس الاسنان وحالات شتى من التسمم

هنا لا مندحة لي عن ملاحظة اخاف بدونها ان يلتوي القصد وتفوت الفائدة المطلوبة من حديثي هذا . فاذا تكلمت عن المكروب فليس لاجعل الوسواس في صدر القاريء فيتوهم ان كل ما حوله مكروب يتأهب للفتك به فلا يعود يأكل او يشرب او يلمس شيئاً الا بيد مختلجة وفكر مضطرب . كلا ولن يبلغ المكروب هذا الحد من الاقتدار والصولة فيُخفي علينا خوفاً لان الطبيعة البشرية من وسائل الدفاع وقوى الحياة ما يضمن لها الفوز في اكثر الاحايين ولولا ذلك لما امكننا ان نمشي خطوة في الحياة لان الهواء الذي نستنشقه والتراب الذي نثيره من تحت اقدامنا وكل ما يحيط بنا مملوء بالجراثيم المرضية وفي كل لحظة يدخل فمنا بالتنفس الوف من هذه الكائنات فلو كان لها التأثير الذي يتوهمه بعضهم لضاقت بالانسان مسافة العمر وساء حال الصحة

اما وسائل الدفاع فهي متوفرة لدينا واقفة كالحراس من مدخل الانف والفم الى اعمق الصدر والدم منها الشعر واهداب الخلايا المتموجة ومفرزات الاغشية المخاطية واللعاب من كل ما يقتل المكروب او يصده . ومنها كريات الدم البيضاء وهي اشبه شيء بجند متطوع يقعد للعدو كل مرصد حتى اذا احسَّ به اندفع الى ظاهر الشرايين وانقضَّ عليه قبل ان يتطرق الى الدم ودار من حواليه يحاول ابتلاعه . وقد قدروا عدد هذا الجند بخمسة وسبعين مليارا . بجسمك ايها القاريء كما ترى حصن حصين وراءه حرب عوان حامية الوطيس يسعى فيها دمك الى وقايتك وحفظك وانت لا تشعر من ذلك بشيء ولا تسمع لعلعة مدافع ولا تنظر بريق سيوف . فاعلم ان خوفك من المكروب وهمٌ لامساغ له بل قد يأتيك بالضرر

لان الخوف كالبرد وكالتعب يضعف المقاومة الحيوية ويمهد السبيل الى الامراض · ولكن اعلم ايضاً ان التعـرض للمكروب بدون سبب مخاطرة لا تحمد لان التفريط في الوقاية والافراط سواء

والآن اعود الى موضوعي ·

بعد ان عرفت ما وراء هاتين الشفتين من الامراض الكامنة تبين لك وجه الحكمة في اجتناب التقبيل والسعي في ابطال هـذه العادة الشديدة الخطر على المقبِّل والمقبَّل · يكفي اذا كان في الوجـه جرح او بثرة وفي الشفاه سحج او تشقق ليتم التلقيح وتسري العدوى من الواحد الى الآخر · ولو فرضنا ان الفم نظيف ولا خطر مما يسبح في الريق من المكروب افيأ من المقبل على نفسه من خـدّ يقبله ? واذا كان الاختبار قد اثبت انتقال الزهري بواسطة آنية الشرب والتدخين فكيف به واللقاح مباشرة من فم الى خد او خـد الى فم ?

والامراض التي تنتقل بالتقبيل مثل الزهري كثيرة منها السل وجميع امراض الحلق وتسوس الاسنان · واكبر مخاطر التقبيل عند الاولاد فما اسرع ما تمشى فيهم الحميات والجدري والدفثيريا والنزلة الوافدة والسعال الديكي وغيرها · لاجل ذلك وجب على معلمي المدارس والمعلمات تشديد المراقبة والانتباه لمنع هذه العادة بينهم · وقد اكد بعضهم ان عدوى السل للاولاد تكون غالباً بهذه الطريقة لان المسلول يحمل دائماً على شاربيه وشفتيه باشلس الداء فاذا قبل ولداً في موضع جرح لا يامن من تلقيحه بالمرض · وكثيراً ما ظهر على وجه الولد في محل القبلة بثرة او احمرار حسبوه نوعاً من الاكزيما او الالتهابات الجلدية وما لبث ان صرح لهم بحقيقة الداء فاذا هو اللوبوس (اي السل في الجلد)

ولا ارى اقبح من العادة السارية بيننا من تقبيل الصغار في كل حين وكل مكان فاذا صادف الواحد منا طفلاً لاحد الانسباء او الجيران واحياناً لناس لا يعرفهم اخذه بين يديه وعانقه كأنه يقضي بذلك فرضاً واجب الاداء · وما أحرانا بتقليد الانكليز من هذا القبيل فانهم يعلقون على قبعات اولادهم شرائط يكتب عليها «لا تقبلني» وبهـذه الطريقة يامنون غلاظة عشاق التقبيل · وليس فقط تقبيل الخد او الفم مضراً بل ان تقبيل اليد والكتب والصور كذلك وربما كان الضرر من وراء هـذه اعظم لكثرة المقبلين لليد الواحدة والصورة الواحدة واني اعرف من افاضل رجال الكهنوت من لا يسمحون لاحد بتقبيل يدهم كما اعرف غـيرهم ممن لا يتساهلون في اغفال هذا الواجب الذي يتبرأ الدين

منه فتراهم يمدون ايديهم للرائح والغادي من رجال ونساء وصبيان وفيهم المريض والنق
ورحم الله القائل

انا لا اختار تقبيل يدٍ قطعها اجمل من تلك القبَل

وليس خطر العدوى وحده يدعونا الى خلع نير التقبيل وكسر قيود هذه العادة فاني لا ارى اثرًا للتمدن والاداب الاجتماعية في هذه القبلات التي يتبادلها الناس على محطة السكة الحديد او في زيارات البيوت فتصير الخدود مباصق والشفاه مماسح - وما اشبه انف ابن حرب في مثل هذه الاحوال ! ومن ينظر الى النساء يقبل بعضهن بعضاً كلما اجتمعن او افترقنا وقد يكون بين اللقاء والوداع دقائق معدودة لا يتمالك من الاستغراب ولا يأنف من الاشمئزاز فما معنى هذه القبلات المتتابعة ؟ فاذا كان الشوق فالكلام كافٍ لبثه وما الكلام بمستعصٍ عليهن . ولعمري ما يكون انفعال المرأة اذا مُنيت بتقبيل من تكره فتراها مضطرة ان تسايرها وتظهر بدل النفور انعطافاً وعوض الاشمئزاز سروراً وقد تكون المسكينة ممن تؤذيهن رائحة الورد والبخور فكيف برائحة العرق وانفاس الفم الكريهة . مازلت اعجب بالمرأة وصبرها واقتدارها على كتمان ما بها ولكن كلما فكرت بما يمكنها ان تقاسيه من هذه العادة القبيحة السائطة عليها اكثر مما على الرجل يتحول اعجابي الى اشفاق واشفاقي الى لوم

ولو كانت هذه العادة من العادات التي تسطو على العقل والارادة بما تجلب للنفس من الانبساط واللذة كالتدخين مثلاً او المقامرة او السكر لوجدت عذرًا للناس في المحافظة عليها ولكنها بعيدة عن كل فائدة واكثر ما يُساق اليها الانسان كرهاً مدفوعاً بعامل الرياء او الحياء اياك ان تعتقد ان ابطالها او تخفيفها صعب فهي على قدم عهدها يجهلها نصف العالم فان جزائر ماوراء هايتي في المحيط واهل اوستراليا والجهات الشمالية من امركا وجزيرة مركيزيا لا يعرفون هذه الملامسة اللطيفة وبعض قبائل السودان في غربي افريقيا لم يريدوا ان يلطفوا عواطفهم الخشنة بالتقبيل وكذا قل في القبائل التي اصطلحت على قطع شفاهها وابدالها بقطعة من الخشب كما في بعض جهات البرازيل والسودان واواسط اسيا وجوار بحر سيريتكوف وغيره . والمغول يعتاضون عن التقبيل بالشم وسكان بولينزيا من جزائر الهند وملقا وكرجا (الهند الصينية) ولابلاندا واسكيمو يتصافحون بحك الانف على الانف

وقد قال بعض العلماء ان القبلة بقية من بقايا التوحش ايام كان الانسان يأكل الانسان وكان المنتصر في المصارعة يلاعب مغلوبه بالعض الشديد الا اننا لانلفيها في القبائل المتأخرة

في التمدن فهل توصلت هذه قبلتنا الى ابطالها ام دفعنا حب التفنن الى الاحتفاظ بها ولو كان دون ذلك خسارة وتضحية.... ولو رمينا نظرة الى ورائنا لراينا في التاريخ شواهد على كراهة الناس لهذه العادة قبل ان يعرفوا اضرارها كلها فقد كان التقبيل في رومة حملاً ثقيلاً على الطبقة الوسطى واهل لندن للقرن السابع عشر يستقبحونها ويعيرون بها الفلاحين ولا يزال الانكليز اليوم يستغربون تقبيل الاروبيين لاولادهم في محطة السكة الحديدية ونعرف احد الظرفاء الذين يكرهون هذه العادة اذا جاء من سفر وخاف تسابق الاصدقاء الى تقبيله يستقبلهم وفي فيه سيكاره يدخنها

ونحن اذا لم نقدر على نسخ القبلة من عاداتنا وتركها حبرًا على ورق (غب تقبيل ايديكم) فلا اقل من ان نصونها عن الابتذال ونحفظها للاصدقاء الاخصاء والانسباء الاقرباء. لا تقبل الا من كنا على ثقة منه فان لم يكن من ذلك الا فائدة دفع الضرر فكفى. فلتبطل كل قبلة يدفع اليها الرياء او الخضوع والذل ولتبق قبلة الحب والزواج لان الحب والزواج اساس الحياة الاجتماعية

وصف الاسد

لابي زبيد الطائي

الشعر الوصفي المنظوم والمنثور قليل في ما وصل الينا من اقوال العرب ولكنه في غاية البلاغة لولا ما يتخلله من الالفاظ الغريبة كوصف الاسد لابي زبيد الطائي في حديث لا باس من ايراده. وذلك ان ابا زبيد المذكور كان من زوّار الملوك وخاصة ملوك العجم وكان عالماً بسيرهم وكان عثمان بن عفان يقربه ويدني مجلسه وكان نصرانياً. فتذاكروا مآثر العرب واشعارها فالتفت عثمان الى ابي زبيد وقال « يا أخا تبع المسيح اسمعنا بعض قولك فقد أنبئت انك تجيد الشعر » فأنشده قصيدته التي يقول فيها

من بلّغ قومنا النائين اذ شحطوا ان الفؤاد اليهم شيق ولع

وورد ذكر الاسد فقال عثمان « أراك تفتؤ تذكر الاسد ما حييت والله اني لاحسبك جباناً هرّاباً »

قال « كلا يا امير المؤمنين ولكنني رأيت منه منظرًا وشهدت منه مشهدًا لا يبرح ذكره يتجدّد ويتردّد في قلبي ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم »



المطران يوسف الدبس

ولد سنة ١٨٣٣ وصار مطراناً سنة ١٨٧٢ وتوفي سنة ١٩٠٧

فقدت الطائفة المارونية في ٥ اكتوبر الماضي ركناً من اعظم اركان نهضتها نعني المطران يوسف الدبس رئيس اساقفتها في بيروت وفقده خسارة شاملة لانه خدم آداب اللغة العربية بترجماته وتآليفه خدمة باقية فوجب علينا تدوين فضله والتاريخ اصدق شاهد

١ — ترجمة حاله

اصل عائلته من غزير بلبنان وانتقل جده في اواخر القرن الثامن عشر الى كيفا ثم استقر ابوه في كفر زينا من زاوية طرابلس فولد له صاحب الترجمة سنة ١٨٣٣ فتلقى مبادىء العلم في مدرسة القرية فلما بلغ الرابعة عشرة ادخل مدرسة عين ورقة وهي ارقى مدارس الطائفة المارونية في ذلك العهد فتلقى فيها اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية والمنطق واللاهوت الادبي في مدة اقصر مما تقدره لها المدرسة واضطر مع

ذلك ان يغادر المدرسة سنة ١٨٥٠ ولم يمكث فيها الا ثلاث سنوات تأتم ما ينقصه من العلم بالدرس على نفسه لأنه كان عالي الهمة ثابتاً صبوراً • ومدارس لبنان في ذلك العهد كانت تعدُّ تلامذتها على الغالب اما للتعليم او للكهانة الا من رحل منهم في طلب الرزق. ولم يكن صاحب الترجمة انتظم بالكهانة فعمد الى التدريس فافتتح سنة ١٨٥١ مدرسة بطرابلس يعلم بها العربية ويغتنم الفراغ للمطالعة والدرس وعرف بين اقرانه بالنشاط وتوقد الذهن فاستقدمه مطران ابرشية طرابلس سنة ١٨٥٣ وكلفه ترجمة كتاب البدع ودحضها ففعل

واتفق في السنة التالية وفاة البطريرك يوسف الخازن وقيام البطريرك بولس مسعد وكانت للدبس صحبة مع احد مطارنته فاستقدمه البطريرك واقامه معلماً في مدرسة ماري يوحنا مارون ثم آنس منه نفعاً للطائفة اذا انتظم في خدمتها فجعله سنة ١٨٥٤ شماساً وأخذ يرتقي في رتب الكهنوت فلم يمض عليه ثماني عشرة سنة حتى صار مطراناً على بيروت وهو المنصب الذي توفي فيه • وانما ارتقى اليه على أثر ما بدا من غيرته على الطائفة وسعيه في خدمتها بالدفاع عنها بلسانه وقلمه بما خطبه او ترجمة او الفه • وازداد بعد توليه ذلك المنصب اجتهاداً في هذا السبيل فارتقت الطائفة على عهده واجتمعت كلمتها بما كان يبثه فيها من روح الغيرة وما كانوا يرونه من سهره على مصالحهم ودفاعه عن حياضهم

ومما زاده رفعة في اعينهم حتى استهلكوا في خدمته انه كان لا يطعن طاعنٌ على المارونية الا انبرى للدفاع عنها بتأليف الردود واشهر حرب من هذا القبيل انتشب بينه وبين المرحوم المطران يوسف داود (راجع ترجمته في الهلال ١٩ من السنة ٣) فقد احتدم الجدال بين الرجلين نحو سنة ١٨٧١ وكلاهما عالم قوي الحجة فاجادوا في الاخذ والرد بما يلائم روح ذلك العصر من المناظرات الطائفية التي يعافها اهل هذا الجيل • واشهر ما ظهر من آثار صاحب الترجمة في سبيل الدفاع كتاب روح الردود وقد ترجم الى اللاتينية والفرنساوية وطبع غير مرة

وقد زاد الطائفة تمسكاً به وتفانياً في تعظيمه سعي بعض حساده في تحقيره بوشاية رفعوها الى رومية فلما ظهرت براءته عاد مكرماً مبجلاً واحتفل رعاياه باستقباله احتفالاً احتشدت فيه الجموع من لبنان وبيروت فقيلت الخطب ونظمت القصائد وتواردت عليه رسائل التهنئة بما لم يسبق مثله لمثله — وذلك طبيعيٌ في سير الرجال العظام فان ما يلاقونه من المشاق او يقام في طريقهم من العقبات يضاعف شهرتهم لانه يحمل مريديهم على المناداة

بفضلهم واذاعة آثارهم وينشطهم على العمل · وكم من من عظيم لولا العقبات التي اقامها اعداؤه في سبيله لظل خامل الذكر او اقتصر في جهاده على بعض ما يستطيعه من الاعمال · فالرجل العاقل اذا كان على ثقة من نفسه وجب عليه ان يسرّ بما يقيمه اعداؤه او حساده من العقبات في طريقه لان بالضغط والمقاومة تظهر القوى الكامنة ويوافق ذلك قول الشاعر:

عداي لهم فضلٌ عليَّ ومنةٌ فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا

هم عرفوني زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وفي سنة ١٨٩٧ انقضت السنة الخامسة والعشرين من مطرنيته فاحتفلت الطائفة بيوبيله · وكان قدوة حسنة لابناء ملته فتسابقوا الى الاعمال المبرورة بانشاء الجمعيات الخيرية والاخذ بيده في مشروعاته وما زال عاملاً حتى توفاه الله · وقد رحل الى اوربا خمس رحلات زار بها رومية ومرَّ بالاستانة ونال كثيراً من اوسمة الدولة العلية وفرنسا وغيرها

٢ — مآثره

مكث صاحب الترجمة في مطرانية ببيروت ٣٥ سنة اتى في اثنائها اعمالاً تخلد ذكره بعضها كتبٌ والبعض الآخر أبنية كالمدارس والكنائس والاديرة غير ماخلفه من الاثر الحسن في نفوس رعيته من الاقتداء باجتهاده وفضله · اما الكتب فبعضها من تاليفه او ترجمته قبل المطرانية وبعدها والبعض الآخر نقحه وهذبه ومجموع ذلك ٣٥ كتاباً اليك اشهرها:

مؤلفاته

(١) تحفة الجليل في تفسير الاناجيل
(٢) معجم للفقه لم يطبع
(٣) مغني المتعلم عن المعلم بالنحو (مدرسي)
(٤) مربي الصغار ومرقي الكبار («)
(٥) سفر الاخبار في سفر الاحبار (رحلة)
(٦) روح الردود على المطران يوسف داوود
(٧) خطبه في الفلسفة واللاهوت ثلاثة اجزاء
(٨) تاريخ سوريا مطوّل ومزيّن بالرسوم في تسعة مجلدات

ترجماته

(١) كتاب البدع ودحضها
(٢) « الرسوم الفلسفية لم يطبع

(٣) « اللاهوت الاعتقادي ٤ مجلدات

(٤) « الحق القانوني لم يطبع

ما نقحه وطبعه

(١) كتاب تفسير رؤيا يوحنا للقس يوسف الباني

(٢) القداس

(٣) الرسائل وكتب الجنازات والافراميات والحسابات والشحيم الكبير

(٤) الكاتيكزمو الروماني وذخيرة الالباب وغيرها

مشروعاته

(١) مدرسة الحكمة وهي من أكبر مدارس بيروت تمَّ بناؤها سنة ١٨٧٨ وقد مضى عليها نحو ثلاثين سنة وهي تعلم العلوم واللغات فتخرج منها جماعة كبيرة من شبان هذه النهضة وانشأ من تلامذتها وكهنتها جمعية علمية لها حفلات واعمال

(٢) الكنيسة الكاتدرائية الكبرى في بيروت فرغ من بنائها سنة ١٨٩٤ وقد انفق عليها نحو ٢٠٠٠٠ ليرة وبنى كنائس أخرى ومدارس ونحوها فبلغ مجموع ما انفق عليها كلها وعلى مدرسة الحكمة ٧٠٠٠٠ ليرة ولم يكلف الابرشية من هذه النفقات قرشاً واحداً وانما كان يجمعه بسعيه وحسن اسلوبه

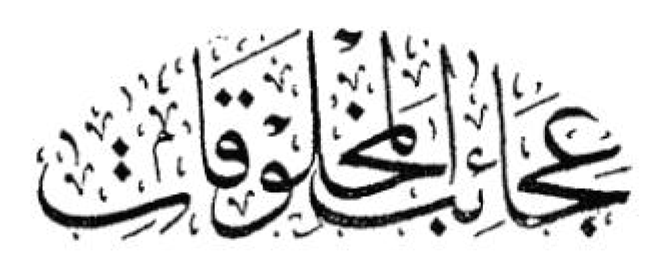
حكم مأثورة عن ملوك العرب

من الاحاديث المأثورة : احترسوا من الناس بسوء الظن . المستشير معان والمستشار مؤتمن

وقال عمر : اتقوا من تبغضه قلوبكم . لو كان الشكر والصبر بعيرين ما باليت ايهما ركبت . ما الخمر صرفاً فاذهب لعقول الرجال من الطمع

وقال علي : وجهوا آمالكم الى من تحبه قلوبكم . الناس من خوف الذل في الذل . الصبر مطية لاتكبوا وسيف لا ينبو

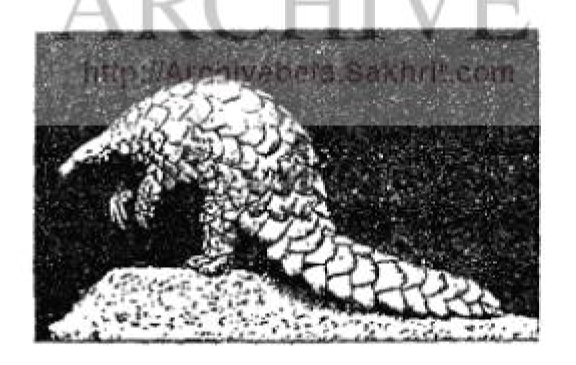
وقال معاوية : انقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه . واولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة . ماغضبي على من املك وما غضبي على من لا املك . ليس العاقل من يعرف خير الخيرين لكنه من يعرف خير الشرين



الحيوانات المدرعة

القنافذ الحرشفية

طبع الأحياء على ان ينالوا رزقهم بسعيهم حتى النبات فانهُ يرسل جذوره في اعماق الارض حيث يجد سبيلاً للغذاء ويوجه اغصانهُ نحو النور حيثما اتجه التماساً للبقاء . على ان الاحياء يزدادون افتقاراً للسعي كلما ازدادت حاجات الحياة عندهم . فاذا تشابهت اغراضهم منها تنازعوا عليها وجاهدوا في تحصيلها ولذلك قالوا « الحياة جهاد » فيفترس القويُّ الضعيف الأَّ من استطاع دفاعاً . ولكل حيوان سلاحٌ طبيعي يدافع بهِ عن نفسه يختلف باختلاف نوعهِ . فالكلب يدافع بانيابه والفيل بخرطومه والاسد ببراثنه والانسان بيديه وعقله



ش ١ — القنفذ الهندي ذات الحراشف (بنغولين)

ومن معجزات الخلق ان الحيوانات التي حرمت سلاحاً تدافع به عن نفسها او تكافح بهِ عدوَّها اوجدت الطبيعة فيها اعضاء تساعدها على الفرار بتسلق الاغصان او دخول الثقوب او التحليق في الجو . او اعدت لها جلوداً صلبة تتلقى بها الضرب او العض او الرفس كما يتلقى المقاتل النبال والسيوف بادراع الفولاذ ولذلك سميناها الحيوانات المدرعة

من اشهر امثلتها عندنا التمساح فان جلده قد لا يخترقه الرصاص فضلاً عن النبال او السيوف . والسلحفاة تمشي ودرعها الصلبة تغطيها كالقبة فاذا خافت أذية تكمشت واخفت رأسها وارجلها تحت تلك الدرع . ومن هذا القبيل السرطان على انواعه وكثير من اصناف الخنافس ونحوها . ومنها القنافذ التي تكتسي جلودها بالحسك الغليظ او الحراشف الصلبة اغربها قنفذ هندي من ذوات الحراشف يسمونه بنغولين حراشفه كالقراميد تتراص متراكمة كما ترى في الشكل الاول

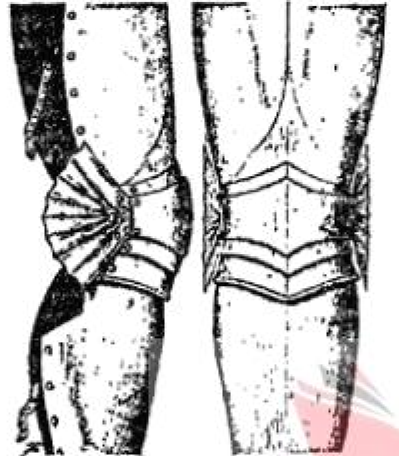
يعدّ البنغولين المشار اليه من القنافذ اكلة النمل لانه يقتات بالنمل ويسميه اهل السودان « ابو الاظلاف » . ومنه تباينات كثيرة في جنوبي الهند وجنوبي افريقيا وشرقيها في موزمبيق وزنجبار والصومال وغيرها . ومنها طويل الذيل وقصيره وكبير الرأس وصغيره . والتباين الهندي الذي نحن في صدده بري غير اليف طوله قدمان . وهو صغير الرأس قصير الذيل حراشفه مثلثة الشكل تشبه نوعاً من القرميد تسقف به المعامل . ويستدل من صغر رأسه على ضعف دماغه وقلة حيلته ولولا صلابة جلده لانقرض عن وجه الارض لانه يتقي به طوارئ الطبيعة وهجمات الكواسر . ولكل حرشفة حافة حادة كالنصال تكون في طفولية القنفذ شعرات متحاذية ناعمة الملمس جميلة اللون ينسكب عليها من جلده عصارة لزجة فتلتحم وتتكاثف وتتصلب بتوالي الايام حتى تصير كالنصال المثلثة تتصل من قاعدتها بالجلد ويبقى سائرها مطلقاً . وهي تتدرج باوضاعها حتى تصير مثل حراشف الادراع الفولاذية تكسو الحيوان كله الاّ بعض رأسه وجزءاً من بطنه

يخرج البنغولين في طلب فريسته ليلاً فيمشي مشية متلصص وعليه ادراعه . فاذا اتى وكر نمل استلّ لساناً طويلاً تكسوه مادة لزجة فيرسله في الوكر فيذعر النمل و يطلب الفرار فتعلق مئات منه على حافتي اللسان كما يعلق العصافير على عيدان الدبق . ثم يجتذب لسانه ويزدرد ما اصطاده بلا مضغ ولذلك لم يكن له اسنان . وانما يساعده على طحن الطعام حصى صغيرة يختزنها في معدته كما تفعل الطيور

وللبنغولين اربع قوائم المقدمتان منها قصيرتان واظافرها طويلة كالمناجل يستخدمها للنقب او الحفر وتعيقه عن المشي وقلما يمشي . فيقضي نهاره مختفياً وانما يخرج ليلاً للبحث عن طعامه فيمشي الى وكر النمل متكاسلاً متباطئاً كأنه يعمل بقول صاحب الامثال « اذهب الى النملة ايها الكسلان » لكنه لم يتعلم طرقها

واذا اعترضه في مسيره حيوان مفترس او اراد الانسان اذيته فلا هو سريع الحركة

ليفرّ من الاذى ولا قوي الساعد للدفاع عن نفسه ولكنه صلب الجلد فيدخل رأسه بين يديه ويطوي ذيله على بطنه فيصير كرة قد برزت حراشفها كانصال الحادة لا يخترقها ناب ولا يمزقها مخلب · فكيف يستطيع الحيوان ان يشمهُ بانفه قبل القبض عليهِ على عادة الحيوانات المفترسة ؟


ش ٢ — درع فارسية عند الركبة

بذلك بقي هذا الجنس من الحيوانات الى اليوم · على انهُ آخذ بالانقراض لان علماء الحيوان يعرفون من تبايناته ثمانية اوعشرة نصفها يعيش في اواسط افريقيا وجنوبيها والنصف الآخر في الهند وجاوى وجنوبي الصين فلم يبق منها الاَّ افراد مبعثرة في براري تلك البلاد كبقايا الفنيين واللابلنديين في اوربا والاسكيمو في اميركا والساموبين في سيبيريا متخلفة عن امها الذاهبة

ومن عجائب الحيوانات المدرعة السرطان ومنهُ صنف انكليزي يسمى لوبستر عليه دروع من الحراشف دقيقة التركيب ولاَسيما عند المفاصل فانها تلتحم هناك بحراشف متراكبة تتصل بالجسم باربطة كالمسامير التي تتصل بها حراشف الدروع عند الركب كما ترى في الشكل الثاني

وصف السقام

قال سوار بن عبدالله القاضي :

سلبتِ عظامي لحمها فتركتها	عواريَ في اجلادها تتكسرُ
واخليتِ منها مخها فكانها	انابيب في اجوافها الريح تصفرُ
اذا سمعت باسم الفراق ترعَّدت	مناصلها من هول ما تتحذَّرُ
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب فانظري	بلى جسدي لكنني اتستَّرُ
وليس الذي يجري من العين ماؤها	ولكنها روح تذوب فتقطرُ

باب السؤال والاقتراح

يوسف وموسى بمصر

(القاهرة) حنين افندي جرجس

هل عثرتم في تاريخ مصر القديم على ما يؤيد قول التوراة عن حديث يوسف الصديق وموسى الكليم

(الهلال) لم يعثر النقابون حتى الآن على قول صريح بهذا الشأن ولكنهم وقفوا على كلام يصح تأويله حتى ينطبق على قصة يوسف من حيث المجاعة التي حدثت في ايامه . فوجدوا اولاً ان زمن يوسف يوافق زمن العائلة الثانية من الملوك الرعاة في حكم ملك منهم يسمى بلغة الآثار أبوبي ويلقب رعا كنن والعرب يسمونه الريان بن الوليد ويسميه اليونان ابوفيس . وجاء في اخبار اوسابيوس المؤرخ اليوناني « ان يوسف تولى حكومة مصر في عهد الملك افوفيس » وهو ابوبي او ابوفيس المتقدم ذكرها . فتوافقت هذه الروايات على معاصرة يوسف لهذا الملك . ثم عثر النقابون في الآثار المصرية على كتابة في احدى مقابر قرية الكاب تنسب الى رجل من اهل ذلك العصر يدعى بابا ويلقب اباتا جاء في جملة اقواله المنقوشة هناك ما معناه :

« قد احببت والدي واحترمت والدتي واحبني اخوتي واخواتي خرجت من باب بيتي بقلب يحب الاحسان وأقمت هنك بيد ندية . وكانت معداتي ليوم المهرجان عظيمة وكان قلبي رقيقاً لا يعرف الغضب وقد اولتني الآلهة خيرات كثيرة على الارض ونمت لي المدينة الصحة والحياة المملوءتين بالمسرات وقد عاقبت فاعلي الاثم . وكان الغلمان الذين يقفون بين يديَّ اثناء اقامتي بالبلد ستين غلاماً بين صغير وكبير لهم مثل هذا العدد من الاسرة والفرش والكراسي والموائد وكانوا ينفقون في غذائهم ١٢٠ ايفا من الذرة ولبن ثلاث بقرات و ٥٢ معزى و ٩ أتن وكيل بلسم وجرتين من الزيت . قد يعد

قولي مزاحاً لدى المناقضين ولكني استشهد الاله شهر على صدق قولي انه كان في بيتي كل ما تقدم ذكره • فضلاً عن زبدة اختزنتها في منزلي وجعة في السراديب فوق الكفاية » — الى ان قال « وجمعت الحنطة لاني صديق لاله الحصاد وتيقظت في وقت الزرع • ولما حصل الجوع الذي استمر عدة اعوام فرقت الحنطة في المدينة في كل سنة من سني المجاعة »

فذكر المجاعة « عدة اعوام » مع وحدة العصر وانطباق اسم ملك ذلك العصر المذكور في الآثار على الاسم الذي رواه التاريخ حتى العرب (لما بين « الريان بن الوليد » و « رعاكنن » من المشابهة اللفظية مع اعتبار ما ينتاب الاسماء من التغيير اذا تقادم عهدها وتناقلتها الالسن طويلاً قبل ان تدوّن) — كل ذلك يرجح ان المراد بالمجاعة المذكورة المجاعة التي حدثت في زمن يوسف

اما موسى فقد ظن العلماء غير مرة أنهم عثروا على حديثه في ما اكتشفوه من الآثار أو قرأوه من الاحجار • وغاية ما توصلوا اليه من هذا القبيل انهم وجدوا بين أسماء مدن الصعيد بلداً يسمى باللغة الهيروغليفية «ايان موشي» اي جزيرة موسى اوضفة موسى • وكان هذا المكان معروفاً عند الرومان وظنوا المراد منه جزيرة « الموس » وهي ربة الموسيقى عند اليونان • ورجح الباحثون من الجهة الاخرى ان موسى كان معاصراً لملكين كبيرين من الفراعنة رعمسيس الثاني وابنه منفتاح عاصر الاول في صبوته والثاني في شبابه وهو الذي خرج من مصر في ايامه • فالفتاة التي التقطت موسى على ماجاء في التوراة بنت من بنات رعمسيس الثاني • وفي التاريخ ان رعمسيس هذا كان له عدة اولاد ذكور وأناث وفي جملة الذكور « خاموس » تولى رئاسة الكهنة في منفيس على زمن ابيه • ومنهم منفتاح وهو الذي تولى الملك بعده • واما بناته فمنهن واحدة اسمها « بنت أنتا » كانت احب بناته اليه وأخرى أصغر منها كثيراً اسمها « مري » وهو يشبه اسم حاضنة موسى في تاريخ اليهود فقد ذكر يوسيفوس انها كانت تسمى « أرموتس » وسماها اوسابيوس « مريس » وهو مثل اسمها في التاريخ المصري

اما خروج الاسرائيليين مع موسى فلم يرد ذكره في التاريخ المصري صريحاً ولكنهم يستدلون عليه من بعض القرائن .منها ان اسم العبرانيين ورد في الآثار على عهد رعمسيس الثاني وابنه منفتاح بكيفية تدل على استعباد الاسرائيليين واستخدامهم في حمل الاثقال وبناء الهياكل ثم لم يذكر العبرانيون بعد ذهاب هذا الملك بعبارة صريحة • فاستدلوا انهم هلكوا

ويؤيد ذلك حجرٌ اكتشفه الاستاذ بتري منذ بضعة عشر عاماً ذكره العلامة سايس في خطاب القاه منذ بضعة اعوام على اثر اكتشاف جثة منفتاح وتحدثت الجرائد بها [1] قال « وفي جملة ما قرأوه على ذلك الحجر ان الاسرائيليين هلكوا جميعاً ولم يبق لديهم شيء من الحبوب للطعام » وقد فسر بعضهم هذه العباره بان المصريين كانوا يعذبون الاسرائيليين بالجوع فضلاً عن الشغل الشاق . ويلوح لنا تفسير آخر قد يؤيد القول بخروج الاسرائيليين من مصر على عهد هذا الملك

ذكر يوسيفوس المؤرخ الشهير في كلامه عن تاريخ اليهود تفصيلاً حسناً لكيفية خروج الاسرائيليين يدلُّ على انهم بعد أن خرجوا من مساكنهم في مصر مكثوا مدة قبل ان يتبعهم المصريون وقلّت الحنطة عندهم وفشا الجوع فيهم . واليك نص كلامهِ في العدد الاول من الفصل الخامس عشر من الكتاب الثاني قال « وهكذا خرج العبرانيون من مصر فبكى المصريون وندموا لانهم عاملوهم بتلك القسوة . وجعل العبرانيون طريقهم بليتوبوليس .... وفي اليوم الثالث اسرعوا حتى وصلوا الى مكان يدعى بعل زفون على البحر الاحمر ولم يكن هناك طعام لان الارض قفر فصاروا يأكلون خبزًا معجونًا بالدقيق ومشوياً على نار ضعيفة . وما زالوا يفعلون ذلك ثلاثين يوماً فنفد زادهم لان ماحملوه معهم من مصر لم يكفهم طويلاً . وهم مع ذلك كانوا يفرقونه على الناس بحيث يقتاتون به ولا يشبعون » ثم اورد يوسيفوس خبر لحاق المصريين بهم وغرقهم كما ورد في سفر الخروج

فالظاهر ان ما نقش على ذلك الحجر يراد به الاشارة الى فرار الاسرائيليين وما اصابهم من الجوع في بعل زفون (بين رأس خليج البحر الاحمر والبحيرة المرة) او انهُ يشير الى جوعهم وعطشهم بعد عبورهم البحر وقد فصلته التوراة تفصيلاً تاماً

تاريخ القصص

القاهرة — علي افندي صبحي في الكتبخانة الخديوية

ماهو تاريخ القصص (الروايات) ومن هو واضع هذا الفن

الهلال — القصص او الروايات فن قديم وهي اقسام وانواع منها الحماسي والغرامي والتاريخي والادبي والشعري والنثري مما لايفي هذا المقام باستيفائه فنجيب على سؤالكم

---

(١) راجع صفحة ٣٣٧ و٣٩٦ و٤٢٥ من هلال السنة الثامنة

خلاصة اجمالية عن تاريخ القصص على العموم وعند العرب على الخصوص

اما على العموم فالفضل الأول في وضع فن القصص او الروايات للمصريين القدماء مثل فضلهم في كثير من عوامل التمدن القديم . فقد عثر الباحثون في الآثار المصرية على درج من البردي (البابيروس) باللغة الهيروغليفية هو الآن في المتحف البريطاني بلندرا عليه قصة كتبت منذ ثلاثة آلاف عام . وقد قرأها وحل رموزها الدكتور بروكش العالم الاثري المشهور سنة ١٨٦٥ فاستدل منها ان مؤلفها من كتَّاب البلاط الملوكي في عصر منفتاح ابن رعمسيس الثاني وولي عهده عبارتها واضحة سهلة ومع كثرة ما فيها من الخيال الشعري فان اسلوبها بسيط بلا تكلف ولا تقعر يشبه اسلوب الكتاب المقدس شبهاً كثيراً . وابطال هذه الرواية اخوان امرأة اكبرهما شكت اصغرهما الى اخيه تزعم انه راودها عن نفسها على نحو ما ذكروه عن يوسف الصديق وامرأة فوطيفار فسعى الاخ الصغير في التخلص من غضب اخيه بمساعدة اله الشمس ونالت المرأة جزاءها بعد ظهور كيدها وعاد الاخوان الى المصافاة وصار اكبرهما نائب الملك بمصر

ويلي هذه القصة قصص اليونان واقدم ما وصلنا منها الياذة هوميروس عن حصار تروادة وهي من روايات الحماسة والفروسية . ومثلها قصة الصوف الذهبي عن قدموس الفينيقي ومجيئه الى بلاد اليونان . وقصة عولوس وابنياس . واقتدى الرومان باليونان فاخذوا قصصهم فنقلوها الى لسانهم مع بعض التبديل والتعديل واخذوا بعض حوادثها ففصلوه تفصيلاً في روايات مستقلة . وظل ذلك دأبهم في اثناء الاجيال الوسطى فان معظم ما كتب في ذلك العهد من الروايات منقول عن اليونان حرفياً او اجمالاً او قلدوا اليونان في تاليفه . وزادوا عليه قصصاً وضعوها عن رجال اشتهروا في بلاد الرومان (واليونان) فاصبح ابطال الروايات في الاجيال الوسطى اخيل وتروجان والاسكندر وقيصر ويهوذا المكابي وغيرهم والفوا على كل منهم قصصاً شعرية ونثرية كانوا يتفننون بها في ظلمات تلك العصور

ونشأ في الاجيال الوسطى قصص اكثرها من وضع العنصر الجرماني اقدمها يعرف بالقصص الارثرية نسبة الى الملك ارثر بطلها الاكبر وقد شاعت هذه القصص وتشعبت وأدخل فيها كثير من اخبار الفتوح الرومانية وحروبها . ومنها قصص « المائدة المستديرة » نشرت اولاً في اواسط القرن الثاني عشر ولا تخلو في كل حال من مقتبسات يونانية اكثرها من الياذة هوميروس . ومنها قصص شارلمان وفرسانه الاثني عشر وهي فرنساوية تيوتونية وقصص اماديس وبلماربن وهي اسبانية واشهر ابطالها السيد . وقصص و يلكنا ساغا ونحوها

من الروايات الانكليزية وما تفرع منها · وقس على ذلك سائر قصص الاجيال الوسطى في اوريا · وتمتاز روايات هذه الاعصر بما فيها من المبالغات والخرافات وبعضها مقتبس من الروايات الشرقية العربية او الفارسية كألف ليلة وليلة ونحوها

فلما انتشرت روح التمدن الحديث اخذت القصص تدنو من الحقيقة ونبغ من كتابها جماعة لا يشق لهم غبار اكثرهم من الفرنساويين والايطاليان والانكليز وقد ترجمت كثير من مؤلفاتهم الى اللغة العربية كاسكندر دوماس وابنه وهيكو واللورد ليتن وسكوت وغيرهم

اما العرب فلم يدونوا شيئاً من آدابهم قبل الاسلام وانما كانوا يتناقلونها على السنتهم وفي جملتها قصص اكثرها مبني على اصل تاريخي توسعوا فيه وزادوا عليه حتى اصبح من قبيل الاقاصيص كقصة سيل العرم واخبار عاد وثمود وبلقيس وغيرها مما لا يخلو من اصل تاريخي اضافوا اليه اعجوبة او معجزة على شكل الرواية ومن هذا القبيل اخبار ايام العرب فان بعضها طولوه وادخلوا فيه الغرام او الضيافة او الجوار او الكرم او الفروسية او الشجاعة مما كانوا يتفاخرون به من مناقبهم ومحاسن اخلاقهم — اعتبر ذلك بما يروونه عن حاتم الطائي وغيره من اجواد الجاهلية وعشاقها وفرسانها

فلما ظهر الاسلام اشتغل المسلمون في اوائله بالدعوة والفتح وانشاء الدولة حتى اذا استبحر عمرانهم في صدر الدولة العباسية واخذوا باسباب الحضارة عمدوا الى نقل علوم القدماء وادابهم ومن جملتها قصص من قبيل الروايات نقلوا اكثرها عن الفارسية والهندية فمما نقلوه عن الفارسية كتاب « هزار افسانه » ومعنى اسمه « الف حكاية » وهو اساس كتاب الف ليلة وليلة الشهير فان العرب زادوا عليه بعد ترجمته قصصاً كثيرة كان الناس يتناقلونها في ذلك العهد وما بعده بمصر والشام والعراق حتى وصل الينا كما نراه وهو احوى كتاب لآداب القرون الاسلامية الوسطى وعادات اهلها في مجالسهم واحاديثهم واعراسهم ومآتمهم وقد نقل الى معظم لغات العالم المتمدن

ومما نقل من القصص الفارسية الى العربية في ذلك العصر ايضاً قصة شهرزاد مع ابرويز ودارا والصنم الاكبر وهزاردستان وغيرها وكلها ضاعت ولم يبق لنا منها الا ذكرها · واذا جاز لنا ان نعدّ كليلة ودمنة من هذا القبيل فهي من احسن ما نقل الى العربية من اداب الهنود وقد عرّب من الفارسية وهو شائع مشهور · ومما نقلوه من القصص عن الهندية كتاب السندباد الكبير والصغير ولعلهما اضيفا الى الف ليلة وليلة وكتاب ملك

الهند القتال والسياح وغيرها • ولم يتعرض العرب لشيء من قصص اليونان حتى الالياذة فانهم مع كثرة ما نقلوه من علوم اليونان وفلسفتهم لم يتعرضوا لها ولا لغيرها من حكاياتهم ولا لاقاصيص الرومان التي اشرنا اليها

على ان ما نقلوه من تلك الاقاصيص رغبت اليهم وضع القصص من عند انفسهم فالفوا قصصاً بنوها على اخبار ابطال اشتهروا في الجاهلية او الاسلام او على حوادث ذات بال كقصة عنتر التي يقال انها الفت في القرن الرابع للهجرة وهي تمثل اخلاق العرب الجاهلية وادابهم وعاداتهم وقد نقلت الى بعض لغات اوربا • وقصة سيف بن ذي يزن عن حوادث اليمن في دولة الفرس وقصة الزير وهي تمثل اهم ايام العرب وقصة ابي زيد وفيها اخبار بني هلال في غربتهم • وقس على ذلك قصص البراق والملك الظاهر وغيرها من القصص التي شاعت في الأجيال الاسلامية الوسطى وكانوا يقصونها او ينشدونها في المنتديات والمجتمعات

ولما اقبلت النهضة الاخيرة في اوائل القرن الماضي اشتغل بعض الادباء في نقل الروايات الافرنجية الى اللغة العربية في جملة ما نقلوه من اداب الافرنج ولا يزالون ينقلون واكثر منقولهم الى اليوم من الفرنساوية والانكليزية وربما بلغ عدد الروايات التي نقلت حتى الآن بضع مئات اكثرها غرامي ادبي او تاريخي واشتغل بعضهم بتأليف الروايات من عند انفسهم • ولا نزال في حاجة الى ترقية هذا الفن ترجمة وتأليفاً

داخلية اليابان

درس اجتماعي اقتصادي

ما فتئنا نتمثل باليابانيين ونعجب بنشاطهم ووطنيتهم ونستحث امتنا على الاقتداء بهم قياساً على ما ظهر من اعمالهم العظيمة في حربهم الروسية بما اظهروه من الاتحاد وعلو الهمة مما ادهش العالمين • واستغرب الناس ظهور تلك الفضائل فجأة: واخذوا يبحثون عن علة ذلك النجاح السريع كما بحثوا في سرعة الفتوح الاسلامية بصدر الاسلام اذ فتح المسلمون العالم الشرقي كله في بضع عشرة سنة وغلبوا مئات الالوف من الجند المنظم المدرب بالوف قليلة لانظام عندها ولادربة ـ وقد اجبنا على ذلك في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي

باب الاخبار العلمية

نهضة زراعية

اكتشاف عظيم الاهمية يجعل البادية غوطة

يشتغل علماء التاريخ الطبيعي والكيمياء من عهد بعيد بترقية الزراعة بوسائل طبيعية كيماوية . وقد جرب بعضهم توليد المواد النيتروجينية بالكهربائية وآخرون بالميكروب وغيرهم بغير ذلك فرارًا من الجوع الذي يخافونهُ . لان البقاع الزراعية في الارض كادت تضيق عن حاجة الناس من الحبوب كما بينا ذلك في الهلال الماضي . فتوفق الدكتور بوتوملي استاذ النبات في كلية كنغ بلندن الى نتيجة قضى العلماء اجيالاً متوالية يسعون في ادراكها فاكتشف اكتشافًا زراعيًا يجعل الصحراء القاحلة حديقة تستنبت بها الرمال وتحيا الآمال بعد ان فرغت حيل المزارعين باستنفاد آخر منجم من مناجم نترات البوتاس او الصودا المستخدم للسماد . ولم يتركوا بقعة او جزيرة او بادية فيها هذه النترات الا نزحوها . ثم عمدوا الى توليد النترات من نتروجين الهواء بالكهربائية فولدوها بمشقة ونفقة باهظة . فجاء اكتشاف الاستاذ بوتوملي في ابان الحاجة اليه وهو يحيي التربة التي نفد نتروجينها بتوالي الغرس بلا سماد

وحقيقة الاكتشاف الذي نحن في صدده ان النتروجين الذي تحتاج الزراعة اليه موجود في الهواء بكثرة عظيمة حتى قدروا ثقل ما يعلو الفدان الواحد منهُ بثلاثين الف طن . ونترات الصودا يبيعونها للسماد بعشرة جنيهات الطن الواحد وليس فيها الا ١٦ في المئة من النتروجين . فقيمة النتروجين الذي يعلو الفدان الواحد اذا استطيع تحويلها الى المركب المشار اليه زادت على مليوني جنيه . وانما السرّ في التحويل — ذكروا ان في كل طن من ماء البحر ما يساوي غرشًا من الذهب الخالص فاعتبر كم يكون مقدار الذهب الضائع في البحر ? وانما المشقة في استخراج ذلك الذهب . واكتشاف بوتوملي مكروبيّ وليس هو اول من فكر فيه فقد سبقهُ الى وضع اساسه رجل اميركاني سنة ١٨٨٦ اذ اكتشف عقدًا

صغيرة تظهر على جذور النبات ولها علاقة بخصب ذلك النبات – لانك اذا تأملت جذراً من جذور البقول رأيت على سطحه عقداً صغيرة تكثر على الخصوص في جذور الجلبان واللوبياء وتشبه ما يبدو على سطح البطاطس من البراعم الصغيرة لا يزيد حجم الواحدة منها على قدر رأس الدبوس . فوجدوا ان هذه العقد اذا تكاثرت في جذور بقل تكاثر الثمر على اغصانه . فصرف الاستاذ بوتوملي همه الى البحث في سرّ هذه العلاقة فوجد في هذه العقد ميكروبات متناهية الصغر اذا صفت باطوالها لا يزيد ٢٥٠٠٠ منها على قيراط واحد . ومن طبيعة هذه الاحياء الاغتذاء من النتروجين بشراهة فتمتصه ليلاً ونهاراً واذا لم تستطع تمثيل كل ما تمتصهُ اختزنت بعضه في اخلية تلك العقد لحين الحاجة

اذا غرست بقلة في تربة عقيمة لا تنبت فاذا لقحت البذرة بمستنبت ذلك المكروب نبتت وحالما تنبت يدبّ الميكروب في جذرها فيخرقه ويمشي فيه الى ساق النبات بحيث يشارف الهواء فيتربص في اسفل الساق على كيفية لم تزل مجهولة ويأخذ بامتصاص النتروجين من الهواء فيمثل بعضه ويختزن البعض الآخر فيتناوله النبات بعد مروره بالتربة وكلما كثر امتصاص النتروجين زاد خصب التربة . فالوسيلة لزيادة الخصب ان يستكثر من الميكروب بواسطة الاستنبات او التلقيح وقد جربوا ذلك فاتى بنتائج مدهشة . جربوه باغراس من اللوبياء لقحوا جذور بعضها وتركوا جذور البعض الآخر بلا تلقيح فوجدوا الفرق بين الحالين كبيراً والاغراس الملقحة كانت اسرع نمواً واوفر ثمراً وصارت تربتها اكثر خصباً

ومن غريب طبائع هذا الميكروب انهُ لا ينشط للعمل ويزيد في الخصب الاَّ اذا وضع في تربة قاحلة لا نتروجين فيها . اما في الارض الخصبة فيتولاه الكسل ويقتات بالنتروجين الموجود فيها — شأن الاحياء على اختلاف رتبهم وانواعهم لا يعمل احدهم الاَّ مدفوعاً بالحاجة واذا ذهبت حاجته اركن الى الكسل حتى اصغرها وهو الميكروب كما رأيت . فهذا الميكروب يكتفي بما في التربة من النتروجين ولا يسعى في امتصاصه من الهواء الاَّ اذا عضه الجوع ولم يجد في التربة غذاء لهُ ولذلك لم تنجح التجارب التي اجراها الباحثون قبلاً في تربة خصبة او في سائل خصب لانهم كانوا يستنبتون الميكروب المشار اليهِ في سائل زلالي مشبع بالنتروجين فيغتذي منهُ الميكروب حتى يشبع فلا تبقى فيه حاجة الى نتروجين الهواء . اما في التربة القاحلة فيأتي بالمعجزات وانما يشترط ان يكون فيها مقادير كافية من البوتاسا او الصودا والحامض الفصفوريك وباتحادهما بالنتروجين يتولد السماد . وهما رخيصان وانما النفقة اكثرها على النتروجين والميكروب يكفيك مؤونة الانفاق

وذكر الاستاذ بوتوملي تجارب اجراها في رماد البراكين غرس فيها بذور اللوبياء بعد ان لقحها بالميكروب فاتت بالثمار حسنة . واستغرب الناس ما شاهدوه من نموّها وتعرشها وجذورها مغروسة في الرماد . وقد افاضت مجلة المجلات الانكليزية في تفصيل هذا الاكتشاف واستحثت اصحاب الملايين على تأليف شركة لتوسيع دائرة التجارب في بقاع واسعة من الارضين القاحلة . والارباح مضمونة اذ تصير الصحاري الرمضاء مغارس غناء

وجربت حكومة اميركا هذا الاكتشاف فارسلت ١٢,٠٠٠ علبة من البذور الملقحة بالميكروب المذكور الى اماكن مختلفة من ولاياتها سنة ١٩٠٥ فكانت النتائج ان ٧٤ في المئة زاد فيها الخصب زيادة حسنة كما يستدل من تقاريرهم الرسمية . لكن الانكليز ارتابوا بتلك التقارير لانها آتية من هناك ولم تشأ وزارة الزراعة بانكلترا الانفاق على التجارب الكبرى . فاخذ الاستاذ بوتوملي السعي في ذلك بنفسه فاعدَّ حبوباً ملقحة جعلها في علب وفرقها في المزارعين وهو يرسلها لمن يطلبها على سبيل التجربة . وارسل الى بعض الاماكن الميكروب حياً فكانت النتيجة انجح كثيرًا اذ كان نموُّ الزرع اسرع وثماره اوفر وجنسه احسن واصبحت التربة بعد الغرس اخصب منها قبلهُ

ومن امثلة تجاربهم انهم خصصوا ثلاث قطع من الارض الاولى ليس فيها سماد والثانية طرحوا فيها سماداً من نترات الصودا بنسبة قنطارين لكل قصبة والثالثة ارض مجدبة لقحوا نباتها بالميكروب الذين نحن بصدده . وغرسوها كلها برسيماً فكانت النتيجة كما يأتي :

نوع التربة	مقدار المحصول بالطن
(١) التربة بدون سماد	٧
(٢) « بسماد قنطارين للقصبة	٩ ½
(٣) « الملقحة	١٢ ¼

وهي نتائج باهرة تستحق الالتفات . ولا ريب ان قراء الهلال الذين يهتمون بالزراعة يشتاقون الى تجربة ذلك بانفسهم في مزارعهم فصاحب الاختراع يرسل علباً فيها الحبوب الملقحة لمن يطلبها منه او من ادارة مجلة المجلات الانكليزية وهذا عنوانها :

Review of Reviews, Norfolk St. London W. C.

ويرسل اليه معها الايضاحات اللازمة للزرع وغيره

اشغال ملك الانكليز يتبادر الى اذهان الناس ان الملوك المقيدين بالشورى

لا عمل لهم فيقضون اوقاتهم بالملذات · ولو عاشروهم ودرسوا احوالهم لرأوهم يشتغلون كسائر الناس وان كانت اشغالهم تختلف عن اشغال الناس · وهذا جدول لما اتاه الملك ادوار من الاعمال الرسمية في السنة الماضية :

عدد	
٤٣	زيارات للمعاهد والبلاد (منها ٢٨ في بريطانيا و١٥ في الخارج)
١٤٠	مقابلات الوزراء او السفراء او غيرهم
٨	مجالس خصوصية
١٦	احتفالات عمومية كالتدشين ونحوه
١٤	ولائم رسمية باسم الحكومة
١٢	استعراضات الجند البري والبحري
٦	زيارات للمتاحف وغيرها
١٢	« لحفلات السباق
٤٢	« للمراسح
١٠	« اخرى
٥٠,٠٠٠	رسائل واوراق رسمية قرأها او نظر فيها او كتبها

(التعليم في الهند) انتقدت مجلة ايدنبورغ الانكليزية خطة انكلترا في تعليم الهنود فقالت انها وجهت عنايتها الى تعليمهم الاداب الخيالية او النظرية واغضت عن تدريبهم على العمل والنشاط بنشر العلوم الطبيعية والرياضية فيهم · ودليلها على ذلك ان حاملي الشهادات العلمية في الهند بلغ عددهم اليوم نحو ٤١,٠٠٠ نفس ليس بينهم من الاطباء والمهندسين وعلماء الاجتماع والاقتصاد الا ٣,٠٠٠ وليس في حملة شهادة العلم عندهم الا ٣٥٠ من الاطباء يحملون شهادة مدارس الهند نفسها و٢٥٠ من العلماء و٢٠٠ من المهندسين · وانما يوجهون همَّ الاهالي الى درس العلوم الشرعية او الجدلية التي طبع خاصة الهنود على التبحر فيها ولكنهم في حاجة الى العلوم العملية مثل حاجة اهل وادي النيل

(الخشب في اميركا) يؤخذ من احصاء وضعته نظارة الاحراج والغابات باميركا ان ما يمكن اقتطاعه من احراج اميركا كلها لا يزيد عن ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ قدم

مكعب يقتطع منها كل عام ٤٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ قدم فلا يمضي اعوام كثيرة حتى تفرغ تلك الغابات

❊ اشتراك العقول ❊ يذهب بعض علماء النفس الى ان الانسان اذا كان بين جماعة كانت قواه العقلية اعجز عن العمل فيما يختص به واقوى فيما يجمعه بهم

❊ الزواج في انكلترا ❊ يعتمد علماء الاجتماع في تقرير الحقائق الاجتماعية على الاحصاآت لانها من اصدق الشواهد . فوضع بعضهم احصاء عن انكلترا فوجد الزواج يختلف شيوعاً فيها باختلاف اقاليمها . ومن غريب ماظهر لهم ان نحو نصف النساء المتجاوزات السنة الخامسة عشرة من العمر غير متزوجات . وفي بعض الولايات اكثر من ذلك . والسبب كثرة مهاجرة الشبان الى الخارج . وهذا جدول عن نساء انكلترا وو يلس من سن ١٥ فما فوق :

عدد	
٦,٩٦٣,٠٠٠	المتزوجات
٤,٥٥٥,٠٠٠	العازبات

وقد وجدوا من العازبات ٣,٢٠٤,٠٠٠ فتاة يشتغلن بالصنائع او المعامل او غيرها والباقي لا عمل لهن

❊ التلغراف بلا سلك ❊ اصبح للجند الالماني محطات كثيرة للتلغراف بلا سلك خاصة به . وقد عين فرقة من الجند لاتقان استعماله ومنها شرذمة في كل محطة وجملة العملة في كل المحطات ١,٧٥٠ جندياً

❊ الاوتوموبيل في اميركا ❊ بلغ ثمن الاوتوموبيلات التي صدرت من اميركا في الاشهر الستة الاولى من هذا العام نحو ٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وكان نصف هذا المقدار في نصف العام الماضي

❊ السفن التجارية في العالم ❊ يؤخذ من احصاء وضعته شركة لويد لهذا العام ان محمول السفن التجارية في العالم كله بلغت ٣٩,٤٣٨,٩١٧ طناً وكانت للعام الماضي ٣٧,٥٥٤,٠١٧ طناً . وعدد السفن التي يزيد محمولها على مئة طن صارت الآن ٣٠,٢١٣ سفينة وكانت للعام الماضي اقل من هذا العدد بمئة سفينة . اما بالنظر الى الدول فلانكلترا وحدها نصف هذه السفن . وبعبارة أخرى ان سفنها التجارية تحمل نصف ما تحمله سفن العالم كله وبالتدقيق ان محمول سفنها ١٧,٠٠١,٠٠٠ طن

(جريدة التلفون) في بودابست جريدة تنشر اخبارها بالتلفون على مشتركيها

اسمها « تلفون هيرموندو » قد زاد عدد مشتركيها على ١٥,٠٠٠ مشترك وعدد عمالها ٢٠٠ عامل ولها ١٫٨٠٠ كيلومتر من اسلاك التلفون موزعة على اماكن المشتركين . والعمل يدور في هذه الجريدة من الساعة ٩ صباحاً الى الساعة ٩ مساء وفيها كثير من العدد الثمينة لنقل الاصوات وتكبيرها وهي تتناول اخبارها بالتلفون وتوزعها بالتلفون وقد جعلت للتوزيع ترتيباً جيلاً فقسمت اخبارها الى اقسام توزع كل قسم منها في وقت معين فلا يعتورها اضطراب او تشويش على هذه الصورة :

من الساعة ٩ — ٩'٣٠		تنبئ المشتركين بحال الطقس
« ٩'٣٠ — ١٠		تعطيهم اخبار البورصة
« ١٠ — ١٠'٣٠		خلاصة الصحف المحلية
« ١٠'٣٠ — ١١		اخبار مالية مختلفة
« ١١ — ١١'٣٠	«	اخبار محلية وفي جملتها المراسح والسباقات
« ١١'٣٠ — ١١'٤٥	«	بورصة فيننا
« ١١,٤٥ — ١٢	«	الاقاليم والخارجية
« ١٢ — ١٢'٣٠	«	البرلمان والوزارة والجيش
« ١٢'٣٠ — ١	«	البورصة
« ١ — ٢		اهم اخبار الصباح
« ٢ — ٢'٣٠		اخبار خارجية مختلفة
« ٢,٣٠ — ٣	«	البرلمان والمحليات
« ٣ — ٣,١٥		آخر اخبار البورصة
« ٣,١٥ — ٤		اخبار المودة والصيد والمراسح وغيرها
« ٤ — ٤,٣٠		خلاصة أخبار البورصة
« ٤,٣٠ — ٦		موسيقي عسكرية
« ٧,٢٠ — ٨		اوبرا
« ٨'١٥		وبعد اول فصل من الاوبرا تعطى اخبار بورصة نيويورك وفرنكفورت وباريس وبرلين واهم مراكز العالم التجارية
« ٨'٣٠ — ٩		اوبرا

ولا يخفى ان في نشر الاخبار على هذه الصورة فائدة للمشتركين اضعاف فائدة الصحف المطبوعة فضلاً عن تمتعهم بالموسيقي وهم جلوس في مخادعهم . واشتراك هذه الجريدة مثل اشتراك سائر الجرائد المهمة . ولا تقبل الاشتراك لأقل من اربعة اشهر تدفع مقدماً وفيها باب للاعلانات ينشرونها في اثناء نشر الاخبار مقطعة بين خبر وآخر . واجرة الاعلان يقدرونها بالوقت الذي تقتضيه لنقلها فيأخذون فرنكين ونصف فرنك عن كل ١٢ ثانية تذهب في نقل الاعلان . ومن مزايا هذه الصحيفة على سائر الصحف انها تفيد الاميين والعميان فضلاً عن الذين يقرأُون

❊ الاساطيل الهوائية واضدادها ❊ قلنا في غير هذا المكان ان فرنسا تبتني اساطيل من السفن الهوائية تستخدمها في الحروب للاستكشاف اونحوه مما يستعان به على الاعداء فرأى الالمانيون ان يبتنوا في مقابل ذلك اوتوموبيل يصنعونه على كيفية تعارض بها عمل تلك السفن فترسل اليها ما يخترقها

❊ الاوتوموبيل في لندرا ❊ في لندرا الآن من عربات الاوتوموبيل المستخدمة لنقل الناس ويسمونها « اوتوبوس » نحو الف مركبة تحمل ٤٠٠,٠٠٠ نفس في اليوم

❊ الطماطم (البندورة) ❊ كان المشهور عند الاطباء ان الطماطم كثيرة الضرر لاصحاب المزاج الروماتزمي والرأي المعوَّل عليه اليوم انها عديمة الضرر فيهم

❊ التعليم في اسوج وفي مصر ❊ سكان اسوج لا يزيد عددهم على نصف سكان القطر المصري وعندهم من المدارس الجامعة اولاً جامعة اوبسال ميزانيتها في العام نحو ١,٣٤٢,٠٠٠ فرنك وعدد طلبتها ١,٥٠٠ طالب . ثانياً جامعة لوند ميزانيتها ٥,٠٤٠,٠٠٠ فرنك وتلامذتها ٨٠٠ تلميذ فقط . وكلا الجامعتين للحكومة وهناك كليات اهلية منها كلية غوتبرج . وفي ستوكهولم معهد علمي للطب والجراحة يسمى مدرسة كارولنسكا ومدرسة للصنائع وهم آخذون في انشاء جامعة جديدة في شمالي اسوج — فضلاً عما لديهم من المدارس الصغرى وعددها نحو ١٣,٠٠٠ مدرسة عدد تلامذتها ٨٠٠,٠٠٠ طالب . ومما يستحق الالتفات ان دخل الحكومة الاسوجية اقل من دخل الحكومة المصرية ومع ذلك فان المال المعين للانفاق على التعليم يقدَّر بخمسة عشر في المئة من دخلها فهي تنفق على التعليم الابتدائي فقط ٢٧,٢٠٠,٠٠٠ كورون وذلك يساوي نحو ١,٥٠٠,٠٠٠ جنيه وهو اضعاف ماتنفقه مصر في هذا السبيل

❊ القطن لهذا العام ❊ يؤخذ من الاحصاآت الرسمية الواردة من اميركا عن

قطنها لسنة ١٩٠٧ ان مقداره يبلغ ١٣،٥٣٩،٩٤٨ بالة وكانت للعام الماضي ١١،٢٣٣،٨٤٨ بالة

✻ استحضار الماس ✻ كتب بعضهم الى اكاذيمية العلم في باريس انهُ استنبط طريقة لاستحضار الماس من كبريتيد الكربون بحل الكربون من الكبريت بواسطة الكهربائية وتراكيب معدنية تلقى في محلول كبريتيد الكربون المذكور فينحل هذا المركب بالتدريج ويرسب الكبريت على تلك المعادن وينفرد الكربون بشكل ذرات لامعة هي الماس بعينه فعينت الاكاذيمية لجنة من اعضائها لاجراء التجارب اللازمة لتحقيق ذلك

✻ اعاظم الرجال في فرنسا وانكلترا ✻ اقترحت احدى الصحف الباريسية على قرائها ان يبدي كل منهم رأيه في من يعتبره اعظم رجل في فرنسا لترى من ينال اكثرية الاصوات . فلما جاءتها الاجوبة كانت الاكثرية لباستور العالم البكتريولوجي لاكتشافاته الكبرى في الميكروب فانها نقلت الطب من طور الى طور وكشفت للعالم كثيرًا من اسباب الامراض ووسائل الوقاية منها . ويلي باستور با كثرية الاصوات الدكتور رو مكتشف مصل الدفتيريا وغيره ثم الموسيو كوري مكتشف خصائص الراديوم . ويأتي بعد هؤلاء نابوليون بونابرت في الدرجة الرابعة . واقترحت مثل هذا الاقتراح جريدة انكليزية اسمها « ايفنن نيوز » لتستطلع آراء الشعب الانكليزي في عظمة رجاله فكان حكمهم في ذلك مخالفًا لحكم الفرنساويين لان هؤلاء نظروا في عظمة الرجال باعتبار فضلهم على الهيأة الاجتماعية لا باعتبار مطامعهم او كبر نفوسهم كما فعل الانكليز . فداروين مثلاً صاحب مذهب الارتقاء الذي غير مجاري الافكار وقلب العلوم قد جاء عندهم في الدرجة السادسة عشرة . ونال الاكثرية الاولى شكسبير الشاعر المشهور يليه ولنتن قاهر نابوليون في واقعة وترلو ثم نلسن مدمر العمارة الفرنساوية في ابي قير وصاحب واقعة ترافلغار ثم يأتي تشمبرلين وبعده ديكنس الشاعر فسسل رودس نابوليون افريقيا فاللورد روبرتس صاحب واقعة افغانستان . ومن غريب ذلك الانتخاب ان ليستر معبي فن الجراحة بالقواعد التي وضعها لمنع الفساد أتى في الدرجة التاسعة والثلاثين — فترى مما تقدم ان حكم الشعب الفرنساوي على عظمائه اقرب الى الصواب والانصاف من حكم الشعب الانكليزي

✻ اليهود في عصر الفراعنة ✻ عثرت الارساليتان الفرنساوية والالمانية اللتان ارتادتا مصر العليا في هذا العام على آثار يهودية في الفنتين تجاه مدينة اسوان من عصر ارمياء النبي وفي جملة ذلك بابيروس عليه كتابات باللغة الآرامية تدل على ان طائفة

كبيرة من الاسرائيليين كانت مقيمة هناك وكان لها معبدٌ تصلي فيه وكان العلماء يستبعدون ذلك ولا يتوقعون اكتشاف مثل هذه الحقيقة ولكنهم وجدوا بين الاوراق التي اكتشفوها عريضة مؤرخة في سنة ١٧ من حكم داريوس (اي ٤٠٨ ق م) يطلب فيها اليهود اعادة بناء معبد كان الكهنة المصريون شرعوا في تدميره · وفي العريضة اشارة الى رشوى دفعوها الى بعض موظفي الحكومة لتلبية طلبهم

✻ التلفون بلا سلك ✻ قلنا في غير هذا المكان ان العلماء يشتغلون في اصطناع تلفون بلا سلك وقد جربوه بين سفينتين في بحيرة ارية فاتى بنتائج حسنة فتنبهت حكومة الولايات المتحدة لتجربة ذلك في سفائنها فجربتها نظارة البحرية بين سفينتين اسماهما فرجينيا وكونكتيكوت على مسافة خمسة كيلومترات فاتت وافية بالمطلوب وهي تشتغل بتحسين الآلات لتكرار التجربة

فوائد الميكروب

لمحمد افندي جميل بيهم في بيروت

اصبح الميكروب مشهورًا لا يحتاج الى تعريف ولكن شهرته مشوبة بالمطاعن لاعتقاد الناس انهُ علة الامراض وانهُ لم يخلق الا للاذى والحقيقة ان لهُ فوائد ذات بال لو لاها لكان العالم خرابًا نأتي بأهمها وهي :

١ — الميكروب يتوقف عليه بقا النوع الانساني

من المعلوم ان حياة الانسان تتوقف على وجود الحيوانات · لافتقاره الى اكثرها في امور معيشته وان جهل منافع القسم الاعظم منها · ومجموع الحيوان (ومنه الانسان) يتوقف بقاؤُه على وجود النباتات لكونها الواسطة الوحيدة التي تستخرج له مواد الارض المعدنية وتحولها لحالة تصلح لقوته · والنباتات تتناول من التربة عناصرها الكيماوية فتبدلها باحشائها لمواد آلية يتركب منها الدم والعظم واللحم المؤلف منها جسم الحيوان ولا يستطيع غيرها القيام مقامها في هذا الدور لان الحيوان لا يقدر ان يتغذى من الفوسفور والمغنيسيا والبوتاس والكلس والازوت وغيرها من عناصر الارض الخامية الا بواسطة النباتات بتحويلها الى مواد تناسب بنيته وتصلح لغذائه · فالنباتات هي الوسيلة التي يتاتى بها للحيوان استدرار الخيرات الارضية المعول عليها في حياته باصلاحها له وتهذيبها تهذيبًا يمكنه من الاستفادة

بها . والنبات هو الذي يصلح غذاء الحيوات فما الذي يصلح قوت النباتات ؟ . . .

هي مسالة وضعها العلماء موضع البحث والاهتمام لما علموه من ان المركبات التي تصنعها الطبيعة وان تخللها الازوت فهي لا تصلح لغذاء النبات فاستنتجوا من ذلك انه لا بد من مصلح لتلك المركبات الطبيعية واتضح لهم بعد البحث ان الطبقة السطحية من الارض ملأى بالميكروبات حتى في الارض الجيدة . ففي كل مثلث قاعدته سنتيمتر مربع وعلوه ثلاثون سنتيمترًا من مليون الى خمسة ملايين منها وان تلك الميكروبات هي المصلحة للمركبات الطبيعية المذكورة وهي القائمة بخدمة النبات كل جنس منها بما يختص به من الخدم. فبعضها يفرق العناصر الترابية وبعضها يقدم الازوت الكافي الذي لا غناء عنه في تركيب الانسجة النباتية والحيوانية وبعضها يولد مركبات آلية ازوتية تقوم بغذاء النبات احسن قيام وللميكروبات فوائد عظيمة حتى بعد موتها اذ تصير سمادًا يغني التربة من المواد الآلية

وقد تبين للباحثين في هذه الكائنات ان جنسًا منها يوجد في بعض البقول كالجلبان واللوبياء هو قائم على اصولها ويهيء لها المركبات النافعة ويصلح لها الازوت العنصري لان هذه الاصناف من النبات اقصر يدًا من غيرها عن تناوله من الهواء واستفادتها من حالته الاصلية . وقد عرف مؤخرًا ان الحراثة وتحريك الارض يراد بهما تهوية التربة لمساعدة الميكروب على اتمام عمله وبعد تحقيق هذه الحقائق اخذ علماء الزراعة يتساءلون عما اذا كان من الممكن تكثير محصول النباتات النافعة باستنبات الميكروبات المفيدة للتربة بالاستغناء عن السماد ولم يكادوا يطيلون التساؤل في هذا الموضوع حتى اجابتهم علماء الزراعة باميركا بنعم . ولكن ليس بالقول بل بتحويل الفكر لحيز العمل اذ اشتغلوا باستخدام الاستنبات المكروبي في تسميد الارض فجربوا تلقيح الاتربة بانواع من البكتريا التي تولد المواد النتروجينية فوجدوا النتائج حسنة وقد صنعوا من هذه المواد مسحوقًا جافًا سموه نيتراجين يذاب في الماء و يرش على الارض وهم لا يزالون يشتغلون في تحسين عمل هذا الاختراع لاستنتاج ما ورائه من الخيرات [1]

٢ — الميكروب دافع للامراض

القناة الهضمية هي الطريقة الاسهل لتسمم البدن والسبيل الايسر لاستطراق الامراض تبعاً لقانون بوشا القائل بالتسمم الذاتي ووفقاً لاعتقاد سائر الاطباء . لان هذه القناة مع حرج مركزها ودقة تركيبها وضعف انسجتها المخاطية وقبولها لامتصاص

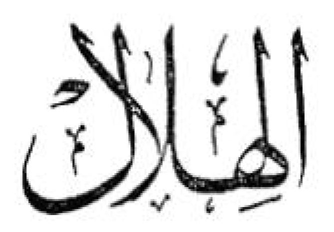
(١) الهلال : راجع مقالة نهضة زراعية في هذا العدد

السموم هي الجامعة لفضلات الغذاء والضامة للفساد وتولد العفن والفساد وبسبب الاختمار الزبدي والتعفني فضلاً على انها هي المستودع لما عجز البكتريولوجيون عن حصره من الميكروبات المقدرة بالوف الملايين وبعضها يدخل الجسم بعد الولادة ببضع ساعات ثم يأخذ في الزيادة والنمو الى الممات وهي المستقر لاربعين او خمسين نوعاً من الجراثيم المرضية ومن جملتها باشلس الحمى التيفوئيدية والزحير (الزنطاريا) والهواء الاصفر .

وكل ما اخترعه الاطباء لعهد غير بعيد من العلاجات وما اكتشفوه من العقاقير التي ملأت الكتب لتطهير الامعاء ومنع فساد البقايا الطعامية فانها غير صالحة للغرض المقصود وقد تكون مضرة لضعف الاحشاء عن احتمالها فاخذ فريق من الاطباء وفي مقدمتهم الاستاذ متشنيكوف الروسي احد اعضاء مجمع باستور في باريس يهتم باكتشاف طريقة تفي بالمطلوب دراً للمفاسد الناتجة عن قذارتها التي يتقدمها القبض او الاسهال ثم يعقبه وجع المعدة او الصلب او الكبد او القلب او الجلد او النخاع او خلل في الدورة مع الاستعداد. فتوفق اذ علم بعد الفحص ان الاختمار اللبني يقتل ميكروبه جراثيم بعض الامراض ويوقف تولد البعض الآخر وانه هو خير مدافع عن الصحة واحسن محافظ على نظافة الاحشاء فاثر الرأي على الاعتماد عليه في مثل هذا الغرض والتعويض لمهدئة مقاومة مقلقي الراحة البدنية حتى يحصل الامن العام فوصف الاطباء حفظاً للصحة ودفعاً لامراض الشيخوخة تناول اللبن المختمر كثيراً اي قارس الحموضة في كل يوم ولو قليلاً منه بقدر ثلاث ملاعق . واصطنعوا منه اقراصا يتداولها الناس يومياً دفعاً للفساد

احتفال علمي

احتفل حضرة اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير في مساء ٢٨ نوفمبر الماضي بدخول مجلة المنار الاسلامية سنتها العاشرة بوليمة دعا اليها ارباب المجلات العربية بمصر والقى فيهم خطاباً بيّن فيه فضل صديقنا السيد رشيد رضا صاحب المنار في خدمة العلم ومحاربة الاوهام والخرافات التي تحول بين المسلمين والترقي . ويوافق ذلك ما توسمناه في هذه المجلة من اول صدورها اذ عددناها من اقوى دعائم النهضة الاسلامية . وهذا هو اول احتفال اقيم باسم المجلات العربية فاستحق عاصم بك الشكر على ذلك



الجزء الرابع من السنة السادسة عشرة

اول يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٨ و٢٧ القعدة سنة ١٣٢٥



اوسكار الثاني

ملك اسوج

ولد سنة ١٨٢٩ وتولى سنة ١٨٧٢ وتوفي سنة ١٩٠٧

١ — اسوج

كانت أسوج في تاريخها القديم تابعة لمملكة الدنمارك وقد حاول الاسوجيون الاستقلال غير مرة ففازوا بتلك النعمة فوزاً تاماً في اوائل القرن السادس عشر . واول ملوكها غستاف واسا الملقب بغستاف الاول تولاها سنة ١٥٢١ وجعل اكثر اهلها من الطائفة الانجيلية ثم توالى عليها بضعة ملوك من اهله الى سنة ١٦٣٢ اذ افضت الحكومة الى الملكة كريستينا وكانت كاثوليكية فنقلت الحكومة الى احد اقربائها من عائلة فلاتس وهو كارلوس العاشر . فاستلم ازمة الحكم سنة ١٦٥٤ فحارب الدنماركيين وتغلب عليهم واشهر حروبه واقعة وارسو في بولونيا لانه فاز فيها فوزاً باهراً واضاف اقليم اسكانيا الى مملكته وخلفه ابنه كارلوس الحادي عشر سنة ١٦٦٠ وهو غلام فكفلته أمه وفي ايامه أضيفت ليفونيا الى اسوج وعقد الصلح بين الدنمارك وروسيا . وبلغ الملك رشده سنة ١٦٧٢ وقبض على زمام الاحكام وكان متسرعاً في اموره فاستنصره لويس الرابع عشر في حربه سنة ١٦٧٤

فدمره بجند قاسى العذاب والخسران فاغتنم كرستيان الخامس ملك الدنمارك اشتغال عدوه بنفسه وهاجم بلاده يريد استرجاع اسكانيا وكاد يفوز لو لم يرجع كارلوس الى صوابه ويلم شعثه ويتولى قيادة الجند بنفسه ويحاربه بعزم شديد • وتوفي كارلوس الحادي عشر سنة ١٦٩٧ وخلفه ابنه كارلوس الثاني عشر

وكارلوس هذا هو اعظم ملوك اسوج بسالة واقداماً ونظراً لكثرة فتوحه وسعة مطامعه شبهوه بالاسكندر المكدوني • ولو خدمه التوفيق في أخريات ايامه كما خدمه في اوائلها لفتح معظم ممالك اوربا ولكنه مني برجل آخر عظيم نعني به رجل روسيا بطرس الكبير وقد دهش بطرس من بسالة كارلوس وتدبيره لكنه تعلم منه كيف يغلبه وتوفي كارلوس سنة ١٧١٨ ولا عقب له فخلفته اخته اولريكا • وفي سنة ١٧٢٠ انتقلت السلطة الى زوجها البرنس فردريك هيس وتسمى فريدريك الاول وحكم الى سنة ١٧٥١ وانتقل الحكم بعده الى اسرة هولستين كتورب توالى منها على اسوج اربعة ملوك آخرهم كارلوس الثالث عشر وفي اواخر ايامه دخلت نروج في حوزة اسوج ثم انتقل الملك الى اسرة بونتي كورفو واول ملوكها كارلوس الرابع عشر وخلفه اوسكار الاول فكارلوس الخامس عشر فاوسكار الثاني الذي نحن في صدده

٢ — اوسكار الثاني

هو ابن اوسكار الاول ولد سنة ١٨٢٩ ووالدته جوزفين ابنة البرنس اوجين لختنبرج تولى الملك بعد اخيه كارلوس الخامس عشر سنة ١٨٧٢ وتزوج سنة ١٧٨٥ بالملكة صوفيا ابنة دوق ولهلم نساو • وله اربعة اولاد • (١) البرنس غوستاف المولود سنة ١٨٥٨ وهو الملك الجديد (٢) البرنس اوسكار برنادوتي المولود سنة ١٨٥٩ (٣) البرنس كارل المولود سنة ١٨٦١ (٤) البرنس اوجين المولود سنة ١٨٦٥ وكان لعائلة ملك اسوج راتب من الحكومة مقداره ١،٣٢١،٠٠٠ كرون او ٧٢،٧٤٢ جنيهاً من اسوج و ٤٨٧،٦١٢ كرون او ٢٦،٨٥٠ جنيهاً من نروج في السنة قبل انفصالها عن مملكته اما الآن فالراتب ٧٨،٢٤٩ جنيهاً وللملك فضلاً عن ذلك راتب خاص مقداره ١٦،٥٢٠ جنيهاً

وهو طويل القامة جميل الطلعة اقنى الانف ازرق العينين اشقر اللون ذو وقار وهيبة يحب السياحة ويهوى الموسيقى وهو دكتور في الفلسفة وله قريحة شعرية وقادة وفيه ذوق خاص لاكتساب اللغات وقد احرز منها ثمانية ألسنة يحسن التكلم بها مع فصاحة اللهجة وقوة العارضة • يعرف ذلك فيه كل من سمعه يلقي الخطب في الجمعيات العلمية

او المجالس السياسية • وله قلم سيال في التأليف والتصنيف وقد الف كتباً كثيرة في التاريخ أهمها تاريخ حرب أسوج من سنة ١٧١١ — ١٧١٣ وهو يعلم في المدارس • ومنها سيرة « غوستاف ادولف الملك الاسد » وسيرة « كارلوس الثاني عشر كوكب الشمال » وقد نُشرتا في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية • وكان الملك اوسكار كثير الاهتمام في مطالعة اداب اللغة الجرمانية وقد ترجم من اشعار غوتي الشاعر الالماني الشهير عدة اناشيد احسنها ترجمة « تركواتوتاسو » نشرت سنة ١٨٦١ وترجم ايضاً رواية السيد الشهيرة واشعاراً من منظومات هوراس وبيرون ومور وفكتور هوكو • ونظم في الاسوجية بلسانه قصائد كثيرة من جملتها اناشيد سماها « مفكرات الاسطول الاسوجي » نشرت سنة ١٨٥٧ وفيها قصائد من احسن نظمه • وله ايضاً كثير من الاغاني الجميلة نظم اكثرها بمشاركة ايفار هلستروم الموسيقي الشهير رفيقه في صباه • وقد نشر كثير من كتاباته الانكليزية نثراً في المجلات الانكليزية • اما منظوماته الشعرية فلم ينشر منها شيء في هذه اللغة لسمو النظم مع اختلاف اللغتين في اساليب المجاز والشاعرية بحيث يفقد الشعر رونقه بالنقل • وقد سئل اللورد تنسون شاعر الملكة مرة ان ينقل بعض اشعار اوسكار الى الانكليزية فاعترف ان ذلك فوق طاقته • وللملك ولع شديد بالموسيقى وكان قبل تملكه يؤلف الاجواق للانشاد في سبيل المشروعات الخيرية

وكان مع ذلك شجاعاً مقداماً تشهد له بذلك وقائع عديدة اظهر فيها من البسالة وعلو الهمة مالا يزال يتحدث به الناس • وقد نال على بعضها وسامات الشرف في صباه اهمها وسام منحته اياه « جمعية الانسانية الفرنساوية » سنة ١٨٦٢ وهو يومئذ البرنس اوسكار • اعترافاً ببسالة ابداها في ايقاف فرسين جامحين في نيس انقذ بايقافهما ثلاثة انفس

وللملك اوسكار منزلة رفيعة في قلوب رعاياه الاسوجيين فهم يعدونه اباً رؤوفاً لما يبديه من التلطف في معاملتهم لانه لايحتجب عن احد منهم وقد خصص يوم الثلاثاء بعد الظهر من كل اسبوع لاستقبال من يريد المثول بين يديه من رعاياه في استوكهولم • فلم يمنع احداً من مقابلته على شرط ان يقيد اسمه بين طالبي المقابلة قبل يوم الاستقبال بثلاثة ايام في دفتر معدّ لذلك • فترى الناس في ذلك اليوم يغدون على قصر الملك زرافات ووحداناً وفيهم الاغنياء والفقراء من ارباب المناصب والفلاحين وغيرهم وقد يكون بينهم بعض الغرباء يتخللون الازدحام رغبة في الفرجة • فاذا اقبل الزائرون على الملك تلطف في مقابلتهم وبش لهم واكرم وفادتهم على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم • وليس في الاسر

المالكة في اوربا أسرة تبتعد عن الزخارف والابهة ابتعاد ملك اسوج واسرته . ومع شدة احترام الرعية له فانهم لا يتهيبون من مجلسه ولا يخافون غضبه لانه لا يغضب ولا تهمه مظاهر الرسميات ولا يريد ان يحترمه رعاياه خوفاً منه وانما يريد ان يحبوه من اجل حسناته ومحبته لهم — فلله دره من ملك فيلسوف



اوسكار الثاني — بثوب اميرال بحري

ويتناقل الاسوجيون عن ملكهم نوادر لطيفة تدل على حسن خلقه وتمثل حقيقة سجاياه لا بأس من ايراد بعضها : ذكروا انه خرج مرة لزيارة بلد على بضعة عشر ميلاً من غوتنبرج وكان لم يذهب اليها من زمن طويل فتقاطر اهل البلد وغيرهم لمشاهدة الملك حتى غصت الطرق والدروب بالجماهير وبينما هو مار في بعض الشوارع سمع امرأة تقول بأعلى صوتها « افسحوا لي طريقاً لاتقدم وارى الملك . . . هل تريدون ان امشي طول هذه المسافة واتلف ثوبي الاسود الجميل عبثاً ؟ . اروني الملك كيف يكون . . اين هو ؟ » ثم ان تلك الامرأة اخترقت الجماهير ودنت من الملك فرأته كهلاً طويل القامة عليه ثوب كحلي اللون فبش لها وخاطبها بلطف واشار الى نفسه قائلاً « هذا هو الملك » ثم ادار ظهره ليريها قفاه وجانبيه وهي تنظر اليه وتتأمله فلما فرغت من ذلك صاحت « الحمد لله قد رأيت الملك بعد ان قضيت عدة ساعات في انتظار هذه الفرجة في هذا الازدحام »

وكان مارًا ذات يوم في مدينة غوتنبرج لافتتاح خط حديدي جديد فقابله مكاتب جريدة دنماركية وطلب اليه ان يعطيه نسخة من الخطاب الذي سيلقيه في ذلك الافتتاح ليرسله الى ادارة الجريدة تلغرافيا لانهُ اذا انتظره حتى يلقي الخطاب ثم ينقله ضاعت الفرصة لان الجريدة تظهر في الصباح التالي . فاعتذر الملك بانه لم يدون خطابه وانما كان عازمًا ان يتلوه ارتجالاً فيئس المكاتب وقال « ولكن الناس يهمهم ظهور هذا الخطاب في الجرائد ويهمني انا ايضاً ان احصل عليه واكون اول من نشره » فلم يكن من الملك الا انه وسع الرجل بلطف وهو يقول « حسناً . . . تفضل الى مركبتي لاملي عليك ما انا عازم على تلاوته في الاحتفال » فجلس المكاتب واستملى وفاز بما اراد

وزار يوماً احدى مدارس البنات تنشيطاً للعلم والادب فعرضت رئيسة المدرسة الصفوف بين يديه وكان في جملة ما عرضته صف من البنات الصغيرات فسالتهن المعلمة بعض الاسئلة التاريخية والملك حاضر وكان في جملة الاسئلة « من هو اعظم ملوك اسوج » فاجابت احداهن « غوستاف ادلف » وصاحت الاخرى « كارلوس الثاني عشر » وتقدمت الثالثة وقالت « اوسكار الثاني » ارادت ان تملق الملك . فتقدم اوسكار نحو الفتاة وسالها بلطف « ما هي الاعمال التي تدل على عظمته ؟ » فاغلق على الفتاة ولم تدر بماذا تجيب وغلب عليها الحياء فاحمر وجهها وبكت وقالت « لا اعرف » فربَّت الملك على كتفها وبش لها وهو يقول « لا تبكي لكونك لا تعرفين اعماله العظيمة فانا ايضاً لا اعرفها »

كان الملك اوسكار ينهض نحو الساعة الثامنة صباحاً ويبدأ الاعمال الرسمية في الساعة العاشرة فيحضر المقابلات او يستعرض الجنود ويترأس المجالس او غير ذلك الى منتصف الساعة الثالثة فيذهب للطعام مع الملكة وطعامه بسيط . ثم يجول في شوارع ستوكهولم يتفرج بمرأى الاسواق او يخرج بمركبته للنزهة في بعض المتنزهات خارج المدينة ويعود في منتصف الساعة الخامسة الى قصره ويدخل مكتبهُ الخصوصي فينظر في ما ورد عليه من الرسائل الخصوصية في مواضيع مختلفة واكثرها من اهل العلم من اربعة اقطار المسكونة فيجيب على المهم منها وخصوصاً ما يتعلق بمصلحة اسكندينافيا وبينه وبين بعض العلماء مخابرات متواصلة فالدكتور هدين الرحالة الكبير في اواسط آسيا كانت المخابرات لا تنقطع بينهُ وبين الملك يشجعه فيها على مواصلة العمل . ولما وصل ذلك الرحالة الى باكين بعد انقطاع اخباره مدة طويلة عن العالم المتمدن وجد عدة رسائل تنتظره هناك من الملك اوسكار

فاذا ازفت الساعة السادسة ذهب الملك للعشاء مع اخصائه من العائلة المالكة على مائدة

بسيطة . وبعد العشاء اما ان يعود الى مكتبته للمطالعة والمخابرة او يجلس مع الملكة لسماع الموسيقى او تلاوة بعض الكتب الملذة من الاشعار ونحوها او يتلو بعض قصائده على امرأته اذا طلبت منه ذلك . ومع كل ما تقدم من شهرة هذا الملك باللطف والدعة والحب المتبادل بينه وبين رعاياه لم يستطع استبقاء نروج في حوزته فانفصلت عن اسوج سنة ١٩٠٥ وتولاها ملك مستقل كما بينا ذلك في الهلال الاول من السنة الرابعة عشرة

وكان اوسكار مشهورا بغيرته على اداب اللغة العربية بعقد المؤتمر الشرقي في عاصمة بلاده وبما منحه من الجوائز المنشطة لتأليف الكتب في المواضيع الشرقية اشهرها الجائزة التي اعطاها الى الوسي زاده السيد محمود شكري افندي البغدادي مكافاة على تأليف كتاب « بلوغ الارب في احوال العرب » منذ بضع عشرة سنة . وانعم على كثيرين من خدمة العلم بالاوسمة والجوائز رحمه الله



غستاف الخامس ملك اسوج الجديد

واهتمام الملوك بالعلم من اكبر النعم على رعاياهم ولذلك قالوا « اذا اراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم » وقد جعلت الامم المتمدنة العلم شرطاً من شروط الملك وكذلك فعل المسلمون فعندهم ان العلم من اهم شروط الخلافة

وفي يوم وفاة اوسكار الثاني خلفه ولي عهده البرنس غستاف دوق فرملاند وهو في الخمسين من عمره وتسمى غستاف الخامس وسنأتي على شيء من مناقبه في فرصة اخرى

التعليم الالزامي

والتعليم المجاني

١ — تمهيد

قد تقرر في الاذهان ان التعليم أساس كل ما يتطلبه المصريون من الرقي السياسي او الاداري او الاجتماعي او الاقتصادي او الزراعي او الصناعي • وتناولت صحفنا هذا الرأي وخاضت فيه ونصرته وأيدته ودعت اليه وحثت عليه وأصبح القوم اذا الفوا حزباً جعلوا من اهم مطالبه « التعليم » والحكومة نفسها اعترفت بصحة ذلك الرأي بما اتخذته من اسباب السعي في تسهيل التعليم أو توخته من ارسال الطلبة الى أوربا واحياء اللغة العربية في مدارسها • فاصبح قولنا « التعليم ضروري » أو « علموهم وكفى » اوحث الامة او الحكومة على التعليم من قبيل التكرار البارد

على أننا لم نقتصر على القول بتعميم التعليم وانه أساس كل تقدم ولكننا بيّنا الطريق المؤدي الى ذلك واستحثثنا رجال المال واهل الغيرة على انشاء المدارس الكبرى من اموالهم وأتيناهم بالامثال استنهضنا بها هممهم فنشرنا امثلة مما جاد به اغنياء الامم الاخرى في سبيل انشاء معاهد العلم والفضيلة من الاموال الطائلة وطلبنا اليهم الاقتداء بهم في انشاء مدرسة كلية مصرية تكون فاتحة انشاء مدارس اخر • وبينا لهم أننا قد حان لنا ان نعوّل على انفسنا في تعليم ابنائنا بالخروج من وصاية الحكومة والاستغناء عن اعانتها في نشر التعليم كما تفعل سائر الامم المتمدنة — ضممنا صوتنا في ذلك الى اصوات سائر ارباب الاقلام وقد نهضوا نهضة واحدة يستحثون ويستنهضون ويؤنبون ويعنفون — وكنا كالكاتب على الماء لسرّ لم ندرك كنهه مع علمنا ان اغنياء المصريين اهل سخاء وأريحية يشهد بذلك ما رأيناه ونراه من سخائهم في مشروعات يتوقعون منها نفعاً زينه لهم الساعون فيها بعارضة الخطيب وبلاغة الكاتب • فذهب اكثرما جمعوه ضياعاً وربما عاد بعضهُ بالضرر عليهم وعلى بلادهم • فلو ان الساعين في تلك المشروعات بما اوتوه من الذكاء والنشاط وقوة البرهان صرفوا تلك المساعي في استدرار الاموال الكافية وانشأوا بها المدارس بدل الاحزاب لبلغنا الغاية التي نطلبها على اهون سبيل • لان ما بذل من المال والسعي في تلك الشؤون

قد يكفي لقلب الحكومة وتغيير وجه السياسة ولكن الامة المصرية غير مستعدة لمثل ذلك فذهب السعي هدراً — وكم من رجل عظيم يضيع مواهبه ويجرّ الخيبة لنفسه والخراب لبلاده لاستخدام مواهبه في غير الجهة الملائمة للاحوال • وقد يكون مخلصاً في عمله يستهلك في خدمة وطنه وفيه ذكاء وهمة ولكنه يسيء استخدام تلك القوى فتعود بالفشل عليه وبالضرر على امته ولو نظر في ما يستطاع اجراؤه وفيه نفع لافاد واستفاد

وفي مصر الآن جماعة من ارباب الاقلام واصحاب الثروة والجاه قد ملكوا قلوب الامة بما اوتوه من الذكاء والدهاء لا يستنفرون اغنياءها الى مشروع الا لبوهم على اختلاف في الاغراض بينهم • فالفوا الاحزاب والشركات وجمعوا اموالاً تكفي وحدها لانشاء الكلية التي بحّ صوتنا في طلبها ولكنها ذهبت في سبل اخرى • فلو صرفوا عنايتهم الى هذه الجهة واستخدموا قواهم ومواهبهم في هذا السبيل لما كلفونا مؤونة العود الى هذا الموضوع ولا يضرّهم ذلك في ما يريدونه من الاغراض السياسية بل هو اوفق لهم اذ تكون الامة بعد نشر العلم اكثر استعداداً لما يريدونه منها • ولكن يظهر اننا لم نزل في حاجة الى وصاية الحكومة لا غنى لنا عن ارشادها وتدريبها — بل نحن في حاجة الى استبدادها كما يستبدّ الوالد في ولده رغبة في مصلحته • فحبذا الاستبداد في هذا الشأن وما في ذلك عار على الامة المصرية فانه الطريق الذي مشت فيه سائر الامم المتمدنة نعني به « التعليم الالزامي »

٢ — التعليم الالزامي

ونعني بالتعليم الالزامي ان تجعل الحكومة تعليم الابناء فرضاً على ابائهم يسألون عن التقصير فيه • وكما يطالَب الوالد بطبيعة الوجود بحفظ الولد وحياطته وتربية بدنه بالغذاء والكساء ريثما يشتد ساعده ويستقل بنفسه فهو ايضاً يطالب بتربية عقله وتهذيب نفسه ليقوى على معاركة الحياة • ولكننا نرى الآباء غير عاملين بهذه القاعدة والحكومة انما اقيمت لحماية العاجز ونصرة الضعيف والاقتصاص للمظلوم من الظالم • فكما تطالب الوالد اذا قصر في تغذية ولده وكسائه وتحمله على القيام بهذا الواجب فهي مسئولة عن تقصيره في الواجب الآخر اذا راته مقصراً به ولم تجبره عليه • ولذلك كان للحكومة ان تجبر الوالدين على تعليم اولادهم ولا سيما اذا كانوا لا يزالون في اوائل ادوار نهضتهم

كذلك فعلت الامم الراقية ولا يزال التعليم اجباريا في الممالك المتمدنة حتى الآن فلماذا لا يكون كذلك بمصر بعد ان رأينا تقاعدنا عن انشاء المدارس من عند انفسنا مع قلة المتعلمين

بيننا ? فان الامم المتمدنة لم يكثر عدد القارئين فيها الاَّ بالتعليم الاجباري . كان عدد الاميين في الشعب الانكليزي سنة ١٨٤٣ نحو ٣٢ في المئة من الرجال و ٤٩ من النساء فاصبح الآن واحد في المئة من الرجال واثنين من النساء . وعدد الاميين في الولايات المتحدة اكثر منه في غيرها نظرًا لكثرة المهاجرين اليها واكثرهم لا يقرأُون ومع ذلك فقد كان عدد الاميين فيها سنة ١٨٨٠ نحو ١٧ في المئة فاصبح الآن عشرة في المئة فقط مع انها اكثر الامم اتفاقًا في سبيل التعليم . وفي المانيا يختلف عدد الاميين باختلاف المقاطعات ولكنهم قليلون جدًّا ففي بعضها لا تجد في المقاطعة كلها صبيًّا او شابا او شابة او كهلاً او شيخًا لا يعرف القراءة والكتابة واكثر الاميين في مقاطعة شرقي بروسيا وهم هناك واحد من سبعمئة وقس على ذلك سائر ممالك العالم المتمدن الكبرى والصغرى . ولا خلاف في ان زيادة عدد القارئين في الامة يدلُّ على ارتقائها

اما مصر فيسوءنا ان الاميين فيها لا يزال عددهم اضعاف عدد القارئين وقد بلغ عدد الذين يعرفون القراءة من سكان القطر المصري باحصاء سنة ١٨٩٧ اقلَّ من ٦ في المئة من مجموع السكان وهب انهُ بلغ ضعفيه الآن او ثلاثة اضعافهِ فهو قليل جدًّا بالنظر الى الامم المتمدنة . فهل نستطيع ادراك منزلة تلك الامم بغير التعليم الاجباري . ربما ادركناها بدونهِ ولكن بعد اجيال متوالية فنبق في اخريات المتمدنين الى ماشاء الله

والتعليم اجباريٌّ الآن في انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا والدنمارك واسوج والبلجيك وهولندا واليونان وفي الولايات المتحدة والمكسيك والارجنتين وفنزويلا وسالفادور وسانتو دومنكو واورغواي وسائر جمهوريات اميركا الجنوبية وفي اليابان وغيرها حتى السرب والجبل الاسود ورومانيا وهو اسميٌّ في تركيا لا ينقصه الاَّ التنفيذ

فالدول المتمدنة تجبر شعوبها على تعليم ابنائهم وتعين المدة التي يجب ان يلازموا بها المدارس وهي تختلف في ذلك باختلاف الامم واطولها في انكلترا فان الاب فيها مكلف ان يدخل ابنهُ المدرسة من اوائل طفوليته الى السنة السادسة عشرة من عمره . ومدة التدريس عند الفرنساويين سبع سنين اي من السنة السادسة من عمر الولد الى الثالثة عشرة وعند النمساويين من السادسة الى الرابعة عشرة وكذلك عند اليابانيين وقس عليها سائر الامم المرتقية . وقد سهلت حكوماتهم على الاهالي تعليم ابنائهم بجعل المدارس عامة في البلاد والقرى يزيد عددها بزيادة عدد السكان . ومن قوانين فرنسا من هذا القبيل ان كل قرية يبلغ عدد سكانها خمسمئة نفس يجب ان يكون فيها مدرسة ابتدائية .

فاذا كانت دول العالم كبراها وصغراها جعلت التعليم فيها اجبارياً والناس هناك ينشئون المدارس من عند انفسهم لان الايام علمتهم شدة افتقار الناشئة الى العلم فكيف ونحن كما تقدم ؟ فكما تراقب الحكومة الصحة العمومية وتجبر الوالدين على تلقيح اولادهم بلقاح الجدري تخفيفاً لويلات هذا الوباء عنهم وعن سائر اهل القطر فهي مطالبة باجبارهم على تعليم ابنائهم لتخفيف ويلات الجهل وهو اشدّ نكاية واسوأ مصيراً من الاوبئة الجارفة

وهي تنشيء المحاكم والسجون وتقيم الارصاد على الافاقين واهل البطالة وتنفق الاموال في حفظ الامن العام فاذا اجبرت الناس على تعليم ابنائهم خففت كثيراً من هذه المصائب عنها وعن الامة لان التعليم الصحيح يقلل اسباب الفساد . وكما يذعن الناس للحكومة بما تأمرهم به من وقاية ابدانهم وصيانة حقوقهم فهم يذعنون لها في تربية ابنائهم

٣ — التعليم المجاني

ولكن اذا سنت الحكومة قانوناً يقضي بالتعليم الالزامي واذعن الناس لاوامرها فهل يستطيع كل منهم الانفاق على تعليم اولاده ؟ كلا . لان معظم الشعب وهم الفلاحون لا يقدرون على نفقات التعليم فضلاً عن حاجتهم الى ابنائهم للاستعانة بهم في الفلاحة فان احدهم لا يصدق ان يبلغ ابنهُ السابعة او الثامنة من عمره حتى يستخدمه في بعض حاجيات بيته او حقله . فاذا اضطر الى تعليمه في المدارس كانت خسارته مضاعفة — وهو اعتراض معقول ولكن دفعه ميسور بالقياس على سائر امم الارض وفي كل امة الصانع والمزارع والتاجر والغني والفقير

اما من حيث حاجة الوالد الى معونة ولده في قضاء حاجيات بيته او حقله فتضع الحكومة لمثل هؤلاء شروطاً لا يلحقهم معها ضرر حتى يرى الفلاح مع الزمن ان استغناءه عن خدمة ابنه في طفوليته يعوض عليه اضعافها اذا تعلم

اما نفقات التعليم فيرجع امرها الى الحكومة وهي مطالبة بها للاسباب التي قدمناها . والحكومة التي تسن قانون التعليم الالزامي يجب عليها ان تنشئ المدارس المجانية فتنفق في التعليم كما تنفق في سائر الاسباب العائدة الى صيانة الوطن واعلاء شأنه كتجنيد الجند وانشاء المعاقل وحفظ حياة الافراد وحقوقهم بانشاء المجالس الصحية والقضائية والتنفيذية وهي تنفق في ذلك الاموال الطائلة . ونشر العلم يخفف عنها كثيراً من اعباء هذه المهام — هكذا فعلت الامم المتمدنة ولا سيما التي سنت قانون التعليم الالزامي فان كلاً منها تنفق قدراً معيناً من اموالها على تعليم الفقراء كما ترى في الجدول الآتي :

نفقات الامم المتمدنة على التعليم المجاني

اسم المملكة	نوع التعليم فيها	عدد سكانها	دخلها بالجنيه	نفقات المعارف
انكلترا	الزامي	٤١,٩٧٦,٠٠٠	١٤٣,٧٤٣,٤٢٣	١٦,٩٢٨,٩٢٢
فرنسا	»	٣٩,٢٠٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠,٠٠٠	١٠,٤٠٠,٠٠٠
المانيا	»	٦٠,٥٠٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠,٠٠٠	٢١,٠٠٠,٠٠٠
النمسا	»	٢٦,١٥٠,٠٠٠	٧٨,٠٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠
روسيا	اختياري	١٢٥,٠٠٠,٠٠٠	٣٢١,٠٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠
اسبانيا	»	١٨,٦٠٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
الولايات المتحدة	الزامي	٧٦,٣٠٣,٠٠٠	١٦٣,٠٠٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠,٠٠٠
دنمارك	»	٢,٦٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠
اسوج	»	٥,٢٩٤,٠٠٠	٧,٣٠٠,٠٠٠	١,١٠٠,٠٠٠
سويسرا	»	٣,٤٦٣,٨٠٠	٥,٢٠٠,٠٠٠	١,١٠٠,٠٠٠
بلجيكا	»	٧,٢٠٠,٠٠٠	٢٣,٠٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠
هولاندا	»	٥,٥٠٠,٠٠٠	١٤,٢٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
اليونان	»	٢,٥٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	١٤٠,٠٠٠
ارجنتين	»	٥,٦٠٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٢,٦٠٠,٠٠٠
بوليفيا	»	٢,٣٦٧,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٥٥٠,٠٠٠
اليابان	»	٤٧,٩٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٥,٥٠٠,٠٠٠
المكسيك	»	١٣,٦٠٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠
مصر	اختياري	١٢,٠٠٠,٠٠٠	١٥,٠٠٠,٠٠٠	٣٧٤,٠٠٠

واكثر هذه الاموال تنفق في التعليم الابتدائي لان المقصود بتعميم العلم ان يكون كل فرد من افراد الامة يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والجغرافية والتاريخ ليستنير عقله في اعماله وتسهل عليه المطالعة . واما ما وراء ذلك فعلى اختيار الآباء حسب الاحوال . والدول تختلف انفاقاً على المعارف باختلاف درجات رقيها ولا يجوز الاكتفاء من ذلك بما نراه في هذا الجدول فاننا انما ذكرنا فيه ما تنفقه الحكومات على المعارف وبعض الامم اكثر تعليمها على نفقة شعبها . ومع ذلك ترى على الغالب ان اكثر الحكومات انفاقاً على

المعارف اقربها من اسباب المدينة ولا سيما الجمهوريات التي لا مطمع لها بالحروب فتصرف اكثر اموالها في التعليم - فجمهورية بوليفيا مثلاً تنفق اكثر من نصف دخلها في هذا السبيل والولايات المتحدة الاميركية تنفق على المعارف ٣٧ في المئة من دخلها تليها سويسرا ونفقات التعليم فيها ٢٢ في المئة ثم تأتي المانيا ونفقاتها ١٧ في المئة ثم انكلترا ١١ في المئة ثم اليابان ١٠ في المئة · وهكذا بالتدريج الى روسيا فانها تنفق على المعارف ١٥ في الالف من دخلها فقط · اما مصر فميزانيتها لهذا العام نحو ١٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه تنفق منها على نظارة المعارف ٣٧٤,٠٠٠ جنيه ثم زادت عليها ١٠٠,٠٠٠ جنيه بعد وزارة سعد باشا زغلول ونهضة الامة في طلب التعليم فاصبحت ميزانيتها ٤٧٤,٠٠٠ جنيه وهي بالنسبة الى مجموع الميزانية تناهز ثلاثة في المئة اي نحو ضعفي نفقات روسيا ولكنها اقل كثيرًا من نفقات سائر الدول · على انها اليوم اضعاف ما كانت عليه منذ بضعة اعوام ولكنها لا تزال في حاجة الى الزيادة حتى تبلغ متوسط نفقات الدول المتمدنة ونحن نفضلها من جهة اخرى بما يبذله اغنياؤهم في سبيل المعارف من الاموال وهو نادر في اغنيائنا

على اننا اذا نظرنا في مصر نظرًا تاريخيًا من حيث التعليم الالزامي والمجاني رأيناها سائرة القهقرى فيه فقد كانت المدارس في زمن محمد علي تشبه ان تكون اجبارية لانه كان يحمل الاهالي على تلقي العلوم العصرية جبرًا · وكانت ايضًا مجانية ولم يقتصر محمد علي على التعليم مجانًا بل كان يطعم التلامذة ويكسيهم ويقوم بسائر لوازم حياتهم · وقد بطل الاجبار في اواخر حكمه واما المجانية فظلت متبعة على الكيفية التي ذكرناها الى اواخر ايام اسماعيل فكان الطلبة الفقراء يقيمون في المدرسة يتعلمون ويأكلون ويشربون وينامون ويكتسون على نفقة الحكومة · وفي سنة ١٨٧٤ ارادت الحكومة ان تجري على سنة سائر الامم تفرض على التعليم جعلاً تأخذه من الاغنياء ولكنها تعارفت حتى منعت الفقراء من التعليم لانها ابطلت المجانية · وبلغ عدد الدافعين من تلامذة مدارسها للعام الماضي ٩٢ في المئة وكانوا سنة ١٨٨١ اقل من ٣٠ في المئة وكانت واردات المدارس الاميرية تلك السنة ٢,٣٢٣ جنيهًا فاصبحت للسنة الماضية ١٠٧,٠٠٠ جنيه

٤ — العظماء من اكواخ الفقراء

فالحكومة بابطال المجانية من مدارسها قد اساءت الى الامة لانها حالت بين الفقراء واسباب الارتقاء فمنعت عن الوطن جندًا من ارباب العقول ينبغ من اكواخ الفلاحين وفيه نشاط الخلاء وصحة الابدان لا يحول بينهم وبين العلم غير الفقر فاذا صار التعليم مجانيًا

ظهر جماعة من رجال العلم والعمل يخدمون الامة بعلمهم ونشاطهم . ولو تدبرت تاريخ هذه النهضة لرايت اكثر الذين ظهروا في اولها وايدوها بمؤلفاتهم او اداراتهم او حكمتهم انما نبغوا من ابناء الفقراء الذين علمتهم الحكومة على نفقتها . ولو لم يكن التعليم مجانياً لظلوا في زوايا النسيان – وكم في اهل الغيط من صحيح الجسم والعقل يقضي نهاره عارياً يركض في اثر جاموسة يرعاها او غنمة يحتلبها فتذهب ايامهُ ضياعاً ولو تعلم لصار رجلاً عظيماً . وكم من رجل عظيم نبغ بين الاكواخ والشواهد على ذلك كثيرة حتى بين اظهرنا في مصر والشام

فالحكومة مسئولة عن ضياع هذه المنافع باقفال باب المجانية في مدارسها ولا تنكر انها شعرت بتلك التبعة وأعادت النظر فيها فاجازت المجانية في بعض الاحوال . غير ان ذلك لا يكفي فالامة تحتاج الى التحريض على التعليم ولا يكفيها المجانية وانما هي في حاجة الى التعليم الالزامي اقتداء بسائر الدول المتمدنة على اختلاف طبقاتها ودرجات رقيها من سلطانة البحار التي لا تغيب الشمس عن املاكها الى الجبل الاسود الذي لا تزيد مساحته على ٣٦٣٠ ميلاً مربعة وعدد سكانه اقل من ٢٤٠٠٠٠ نفس وميزانيته اقل من ١٢٥٠٠٠ جنيه وليس فيه من الاميين الا القليلون

فاذا كانت هذه الدولة وغيرها من الدول الصغرى كالسرب ورومانيا الى اصغر جمهوريات اميركا تجبر رعاياها على تعليم ابنائهم وتساعدهم على تعليم الفقراء منهم فضلاً عما يبذله اغنياؤهم من المال في انشاء المدارس الاهلية اليس من العار علينا والامم تحسدنا على مياه النيل وتربة واديهِ وما يجري من سيول الثروة في خزائنه ونحن نقلد الامم الراقية بظواهر المدنية من الرياش والحدائق والقصور والثياب والحلي والمركبات البخارية والكهربائية وسائر اسباب البذخ ونطالب حكومتنا بما عند اولئك من الرقي السياسي ونلح عليها بطلب الاستقلال والدستور ونقلد الافرنج بانشاء الاحزاب والشركات – ان تكون هذه حالتنا من الانحطاط العلمي . ما بالنا لا نقلدهم باسباب ذلك الرقي وهو نشر التعليم بين طبقات الامة بالقوة اذا كانت هي لا تقدم عليه من عند نفسها

رأيت الناس مذ خُلقوا وكانوا ... يحبون الغنيَّ من الرجال
وان كان الغنيُّ أقلَّ خيرًا ... بخيلاً بالقليل من النوال
فما أدري علامَ وفيمَ هذا ... وما ذا يرتجون من البخال
أللدنيا فليسَ هناك دنيا ... ولا يُرجى لحادثة الليالي

الاعتراف بالخطإ صواب

والاقرار بالعجز قوة

من ادواء الاجتماع عندنا اننا نستثقل الاعتراف بالخطإ اذا وقع منا ويبالغ بعضنا بالعناد في هذا السبيل حتى يضر بنفسه وقد يضر باهله ووطنه فراراً من قوله « اخطأت » حتى في الخطإ الواضح الذي لا يقبل التأويل • على ان التشبث بالرأي على هذه الصورة قد يكون سببه سوء طريقة الانتقاد او التخطئة كأن تكون عبارة المنتقد شديدة اللهجة على اسلوب التهكم او الاستخفاف وقد يكون في الانتقاد من القوارص والمغامز ما يثير الغضب — فلا يصبر على الاغضاء وتجريد التخطئة من النقد والنظر في الخطإ وحده الا واسع الصدر الذي طبع على امتلاك هواه والنظر في الامور بعين الفيلسوف • وهؤلاء قليلون ولذلك رأينا ان نقدم البحث بكلام في التخطئة ثم نعود الى الاعتراف بالخطإ

١ — التخطئة او الانتقاد

يدخل في هذا الباب انتقاد المذاهب والعادات والاعمال والآراء • على ان بعضهم يتطاول الى انتقاد الشرائع التي توالت عليها الادهار وصقلتها عقول الاجيال وقد تقلبت على اطوار من التنقيح والتعديل حتى بلغت ما هي عليه — ولا نقول انها بلغت الكمال ولكن انتقادها ليس سهلاً ولا يجوز الحكم على خطأها باول ما يتبادر الى الذهن من النقص في بعض احوالها • لان ما يخطر لاحدنا من مظان النقص فيها قد خطر لفهارمة القضاء والسياسة والشريعة قبلنا ولو لم يجدوا في تلافي ذلك النقص نقصاً اكبر منه لتلافوه — لا نريد ان يعتقد الناس الكمال في القوانين والشرائع من حيث المعاملات والاحكام ولكننا نريد ان لا يستسهلوا انتقادها ولا بأس من النظر في وجه الحكمة من اعمالها على سبيل الاستفهام والبحث • لان الاحكام التي وضعها الفلاسفة او الانبياء وشرحها عظماء الرجال لا يستخف بها ويتهجم على نقدها بلا روية الا المفتونون بينات أفكارهم الذين لم يقرأوا من صفحات الكون الا ما كشفه لهم اساتذتهم او سمعوه من آبائهم والتلميذ يعتقد الكمال بمعلمه وابيه فعنده الاول عالم بكل شيء والثاني قادر على كل شيء • على انهم اذا توسعوا في معارفهم وخرجوا من عالم النحو والحساب والمنطق والفلك

والطبيعة الى عالم الاختبار والاحتكاك واضطروا الى شحذ قرائحهم لعمل عقلي او اداري او قضائي علموا قدر الشارعين وتهيبوا من انتقاد اقوالهم الابعد التردد واعمال الفكرة

واغرب ما رأيناه من احوال الانتقاد ان بعضهم لا يعجبه نظام الكون فينتقده ويخطئ صانعه (استغفر الله) ويعترض على احكامه ونظامه وقد يتوهم انه لو عهد اليه وضع نظام آخر لوضعه على اسلوب احكم واضبط ... والغالب في هؤلاء ان يتصدوا للانتقاد على اثر مصيبة اصابتهم لا يرون فيها حكمة او عدلاً . ولو رجعوا الى صوابهم لعلموا ان الانسان مهما بلغ من علمه وفلسفته فهو عاجز عن ادراك كنه الخليقة وكلما زاد علماً زاد شعوراً بذلك العجز . وما شان المتطال الى ادراكها الا شان من يمد يده ليقبض على الشمس ثم ينظر اليها فيبهره نورها فيخفض بصره ويرجع لا يلوي على شيء

واذا كان الانسان يستسهل انتقاد الشرائع والنواميس فلا عجب اذا انتقد سائر الاعمال لانه مفطور على النظر والبحث ومدفوع بضعفه على ادعاء الكمال في نفسه والافتتان بآرائه . فاذا امتدح عملاً يحسب انه انعم على صاحبه وقلما يعجب بعمل ويرى نفسه عاجزاً عن الاتيان بمثله لو توفرت له الاسباب التي توفرت لصانعه فيهون عليه انتقاده فيلقي الكلام على عواهنه ويشدد النكير على صاحبه . وهذا ما اردنا البحث فيه والتنبيه اليه في ما يلي :

(١) انتقاد الاديان والعادات : أن العادات العامة والمذاهب الدينية او العلمية او غيرها مما تجمع عليه الامم وتتفق فيه الجماعات ليس مما يسهل انتقاده ولا يجوز الاستخفاف به لان الامة او الطائفة قلما تجتمع على خطاء . ولا يجتمع قوم على امر الا ولهم فيه اسباب معقولة لا يسهل دفعها او نقضها . فاهل المذهب الواحد وهم الوف او ملايين لا يعقل ان يكون سوادهم جاهلاً ولا هو يمنع انتقادهم ولكن لا بد من احترام ذلك الاجماع . لانهم لم يجمعوا على صحة امر اتصل اليهم من اسلافهم بعد توالي الاجيال الا ولهم في اتخاذه اسباب قوية لم تخطر ببال المنتقد . فاذا نظرت الى الاديان بنوع خاص رأيت احط اديان البشر في اعيننا حتى الوثنية او المجوسية اذا جادلت اصحابها وسمعت حججهم رجعت وانت متهيب من ادلتهم — ولا اقول مقتنع لان الجدل لا يقنع احداً بدين غير الدين الذي ولد فيه ورضعه مع اللبن . ولكنك ترى على الاقل ان القوم لم يدينوا بذلك الدين عبثاً او اعتباطاً

واعتبر ذلك في العادات الشائعة كالتحجب في الشرق والتهتك في الغرب فان لكل قوم اسباباً تسوغ لهم التمسك بعاداتهم من مأكل ومشرب وملبس وان خالفت عادات غيرهم وهذا لا يمنع نقدها ولكن يجب احترام الاجماع عليها وانتقادها برشاقة ولطف فضلاً عما في النقد من جرح الاحساس لان الانسان ضنين بكرامة وطنه وما يلحق به من العادات مثل ضنه بكرامة دينه ولذلك نرى الامم الراقية تستهجن الجدل في الدين او العادات او الاخلاق

(٢) انتقاد الآراء : وانتقاد الآراء الخصوصية اكثر شيوعاً واقرب الى الاستهتار وان كانت لا تثمر الا بالملاينة والمجاسنة مع الانصاف والاعتدال • لان صاحب الرأي قد يكون معتمداً في ما ذهب اليه على حجج خفيت على المنتقد فلا ينبغي له ان يفاجئه بالتخطئة قبل سماع ادلته • فاذا سمعها وظل على اعتقاده خطأه جادله بالتي هي احسن فاذا فعل ذلك وانصفه في ما هو محق به هان على المخطيء الاعتراف بما تبين له من الخطاء والا فانه يزداد تمسكاً بقوله والاصرار على خطائه للمحافظة على كرامته

ومن هـذا القبيل انتقاد الكتابات او المؤلفات وهـذه بعضها يدخل في باب الآراء الخصوصية فحكمها كما تقدم والبعض الآخر من باب الصناعة او العلم الخاص كالطب والمحاماة لان المؤلف او الكاتب انما هو صاحب مهنة كالطبيب والمحامي والمهندس فتدخل في باب الانتقاد على الصناعات

(٣) الصناعات : ونريد بها الصناعات العقلية او العلمية ومن اكثر هذه المهن تعرضاً لانتقاد الناس الطب لاختلاط اصحابه بالعامة واهتمام هؤلاء باجراآت الاطباء لانها تمس صحتهم وعليها تتوقف حياتهم او موتهم • فالطبيب قلما يسلم من لوم او انتقاد في حادثة لان الناس يتوقعون منهُ الاصابة في كل علاج والطب لا يساعده على ذلك • فضلاً عن تشابه الامراض في اوائلها فاذا وصف دواء ولم تظهر فائدته حالاً شكّوا في علمه واستبدلوه بغيره او قالوا عنه ما يقال وما لا يقال وربما قالوا ذلك على مسمع منهُ • والمصيبة الكبرى اذا توفي عليله فيعتقدون انهُ توفي من غلط الطبيب وانهُ لو وصف له كذا وكذا اشفي واغرب من ذلك انهُ لو شفي على يده لقالوا ان الله شفاه اما اذا مات فالطبيب اماته

وقس على ذلك احكامهم على سائر الصناعات العقلية ونخص منها التأليف وهو اكثرها تعرضاً للنقد لانهُ لا يلقن في مدرسة ولا تؤخذ عليه شهادة (لسانسية) فيتوهم الاكثرون انهم لو ارادوا ان يكونوا كتاباً او مؤلفين لاستطاعوا ذلك على اهون سبيل فاذا

وقع نظرهم على كتاب أو مقالة فاول شيء يخطر لهم ان ينتقدوها · فيقرأونها قراءة متعنت مغرور بنفسه ويسبق الى اذهانهم سهولة الاجادة في موضوعها · واذا كان القارىء قد تعود الكتابة لنفسه ولم يعرض اسمه لرأي الجمهور ولا تمحص ذوقه بنار الانتقاد تسرَّع الى التخطئة فيقرأ المقالة او الكتاب وهو يستغرب ما فيه من الخطا ويتوهم انهُ لو كتبه هو لنجا من هذه الغلطة وتلك السقطة ولتوسع بهذه الفقرة واختصر تلك · وقد يثني على المؤلف تواضعاً بين يدى الناس ويبقى على اعتقاده الفضل في نفسه عليه وقد يكون في حكم الجمهور لا يعدُّ من تلامذته وسبب هذا الغرور قلة الاختبار · فلو الف ونشر وسمع انتقاد الناس (لا تقريظهم فقط) لعرف قدر نفسه

فانتقاد المولفات ليس بالامر السهل لان المولف لم ينشر كتابه الا وقد محصه وراجعه ودقق في ضبطه فاذا قرأت كتاباً ورايت فيه خطأ فلا تستعجل في انتقاده اذ قد يكون المولف مستنداً على اقوال لم تصل انت اليها او ربما كان مطلعاً على كتب لم تقراها · واعلم ان انتقاد الكتب اسهل كثيرًا من تاليفها · فاذا ترجح لك خطاءه بعد المراجعة فاجعل انتقادك على سبيل البحث وبعد ان تنصفهُ ببيان حسنات كتابه فاذا طالبتهُ بالخطاءِ هان عليك اقناعه

٢ — الاعتراف بالخطأ

ان الاعتراف بالخطأ من أكبر ادلة التعقل وصدق اللهجة وهو يسهل على الصادقين كبار النفوس لان العاقل يعلم ضعف الطبع البشري وان الانسان ليس اسبق من الخطاءِ الى لسانه وبنانه وان العصمة لله وحده — ولا يعتقد العصمة باقواله واعماله الا الجاهل المكابر يدلك على ذلك اجتماع الناس على ذم الاستبداد بالراي وجنوحهم الى الشورى حتى الانبياء والملوك · ومما قالوه في مدح المشورة :

اقرن براْيك راي غيرك واستشر فالحق لا يخفى على اثنين
المرء مرآة تريه وجهه ويرى قفاهُ بجمع مرآتين

فاذا سمعت نقداً على عمل عملته او راي رايته فلا يشق عليك ذلك ولا تتسرع الى الغضب او تعمد الى المكابرة قبل تدبر النقد واعمال الفكرة فيه لان المتصفح للكتاب ابصر لمواضع الزلل من منشئه · فاذا تحققت خطاءك اعترف بهِ واشكر للذي اصلحه ونبهك اليه اذ يندر ان تسمع الانتقاد على عملك ولا سيما في الشرق لشيوع المجاملة فلا يبلغ الى الانسان غير مدح اعماله وقلما يعلم بمواضع النقص فيها · فمن يطلعك على خطاءك فقد احسن اليك

فلا تقابل الاحسان بالاساءة؛ وما في ذلك حطة من قدرك واذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً فالمقرّ بغلطه اعظم

وقد يشق على بعضهم الاعتراف بالخطأ خوفاً من حكم الجمهور عليهم بالضعف لان العامة لا تدرك فضيلة ذلك الاعتراف . وقد يضر ذلك بمصالحهم اذا كانت مرتبطة برضى العامة . ولا يخلو خوفهم هذا من اصابة ولكنه ايضاً من ثمار الضعف . فاذا بقينا على هذا الخوف بقينا في هذا الضلال . والمرجو من ادباء الامة وخاصتها ان يرقوا اخلاق العامة ويرفعوها الى افقهم لا ان ينزلوا معهم الى مهاوي ضعفهم . ولذلك رايت كتاب الشعوب الراقية لا ينتقدون من الاعمال او المؤلفات الا ما يقع من نفوسهم موقع الاحترام فاذا الف احدهم كتاباً ولم ينتقده الكتاب عدَّ ذلك دليلاً على احتقارهم اياه وعاتبهم عليه

ولا يانف من الاعتراف بالخطا الا الضعيف قليل البضاعة ونريد على الخصوص بضاعة العلم لدى المؤلفين فاذا كان المؤلف قد افرغ اقصى جهده واستكد قواه وجمع كل علمه واختباره في كتاب ثم سمع تنقيصه عظم عليه الاعتراف بنقصه فيجادل ويكابر وتكون مكابرته من قبيل الدفاع عن حياته الادبية لان سقوط هذا الكتاب يسقط اسمه وعلمه . بخلاف واسع العلم كثير المواد فيكتب الكتاب او المقالة ولا يستكد قواه ولا يستفرغ علمه فينشرها وفي اعتقاده انه قادر على احسن منها فاذا سمع تخطئته لا يستغربها ولا يكبر عليه الاعتراف بصدقها لان ذلك الاعتراف لا يميته وعنده من المواد الاخرى ما يحيا به اسمه . كالتاجر كثير البضاعة اذا اصاب بعضها تلف لا يهمه واما قليلها فذهاب ذلك البعض يؤذيه ويثير غضبه

ومن يسمع الانتقاد على كتاب كتبه يسبق الى ذهنه غالباً سوء الظن في المنتقد و يعتقد انه يتعمد الغض من مقامه وقد يكون ظنه مصيباً ولكنه يجب ان يغضي عن نية المنتقد ويحسن الظن به ما استطاع الى الاحسان سبيلاً حتى يتمكن من سماع الانتقاد وتدبره والاذهبت الفائدة المقصودة من الانتقاد . ومن اقوال الامام علي « لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءاً وانت تجد لها من الخير محتملاً »

ومن غريب ما وقع لبعضهم وقد الف كتاباً ونشره وكان عارفاً عجزه لا يستنكف من الرجوع الى الصواب ان بعض أصدقائه جاءه مهرولاً وقال له « الم تقرأ جريدة . . . التي صدرت أمس ؟ »

قال « لا . . ولماذا ؟ »

قال « لان فيها انتقادًا على كتابك »

قال « ساطلع عليها »

قال « ولكن يجب ان ترد على كاتبها ردًا عنيفاً »

فضحك وقال « ولماذا ؟ . . هل رايته مخطئاً في انتقاده »

قال « لا اعلم ولكن الكاتب انتقدك حسدًا منك لانه مقصر عن الاتيان بمثل هذا الكتاب . . »

فقال « تمهل يا صاحبي ريثما اقرأ الانتقاد فاذا رايتُ كاتبه مصيباً اعترفت بفضله واصلحت الخطأ واذا كان مخطئاً اوضحت لهُ الصواب »

قال « والطعن هل تسكت عنهُ ؟ ان فلاناً كال لهُ الكيل كيلين »

قال « اني في شاغل عن مثل ذلك . . . واحسن رد على من يتغمد الحط من قدرك ان تشتغل عنه باصلاح شأنك فاذا اصطلحت فذلك هو الرد المفحم »

والكامل من عدت هفواته وكلما قل علم المرء استعظم الاعتراف بالخطاء او الاقرار بالعجز . ومن هؤلاء المقلين من لا يُسأل عن علم أو أدب الا زعم انهُ عارف به واجاب عليه على نحو ماروِوه عن الخنفشار لان كلمة « لا ادري » ثقيلة على السنتهم ومعناها ثقيل على طباعهم وكلما تقدم الانسان في الحياة واتسعت معارفه وعظم اختباره ازداد علماً بمقدار جهله واتضح له ان ما يعلمهُ او يمكن ان يبلغ اليه علمه لا يقاس بما يبقى غامضاً عنهُ - او هو كنقطة الماء من الاوقيانوس العظيم — قال علي « من ترك قول لا ادري اصيبت مقاتلهُ » وقال عمر « اذا سئل احدكم عن شيء لا يعلمه فليقل لا ادري رحم الله امرأً هدى اليَّ عيوبي »

والمواضيع الكتابية التي يقع عليها الانتقاد اما حقائق لا تقبل وجهين او آراء تحتمل الاخذ والرد . فالحقائق الراهنة التي لا تحتمل وجهين تدخل فيها الحوادث التاريخية والاحوال الجارية فضلاً عن المجاري الطبيعية والقواعد المنطقية مما يجري على نواميس ثابتة . وا كثر ما يقع ذلك لكتاب الصحف ومؤلفي الكتب فاذا اتضح لاحدهم خطاء فعليه ان يقول بصريح العبارة « اني اخطأت » بلا مواربة أو تنصل أو تأويل ولا يتوسع في الاعتذار او ينتحل الاسباب الواهية او يلقي التبعة على جامع الحروف او مصحح المسودات ولا أن يحتال لتأييد قوله بابدال العبارة او اقتضابها فاذا فعل ذلك فقد استجهل قراءه

والمكابرة أو المواربة لا تجعل الخطأ صواباً ولا يخفى الصحيح على الناس ولا سيما في ما هو من قبيل الحقائق . ونحن لا نطالب المخطيء الا بما يوحيه اليه ضميره في خلوته من

الحكم في مواضع الخلاف ويكفي أن يصرح بحكم ضميره ولا يفعل كما يفعل بعضهم فيتجردون للجدال في مسالة سبق قلمهم الى الخطأ فيها فيسودون الصحف و يقتلون الاوقات بالمماحكة والموار بة وهم يعتقدون في باطن سرهم ان الحق في جانب خصمهم ولكنهم يستثقلون الاعتراف بالخطاء فيضيعون أوقاتهم وأوقات القراء عبثاً كأنهم يستحيون من الرجوع الى الصواب وأولى بهم ان يستحوا من الحق اذا عرفوه أن لا يرجعوا اليه و كيف يرجى لنا كمال اذا كنا نستنكف من اصلاح خطأنا وسواء أصلحناه أولم نصلحه وسواء اعترفنا به أو لم نعترف فان الحق قد حكم علينا بالخطاء فتوقفنا عن الاقرار به واصلاحه مكابرة هي ذنب آخر اذنبناه لدى العلم والفضيلة

وقد يكون الباعث على المكابرة أو المغالطة الدفاع عن كرامة توهم صاحبها انها مست بما في عبارة المنتقد من الاستخفاف او التهكم فيعظم عليه الاقرار ويأخذه العناد. وهو عذر تقبله للضعفاء ولا تقبله لكبار الكتاب الذين نصبوا انفسهم لهداية الامة وترقية نفوسها فاذا اخطأ لك المنتقد باسلوب الخطاب فهل اخطأ الحق حتى انكرته والحق لا يغلب فمن صارع الحق صرعه. واذا كان الانتقاد جارحاً خذ ما فيه من الصواب والق باقيه كما تلقى الاتربة بعد استخراج الذهب منها

اما تخطئة الآراء التي تحتمل وجهين وتقبل الاخذ والرد فلا باس من المناظرة فيها لان في البحث فائدة مزدوجة لما ينجم عن تبادل الآراء من تمحيص الحقائق وانما يشترط حصر الكلام في الموضوع الذي عليه مدار البحث خوفاً من الخروج الى المطاعنات الشخصية وهي سلاح الضعيف. ومن داعيات الاسف اننا قلما نرى بين كتابنا من يحفظ هذه القاعدة فهم يخرجون غالباً من المباحثات العلمية او التاريخية او الاجتماعية او السياسية الى المطاعنات الشخصية وماينطوي تحتها مما تخجل او باب الاقلام عنه وهم قادة الافكار وقدوة اهل الادب. ولا تنكر ان صحافتنا الآن ارق كثيراً وابعد عن فحش القول مما بلغت اليه منذ بضع عشرة سنة (راجع الهلال الأول من السنة الرابعة)

يلزم لادارة الهلال الاعداد الاتية من سني الهلال

من السنة الرابعة ١ و٨ و٩ و١٠ و١٢ و١٣ وو١٧ و١٨ و ٢١ ومن السنة السابعة ٧ و١٠ و١١ و١٥ ومن السنة الثامنة ١و٨ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٩ و٢٠ ومن السنة التاسعة ١ و٢ و٣ و٤ و١٨ ومن السنة ١٤ العدد ٥ وللسنة ١٥ العدد ٦ والسنة ١٦ العدد ٢

الآداب الاجتماعية

في بعض ممالك الشرق الأقصى

١ — سكان التيبت

في جبال حملايا وعلى جنبيها من الشمال والجنوب قبائل من سلالة الجنس المغولي وتقسم عادة الى قسمين سكان برما التيبتية وهم المنتشرون بين كشمير وبرما وسكان تيبت وهم الى الشمال

واكثر سكان كشمير من المغوليين وهم قصار القامات اشداء البنية صفر الالوان طوال الاذان منبسطو الوجوه ثخان الانوف منحرفو العيون كعامة المغوليين واكثرهم على المذهب البوذي ومهنتهم الزراعة والشائع فيهم تعدد الازواج لزوجة واحدة والاغلب ان يكون هؤلاء اخوة اما الاولاد فيعتبرون كلاً منهم اباً وقد اعتنق فريق منهم الاسلامية واتبعوا سنتها في الزواج

والى الجنوب الشرقي من كشمير ولاية نيبال وفيها كثير من سكان تيبت وحكامها اشداء مجربون حاربوا الانكليز في اوائل القرن التاسع عشر واصلوهم ناراً حامية على ان الانكليز اخضعوهم فكانوا من خير انصارهم في الفتنة العظمى وعامة القوم يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي وديانتهم البوذية على بدع فيها

والى شرقي نيبال مقاطعة رسكيم وهي خاضعة للانكليز والرجال فيها اشبه شيء بالنساء شكلاً فلا ينبت في وجوههم شعر وهم يفرقون شعور رؤوسهم ويطيلونها ويرتدون حللاً واسعة الاردان وتلبس النساء القمصة من الحرير فوقها برود من الصوف ويبتاعون نساءهم بالدرهم او بعرق الجبين والنساء يقمن باكثر الاعمال والرجال مشهورون بالرماية وسهامهم سامة وهم في غاية القذارة. على انهم شديدو الاعتناء بشعورهم والنساء تقص شعور الرجال وهم امناء تندر السرقات بينهم سليمو النية لا يحبون الجندية ودينهم البوذية على انهم ليسو شديدي التدين وهم يأكلون لحوم الحيوانات دون تمييز وكذلك اصناف البقول وانواع الجذور وشرابهم الشاي وهم ولعون به

اما آسام فولاية كبيرة واقعة شمالي بورما وهي من املاك الانكليز موصوفة بتنوع قبائلها ونصف اهلها على المذهب الهندي وربعهم مسلمون ومن عادات بعض قبائلهم قتل

واحد من التوامين اذ يتطيرون من ولادتهما واذا ارادوا التكهن في امر عمدوا الى بيضة او اكثر فكسروها على لوح ثم نظروا في المخ كيف يسيل والقشور كيف تنتظم واستدلوا منها على الخير او الشر · ويقيمون كوم الحجارة الكبيرة على قبور موتاهم وتذكارًا للحوادث العظيمة · وطريقتهم في قلع الحجارة غريبة فانهم يوقدون النيران في شقوق الصخور حتى تحمى ثم يصبون فيها ماء باردًا فتنفصل الحجارة الكبيرة عن الصخر ويزيحونها بالعتلات والحبال الى حيث يريدون نصبها واعراسهم بسيطة يولم العروسان فيها وليمة ويدعوان الضيوف اليها والبيت ملك المرأة فاذا طلقها زوجها بقي لها · والنساء يقمن باكثر الاعمال ويتباهين بلبس الحلي كالاقراط والعقود واساور الفضة الثقيلة والرجال شجعان يحسنون صيد السمك

ومن قبائلهم واحدة بيوتها مبنية دورين الطبقة السفلى منها للمواشي وتنام البنات مع والديهن اما الاولاد والشبان ففي غرفة خاصة بهم وبيوتهم قذرة وهم اهل صدق وامانة يحبون الضيافة والنساء مالكات البيوت وهن اللواتي يخطبن الرجال ويأتين بهم الى بيوتهن ومن تزوج احداهن التزم ان يتزوج والدتها بعد موت حميه

واعظم محصولاتهم القطن وطعامهم اللحوم ويأكلون السلاحف والسمك والضفادع والحيات ويمتنعون عن اكل اللبن لاعتقادهم انه مجلبة للداء وهم يكرهون العادات الاوربية كرهًا شديدًا ويكثرون في ولائمهم من شرب المسكرات والرقص وطريقتهم فيه ان يقف نحو عشرين رجلاً صفًا واحدًا الواحد امام الآخر ويمسك كل منهم بمنطقة الذي امامه من الشمال واليمين ثم يطفرون ويرفعون الرجل اليمنى مرة والرجل اليسرى اخرى تبعًا لحركة الموسيقى والنساء يفعلن ذلك بايديهن · وهم يؤمنون بالارواح والشياطين على انهم نقلوا كثيرًا من عادات اهل الهند ومعتقداتهم · وكانوا يقدمون الضحايا البشرية ويتباهون بتعليق الجماجم في بيوتهم ويستعملونها كالنقود في معاملتهم فحظر الانكليز ذلك عليهم · ومن قبائلهم (الكوكي) وهم سمر الالوان كاهل جنوبي اوروبا .

ذكر احد الكتبة انه شاهد فتى كوكيًا لا يتجاوز العاشرة من عمره حمل ما وزنه نحو ثلاثين رطلاً (مصريا) وقطع به خمسة عشر ميلاً في طريق وعر لم يعثر مرة واحدة ولم يسل منه العرق وظل يفعل ذلك عشرة ايام متوالية · وكلهم اشداء اقوياء البنية ويتناول زعماؤهم جزءًا من ارباحهم ويدعون العامة الى الاشتغال في اراضيهم اربعة ايام في العام · وهم ولعون باقتناء الجماجم · ولا يحق لرجل ان يتزوج من بنات عمه وهم

يشترون زوجاتهم بالدرهم او بالخدمة في بيوت آبائهن

وطريقة الزواج عندهم ان يقف العروسان على حجر كبير فيرش زعيم القبيلة عليهما ماء ثم يوصيهما بالامانة والحب ويتلو ذلك وليمة . والنساء لا يرثن شيئاً والقذارة عامة فيهم

٢ — سكان بورما

بورما بلاد واقعة الى شرقي الهند خاضعة لحكومتها وعدد سكانها سبعة ملايين او يزيدون . ومن امهات مدنها رانكونه وهي فرضة شهيرة فيها كثير من المطابع والمتاجر

والبورميون من سلالة الغزاة اهل الشمال رؤوسهم بيضية وجباههم عريضة وهم ذوو بسالة واقدام حاربهم الانكليز فدهشوا لبسالتهم وثباتهم في مواقف الجلاد . اخذوا دينهم عن الهنود وهم بوذيون وفي كل هيكل لهم ترى تمثالاً كبيراً لبوذه ويؤمنون بوجود روح احد آلهتهم في اجسام الحيوانات والجماد والنبات والوشم شائع بينهم ويشمون عامة الجسم او اكثره ولا يتخذون لقباً لاسمائهم فاسم الرجل مضافاً اليه لفظة مونغ ومعناها الاخ تكفي لتعيينه وينحنون ثلاثاً الى الارض في التحية . وهم من اشهر اهل الارض في الخداع والمباغتات ومن احيل الناس . وكان بينهم كثيرون من قطاع الطرق اقلقوا راحة الحكومة الانكليزية ولهم مواقع مع ضباطها وجنودها ليس هذا موضعها . ونساؤهن لا يحتجبن عن الرجال فيخالطنهم ولا تعقد زيجة الا بعد بلوغ العروسين الحلم . واقرب النساء الى الفقى تدبر امر زيجته . ويهدي العريس عروسه ثلاثة فساطين وثلاثة مناطق وثلاثة اثواب من الموصلينا ومن الجواهر والحلي بحسب ثروته . وحصة الارملة من تركة زوجها الربع والباقي يقسم بين الاولاد . واغنياؤهم يحرقون اجساد موتاهم اما الفقراء فيدفنونها او يطرحونها في الماء . وعند موت احد كهنتهم ينقسم الشعب فئتين تتباريان في احراز الجثة فواحدة تجري بها الى النار واخرى الى الماء وحيث تكون النصرة فهناك الجثة

وحروفهم تكتب على شكل دوائر واجزاء دوائر وكانوا يصنعون كتبهم من ورق النخل يشدونه بعضه الى بعض . وهم احط من الهنود في الصنائع والفنون ولعون بالملاهي والالعاب ميالون الى الكسل والتراخي فالنساء يقمن بالاعمال ومن رياضاتهم سباق الخيول والقوارب والالعاب الرياضية والمقامرة وما شا كلها

ومن قبائل بورما الكارين وهم من المغول يغلب فيهم قصر القامات لكنهم اقوياء اشداء وهم كغيرهم من القبائل المجاورة ينغمسون في السكر والخداع والاوساخ لكنهم يفضلون اولئك باجتهادهم ومحبتهم لاولادهم ونسائهم . والاخذ بالثار من قواعدهم الراسخة فيهم

فآخر ما يوصي به الاب بنيه وهو يجود بنفسه الانتقام من اعدائه

واغلبهم بوذيون وهم يحرقون موتاهم الا جزءاً من الراس يعلقونه على شجرة يدلون منها اسلحة الميت و يرقصون حول الشجرة و يغنون . فاذا قضوا اياماً في ذلك دفنوا ما بقي . و يغلب فيهم الزواج الباكر و يستحب بينهم زواج اولاد العم من الدرجة الثانية ولا بدّ من الوسيط والا فانهم لا يسمحون باجتماع الفتى والفتاة . وفي العرس تذهب العروس واقاربها الى بيت والد العريس فمتى دخلوا الدار يسكبون عليها مقداراً من الماء ثم يجلس الجميع حول الطعام و يشرب العروسان الواحد نخب الآخر و يقول كل منهما « كن امينا واحفظ عهدي » وتعدد الزوجات غير معروف بينهم لكنّ الطلاق شائع . وكانوا في الزمن القديم يكتبون وصيتهم قبل الموت بان يدعو المريض اهل قريته فاذا اجتمعوا حوله اعلن لهم رغبته في كيفية توزيع تركته وتوسل اليهم ان يفعلوا مشيئته متى قضي عليه

وهم يبيعون المجرمين منهم عبيداً ومن قوي على اهل قريته بات حاكمهم . واخذ الثار عندهم راس القانون والقذارة عامة فيهم وهم يحبون الحروب والقتال . وعندهم اغانٍ حماسية واناشيد تدل على شدة ميلهم للحرب . وطعامهم جميع حيوانات البرّ ونباته الا طائفة السنانير

٣ — سكان سيام

سكان سيام مغوليون يخالطهم اجيال من الاجناس الاخر لا سيما القوقاسيّ . عاصمة بلادهم بنكوك وهي واقعة على نهر ثيام . ولم تستقل هذه البلاد تماماً حتى اواخر القرن الثامن عشر بعد ان خضعت لاهل كمبوديا وبورما وفيها اليوم كثير من المهاجرين الصينيين الذين يأتونها افواجاً وهم يتزوجون من نساء البلاد فاذا عادوا الى اوطانهم خلفوا النساء والاولاد في سيام

وقد تولى سيام في القرن التاسع عشر ملوك كان همهم تقدم البلاد ونجاحها فحاولوا ادخال الالات والادوات من المخترعات الاوربية لكنهم لقوا من الامة معارضة شديدة لما رسخ في نفوسهم من حب المحافظة على القديم ولذا ترى قصر الملك مملوءاً باصناف الاختراعات الحديثة والآلات الكهربائية والميكانيكية والناس عنها لاهون بما تلقوه عن اسلافهم . وقد ابطل الملوك عادة السجود لهم وكان افراد الشعب لا يرون للملك وجها فاذا اذن لهم في الدخول عليه انطرحوا عند اقدامه وكلوه وابصارهم مطرقة احتراماً اما الآن فالناس يستطيعون رؤية الملك ورفع ظلاماتهم اليه وقد بعث ملكهم الحالي نفراً من شبانهم وابناء الاعيان فيهم لطلب العلم وتحصيله في مدارس فرنسا وانكلترا والمانيا

ومن عاداتهم استرهان رقبة المديون واستعباده حتى يوفي ما عليه من الدين ولا تزال هذه العادة مرعية بينهم • ولون السياميين يضرب الى الصفرة وشعورهم وعيونهم سوداء وأنافهم صغيرة • وهم يصبغون اسنانهم بالسواد وشفاههم حمراء لكثرة ما يمضغون من البتل • وكانوا فيما مضى يحلقون شعور رؤوسهم الا شيئاً منها في قمة الرأس ولا يزال بعضهم كذلك على ان الكثيرين اقتدوا بالملك فهم يرخون شعورهم ويقصونها والنساء يزججن الحواجب ويكحلن الجفون• ومن السياميين قبيلة تطوي النساء فيها ايديهن الى الظاهر حتى تلتصق رؤوس الاصابع ببطن الذراع ولباس الرجال كلباس النساء حتى لا يستطاع التمييز بينهما، ويتألف لباسهم من ثوب من الحرير او القطن يلفونه حول الخصر ويدخلونه بين الساقين فيشدون طرفه الواحد من الامام والثاني من الوراء فيكون منه شيء كالسراويل القصيرة• ويتلوه فوق الخصر ثوب آخر يلف على الصدر ويرفع طرفه على الكتف ومنهم من يزيد على ذلك صدرة بيضاء وجوارب وهم جلة القوم • والنساء ولعات بالحلي من الاقراط والخواتم والاساور والسلاسل وقد يكون الاولاد عراة وعلى ارساغهم الاساور وفي ارجلهم الخلاخل.

والوشم شائع في بعض قبائلهم فينقشون على الجسم صور الافيال والاسود وما اشبه ويفصلون بينها بخطوط وهم يعتاضون به من اللباس• والنساء في هذه القبائل يثقبن آذانهن ثقوباً واسعة ويدخلن فيها اساطين من الذهب او من الرصاص المموَّه بالذهب والرجال يضعون في آذانهم سيكاراً او زهرة

وتقوم النساء باكثر الاعمال والرجال ينقطعون الى الملاهي والالعاب ومن أثرى منهم فن الشحّ ويقال انهم ذوو رقة ودعة وجبن ولكن اهل الشمال منهم عكس ذلك اما آدابهم ففي درجة رفيعة

وبيوت السياميين حقيرة وأثاثها قليل فحصير من الخيزران وبعض الوسائد تفرش عند استقبال زائر كريم ويزيد الزعماء عليها خواناً وبضعة كراسي اما المواعين فقصاع من الخشب او الخزف وملاعق من الخشب وبعضهم يقتني المصابيح الاوربية والساعات لكن العامة ينيرون بيوتهم بالزيت وأسرة الاطفال عندهم اشبه شيء بالسلال يعلقونها بحبال تشد الى السقف

ويتمّ الزواج عندهم بالواسطة وقبل الزواج يؤتى بالمنجمين والعرافين لاستطلاع رأيهم واهل العروسين يمهرونهما وتكثر الهدايا لهما ويقوم احد الكهنة بعقد الزواج فيقرأ

شيئاً من كتب الدين ويبارك العروسين ثم يزاح الحجاب الفاصل بينهما ويجلسان سوية ويرشهما الكاهن بالماء المقدس • ويقيم العروسان مع اهل العروس حتى يلد لهما ولد وعامتهم يتزوجون واحدة واحدة على ان للمثرين منهم سراري والعلم بينهم قليل والجهل فاش وتقتصر مدارسهم على تعليم شيء من القراءة والكتابة وبعض أمور الدين

ومن غريب معتقداتهم ان الولد ابن الارواح فاذا ولد لهم طفل وضعوه على راس السلم ونادوا الارواح لتأخذه او تكف شرها عنه • ويقدمون التقدمات لها ثم يبيعون الطفل لاحد اقاربه بثمن زهيد لزعمهم ان الارواح لا تختطف من بيع كذلك • وبعد ان ينتهوا من الطفل يعودون الى أمه فيوقدون حولها القصب والحطب اليابس حتى توشك ان تحترق • وهم يزعمون ان ذلك يعجل برءها وقد ماتت احدى زوجات الملك متاثرة من النار ولم تستطع نقض هذه العادة خوفاً من الاشراف والنبلاء • ويكررون هذا الشيء اياماً كثيرة ولذا يكثر عدد من يموت من الامهات• وهم يرضعون اطفالهم ثلاث سنوات ومتى بدأ الولد يأكل الطعام اعطوه التبغ ليدخنه

وفي البلاد كثير من الهياكل الكبيرة وفي احدها في بنكوك تمثال بوذه يمثله ساعة موته طوله ١٦٠ قدماً وهو مبني بالطوب المطلي بالقرنيش المذهب ورجلاه من عرق اللؤلؤ عليها صور تمثل حوادث في حياة بوذه وارض الهيكل من الرخام وهناك هيكل آخر اسمه هيكل الفيل على كل من جدرانه صورة فيل كبير الجثة مثلث الرأس وهم يحرقون موتاهم ويبقون على الجثة زماناً طويلاً قبل حرقها ولذا تكثر الكوليرا في بلادهم ومنهم من يعرضها للهواء فتفترسها العقبان والكواسر• ويزعمون ان الامراض تأتي بها الارواح فلا يساعدون ملكهم على تنظيم الامور الصحية بينهم

والافيال كثيرة في بلادهم وبينها البيضاء وهي ليست بالحقيقة بيضاء وانما تدعى كذلك اذا كان فيها لطخ بيضاء او كان لونها يضرب الى السمرة فقط •والافيال البيضاء خاصة بالملك فاذا عثروا على واحد منها احتفلوا بذلك احتفالاً باهراً يشهده الملك بنفسه • واذا مشى احد كبارهم سار وراءه عدد من حشمه يحملون هذا مظلته وذاك حق التبغ وهذا خاتمه • وهم يستعملون طين الخاتم فاذا وقف السيد في الطريق لحاجة اسرع هؤلاء فجلسوا على الارض واذا دخل بيتاً لبثوا ينتظرونه في خارجه وهم قعود

والسياميون يحترفون الزراعة في الغالب وبينهم الصاغة واكثرهم من الصينيين وهم يحسنون التزبل والتطعيم بعرق اللؤلؤ والطلاء بالاصباغ ويصنعون السلال وغيرها من

الخيزران ومن محصولاتهم الرز والتبغ وخشب التيك والورد والسكر والبهارات والعطورات والقطن والصمغ وشمع العسل والقلفون والبلاد غنية بالمعادن والحجارة الكريمة

٤ — كوشين والتونكين

كوشين واقعة شرقي سيام وسكانها من الصينيين الذين اختلطوا بالسياميين وغيرهم وقد استحوذت فرنسا على جزء كبير من هذه البلاد ودخل جزء آخر تحت حمايتها واهل كوشين من المغوليين تضرب الوانهم الى البياض وهم احسن صورة من اهل سيام واكثر ميلاً الى الخفة والطرب ولباسهم السراويل الواسعة والاردية الكبيرة الاردان للرجال والنساء وهو لباس الصينيين ويرخون شعورهم فيعقصونها من الوراء ويكثرون من شرب الشاي والمسكرات غير شائعة فيهم وطعامهم الرز والسمك لكنهم لا يأنفون من اكل لحوم جميع الحيوانات والدبابات . ومضغ التبل والتدخين فاشيان فيهم كافة

وهم يكثرون الزوجات ويبتاعون نساءهم ويعاقبون على الزنا والرجال يسيئون معاملة نسائهم ويضربونهنَّ ومن استرق رجلاً لدين لزمهُ استرق معهُ زوجتهُ واولادهُ وحقَّ له بيعهم

ودينهم البوذية لكنهم اقل الناس تديناً يحترمون السحرة والعرافين ولهم المقام الاول بينهم ويؤمنون بالارواح الشريرة ويتطيرون من الافاعي والبيوم . وقد دخل بينهم المبشرون الكاثوليك فاضطهدوهم شديداً حتى تداخلت الحكومة الفرنساوية وهددتهم بالعقاب . ويقال في من تبقى من اهل التونكين وانام ما قيل في اهل كوشين الاَّ ان في كمبوديا جيلاً من القوقاسيين لا يعرف اصلهُ وانما يرجح انهُ من نسل الغزاة الآريين الذين غزوا الهند (خ)

وصف الشقيق

قال ابن الرومي

يصوغ لنا كفُّ الربيع حدائقاً … كعقد عقيق بين سمط لآلِ
وفيهنَّ نوَّار الشقائق قد حكى … خدود غوانٍ نقطت بغوالِ

وقال كشاجم

فرج القلب غاية التفريج … بابتهاجي ما بين روض بهيج
فكأنَّ الشقيق فيه أكاليـل … عقيق على رؤوس زنوج

باب السؤال والاقتراح

المادة وهل تتلاشى

بيروت — اسكندر افندي الخوري

قرأت لبعض العلماء مقالة جاء في اثنائها قوله ان المادة لا تتلاشى اي لا تصير الى العدم مع اننا نرى تلاشيها عياناً في الاحتراق وانحلال الاجسام الحية ولولا انحلال جثث الموتى لضاقت الارض بها ولم يبق فيها مكان للاحياء فما قصدهم بالمادة اذن وكيف انها لا تتلاشى

الهلال — المادة كل ما يقع تحت حواسنا سواء كان جامداً او سائلاً او غازاً ويدخل في ذلك الجوامد والنباتات والحيوانات مما على الارض او في الجو او في السماء مما نراه بالعين المجردة او بالتلسكوب او الميكروسكوب وما فتئ الانسان من اوائل ادوار عمرانه يبحث عن حقيقة هذه المادة واصلها وله فيها اقوال متضاربة اقدمها قول طاليس اليوناني في القرن السادس قبل الميلاد وعنده ان اصل كل ما في الكون من ضروب المادة الماء . فالماء عنده اصل كل شيء ثم قالوا ان كل الموجودات مركبة من العناصر الاربعة الماء والهواء والنار والتراب على نسب متفاوتة ولهم في ذلك اقوال لا محل لها هنا

وآخر ما وصل اليه العلماء الآن بشأن المادة وبعبارة اخرى بشأن ما يقع تحت حواسنا من موجودات هذا الكون ان الارض وما عليها وكل ما تصل اليه ابصارنا وبصائرنا من الاجرام مؤلفة من مواد بعضها بسيط وبعضها مركب والمركب ينحل الى مواد بسيطة لا تقبل الانحلال فالحديد مثلاً معدن بسيط لا يقبل الحل وهكذا ايضاً الذهب والفضة وكثير من المعادن ولكن الماء مركب من عنصرين هما الاوكسجين والهيدروجين والملح مركب من عنصرين هما الكلور والصوديوم والخشب مركب من عدة عناصر منها الكربون (الفحم) والهيدروجين والاوكسجين . والحجر الكلسي مركب من كربون

واوكسجين وكلسيوم وقس عليه كثيرًا من الاجسام التي نظنها بسيطة وهي مركبة من عدة مواد والمواد البسيطة تسمى باصطلاح العلماء الطبيعيين عناصر

وقد احصى العلماء العناصر البسيطة التي تتألف من تركيبها بعضها مع بعض سائر مظاهر المادة فاذا هي نحو سبعين عنصرًا معظمها جامد وبعضها غاز او سائل

ومن هذه العناصر ما هو كثير الوجود في الطبيعة وبعضها قليل واكثرها نادر الوجود واشهر العناصر واكثرها وجودًا في الطبيعة ٣٠ عنصرًا بعضها غاز وبعضها سائل واكثرها جامد . فالغازات خمسة وهي الاوكسجين والهيدروجين والنتروجين والكلور والفلور والسوائل اثنان البروم والزئبق والباقية جوامد وهي الحديد والنحاس والفضة والذهب والرصاص والقصدير والتوتيا (الزنك) والنيكل والالومينيوم والكلسيوم والكربون واليود والمغنيسيوم والمنغنيس والفصفور والبلاتين والبوتاسيوم والصوديوم والكبريت والسليكون والانتيمون والزرنيخ والبزموث . ومن هذه العناصر ما يتألف منهُ معظم اجزاء الارض كالاوكسجين مثلاً فانهُ يؤلف نحو ثمانية اتساع مياه الارض وربع هوائها ونصف رمالها وصخورها الطباشيرية والكلسية والدلغانية فضلاً عن دخوله في سائر المواد الحيوانية والنباتية فلو حللنا مواد الارض لوجدنا فيها ٥٠ في المئة من الاوكسجين فقط و ٢٥ من السليكون و١٠ من الالومينيوم والمغنيسيوم والكلسيوم و٥ من الكربون والحديد والصوديوم والبوتاسيوم و ٥ من العناصر الباقية

والقسم الاعظم من العناصر المذكورة يوجد في الطبيعة مركبًا على نسب مختلفة تتألف منها ظواهر هذا الكون بما فيه من الموجودات الحية وغير الحية ومن خصائصها انها لا تقبل الملاشاة او التوليد اي انها لا تتلاشى ولا تزيد كميتها عما هي عليه فان كمية المادة المؤلفة منها هذه الكائنات هي هي منذ الخليقة الى الان وستبقى كذلك الى الابد ولا عبرة في ما يظهر لنا من اختفاء بعض المواد بالاحتراق فان ذلك تلاشٍ ظاهري* فقط واما في الحقيقة فلا تتلاشى فاذا احرقنا رطلاً من الفحم لا يبقى في الموقد الا قليل من الرماد فيخال لنا ان ما بقي من الرطل قد تلاشى والحقيقة انهُ لم يتلاشَ ولكنه تحوَّل بالاحتراق الى مادة غازية هي الحامض الكربونيك مركبة من الفحم الذي وضعناه في الموقد وغاز الاوكسجين الموجود في الهواء ولو جمعنا الغاز المتولد بذلك الاحتراق لزاد وزنهُ عما نقص من الرطل بنسبة ما اتحد معهُ من الاوكسجين . وهذا امر حقيقي مؤيد بالبراهين العملية الحسية مما لا سبيل الى الشك فيه

وهكذا يقال في كل ما يظهر لنا من تلاشي المادة وهو ليس من التلاشي في شيء وانما هو تحوّل من حالة الى حالة اخرى . ومثل ذلك ايضاً ما يظهر لنا من تولد المادة اي زيادتها او نموها كأن نغرس حبة من الحنطة في التراب فلا تلبث ان تنمو و يزداد وزنها يوماً عن يوم حتى تصير سنبلة تبلغ اضعاف وزنها الاصلي فقد يخال لنا انها ازدادت وزناً بمجرد النمو ولكننا لو دققنا البحث لرأينا تلك الزيادة انما هي عبارة عما اكتسبته البزرة من التراب الذي غرست فيه وما اضفنا اليه من الماء وما امتصته من الهواء من غاز الحامض الكربونيك والغازات الاخرى وقد حوّلتها من مواد جامدة الى مواد حية نامية بمبدإ حيوي جعله الله فيها . ثم لو تناول هذه السنبلة عصفور فانه يحوّلها بما فيه من القوة الحيوية الى جزء من جسمه فتصير تلك السنبلة جزءا من جسم حيواني ولو تناول الانسان ذلك العصفور طعاماً لحوّله الى جزء من جسمه . فللمواد الترابية التي غرسنا تلك السنبلة فيها تصير بالتحوّل جزءا من جسم الانسان فربما كان بعض ما نطاه من تراب القاهرة جزءا من دماغ رعمسيس الثاني او قلبه

وقد يعترض على ذلك ان الانسان يتناول كل يوم ثلاثة او اربعة ارطال من الغذاء بين طعام وشراب فاذا كان يحوّلها كلها او بعضها الى اجزاء من جسمه لاقتضى ان يزداد وزنه يوماً عن يوم حتى يضخم كثيراً والواقع ان البالغ قد يقضي اعواماً عديدة لا يزداد وزنه ما يستحق الذكر بل قد ينقص كثيراً وهو مع ذلك يتناول غذاءه العادي كل يوم . والجواب على ذلك ان للاجسام الحية خاصة الدثور والتغذية اي تجديد الانسجة دائماً والانسان اذا لم يتناول طعاماً نقص وزنه كل يوم بما يدثر من المواد الهالكة بسبب الاعمال الحيوية على اختلاف انواعها فان كل عمل نعمله عقلياً كان او جسدياً نهلك به شيئاً من الانسجة فضلاً عن الاعمال الحيوية القائمة فينا من تلقاء نفسها كالدورة والتنفس والعرق وسائر المفرزات ونحن انما نتناول الطعام للتعويض عن ذلك الدثور وقد نستطيع جمع المواد الداثرة فينا وتقديرها وتعيين مقدار ما نخسره كل يوم من كل نسيج بل من كل عنصر من العناصر التي تتألف الانسجة منها وعند ذلك نرى ان الطعام انما هو للتعويض عما فقدناه . والمواد التي نفقدها بالاعمال الحيوية لا تذهب هدراً ولكنها تتحوّل الى مواد بعضها غاز وهو الحامض الكربونيك واكثره يخرج عن طريق التنفس وبعضه سائل ومعظمه يفرز عرقاً عن طريق الجلد او بولاً عن طريق الكليتين وبعضها جامد وهو ما يخرج عن طريق الامعاء من المبرزات فهذه المواد كلها تعود الى الهواء والتراب فيغتذي بها النبات ويحوّلها

الى انسجة نباتية كما تقدم ثم يتناول الحيوان النبات فيحوله الى انسجة حيوانية واذا تناوله الانسان حوّله بالهضم والتمثيل الى جزء من انسجته ثم يعود فيفرزه على هيئة مواد دائرة يغتذي بها النبات وهكذا على التوالي . وبقايا الانسان والحيوان والنبات تعود كلها اخيرًا بالموت والانحلال الى التراب وهذا تفسير قوله تعالى « انك تراب والى التراب تعود »

وخلاصة القول ان المادة لا تقبل الملاشاة ولا التولد ولكنها تتحوّل من حال الى حال بالنموّ النباتي والحيواني والدثور والانحلال او بالتحليل والتركيب

لغات المسلمين وعددهم

(الاسكندرية) محمود افندي ابراهيم صاحب جريدة الاكسبرس

كم هو عدد لغات المسلمين في انحاء الارض وما هو عدد اهل كل لغة

(الهلال) يصعب تعيين لغات المسلمين تعيينًا محددًا نظرًا لكثرة انتشارهم وتعدد اللغات الشائعة في كثير من مواطنهم لتعدد العوامل على المهاجرة والاختلاط ولكثرة فروع اللغات او لهجاتها ولكن يقال بالاجمال ان اللغة العربية هي لغة المسلمين العامة لانها لغة القرآن فما من مسلم الا وهو يتكلمها او يقرأها على تفاوت في ذلك من المتّسم بها المنتسب اليها العامل على احيائها الآخذ بنصرتها كأهل مصر والشام والعراق وسائر بلاد العرب الى الذين يقرأونها ولا يفهمونها كمسلمي الصين ونحوهم . والمسلمون الذين يتفاهمون باللغة العربية منتشرون بين دجلة وخليج العجم في الشرق وشواطئ الاوقيانوس الاتلانتيكي في الغرب . وبين بحر الروم واسيا الصغرى شمالاً وخط الاستواء جنوبًا ويدخل في ذلك بلاد العرب والشام والعراق والجزيرة ومصر وبلاد المغرب والسودان

ويلي اللغة العربية بالانتشار بين المسلمين التركية بفروعها واشهرها اللغة العثمانية والشاغطائية والاذربايجانية والقازانية والاورنبرجية والداغستانية والكاراسية والخوارزمية والتكية والبخاربة وغيرها وهي منتشرة في اواسط اسيا بتركستان وشواطئ قزوين والقوقاس وارمينيا واسيا الصغرى وفي سائر بلاد الدولة العلية . ثم اللغة الهندية وفروعها الهندستانية اوالاوردية والملقية والسندية والكشميرية والبالية والبنغالية والكنارية والجندية والكجراتية والجاوية والكونكانية وغيرها ثم اللغة الفارسية وفروعها الافغانية والبلوجستانية والكردية وهي منتشرة في بلاد فارس وخراسان وافغانستان وزبلستان وبلوجستان واذربيجان وغيرها

ومن اكثر اللغات انتشارًا في العالم الاسلامي اللغات الافريقية التي يتكلمها اهل السودان وسائر افريقيا وهي كثيرة جدًا ينيف عددها على اربعمئة لغة يقسمونها الى خمسة اقسام كبرى تعرف بالحامية والنوبية والزنجية والبانتية والموتنتية . فاللغات الحامية ٣٩ لغة منها لغات الحبشة بالشرق ولغات بربر افريقية في الشمال . والنوبية ١٧ لغة ومنها لغات بلاد النوبة ومن فروعها لغات البشارين والهدندوة والعبابدة والملانكة والمحس ودنقلا وسكوتو وغيرها . والزنجية وهي ١٩٥ لغة منتشرة في اواسط افريقيا وبلاد النيجر واعالي النيل وعلى شواطىء الاوقيانوس الاتلانتيكي ويدخل فيها اللغات القلداجية والتومالية في كردفان والكنجارية في دارفور ولغات الكاميل والفنج والهمج على النيل الازرق والكولو على النيل الابيض . واللغات البانتية (او البانتو) عددها ١٦٨ لغة منتشرة في جنوبي افريقيا وشرقيها . والموتنتية منتشرة في الغرب الجنوبي من افريقيا وعددها ١٩ لغة . فالمسلمون في افريقيا يتكلمون بعض هذه اللغات بحسب مواطنهم فضلاً عن العربية

ومن اللغات التي يتفاهم بها المسلمون اللغة الصينية واهم فروعها الكنتونية والشاوشوية والفوشوية والهاكية والفانكية والمندرينية والشنغائية وغيرها . وبعضهم يتكلم الروسية أو اليونانية أو البلغارية أو الالبانية أو الجورجية أو غيرها مما يصعب حصره وانما نمثله بالجدول الآتي وفيه لغات المسلمين وعددهم باعتبار مواطنهم في القارات الخمس :

١ — في اسيا

اسم البلد	عدد المسلمين فيه	لغاتهم
عدن	٥٣,٠٠٠	العربية
البحرين وتوابعها	٧٠,٠٠٠	»
الحجاز واليمن	١,٠٠٠,٠٠٠	»
اواسط جزيرة العرب	٤,٠٠٠,٠٠٠	»
عمان	٨٠٠,٠٠٠	»
ولاية حلب	٢٣٠,٠٠٠	»
» بيروت	٢٣٠,٠٠٠	»
لبنان	٣٠,٠٠٠	»

بين النهرين	١,٠٠٠,٠٠٠	العربية والتركية
الصين	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	الصينية وبعض فروعها
الهند الانكليزية	٦٤,٤٥٨,٠٠٠	الهندية وبعض فروعها
ايران	٩,٠٠٠,٠٠٠	الفارسية وبعض فروعها
افغانستان	١,٢٠٠,٠٠٠	الافغانية
بلوجستان	٧٦٧,٠٠٠	البلوجستانية
ارمينيا	١,٨٠٠,٠٠٠	الارمنية والتركية والكردية
سيرداريا وفرغانة وسمرقند	٥,٠٠٠,٠٠٠	التركية وفروعها الشرقية
سيبريا	٥٠٠,٠٠٠	الروسية
بخارا	٢,٥٠٠,٠٠٠	التركية البخارية والروسية
خيوا	٨٠٠,٠٠٠	« الخيوية »
اسيا الصغرى	٧,١٨٠,٠٠٠	التركية العثمانية واليونانية
سيلان	٢٢٨,٠٠٠	بعض فروع اللغة السنسكريتية
جزائر لكاديف	١٤,٠٠٠	» » »
« ملقا	٥٠٠,٠٠٠	» » »
جاوى وتوابعها	٤٠,٠٠٠	الهندية الجاوية
بيروني وسرواك	٥٠٠,٠٠٠	الهندية وبعض فروعها
ملديف	٣٠,٠٠٠	» »
بورنيو الملقية	١٦٠,٠٠٠	» »
فيليبين	٥٠٠,٠٠٠	
(المجموع باسيا)	١٣٢,٥٩٠,٠٠٠	

٢ — في افريقيا

مصر	١٠,٠٠٠,٠٠٠	العربية
طرابلس الغرب وبنغازي	٨٠٠,٠٠٠	« والسواحلية من اللغات الحامية
تونس	١,٥٠٠,٠٠٠	« والقبائلية » » »
مراكش	٤,٠٠٠,٠٠٠	« والشلحية والريفية » »

جزائر الغرب	٤,٠٠٠,٠٠٠	العربية والقبائلية وغيرهما من اللغات الحامية
السودان المصري	٤,٠٠٠,٠٠٠	« والنوبية وفروعها وبعض فروع الزنجية
اوغندا	٢,٠٠٠,٠٠٠	« والفولاه وغيرها
افريقيا الشرقية	٢,٢٢٥,٠٠٠	« وبعض فروع البانتية
زنجبار	٣٠٠,٠٠٠	« « « «
نياز الاند	٩٠٠,٠٠٠	« « « «
الصومال	٣٠٠,٠٠٠	« والصومالية « «
النيجريا	٢٥,٠٠٠,٠٠٠؟	« وبعض فروع اللغات الزنجية
وداي وما يلحقها	٢,٠٠٠,٠٠٠	« « « « «
راس الرجاء	٢٣,٠٠٠	اللغة الهوتنتية والانكليزية
لاجوس	٣٧٥,٠٠٠	العربية وبعض اللغات الزنجية
شاطيء مذهب	١٥٠,٠٠٠	« « « «
سرا ليونه	٢٣,٠٠٠	« « « «
كبيا	٧٠,٠٠٠	« « « «
الداهومي	١٠٠,٠٠٠	« « « «
ليبريا	١,٥٠٠,٠٠٠	« « « «
متفرقات بافريقيا	٢,٠٠٠,٠٠٠	
جزائر القمر	٤٧,٠٠٠	العربية وفروع من اللغة البانتية
جزيرة موريتيوس	٤١,٠٠٠	« « « «
(المجموع بافريقيا)	٦١,٣٥٤,٠٠٠	

٣ — في اوربا

تركيا اوربا	١٠,٠٠٠,٠٠٠	اللغات التركية العثمانية والبلغارية واليونانية والالبانية وغيرها
القوقاس	٣,٠٠٠,٠٠٠	الشاغطائية وغيرها من فروع اللغة التركية واللغات الروسية والجورجية والشركسية
رومانيا	٤١,٠٠٠	الرومانية وهي فرع من اللغة اللاتينية
الجبل الاسود	١٤,٠٠٠	فرع من الروسية والتركية

السرب	١٥,٠٠٠	فرع من الروسية واليونانية والتركية	
البوسنه والهرسك	٥٤٨,٠٠٠	« « « والتركية	
اليونان	٤٢,٠٠٠	اليونانية والتركية	
الدردنيل وتوابعه	٢٧,٠٠٠	« «	
قبرس	٥١,٠٠٠	« «	
(المجموع باوربا)	١٣,٧٤٨,٠٠٠		

٤ — في اميركا واوستراليا

اميركا الشمالية والجنوبية	٥٠,٠٠٠	اللغتان الانكليزية والاسبانية
اوستراليا	١٩,٠٠٠	اللغة «
(المجموع فيهما)	٦٩,٠٠٠	

المجموع في العالم كله ٢٠٧,٧٥١,٠٠٠

هذا عدد المسلمين في العالم بوجه التقريب وهذه لغاتهم واما احصاؤهم بالتدقيق فلا سبيل اليه وخصوصاً من كان منهم في افريقيا لما تعلمه من مجاهلها وا كثرها لم تتمكن الدول من احصائها بعد

الكسوة والمحمل

﴿الاسكندرية﴾ اسعد افندي سليم

تكرر ذكر الكسوة والمحمل في الجرائد اليوميـة باثناء الشهر الماضي على اختلاف في الرأي والوصف فاحببنا الاطلاع على الحقيقة . فما هي الكسوة وما هو المحمل وما تاريخهما

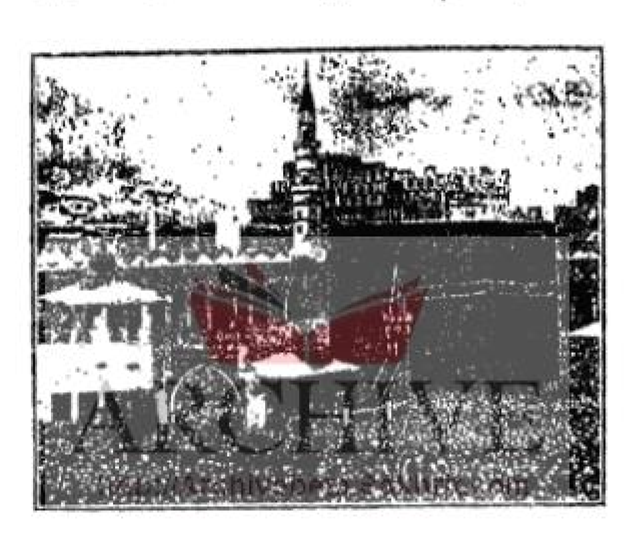
﴿الهلال﴾ الكسوة غطاء الكعبة والكعبة بناء مكعب قائم في وسط المسجد الحرام بمكة علوه خمسة عشر متراً وتسطيحه ١٢ متراً في عشرة امتار وبعض المتر وفي داخلها ثلاثة اعمدة من العود الماوردي قطر الواحد منها خمسة وعشرون سنتيمتراً وهي منصوبة صفاً واحداً في وسط البيت من الشمال الى الجنوب . وفي سقف الكعبة تحفٌ من الجواهر الثمينة ونحوها مما كان يهديه الخلفاء والسلاطين وهي معلقة في السقف . وجدران الكعبة مكسوة من الداخل باطلس احمر عليه مربعات من الحرير الابيض مكتوب عليها (الله جل جلاله)

هي هدية من السلطان عبد العزيز . وفي الزاوية التي على حجر اسماعيل الى يمين الداخل شطرة فيها باب يصعد منهُ على درج الى اعلى الكعبة هو باب التوبة . وسطح الكعبة مرصف بالواح المرمر وعلى حوافيه الاربع حلق لربط الكسوة من الخارج حتى تكون مشدودة على الجهات الاربع بانتظام

وكسو الكعبة قديم يتصل بزمن الجاهلية . ذكروا ان اول من كساها تبع ملك اليمن غطاها بالخصف وهي حصر من خوص النخل وانهُ رأى بالمنام ان «اكسها احسن من هذا» فكساها الانطاع ثم المعافر والوصائل وهي اثواب من صنع همدان باليمن . فلما ظهر الاسلام كساها عمر بن الخطاب القباطي وهو نسيج الكتان المصري . وكساها الحجاج بن يوسف الديباج الخسرواني ولعله فعل ذلك تكفيراً عما كان من رميه اياها بالمنجنيق في قتاله ابن الزبير . ثم كساها عبد الملك بن مروان في اواخر القرن الاول للهجرة الديباج وكساها غيره من خلفاء بني امية والعباسيين . لكنهم لم يكونوا يتقيدون بزمن او ميقات حتى تولى المأمون العباسي فجعل تجديد الكسوة فرضاً في كل عام وان تنسج من الابريسم الاسود . وظل الخلفاء يرسلونها من مقر خلافتهم ببغداد حتى انتقلوا الى مصر على عهد سلاطين المماليك بعد اكتساح هولاكو بغداد في اواسط القرن السابع . فصارت ترسل من مصر وزادت عنايتهم بصنعها وارسالها حتى جعلوا لها وقفاً ينفق فيها وعينوا قوّاماً على صنعها وتطريزها . واول من عني بذلك السلطان الملك الصالح بن الناصر بن قلاوون من سلاطين المماليك فانهُ اشترى سنة ٧٥٠ للهجرة ثلاث قرى في القليوبية اوقف ايرادها على صنع الكسوة واشترط في الوقفية ان تصنع من الحرير الاسود سنوياً وترسل من مصر . ثم خربت هذه القرى ولم يعد ايرادها يفي بالنفقة اللازمة فاشترى السلطان سليمان القانوني في اواسط القرن العاشر للهجرة سبع قرى في الشرقية اوقفها لتلك الغاية . ولا تزال الكسوة ترسل من مصر الى الكعبة في كل عام مع المحمل

وهي تصنع الآن بالقاهرة في ورشة خاصة بها بجهة الخرنفش . يعمد المنوط بهم العمل اولاً الى اختيار نوع الحرير بواسطة اهل الخبرة فيبتاعونهُ بالمناقصة بين تجاره . ومبلغ ما يبتاعونهُ لهذا الغرض سبعمائة اقة تسلم للفتالين فيفتلونها ثم الى الصباغين فيصبغونها ثم للزراك فيزركها اي يصلحها مما اصابها من اثر النقل ثم تلف عند اللفاف وتسدى عند الملقي وتحمل بعد ذلك الى ورشة النسج والتطريز والعمال فيها عشرون صانعاً ينسجونها على اربعة انوال بكيفية تسهل عليهم نقشها ثم تؤخذ منها قطع مستطيلة يطرزونها بالقصب

الابيض والاصفر على المناسج وهي اربع قطع ينطقون بها الكعبة من وسطها كما ترى في الشكل ويقدرون مايدخل في ذلك من القصب بنحو ٢٥٠٠٠ مثقال وتبلغ نفقات الكسوة جميعها نحو خمسة آلاف جنيه مصري . ويقضون في اصطناعها من ابتياع الحرير الى خروجها كاملة خمسة اشهر من اول ربيع آخر الى رمضان . وينسجون معها كسوة لمقام ابراهيم الخليل قرب الكعبة وثلاث ستائر الاولى من الاطلس الاخضر مزركشة بالقصب لباب الكعبة والثانية لباب مقام ابراهيم من الخارج والثالثة لمقامه من الداخل وقطعاً أخرى



الكعبة وعليها الكسوة وحولها المنطقة

فاذا فرغوا من نسجها وتطريزها حملوها على اعناق الرجال الى ديوان المحافظة بموكب حافل وتعلن المحافظة العلماء والاعيان ومشايخ السجادات والاشارات للحضور في تلك الليلة وقد اولت لهم وليمة فاخرة فيقيمون على تلاوة القرآن والاذكار الى قرب الفجر. وفي الصباح تنقل بموكب آخر الى القلعة ومنها الى المشهد الحسيني باحتفال يمشي فيه الجند وارباب الاشاير وسائر صنّاعها ورئيسهم يحمل مفتاح البيت الحرام فيسير الموكب والكسوة تحمل على اخشاب فوق اعناق الرجال او على الحيوانات ومعهم المحمل على الجمال حتى اذا وصلوا الى المشهد ادخلوا جميع ذلك في حرمه . ثم يوجه المحمل الى وكالة ذي الفقار بالجمالية وتبقى الكسوة في الحرم الحسيني وهناك تركب عليها اشرطة القطن البيضاء والبراقع ويستغرق ذلك عشرة ايام . وفي ٢١ من شوال يعقد موكب اعظم من ذلك تحمل به الكسوة والمحمل الى ميدان محمد علي قرب القلعة . وفي صباح اليوم التالي ينعقد الموكب الاكبر المتشكل

من العساكر والامراء والاعيان وقاضي القضاة ونقيب الاشراف والنظار والجناب العالي او من يقوم مقامه للاحتفال بتسليم الكسوة والمحمل لامير الحاج ومن هناك يسير الموكب الى العباسية — تلك هي القاعدة في نقلها وقد يطرأ عليه تبديل حسب الاحوال . وتحفظ الكسوة في العباسية ريثما يتهيأ الركب لنقلها والسفر بها فيضعونها في صناديق مضبوطة ولا يفتحونها الا في مكة

والكسوة المذكورة عبارة عن ثماني قطع من الحرير المنسوج على ما وصفناه طول كل منها تلو الكعبة بحيث ان كل قطعتين تكسوان جهة من جهاتها الاربع اذا تعلقتا من حافة سطحها ودليتا على احد جدرانها . ويلحق هذه القطع منطقة مزركشة عرضها سبعون سنتيمترا قد نقش عليها بالقصب آيات قرآنية يحيطون بها الكعبة كالمنطقة عند ثلثي ارتفاعها . وتحمل الكسوة وما يلحقها من المنسوجات مع قافلة الحج حتى توضع في اماكنها بمكة في ١٠ ذي الحجة من كل عام . اما كسوة العام السابق فترفع وتعطى لصاحب مفتاح الكعبة الا المزركشات فيأخذها الشريف وهو يبيعها او يفرقها للتبرك بها

اما المحمل فهو غير الكسوة ولا علاقة لهُ بها الا من حيث المرافقة في الحج . وهو عبارة عن اعواد قائمة على شكل مربع فوقه قبة هرمية الشكل كالهودج تكسوهُ ستائر مزركشة بالنقوش الجميلة . والمحمل حادث في الاسلام اول من اتخذه شجرة الدر ام الملك المعظم احد سلاطين مصر سنة ٦٤٠ ﻫ وذلك ان زيارة الحرمين فرضٌ على كل مسلم وكان المسلمون يحجون في صدر الدولة الاسلامية ومعهم الخليفة وهو امامهم فاذا تعذر عليه الحج بنفسه اناب عنه بعض خاصته . وكان السلاطين يحجون ايضاً بانفسهم . فلما انقضت الدولة الايوبية بمقتل الملك المعظم بن الصالح واختلفت الاحزاب على من يولون بعده وكانت والدته (او ربيبته) شجرة الدر عاقلة حكيمة تخافت الفشل وتواطأت مع الامراء المماليك وولت واحداً منهم وظلَّ النفوذ لها . وكانت تتولى الحج بنفسها وهي امرأة فاصطنعت هودجاً يقلها الى مكة مع الحج المصري . وظلَّ ارسالهُ عادة جارية بعدها يرمزون بها عن حج صاحب السيادة على وادي النيل ولا يزال يرسل في كل عام . وهو هودج فارغ لا شيء في داخله يرافق الحج الى مكة فينصب في بعض جوانب المسجد الحرام للتبرك به ثم ينتقل مع الحجاج الى المدينة فينصب في مسجدها الى الرجوع . وقس على ذلك الحج الشامي

ويرافق الحجاج ايضاً الصرة الاميرية وهي عبارة عن اموال مخصصة من خزينة مصر لخدمة الحرمين وما يتبع ذلك من مرتبات العربان وغيرهم . فتوضع الصرة في

صناديق مقفلة يقام عليها الحراس · واول من ارسل الصرة على هذه الصورة الخليفة المقتدر العباسي في اوائل القرن الرابع للهجرة ولا تزال فرضاً على الخلفاء والسلاطين الى الآن · وقد اخذت مصر بذلك فهي ترسل الصرة للحرمين كما ترسل من الشام · والصرة تحتوي على نحو ١٥,٠٠٠ جنيه ينفق منها على حملة الصرة ذهاباً واياباً وتدفع مرتبات العربان ورواتب مكة منها ١,٦٠٠ جنيه مرتب تكية مكة ومثلها مرتب تكية المدينة فضلاً عن امانات ترسل الى اربابها من اصحاب الروزنامة والاوقاف وبعض الدوائر لمرتبات اهالي الحرمين ويلحق الصرة غير النقود احمال من الحلواء والشمع والالبسة والاقمشة والشيلان الكشميرية وغيرها

الترجمة والتعريب

(القاهرة) محمد افندي توفيق احمد في عابدين

ما هو الفرق بين الترجمة والتعريب وايهما افضل للغة العربية

الهلال ❊ الترجمة تفسير معاني الالفاظ من لسان بالفاظ من لسان آخر · فيقولون ترجم العبارة او الكلمة اي نقلها من لغة الى اخرى كتفسيرنا قول الافرنج مثلاً Philosophia (فيلوسوفيا) بقولنا « حب الحكمة » وهو معناها الحرفي · واما التعريب فهو نقل اللفظ الاعجمي من صيغته الاعجمية الى صيغة عربية بلا تفسير كتعريب اللفظة المتقدم ذكرها بقولنا « فلسفة » · ولأئمة اللغة ابحاث في الترجمة والتعريب جرهم اليها اضطرار العرب الى النقل عن السنة الاعاجم في النهضة العباسية · فممن بحث في التعريب الخفاجي وابو حيان والثعالبي والسيوطي فوضعوا له اقيسة وقواعد توافق الصيغ العربية · ونظر آخرون في الترجمة فذهب جماعة الى تفضيل الترجمة الحرفية وآخرون الى تفضيل الترجمة المعنوية · واشهر اصحاب الرأي الاول يوحنا بن البطريق وابن الناعمة والحمصي من نقلة العلم في العصر العباسي وطريقتهما النظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات الاعجمية وما تدل عليه من المعنى فيؤتى بلفظة مفردة عربية ترادفها في الدلالة وهكذا يفعل بما يليها بدون تقديم ولا تأخير · ومن اصحاب الرأي الثاني حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وطريقتهم ان يطالع المترجم الجملة الاعجمية ويتفهمها جيداً ثم يسبكها في قالب عربي · ولكل من الطريقتين مزايا ولكن الثانية افضلها

وقد تجدد البحث في الترجمة والتعريب في نهضتنا الاخيرة لكثرة ما ننقله عن اللغات الاجنبية من العلوم والآداب . ولم يختلف نقلة العلم عندنا بافضلية طريقة حنين بن اسحق اي نقل المعنى من عبارة افرنجية الى عبارة عربية بلا ملاحظة معاني الالفاظ على انفرادها. ولكنهم اختلفوا في المصطلحات الجديدة الطبية والطبيعية والاجتماعية والسياسية فقال جماعة بترجمتها الى لفظ عربي وقال آخرون بتعريب لفظها الافرنجي اي التلفظ به على صيغة عربية بدون ترجمته مثال ذلك قولهم Commandant فالقائلون بتفضيل الترجمة يريدون ان تفسرها بلفظ عربي فنقول « الآمر » او « صاحب الامر » والقائلون بالتعريب يقولون « قومندان » وقس على ذلك كثيرًا من الالفاظ التي دخلت علينا وغلب فيها التعريب كقولنا « قنصل » ومعناها « الوكيل » وجنرال « القائد » وسكرتير « كاتم السر » وبوليس « ضابطه » وكلها فرنساوية الاصل . ومن المعربات التركية سنجق ومعناها « راية » وطابور « كتيبة » واورنيك « نموذج » وآلاي « فرقة » واورطة « جيش » ويلحق بالالفاظ التركية كل ما يركب تركيبًا تركيًا ولو كان عربيًا او فارسيًا والغالب تركيبه مع « باش » راس او « جي » علامة النسبة عندهم كقولهم مكتوبجي وخزنجي واجزاجي وترجي وباشكاتب وباشمهندس وحكيمباشي . وقد يركب من الاداتين معًا مثل خزنجي باشي او مكتوبجي باشي . وقس عليه كثيرًا من الالفاظ الادارية والسياسية والاجتماعية والعلمية كالتلغراف والتلفون والفيسيولوجيا والاكسجين وغيرها على ما فصلناه في كتابنا « تاريخ اللغة العربية »

فأول ما يتبادر الى اذهاننا من الحكم في تفاضل الترجمة والتعريب ان الترجمة افضل صيانة للغة من مفاسد العجمة فنقول « بريد » بدل بوسطة و« نظارة » بدل تلسكوب وسيارة بدل اوتوموبيل والتصوير الشمسي بدل فوتوغراف . ولكن ذلك لا يتيسر الاجماع على اختيار الفاظه الا بمجمع علمي لغوي فيه الكفاءة وحسن الاختيار وان يكون له صفة رسمية تسهل اعتماد الكتاب على ما يضعه او يختاره من الالفاظ . على ان هذا المجمع اذا تألف وعرضت عليه الالفاظ المطلوب ترجمتها نظنه يحكم بتعريب قسم كبير منها اي يبقائه على لفظه الافرنجي بصيغة عربية اذ يرى بعض المصطلحات الجديدة تسهل ترجمتها بما يسهل لفظه وحفظه والبعض الآخر لا يترجم الا ببضعة الفاظ يثقل استعمالها مع كونها بالاصل الافرنجي لفظة واحدة . فاذا ترجمنا لفظ فوتوغراف بقولنا «تصوير الشمس » او « التصوير الشمسي » فبماذا نترجم « تليفوتوغراف » ومعناها « التصوير الشمسي عن بعد » واذا اردنا تصريفها في الاستعمال قلنا « آلة التصوير الشمسي عن بعد » و « هذا مصور التصوير الشمسي عن بعد » ... ولا

يخفى ما في ذلك من الثقل على اللسان والفهم . والتعريب يكفينا مؤونة هذه الاثقال فلو ابقينا اللفظة كما هي لقلنا جاء التليفوتوغرافي وفن التليفوتوغراف الخ . ومن فروع التصوير الشمسي ايضاً « الفوتوليتوغراف » ويراد به التصوير بالشمس على مطبعة الحجر ومثلها « تليباتوغراف » وهي آلة كهربائية لنقل الصور عن بعد باسلاك كهربائية . فكيف نترجم هذه المصطلحات وامثالها وقس عليه الفوتوتيب اي الطبع بالشمس والفيسيوتيب الطبع بلا حبر

واذا ترجمنا «الميكانيك» بالحيل الروحانية او علم الآلات فبماذا نترجم «تليميكانيك» ويراد بها عندهم نقل القوة الميكانيكية من مكان الى آخر . واذا ترجمنا « الفونوغراف » بالحاكي اوالناطق فبماذا نترجم « التليغرافون » وهو آلة مركبة من التلغراف والتليفون وتعمل عملها معاً . واذا ترجمنا « تلسكوب » بالنظارة المقربة فكيف نترجم هيدروسكوب وهي التلسكوب الذي يكشف به عما في قاع البحار . واذا ترجمنا « سيناتوغراف » بالصور المتحركة فكيف نترجم « سيناقون » وهو الآلة التي تريك الصور المتحركة وتسمعك اصواتها . وقس عليها امثلة لا تحصى . — لا نقول انها لا تترجم ولكننا نرى ترجمتها شاقة لا تخلو من التعقيد فضلاً عن مخالفتها ناموس الاقتصاد العام . لان المعنى الذي يؤدى بكلمة لا يجوز تأديته بكلمتين او اكثر

على حين اننا لا نرى باعثاً على هذا التكلف وليس في التعريب عار او حطة لان دخول الالفاظ الاجنبية على اللغة — مثل دخول الاجانب في جسم الامة — لا تلبث ان تعد جزءًا منها فتزيدها نمواً ونشاطاً كما تدخل المواد الغذائية بدن الانسان فيحولها بالهضم والتمثيل الى بعض اعضائه ويغتذي بها . ومن اهم نواميس الحياة النمو وهو عبارة عن دثور الانسجة وتولد ما يحل محلها والجسم الحي في انحلال وتولد دائمين حتى قالوا ان بدن الانسان يتجدد كل سبع سنين . وحياة الامة مثل حياة الفرد واللغة تابعة للاحياء في الخضوع لناموس النمو . وهو فيها عبارة عن دثور بعض الالفاظ وتولد كلمات جديدة اما باشتقاق الفاظها وتفرعها او بدخول الفاظ غريبة تندمج في تلك اللغة وتصير جزءًا منها . وتعد في اول امرها دخيلة ثم لا تلبث ان تصير اصلية وتنسى اصولها الاولى كما يصيب الدخلاء في كل امة

وتاريخ اللغة يؤيد هذا القول بكل جزئياته . ويهمنا هنا اللغة العربية فاذا نظرت في تاريخها من اقدم ازمانها رأيتها مرت على ادوار من النمو مثل التي تمر على الانسان ودخلها

من الالفاظ الاعجمية شيء كثير واكثره ضاع نسبه فادخلوه في النسب العربي . . . وفي جملة الفاظ فارسية وهندية وحبشية ويونانية وعبرانية وسريانية واكثرها لم يعد يتميز اصله فعدّ عربياً وبعضها لا يزال الرجوع الى اصله ميسوراً . فمما لم يعد اصله معروفاً وعلماء اللغة يعدونه عربياً : النفاق والبرهان والحواري والمصحف والمنبر والمحراب والصومعة والطومار من اللغة الحبشية . والحج والكاهن والعاشوراء من العبرانية . وصبح وبهاء وضياء والكافور والمسك والفلفل من السنسكريتية . وقبس ونبي من الهيروغليفية . والسراب والزمهرير والسرداب من الفارسية . والناموس والقانون والقلم من اليونانية ـ هذه امثلة مما يعدّه ائمة اللغة عربياً وهو اعجمي وقد دخل اللغة قبل الاسلام وضاع اصله واما ما ذكروا انهُ اعجمي فهو كثير وقد نبهوا اليه في المعاجم اللغوية

وكما دخل اللغة العربية الفاظ جديدة فقد دثر منها الفاظ قديمة وبطل استعمالها جرياً على قواعد النمو وكان ذلك شأنها من اقدم ازمانها وان لم نستطع تتبع ذلك في جاهليتها . على انا وقفنا على بعض ما اهملوه واستعاضوا عنه بالفاظ دخيلة فقد ذكروا ان العرب كانوا يسمون الابريق « تامورة » والطاجن « مقلى » والهاوون « منحاز » او « مهراس » والميزاب « مثعب » والسكرجة « الثقوة » والمسك « المشموم » والجاسوس « الناطس » والتوت « الفرصاد » والاترج « المتج » والكوسج « الاثط » والباذنجان « الانب » والرصاص « الصرفان » والخيار « القثد » ولعلك لو تتبعت هذه الالفاظ العربية التي اذهبها الدخيل لرأيت بعضها في الاصل دخيلاً تنوسي نسبهُ . . .

وبالجملة فاللغة العربية ما زالت ترحب بالالفاظ الدخيلة من اقدم عهد جاهليتها وقد نسخ الزمان على اصولها عناكب النسيان . واما بعد الاسلام فاكثر ما دخلها لا يزال اصله معروفاً وهو طائفة كبيرة دخلت اللغة سدّاً لما احتاج اليه العرب في تاسيس دولتهم وانشاء تمدنهم من المصطلحات التي لم يكن لها شبيه في جاهليتهم كالديوان والجزية والجامكية والدانق والبريد والطراز من اللغة الفارسية . والاسطول والمنجنيق والدرهم والبطاقة والكردوس والليان من اليونانية . والبلاط بمعنى قصر الملك من اللاتينية . غير الالفاظ العلمية التي اقتضاها نقل العلوم القديمة من لغات الاعاجم الى العربية وخصوصاً في النهضة العباسية ومنها اسماء العقاقير الطبية والامراض والادوات كالزيزفون والسقمونيا والمصطكي والقولنج والترياق والكيموس وقيفال ومالنخوليا والاسطرلاب والقيراط والصابون والهيولى والاسطقس والطلسم والاقليم والقاموس من اليونانية . والبابونج والبنج والراتنج والزرنيخ

والزاج والشيرج والسرسام ومارستان والبركار والبوتقة والدسكرة من الفارسية · غير ما دخلها من الالفاظ النصرانية واليهودية من اللغات اليونانية والسريانية والعبرانية وقد فصلناها في صفحة ٤١ — ٤٣ من كتاب تاريخ اللغة العربية

اكثر هذه المصطلحات اقتضاء انشاء الدولة ونقل العلم في النهضة العباسية وهناك الفاظ كثيرة دخلت اللغة في اجيالها الوسطى بما توالى عليها من الدول الاعجمية كالاتراك والاكراد والجراكسة والفرس وغيرهم واكثر المعربات في ذلك العصر سياسية او ادارية كالاستادار والجوكاندار والسراخور والجاويش واليوزباشي والسرعسكر والمابين والياور واميرالاي والدفتردار · · · وغيره كثير

وقس على ذلك نهضتنا الاخيرة وهي لا ينبغي ان تخرج عن احوال سائر العصور · فلا حرج علينا اذا اقتبسنا الالفاظ الاعجمية للمصطلحات العلمية مما لا مثيل له في لساننا · على اننا والحق يقال غير مخيرين في ذلك الاقتباس لان هذه الالفاظ تدخل اللغة جرياً على ناموس الارتقاء — اعتبر ذلك بما دخل منها لغات العامة بمصر والشام والعراق وهي تعد بالمئات والناس لا يتعمدون ادخالها · بل انظر الى اللغة الفصحى مع ارتباطها بالقرآن ورجوع الناس اليه في تنقيحها وتصحيحها فانك ترى الدخيل قد تسرب اليها حتى تكاثر وخافه الناس على اللغة وقاموا يبحثون في تفاضل الترجمة والتعريب

ومن الالفاظ الدخيلة في هذه النهضة ما هو من قبيل المصطلحات الادارية كاسماء رتب الجند بالتركية والمصطلحات الديوانية بالفارسية كقولهم التمغة والبندر والبارة والسواري والسراي · ومن هذا القبيل القومندان والجنرال والسكرتير والبرلمان بالفرنساوية والبوسطة والورديان والاسكلة من الايطالية · ومنها مصطلحات تجارية كالكمبيالة والفاتورة والبورصة والكمبيو من الايطالية · والبنك والكوبون من الفرنساويه · والكمرك والناولون من اليونانية · غير الالفاظ العلمية ومن اسماء العلوم كالجيولوجيا والفيسيولوجيا والتريبونيا واسماء الامراض كالدسبسيا والنفرالجيا والهستيريا والمصطلحات الكيماوية وغيرها كالاكسيد والكلوريد والفصفات والكربونات والبطارية والترمومتر والميكروب والتلغراف والفوتوغراف والفونوغراف ونحوها

فهذه وامثالها من الالفاظ الاعجمية دخلت اللغة العربية عملاً بناموس الارتقاء والنمو كما يصيب سائر لغات العالم · والامم الراقية مع وجود المجامع اللغوية عندها لا تستنكف من اقتباس الالفاظ الغريبة التي ليس في لسانها ما يؤدي معناه تماماً وخصوصاً اذا كان من قبيل

المصطلحات الدخيلة فالفرنساويون لما اخذوا الآلة الكاتبة عن الانكليز او الاميركان اخذوها باسمها الانكليزي type writer وكان في امكانهم ان يترجموا لفظها الى لسانهم كما فعلنا نحن فسميناه « الآلة الكاتبة » والانكليزي لا يأنف من استخدام قول الفرنساويين rendez-vous كما يستخدم الفرنساويون Interview الانكليزية . والمطلع على لغات التمدن يرى كثيرًا من هذه الامثلة مع استقلال كل امة منهم بعلمها ومدارسها ومعاملها . واما نحن فمع افتقارنا الى تلك الامم بمعظم معدات التمدن الحديث علمياً وصناعياً نستنكف من تعريب المصطلحات العلمية او الصناعية

على ان هذه المصطلحات تعدُّ اعجمية في لغات اوروبا نفسها اي ليست هي فرنساوية ولا انكليزية ولا المانية وانما هي يونانية اتفق العلماء على نحتها من الفاظ هذه اللغة لتتساوى الامم الاوربية في فهمها وتكون المنفعة عامة . فالنا لا نجري على هذه السنة ونقتدي بتلك الامم فنعتبر تلك المصطلحات منقولة نقلاً علميا من لغة خاصة بذلك فيهون علينا اقتباسها . ولا يخفى ما في استبقائها على اصلها من الفوائد لابناء هذا اللسان من حيث فهم ما نقرأُهُ في السنة الافرنج ونحن أكثر افتقارًا لمطالعة كتبهم من افتقارهم بعضهم الى بعض فاذا وضعنا للمسميات العلمية الفاظاً عربية تكون قد باعدنا بين افهامنا وعلومهم فاذا قرأ احدنا مقالة في امة افرنجية تكلف العناية بفهم مصطلحاتها وردّها الى معانيها العربية

على اننا لا نقول بمنع الترجمة على الاطلاق ولكننا نقول بحل قيود التقليد وازالة الخوف السائد على بعض العقول من الدخيل بكل معانيه . وهو اذا تدبرته وجدته نافعاً يزيد الامة او اللغة نشاطاً ونموًّا . فاذا عرضت لنا لفظة و وجدنا ترجمتها سهلة على الفهم والنطق ترجمناها الى لساننا والاَّ فتعريبها اولى . ومما يدلك على توهم القائلين بتحريم التعريب انهم كثيرًا ما يترجمون الكلمة الاعجمية الحديثة بكلمة قديمة يتوهمون انها عربية وهي بالحقيقة اعجمية كابدال بعضهم « البوسطة » الايطالية بالبريد وهي فارسية الاصل . وكابدالهم « الاورنيك » التركي بالنموذج وهي فارسية ايضاً . وابدال « الطن » الوزن الافرنجي المعروف بالقنطار وهو يوناني الاصل . واستعمال « البلاط الملوكي » بدلاً من السراي لان هذه فارسية ولكن البلاط لاتيني . وقد يبدلون « اوردي » بالكردوس لان اوردي تركية ولكن الكردوس يونانية . ناهيك بما يجب مراعاته في الترجمة او التعريب من خفة اللفظ على الالسنة واللفظ الاعجمي السهل الرشيق يفضل على العربي الثقيل . فالطاولة وهي ايطالية اولى بالاستعمال من « منضدة » وان كانت عربية و « المكروب » مع كونها يونانية

اخف على اللسان من التقاعيات او الحبيو بنات وقس على ذلك

وقد يعترض بان التساهل في ادخال الالفاظ الاعجمية يأول الى كثرة المترادفات في اللغة — ولا نرى بأساً من زيادتها فانها تدل على الارتقاء . وذلك طبيعي في اللغة والمترادفات تكثر في الجهة التي تمس حاجة الناس اليها حسب العصور ولذلك كثرت اسماء الفرس والسيف والاسد والناقة عند العرب في الجاهلية وبعض هذه الاسماء صفات والبعض الآخر اعجمي فلا حرج اذا كثرت الالفاظ المؤدية لعوامل تمدننا وفيها العربي والدخيل . على ان المترادفات لا تخلو من فروق بين معانيها تزيد اللغة اقتداراً على تادية المعاني الدقيقة واظلالها الضعيفة . فالرجل والمرء لفظان مترادفان في الظاهر واذا امعنت النظر رأيت احدهما يستخدم احياناً في مكان لا يجوز استخدام الآخر فيه . ويقال نحو ذلك في اكثر المترادفات ومع ذلك فاللغة لا تحتفظ بكل ما يدخلها او يتولد فيها من الاسماء والافعال فان الطبيعة تذهب بكثير منها ولا يبقى الا الانسب — سنة الله في خلقه



فعلينا تعليم البنات

لا يغرنك من المرأة حياؤها وانزواؤها ولا تحتقر لين اناملها ورقة احساسها . ولا تعجب وانت شاب بقوة جنانك وكثرة سعيك . ولا تفتخر باستقبالك القنابل في ساحة القتال وجوب البلاد وخوض البحار واذلالك القوى الطبيعية واستخدامك البخار والكهربائية . ولا تفاخر المرأة بقوة سلطانك ولا تهول عليها بصولجانك ولا ترهبها بعلمك وصناعتك واختراعاتك واكتشافاتك . واعلم انك مهما ادركت من العز والسؤدد واحرزت من العلم والصناعة ما انت الا ثمرة غرس بنانها وصنيعة قلبها ولسانها . ولولا قلبها الضعيف ما قوي قلبك ولولا رخص بنانها ما اشتد بنانك . فالمرأة وهي منزوية في مطبخها تؤثر في الهيئة الاجتماعية تأثيراً لا تستطيعه الجنود المجندة ولا تقوى عليه اعاظم رجال العلم والسياسة

ولا يخفى عليك ان المرأة هي الام وهي الزوجة وهي الأخت فالامُّ والزوجة والاخت قابضات على زمام العمران فاما ان يرفعنهُ الى اوج السعادة واما ان يهبطن به الى حضيض الذل . يفعلن ذلك خفية واعتباطاً لا يشعر بهنَّ احد . ولا غرابة في ذلك والرجل مهما

اوتي من المواهب او بلغ من المناصب لا يخلو ان يكون زوجاً او ابناً او اخاً وقد يكون كل ذلك معاً . فهو ربيب امرأة وعشير امرأة ورفيق امرأة وقد اطاعها في طفوليته وحداثته مكرهاً وانقاد اليها في شبابه محباً واكرمها في كهولته شاكراً حامداً وقضى تسعة اعشار حياته بين يديها وقلبهُ طوع ما بين شفتيها . وقد ربي كما تريد وشبَّ كما تشاء . وهو يطيعها بلا امر ويصدع باشارتها بلا قانون ويجري على هواها وهو لا يدري . واذا رأيت يكدُّ في طلب العلى او يجدُّ في التماس العلم او الفضيلة فاعلم انهُ انما يلتمس جهاراً ما اوحت به اليه سرًّا ويسعى قصداً وعمداً في طلب ما غرسته في نفسه اعتباطاً . فالقاضي يحكم في الجلسات العلنية وفي خلال حكمه اظلال انطبعت على مخيلته من انفاس والدته او زوجته . والتاجر يبيعك السلعة وفي خلال حديثه او مساومته رقة او خشونة اولين او فظاظة مما اكتسبه من عشيرة حياته وهو لايعلم . وقس على ذلك الكاتب والصانع والمحامي والطبيب وغيرهم فلا يعمل الرجل عملاً الأ وللمرأة فيه اثر لانها اكثر عوامل الطبيعة تاثيراً عليه . وينسب الفرنساويون كل ما يجري في الناس الى المرأة حسناً كان او قبيحاً فاذا حدث حادث ظلَّ سببه مجهولاً قالوا « فتش عن المرأة » Cerchez la Femme وقال آخرون « ان التي تهزُّ السرير بيمينها تهز الارض بيسارها »

فاذا كانت هذه حال المرأة في الهيئة الاجتماعية فما بالنا لا نلتفت الى ترقية مداركها بالعلم والادب — بحث الباحثون عن اسباب تأخرنا فوجدوا الجهل اكبرها فقالوا بنشر العلم واخذوا يستحثون الهمم على انشاء المدارس العالية وتعميم العلوم الراقية ولكنهم حصروا كلامهم في تعليم الشبان وقلما التفتوا الى المراة وهي اولى بذلك منهم لانها قوام ذلك المجتمع ولا تفلح امة امهاتها جاهلات لاتعرف غيرغرفتها او منزل اهلها . فقد مضت العصور التي لم تكن تطالب فيها بغير الاحتجاب والانزواء . ولا لوم عليها اذ ذاك لان الرجل لم يكن يرضى منها غير ذلك فاذا رغب في زواج ارسل والدتهُ او عمتهُ او بعض ذوات قرابته تنتقي لهُ عروساً فلا يقع اختيارها الأ على التي لا تعرف من الدنيا غير بيتها ومطبخها فتعود وهي تبالغ في مدحها بقولها « ان لها فماً يأكل وليس لها فم يتكلم » فاذا قسم لهُ الاقتران بها افتخرت بعد طول عشرته انها لا تخرج من منزله الأ الى القبر

واذا تتبعت تاريخ المجتمع الانساني رأيت الامم انما ترقى بالمرأة الراقية وتختلف طرق رقيها باختلاف الاعصر والاجيال — دعنا من ضرب الامثال على تأثيرها في الدين وانها اكبر العوامل في نشر التقوى وتهذيب النفوس ودعنا من النظر في تأثيرها على الآداب

الاجتماعية في الدول القديمة والحديثة وخذ امثلة قليلة ممن ظهر في صدر الاسلام من فضليات النساء وكنّ من اكبر العوامل في نهضة العرب ونشر لواء الاسلام بما ربينه من القواد والحكام والعلماء وقد نبغ منهن جماعة من خيرة الامهات والاخوات والزوجات بما كان في نفوسهن من انفة البداوة لشبوبهن على استقلال الفكر واباء الضيم فكنّ يترفعن عن ارتكاب ما يهون على الناشئات في مهاد الذل المغلولات باغلال الحجاب فنبغ منهنّ في الجاهلية وصدر الاسلام نساء لهن شأنٌ وارادة وانفة ورأيٌ وفيهن المدبرة والحازمة والاديبة والشاعرة والتاجرة والصالحة • بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال كسلمة بنت عمر العدوية وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان وعمارة بنت كعب الانصارية وأم حكيم بنت الحارث والخنساء الشاعرة وخديجة بنت خويلد زوج النبي واسماء بنت ابي بكر ذات النطاقين وأختها عائشة أم المؤمنين وعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وغيرهن(١)

ومازال ذلك شان المرأة حتى اركن المسلمون الى الترف وشاع التسري بينهم فآل ذلك الى ذهاب الغيرة من قلوب الرجال وصاروا يتهادون الجواري على اختلاف اجناسهن • فبعد ان كان الرجل لا يعرف غير امرأته والمرأة لا تفكر في غير زوجها وهي واثقة بامانته فاذا هو قد تشتتت امياله بين عدة نساء فقات غيرته عليها • ولما رأته مشغولاً عنها قات ثقتها به الا من عصمها عقلها وشرفها • فلم ينضج التمدن في العصر العباسي حتى تنوسيت المرأة العربية في المدن وذهبت نعرتها وغيرتها وصارت هي تهدي زوجها الجارية وتحبب اليه القرب منها لا يهمها ذلك ولا تغار منه وبعد ان كان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام اذا علموا بحب رجل فتاة منعوه من زواجها صاروا يساعدونه في الحصول عليها

فافضى ذلك الى انحطاط المرأة وذهاب عزة نفسها واستقلال فكرها فاحتقرها الرجل وساء الظن بها وصار يعدُّها عدوة له ويوصي بعدم الاركان اليها فيعاشرها على غل وسوء راي يقفل عليها الابواب والنوافذ ويسد في وجهها الطرق والمسالك ويمنعها من الخروج او الكلام – وهو صاحب الذنب في انحطاطها • فاصبح الطعن في طباع المرأة وسوء سريرتها شائعاً على السنة الناس حتى الفوا فيه الروايات والاقاصيص ونظموا فيها الشعر وتفننوا في وضع الجمل الحكمية والعبارات البليغة في تحذير الناس من المرأة وعدم الوثوق بها

فقضت المرأة المسلمة ومن عاشرها من نساء اهل الذمة مدة الاجيال الاسلامية الوسطى وهي مظلومة محبوسة محتقرة جاهلة • حتى اذا توسط القرن الماضي وفتحت

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الخامس صفحه ٥٨ – ٥٩

المدارس للبنات وزاد اختلاطنا بالافرنج واقتبسنا عاداتهم واخلاقهم وعلمنا تأثير المرأة في هيأتهم الاجتماعية اصبحنا لا يرضينا من فتاتنا ان يكون لها فم يا كل ولا يتكلم ولا ان يكون البيت سجنها المؤبد لا تنظر الى الطرق الا من خلال النوافذ واذا خاطبها رجل تلعثم لسانها واذا ساومت بائعاً باعها القطن حريرًا والنحاس ذهبًا . او اذا رأت برقاً ظنته شررًا يتطاير من عيون الجان او سمعت رعدًا خالته دبدبة خيول العفاريت او اذا رأت حلماً اصبحت تلتمس تفسيره وهي بين خائفة ومستبشرة . واذا قيل خسف القمر عمدت الى النحاس تدقهُ تخويفاً للحوت الذي ابتلعه . تقضي نهارها تسمع من عجائز الخادمات خرافات واقاصيص لا تزيد الجاهل الا جهلاً . واذا انقضت ساعات الاقاصيص عمدت الى اصلاح وجهها بالخضاب وغيره . وهي انما تفعل ذلك تشاغلاً عن البطالة . ثم تعمد الى النوافذ تطل على المارة خلسة وقد اصبح عقلها خزانة اوهام ومخاوف . فضلاً عما قد تؤول اليه الخلوة والبطالة من العادات القبيحة مما لا يليق ذكره . وفي المثل المأثور « الرأس الفارغ مغارة ابليس » فالفتاة الجاهلة المحتجبة تعتاد الاحاديث الملفقة ويهون عليها الكذب والنميمة والغيبة ونحوها

فالمرأة التي هذا هو حالها كيف نعهد اليها بتربية ابنائنا رجال المستقبل وهم انما يكونون كما تريد امهاتهم بل كيف نرجو رقياً والجهل مخيم على منازلنا لا يدور فيها غير الاحاديث الفارغة فاذا لم ترتق نفوس الامهات لا ترتقي نفوس الابناء وهي انما ترتقي وتتثقف بالعلم الصحيح وقلما يفيد تعليم الرجل والمرأة جاهلة . وانَّ تساويهما بالجهل خيرٌ لسعادة العائلة من تفاوتهما على هـذه الصورة لما ينجم عن ذلك من الشقاق لاختلاف الاذواق . واذا كان لا بد لنا من تعليم احد الزوجين واردنا من التعليم ترقية شأن العائلة فتعليمها اولى من تعليمه . ولكن الافضل من هذا وذاك ان يكون كلاهما متعلماً راقياً

وقد شاع تعليم المرأة بين المسيحيين في الشام ومصر ولا يزل ضعيفاً بين المسلمين . مع ان الحكومة المصرية تنبهت لهُ من اوائل هذه النهضة . ومن رجالها الذين اخذوا بناصر المرأة وحثوا الامة على تعليمها المرحوم رفاعه بك المتوفى سنة ١٨٧٥ صاحب الايادي البيضاء في نقل العلم الى العربية ونشره بين معاصريه ـ فقد قال في عدة مواضع من كتبه ان التعليم يجب ان يشمل الذكور والاناث وفصَّل ذلك على الخصوص في كتاب المرشد الامين للبنات والبنين المطبوع بمصر ١٢٩٢ هـ واتى بالاحاديث والآثار المؤيدة لذلك وهي تدلُّ على ان حرمان المرأة من التعليم ليس من قواعد الدين الاسلامي في شيء وانما هي عادة ولدت في

عصر الانهاك والانحطاط وقد اشتهر في العصر العباسي غير واحدة من حافظات القرآن والشاعرات وغيرهن

وبدأت الحكومة المصرية بتعليم المرأة من ايام محمد علي وقرّر ديوان المدارس سنة ١٨٣٦ ان تعليم الاناث ضروري و بدأ تعليمهن بانشاء مدرسة القوابل . والفضل الاول في انشاء المدارس لتعليم الفتيات على النسق الافرنجي انما هو للبرنسيس جشمه عفت احدى نساء الخديوي اسماعيل فانشات سنة ١٨٧٣ مدرسة سمتها مدرسة السيوفية . وكان الاجانب قد انشاوا كثيرًا من مدارس البنات بمصر اقدمها مدرسة مسز ليدر الانكليزية سنة ١٨٣٥ بمصر ثم فتح غيرها مدارس اخرى وكان بعض المسلمين يدخلون بناتهم اليها فلما اقدمت البرنسس عفت على انشاء مدرستها زاد المسلمين اقدامًا على تعليم بناتهم ثم امر اسماعيل نظارة الاوقاف بانشاء مدرسة للبنات

وقضت الاحوال بالاقتصاد فتصاغرت المدرستان ثم توقفتا . وقلما عادت الحكومة الى العناية بذلك . واما الاهالي فانشاوا عدة مدارس اكثرها للافرنج ويؤخذ من احصاء المدارس لهذا العام ان في مصر الآن ٩١ مدرسة للبنات منها ٢٣ مدرسة مصرية و٦٨ اجنبية غير المدارس المختلطة وعدد تلميذاتها جميعًا ٢٠,٤٤١ فتاة منهن ١١,١١٢ من بنات الوطنيين و٩,٣٢٩ من الاجانب فتكون نسبة بنات المدارس الوطنيات الى تعداد الاهالي نحو واحد في الالف واما الاجانب فنحو ١٠ في الالف . واما الذكور فمدارسهم ٢٨١ مدرسة وتلامذتها ٧١,٦٦٦ تلميذاً منهم نحو ٦٠,٠٠٠ من الوطنيين

ويكفي الاطلاع على هذه الارقام للاقتناع بضعف تعليم البنات عندنا وشدة حاجتنا الى زيادة المدارس لتعليمهن . ويسرنا ان ناظر معارفنا العاقل الحكيم قد صرح بهذه الحاجة في بعض خطبه وحث الناس على انشاء المدارس لهذه الغاية . وان روحًا جديدة دبت في قلوب بعض الغيورين للسعي في هذا السبيل . فاذا ارادوا رفع شان الامة ساروا في هذا المسعى بهمة وثبات ـــ فان الامة نسيج الامهات

اطيب الطيبات على رأي الشعراء

قال الخليع :

اطيبُ الطيباتِ امرٌ ونهيٌ لا بردّانِ في الامورِ الجسامِ
وامتطاء الخيولِ في كنفِ الامـنِ بغيرِ الاقدامِ والاحجامِ

صحة العائلة

كشكول طبيب

حمل هذا الكشكول من قبلي عالمنا الشهير الدكتور شميل وقد اعجبت به لحلاته سرقته لنفسي كما يفعل الاتقياء بقايا القديسين ... على اني جانٍ عليها بما فعلت لان هذا الكشكول بعيد الغور واسع الارجاء اذا حمله شيخنا الفيلسوف فغزارة مادته تملأ فراغه وقلمه السيال يخلق معانيه و يصرفها كما يشاء من هبوب الريح الى هدير الماء الى دبيب النمرة او الكهرباء . اما انا فأخاف ان أجهد قلمي فتكون خطواته عثرات توقف الفكر اوترجعه الى الوراء لان اجهاد القوى مضعف لها وما ضر انساناً مثل جهله قياس نفسه وتحميله الجسم فوق طاقته . خذ وعاء لا يسع من الماء الا قدراً معلوماً وجرّب ان تضع فيه اكثر مما يسع فانك لن تجد الى ذلك سبيلاً وكل نقطة تضيفها الى الكاس الدهاق تذهب جزافاً فتشعر بالحاجز الذي تضعه المادة في وجهك واما الجسم الانساني فانه يحتمل بالاجهاد اكثر مما في وسعه لانه وعالاسرن لا تجد فيه الحاجز الذي تجده في الكاس وهذا هو الخطر لانك تتوهم فيه مقدرة هي في الواقع غريبة عنه فتضعفه من حيث لا تدري والاضعاف واسطة الى المرض . لو انتبه الانسان لهذه القاعدة الطبيعية لخف كثير من شقائه لان اكثر الآلام والامراض والمصائب الاجتماعية التي تعرض له ناجمة عن جهله حدود قوته واغتراره بما يملك منها فاذا كان ضعيفاً تراه يحاول مجاراة القوي في عاداته واخلاقه او سقيماً فيود ان يكون كالصحيح الجسم في احوال معيشته . يأكل و يشرب و يسهر ويلهو و يقوم بحاجات النفس لا على نسبة استعداده بل على نسبة امياله واطماعه . فالقوي آفة الضعيف في هذا العالم لا لانه يظلمه مباشرة بل لانه يدفعه الى مجاراته فيندفع بما ركب فيه من حب التمتع بكل مظاهر القوة . ليس في طاقة كل فرد سهر الليالي او صعود الاماكن العالية او الاكثار من الاكل مثلاً وقلما تجد مع ذا من يمتنع عن السهر اذا كان سقيماً او صعود الجبال اذا كان ضعيف القلب او الاسراف في الطعام اذا كان ممعودا . لان طاقة الانسان على العمل لا تقاس بالمترولا توزن بالغرام وانما تعرف بالاختبار و يشعر بها بالحس والمراقبة فعلى الانسان درسها منذ الصغر بل قبل ان يدرك و يترتب على القائم بالتربية معرفتها وكم من

الاطفال يبكون و يتألمون و يموتون لجهل المربي بأمرهم وكثيراً ما دُعيت لحوادث في الاطفال شبيهة بالتسمم يرافقها قيء واسهال ومغص وانحطاط قوى وكان سببها زيادة في الرضاعة لان العادة عندنا ان يقدم الثدي للطفل كلما بكى ظناً ان بكاءه عن جوع وقد يكون عن سوء هضم فيزيدون عذابه من حيث ارادوا تخفيفه وهم لا يشعرون . وكلما ترعرع الفتى اصبح الخطر من مجاوزته حدود الطبيعة اشد لكثرة العوامل التي تتنازعه فعليه مقاومة التيار وان يجعل نسبة بين جهده واستعداده فلا يلتفت لما يعمله سواه بل لما يمكنه هو ان يعمله . فاذا رأيت صديقك مثلاً يقطع بدراجته ٢٠ ميلاً في الساعة فذلك دليل ان قلبه سليم ورئتيه صحيحتان ولكنه لا يدل على ان قلبك ورئتيك كذلك . واذا استحسنت في جارك الرياضة العضلية فلا تستسلم لها قبل ان تزن استعدادك وتقيس قواك لان الرياضة تعرض لمؤثرات الجو ورطوبات الهواء والتربة وقد تكون متألماً باعصابك فتزيدها الاماً . وما قلته عن الاحوال المادية ينطبق على غيرها واكثر ما يكون في المدارس ولا سيما ايام الفحص والمسابقات فكم من المجدين المجتهدين الذين تخونهم الحافظة والذاكرة فتراهم يحملون النفس فوق الاستطاعة ويفرغون الطوق في اللحاق برفقائهم ولا يسلمون من التقصير. وهنا مجالٌ لتذكير المعلمين ان لا يقتصروا في المكافأة على السابقين وان يقدروا الاجتهاد والهمة قدرهما وان كانا الى الفشل

ولا يستنتج مما سبق اننا ننكر فضائل التشبه او استطاعة الانسان على اصلاح حاله وتحسين صفاته بالتربية ولكنه اسهل علينا ان نكتسب عادة جديدة مضرة من ان نكتسب قوة ينتفع بها الجسم والعقل ولذلك كان من الواجب الاهتمام بالخطوة الاولى التي قال عنها « روسو » انها اذا كانت الى الخير فقد أمن صاحبها العثار . فليدرس الآباء حركة اولادهم واميالهم وهي في الطفولة ليقوموا ما اعوج منها وكما يسندونهم عند ما يأخذون بالوقوف على ارجلهم الضعيفة عليهم ان يسندوهم في سيرهم الادبي والصحي ولا يختص الصغار بهذه العناية لان العادات القبيحة قابلة ان تكتسب في سائر ادوار الحياة والجسم كالنبت يجب تعهده بالسقي والتقويم فاذا تعذر نزع العادة المتملكة فلا يتعذر الوقاية منها قبل ان تتملك

ان السر في الصحة أن يتعود الجسم على اتباع حاجاته الطبيعية ولا يحيد عن الجادة التي رسمها له استعداده وهذا هو اساس التربية لان كل حركة تصير بالتكرار عادة والجسم يشبه الثوب الذي نلبسه فاذا طويت القماش مرة بقي عليه اثر الطي وكل خيط من الياف الجسم اذا اصابه اثر حفظه في ذاكرته وصار مستعداً للتأثر بمثله لادنى سبب . كذلك

مثلاً ما يجري في كثير من الاحوال اذ يستيقظ الواحد منا ليلاً لسبب بسيط كصوت غير منتظر او تلبك معدة او حرارة غطاء فاذا جاءت الليلة التالية فيغلب ان يستيقظ في مثل الوقت نفسه وما سبب هذه المرة الا ما حفظه الجسم في ذاكرته من اثر اليقظة السابقة وهي عادة مرضية قد تبقى اياماً فاذا تكرر السبب في الاسبوع الثاني مثلاً تحولت العادة الى ارق ولا يحتاج لا كثر من هذا ليخلق المرض من لا شيء

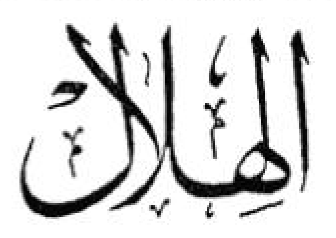
ومثل ذلك تعوُّد الانسان ان يأكل او ينام في اوقات معلومة فاذا جاءت الساعة المعينة شعر بالجوع اوالنعاس وانا اعرف من لا ينظر الى ساعته لمعرفة هذه الاوقات بل يكفيه الاحساس بها ومن هذا القبيل نداوي الامساك المستعصي فننصح للمصاب به ان يترك العقاقير و يوالي الخروج لحاجة نفسه في ساعة معينة فتنتعي الامعاء بالتعود وكذا قل في سائر الاعمال ولا سيما العقلية منها فقد كان بلزاك ينبه دماغه بالنور وغيره بالدخان والقهوة والخمر والموسيقى الا ان بعض هذه الوسائط مضر ولا تنفع الا اذا استعملت في اوقات معينة فيكون العامل فيها اذا تامل الاثر مكرراً اذ ليس في الحقيقة من منبه للعمل الا العمل نفسه فاذا كنت كاتباً فاجلس امام طاولتك في ساعة معينة وانتظر فيهبط عليك الوحي وتخضع لك المعاني

ان طية الثوب لا تذهب ان لم تمر عليها الحديد الحامي ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه ولكنه يبقى به عقدة الوصل . انظر الى المرأة فانها اذا سقطت مرة بقيت سائر عمرها موضع المظنة في عين الرجل (ما اظلم الرجال) وذلك لان الادب الغريزي امام يتجعد كطية الثوب وقس عليه سائر الاعمال الساقطة والدنيئة . الا ترى مثلاً كيف نتكرم على المذنب بالعفو ولا نتكرم عليه بنسيان زلته فلا نزال نتحذر منه . مُحيت غلطته ولكن كل شرائع العفو لا تقوى على محو الحذر من نفس الشاهد كالحبة التي تظهر في اديم الوجه اذا فقئت تركت اثراً لا يزول بعد سنين او كالكسر الذي يصيب العظم يجبر و يبقى مكانه ضعيفاً يؤلمه البرد او التعب او صدمة ما وتؤثر فيه عوامل الامراض قبل غيره من اجزاء الجسم وربما كان الكي المستعمل في بلادنا نافعاً على هذه الكيفية لان المصاب بنزلة شعبية او آلام عصبية يراها تنصرف نحو المكان الضعيف دون غيره

تبين لك مما تقدم انه لا يجب ان تأتي فكراً او عملاً يكون من تكراره ضرر وعليك ان تجانب كل ما من شأنه ان يترك في بدنك او عقلك اثرطية تشقي او تشين . ولكن كم من الناس يدفعهم الاعتداد بنفوسهم الى الهوة التي يحذرونها سواء بمجاوزتهم حدود القوة التي فيهم او بعدم انتباههم للخطوة الاولى . فالولد الذي يدخن لاول مرة يأتي بنفسه في

مأزق يصعب الخروج منه والسكير اول ما يشرب يبتدي مقلداً بجرعة صغيرة كالدواء وكذا سائر العادات كالمقامرة والسرقة والعدوان وليس بمستصعب ان يعرف الانسان متى يتعدى حدود القياس الذي وضعته له الطبيعة فان كان الاجهاد مادياً ضاعت لذة النوم ولم تعقبه الراحة المعهودة بالصباح وقلت همة النفس ولم تعد تجد ارتياحاً الى العمل كالسابق · وان كان عقلياً كان الارق اول نتائجه وبات الموضوع شغلاً شاغلاً للفكر فاذا قام او قعد او خلا الى نفسه تمثل الموضوع لمخيلته كشبح مزعج يدفعه عنها فيعود اليها · اذا نظرت الى اضطراب الدماغ المؤدي الى الجنون وجدت اول درجاته مروق الفكر عن سلطة الارادة وفي الاجهاد العقلي يستقل الفكر عن الارادة ايضاً فهنا جرف هار اذا لم يقف الانسان عنده لم يأمن من السقوط فيه وقد ذكروا حوادث من الجنون عديدة وقفت عند هذا الحد بالانتباه لها فأبل المريض ولذلك ارى ان المرض نافع لا يحق ان نسميه خادم الموت بل خادم الحياة لانه جهاد بين الدم والمكروب ولولا انذاره لاسرع الينا الموت بدون ان نشعر · نغفل امر الصحة حيناً بالتعرض لمؤثرات الجو مثلاً فيأتينا رشح خفيف او نزلة لطيفة او مرض آخر جليل القدر ينذرنا ويدعونا الى مداراة انفسنا حتى اذا شفينا كان لنا من الاختبار ما يمنعنا العودة الى مثله · واذا لم يتمن الشفاء لمريض فذلك لانه لم يسمع انذار المرض في حينه ولم يشعر بدبيبه من اول الامر · ناهيك بما للامراض من الفضل على الاخلاق فان الصبر والشجاعة والثبات من صفات المتألمين والنفوس الخشنة التي تنفر من الالم وتنكر فضائله قليلة لا تذكر في جنب من يحبونه · هل رأيت الطف من اخلاق الاعمى واشرف من ابتسامة الصبور واسمى من نصائح البائس المتعذب · قال موسي شاعر الفرنسيس ما معناه الانسان تلميذ استاذه الالم ومن لم يتألم لا يزال يجهل نفسه فالالم اصل النبوغ والحكمة والشجاعة بتعويده صاحبه على حالة واحدة من التعب لا تتبدل وكل فلاسفة الالم عرفوا برقة شعورهم البالغة الى الضعف · ولا يوصف بالشراهة وحب الذات والفساد الا من كان صحيح الجسم قوي البنية بعيداً عن العلل غريباً عن الاوجاع · واذا تاملت في فضائل المريض وجدتها محصورة في كلمة واحدة هي التضحية ولذلك ترى « ميشله » يمدح الزوجة النحيفة البنية ويفضلها على غيرها لرقة احساسها وحسن اخلاصها بل ان كثيراً من الناس يودون الوقوع في العلل ليحصلوا على هذه النعمة الا انه لا يجب اجهاد الطبيعة حتى في مثل هذا وانا لو كنت فيلسوفاً لتمنيت لقرائي المرض ولكنني طبيب . . .

(النحلة) الدكتور فياض



الجزء الخامس من السنة السادسة عشرة

اول فبراير (شباط) سنة ١٩٠٨ و٢٨ الحجة سنة ١٣٢٥

اشهر الحوادث واعظم الرجال



اللورد كلفن

او السير وليم طمسن

اللورد كلفن

او السير وليم طمسن

العالم الفيلسوف الطبيعي الانكليزي

ولد سنه ١٨٢٤ وتوفي سنة ١٩٠٧

تمهيد في علماء الادب وعلماء الطبيعة

ليس بين قراء العربية من لا يعرف اسم هوميروس وهيرودوتس وفكتور هوكو واسكندر دوماس وشكسبير وامثالهم من علماء الادب والشعراء الاجانب كما يعرفون المتنبي وابن القارض وابن الاثير وابن خلدون والبحتري وابن المقفع وغيرهم من شعراء العرب ومؤرخيهم وأدبائهم • وأما الذين يعرفون اسماء نيوتن وسبنسر وباستور وهكل وتيلر وكلفن وغيرهم من فلاسفة الطبيعة او الاجتماع فانهم قليلون • وأقل منهم الذين يعرفون اسماء ابن رشد وابن باجة وابن الطفيل وجابر والكندي والخوارزمي من فلاسفة المسلمين وعلمائهم • لان العامة يهتمون بمن يضرب على اوتار قلوبهم او يقص عليهم اخبار اسلافهم كالشعراء والمؤرخين وكتاب الادب اكثر من اهتمامهم بمن يعالج اسقامهم او يملأ جيوبهم بما يبذله في الابحاث الكتريولوجية في ترقية التجارة او الصناعة كفلاسفة الطبيعة والكيماويين والاطباء والمخترعين والمكتشفين — ذلك هو شأن الناس في كل دور من ادوار العمران ولكن العاقل يعلم ان لعلماء الطبيعة فضلاً كبيراً في انشاء هذا التمدن لانه قام على العلم والصناعة من فضل البخار والكهربائية ناهيك بالاكتشافات الطبية والصحية • والتمدن مدين بذلك كله للعلماء الطبيعيين ولاسيما الذين نبغوا في اثناء القرن الماضي وآخر من فقدناه منهم اللورد كلفن العالم الفيلسوف

منشأه

هو انكليزي المنشأ والوطن ولد في بلفاست من مدن انكلترا في ٢٦ يونيو سنة ١٨٢٤ وكان والده جيمس طمسن من عائلة متوسطة الحال من ارياف انكلترا • ولد جيمس المذكور في بلدة باليناهنش من عمل داون وفيه ذكاء ونشاط وأخذ في طلب العلم بالاجتهاد والدرس على نفسه حتى اصبح قادراً على الارتزاق بالتعليم • فتعاطى هذه المهنة في بلده ونفسه تتطلب المزيد وأحواله المالية لا تأذن له بدخول المدارس الكبرى فقسم وقته

شطرين شطراً للعمل وادخار النقود وشطراً للتعلم فكان يقضي الصيف يعلم في بلده ويقيم في الشتاء على غلاسكو يتلقى فيها العلم حتى نال رتبة دكتور في الحقوق • وفي أثناء ذلك انشئت كلية بلفاست (ثم صارت كلية الملكة) فتعين جيمس طمسن استاذاً للرياضيات فيها وبعد بضع سنين وذلك سنة ١٨٣٢ تعين استاذاً لهذه العلوم في جامعة غلاسكو فانتقل بعائلته اليها واشتهر بعقله الرياضي وله زيادات مهمة في الجبر والحساب • وكان له ولدان أكبرهما يسمى جيمس مثل ابيه والآخر وليم (وهو اللورد كلفن) وكان جيمس رياضي العقل مثل ابيه وقضى سنين عديدة استاذاً للهندسة في جامعة غلاسكو وله اكتشاف عظيم الاهمية في الطبيعيات يتعلق بحط درجة تجليد الماء بواسطة الضغط

فلا عجب اذا نشأ وليم صاحب الترجمة عالماً في الطبيعيات والرياضيات لانه ورث الميل الى هذه العلوم والاقتدار عليها من والده فضلاً عما اكتسبه من مبادئها في صباه لمعاشرة ابيه — وتوارث المهنة الواحدة في عدة أعقاب من افضل وسائل الاتقان والارتقاء لان كل رجل يمهد السبيل لمن يخلفه ويزداد العمل سهولة بتوالي الاجيال • وكان القدماء يتوارثون الصنائع والمناصب والمتاجر فابن الحداد ينشأ حداداً وابن التاجر يتعاطى التجارة • وكثيراً ما كانت المناصب تنتقل بالارث فيكون ابن العامل عاملاً وابن الوزير وزيراً ولذلك امثلة كثيرة في التمدن الاسلامي وغيره • اما اليوم فكأن التمدن الحديث يقضي بعكس ذلك اذ يندر أن يتعاطى الولد مهنة ابيه واذا تعاطاها فقلما يتقنها وخصوصاً المهن العلمية فلا نعرف من كتاب هذا العصر في اوربا من عمل ابناؤه على السير في خطته الا قليلين اشهرهم اسكندر دوماس وابنه اسكندر الصغير • اما نحن فلم يظهر احد من ابناء علمائنا في هذه النهضة بمصر والشام من تحدى اباه في خدمة العلم ولعل السبب في ذلك حداثة عهدنا في هذا الميدان

ترجمة حاله

كان وليم طمسن لما انتقل ابوه الى غلاسكو لم يتجاوز الثامنة من عمره وهو الى ذلك الحين وبعده بسنتين يتلقى العلم على ابيه . وناهيك بأب يعلم ابنه كيف يتدرج الى تفهيمه بكل وسيلة ولا سيما اذا آنس فيه ذكاء ورغبة . فتقدم وليم على يد أبيه تقدماً مدهشاً ولم تنقضِ السنة العاشرة من عمره حتى استحق الدخول في جامعة غلاسكو وصار واحداً من طلبتها . ولم يعرف احدٌ خطا هذه الخطوة في هذا السن قبله . واشتهر بين رفاقه هناك باقتداره العقلي في الرياضيات والفلسفة الطبيعية وظهرت تباشير مستقبله المجيد بمقالة

كتبها يومئذ في شكل الارض وان لم يصرف همه من ذلك الحين الى المواضيع العلية . وانتقل من غلاسكو الى كلية سنت بيتر في جامعة كمبريدج وقبل ان يتجاوز الثامنة عشرة نشر مقالات عديدة في جريدة كمبريدج ودبلن الرياضية وفي جملتها ابحاث دقيقة في الحرارة وانتقالها والكهربائية ونحو ذلك مما شغلهُ في مستقبل حياته . وفي الحادية والعشرين من عمره احرز السبق في الامتحان الرياضي العالي على مئات من التلامذة الا واحداً ونال الجائزة على امتيازه واستحق الشهادة وعضوية تلك الكلية . وكان كثير الاشتغال بالرياضة البدنية كثير السبق فيها لكنهُ اصيب بعاهة اقعدتهُ عنها

ولما نال الشهادة رحل الى باريس اقام فيها حيناً يشتغل في معمل رينول الكيماوي وفي السنة التالية (١٨٤٦) التي اكمل بها السنة الثانية والعشرين من عمره تعين استاذاً للفلسفة الطبيعية في جامعة غلاسكو وعهد اليه بتحرير « جريدة كمبريدج ودبلن الرياضية » فقضى في تحريرها سبع سنوات يساعده على ذلك غير واحد من كتاب العصر . والتقى سنة ١٨٤٧ في المجمع العلمي باكسفورد بالعالم جول وهو يبحث يومئذ في الحرارة وعلاقتها بالحركة فتعارفا ودامت صحبتهما بعد ذلك اربعين سنة تعاونا فيها بالبحث المذكور بخدم العالم خدماً جزيلة . وظل وليم عاملاً في خدمة العلم كل ايامه فاُتى باكتشافات جزيلة الفائدة ونال لقب سير ثم لورد كما سيأتي

اعماله ومآثره

الحرارة والحركة بدأ ابحاثهُ الطبيعية بالحرارة وكان العلماء قبلهُ واشهرهم يومئذ كارنو يذهبون الى ان الحرارة مادة تنتقل من جسم الى آخر كما ينتقل الهباء في الهواء فذهب جول الذي ذكرناه الى علاقة الحرارة بالحركة وقال ان الحرارة انما هي حركة في المادة وليست المادة نفسها . اما طمسن فوفق بين مذهب كارنو والمذهب الصحيح وبرهن رياضياً بمقالات متوالية اثبت فيها بالادلة العلمية الصحيحة ان الحرارة حركة في دقائق الاجسام تنتقل كما تنتقل كل حركة تموجية او اهتزازية في سائل او غاز . ونتج من ابحاثه في هذا الشأن اكتشاف حقيقة من أهم الحقائق الطبيعية وهي تبدد القوة بانتقالها من شكل الى آخر . اي ان القوى الطبيعية وهي الحرارة والنور والكهربائية والمغنطيسية اذا انتقلت من احد هذه الاشكال الى شكل آخر ضاع شيء منها لان بعضها يتحول في اثناء ذلك الانتقال الى حرارة تتبدد بالاشعاع واستنتج من ذلك ان الكون ذاهب الى الموت لذهاب حرارته بالتدريج فاذا ذهبت اصبح خراباً بلقعاً

﴿ التلغراف في البحر ﴾ ومن اهم اعماله المفيدة نجاحهُ الباهر في مد الخط التلغرافي تحت الاوقيانوس . وذلك ان العلماء كانوا يظنون طول المسافة تحت الماء يفسد العمل فلا يمكن مد السلك تحت الاوقيانوس بين اوربا واميركا . وكان طمسن مهندساً كهربائياً لشركة التلغراف في الاتلانتيك فذهب سنة ١٨٥٦ الى امكان ذلك واخترع لاثبات رأيه المقياس الكهربائي بالمرآة الحساسة وبرهن بالفعل ان مد الاسلاك التلغرافية تحت الماء ممكن وقد مدُّوه فعلاً ولا يزال ذلك متبعاً الى الآن . وتفرع عن هذا النجاح اختراع عدة آلات كهربائية كالعداد او المسجل الذي يسجل الرسائل البرقية تحت الماء وهو شائع الاستعمال الآن في الخطوط التلغرافية البحرية الطويلة . ولما افلح طمسن في عمله كافأته الحكومة الانكليزية برتبة نايت ولقب سير فصار يعرف من ذلك الحين باسم « السير وليم طمسن » وارتقى في منصبه الكهربائي وتسابقت الشركات الى استثمار مواهبه فتعين مهندساً كهربائياً في اهم شركات التلغراف البحري يومئذ البرازيلية والهندية الغربية والاتلانتيكية فزاده ذلك نشاطاً وعملاً فاصطنع عدة آلات لقياس الكهربائية او توليدها او توجيهها

﴿ الابرة المغنطيسية ﴾ كان صاحب الترجمة يحب سفر البحار وهو شديد الملاحظة سريع الانتباه فكثيراً ما كان يكتشف خللاً او نقصاً في بعض الآلات المستخدمة للملاحة ويصلحها . واهم افضاله في ذلك اصلاح الابرة المغنطيسية (الحك او البوصلة) فاصطنع ابرة تمتاز بدقتها وقلة تأثرها مما يحيط بها من الاجسام الحديدية وكانت قبل ذلك تتأثر مغنطيسيتها من حديد السفن المدرعة او غير المدرعة فلا تدل على الجهات دلالة دقيقة ولا يزال اصلاح السير وليم طمسن متبعاً الى اليوم . واستنبط طريقة للحساب في ايجاد الجهة المطلوبة فتسهلت بذلك الاسفار البحرية

﴿ آلة قياس العمق ﴾ لا يخفى احتياج ربان السفن الى معرفة عمق المياه التي يمخرون فوقها وكان عندهم آلة تقاس بها الاعماق ولا تفي بالغرض فاصطنع آلة يقاس بها عمق البحر الى ٦٠٠ قدم والباخرة سائرة بسرعة ١٦ عقدة في الساعة . واخترع طرقاً وآلات لقياس الموج والتنبوء بالمد والجزر وغير ذلك من مسهلات الملاحة

﴿ آراؤه في باطن الارض ﴾ كان العلماء يظنون باطن الارض مصهوراً لما يعلمونهُ من تزايد الحرارة بتزايد التعمق في قشرة الارض فقدروا ان الحرارة بعد عمق معين تبلغ درجة تصهر بها اصلب المعادن فذهبوا الى ان جوف الارض يجب ان يكون مصهوراً بالحرارة بدليل ما تقذفه الارض احياناً من الحمم من افواه البراكين فذهب

طمسن الى خلاف ذلك وبيّن ان باطن الارض لا يمكن ان يكون مصهورًا والأ لما امكن دورانها على نفسها لان البيضة النيئة لا تدور . ووافقهُ في هذا الرأي جورج داروين فبين ان باطن الارض يجب ان يكون اصلب من ظاهرها ودفع حجة القائلين بسيولته بناء على وجود الحرارة الكافية لصهر المعادن بان درجة الغليان او الصهر ترتفع كلما زاد الضغط على الجسم المراد غليانه او صهره والمعادن في جوف الارض يزداد الضغط عليها بالعمق اكثر من ازدياد الحرارة . وقد بسطنا ذلك في مكان آخر من الهلال

❊ رأيه في اصل الحياة ❊ تناقش العلماء في اواخر القرن الماضي في اصل الحياة وهل تولدت من نفسها او ارتقت عن جماد فدخل طمسن في البحث وذهب الى ان الحياة اتت الارض من بعض الاجرام الأُخر بواسطة النيازك . وقد جادلهُ غير واحد من معاصريه فأثبت امكان ذلك بادلة وامثلة عديدة . ولكن رأيه اذا صح فلا يحل شيئًا من المشكل الاصلي الذي عليه مدار البحث لان الحياة اذا ثبت هبوطها الى الارض مع بعض النيازك فلا يزال اصل تكوّنها مجهولاً

❊ الكهربائية والحرارة ❊ ومن اهم اكتشافاته تحول الحرارة الى كهربائية وابحاثه في العلاقة بين خصائص المادة من حيث الحرارة والكهربائية ولهُ رأي في الجوهر الفرد يطول بنا تفصيلهُ

(ابحاثه في النور) وقد جره البحث في الحرارة والكهربائية الى النظر في نواميس النور وانتقاله بحركة دقائق المادة في الاثير ونظر في ماهو الاثير ونوع حركته بما لا يخرج عن التخمين والفرض ولكنه ادى الى ترقية علم البصريات وحل كثيرًا من مشكلاته

(مؤلفاته ومخترعاته) خلف صاحب الترجمة كثيراً من المؤلفات والرسائل غير الخطب في الجمعيات والمقالات في المجلات والجرائد وكلها ابحاث علمية تفتقر الى اعمال الفكرة والامعان لصعوبة المواضيع واختصار عبارة المؤلف . واكثر كتبه في الفلسفة الطبيعية والكهربائية والمغنطيسية والرياضيات والطبيعيات وهو يتوخى المنطق في اثبات آرائه . وقد كثرت الآلات التي اخترعها حتى انشأوا لها حانوتاً خاصاً في غلاسكو توضع فيه لا تخالطها مخترعات أخر — عمل ذلك كله وهو يدرّس الفلسفة الطبيعية في مدرسة غلاسكو ولم يستعف منها الا سنة ١٨٩٩ وظل عاملاً في البحث والتأليف حتى توفي في ١٧ دسمبر الماضي وهو في الرابعة والثمانين من عمره

منزلته

فلما ظهرت اعمال هذا الفيلسوف العظيم انهالت عليه المكافآت من الدول والجمعيات الجامعات • فرقته حكومة الانكليز سنة ١٨٩٢ الى رتبة الاشراف مع الانتساب الى كلفن وهو مكان بقرب جامعة غلاسكو وعرف من ذلك الحين باسم « اللورد كلفن » ومنحته فرنسا والمانيا وبلجيكا ارفع الاوسمة واسمى علامات الشرف • ونال رتب جامعات اوبسالا واكسفورد وكمبردج وغلاسكو ودبلن وهيدلبرج ومونتريل • وتعين عضواً في اشهر الجمعيات العلمية في العالم وقضى من سنة ١٨٩٠ — ١٨٩٥ رئيساً للجمعية الملوكية وتعين سنة ١٨٧١ رئيساً للمجمع العلمي في ايدنبرج وتكرر انتخابه رئيساً لجمعيتها العلمية • ونال منها ومن غيرها كثيرا من الاوسمة والمداليات اقراراً بفضله على العلم

وافخم ما ناله من علامات الشرف الاحتفال بيوبيله سنة ١٨٩٦ فقد كان يوماً مشهوداً اجتمع فيه نخبة علماء الارض في مدينة غلاسكو ينوبون عن علماء بلادهم للاحتفال بيوبيل ذلك الفيلسوف الكبير • وارسلت الملكة المرحومة وولي عهدها (الملك الحالي) رسائل التهنئة • وبعثت جامعات بريطانيا وايرلاندا ومعظم جامعات العالم وجمعياتها نواباً يشهدون عنها ذلك الاحتفال • ووهبه مجمع فرنسا العلمي في ذلك اليوم وسام اراغو ولم يعط قبله الا ثلاثة انفس

واشترك بذلك الاحتفال شركة التلغراف البحري فهنأته تلغرافياً على يد لجنة الاحتفال برسالة نقلت على سلك طوله ثلاثة ارباع محيط الارض فوصلت اليه في سبع دقائق ونصف بعد ذلك السفر الطويل وهو مع تلك اللجنة في غرفة واحدة وانما فعلوا ذلك اكراماً له وختمت منح الشرف عليه برتبة الاستحقاق التي نالها من ملك الانكليز سنة ١٩٠٢ وانتخب سنة ١٩٠٤ ناظراً لجامعة غلاسكو

صفاته ومناقبه

قد علمت مما تقدم انه كان ذكي الفؤاد عالي الهمة واسع العلم وانه بقية قهارمة العلم في القرن التاسع عشر وكان مع ذلك لطيف العشرة رقيق الجانب سليم القلب ينسى نفسه في سبيل واجباته — يدلك على ذلك استهلاكه في خدمة العلم بما اتاه من الاختراعات والاكتشافات والمؤلفات في اعوص المسائل العلمية وكان متواضعاً يخاطب التلامذة كما يخاطب الزميل او الصديق • ولم يكن يفعل ذلك تكلفاً ولكنه كان يعلم ان الانسان مهما بلغ من علمه فغاية ما يصل اليه ان يدرك مقدار جهله • ولذلك قال في خطابه الذي القاه يوم

اليوبيل ما معناه « قد خدمت العلم عمرًا طويلاً وانا ابحث واعلم واؤلف بثبات ونشاط ولكن وا اسفاه لا اعرف الآن عن حقيقة الكهربائية والمغنطيسية او النسبة بين الاثير والكهربائية او المادة والاتحاد الكيماوي اكثر مما كنت اعرفهُ يوم بدأت بتدريس تلامذتي الفلسفة منذ خمس وخمسين سنة »

وعرف بين الاساتذة بغزارة المادة وسعة العلم اذا القى على تلامذته درساً تدفق في بسط الموضوع تدفق السيل فكان الضعفاء يشكون من غزارة المعاني التي يلقيها عليهم وهم لا يستطيعون تفهمها جيدًا . واما النبهاء فكانوا يستفيدون منه اضعاف ما يمكن ان يستفيدوا من سواه . وكان اللورد كلفن شديد الانكار للارواح واستحضارها واذا ذكرها اشار اليها باستخفاف . تزوج مرتين الاولى سنة ١٨٥٢ وتوفيت امرأته سنة ١٨٧٠ فتزوج بأُخرى ولم يخلف من يحمل لقبه ومنصبه

الحنين الى الوطن

قال بعضهم

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما اتاهُ الركبُ من نحو ارضه تنفس يستشفي برائحة الركب

وقال آخر

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي واضحى فؤادي نهبةً للهماهمِ
حنيناً الى ارض بها اخضرَّ شاربي وحلَّت بها عني عقود التمائمِ
والطف قوم بالفتى اهل ارضه وارعاهم للمرء حق التقادمِ

وقال آخر

أحنُّ الى ارض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصرُ
وما نظري من نحو نجدٍ بنافعي أجل لا ولكني على ذاك انظر
افي كل يوم نظرةٌ ثم عبرة لعينيك يجري ماؤها يتحدر
متى يستريح القلب اما مجاورٌ حزين واما نازح يتذكر

الاجتماعية والاشتراكية

Socialism & Communism

كتب الدكتور شميل الى جريدة الاخبار ملاحظة على فقرة تتعلق بمذهب الاشتراكية جاءت عرضاً في مقالة لسامي افندي جريديني فادى ذلك الى مناقشة في الاشتراكية ونسبتها الى المجتمع الانساني تناقضت فيها الآراء واختلفت طرق البحث فاوعز الينا بعض الاصدقاء ان نكتب مقالة نبسط فيها الكلام عن حقيقة هذا المذهب وتاريخ نشوئه وسبب هذا التناقض بشأنه

اما ما يظهر من تناقض الباحثين فيه فسببه على الغالب توسعهم في فهم المراد من لفظ الاجتماعية او الاشتراكية فيفسرها كل منهم بما يلائم رأيه • وقد يكون سبب التناقض بين كتابنا الاختلاف في اصل معنى الاشتراكية فاذا أريد بها الكوموزم (Communism) صح انتقادهم عليها الاشتراك بالاموال وغيرها واذا ارادوا السوسيالزم (Socialism) صح اطراؤها وامتداح اصحابها لان غرضها الاساسي اصلاح المجتمع البشري على العموم • والكوموزم ضرب من السوسيالزم تطرف اصحابه في آرائهم الاجتماعية حتى خالفوا الطبع والعادة كما سنبينه في ما يلي ودفعاً للالتباس نعبر عن السوسيالزم بقولنا «الاجتماعية» وعن الكوموزم بالاشتراكية

الاجتماعية

١ — في التمدن القديم

يراد بالاجتماعية مذهب القائلين بافتقار المجتمع البشري الى اصلاح في نظامه الاداري والسياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي • ومرجع ذلك الاصلاح عندهم الى مساواة الافراد بالحقوق والواجبات بحيث ينال كل فرد ما يستحقه على نسبة عمله • وهم يرون نظام الاجتماع مختلاً لا عدل في احكامه ولا مساواة بين طبقاته اذ يستأثر بعض افراده بالاموال او السيادة • ويبقى سائرهم في ضنك وفاقة فيشكو اولئك من التخم كما يشكو هؤلاء من الجوع • فالاجتماعية تطلب نصرة الضعيف على القوي فهي بهذا الاعتبار قديمة كالانسان لان الناس ما لبثوا ان تكاثروا وتنافسوا حتى تغلب قويهم على ضعيفهم واستبد كبيرهم

بصغيرهم فاستأثر الأقوياء بأسباب السيادة والرفاه ولا فضل لهم في الغالبة لانهم لم يغلبوا بشيء أتوا به من عند انفسهم وانما غلبوا بمواهب ورثوها من آبائهم او بوسائل اعدتها لهم الاقدار ووفقتهم اليها الاحوال . فهم في الحالين صنيعة العوامل الطبيعية والاجتماعية ولكن الانسان فطر على حب السيادة والتماس الشهرة فاذا نالهما احتقر أخاه الضعيف وظلمه واستحل تعبه وتوهم انه ارقى منه طينة . فانقسم الاجتماع الى طبقتين هما الخاصة والعامة او الاحرار والعبيد او الاغنياء والفقراء

وما برح الفقراء منذ القدم يتظلمون ويستصرخون ولا منصف لهم لانهم انما يتظلمون الى القوي وهو خصمهم فكيف ينصفهم . على انهم لم يعدموا نصراء من اهل الفضيلة او الدين نصروهم وأخذوا بايديهم فاصلحوا من احوالهم وأنصفوهم . واذا تأملت في كبار الشارعين أو المصلحين رأيتهم يجعلون نصرة الضعيف من اهم تعاليمهم - اعتبر ذلك في الاديان الشائعة عندنا فموسى نصر الاسرائيليين على ظالميهم المصريين . والمسيح صرح جهاراً بانتقاد الاغنياء والحكام وأهل السيادة وخوفهم من النار وفي الاناجيل امثلة كثيرة تهدد الاغنياء بالعذاب وتعد الفقراء بالنعيم . ونبي المسلمين قام بنصرة الفقراء ايضاً لكنه تجاوز القول بنصرتهم الى العمل بموازرتهم ومساعدتهم فجعل نصرته فريضة على المسلمين وضرب على الاغنياء مالاً يؤخذ منهم ويعطى للفقراء وهو الزكاة او الصدقة وجعل للزكاة حدوداً لا يظلم فيها الغني ولا يبطر الفقير (١) فهي تجمع من الاغنياء بنسبة ما يملكون من مال اوعقار وتنفق في العامة على اختلاف طبقاتهم . وهذا نص الآية في الجهات التي تصرف فيها اموال الزكاة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » . وبناء عليه كانوا يقسمون اموال الزكاة ثمانية اسهم يدفعون سهماً الى الفقراء وهم الذين لا شيء لهم . والثاني للمساكين وهم الذين لهم ما لا يكفيهم وهم ارفق حالاً من الفقراء . وكانوا يجعلون نصيب كل واحد من هؤلاء بالنظر الى حاله او ما يكفيه على ما يتراءى لولي الصدقات على شرط ان لا يزيد ما يأخذه الواحد على ٢٠٠ درهم لانه اذا اخذ اكثر من ذلك وجبت عليه الزكاة . وقد يشمل لفظ « المساكين » فقراء اهل الذمة (النصارى واليهود) وأما الفقراء فيطلق على المسلمين فقط . والسهم الثالث يعطى للعاملين عليها وهم القائمون بجبايتها وتفريقها وفيهم الامين والمباشر والمتبوع والتابع فيأخذون اجورهم

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٣ ج ١

فاذا زاد سهمهم على ما يستحق لهم رد الباقي على السهام الباقية • والسهم الرابع يفرق للمؤلفة قلوبهم وهم الذين كان النبي وخلفاؤه يتألفونهم اما لكف اذاهم عن المسلمين او لرغبتهم في الاسلام او لترغيب قومهم وعشائرهم فيه • واذا كان احد المؤلفة قلوبهم غير مسلم لا يدفع له من الزكاة بل يدفع له من الغنائم او الفيء • والسهم الخامس ينفق في شراء العبيد وعتقهم • والسادس للغارمين وهم المديونون فيعطى لهم ما يقضون به ديونهم • والسهم السابع في سبيل الله يعطي للغزاة واهل الجهاد نفقة ما يحتاجون اليه في حروبهم • والثامن لابناء السبيل وهم المسافرون الذين لايجدون نفقة سفرهم

غير ما كان يفرق في المسلمين من الغنائم والفيء وغيرها واذا اعتبرت الفرق بين نظام الاجتماع في صدر الاسلام ونظامه اليوم رأيت الزكاة على تلك الكيفية من افضل طرق المساواة بين طبقات الامة لكنها لم تدم كثيرًا لاسباب لا محل لهـا هنا فنقم العامة على الخاصة في العصر العباسي وقاموا بما يشبه قيام الاجتماعيين او الاشتراكيين في الاجيال الاخيرة على اسلوب يوافق تمدنهم وسائراطوارهم• وفي جملة الناهضين طائفة استحلت السرقة واختلاس اموال الاغنياء فكان قطاع الطرق يسطون على قوافل التجار و يأخذون اموالها باعتبار انها حق لهم لان اصحابها لم يؤدوا زكاتها لبيت المـال وقد منعوها وتجردوا فتركت عليهم فصارت بذلك مستهلكة واللصوص في حاجة اليها بسبب فقرهم فاذا اخذوا تلك الاموال وان كره التجار اخذها كان ذلك لهم مباحًا لان عين المـال مستهلكة بالزكاة وهم فقراء يستحقون اخذ الزكاة شاء ارباب الاموال او كرهوا

فالعامة في كل عصر ناقمون على الخاصة يلتفون حول من ينصرهم عليهم فاذا نهض ناهض لاذلال المستبدين نصروه انتقامًا منهم • ولولا ذلك لم يجد دعاة الخوارج والازارقة والاسماعيلية والقرامطة نصيرًا • على ان الناهضين في تلك الاعصر القديمة كانوا يقومون باسم الدين فاصبحوا ينهضون اليوم باسم الوطن او الانسانية او الاجتماعية

٢ — الاجتماعية في التمدن الحديث

قد رأيت ان المبادىء الاجتماعية قديمة لكنها لم تتكيف وتظهر جلية الآ في التمدن الحديث لانها تتعلق بمصلحة العامة والتمدن القديم لم يكن يبالي بهم فلما استنار الناس بالعلم وانتشرت الحرية الشخصية في عصر الاصـلاح وتعلم العامة كيف يجتمعون وكيف يطالبون وتشكلت الاحزاب الديموقراطية والجمهورية اصبحت مبادىء الاجتماعيـة مذهبًا قائمًا بنفسه لهُ انصار واعداء • ورافق ذلك كثرة الاختراعات الصناعية التي اغنت اصحاب المعامل عن

العمال فانحصرت المكاسب في اصحاب الاموال وتضايق الصناع والعمال والناس يومئذ خارجون من استقلال اميركا وثورة الفرنساويين وقد تنبهت الاذهان وارتفع شأن المدنية وتحررت الاقلام فنبغ غير واحد من كبار المفكرين في انكلترا وفرنسا والمانيا وغيرها ونظروا في التفاوت بين ما يكتسبه العمال واصحاب الاموال وألفوا الكتب والرسائل والصحف ولكنهم اختلفوا في الطرق المؤدية الى ملافاة ذلك الخلل باصلاح النظام الاجتماعي او وضع نظام جديد تتكافأ فيه القوى وتتضامن المصالح بحيث لا يقع الحيف على طائفة ولا تستأثر بالنفع طبقة دون أخرى. ولايضاح وجه الحقيقة نأتي بتاريخ هذا المذهب ونبدأ بفرنسا فانها السابقة الى طلب المساواة والحرية

الاجتماعية في فرنسا

سان سيمون ان مؤسس مذهب الاجتماعية في فرنسا الكونت دي سان سيمون المولود بباريس سنة ١٧٦٠ ويتصل نسبه بالدوق دي سان سيمون. نشأ طامعاً بالشهرة وقد قام في نفسه انهُ ولد ليعمل عملاً عظيماً فاوصى خادمه اذا ايقظه ان يذكره بذلك فكان يوقظه كل صباح قائلاً «اذكر يامولاي الكونت ان عليك عملاً عظيماً ينبغي ان تعمله» وظهر لهُ جدهُ شرلمان في الحلم وانبأهُ بمستقبل مجيد فنشأ ونفسه كبيرة ومطامعه عظيمة. وقبل ان يدرك التاسعة عشرة من عمره نهض الاميركان يطلبون الاستقلال فكان من جملة الفرنساويين الذين نصروهم

ومن مشاريعه العظمى التي توسم الشهرة من ورائها حفر قناة توصل البحرين الاتلانتيكي والمحيط وقناة توصل مدريد بالبحر ولم يخرج احدها الى حيز العمل على يده. ولما ثار الشعب الفرنساوي ثورته الشهيرة لم يستطع سان سيمون شيئاً يستحق الذكر ولكنهُ اكتسب مالاً بالمضاربة فانصرف الى الاستعانة به في اشباع مطامعه وهو يومئذ في الاربعين من عمره فتزوج زيجة لم يطل بقاؤها فانحلت برضى الجانبين. فلما يئس من نيل الشهرة بالسياسة او الحرب عمد الى التماسها بالقلم — على عادة اكثر الاذكياء طلاب الشهرة فاخذ بالمطالعة تجرته الى البحث في حال الاجتماع فرأى مجالاً للقول في نقده فالف كتباً في العمال وحقوقهم اهمها كتاب «النصرانية الجديدة» لكن كتبه لم تلق رواجاً كبيراً فذهب ماله واشتد به الضيق واخذه اليأس حتى كاد ينتحر

وقد تعرض في كتبه الى ابحاث جديدة في النصرانية اصطبغت آراؤه بها صبغة دينية بتحول مذهبه في الاجتماع من العلم الى الدين. وخلاصته «ان نظام الاجتماع بعد ما اصابه

بالثورة الفرنساوية اصبح في حاجة الى التنظيم على اسلوب جديد تدار الشؤون فيه على مبادئ علمية بدلاً من المبادىء الدينية بحيث تتجه المقاصد كلها الى رفع شأن العامة وتخفيف ويلات الفقراء والعمال » . توفي سان سيمون سنة ١٨٢٥ ولم تؤثر تعاليمه تاثيرًا يذكر ولكنه يعد مؤسسًا لمذهب الاجتماعية بفرنسا . وقد خلف تلامذة قليلين كانوا يحترمونه احترامهم الانبياء وقام بعضهم سنة ١٨٢٨ لبث آرائه وانشأوا مدرسة لتعليمها وصحفًا لنشرها . ولم تطل ايام هذه المدرسة لكنها اخرجت جماعة من المهندسين ورجال الاعمال . ويقال ان مشروع قناة السويس ولد فيها

☙ فورنيه ❧ وجاء بعد سان سيمون بفرنسا فورنيه ولد سنة ١٧٧٢ وتثقف جيدًا وساح في اوربا فانفق ماله واضطر للخدمة العسكرية ثم مرض واعتزل الجندية وفي سنة ١٨٠٣ وضع كتابًا في السياسة استلفت انتباه نابليون . ثم خدم في محل تجاري لم يكن يكتسب منه الا ما يسد العوز . فنبهه ضيق يده وفشله الى النقمة على النظام الاجتماعي وخيل له ان اطلاق سبل المزاحمة بين الافراد من اكبر نقائص الاجتماع . وارتأى تعديل ذلك النظام بحيث يتعاون اهل البلد الواحد على العمل يدًا واحدة فيشتركون في العمل والانتفاع . وجعل اساس بحثه قواعد اقتصادية قائمة على اعتبارات نفسية غريبة مآلها « ان الطريقة الوحيدة لسعادة الانسان ان تطلق حريته في ما يتطلبه من الملذات والشهوات فينال السعادة والفضيلة وأن الشقاء والرذيلة انما تقومان بامساك الانسان عن هواه » . وقد الف فورنيه في تفصيل مذهبه هذا كتبًا كثيرة واشار بتجديد نظام الاجتماع الحالي . ومن آرائه ان تقسم الامة الى جماعات تتالف كل منها من ١,٦٠٠ شخص يقيمون في بناء كبير له بقعة من الارض يستغلونها وتكون ابنيته هذه متشابهة ووضع نظامات وقواعد لمعيشة الناس فيها على نحو نظام الاشتراكية الآتي ذكرها . فلم يعتد الناس باقواله فالف كتبًا اخرى . وحرض اغنياء باريس على العمل بما ارتآه من تقسيم الارض على الصورة التي وصفها فلم يطعه احد فاستغرب استخفافهم برأيه كما استغربوا هوسه في مذهبه وقد تبعه بعض تلامذته في رأيه ودافعوا عنه عبثًا ولكن روح الاجتماعية اخذت تنمو في فرنسا من ذلك الحين

الاجتماعية في انكلترا

(روبرت اوين) ويلي فرنسا بنصرة « الاجتماعية » انكلترا او لعلهما قامتا بها معًا واول من نادى بهذه المبادىء بين الانكليز روبرت اوين ولد سنة ١٧٧١ في

قرية من قرى انكلترا وكان ابوه سروجياً فلازم المدرسة الى التاسعة من عمره وانتقل في العاشرة الى مدينة ستمفورد خدم في حانوت جوائخ ثلاثة او اربعة اعوام ثم انتقل الى منشستر فظهرت مواهبهُ الصناعية والتجارية فيها فاسرع في تقدمه حتى تولى نظارة معمل للغزل فيه نحو خمسمائة عامل وهو لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره وتقدم المعمل على يده تقدماً سريعاً حتى اصبح احسن معامل بريطانيا وصار شريكاً فيه ثم انتقل الى معازل نيولنارك في سكوتلاندا وتولى ادارتها وكان فيها نحو ٢,٠٠٠ عامل منهم خمسمائة غلام حملوا من بيوت الفقراء وهم في السادسة من العمر فرآهم في حالة يرثى لها من انحطاط الآداب والعقول غير ما هم فيه من اثقال الاعمال وطول مدة العمل وقد جرهم الجهل واليأس الى الانغماس في اللهو وشرب المسكر والانصراف الى الرذائل ولم يهتم احد بتعليمهم ادبياً ولا صحياً فاخذته الشفقة وتذكر يوم كان غلاماً صانعاً فاحب ان يعامل اولئك الغلمان كما كان يحب ان يعامل هو لو كان في مكانهم فخفف اثقالهم وفتح لهم المدارس وساعدهم على الوسائط الصحية فلم يمض زمن طويل حتى تغيرت احوالهم واقتدى به غيره

ولما نضجت شعائر اوين وادرك الكهولة اتخذ لنفسه رأياً خاصاً في الدين والفلسفة الادبية يزعم انهُ اول من قالهُ وذلك « ان الانسان صنيعة الطبيعة فسيماه وخصالهُ ليست منهُ وان كانت لهُ فلا فضل للانسان في ما يأتيه من عمل عظيم لانهُ لم يعملهُ بقوة هو اوجدها وانما الطبيعة هيأتها لهُ بدون ارادته او سعيه . فلا هو يستحق الثناء اذا احسن ولا يستوجب اللوم اذا اخطأ . ويترتب على ذلك ان الانسان يكون كما تقتضيه المؤثرات الخارجية ومن جملتها التربية البدنية والعقلية والاجتماعية منذ نعومة اظفاره » وعلى هـذا الاساس بنى اوين مذهبه عن ضرورة التربية والتعليم . فعنده ان التربية مصنع المواهب والقوى . وليس اوين واضع هذه الفلسفة لكنهُ اول من باشرها بالعمل ووجه التفاتهُ الى تربية العمال وترقية قواهم بانشاء المدارس وتعهدها ثم توسع برأيه من هذا القبيل فانتبه الى اختلال نظام الاجتماع وتفاوت الانتفاع بين الخاصة والعامة فدرس مذهب « الاجتماعيـة » وكتب فيه سنة ١٨١٧ تقريراً رفعـه الى مجلس العموم الانكليزي بسط فيـه حال العمال وما يقاسونهُ من الضيق واشار لمعالجة هذه الحالة « بان تتألف الامة من جماعات او طوائف كل طائفـة عددها نحو الف نفس تقيم في بقعة من الارض مساحتها الف او ١,٥٠٠ قصبة يقيمون جميعاً في بناء واحد كبير مربع الشكل فيه مطبخ عام ومائدة مشتركة وتقيم كل عائلة في جزء خاص بها من ذلك البناء . وتتولى تربية ابنائها الى السنة الثالثة ثم تسلمهم

الى الجماعة لتتميم تربيتهم فلا يراهم والدوهم بعد ذلك الا على المائدة او في المجتمعات الاخر» وفصَّل كيفية المعيشة في كل طائفة والاشتغال مما يطول شرحه . فتباحث المجلس باقتراحاته ووُفق الى نصراء اخذوا بيده وايدوه ولم يبق الا ان يعملوا برأيه لكنه ما لبث ان نشر هذه الاراء بين العامة حتى اتهموه بالمروق من الدين لمخالفتها بعض اعتباراته فكان ذلك عثرة في طريقه . وقد جرب بعض نصرائه طريقته لنظام الاجتماع مدة سنتين فلم يلاقوا نجاحاً . على انه خدم الاجتماع بكثير من آرائه واعماله الاقتصادية وتبعه جماعة من تلامذته ومريديه وضعوا الكتب والرسائل وخطبوا الخطب واشهرهم موريس وكنسلي ولودلو ويعرف مذهبهم بالاجتماعية المسيحية لا يختلف عن مذهب اوين الا بان نصرة الفقراء فيه مبنية على احساس ديني

الاجتماعية في المانيا

ولم ينقض النصف الاول من القرن التاسع عشر حتى ضعف شأن المذاهب الاجتماعية في انكلترا وفرنسا وتحولت الاذهان اليها في المانيا واشهر فلاسفة الاجتماع من هذا القبيل كارل ماركس وانجلس ولا سال وروبرتس والاولان رأس هذا المذهب في المانيا وقد حولاه الى وجهة علمية طبيعية

﴿ماركس﴾ اولها ماركس ولد سنة ١٨١٨ وتوفي سنة ١٨٨٣ وهو اسرائيلي الاصل تعلم القضاء في برلين وبون على ان يتعاطى المحاماة لكنه عدل عنها الى الابحاث الفلسفية وانتصر للحزب الديموقراطي وانصرف همه الى مصلحة العامة واقام في باريس لدرس المسائل الاقتصادية والاجتماعية وكتب مقالات اغضبت الحكومة عليه فأُخرج من باريس واقام في بروكسل وعمل على نشر مبادئه من اواسط القرن المذكور — جاهد في سبيل ذلك جهاد الابطال بالتأليف والجدال ومدار أعماله نصرة العمال والصناع . وذهب الى قلب النظام الاقتصادي المعوّل عليه يومئذ واساس مذهبه « النظر في قيمة ما يزيد في المصنوعات على اجرة الصناع » وبعبارة أُخرى « الفرق بين ما يدفعه صاحب المعمل للعامل اجرة صنع البضاعة للقيام باود حياته وحياة عائلته وبين الثمن الذي تباع به » والفرق المذكور يستولي عليه صاحب المعمل . فيرى ماركس انه حق للعامل كله او بعضه وعضده لاسال في هذا الرأي وخلاصة مذهبهما ان « العمل هو اصل المصنوعات اذ قد يتم صنعها بلا مال ولكنه لا يتم بلا عمل فالعدل يقضي ان تكون ثمار العمل كلها للصانع وانما يتناول صاحب المال منها ما يكفي لمعيشته ويستولي الصانع على الباقي » يريدون بذلك قلب

النظام القاضي للعامل بما يقوم بمعاشه واستيلاء صاحب المال على سائر الربح . ناهيك بما يصيب اصحاب الاموال القليلة من الضرر باستئثار المتمولين بالاعمال الكبرى اذ تساعدهم الآلات الكبرى على الاقتصاد فيبيعون المصنوعات بأثمان لا يقدر اولئك على مجاراتهم بها فتقع الخسارة عليهم كما تقع على العمال . ويرى ماركس واصحابه ان ما يلتمسونه من اصلاح الاجتماع انما هو طبيعي يقضي به ناموس الارتقاء قياساً على ما كان من تأثيره على سائر احوال الحياة وللفلاسفة الالمانيين في هذا كله ابحاث طويلة مبنية على تاريخ الصناعة والتجارة في اوربا منذ كانتا من اعمال العبيد الى ان صارتا من شؤون الاحرار بعد عصر العلم والتمدن . فهبَّ الشعب الالماني هبة قوية والف سنة ١٨٦٩ حزباً عرف بحزب العمال الديموقراطي الاجتماعي الالماني انفذ من قبله مندوبين الى المؤتمر الدولي في باسل وتكاثر اعضاء هذا الحزب حتى بلغ عددهم بعد بضع سنين ٢٥,٠٠٠ عضو فوضعوا لائحة نشروها في المملكة هذه خلاصتها :

(١) ان العمل هو مصدر الثروة والاعمال النافعة لا تحصل الا باشتراك الجماعة في استثمارها فلكل عضو منهم حق من تلك الثمار يعادل مقدار اشتراكه في العمل

(٢) والعمل في النظام الاجتماعي الحاضر محصور في ايدي اصحاب الاموال فاضطرار العمال الى الخضوع لهم هو سبب الشقاء العام . وتحرير العملة من هذا الرق يقتضي قلب هذا النظام وتسليم ازمة الاعمال الى جمهور الامة او من يقوم مقامها وهي تعين حق كل فرد من ثمار تلك الاعمال »

ويلي ذلك مطالب داخلية تتعلق بالانتخاب التماساً للوصول الى النتيجة . فكان لمطالب الحزب المشار اليها رنة في المانيا واشتدَّ ساعد الاجتماعيين وزادت اصواتهم في الانتخابات كل عام عما قبله حتى بلغ عددها لعضوية النواب سنة ١٨٨٤ نحو ٦٠٠,٠٠٠ صوت واصبحت سنة ١٨٩٨ نحو ٢,٢٠٠,٠٠٠ صوت وبلغ عدد النواب المنتخبين منهم ٥٦ عضواً لتلك السنة . والحزب الديموقراطي الاجتماعي يزداد تمكناً وتكاثراً رغم ما يلاقيه من مقاومة الحكومة

اما انكلترا فقد افادت الاجتماعية فيها فوائد جمة ادارية وسياسية واجتماعية واقتصادية بما نبهت اليه الاذهان من المظالم الجارية في نظام الاجتماع او قوانين الحكومة . وكان للمذهب الاجتماعي نجاح كبير في بلاد البلجيك وهولندا وسويسرا وايطاليا وفي سائر ممالك اوربا وفي غيرها وتألفت له الجمعيات وأنشئت الصحف مما لا نطيل الكلام فيه

اما فرنسا فاهلها اكثر ميلاً الى المبادىء الاجتماعية الحرة من سائر الامم . فالفلاح الفرنساوي والتاجر والكاتب اجتماعيون من فطرتهم وبعضهم فوضويون وانما يعوزهم داع للاجتماع فيكونون من اقوى انصار هذا المذهب على ان فرنسا لم تحرم من احزاب اجتماعية اختلفت اسماؤها باختلاف اغراضها كالكولكتيفست والبوسبيليست والبلانكست وغيرهم . وعندهم مجلة تسمى المجلة الاجتماعية للبحث بهذه المواضيع فضلاً عن الجرائد وقس على ذلك سائر ممالك العالم المتمدن في اوربا واميركا حتى في اوستراليا . وللاجتماعية في اميركا فروع واحزاب يضيق المقام عن ذكرها اشهرها حزب العملة الاجتماعي وحزب البوبولزم . والاحزاب الاجتماعية في انكلترا الآن ترجع الى اربعة رؤوس كبرى (١) الاتحاد الديموقراطي الاجتماعي تأسست سنة ١٨٨٢ (٢) حزب العملة (٣) حزب العملة المستقل سنة ١٨٩٣ وغرضه تحديد اوقات العمل واجوره (٤) الجمعية الفابية تاسست سنة ١٨٨٤ غرضها على الخصوص نشر العلم الاجتماعي بين الناس بالمطبوعات الدورية وغير الدورية

الفوضوية

ويدخل في المذهب الاجتماعي الذي نحن في صدده مذهب « الفوضوية » Anarchism وهو يشبه الاجتماعية من حيث مقاومته استئثار الافراد بالثروة ولكن الفوضويين اهل فتك وشدة . ويفرقون عن اكثر الاحزاب الاجتماعية الاعتيادية ان هذه يغلب ان تكون محلية يختص كل منها بالمملكة التي انشئ فيها واما الفوضوية فالغالب فيها ان تشمل عدة دول . اشهرها « جمعية العملة الفوضويين الدولية » Anarchist International working party's association) وكان دعاة الاجتماعية في عهد ماركس يعتقدون ان مذهبهم الاجتماعي لا يأتي بالفائدة المطلوبة ان لم يكن مشتركاً بين سائر الامم فالفوا سنة ١٨٦٤ حزباً من هذا القبيل اشتركت فيه اكثر امم اوربا انشاه ماركس سنة ١٨٤٨ وكان يلتئم تارة في باريس وآونة في جنوى وحيناً في بروكسل او غيرها ولكنه انحل سنة ١٨٧٣ على اثر انحلال حزب الكومون وتحول اعضاؤه الى الفوضوية . وكان لهذا الحزب تاثير كبير في نشر الديموقراطية الاجتماعية في ممالك اوربا . ونبغ جماعة كبيرة من دعاة الفوضوية في روسيا وغيرها اشهرهم كروبتكين واليزه وركاوس وتشركسون وطولستوي وغيرهم واساس تعاليمهم الغاء الحكومات المركزية الكبرى وانشاء حكومات صغرى اشبه بالعائلات او الجمهوريات تحكم نفسها على ما تقتضيه مصالحها المشتركة

وهم ينقسمون الى ثلاث طوائف كبرى الاولى تذهب الى ان الحكومة السياسية على

الاجمال فاسدة ولا بد من ابطالها وهم النهيليست (العدميون) المشهورون بفتكهم في بلاد الروس ويشبهون الخوارج في صدر الاسلام القائلين « ان لا حكم الاّ لله » حتى تآمروا على الفتك بعلي ومعاوية وعمرو بن العاص . تليها طائفة تقول بابطال الحكومات المركزية وانشاء جمهوريات صغرى تحكم نفسها بمجالس تتالف من اهاليها . والطائفة الثالثة تقول باستبقاء الحكومة باعتبار انها مصيبة لاغنى عنها ولكنها تطلب حصر نفوذها وتضييق دائرة سلطتها . واقوى هذه الطوائف اوسطها وهي لا ترى الفتك والقتل ولكنها تابى الاذعان لمجلس الامة ولا ترى له لزوماً . ويرى الفوضوية ان الشريعة غير ضرورية لحفظ النظام ويزعمون زعم الاجتماعية ان رأي النشوء ينطبق على تعاليمهم اكثر مما ينطبق على تلك وهو رأي الفيلسوف سبنسر . فقد ذكروا من نتائج ابحاثه ان الارتقاء الاجتماعي على ما نرى من سيره سيؤول الى فوضوية عامة ولم يوافقه من العلماء على ذلك الاّ قليلون

الاشتراكية

نريد بالاشتراكية ما يسمونه بالافرنجية (Communism) وهي تدخل في الاجتماعية من حيث نقمة اصحابها على نظام الاجتماع الحالي والفرق بينهما ان الاجتماعية الحقة ترى خلل هذا النظام وتتوقع تبديله بالتؤدة والتربية ونشر العلم وترقية الصناعة ولم تبلغ ما بلغت اليه الا بتهيئة الاسباب بتوالي الاجيال جرياً على ناموس الارتقاء العام . اما الاشتراكية فاصحابها لا يعجبهم هذا النظام ويريدون تبديله سريعاً وهم اعداء التموّل الافرادي ولا يرون للحكومات فائدة فيشبهون الفوضويين من هذا القبيل لكنهم يذهبون الى اعتزال الحكومات والاقامة في المنازل جماعات كالعائلة الواحدة في بيت كبير او بلد صغير تحت شروط واحوال اختلفوا في تفصيلها واتفقوا في مجملها

مدينة افلاطون واقدم من اشار بالاشتراكية على هذه الصورة افلاطون الفيلسوف في كتاب « الجمهورية » باثناء بحثه في النظام الاجتماعي اذ رآه مختلاً فاسداً فاشار بنظام جديد من مقتضياته « ان يوخذ الاولاد وهم اطفال فيبعدون عن آبائهم ويربون في محل خاص تحت عناية (الحكومة) وهي تتولى تربية الرعايا وزواجهم وتعين عدد مواليدهم والمهن التي يتعاطونها في شبابهم مع المحافظة على المساواة في احوالهم وكذلك الاناث فانها تربيهن كما تربي الذكور لا تحرمهن من مطامع الرجال وان يعيش الرجال والنساء معاً ويكون الكل شركاء في النساء والاموال لا فرق بين الغني والفقير لانها تساويهم في المعاملة

والتربية . والمدينة المشار اليها مهما كانت صغيرة تقسم الى شطرين يقيم في احدهما الاغنياء وفي الآخر الفقراء فاذا طرأت حرب اتحدتا على العدو . وقد يقسم الشعب الى طبقات حسب مهنته وتربيته مع تساويهم بالحقوق والواجبات لا فرق بين فقيرهم وغنيهم صانعهم وتاجرهم كبيرهم وصغيرهم » ـ ذلك هو نظام مدينة افلاطون فقد وضعه منذ نيف والفي سنة كأنه اسس مذهب الاشتراكيين من ذلك الحين وان اختلف عنها بعض الشيء

﴿ اوتوبيا ﴾ وجاء بعده آخرون ذهبوا مثل مذهبه مع بعض التبديل فوضعوا نظامات للاجتماع تخالف النظام المعروف يعيش الناس به شركاء في كل شيء واقدم اصحاب هذا المذهب في عهد هذا التمدن السير توماس مور الفيلسوف الانكليزي ولد في لندن سنة ١٤٧٨ وتثقف تثقفاً حسناً وتولى مناصب عالية ولم يعجبه النظام الاجتماعي فاشار بانشاء مدن على كيفية جديدة مثلها بمدينة فرض وجودها في جزيرة اسمها « اوتوبيا » والكلمة مؤلفة من لفظين يونانيين معناها « لا مكان » زعم ان اميركوس اكتشف هذه الجزيرة ووصف له معيشة اهلها وهم متمتعون بالسعادة الكاملة ليس لاحدهم ملك خاص بل يشتغلون معاً بلا اجر معين والحكومة (او ما يقوم مقامها) تتولى سد حاجاتهم بنظام مضبوط لا يعوزه نقض وكل عمل عمومي في تلك الجزيرة يحصل بالانتخاب بين اهلها يتناول الناس طعامهم معاً على موائد مشتركة تضرب بها الموسيقى وتنشر الاطياب . والثروة فيها محرومة على الافراد . وتختلف عن مدينة افلاطون باختصاص كل رجل بزوجته الشرعية . وعرّض مور في اثناء كلامه بالخلل الذي كان سائداً على عهده في نظام الاجتماع من حيث الآداب العمومية والعيشة العائلية والاحوال الاقتصادية على اسلوب جميل

﴿ الاونيدة ﴾ فأوتوبيا مدينة خيالية لم تظهر للوجود ولكن الاميركان انشأوا مدينة بجوار نيو يورك سموها « اونيدة » اسسها جون نويس سنة ١٨٤٤ وهو من رجال اللاهوت وله فيه آراء خصوصية من جملتها « ان الناس اخوة لا ينبغي ان يتفاضلوا في شيء » فانشأ مدينة اهلها بضع مئات يعيشون عيشة العائلة الواحدة وهم شركاء في كل شيء حتى الاولاد فانهم للجماعة واوجبوا تربيتهم احسن تربية ادباً وصحة . وكتب الاستاذ كولدوين سميث بعد زيارة هذه الجمهورية يقول « ان الاولاد فيها صحاح الابدان حسان الوجوه يربون على طرق صحية لا مثيل لها وعلى احسن اسلوب بالتغذية واللعب واللبس والوقاية من الامراض والعاهات ولا يسمح للوالدات ان يعطين اولادهن شيئاً من الحلويات التي تثقل المعدة وتفسد الهضم » وقد عاشت هذه الجمهورية بضع وثلاثين سنة كانت في اثنائها

مقصد المتفرجين وعظمت ثروتها وكثرت اموالها المشتركة واراد موسسها نويس حلها لانه انشأها ليبرهن للملأ إمكان هذا المشروع — او لعله خاف سقوطها فحولها سنة ١٨٨٠ الى شركة سماها شركة طائفة اونيدة

وللاشتراكيين مذاهب شتى في نظام الاجتماع تشبه في مجملها مذاهب الاجتماعيين التي ذكرناها الا انها تمتاز بالاشتراك في الرزق والمعيشة على نحو ما قدمناه من وصف مدينة افلاطون وأوتوبيا مور وانيدة نويس مع بعض التعديل او التبديل وكل من ذهب مذهباً اشتراكياً مثله بمدينة يعيش فيها جماعة يشتركون في احوال معايشهم على الكيفية التي يتخيلها ويسميها باسم خاص بها ومن هذا القبيل «مدينة الشمس» لكمابلا و«اوسيانة» لهرينتون و«نوفا اتلانتس» لباكون و«سياحة في جزيرة السرور» لفنيلون وغيرهم وكلهم نسجوا على مثال السير توماس مور في مدينته

والاشتراك بالاموال وغيرها على هذه الصورة يخالف ناموس الانتخاب الطبيعي لجبل الاحياء وما يتبعهم الى التغير والتفاوت على الدوام. وقد تصح الاشتراكية الى مدة قصيرة لا تتجاوز جيلاً من الناس ثم تبطل كما حدث في اوائل النصرانية اذ كان المسيحيون في القرن الأول اشتراكيين ليس لواحد منهم شيء يملكه وانما الملك لجمهورهم. فمن اراد الانضمام اليهم باع ما يملكه من ضياع او منازل واتى باثمانها الى الرسل فيوزع على كل واحد حسب احتياجه. فلما تكاثر المؤمنون وتوالدوا عدلوا عن الانقسام. وكذلك الاسلام في الصدر الاول فقد كانت الغنائم والفيء تفرق في المسلمين لا يتركون منها شيئاً في بيت المال. وكان عمر لا يرى الاحتفاظ بشيء من النقود او الاموال ثم غلبت السياسة على رأيه وتفاوت الناس في الثروة والجاه

والاشتراكيون يوجبون التعليم ويحرضون على نشره وقد أفادوا الاجتماع بالحث على التعليم الالزامي والمجاني واطلاق حرية التجارة وسن قوانين الاصلاح والعمل على تعليم المرأة وترقية مواهبها وتحسين حالها وهم يرون نظام الاجتماع فاسداً يجب تبديله وشر ما فيه التفاوت العظيم بين الفقير والغني. ويعدون ذلك جريمة لا تمحى الا بقلب هذا النظام ووضع نظام جديد يتساوى فيه الناس بالاجتزاء من خيرات الدنيا لمرافق الحياة. وأول شيء يتوسمون به الوصول الى ذلك الغرض منع التملك الشخصي وتعميم التعليم واطلاق حرية التجارة وسن القوانين العادلة

فقد رأيت ان افلاطون اول من نبه الناس الى الاشتراكية وتحداه مور ونويس

وغيره وغيره وانتشرت مبادئها في انكلترا والمانيا وفرنسا واميركا وغيرها وتفرعت وتبدلت بحسب الاقاليم والزعماء وحسب التأثيرات الخارجية مما يضيق المقام عن تفصيله . ولم تصادف الاشتراكية نجاحاً طويلاً لكنها افادت الاجتماع والحكومة فوائد جزيلة بتنبيه الاذهان الى النقص الذي يتخلل احكام البشر كما فعلت الاجتماعية وغيرها من الجمعيات الاصلاحية وان كانت القواعد التي وضعوها لاصلاح الهيأة الاجتماعية ليست مما يرجى العمل به والسير عليه لبعدها على المألوف ومخالفتها ناموس الارتقاء القاضي بتفاضل الناس حسب مواهبهم وقواهم

على ان الاشتراكيين لا يزالون عاملين تحت اسم الاجتماعيين او ان الاجتماعيين أخذوا على انفسهم القيام بما أراده الاشتراكيون من تنظيم الهيأة الاجتماعية على شكل جديد . لكنهم أخذوا يتقربون بوضعه وشكله من النظام الحالي بحيث يمكن اخراج اصلاحهم الى حيز العمل . وآخر من تصدى لهذا الموضوع رجل يدعى بوفرات الحقوقي الفرنساوي فقد الف كتاباً ظهر بالامس سماه « الاجتماعية البلدية في انكلترا » وهو يرى تفويض ذلك الاصلاح الى البلديات على ان تتوسع اختصاصاتها من هذا القبيل . وقد فصل الكيفية التي يجب ان تنظم عليها البلديات حتى تقرب من الغرض الاجتماعي الاصلي القائل بتبادل المنفعة ونيل كل فرد من افراد الهيأة الاجتماعية حقه بنسبة عمله . وأتى بامثلة من البلديات السائرة على نحو تلك الخطة في برمنهام وليفربول ومنشستر . فان بلديات هذه المدن تتولى أكثر المرافق العامة كتوزيع المياه والغاز والكهربائية وتدبير الترامواي والامن العام والوسائل الصحية وكثير من الاعمال الاقتصادية ولم يبق الا ان تقبض على المعامل والمتاجر . فمؤلف ذلك الكتاب يطلب السير على مثالها في فرنسا وغيرها اي ان تتولى البلدية ادارة الاعمال وتقدر الاجور والاثمان وتعين الحقوق والواجبات بحيث تحسن حال العمال وتحسن معاملتهم وتكثر أجورهم وتعتدل اثمان المبيعات وتقل الضرائب فلا يبقى لاحد مطمع بسلب الآخرين اتعابهم او هضم حقوقهم . وهو المراد بالاشتراكية او الاجتماعية في اصل وضعها . ولكن الكاتب يلتمس تنفيذ مبادئها بطريق معقول لا يقضي بقلب النظام الحالي وانما يكتفي باصلاحه

انصار الاجتماعية واعداؤها

وللاجتماعية اليوم انصار واعداء ومن أكبر انصارها الجمعيات اشهرها في انكلترا اربع اشرنا اليها في ما تقدم ولكل منها فروع في انحاء المملكة تبث مبادئها وتدعو الى

عمرتها فجمعية « حزب العمال المستقل » عدد فروعها ٧٠٠ فرع واعضاؤها ٠٠٠,٠
عضو وبلغت ميزانيتها للعام الماضي ١٠٠,٠٠٠ جنيه « وحزب العمال » بلغ عدد اعضا
للسنة الماضية نحو مليون عضو ولهم ٣٠ عضواً ينوبون عنهم في مجلس النواب وقس عل
سائر الجمعيات ولكل منها نظام وقواعد اجتماعية اصلاحية تسعى في الوصول اليها وبعض
في غاية الاعتدال مما يمكن اجراؤه ويسهل حمل الحكومة عليه • ومن اكثر الاحز
الاجتماعية الانكليزية اعتدالاً حزب « الجمعية الفابية » فقد أنشئت سنة ١٨٨٤ وكا
غرضها اولاً السعي في تعليم الامة ثم جعلت وجهتها تحويل المبادىء الاجتماعية من
الآراء الخيالية الى الاجراءات العملية فلا تقبل منها الا ما تعتقد امكان خروجه
حيز العمل وليست هي حزباً سياسياً ولذلك فهي تطلق لاعضائها الحرية في الانضمام
الحزب السياسي الذي يريدونه واكثر اعضائها من اواسط الناس وفيها جماعة كبيرة من
كبار الكتاب وهذه بعض تعاليمها الاجتماعية :

(١) ان افضل الحكومات عند الاجتماعيين اكثرهن انفاقاً • وافضل الوسائل لانصاف الفقراء والعمال ان توضع الضرائب على الاغنياء ولا سيما الذين يتمتعون بمال لم يتعبوا في تحصيله

(٢) افضل الوسائل لمنع الاصحاء من البطالة ان يهيء الحكومة لهم شغلاً يعملونه فعلى البلديات ان تهتم بذلك

(٣) يجب احياء الموات من الارض واستغلالها على نحو ما تفعله المانيا والمجر والدنمارك

(٤) يجب زيادة ميزانية التعليم بحيث يسهل تعليم الفقراء — ولا فائدة من التعليم المجاني للفقراء الا اذا رافقه الغذاء والكساء

(٥) يجب ان تعرض الاختلافات التجارية والصناعية بين التجار والعمال على الحكومة وان يوضع للاجور حد لا تقل عنه وان يحمل اصحاب الاموال على قبوله

(٦) يجب ان يعين للعامل اجرة تكفي لمعيشته ومعيشة عائلته ويبقى منها ما يدخر لدفع الملمات

فترى ان القوم يطالبون حقاً يسهل نيله بعد ان كانوا يطالبون محالاً ومع ذلك فبين
رباب الاقلام جماعة كبيرة يقبحون آراءهم وينتقدونها وقد تألفت الجمعيات لمقاومتها
في انكلترا من اضداد الاجتماعية عدة جمعيات اشهرها اربع « جمعية حرية العمل »
و « جمعية الحرية والدفاع عن الاملاك » و « الجمعية الدستورية البريطانية » و « جمعية

بجمعية لندن ، وقد ظهر في نقد المذهب الاجتماعي مؤلفات كثيرة اشهرها في الانكليزية ١٧ كتاباً تنتقد تعاليمها اشد الانتقاد هذه اسماؤها لعل احد القراء يريد الاطلاع عليها :

"The Tyranny of Socialism," by Yves Guyot.
"A Plain Examination of Socialism," by G. Simonson.
"Impossibility of Social Democracy," by Dr. Schäffle.
"The Modern State," by Paul Leroy Beaulieu.
"The Psychology of Socialism," by Gustave Le Bon..
"Contemporary Socialism," by John Rae.
"Socialism: Its Fallacies and Dangers," by Frederick Millar
"Labour and the Popular Welfare," by W. H. Mallock
"Aristocracy and Evolution," by W. H. Mallock.
"Instead of a Book," by B. R. Tucker.
"The Man versus the State," by Herbert Spencer.
"A Plea for Liberty," by various writers.

اما الاجتماعيون فكتبهم في الدفاع عن مذهبهم كثيرة في كل لسان من ألسنة العالم المتمدن نقتصر على اشهر ما كتب منها في اللغة الانكليزية وهي :

"History of Socialism," by Thomas Kirkup.
"Socialism, Utopian & Scientific," by F. Engels.
"Communist Manifesto," by Marx & Engels.
"Mutual Aid," by Korapotkin.
"Socialism & Individualism," by Kelly.
"The Evolution of Modern Capitalism," dy Hocson
"The Moral Aspect of Socialism," by Ball
"Christian Socialism," by Headlam

وغير هذه الكتب شيء كثير

الخلاصة

فالاجتماعية (السوسيالزم) ليس غرضها توزيع اموال الاغنياء على الفقراء بحيث يتساوى الناس في ما يملكون ولا ابطال الشرائع الدينية وحل عقود الزواج او اشتراك الجماعة في المال والمتاع كما توهم البعض . وربما قيل شيء من ذلك باسم الاجتماعية لما ظهر من اختلاف الجماعات الذين ينتسبون اليها اما هي في اصل وضعها فانها براء من هذه التهمة ولا غرض لها غير الخير العام — انها تجد اصحاب الاموال (Capitalists) مستأثرين

بالمكاسب التجارية والصناعية لا تقسمهم مع ان العمال وهم علة تلك التجارة لا ينالون ما يستحقونه من ثمارها. وقد زادت نقمة العمال على اصحاب الاعمال بعد ان تضاعفت اموال هؤلاء على اثر الاختراعات الصناعية والاكتشافات المعدنية اذ قلت حاجتهم الى الايدي لاستغنائهم عنها بالآلات البخارية والكهربائية فاصبحت الثروة محصورة في فئة قليلة من افراد الامة. ولا يخفى ان ملوك المال انفذ امراً من ملوك السياسة والانسان اذا ملك ولم يردعه رادع من نفسه طغى وتجبر. ولبيان ما اشرنا اليه من انحصار الثروة في بعض الامة نأتي بامثلة من ثروة انكلترا وكيفية توزعها فنقول:

﴿ ثروة انكلترا ﴾ ان عدد سكان انكلترا نحو ٤٤,٠٠٠,٠٠٠ نفس تقدر ثروتهم بمبلغ ١١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه منها ١٠,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه يملكها ٠٠٠,٠٠٠,٠ نفس والباقي من الثروة وقدره ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه يملكها سائر سكان المملكة وعددهم ٣٩,٠٠٠,٠٠٠ نفس. وفي انكلترا ٢٥٠ غني تزيد ثروته على مليون جنيه وهم المعبر عنهم بالمليونير ومعدل ما يملكه الواحد منهم ٢,٥٠٠,٠٠٠ جنيه فيكون مجموع ثروتهم ٦٢٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وهو جزء من ١٧ من مجموع الثروة. واذا نظرت في ما يكتسبه اهل انكلترا في العام بعد اخراج الضرائب رأيته يناهز ٨٥٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وهو مجموع ربح الذين يزيد كسبهم السنوي على ١٦٠ جنيهاً والحكومة ضرائب تأخذها منهم على نسبة ارباحهم. اما الذين ارباحهم السنوية من ١٦٠ جنيهاً فما دون فلا تأخذ منهم ضريبة. وتقدر ارباح هؤلاء بنحو ٨٥٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ايضاً. ولكن الذين يزيد دخلهم على ١٦٠ جنيهاً في العام لا يزيد عددهم على ١,١٠٠,٠٠٠ نفس فاذا اضفنا اليهم عائلاتهم بلغ المجموع نحو ٥,٠٠٠,٠٠٠ نفس وهو تسع سكان انكلترا ولكنهم يتمتعون بنصف ارباحها. وهؤلاء تتفاوت ثروتهم فمنهم نحو الربع تزيد ارباحهم جميعاً على ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه والثلاثة الارباع الباقية يستولون على الباقي وهو ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وبالجملة فان ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه اي ثلث ارباح الانكليز جميعاً يستولي عليها $\frac{١}{٣٠}$ منهم اي ١,٢٥٠,٠٠٠ نفس

فاذا اعتبرت هذا التفاوت في الثروة بين افراد الامة هان عليك تصور السبب الذي نشأت الاجتماعية من اجله وهو في اعتبار اصحاب هذا المذهب فساد او خلل في المجتمع الانساني يجب اصلاحه وليس ثمة مملكة تخلو من مثل هذا التفاوت مهما يكن نوع حكومتها دستورية أو جمهورية او ديموقراطية فانك تجد في كل منها الغني الذي اذا انفق عشر معشار دخله عاش متنعماً لا يتعب ولا يشقى والفقير الذي لا يحصل بلغة العيش الا بشق

النفس وبذل ماء الوجه . وكم من غني يموت من التخم والبطنة وفقير يموت من الجوع والمذلة . والطبيعيون لا يرون في ذلك غرابة ولا تشويشاً لاعتقادهم ان الدنيا جهاد والحياة منافسة فينال الانسان منها على قدر سعيه وذكائه وان ماوصل اليه نظام الاجتماع بعد اطلاق حرية العمل والنظر في حقائق الامور هو الانسب لمصلحة ذلك الاجتماع . وان الناس لاينالون من دنياهم الأ مالا بد من نيله بحكم ناموس الارتقاء . فالجنوح الى تبديل النظام خروج عن مجاري ذلك الناموس ومن خرج عنها ضلّ فالاولى ترك ذلك بجملته الى ناموس الارتقاء

اما الاجتماعيون فيرون العامل مظلوماً ويعدون احالة الاصلاح الى ناموس الارتقاء وحده تسلياً وضعفاً والمعتدلون منهم يعتقدون ان النهوض للمطالبة بالتعقل والحكمة يعجل الارتقاء وادلتهم على ذلك ظاهرة بما اصابوا من الاصلاح بسعيهم . واصحاب الرأي الاول يعدون ذلك النهوض وما ينجم عنهُ من جملة مجاري الارتقاء

وفي الجملة فالاجتماعيون يريدون الانتفاع من قوى الاجتماع بحيث لا يذهب شيء منها عبثاً بشرط ان تتوازن القوى وتتضامن المصالح فينال الانسان من دنياه على قدر سعيه وان ضعفت مواهبه . هذا هو غرضهم من مذهبهم ولكنهم اختلفوا في الطريق المؤدي اليه فقالت طائفة منهم « لا يتم ذلك الا بالغاء التملك الخاص اي منع الناس من تملك العقار او المعامل او المنازل او المعاهد التجارية او الصناعية على ان تجعل ادارة هذه الاعمال في ايدي الحكومة او البلدية اي ان تتولى الحكومة او البلديات ادارة المعامل والمتاجر والمصانع واماكن الغاز والكهربائية والمياه وغيرها وهي تعين اجور العمال واثمان البضائع وتلاحظ اسعار المبيعات وضبط الاوزان والاقيسة » وهو رأي يصعب تنفيذه لاختلاط المصالح وتقاطع الاغراض . وكيف يتاتى للحكومة ادارة هذه الاعمال ؟ هل تبتاعها من اصحابها ومن اين تدفع اثمانها وكيف تقدّر ارباحها ؟ وليس ابتياع تلك الاعمال بالشيء الهين وقد يستحيل على الحكومات القيام به . لان المعامل والسكك الحديدية ووسائل النقل واماكن الغاز والكهربائية ونحوها مما يملكه اغنياء انكلترا مثلاً تزيد قيمتها على ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فمن أين للحكومة ان تأتي بهذه الاموال ؟ وقد يفرض انها ابتاعتها ديناً او اتفقت مع اصحابها على اقساط او طرق اخرى — وذلك بعيد الوقوع لان اصحاب هذه الاموال لا يرون لهم مصلحة بهذا التساهل — ولكننا نفرض وقوع ذلك مع بعده فنرى ان وقوعه سيكون عثرة في سبيل التقدم اذ تبطل المنافسة والناس انما يجرون في دنياهم جرى المتسابقين التماساً للذة السبق ليس سعياً في سد الجوع او اقتناء

الكساء . فاذا بطل السباق وقف العمل وساد الكسل . ولا نرى عملاً تتولاه الحكومة الا غلب فيه الاهمال . خذ اي شركة شئت من شركات السكك الحديدية او الترامواي او غيرها واعتبر مقدار الفرق في نجاحها بين ان تكون في عهدة رجل مسئول عنها او في عهدة الحكومة ولا مسئولية شخصية على واحد من مستخدميها ـ هذا اذا لم يداخل الطمع رؤساءها فيجعلوا تلك المصلحة وسيلة لكسبهم الشخصي ولو آل ذلك الى خرابها

هب ان حكومة او بلدية عزمت الساعة ان تسير على رأي الاجتماعيين بالقبض على ازمة الاعمال واستطاعت ابتياع المعامل اخذت في ادارة العمل فكيف تقرر الاجور او الاثمان وما هو قياس تقديرها ؟ ـ فاذا ارضت طائفة اغضبت الاخرى وشرط النجاح ارضاء الجميع لان الامة تحتاج الى الصانع والتاجر والكاتب والعالم فاذا لم يجتمع الكل فسد العمل وكيف يقبل العامل بما تقدره البلدية من اجرته وهو اليوم لا يرضى بما تقدره له الطبيعة بعد سعيه ومهره . وهب اننا تجاوزنا هذه العقبات فارضت الحكومة اصحاب الاعمال ببيع ما يملكونه وارضت العامة بتقدير الاجور والاسعار فماذا يقال عن ناموس الوراثة . الاجتماعيون لا ينكرون حق الارث ولكننا لا نعلم كيف يعينونه ولا من اين تجتمع الاموال التي يمكن ان تورث والناس انما يتناولون من الاجور على قدر حاجتهم فاذا تناولوا فوق الحاجة واستطاع بعضهم جمع الاموال بالاقتصاد اختلت الموازنة وبطلت المساواة وعدنا الى المنافسة

وهكذا لو نظرنا في طلب الاجتماعيين من اكثر وجوهه فاننا نجده حقًّا ولكننا نرى اخراجه الى حيز العمل مستحيلاً او قريباً من المستحيل . على ان نشر المبادىء الاجتماعية عظيم الفائدة في اصلاح النظام الحالي اذ تنتبه الدول واصحاب الاموال الى ملاحظة ما يخشى الوقوع فيه من الخطإ ويتلافونه على قدر الامكان . فحرمان الافراد من التملك غير ميسور فضلاً عن مخالفته للعدالة . واطلاق ايدي اصحاب الاموال في تقدير اجور العمال وتعيين اثمان الاشياء لا يخلو من التضييق على العمال والفقراء . فالمسألة « هل الافضل ان تكون الثروة والاعمال العظمى في ايدي الافراد او في ايدي الحكومة » وقد تبين ان كلا الفريقين لا يفي بما يريده الاجتماعيون من توازن القوى وتضامن المصالح . وعندنا ان الطريقة المثلى المؤدية الى تلك الغاية ان تتعاون الدولة والافراد على العمل وبعبارة اخرى ان تبقى الاعمال في ايدي اصحابها الذين نالوها بجدهم واهليتهم وهم ادرى بادارتها وترقية شؤونها وان تشرف الحكومة عليها وتنصف المظلوم من العمال او الفقراء بتقدير الاجور وتعيين الاسعار بحسب قواعد الاقتصاد الصحيحة

الفراغ مفسدة

كلمة للشبان والشابات

قال القدماء « الطبيعة تكره الفراغ » يريدون فراغ المكان من المادة لانهم راوا بالمشاهدة والاستقراء ان ما يظهر للناس من الامكنة خالياً انما هو مملوء بالهواء لان الماء او غيره اذا اصب في وعاء لا يدخله قبل خروج الهواء منه فعبروا عن ذلك بكره الطبيعة للفراغ . وهو رأي العلماء الطبيعيين الى اليوم وان اختلفوا في اساوب التعبير . فالفراغ مستحيل في الطبيعة لاننا لا نتصور مكاناً لا تشغله المادة — هذا ما يقال في المحسوسات وهو يطلق على المعنويات فالعقل او الفكر لا يخلو من امر يشغله . ولو اراد احدنا ان يصرف ذهنه عن امر بهمه انتقل الفكر الى سواه اراد صاحبه او لم يرد . والانسان اذا تعددت عليه المهام اشتغل ذهنه باثقلها وطأة عليه او اشدها تأثيراً في نفسه . فاذا انفرجت هذه احتلت مكانها مهمة اخرى تليها في الشدة فاذا فرجت جاءت أخرى مكانها فاخرى . كأن المهام او المشاغل تترتب في الدماغ طبقات باعتبار اهميتها كما تترتب السوائل اذا تفاوتت اثقالها النوعية ولم تمتزج فتترتب طبقة فوق اخرى حسب تلك الاثقال فاذا انصرف اثقلها من اسفل الوعاء احتل مكانه السائل الذي يليه في الثقل وهكذا على التعاقب وقس على ذلك سائر ما يبلغ اليه علمنا من المحسوسات والمعنويات في الافراد والجماعات . والحياة حركة دائمة اذا عارضتها من جهة لا تقف ولكنها تنصرف الى جهة اخرى

فالفكر او العقل لا يقبل الفراغ اذا خلا من عمل اشتغل بسواه بمقتضى المؤثرات على العقل او الوجدان فاذا لم تشغله الحسنات اشتغل بالسيئات . ولذلك قالوا « الرأس الفارغ مغارة ابليس » فالعاقل من شغل عقله بالنافع خوفاً من اشتغاله بالضار . وشغل الفكر هو شغل الوقت فالحكيم من احسن استخدام اوقاته واستثمار افكاره . والوقت كالعقار وهو مباح لكل انسان ولا يستثمره الا من يهتم به . ومن فرغ ذهنه من العمل وجدت المفاسد الى قلبه سبيلاً وقد لوحظ ان الجنود تكثر الفتن بينهم اذا فرغوا من العمل ولذلك رأيت الحكومة تشغل جنودها ايام السلم بامور اكثرها غير ضروري . ويقال نحو ذلك في رؤساء الاحزاب السياسية وكبار المشترعين فانهم يشغلون اتباعهم ومريديهم بفروض وطقوس اكثر المراد بها صرف اذهانهم عن الفتن بينهم او التفكير بما يفسد قلوبهم على زعمائهم

وليس غرضنا النظر في ما ينبغي من الاعمال في كل ساعة من ساعات النهار او في كل دور من ادوار الحياة فان ذلك مما لا يسعه المقام ولكل انسان عملٌ يتعاطاه للقيام باود الحياة وانما نريد النظر في ما ينبغي عمله في «ساعات الفراغ» — وما ادراك ما ساعات الفراغ ? هي العقبة التي اذا تجاوزتها آمنًا ادركت بها السعادة والاَّ فانها ذاهبة بك الى الشقاء وقد قلنا ساعات الفراغ ولم نقل ساعات العمل لان هذه لا خطر منها على العامل وهو في شاغل عن عثرات القدم واللسان وفي مأمن من شراك الشيطان . اما اويقات الراحة فهي التي يجب الاحتراس منها لانها عقبة بل عقرب او هي بالحقيقة نحلة اما ان تجني لك عسلاً شهيا او تلسعك لسعًا قويًا . فكم من فتيان اغتنموا تلك الساعات واحسنوا استخدامها فكانت سببًا في رفع شأنهم ومحورًا لسعادتهم وآخرين اساؤُا استعمالها فساءت حالهم وذلوا بعد العز وفسدوا بعد الصلاح . فاحذر من يدك وعقلك ساعات الفراغ فانهما آلتان لا يرى الشيطان سبيلاً اليهما الا حين خلوهما من المشاغل

ماهي الراحة

لا يتوهمن القارىء اننا نحرم الراحة على رجال الاعمال لان الراحة لازمة للنجاح مثل لزوم العمل ولكن ماهي الراحة ? قد علمت مما تقدم ان الفراغ محال فاذا فرغ الانسان من عمله الذي يرتزق به انصرف الى ما يرتاح اليه من الالعاب واسباب اللهو اما للعب بالنرد او البليارد او الداما او غيرها من الالعاب في القهوات العمومية او لمجالسة بعض الاصدقاء لسماع الحوادث الجارية او لمطالعة الجرائد او ان يتلاهى بالمعاقرة او المقامرة او غير ذلك من وسائل اللهو . ومهما يكن نوع اللعب او التسلية فالعقل لا يزال عاملاً في كل حال . فكيف يكون العمل العقلي سبب التعب وسبب الراحة معًا ? ان الراحة لا تقوم بالكف عن العمل بل هي تقوم بتحويله او تنويعه فالعامل الذي يقضي نهارهُ قاعدًا ويداه تشتغلان انما يرتاح بالمشي وامساك يديه عن العمل

والتاجر الذي يقضي يومهُ مفكرًا في تجارته يرتاح بتحويل افكاره من التجارة الى شيء آخر كالمطالعة او بعض الالعاب العقلية او البدنية . والمحامي يرتاح بانصراف ذهنه عن المواضيع القضائية الى غيرها من الادبيات او العلميات . والكاتب قد يتعب من الكتابة في موضوع رياضي فاذا انتقل الى بحث اجتماعي او سياسي كتب فيه كأنهُ لم يتعب . وقس على ذلك سائر المهن . فالتعب عبارة عن كلل الاعضاء او مللها من العمل المستمر على وتيرة واحدة وانما اللذة في الانتقال . ولنفس هذا السبب يملُّ الانسان اي حال من الاحوال اذا طال

يمكنها ولوكانت من اسباب السعادة. فالفقير يشتهي الاطعمة الحمية وسائر الطيبات و يحسد النائمين على الفراش الناعم والذين يكتسون الديباج والحرير و يعدّ السعادة كل السعادة في الحصول على ذلك فاذا حصل عليه وطال تمتعه به ملّه والتمس سواه وقس عليه سائرالملاذ. فاللذة ليست بدرجة من درجات الغنى وانما هي بالانتقال مما يملّه الانسان الى ما يشتهيه

فليست الراحة بابطال العمل وانما هي بتحويله من جهة الى اخرى او من موضوع الى آخر والناس يختلفون في طرق ذلك التحويل وهي النقطة الجوهرية التي نحوّل التفات شباننا وشاباتنا اليها — اذا لم يكن بدٌّ من اشتغال فكرنا في ساعات الفراغ التماساً للذة الراحة فما لنا لا نشغله بما يلذ ويفيد ؟

خطر الفراغ

ليس عليك ايها الشاب خطرٌ من ساعات العمل وانما الخطر كل الخطر من ساعات الفراغ فاما ان تقضيها في اماكن اللهو والبطالة فتجرّ عليك الوبال او تعمل عملاً نافعاً لك ولذويك . وقد تقول ما ضرّ لو قضيتها في اماكن اللهو وليس هناك ما اخافه ولا انا آتٍ ما اخشى عاقبته . فاعلم ايها الشاب ان الذين تراهم الآن وتهزأ بهم او تأسف لحالهم لما هم منغمسون فيه من اللهو وانواع المساويء والمنكرات انما بدأوا بمثل ما انت باديءٌ به وقد اعتقدوا في انفسهم المقدرة على ملاصقة النار بغير ان يمسهم منها شرر فما لبثوا ان قادتهم العادة وغرهم معاشرة السوء فجعلوا ينحدرون دركة دركة من القهوة الى البار فالبيرا فالبيراليّة و... وهكذا الى اسفل الدركات فساؤا مصيراً واصبحوا من زمرة الاشرار وهم لا يعلمون على انهم لو ارادوا الرجوع عما هم فيه ما استطاعوا اليه سبيلاً فامسوا يعضون على نواجذ الندم ولات ساعة مندم

لا تعتقد الكمال في نفسك فالانسان ضعيف يخشى عليه من العادة اذا تسلطت وهي انما تتسلط بالتكرار عن غير قصد سيء — قد تذهب الى اماكن اللهو في باديء الرأي مسايرةً لصديق او خوفاً من ان تتهم بالبخل . فتذهب وانت تعتقد فساد رأي الذاهبين وتزعم انك لن تحذو حذوهم وانما تريد (مسايرتهم) وقد فاتك انهم كانوا مثلك وقد بدأوا بمثل عملك فاصبحوا بما هم فيه وهم لا يشعرون

على انك لو تأملت حالهم لرأيتهم انما يطلبون التعب لا الراحة واية راحة يرجونها من السهر الطويل في معاقرة الخمرة وانفاق المال فلا يمضي نصف الشهر حتى يمضي ما في الجيب وقد يكونون من ارباب الماهيات القليلة فينفقون رواتبهم على ابناء السبيل واولادهم يئنون

جوعاً ان تحسب ذلك راحة والاشغال الشاقة احسن منه عاقبةً

فربما كنت من اهل اليسار الذين افاض الله عليهم الخيرات ارثاً — اذ لا يمكن ان تكون ممن كسبوا المال طارفاً والمال لا يناله الا المكدّون على العمل والمنقطعون عن تلك الاماكن . فان كنت من اهل اليسار وهب انك تملك مال قارون فانه لا يلبث ان يذهب ضياعاً وانت لا تدري وقد يقودك غناك الى ارتكاب منكر هو اشرّ المنكرات بل هو آفة العمران الا وهو الميسر (المقامرة) وعنـد ذلك فلا تستعظم ثروتك ولا تفرح بكثرة الابنية وتعـداد الفدادين واصغرُ مزارعيك احسن حالاً منك . وكم من اولاد الثروة وابناء البيوت الرفيعة العماد اصبحوا بعد برهة يستدينون اقواتهم من بعض خدمتهم وهم لا يملكون شروى نقـير ذلك لأنهم غرّهم غناهم فحسبوا العمل عارًا عليهم فسلموا زمام اشغالهم للغرباء وانكبّوا على ما ظنوه أليق باهل الثروة فقضوا ايامهم ولياليهم في الترف والبذخ واللهو فخسروا المال والصحة والشرف على حين ان الفقر لو وُلدوا فيه لكان ستراً لهم ورادعاً لجميع تلك الشرور

فمن الحكمة والتعقل ان تجتنب استخدام ساعات الفراغ في ما تسوء مغبته من لعب اوشرب في الحانات اوالقهوات اوفي المنازل وقد اصبح بعض المنازل في مدننا الكبرى لسوء الحظ مقامر يجتمع اليها الشبان والشابات يقضون معظم الليل والنهار في تقليب الورق وتداول النقود وانتقلت هـذه العدوى الى عائلات من خيرة العائلات ادباً وفضلاً رجالاً ونساء وفيهم جماعة من اهل الذكاء والعلم يزعمون انهم يقتلون الوقت باللعب للتسلية لا للمقامرة — فاذا كانوا لا يخافون على انفسهم من التورط الا يرون في ذلك خطرًا على اولادهم وسائر اهلهم . واما اعتذارهم باللعب للتسلية فمنقوض لان وسائل التسلية كثيرة وخصوصاً في المدن الكبرى وعلى الاخص بين المتعلمين والادباء واهل الذكاء كالاجتماعات الادبية والمباحثات في الحوادث الجارية من سياسية او اجتماعيـة وفي ذلك تثقيف ولذة وفائدة . فاذا ملّ من الحـديث فهناك العاب كثيرة تعرف بالعاب المنازل على سبيل (الحزازير) ونحوها قد يشترك في اللعبة الواحدة عشرة او عشرون . وفي بعضها فضلاً عن التسلية فائدة لتوسيع العقل بدون تعب كالالعاب المبنية على الاسئلة التاريخية او الادبية او نحوها وكلها مشهورة بين العائلات . واذا وجد في الجلسة واحدٌ يعرفها يكفي لقضاء السهرة بها . ولا يُستحسن اللعب بشيء من الالعاب التي تشبه آلات المقامرة ولو مهما كانت بسيطة لان لعب الورق البسيط او لعبة شاكوش كومبانيا او نحوها كثيرًا ما يكون سبيلاً الى المقامرة ونحوها

للاعبين او لاولادهم على الاقل · فالاحسن البعد عن ادوات اللعب والفرار منها والاقتصار على ما تقدم من الالعاب المنزلية وهي كثيرة او المباحثات او المطارحات او المذكرات على قدر استعداد الحاضرين · ونعرف شباناً في القاهرة والاسكندرية انفوا من سهرات الكسل او الرخاء التي تذهب بالوقت سدى فالفوا جمعيات بعضها ادبية وبعضها علمية · ومنها جمعيات تمثيلية اشبه شيء بالاجواق فبعضهم يؤلف الرواية والبعض الآخر يمثلها وكثيراً ما عادت هذه الاعمال بالنفع المادي على الاعضاء فضلاً عن النفع الادبي · فما يمنع ان يشترك السيدات ايضاً في مثل هذه الجمعيات او ينشئن جمعيات لانفسهن يشتغلن فيها بما ينفعهن وينفع الناس ويكفي ان يصرفن اذهانهن عن تلك الالعاب الجهنمية

فائدة الفراغ

على اننا لا نرضى منك وانت من شبان القرن العشرين ان تكتفي بتجنب شر الفراغ وانما انت مسئول عن ضياعه عبثاً ـ ان ساعات الفراغ ذخر ثمين لمن يحسن استثماره ولو تدبرت سير رجال الاعمال والمخترعين لرأيت ما اتوه من اختراع او اكتشاف او مشروع عظيم انما هو من ثمار اشتغالهم في ساعات الفراغ · الم يكن ركشرد كرايت مخترع آلة الغزل ومؤسس معامل القطن حلاقاً وكذلك كان تنتردن قاضي القضاة وترنر المصور الشهير · فهل بلغوا ما بلغوه بغير استخدام ساعات الفراغ ان معظم العظماء نبغوا من اكواخ الفقراء بالجد والنشاط وما هما الا العمل في ساعات الفراغ · فمن استخدم ساعات الفراغ في ما ينفعه فهو النشيط المقدام الذي يرجى خيره · ولا يحتقرن احد نفسه مهما يكن فقيراً وانما الفقير الكسول ضعيف العزيمة ساقط الهمة · فقد نبغ من بين الفعلة غير واحد من المهندسين والشعراء ونبغ من بين البنائين بن جنسن لانه كان يقضي نهاره وملعقة البناء في يده والكتاب في جيبه يغتنم ساعات الراحة للقراءة فيه · وقام من بين البنائين ايضاً أدوردس وتلفرد المهندسان وهيوملر الجيولوجي وألن كنهام المؤلف النقاش · ومن بين النجارين انيغوجونس وهريسن صانع الخرونومتر ويوحنا هنتر الفزيولوجي ورمني وأوبي المصوران والاستاذ لي البارع في اللغات الشرقية ويوحنا جبسن النقاش · ومن بين الحاكة سمسن الرياضي وباكن النقاش وفلتر المؤلف وولسن العارف بالطيور والدكتور لفنستن الرحالة الافريقي وتناهل الشاعر · ومن بين الاساكفة السر كلودسلي شوفل امير البحر العظيم وسترجون الكهربائي وصموئيل درو المؤلف وجيفرد محرر جريدة كورترلي رفيو وبلمفيد الشاعر ووليم كاري ، ومورسن المبشران

وموريسن لم يكن سكافاً بل صانع قوالب للاساكفة

وقام من بين الاساكفة توما ادوردس وقد درس جميع العلوم الطبيعية وهو يشتغل بالسكافة حتى اكتشف نوعاً من المتحجرات سمي باسمه • ونبغ من الخياطين يوحنا ستو المؤرخ وجكسن المصور واندروجنسن رئيس الولايات المتحدة • وكان الكردينال ولسي العظيم قصاباً ويوحنا بنيان تكارياً وهلكرفت المؤلف سائساً وهرشل الفلكي الشهير كان يلعب على المزمار — فهؤلاء وغيرهم كثيرون نهضوا من الفقر الى الغنى ومن الجهل الى العلم باستخدام ساعات الفراغ في ما ينفعهم • فما اجدر شباننا ان يقتدوا بامثال اولئك العظماء فيشغلوا فراغ اوقاتهم باكتساب ما ينفعهم من صنعة اوادب او علم على ان يجعلوه لهواً في ساعات الفراغ بدلاً من لعب النرد او البلياردو او الداما او الورق او غيرها • وكم بيننا من ارباب الصنائع الدنيئة هل يخطر لاحدهم اغتنام فرصة الفراغ لدرس علم او مهنة تغنيه عن صناعته • وقد يشق ذلك عليهم لاول مرة فاذا حملوا انفسهم عليه مراراً اصبح ملكة يلتذون بها فلا يرتاحون الا اليها وانما السر في الخطوة الاولى فالحازم ان لم يكن فيه ميل للدرس عود نفسه عليه فما هو الا ان يحمل نفسه على ممارسته مراراً فيألفه ويصير ملكة فيه

كم بين ظهرانينا من شبان وفيهم التاجر والكاتب والصانع والفلاح والمستخدم في الحكومة وفي غيرها وكلهم يطلبون الرقي ويتمنون زيادة الكسب ولكن الساعين في ذلك من طريقه الحقيقي قليلون وكم ترى من الناقين على الدهر العاتبين على الزمان يندبون سوء الحظ يزعمون انهم مع ما خصهم به الطبيعة من سمو المدارك والمهارة في العمل لا ينالون حظاً من حقوقهم واذا جالستهم او ماشيتهم لقيتهم يقضون ساعاتهم (وكلها ساعات فراغ) ينتقلون من قهوة الى أخرى ومن بار الى آخر لا يعملون عملاً كانما يريدون ان تهبط عليهم الثروة هبوط الوحي او تنزل عليهم الاشغال نزول المن والسلوى • واذا حادثتهم ملأوا اذنيك طعناً بالناس وامتهاناً لذوي اليسار بانهم أوتوا الثروة عفواً عن غير استحقاق على حين اننا لم نسمع بفقير اغتنى بغير كد وسهر ومثابرة بنسبة نوع عمله وما اختص به من المواهب • ومن منا لا يضمن لهم النجح اذا شغلوا اوقاتهم بالعمل والكد وهجروا اماكن اللهو

وطائفة المستخدمين في المصالح الاميرية مطمح انظارهم الارتقاء في الوظائف وقليلون الذين يؤهلون انفسهم للارتقاء بدرس اللغات او العلوم اللازمة لتقدمهم • وقد يعتذرون

عن تقاعدهم بضيق الوقت يعنون بضيقه انهم لا يملكون من فراغه الا ساعات قليلة في اليوم لا بد من صرفها في الراحة وقد قدمنا ان الراحة ليست بالكف عن العمل بل بتنويعه ومع ذلك فالدقائق القليلة مع التكرار تعمل عملاً عظيماً وانما يعوزنا المواظبة لان الساعات مؤلفة من الدقائق والايام من الساعات . ان هذه الجبال الشامخة انما هي من بناء حيوانات صغيرة لا ترى الا بالمكرسكوب واهل المواظبة يستخدمون فضلات الوقت لعمل نافع غير مهنهم فينفعون وينتفعون وقد يفعلون ذلك في اوقات لا نقدرها قيمة — فان الدكتور مازون كود ترجم لكريتوس في اثناء تجواله بين مرضاه والدكتور دارون الف اكثر كتبه على هذه الطريقة والدكتور برني تعلم الفرنساوية والايطالية في اثناء انتقاله بين بيوت تلامذته ليعلمهم الموسيقى وكرك هوايت تعلم اليونانية في الطريق بين مكتبه ومجلس القضاء ودغسو احد مبشري فرلسا الف كتاباً ضخماً في الفترات على المائدة بين لون من الطعام ولون آخر ومدام دي جنلي الفت بعض كتبها في الدقائق القليلة التي كانت تقضيها في انتظار الاميرة التي كانت تعلمها . والبهوريت كان حداداً وتعلم في ساعات الفراغ من عمله ٣٨ لغة منها ٢٠ لغة حديثة و ١٨ قديمة

فالاعتذار بضيق الوقت لا يعتدُّ به لان المواظبة تعوض عنهُ . وانما نحن في حاجة الى الارادة والعزم اكثر من حاجتنا الى الذكاء والفهم — اياك والتأجيل فانهُ آفة المشارقة وكم من اذكياء نبهاء قضوا زهرة اعمارهم في التسويف والاهمال وترك الامور للتقادير والاكتفاء بالشكوى والعتاب . فالمستخدم في قلم عربي مثلاً ويريد الارتقاء الى اعلى منهُ عليه ان يتعلم الانكليزية او الفرنساوية او يتعلم الحساب او الانشاء او غيرها من العلوم التي تفتقر اليها المصالح الكبرى . وكذلك العامل في مخزن او ادارة او بنك او زراعة او صحافة او محاماة فلينظر الى ما يعوزه للارتقاء ويدرسه في ساعات الفراغ فيغني نفسه عن مضار الملاهي وعواقبها ويحتفظ براتبه من الضياع فيها ويتعلم ما يفيده ويفيد وطنهُ

ويسرنا ان نرى بعض مستخدمي الحكومة سائرين على هذا النحو وبعضهم بعد ان قضوا عقداً من العمر في خدمة الحكومة لما علموا بما يهدد المستخدمين من الرفت كل ساعة تخوفاً من ان يفاجئهم ذلك وهم في غفلة فتقصر ايديهم عن القيام بأود حياتهم تراهم يقضون ساعات الفراغ في درس علم او فن يصح الاعتماد عليه في الارتزاق كالمحاماة او الطب او الصيدلة او صناعة من الصنائع الجميلة كالحفر والرسم والتصوير والموسيقى مما يركن اليه عند الحاجة واذا لم يطرأ عليهم رفت فانهم لا يخسرون شيئاً بل يقتصدون ما

كان لا بد لهم من انفاقه لو قضوا تلك الساعات في اماكن اللهو فضلاً عما يؤانسونه في مطالعة تلك العلوم او ممارسة تلك الصنائع من اللذة التي لا تقاس بما يتوقعه اللاعب بالنرد او الشطرنج او غيرهما

على ان بعضاً من هؤلاء وهم من اصدقائنا قد خرجوا بذلك من القوة الى الفعل ومنهم من لم ينتظر رفت الحكومة فاستقال من منصبه وعمل بالعلم او الصناعة التي تعلمها وعوّل عليها فاكتسب اضعاف راتبه الاصلي فتعاطى احدهم المحاماة وآخر فن الرسم او التصوير الشمسي وآخر صناعة الحفر وآخر غير ذلك وقد اشتهر كلٌّ منهم بصناعته وهم الآن يتعاطون تلك الاعمال وقد مهروا بها واستغنوا عن الخدمة بما اكتسبوه ساعات الفراغ

الشابات والفراغ

هذا ما يقال في الشبان اما الشابات فالفراغ يضرُّ فيهن اكثر مما يضرُّ بالشبان ولا سيما اللواتي قام في اذهانهن انهن انما خلقن للتبرج والتزين وتبديل الازياء غير مباليات بما يجرُّهُ ذلك عليهنَّ وعلى ذويهنَّ من الشر والفساد ونخص منهنَّ بنات الاغنياء اللواتي يربين في رغد وعز فيستنكفن من اقل الاعمال فلا تمس ايديهن اداة من ادوات البيت لان ذلك في زعمهن حطة بشأن السيدات وقد خلقن للزينة لا يهمهن امر ازواجهنَّ او والديهن وما يقاسونهُ في تحصيل الدرهم وهنَّ لا يعرفن من امر النقود الا ما يدفعنه الى الموديستا او بائع الاقمشة وقد لا يمسسن الدراهم بايديهن وانما يقصصن ويخطن والحساب على رجالهنَّ

واغرب من ذلك ان بعض ذوي اليسار يبالغون في ترفيه بناتهم وتأنيقهن حتى يقيموا لكل واحدة منهن خادمة بل خادمات هذه تحضر لها القهوة وتلك تقدم لها الطعام وهذه تشعل لها السكارة وقس عليهِ . فمن كانت هذه حالها وليس لديها عمل تعمله تشغل به عقلها او جسدها فما الذي ترجوه منها اذا شبت وقد نمت فيها الشعائر ونضجت العواطف وهذه لا تبقى بلا عمل فاذا كانت الفتاة في ابان شبابها ولا عمل لها تعمله او تتلاهى به افلا يكون في ذلك خطر على سيرتها ولو معا بالغ اهلها في حجابها

وما قولك بمن تقضي اعواماً طوالاً لا تشعر بما يدخل بيتها أو يخرج منه من لوازم الطعام واللباس تاركة أمره للخدم والجواري فاذ جاء الخادم آخر الشهر بجريدة النفقات وفيها انهُ انفق في اثناء ذلك الشهر خمسة قناطير من السمن مثلاً فلا تدرك حضرتها ان مثل ذلك القدر لا يمكن انفاقه على بيتها في خمسة اشهر ولو اتخذوا السمن للاغتسال وليس للطعام

ومنهن من اذا رأت جارتها تخيط رداء حريرياً على زي جديد تنقم على زوجها اذا لم يجئها بمثله ولو ان دخله في الشهر كله لا يساوي ثمن ذلك الرداء . واذا بحثت عن سبب ذلك الشر رأيته ناتجاً عن تقاعدها عن العمل لانها لما لم يكن لديها ما يشغلها ساعات النهار انقطعت الى الاهتمام بأمر نفسها وصبغ وجهها وتحسين خلقتها بانواع التبرج تقضي سحابة يومها في التزين تنتقل من امام المرآة الى الشرفة (البلكون) ثم تعود الى غرفة اللباس (التوالت) فتبدل ثيابها وتعود الى الشرفة واذا حضرت حفلة انصرف فكرها الى ماتراه هنالك من الازياء الجديدة والتفنن بانواع الخلاعة وقد تكون تلك الزيارة سبباً لتنغيص عيشها وعيش زوجها ولا سيما اذا رأت بين تلك الازياء زياً جديداً ليس لها مثله

فلو كانت ممن ربين على العمل وعرفن قيمة الدرهم وتعودن الاهتمام بامور بيوتهن واولادهن فان همهن ينصرف الى الفضيلة القائمة بتدبير المنزل والاقتصاد بنفقاته و بدلاً من الافتخار بغلاء ثوبها تفتخر بتدبير بيتها وتربية اولادها على الحشمة والنظافة ومطالعة الكتب المفيدة فتكون سعادة لزوجها وزينة لمنزلها وربما زينت ذلك المنزل بشغل يديها وليس في ذلك عار وانما العار اذا انفقت مال رجلها على البذخ في ملابسها وتركت بيتها وقد غشيته القذارة فتكون كالقبور المكلسة بيضاء من الظاهر وفي داخلها جيف نتنة

ولو اقتصر شرها على ذلك لكان خيراً ولكنها تكون قدوة سيئة لاولادها فيشبون على ما تعودوه من الكسل والبطالة والاهمال مالا تنزعه تربية المدارس ولا يقلعه تعليم المعلمين واكبر شر يرثونه منها سوء استعمال ساعات الفراغ التي قد تقدم انها عقبة شديدة الخطر اما اذا تجاوزناها بسلام فنصل الى بحبوحة السعادة

حكم عربية

الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . العفو عن المقر لاعن المصر . اصح الثناء ما اعترف به الاعداء . القلم احد اللسانين . خير المعروف ما لم يتقدمه ولا يتبعه من . عليَّ ان اقول وليس عليَّ القبول . خفف طعامك تأمن اسقامك . من ضاق خلقه ملّه اهله . رب اخ لك لم تلده امك . من تطأطأ لقط رطباً ومن تعالى لقط عطباً

احوال الدول المعاصرة

٣ – الولايات المتحدة الاميركية

١ – نظام حكومتها

ان حكومتها جمهورية تأسست يوم استقلالها عن انكلترا في ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٧٨٢ اعترفت انكلترا بذلك الاستقلال وفي ٣ سبتمبر من السنة التالية عقدت معاهدة الصلح بينهما . ونظام حكومة الولايات المتحدة مبني على دستورها الذي وضع سنة ١٧٨٧ ثم اضيف اليه اضافات واصلاحات آخرها ادخل سنة ١٨٧٠ وبمقتضى هذا الدستور تتألف الحكومة من ثلاث ادارات : التنفيذية والتشريعية والقضائية

الادارة التنفيذية : فالتنفيذية لها رئيس ونائب رئيس يعينان بالانتخاب لمدة اربع سنوات ورئيس الجمهورية هو قائد الجند البري والبحري والضابطة . واذا توفي الرئيس قبل انقضاء مدته خلفه النائب في ما بقي منها . وقد توالى على جمهورية الولايات المتحدة منذ انشئت الى الآن ٢٦ رئيساً اولهم جورج وشنطون تولاها سنة ١٧٨٩ وآخرهم الرئيس الحالي تيودور روزفلت تولاها رسمياً سنة ١٩٠٥ وراتب الرئيس عندهم ٥٠,٠٠٠ ريال أو عشرة آلاف جنيه

الرئيس روزفلت

والرئيس روزفلت من خيرة رؤساء هذه الجمهورية وقد أجمعت القلوب على احترامه لنشاطه وحزمه ولم يتولّ هذا المنصب احد قبله وهو في مثل سنه . ولد في نيويورك في ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٥٨ فهو الآن في السنة الخمسين من عمره وكان ابوه تاجراً يرجع في أصله الى نسب هولندي ووالدته من جنوبي الولايات المتحدة شديدة التعصب لحزب الجنوب . وهي من خيرة النساء تعقلاً وحزماً وثباتاً ولاريب ان ابنها الرئيس اكتسب كثيراً من تلك الفضائل منها . ومن أدلة حزمها وقوة جنانها ان زوجها امر اهل بيته ان يزينوا منزله بالاعلام لاحتفال عمومي كانوا يتاهبون له فما كان من امرأته الا انها علقت على نافذة غرفتها راية من رايات حزب الجنوب وذلك يخالف السياسة التي كانت قد استتبت في ذلك الحين . فلما رأى اهل نيويورك تلك الراية هاجوا وتجمهروا تحت النافذة يريدون انزال الراية فانتبه زوجها الى سبب الغوغاء فتقدم الى امرأته ان تنزلها فابت

وقالت « ان الغرفة غرفتي ولا اريد ان انزع شارة وطني العزيز عنها قل لاولئك السفهاء اني احب الجنوب واهل الجنوب » فخرج وافهم القوم ما قالته فاقتنعوا وانصرفوا



روزفلت — رئيس جمهورية اميركا

كان ثيودور روزفلت في صباه نحيفاً مثل كثيرين من الرجال العظام في صبوتهم وقد قوّى عضله وخشن عظامه بالرياضة البدنية فاكثر من الخروج للصيد على ظهر الجواد او على الاقدام . وسار في تربية اخلاقه منذ صباه على قول سليمان الحكيم « كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بكل قوتك » وقول لنكولن « افعل احسن ما يمكن واذا لم تستطع فافعل احسن ما يمكنك » فتعلم وتثقف وتربى واحب العلم والادب كما احب الصيد والقنص فكان يذهب الى الصيد وكتابه معه وله عدة مؤلفات في مواضيع سياسية وتاريخية وذاعت شهرته وعظم مقامه وهو لا يزال شاباً فرشحوه سنة ١٨٨٦ لمنصب محافظ نيويورك ولم ينتخب لاسباب سياسية ولكنه تولى مناصب رفيعة في خدمة الجمهورية

وحضر حرب كوبا وعين عند رجوعه حاكماً على ولاية نيويورك فادخل فيها اصلاحات كثيرة وارتقى منها لنيابة رئاسة الجمهورية سنة ١٩٠١ وتوفي في تلك السنة الرئيس مكنلي فخلفه لمدته الباقية ثم انتخب رسمياً للرئاسة سنة ١٩٠٥ ولا يزال

عود الى نظام الحكومة

وتحت الرئيس ونائبه في الادارة التنفيذية رؤساء المصالح وهم تسعة يتألف منهم مجلس (النظار) ينتخبهم الرئيس ويثبتهم مجلس الشيوخ الآتي ذكره ويترأس كل منهم على عمل من اعمال الحكومة وتكون علاقته مع الرئيس مباشرة وهذه هي المناصب:

(١) ناظر الخارجية	(٦) ناظر البريد
(٢) « المالية	(٧) « القضاء
(٣) « الحربية	(٨) « الزراعة
(٤) « البحرية	(٩) « التجارة والصناعة
(٥) « الداخلية	

الادارة التشريعية: والتشريعية مؤلفة من مجلس الشيوخ ومجلس النواب والاول مؤلف من اعضاء ينوب كل اثنين منهم عن ولاية من ولايات الجمهورية وينتخب لست سنوات • ويشترط ان لا ينقص عمر احدهم عن ثلاثين سنة وان يكون قد اكتسب الوطنية الاميركانية منذ تسع سنين وان يكون مقيماً في الولاية التي ينتخب للنيابة عنها • ومن حقوق مجلس الشيوخ سن القوانين وله الحق في قبول ما يعقده الرئيس مع الدول الاجنبية من المعاهدات او رفضها ويكفي لذلك اغلبية ثلثي الاعضاء وله ايضاً قبول او رفض ما يجريه الرئيس من اعمال التنصيب او الخلع

ومجلس النواب مؤلف من اعضاء تنتخبهم الامة مرة كل سنتين والتصويت في الانتخاب لا يجوز الا للوطني الذي تجاوز الحادية والعشرين من عمره لا فرق في ذلك بين الوان الناس أو اجناسهم • وحق الوطنية يكتسبه النزيل على اهون سبيل ويختلف ذلك باختلاف الولايات ففي بعضها يكفي الاقامة سنة وفي البعض الآخر يشترط دفع الرسوم وغيرها غير ذلك مما لا محل لتفصيله • واما حقوق الولايات في عدد من تنتخبهم لينوبوا عنها فتختلف باختلاف عدد السكان وعند كل احصاء يتقرر عدد النواب عن كل ولاية فبعد احصاء سنة ١٩٠٠ كان حظ ولاية بنسلفانيا اكثر من حظوظ سائر الولايات فتقرر لها الحق بانتخاب ٣٢ نائباً تليها ولاية الينويس ونوابها ٢٥ ثم اوهايو ونوابها ٢١ ثم تكساس ١٦

ثم جورجيا وايوا وكنتكي وويسكنس ولكل منها ١١ نائباً وهكذا بالتدريج الى الولاية التي لا حق لها الا بنائب واحد مثل ايداهو واوتاه . ومجموع عدد النواب في كل حال ٣٨٦ عضواً

ويشترط في النائب ان يكون سنه ٢٥ سنة فما فوق وان يكون اكتسب الوطنية الاميركانية منذ سبع سنين وان يكون مقيماً في الولاية التي ينتخب لها . وراتب العضو من مجلس الشيوخ او مجلس النواب ٧٫٠٠٠ ريال (او ١٫٤٠٠ جنيه) في العام غير النفقات التي تطرأ في المهمات . ولمجلس النواب خطيب راتبه ١٢٫٠٠٠ ريال

هذه هي الادارة العامة للولايات المتحدة على الاجمال ولكل ولاية احكام خاصة ومن هذه الولايات ١٣ ولاية تعرف بالولايات الاصلية وبينها ارتباط خصوصي وتسمى معاً الاتحاد (يونيون) وسبع ولايات تابعة لها ولكل ولاية مجلس نواب ومجلس شيوخ خاصان بها وحاكم خاص ونائب للقوة التنفيذية وآخر للقضائية . واجور النواب فيها تتفاوت من ١٥٠ ريالاً الى ١٫٥٠٠ ريال . وحاكم الولاية ينتخبه شعبها بالاصوات وتختلف مدة حكومته من سنة الى اربع سنوات باختلاف الولايات وينتخب الموظفون الكبار ايضاً عند انتخاب الحاكم بالاصوات وعاصمة الولايات المتحدة كلها مدينة وشنطون

٢ — احصاؤها

ان مساحة الولايات المتحدة على اجمالها ٣٫٥٦٧٫٥٦٣ ميلاً مربعاً وكان عدد سكانها سنة ١٧٩٠ نحو ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس واصبح ٩٫٦٣٨٫٤٥٣ سنة ١٨٢٠ و ١٧٫٠٦٩٫٤٥٣ سنة ١٨٤٠ و٣١٫٤٤٣٫٣٢١ سنة ١٨٦٠ و٥٠٫١٥٥٫٧٨٣ سنة ١٨٨٠ ومعدل الزيادة ٣٫٥ في المئة كل سنة وذلك نادر في غير احوال المهاجرة عند انشاء بلد او فتح مملكة

وبلغ عدد سكان الولايات المتحدة لسنة ١٩٠٠ نحو ٧٦٫٣٠٣٫٣٨٧ نفس يزيد عدد الذكور منهم على عدد الاناث نحو ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس . ومن مجموع اولئك السكان ٦٥٫٧٢٩٫١٥٠ نفساً وطنيون والباقون وهم ١٠٫٣٥٦٫٦٤٤ نفساً اجانب منهم ٢٫٧٨٨٫٣٠٤ مولودون في بريطانيا العظمى و ٢٫٦٦٦٫٩٩٠ في المانيا والباقي وهو نحو النصف من سائر اقطار العالم يقسمون على ٢١ مملكة من ممالك اوربا واميركا الجنوبية وكندا والصين وافريقيا واوستراليا . وبلغ عدد الذين يشتغلون من سكان اميركا في الاعمال على اختلاف اشكالها ٢٩٫٠٧٣٫٢٣٣ نفساً تقسم على الكيفية الآتية :

	ذكور	اناث	المجموع
اهل الزراعة وملحقاتها	٩,٤٠٤,٤٢٩	٩٧٧,٣٣٦	١٠,٣٨١,٧٦٥
أصحاب المهن والحرف	٨٢٧,٩٤١	٤٣٠,٠٩٧	١,٢٥٨,٠٣٨
خدم المنازل ونحوها	٣,٤٨٥,٢٠٨	٢,٠٩٥,٤٤٩	٥,٥٨٠,٦٥٧
اهل التجارة والنقل	٤,٢٦٣,٦١٧	٥٠٣,٣٤٧	٤,٧٦٦,٩٦٤
عمال المعامل وما يلحقها	٥,٧٧٢,٦٤١	١,٣١٢,٦٦٨	٧,٠٨٥,٣٠٩
(المجموع كله)	٢٣,٧٥٣,٨٣٦	٥,٣١٩,٣٩٧	٢٩,٠٧٣,٢٣٣

واما عدد السكان بالنظر الى المدن فاكثرهم سكان نيويورك وبلغ عدد اهلها السنة قبيل الماضية ٥,٦٢٠,٠٤٣ نفساً تليها شيكاغو وعدد سكانها ٢,٧٠١,٧٠٥ ثم فيلادلفيا وسكانها ١,٨٢٣,٧٧٩ نفساً ثم سانت لويس فبوسطن فبلطيمور فكليفلاند وغيرها الى ٨٥ مدينة اقلها سكاناً اكرون من اعمال اوهايو سكانها ٢٠٨,٤٣٥ نفساً وتأتي العاصمة (وشنطون) في الدرجة الرابعة عشرة وعدد سكانها ٤٣٧,٥٧١ نفساً

٣ — المعارف

لكل ولاية من الولايات الرئيسية نظام للمدارس مقرر بقوانينها ، وكان معدل الاميين فيها لسنة ١٨٨٠ نحو ١٧ في المئة فاصبح الآن اقل من عشرة وهو اقل من ذلك في البيض الوطنيين واكثر في غيرهم على هذه النسبة :

نوع الاهالي	ابناء عشر سنين فما فوق	عدد الاميين فيهم	النسبة بالمئة
البيض الوطنيون	٤١,٢٣٦,٦٦٢	١,٩١٣,٦١١	٤٬٦
« الاجانب	١٠,٠١٤,٢٥٦	١,٢٨٧,١٣٥	١٢٬٩
« السود والحمر	٦,٧٩٩,٩٠٦	٢,٩٧٩,٣٢٣	٤٤٬٥

وهي تنفق على المعارف ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه في السنة ومدارسها عديدة منها ٤٥٣ جامعة او كلية فيها عشرة آلاف استاذ و ٤٤ مدرسة صناعية و١٢٢ كلية للنساء ، واما المدارس الابتدائيــة فانها عديدة جداً عدد اساتذتها نحو ٥٠٠,٠٠٠ معلم وتلامذتها ١٧,٠٠٠,٠٠٠ تلميذ نصفهم ذكور والنصف الآخر اناث . واما الاساتذة فثلاثة ارباعهم من النساء ، ومدارس الفنون الخاصة عددها ١,٣٩٥ منها ٨٦٢ مدرسة لتعليم التمريض والحضانة و١٥٦ مدرسة للاهوت و ١٤٨ للطب و٩٦ للقضاء و٥٤ لطب الاسنان و٦٧ للصيدلة و ١٢ للبيطرة

وفي الولايات المتحدة ٦,٨٦٩ مكتبة تحتوي كل منها على أكثر من الف مجلد وبعض هذه المكاتب عمومية والبعض الآخر للمدارس او الجمعيات ومجموع مجلداتها ٥,٤٤١٩,٠٠٠ مجلد وهي تزداد كل عام زيادة كبيرة . وفي تلك الولايات ٢,٣٤٩ جريدة يومية و١٥,٩٨٣ جريدة اسبوعية و٥٥٤ تصدر مرتين في الاسبوع و٢,٨١٠ تصدر مرة في الشهر و٢٦٣ تصدر مرتين في الشهر و ٣٦٨ تصدر في مواعيد أخرى . ومجموع ذلك كله نحو ٢١,٤٠٠ صحيفة وكانت سنة ١٨٨٠ نحو نصف هذا العدد . وهذا عدد الصحف باعتبار مواضيعها

١٦,٥١٦	جرائد سياسية واخبارية وعائلية
١,٢٨٧	« دينية
٩٩١	« تجارية ومالية وصناعية
٤٥٠	« اخوية
٣٦٠	« زراعية ونحوها
١,٧٩٦	« مواضيع اخرى كالادب والعلم وغيره
٢١,٤٠٠	

ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية ان عدد ما يصدر من الصحف على اختلاف مواضيعها ومواعيد صدورها ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠ عدد منها ١٥٥,٧٧٦,٠٦٢ عدد من المجلات الشهرية و٢٠,٠٠٠,٠٠٠ عدد الجرائد اليومية و١٠,٠٠٠,٣٦ من الجرائد الاسبوعية

٤ — ماليتها

ان مجموع دخل الحكومة للسنة ١٩٠٦ بلغ ٥٩٤,٤٥٤,١٢٢ ريالاً (الجنيه خمسة ريالات) ونفقاتها بلغت ٥٦٨,٧٨٤,٧٩٩ ريالاً لا يدخل في ذلك ميزانيات البريد او الديون . وهذا تقدير ميزانية جمهورية اميركا لسنة ١٩٠٧ وقد اضيف اليها مصلحة البريد

	الداخل بالريال		الخارج بالريال
ضرائب الكمارك	٣١٦,٠٠٠,٠٠٠	نفقات الملكية	١٢٣,٠٠٠,٠٠٠
دخل الداخلية	٢٦٣,٠٠٠,٠٠٠	« الحربية والبحرية	١٩٧,٠٠٠,٠٠٠
عوائد مختلفة	٥٣,٠٠٠,٠٠٠	« الاشغال العمومية	٧٦,٠٠٠,٠٠٠
دخل البريد	١٨١,٥٧٣,٢٦٤	« أُخرى وفوائد	١٧٨,٠٠٠,٠٠٠
		« البريد	١٨١,٥٧٣,٢٦٤
(المجموع)	٨١٣,٥٧٣,٢٦٤	(المجموع)	٧٥٥,٥٧٣,٢٦٤

٥ — جنديتها

الجندية في الولايات المتحدة اختيارية ولا يشاركها من الدول العظمى في هذه المزية الاَّ انكلترا . ومدة الخدمة تحت السلاح ثلاث سنين وللجندي ان يجدد مدته مراراً طالما كان قادراً على العمل . وراتب الجندي عندهم يساوي تسعة قروش مصرية تزداد بالتدريج . ويشترط في الجندي الاميركاني ان يكون طولهُ خمس اقدام واربعة قراريط وسعة صدره ٣٢ قيراطاً الاَّ في بعض الاحوال

وعدد الجند في وقت السلم لا يزيد على بضعة وستين الفاً وفيهم الضباط ونصف ضابطان ويضاف اليهم جنود الهنود الوطنية وفرق المستشفيات وغيرها على هذه الصورة للسنة الماضية :

٦١,١٩١	الجند الاصلي وفيه المشاة والفرسان والطوبجية والمهندسون
٨,٣٦٣	اركان حرب وفيهم فرق المستشفيات
٦,٠٠٣	الجنود الوطنيون في اميركا والمستعمرات
٧٥,٥٥٧	الجملة

وللرئيس ان يزيد هذا العدد الى ١٠٤,٠٠٠ او حسب الحاجة . والرديف فيها مؤلف من طبقتين (١) الرديف المنظم وهو الحرس الوطني (٢) الرجال تحت الطلب او المستحفظون . فالحرس الوطني ليس باسم الولايات على العموم ولكنهُ يختص كل فريق منهُ بالولاية التي هو فيها . والانتظام في الحرس الوطني اختياريٌّ ايضاً ومدة الخدمة خمس سنوات وهي تشبه من حيث نظامها وتدريبها الجند الانكليزي . وللرئيس الحق ان يدعو هؤلاء الحراس كلهم او بعضهم للدفاع عن الولايات عند الضرورة بشرط ان لا تزيد مدة استخدامهم على تسعة اشهر الاَّ اذا اختاروا هم ذلك . ومجموع الحرس الوطني في الولايات المتحدة كلها ١١٥,٠٠٠ نفر وضابط لا يصلح للحرب منهم الاَّ ثلاثة ارباعهم

واما الجند تحت الطلب او المستحفظ فيشمل كل اميركاني بين السنة ١٨ و ٤٥ من عمره فكلهم مكلفون بالتجند عند الضرورة للدفاع عن الوطن مدة سنتين . ويقدر عددهم بنحو ١٦,٠٠٠,٠٠٠ نفس لكنهم غير مدربين على الحركات العسكرية وفي تجنيدهم او تجنيد بعضهم مشقة لا تخلو من الاخبار . واذا انتشبت حرب فالولايات المتحدة تقدم لساحة القتال ٥٠,٠٠٠ جندي منظم ونحو ٥٠,٠٠٠ من الحرس الوطني الصالح للحرب غير ما قد تجنده عند الحاجة من الرديف . وكان للجند عندهم قائد عام فاستغنوا عنه وجعلوا

رئيس الجمهورية قائد الجند العام براً وبحراً وبلغت نفقات الحربية لسنة ١٩٠٦ نحو ٢٠,٧٠٠,٠٠٠ جنيه غير ما تنفقه الولايات على الحرس الوطني في اماكنها

والبحرية الاميركانية يتولى ادارتها ناظر خاص يعينه الرئيس بمصادقة مجلس الشيوخ وهي مؤلفة من السفن الحربية ورجالها وشروط انشاء السفن بحسب القوانين ان تبنى في الولايات المتحدة وبمواد من موادها الا عند الاضطرار كما حصل في اثناء حربها مع اسبانيا والجند البحري عدده على الاجمال ٣٧,٠٠٠ وفيهم الجند والضباط ويرأسهم جميعاً اميرال و٢٢ نائباً و٨٦ قبطان و١٢١ قومندان وبضع مئات من الضباط الآخرين

اما السفن الحربية فعددها ١٢٩ سفينة منها المدرعات على اختلاف قواتها هكذا:

دوارع حربية على النمط الجديد	٢٥
« « « « القديم	٠٤
طوافات مدرعة من الطرز الاول	١٠
« « « « الثاني	١٢
« « « « الثالث	١٢
منبهات	١٠
كشافات	٣
نسافات	١٩
طرادات (طوربيد)	٣٢
غوّاصات	١٢
الجملة	١٣٩

٦ — محصولاتها

ان مساحة الارض التي يمكن استثمارها في الولايات المتحدة نحو ١,٨٨٤,٠٢١,٧٦٠ قصبة منها ٨٦٢,٠٠٠,٠٠٠ قصبة لا تزال غير مملوكة ولا مأهولة ولكنها تعدُّ من املاك الحكومة . وللزراعة شأن كبير في الولايات المتحدة والحكومة تنشط كل من اراد حرث الارض واستثمارها . واهم حاصلاتها الحبوب وبلغ محصولها لسنة ١٩٠٦ نحو ٤,٦٢٦,٥٨٣,٠٠٠ بشل (البشل ٨٠ رطلاً) فضلاً عن الارز والكتان والبطاطس والسكر والقطن ويبلغ محصول القطن فيها بضعة عشر مليون بالة في العام ووزن البالة ٥٠٠ رطل مصري . ومن محصولها التبغ تزرع منهُ ٦٩٦,٠٠٠ قصبة يبلغ محصولها ٦٨٢,٥٠٠,٠٠٠ رطل تبغ . وفي

مزارع اميركا عدد كبير من الماشية وغيرها من الحيوانات الاهلية ففيها ١٨,٧١٨,٠٠٠ فرس و ٣,٥٠٠,٠٠٠ بغل و ٦٦,٨٠٠,٠٠٠ رأس بقر و ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ رأس غنم و ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ خنزير وتقدر قيمتها جميعاً بنحو ٣,٦٧٥,٠٠٠,٠٠٠ ريال

وفي الولايات المتحدة مساحة كبيرة من الغابات يبلغ مجموعها ٦٣,٠٠٠,٠٠٠ قصبة وفيها كثير من المعادن تستخرج من المناجم كالحديد والفضة والذهب والنحاس والرصاص والزنك والالومينيوم وبلغت اثمانها لسنة ١٩٠٥ نحو ٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال فضلاً عن الحاصلات غير المعدنية كالفحم وزيت البترول والسمنت والمياه المعدنية والحجارة الكريمة والبورق وغيرها فقد بلغت اثمانها لتلك السنة ٩٢١,٠١٠,٠٠٠ ريال

وفيها من المعامل على اختلاف اشكالها نحو ٥٣٥,٠٠٠ معمل رؤوس اموالها تقدر بنحو ١٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال وعدد العمال فيها نحو ٧,٠٠٠,٠٠٠ نفس ويدخل في ذلك معامل النسج والصب والحدادة والوراقة والطباعة والمعامل الكيماوية وبناء السفن وغيرها

٧ — تجارتها

بلغ مقدار الوارد على الولايات المتحدة للسنة الماضية ١,٢٢٦,٥٦٢,٤٤٦ ريالاً والصادر عنها بلغ ١,٧٤٣,٨٦٤,٥٠٠ ريال. واكثر الوارد عليها من المواد الغذائية وبعض المصنوعات لاتمام صنعها ومصنوعات تامة الصنع ومن الجلود والسكر والقهوة والحرير والخضر والخشب والحديد والصوف والاثمار والقصدير والتبغ والحجارة الكريمة والجلود المدبوغة والمشروبات الروحية والنحاس المصنوع والشاي والزجاج والاسماك والزيوت وغيرها

اما الصادر فمعظمه من القطن الخام وقيمة ما يصدر منه بالتقريب ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال. يليه اللحوم وغيرها من المأكولات وقيمة ذلك ٢١٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال ثم الخبز وتوابعه ١٨٦,٠٠٠,٠٠٠ ريال ومن الحديد والفولاذ ١٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال ومن الزيوت المعدنية ٨٤,٠٠٠,٠٠٠ ومن النحاس ٨٣,٠٠٠,٠٠٠ وقس على ذلك التبغ والقطن المنسوج والزيوت النباتية والادوات الزراعية والمستحضرات الكيماوية والاثمار والعطريات والبذور والادوات العملية والمركبات والورق والسمك والجلود والفرو والسكر والصمغ الهندي والكتب والنشاء والارواح وغيرها

وعدد السفن التجارية الاميركانية ٢٥,٠٠٦ سفن منها ١١,٦١٨ سفينة شراعية محمولها ١,٨٩٨,٦٣٤ طناً و ٩,٥٠٠ سفينة بخارية محمولها ٣,٩٧٠,٢٨٧ طناً والباقي صنادل وقوارب

صحة العائلة

الكوليرا او الهواء الاصفر

منشأه وسببه والوقاية منه

للدكتور شبلي شميل

زعم البعض ان الهواء الاصفر الهندي معروف منذ القدم وانه مذكور في كتب إبقراط . والصحيح انه لم يعرف لنا الا منذ اتيح للاوروباويين الدخول الى بلاد الهند اي بعد دخول البرتوغاليين اليها سنة ١٤٩٨ ودخول الهولانديين والانكليز سنة ١٥٧٧ وانه حتى سنة ١٨١٧ لم يعرف هناك وبائياً ولم ينتشر في الاقطار الا عام ١٨٣١ اذ وفد من الهند على بلاد العرب ومصر وانتقل الى اوروبا كلها

ومنشأ الهواء الاصفر وادي نهر الغنج في بلاد الهند ولا يعلم كيف يتولد هناك وانما يعلم ان هذا النهر قذر جداً تجتمع اليه بقايا النباتات الكثيرة الخصب وأجسام جميع الحيوانات والافاعي السامة حتى جثث البشر . اذ من عادة الهنود ان يضعوا جثث موتاهم على اسرّة من ورق الشجر ويطرحونها في هذا النهر المقدس عندهم اعتقاداً بانه ينقلها الى الفردوس السماوي . فيلقيها على الاراضي الواسعة التي يمرّ فيها حيث يكوّن مستنقعات كثيرة تتولد فيها جراثيم سامة اشهرها جراثيم هذا الداء الوبيل . ويؤخذ من تاريخ وفود هذا الوباء على مصر في القرن الماضي ان اكثر انتقاله وتفشيه يقع في ايام الصيف بين يوليو وسبتمبر ولذلك فاذا فرغ الحجاج من رجوعهم الى مصر قبل دخول الصيف فالارجح ان تنجو مصر من غائلته في هذا العام

واما سبب هذا الوباء فقد كان المظنون الى سنة ١٨٨٣ انه يتولد عن سمّ خصوصي ولكن لم يكن يعلم ما هو هذا السمّ واين يوجد وكيف يفعل . وفي تلك السنة أرسلت المانيا لجنة الى مصر مؤلفة من الدكتور كوخ والدكتور غافقي والدكتور فيشر للبحث في طبيعة هذا الداء فوجد كوخ في مبرزات المرضى بالهواء الاصفر وفي القناة المعوية للمتوفين به مكروباً كالواو العربية او الضمة سماه الباشلس الضمي او الواوي ورجح انه

سبب الداء ولم يجزم انه مكروبه الخاص قبل ان يتحقق ذلك جيداً في بلاد الهند منشأ هذا الداء الاصلي • فانتقل الى هناك وبالبحث تحقق ان الباشلس الضمي الذي وجده اولاً في الاسكندرية هو نفس المكروب الذي وجده في مبرزات المرضى بالهواء الاصفر الهندي وعرف من ذلك امرين اولاً ان الباشلس الضمي هو سبب الهواء الاصفر ثانياً ان الهواء الاصفر الذي فشا في مصر هو من طبيعة الهواء الاصفر المستوطن في الهند • وتبين من ذلك ايضاً ان الوباء الذي فشا في مصر انتقل اليها من الهند خلافاً للذين قالوا انه نشأ فيها • ثم تحقق ذلك بعده كثيرٌ من الباحثين حتى لم يعد اليوم شبهة في ان الباشلس الضمى هو مكروب الهواء الاصفر الاسيوي اي الهندي

وينتقل الهواء الاصفر من بلد الى آخر كما ينتقل الناس ويقع ذلك غالباً على أثر ايام الحج لاختلاط الهنود بغيرهم من الامم في الحجاز فيصاب به الحجاج وينقلونه معهم الى بلادهم • وميكروب الكوليرا يستقر في الامعاء ويتصل اليها عن طريق الفم بالطعام والشراب ويوجد في متضمنات الامعاء ومبرزاتها ولذلك فهو يتعلق بكل ما يمس مبرزات المصابين به كالثياب والبضائع والطعام والشراب والغبار المتطاير في الهواء والحيوان حتى الانسان السليم يستطيع ان ينقل الداء الى آخر ولو لم يمس به باذى • والعدوى تتم غالباً بنفوذ المكروب الى البدن عن طريق القناة الهضمية والناقل له غالباً الماء

اما الوقاية فهي قسمان وقاية عامة او ادارية ووقاية خاصة فالوقاية العامة منوطة بالحكومة وتقوم باخذ التحوطات اللازمة لمنع اي شيء او انسان آتٍ من مكان مصاب من الدخول الى البلاد الأبعد عزله في الكورنتينات الصارمة والمحافظة على الثغور التي يمكن دخول الناس منها حتى لا يستطيع احد ان يهرب ويندس بين السليمين وينقل اليهم سم الوباء

اما الوقاية الخاصة فنريد بها ما يقوم به كل فرد من افراد الناس فراراً من العدوى وهي تدخل في ثماني وصايا وهي :

اولاً : ينبغي على كل انسان ان يعلم ان خطر العدوى بالهواء الاصفر ليس أكثر من خطر العدوى بالامراض الاخرى المعدية كالحمى التيفوئيدية مثلاً وان الخوف الكثير مما يوهن القوى العصبية ويضعف البدن ويعده لقبول المرض فالمخلع القلب الذي لا يستطيع ان يشد قلبه ينبغي عليه عند حلول الوباء او عند خوف حلوله ان يعمل بوصية جالينوس حيث قال « ان انجع علاج ضد الوباء الهرب من وجهه وكان اول الهاربين » ولذلك كان على الجرائد عموماً ان لا تكثر التهويل في مثل هذه الاحوال فان كثيرين من

الناس يقعون مرضى من شدة الخوف

ثانياً : ينبغي مراعاة جميع اسباب النظافة فان القذارة اصلح شيء لتربية مكروب هذا المرض فيعتني كل انسان بان يحفظ بدنه نظيفاً بالغسل بالماء البارد كل يوم اما بالدوش ان كان معتاداً عليه واما بمسحه باسفنجة مبلولة لازالة الاوساخ والدهون التي تعلق به من العرق . وان يغسل يديه بالصابون تكراراً في اليوم لا سيما كلما عمل بهما عملاً خصوصياً قبل الطعام لما هو معلوم من ان جراثيم هذا الداء بل جراثيم معظم الامراض تصل الى البدن مع الطعام والشراب عن طريق الفم و يجوز ان يضيف الى الماء الذي يغسل يديه به بعض نقط الحامض الفنيك الصرف اذا كان عنده فيهما ادنى شبهة وهي واسطة هيجينية حسنة لو اصطلح الناس عليها دائماً لفعلوا جيداً . وليس الحامض الفنيك وحده الذي يجوز بل غيره ايضاً من المزيلات للفساد الكثيرة النفع ولا نشير على عموم الناس باستعمال غير هذه الوسائل المأمونة اكثر من سواها لئلاً يقع ضررٌ من سوء استعمالهم الوسائل الاخرى السامة كالسليماني مثلاً مع انه نافع جداً ولكنه يحفظ لامر الطبيب في احوال خصوصية وكما يعتنى بنظافة البدن ينبغي الاعتناء بنظافة الثياب ايضاً

ثالثاً : الرياضة المعتدلة والتعرض للهواء النقي من الامور الصحية الجزيلة النفع وكذلك تهوية البيت وتعريضه للنور خلافاً لاولئك الذين يدفعهم احتياطهم الى الاحتباس في البيت واقفال نوافذه حتى يفسد هواؤُهُ

رابعاً : ينبغي تطهير بيوت الراحة وصب الحامض الفنيك فيها والمستعمل لذلك الحامض الفنيك التجاري وحده او ممزوجاً بالماء او صب عدة غالونات (الغالون خمسة ارطال) من الماء المذوب فيه رطلان من كبريتات الحديد لكل غالون ووضع منجنيقات فيها تسدها سداً محكماً

خامساً : الاعتدال في المعيشة في كل شيء في الطعام والشراب والراحة والعمل امر ضروري والحمية في غير محلها كتركها عند لزومها والافراط من كل شيء مضر كالافراط من السهر وشرب المسكر لان ذلك يجلب على البدن تعباً يعرضه لقبول المرض

سادساً : اجتناب مخالطة المرضى . واذا اضطر احد لمخالطتهم فليحذر خصوصاً مواد برازهم وقيئهم و ينبغي دائماً ان يضاف الى هذه المبرزات شيء من محلول السليماني « جزء الى الف » او الحامض الفنيك التجاري او محلول منغنات البوتاسا او الحامض السليسلك او الحامض الثيميك اي الصعتريك لقتل جراثيم الداء فيها . واة ضل الطرق للتخلص من خطر

مواد البراز والقيء هو من دون شك حرقها بالنار و يسهل ذلك بوضع هذه المواد على قطعة قماش لا قيمة له كخيش قديم او خلطها بنشارة الخشب وايقاد النار فيها وهذه الطريقة نوصي بها عموم الناس على نوع خاص

سابعاً : اذا احس احد باقل انحراف في صحته او اقل اسهال في زمن الوباء فعليه ان يهتم به ويحتاط له كانه مرض شديد لان هذا الاسهال الخفيف يكون مقدمة المرض الشديد فيلزم المصاب فراشه ويحتمي جيداً ويستعمل بعض نقط من اللودنوم (١٠ الى ١٥ نقطة) في منقوع عطري كنقوع النعنع او الشاي او البابونج . — اما المساهل فالبعض يحذر منها في زمن الوباء والصحيح ان الانسان ينبغي عليه ان يحذر كل دواء اذا كان صحيحاً واما اذا كان مريضاً فليستعمل الدواء بحسب مدلولاته فان كانت المدلولات ثمّ توجب شرب الدواء المسهل فليفعل فليس لاستعمال المسهلات وعدمه قاعدة مطلقة وربما نفعت جيداً ايضاً لمقاومة الاسهال نفسه بطرد الاسباب المرضية المتجمعة في الامعاء والمحدثة له

ثامناً : واخيراً ان المآكل والمشارب التي ينبغي اجتنابها في زمن الوباء هي كل ما يخشى منه ان يحدث فساداً في القناة الهضمية فلا تشرب الا المياه المرشحة المغلية ولا خوف من شربها مثلوجة خلافاً لوهم البعض بشرط ان يستمر على استعمالها كذلك . والموسرون من الناس يمكنهم ان يستعملوا المياه المعدنية الكثيرة ويجوز مزجها بقليل من الخمر وتجتنب جميع اللحوم المقددة والاسماك المملحة «كالفسيخ» وسائر المحفوظات (Conserves) خصوصاً الحيوانية وعموم الاثمار غير الناضجة والمتهرئة لما يتولد فيها من السموم العفنية المعروفة بالبتومائين . — هذه هي القواعد الصحية العمومية التي يجب على كل انسان مراعاتها خصوصاً في زمن الوباء

امتداح الغربة

قال الطائي : لا يمنعك خفض العيش تطلبه ... نزاعُ شوقٍ الى أهلٍ وأوطانِ
تلق بكلّ بلادٍ ان حللتَ بها ... أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

وقال آخر : اذا ما أطالَ المرء مكثاً ببلدةٍ ... تعقّبه من بعد حدّته نكسُ
ولو أنّ هذي الشمسَ دام طلوعها ... أو البدر لم يحجب ولا حبّت الشمسُ
فجلّ طالباً للرزق في الارض واغترب ... ففي كلّ أرضٍ للفتى الاكلُ واللبسُ

باب السؤال والاقتراح

العلم والاستقلال

(القاهرة) طالب بمدرسة الحقوق

قرأت في مجلتكم عدة مواضيع مختصة بالتعليم والاستقلال واستنتجت من كلامكم فيها ان طريق الاستقلال هو العلم وحده حتى جزمتم بان اعادة التذكير بمثل (علوم وكفى) من قبيل تحصيل الحاصل والتكرار البارد . فاستأذن الهلال بملاحظة وعهدي به رحب الصدر يفسح المقال لمنتقديه وهو القائل ان «الاعتراف بالخطأ صواب» وان كنت غير جازم بصحة ما سأعرضه عليكم من الانتقاد وانما اطلب البحث للوصول الى الحقيقة

اني لا أرى رأيكم في ان العلم وحده وسيلة الاستقلال لاننا لو رجعنا الى التاريخ الذي تستندون عليه وحكمناه في هذه المسألة لرأينا طريق الاستقلال الذي سلكته الامم انما هو تربية العاطفة الاستقلالية في النفوس وهي التي دفعت بهم الى تضحية انفسهم في استرجاعه من مغتصبيه فلم يكن العلم وحده اساس هذه العاطفة بل التربية ولو لم تكن ممزوجة بالعلم فهي المثبتة لتلك العاطفة

واذا تتبعنا الادوار التي مرت بها الامم الى ان نالت حريتها او استقلالها رأينا ان الأمة التي لم تكن تريد الاستقلال كانت محرومة منه وان شعورها بألمها من ضياعه كان فاتحة عملها لاسترداد استقلالها فكانت درجة العاطفة الاستقلالية في النفوس هي التي تزيد قرب الامة من استقلالها او بعدها عنه . فالعلم وحده من غير هذه العاطفة لا يفيد اذ ماذا يفيد الشاب لو تعلم القراءة والكتابة والجغرافية والحساب الخ ان لم يثبت في قلبه ضرورة الاستقلال لأمته وضرورة تضحية قواه في سبيل العمل لنيله ؟ ان العلم شيء والتربية شيء آخر . العلم قد يكوّن الفكر ولكن التربية وحدها هي التي تكوّن النفس وتثبت فيها العواطف التي منها عاطفة الاستقلال

واذا اردت دليلاً على ذلك فانظر الى سير العلم في مصر تجد المدارس لا يعنى فيها

بتربية ما من عهد محمد علي الى الآن وانحطت طريقة التعليم فيها من عهد الاحتلال لم يفقد العلم طلبة تلك المدارس شيئاً من جهة نمو « روح الحرية والاستقلال في النفوس » بل ان المتخرج منها قد لا تصل العاطفة الاستقلالية في قلبه الى عشر معشار درجتها في قلب الرجل الآتي من البلاد التي نالت حريتها واذا سرت فكرة الحرية والاستقلال في نفوس الناشئة فذلك من تأثير الصحافة التي تضرب على هذه النغمة. على ان هذه الفكرة فيما اعتقد ضعيفة الأثر لانها لم تمتزج بالقلب من الصغر

فعندي ان نظرية (علوم وكفى) لا تطابق الواقع من كل الوجوه وارى استبدالها بقولنا علوم وربوم او ربوم وكفى فانه كلما قويت العاطفة الاستقلالية في نفوس امة قرب عهد استقلالها وان اهم مصدر لتلك العاطفة هو التربية

والا فكيف تفسرون نيل كثير من الامم حريتها او استقلالها في حين ان الجمهور من العاملين فيها لحرية او الاستقلال من الاميين ؟ الم يأتنا نبأ فرنسا حين قامت بثورتها الكبرى ؟ الم يكن المجاهدون في سبيل الحرية معظمهم بل كلهم من الأميين ؟ الم ينهض باستقلال ايطاليا جمهور الوطنيين الايطاليين الذين يغلب فيهم الجهل ؟

فلمَ تم ذلك ولم يكن العلم هو طريق الاستقلال عند هاتين الامتين وعند غيرهما من الامم ؟ ذلك لان عاطفة الاستقلال قويت في نفوسهم بسبب المظالم التي استفزت الناس للاستماتة في طلب الحرية والاستقلال وانتهى بهم الامر الى نيل بغيتهم

هذا ما اعرضه عليكم راجياً منكم ان تنظروا فيه بعين الدقة التي نعرفها فيكم وان تشرحوا لنا هاتين المسألتين :

اولاً — كيف يكون العلم وباي طريقة يؤدي الى الاستقلال ؟

ثانياً — كيف استقلت كثير من الامم عن غير طريق العلم ؟

﴿الهلال﴾ نشكر لحضرة المنتقد حسن ظنه بالهلال ونثني على استقلال فكره في ابداء ما يعن له في مصلحة الوطن . ونوافقه على ان التعليم اذا اريد به القراءة والكتابة والحساب والجغرافية لا يكفي وحده لنيل الاستقلال ولما قلنا « علوم وكفى » في الهلال الاول من هذه السنة لم نعنِ تعليمهم الحساب والجغرافية وانما اردنا التعليم العالي الذي يرقي النفوس ويهذب العقول وقد صرحنا بذلك في نفس تلك المقالة اذ قلنا « نحن احوج الى مدارس عالية تهذب النفوس وترقي العقول وتعلمنا ما لنا وما علينا مما الى مدارس تلقن الصرف والنحو والحساب والرسم • أليس من العبث ان نطالب الحكم الدستوري او ننادي

بالاستقلال الاداري او نلتمس النجاة من سيطرة الانكليز ونحن عالة على مدارس الحكومة ؟ »

وحينما جاء ذكر التعليم اردنا به ما قدمناه كقولنا في نفس المقالة عند تمثلنا بالهنود وانهم فشلوا في نهوضهم لانهم لم يتعلموا فقلنا « انهم فشلوا لان عامتهم لم ترتق عقولهم وتهذب نفوسهم الى درجة يدركون بها معنى اجتماع الكلمة لان بالعلم ينفى التعصب وتتحد القلوب » ولما تمثلنا بالاميركان وفوزهم قلنا « كل ذلك من ثمار التعليم العالي والتربية الصحيحة على الحرية الشخصية والشجاعة الادبية وعلو الهمة واجتماع الكلمة ... فعلينا ان نطلب اولاً الاستقلال الادبي وبه نصل الى الاستقلال السياسي .. اننا في حاجة الى التدرب على الاستقلال في الفكر والاستقلال في العمل حتى لا نبقى عالة على الحكومة »

ولما تكلمنا عن ثورة الهنود في الهلال الثاني واستطردنا الى الاعتبار بما اصابهم قلنا « وما من أمة نالت هذه النعمة بمجرد الطلب وانما تنالها بالتعليم العالي والتربية الصحيحة حتى يصير جمهور الامة عالماً بما له وما عليه . ولا يتسنى ذلك الا بان تتولى الامة تعليم ابنائها بنفسها فتنشئ المدارس الكبرى من مالها وتدخل فيها التعليم الراقي وتختار لها أساتذة يفيدون بقدوتهم اكثر مما يفيدون بعلمهم فيبثون في الشبيبة المصرية روح الفضيلة ويعلمونهم الاعتماد على النفس وعلو الهمة ليدركوا معنى الحرية الشخصية ويتعودوا استقلال الفكر »

وهذه هي النغمة التي نضرب عليها كما ذكرنا التعليم فانما نريد به التعليم العالي وتربية النفوس . فمن أمثلة ذلك قولنا باثناء بحثنا في حاجتنا الى مدرسة كلية في الهلال الثاني من السنة الماضية وان الكتاتيب لا تنفعنا « لا يكفي ان نعلم ابناءنا تلك المقتبسات العلمية لمجرد العلم بالشيء بل يجب ان نثقف عقولهم ونهذب نفوسهم . يجب ان نعلمهم معنى الوطن وكيف يتحدون وكيف يجتمعون وان نعودهم الاستقلال بالرأي ونعلمهم الحرية الشخصية حتى يمتاز المتعلم منهم عن غير المتعلم . لانك اذا مررت بقهوة او محل جعة او ملعب ورأيت الناس فيه أفواجاً ما استطعت التمييز بين المتعلمين منهم وغير المتعلمين كأن المدارس عندهم ليست الا لتلقي العلوم فاذا فرغوا منها جاز لهم الجلوس في المنتديات العمومية ومعاقر الخمرة ونحوها . وقد ترى الاستاذ وتلميذه جالسين معاً يعاقران ويتماجنان على قارعة الطريق . فمثل هذه المدارس قد تثقف العقول ولكنها لا تهذب النفوس ولا تربي الاخلاق » وقلنا في عرض كلامنا عن انتقاد اعمال اللورد كرومر في ان تعليم

الكتاتيب لا يرقي العقول « ان تعليم الكتاتيب لا يرقي الامم وانما نحن في حاجة الى تهذيب النفوس وتربية الرجال في المدارس العليا وتثقيف عقولهم بالعلوم العصرية الطبيعية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية حتى يفهموا كنه الوجود فيحسن التفاهم بين الشعب وحكامهم ويدرك الناس معنى حرية الصحافة ويعرفون ما هو مجلس النواب وما هي حقوق الامة ويميزون حدود الحاكم والمحكوم »

فالتعليم في مرادنا يشمل التربية والتهذيب فلا اعتراض بعد ذلك على انهُ يغني الامة عن كل وسيلة من وسائل الارتقاء او انهُ يجيء سائر الوسائل · اما تربية الامة على طلب الاستقلال وبث روح الحرية فيها للمطالبة بحقوقها بدون ان تتعلم او بان تتعلم تعلماً ناقصاً فانهُ خطر كبير عليها — وذلك في جملة ما انتقدناه على اللورد كرومر لانهُ اطلق حرية الصحافة بين المصريين قبل ان ترتقي افكارهم بالعلم الى ان قلنا :

« فلو أجل اللورد كرومر حرية الصحافة الى بعد تعليم الامة وتثقيفها لكانت الحالة ابعد عن الفوضى مما هي عليه الآن لان اطلاق الحرية قبل الاستعداد لها لا يخلو من الخطر على اصحابها · واقرب الشواهد على ذلك ما اصاب مصر بعد انتقالها من ضغط اسماعيل الى رفق توفيق وتساهله فاتتهم الحرية بغتة فآل ذلك الى ثورة قلبت احوال مصر رأساً على عقب انقلاباً سياسياً · وجاء الاحتلال مصر بحرية الصحافة قبل ترقية التعليم فيها فلا يخلو ذلك من الخطر عليها ان لم يكن سياسياً فادبياً لتمكن الصحف المتطرفة من التغرير بالامة الجاهلة والذهاب بها الى مهاوي الضلال بالتمويه والتحريض تارة باسم الدين وطوراً باسم الوطن »

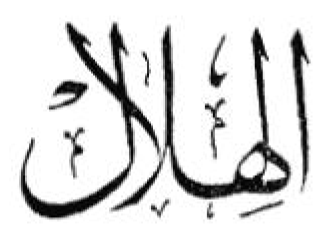
فلا ينبغي ان تقوم الامة للاستقلال او نحوه الاَّ بعد ان تستعد له بالعلم والتربية وتدريب الجند وترقية النفوس كما فعل الاميركان قبل نهوضهم للاستقلال لا كما فعل الهنود منذ نصف قرن · ونهوض الامة الجاهلة لطلب الاستقلال او غيره من الحقوق القومية لا يخلو من الخطر على سائر حقوقها · ودليلنا على ذلك قريب فان قيام جيش الاحتلال بين اظهرنا شاهدٌ ناطق على عواقب نهضة الجاهلين للمطالبة بالحقوق · ويراد بالتعليم العالي ترقية النفوس وانتشار الحرية الشخصية ولا سيما في الامم التي توالى عليها الضغط اجيالاً كما اصاب مصر في عدة قرون قبل هذه النهضة حتى يذهب من النفوس ما رسخ فيها من ائتلاف الضعة والرضوخ للظالمين · ومتى تعلمت الامة وتفقهت كانت مساعيها في طلب الاصلاح مبنية على قواعد اجتماعية صحيحة · ولا ينهض لطلب الاستقلال في كل حال غير خاصة المتعلمين وهم قادة الامة والناس تبع لهم · ولكن النجاح لا يكون مضموناً الاَّ اذا ادرك

جمهور الامة معنى الاستقلال ولا يكون ذلك الاَّ بالاطلاع على تاريخ الامم ودرس نظام الاجتماع ومعرفة شيء من قواعده ومن حقوق الشعوب والحكومات وعلاقة الامم بعضها ببعض. وهذا كلهُ لا يكون الاَّ بالتعليم العالي — اعتبر ذلك بما تراه من الحركة السياسية بمصر الآن فان اكثر دعاتها ونصرائها من متخرجي المدارس العالية وخصوصاً مدرسة الحقوق لان القضاء يعلم الناس ما لهم وما عليهم — فاذا قام بدعوة الاستقلال جماعة المتعلمين وكان الجمهور جاهلاً عادت مساعيهم بالخسارة لانهم يكونون كالمتوكيء على قصب الذريرة او المتعلق بحبال بالية

واما الاستدلال بالثورة الفرنساوية على عدم اهمية التعليم في طلب الاستقلال فلا يطابق المقصود لان فرنسا قضت بضعة اجيال قبل الثورة وهي تتأهب لها ونبغ منها العلماء والخطباء والكتاب والقواد وانتشرت المباديء الاجتماعية في العامة وهم في الحقول والمعامل ولها احوال اخر سنبسطها في فصل خاص . وكذلك يقال عن الايطاليان

اما استقلال بعض الامم بلا علم فهو من شؤون التمدن القديم اذ كانت الغلبة للقوة البدنية ولذلك رأيت اكثر الانقلابات السياسية حدثت يومئذ بتغلب البداوة على الحضارة — بذلك غلب الرعاة على مصر قبل الميلاد ببضعة عشر قرناً و به تغلب الجرمان على الرومان في القرون الوسطى و به تغلب العرب في صدر الاسلام على العالم المتمدن في الشام والعراق ومصر . و به اكتسح جنكيزخان وتيمورلنك العالم الاسلامي وبه تغلب السلطان عثمان على السلاجقة كما تغلب هؤلاء في اول ظهورهم على المسلمين . — ان الشواهد على تغلب البداوة على الحضارة او الجهل على العلم كثيرة في التمدن القديم اذ كان الفوز للقوة البدنية والصبر على المكاره . وكانوا يجتمعون غالباً باحساس ديني او جنسي او طمعاً بالغزو او النهب . اما الآن فاصبح الناس ينهضون باسم الوطن و يطلبون الاستقلال بناء على حقوق اجتماعية سياسية فكيف يتاتي لهم ذلك بغير العلم والتربية وهو مقدَّم عليها او هي فرع منهُ . والمراد بالعلم العلم الراقي الذي يوسع المدارك و يرقي النفوس ويعلم الناس ما لهم وما عليهم حتى لا ينهضوا الا وهم على ثقة مما سيلقون

المملكة العثمانية فاتنا ان نذكر في احصاء ولايات الدولة العثمانية في الهلال الاول من هذه السنة ولايتي الحجاز واليمن والاولى مساحتها ٩٦,٥٠٠ ميل مربع وسكانها ٣٠٠,٠٠٠ نفس والثانية مساحتها ٧٣,٨٠٠ ميل وسكانها ٧٥٠,٠٠٠ نفس



الجزء السادس من السنة السادسة عشرة

اول مارس (اذار) سنة ١٩٠٨ و٢٨ محرم سنة ١٣٢٦



مصطفى كامل

صاحب اللواء

ولد سنة ١٨٧٤ وتوفي سنة ١٩٠٨

مصطفى كامل والنهضة السياسية

شاهد المصريون في ١٠ فبراير الماضي ما لم يشاهدوا مثله من قبل . شاهدوا حزناً على مصطفى كامل باشا صاحب اللواء عمّ القطر المصري من أقصاه الى اقصاه وانتشر في سائر العالم الاسلامي وسمع دويه في أوربا والشرق الاقصى مما لم يسمع بمثله في وادي النيل . توفي صاحب اللواء في اصيل ذلك اليوم ودفن في اصيل اليوم التالي فمشى في جنازته عشرات الالوف واشترك في المصاب اهل القطر على اختلاف طبقاتهم واعمارهم . ورثاه الشعراء وابنه والخطباء وبكته الصحف وقضت اياماً في نشر ما يرد عليها من رسائل التعزية نثراً ونظماً . وأقيمت له المآتم في انحاء القطر فلم يبق جمعية خيرية او ادبية او نادٍ علمي او مدرسة وطنية للذكور او الاناث في القاهرة والاسكندرية او في الارياف الا عقدت جلسة لتأبين ذلك الفقيد حتى الجمعية الماسونية فقد احتفل بعض محافلها بتأبينه . وبعضهم اقام حفلات تأبين في الازبكية غير ما بعثوا به من تلغرافات التعزية الى ادارة اللواء من الافراد والجماعات كالجمعيات والمشيخات والمدارس وتبرع كثيرون عن نفسه للجمعيات الخيرية ونحوها . وغير ما جاء من رسائل التعزية من انكلترا وفرنسا وغيرهما ومن اطراف الهند . ونشرت التلغرافات العمومية والصحف الافرنجية نعيه وتكلمت عنه . وتألفت في القاهرة لجنة لاقامة تمثال يحيا به ذكره والناس يبذلون المال في هذا السبيل . وعينوا يوم ٢٠ مارس الجاري للاحتفال بتأبينه بجانب ضريحه بقرافة الامام — فمن كان هذا وقع مصابه في النفوس جدير بان ننظر في ترجمة حاله وندرس اخلاقه واعماله ونبين منزلته من التاريخ . ونقدم الكلام بمقدمة في تاريخ النهضة السياسية المصرية فنقول :

النهضة السياسية المصرية

فتح العرب مصر في صدر الاسلام فاصبح النفوذ فيها للفاتحين واعظم مناصب الدولة في ايديهم فتغلب العنصر العربي على سائر العناصر . ثم دخلت في حوزة الاكراد (الايوبيين) فالشراكسة (المماليك) فالاتراك (العثمانيين) فكان النفوذ ينتقل من امة الى اخرى حسب ادوار حكمها . على ان العنصر الشركسي ظلّ متسلطاً في اثناء حكم الدولة العلية بمصر لانها ولتهم الاحكام تحت رعايتها ومنهم امراء المماليك والسناجق وبعض الجند . فاصبح العنصر العربي وهم المصريون الوطنيون اضعف سائر العناصر

فقضى المصريون اجيالاً راضين بما قسم لهم . وكان الجهل ضارباً اطنابه فيهم لاشتغال حكامهم بالحروب والخصومة عن ترقية شأن رعاياهم حتى اذن الله ان يتولى حكومتهم المغفور له محمد علي باشا الكبير فاقتضت سياسته ومقاصده احياء معالم اللغة العربية وانشأ المدارس وفتح المعامل وسهل دخول الاجانب الى هذه البلاد وارسل بعض شبانها الى اوربا لتلقي العلوم واقتباس حسنات التمدن الحديث . فاستنارت اذهان المصريين وفتحوا اعينهم ففقهوا ما ضاع من حقوقهم ولكنهم لم يطالبوا به لضغط حكامهم على افكارهم بقوة الاستمرار اذ لا يتأتى لهم ان ينتقلوا بغتة من الضغط الشديد تحت الامراء المماليك الى الحرية التامة تحت حكومة العائلة المحمدية العلوية . فتوالى على حكومة مصر محمد علي فابراهيم فعباس والمصريون ساكتون . فلما افضت الولاية الى سعيد باشا سنة ١٨٥٤ طلع على المصريين فجر الوطنية لانه كان يعد نفسه مصرياً فاخذ يبث روح الوطنية في جنده اذ لم يكن للعامة ساعد يرجى ولا سطوة تخشى . وجاهر بوطنيته في حفلة اختتان نجله طوسون بحضور اعضاء العائلة الخديوية وضباط الجيش وجماعة من الاجانب فوقف وارتجل خطبة قال فيها « ان من امعن النظر في تاريخ بلادنا هذه وتوالي حوادثها المحزنة لا يسعه غير الاسف والتعجب حيث تتوالى الامم الاجنبية على اهلها ويظلمون سكانها كالكلدانيين والفرس قبل الاسلام والترك والاكراد والشراكس وغيرهم بعد الاسلام وكلهم يفسدون ولا يصلحون وقد عزمت على تثقيف ابناء البلاد وتهذيبهم وترقيتهم حتى تكون حكومة البلاد بايديهم بصفة كوني مصرياً منهم وبالله الاستعانة »

فكان لقوله وقع شديد على السامعين وفيهم احمد عرابي (باشا) وهو يومئذ صاغقول اغامي وكان جريئاً فازداد جرأة واتسعت مطامعه . وانبثت روح الوطنية في سائر الضباط وارتقوا في رتب الجندية واكثرهم غير متعلمين وانما رقاهم سعيد باشا تنشيطاً للوطنية فشق ذلك على الضباط الشراكسة والاتراك واوغرت صدورهم على الوطنيين ووجدوا على سعيد باشا فاحس بجفائهم وتذمرهم فلم يبال وربما ذكر ذلك للوطنيين تحريضاً لهم على الثبات

١ — النهضة العسكرية

فلما افضت الولاية الى اسماعيل سنة ١٨٦٣ تبدلت الاحوال لانه كان على غير رأي سلفه في امر الوطنيين وقد بذل قصارى جهده في استقدام الاجانب الى بلاده بما انشأه من وسائل الرفاه وتسهيل التجارة وكان مع ذلك يعنى بتعليم الوطنيين وارسال الارساليات الى اوربا فازداد المصريون معرفة لحقوقهم ولكن الخديوي اسماعيل كان يرى من حسن

السياسة ان يضغط عليهم ويقيد افكارهم ويطلق العنان للاجانب على اختلاف اجناسهم وخصوصاً الشراكسة . فكظم المصريون ما في نفوسهم اعواماً على انهم كانوا يتهامسون به فيما بينهم ولم يكن حديثهم حيثما اجتمعوا الا التشاكي مما يقاسونه من الضغط مع خروج معظم مصالح البلاد من ايديهم الى الاجانب

وكان اكثرهم تشكياً جماعة الجهادية لظهور الاجحاف فيهم اكثر مما بسواهم لان القوة العسكرية كانت مؤلفة من المصريين والشراكسة وغيرهم . ولم يكن المصريون ينالون من الرتب الا امارة الآلايات فما دونها بخلاف الشراكسة فقد كانت الالوية والفرقاء منهم والسلطة والنفوذ في ايديهم وكلما شاهدوا من المصريين تذمراً زادوهم تضييقاً فاذا اقتضت الاحوال تجنيد حملة الى السودان او غيرها من بلاد الشقاء جندوا اليها المصريين وبقي الشراكسة ليتمتعون بنفوذهم ورفاهيتهم في القاهرة والاسكندرية فلم يكن ذلك الا ليزيد الوطنيين حقداً وغيظاً . ولما لم يستطيعوا التصريح بشكواهم جهاراً ألفوا الجمعيات السرية يهمسون فيها بما في ضمائرهم سراً

ثم افضت الخديوية المصرية الى المغفور له الخديوي السابق وكان رحمه الله محباً للوطن المصري راغباً في ترقية ابنائه لانه تربى تربية وطنية محضة وكان حر الضمير فنظر في شكوى الوطنيين فرفع الضغط عنهم واعترف بما لهم . وهي فضيلة جديرة بكل حاكم ولكنها جاءت المصريين اذ ذاك على غير استعداد . فبينما هم تحت الضغط الشديد والنار كامنة في صدورهم اذ رفع الضغط بغتة فاتقدت نيران الثورة وانتشرت في سائر انحاء القطر

هذا هو الطور الاول من النهضة السياسية الحديثة والعامل فيه كما رأيت اطلاق الحرية فجأة بعد طول الضغط وقد قام بها الجند وجاراهم الاهالي واكثر هؤلاء لا يدركون ماذا يعملون وان كانوا يرجون بذلك التخلص من امتياز الاجانب . وكان زعماء الجند اكثرهم من غير المتعلمين فلم يحسنوا التصرف في تلك الحركة فبعد ان كانت نهضة وطنية سياسية تحولت الى ثورة عسكرية آلت الى الاحتلال الانكليزي وامره معلوم

فلما ذهبت دهشة الحرب انتبه عقلاء الامة فوجدوا انفسهم قد نجوا من شر ووقعوا في شرين لاعتقادهم انهم سفكوا دماءهم وبذلوا اموالهم للتخلص من استبداد الشراكسة وهم يختلفون عنهم جنساً ويشتركون معهم في الدين فاذا هم قد دخلوا في سيطرة دولة اجنبية تختلف عنهم جنساً وديناً . ونبغ على اثر تلك الثورة جماعة من رجال الفكر والحرية عملاً بسنة العمران على اثر كل حركة اهلية . وكان بعضهم قد مالأ اعرابي وحوكموا ونفوا ثم عادوا

وقد زادتهم الغربة خبرة وعبرة ورأوا الاحتلال قد توطدت دعائمه فرضخوا له وهم يعللون انفسهم بجلائه قياماً بالوعد . على ان بعضهم يئس من الجلاء فتقرب من عميد الاحتلال واستعان به على خدمة مصالح الامة والبعض الآخر خدمها بنشر المبادىء الاجتماعية لترقية النفوس وتربية الاخلاق الحسنة وعمل آخرون على بث المبادىء الاصلاحية في نفوس المسلمين ومحاربة البدع ونحوها مما يباعد بين المسلمين وسواهم .

اما الامة على اجمالها فما زالت تئن تحت نير الاحتلال وتتشاكى همساً في الاندية الخصوصية او المجالس العائلية لا يسمع لها صوت والصحافة مقيدة يومئذ بقانون المطبوعات الا من كتب في جريدة افرنجية لا سلطة للقانون عليها . وكان اكثر الاجانب تظاهراً بتقبيح الاحتلال الفرنساويون

ولما توفي المرحوم توفيق باشا وخلفه سمو الخديوي الحالي تجددت آمال الامة بانقلاب سياسي يرفع ذلك النير عن رقابهم . وطبيعي ان يكون الجناب العالي اكثر الناس رغبة في الجلاء . ولم يخف ذلك على المصريين فزادوا تعلقاً بعرشه واحس الانكليز بذلك فاستيقظوا وساعدتهم الاحوال على البقاء فبالغوا في استخدام نفوذهم واساء بعضهم معاملة المصريين فازدادوا كرهاً للاحتلال وتعلقاً بالخديوي كاولاد يستغيثون بوالدهم من غريب نزل في دارهم يحاول امتلاكها . ولنفس هذا السبب توجهت الآمال الى الاستانة واكثر المصريون من ذكر الخليفة وسيادته على المسلمين وقلما كانوا يفعلون ذلك من قبل

٢ — النهضة المدرسية

واقتضت سياسة انكلترا في اثناء ذلك اطلاق حرية المطبوعات ونبغ جماعة من الكتاب والمحررين تدرجوا في استقلال الفكر الى نشر مساوىء الاحتلال فحدثت نهضة سياسية صحافية انقسمت الصحف فيها الى حزبين حزب يعرف بجرائد الاحتلال يمتدح اعمال المحتلين وحزب يعرف بالجرائد الوطنية ينتقدها وعميد انكلترا يطلع على ما يقولون ولا يكلفهم السكوت . وكانت الجرائد الوطنية تعبر عن احساس الوطنيين وتطعن في جرائد الاحتلال لا يخرجون في ذلك عن المناقشة وقلّ فيهم من جاهر بطلب الجلاء . ونشأ في اثناء ذلك طبقة من الشبان تخرجوا في المدارس المصرية وتفقهوا في اوربا وتشرب بعضهم كره انكلترا من معاشرة الفرنساويين — وفرنسا الى ذلك الحين خصم انكلترا تساعد كل من يقوم عليها . وزعماء هذه الطبقة من الناشئة المصرية طلبة الحقوق لما يتعوده طلاب هذا الفن من استقلال الفكر والرضوخ للصواب والتمسك باهداب الحق .

فتألف من الناشئة المصرية حزب جاهر بمقاومة الاحتلال وانضم اليهِ سائر طلبة المدارس العالية وهم في الغالب من ابناء الخاصة ويعدون بالآلاف منتشرون في انحاء القطر المصري فبثوا تلك الافكار في اهلهم وجيرانهم وهم سواد الامة فتكاثر الناقمون على الاحتلال وهي نهضة سياسية مدرسية تختلف عن التي تقدمتها بقوة الحجة والاقتدار على المطالبة بالاقناع . وهي الطائفة التي نصرت مصطفى كامل وهو من طلبة الحقوق

مصطفى كامل

١ — ترجمة حاله

ولد في القاهرة من ابوين مصريين في ١٤ اوغسطس سنة ١٨٧٤ وكان والده علي افندي محمد مهندساً من جهة الصليبة اشتهر بين معارفه وجيرانه بطيب العنصر وحسن الخلق ووالدته من جهة الحجر بالقاهرة . ولما بلغ السادسة من عمره اتاه والده بمدرس لقنه القراءة والكتابة ثم ادخله مدرسة عباس باشا الاول . وقبل اتمام دروسه الابتدائية توفي والده فانتقل الى مدرسة القربية وعمره ١٢ سنة فاتم دروسه الابتدائية فيها وظهر ذكاؤه بامتيازه على سائر الرفاق فنال جائزة الامتحان الاولى بين يدي المغفور له الخديوي السابق سنة ١٨٨٧ ثم انتقل الى المدرسة التجهيزية فقضى فيها اربع سنين نال في نهايتها شهادة البكالوريا وكان من النابغين واشتهر باستقلال الفكر وصراحة القول من ذلك الحين . وانتبه المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف يومئذ لفصاحته وقوة عارضته فقال لهُ مرة « انك امرؤ القيس وستصير عظيماً » واخبرنا احد رفاقه في تلك المدرسة ان المرحوم علي باشا مبارك اختصهُ بجنيه يتناوله كل شهر مدة اقامته في المدرسة ودوّن اسمه في كشف ماهيات المعلمين واضطر مصطفى لنقش خاتم يختم به الكشف على اصطلاحهم وهو اول عهده بالاختتام

وكان في اثناء اقامته بالمدرسة التجهيزية موضوع اعجاب الاساتذة والتلامذة جميعاً لما امتاز بهِ من حسن الالقاء وفصاحة اللسان . ولم يكن ناظر المعارف اقل منهم اعجاباً بهِ فكان ينشطه ويدعوه الى منزله ويناقشه في المسائل العلمية او الاجتماعية ويقدمه الى جلسائه من العلماء والوزراء والكل يعجبون به ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً . فلما اتم دروسه التجهيزية سنة ١٨٨٩ دخل مدرسة الحقوق الخديوية على ان يعدّ نفسهُ لصناعة المحاماة لانها احوج المهن الى الخطابة . ورأى في وقته متسعاً فالتحق بمدرسة الحقوق الفرنساوية ايضاً فكان يتلقى العلم بالمدرستين حتى نال الكفاية منهُ فذهب الى طولوز بفرنسا ادى فيها الامتحان

ونال الشهادة وهو في التاسعة عشرة من عمره

وتنبه خاطره وهو يدرس الحقوق الى المسائل السياسية ومدارها على مصر والاحتلال وهو وطني حريص على وطنيته مستقل الفكر شديد الثقة بنفسه وقد تشرب من اساتذته الفرنساويين الاستهانة بانكلترا والوثوق بفرنسا فاصبح همه انقاذ مصر من الاحتلال . وكان عضواً عاملاً في عدة جمعيات ادبية يخطب فيها ويباحث واكثر بحثه في مصر والاحتلال والجلاء . وكان يتردد على الجرائد الوطنية ليكتب في هذه المواضيع . ولقي اصغاء وتنشيطاً فالف رواية فتح الاندلس التمثيلية وكتاباً في حياة الامم والرق عند الرومان والف بعد ذلك كتاب المسألة الشرقية وغيره وكلها ترمي الى تحبيب الاستقلال الى المصريين واحياء الشعور الوطني فيهم . فالتف حوله جماعة من المريدين والمعجبين واكثرهم من رفاقه في المدرسة ومن يرى رأيهم من تلامذة المدارس العالية فانشأ لهم مجلة شهرية سماها المدرسة يبث فيها آراءه وافكاره

واتفق في اثناء ذلك رجوع المرحوم عبد الله نديم خطيب العرابيين الى مصر سنة ١٨٩٢ وسمع بمصطفى كامل فقربه منه واقتبس صاحب الترجمة بعض أساليبه واطلع على دخائل الحوادث الماضية وتبين اسباب الفشل فاصبح قادراً على تجنبها وزاد رغبة في انقاذ مصر من سلطة الاجانب ولا يكون ذلك الا بالالتفاف حول امير البلاد فاستنبط فكرة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي فحرض رفاقه التلامذة على ذلك فاحتفلوا به في الازبكية في ٨ يناير سنة ١٨٩٣ فقربته المعية ورضي عنه الجناب العالي . وفي ذلك الاحتفال صرح مصطفى كامل للمرة الاولى بانتقاد حالة الحكومة ودعا المصريين الى مطالبة الانكليز بالجلاء عن بلادهم قياماً بوعدهم . وكان في جملة الحضور ناظر مدرسة الحقوق فاستدعى مصطفى اليه في الغد وعاتبه على تصريحه فاجابه انه مصري وله الحق ان يبحث بشؤون مصر وشدد لهجته فرفع الناظر امره الى نظارة المعارف فاصدرت امراً بمنع التلامذة من الاشتراك في مثل ذلك ومن مكاتبة الصحف . فاعتبر مصطفى هذا الامر موجهاً اليه فازداد تمسكاً برأيه وتضاعفت همته على اخراجه الى حيز العمل

وجاء مصر في ذلك الحين الموسيو دلونكل وهو فرنساوي كثير التظاهر بالغيرة على المصريين . وكان في مصر يومئذ حزب وطني تألف بطبيعة الحال من اوائل عهد الاحتلال ولم يكن حزباً منظماً له رئيس ونائب وامين وكاتب مثل احزاب هذه الايام ولكنه ضم نخبة النبهاء والوجهاء الذين يكرهون الاحتلال وينتقدون اعمال الانكليز اما رغبة

في استقلال مصر او نقمة لذهاب نفوذهم • ولهذا الحزب فضلٌ على اكثر الصحف الوطنية التي نشأت في اوائل الاحتلال لانهم كانوا يساعدونها مادياً وادبياً تحت طي الخفاء للاستعانة بها على جرائد الاحتلال • وكان مصطفى كامل طبعاً من جملة ذلك الحزب وكان دلونكل يحضر مجتمعات الوطنيين ويستحثهم على الثبات فالتقى هناك بصاحب الترجمة واعجب بذكائه وفصاحته فرغبه في السفر الى فرنسا للتبحر في الحقوق فسافر الى باريس آخر سنة ١٨٩٣ واعجبته حرية القوم وموافقتهم اياه في انتقاد الانكليز فعرف كثيرين من رجال السياسة والصحافة فيها • وفي ٨ يناير سنة ١٨٩٤ احتفل بعيد الجلوس الخديوي هناك احتفالاً شهده اكثر المقيمين في باريس من المصريين وهم من التلامذة المرسلين لتلقي العلم على نفقة الحكومة المصرية • فالقى مصطفى فيهم خطاباً استحثهم فيه على الثبات في طلب الجلاء فوافقوه وتواطأوا على استنجاد فرنسا في ذلك الطلب على ان تكون حجتهم وعد انكلترا الذي صرحت به عام الاحتلال • وبلغ ذلك نظارة المعارف المصرية فاخرجت المشتركين في ذلك العمل من عداد الارسالية

وعاد مصطفى في اواسط السنة التالية الى مصر وتعاطى المحاماة اشهراً فرآها اضيق من ان تسع مطامعه وفي صدره غرضٌ اصبح جزءًا من وجدانه ولم يكتف بما كان ينشره في الجرائد فعول على القاء الخطب السياسية في المنتديات العمومية فالقى خطبته الاولى في الاسكندرية ونشرتها الجرائد فرأى فيها الناس من شدة اللهجة على الاحتلال وطلب الجلاء مالم يعهدوه من قبل فاعجبوا بالشاب وشاركوه في احساسه وفيهم من يرى ذلك الطلب بعيد المنال ولكن الانسان يلتذ بالانتقاد على غالبه • فاطروه ونشطوه فازداد رغبة في الخطابة والصحافة ولذت له الشهرة ووطن النفس على الاستهلاك في طلب الجلاء وجعل ذلك وجهته وكعبة آماله ومدار اعماله وهو يعلم عجزه عن تلك الامنية بنفسه واهله فرأى ان يستعين بفرنسا وقد جرأه على ذلك ما آنسه في رحلته الاولى من الحفاوة وماسمعه من التأمين والترغيب على عادة الفرنساويين من الانقياد الى الوجدان • فكف عن صناعته وانقطع للمطالبة بالجلاء فشخص سنة ١٨٩٥ الى باريس ومعه رسمٌ كبير يمثل مصر والاحتلال الانكليزي بشكل يرمز عن توسل المصريين الى فرنسا ان تساعدهم كما ساعدت الاميركان واليونان والبلجيكيين والايطاليان في نيل حريتهم

رفع هذا الرسم الى مجلس النواب الفرنساوي في ٤ يونيو من تلك السنة • ومعه عريضة قدمها باسمه ينوب فيها عن مصر في استنجاد ذلك المجلس على الانكليز • وكان

لهذا العمل دوي في فرنسا فضلاً عن مصر . وتحدث الناس يومئذ بجرأة هذا الشاب وعلو همته واقدامه وهو الى ذلك الحين لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره . فلم يأت هذا المسعى بالنتيجة المطلوبة ولكن الفرنساويين رحبوا بالخطيب المصري وتقاطر اليه كتاب الصحف يقابلونه وينشرون آراءه في جرائدهم . وتسابق القوم يدعونه لالقاء الخطب في انديتهم وكلها ترمي الى الغرض عينه . واول خطبة سياسية القاها على الافرنج في طولوز صدرها بتاريخ الاحتلال وعهوده وفصل احوال النظارات المصرية وسيطرة الانكليز فيها وبالغ في استئثارهم بالوظائف والنفوذ واحتقارهم الاهالي واخذ يبرهن ان وجود الانكليز بمصر يخالف كل المعاهدات وان اخراجهم منها يوافق مصالح دول اوربا كافة . ثم القى خطباً اخرى وراسل الجرائد وكاتب الوزراء وكلها ترجع الى انتقاد الاحتلال وطلب الجلاء اشهرها خطاب بعث به الى المستر غلادستون من باريس يسأله رأيه في مسألة مصر والاحتلال فاجابه غلادستون جواباً جاء في جملته قوله « اننا يجب ان نترك مصر بعد ان نتم فيها بكل شرف وفي فائدة مصر نفسها العمل الذي من اجله دخلناها » و « ان زمن الجلاء على ما اعلم قد وافى منذ سنين »

فلا عجب بعد اعتراف اعظم رجال انكلترا بموافاة زمن الجلاء اذا رأينا مصطفى كامل يزداد ثباتاً في دعوته . فرجع الى مصر في اوائل سنة ١٨٩٦ وقضى بضع سنوات وهو يخطب ويكتب ويكاتب ويراسل . وكأنه خاف ان تضيق الصحف عن خطبه ومراسلاته فانشأ جريدة اللواء اليومية لنشر آرائه السياسية سنة ١٩٠٠ وهي الآن في سنتها التاسعة وصوتها في الدفاع عن مصر والمصريين أعلى الاصوات

ولما تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا بشأن مصر والمغرب الاقصى ولم ينل مصطفى من فرنسا غير المواعيد وجه احتجاجه الى المراجع الاصلية أما الى رجال السياسة بانكلترا رأساً او الى جرائدهم وسافر الى بلاد الانكليز لهذه الغاية . ثم رأى ذلك لا يفي بمراده ولا يحيط بمدى صوته فانشأ اللوائين الانكليزي والفرنساوي لينشر فيهما اقواله عن مطالب مصر حتى يصل النداء الى انكلترا وسائر اوربا والف لهما شركة مساهمة هي اول مساهمة تألفت لانشاء الجرائد في هذه البلاد وذهب بنفسه الى انكلترا واستقدم المحررين

فطار صيته في الآفاق واصبح اسمه مرادفاً لاحتجاج مصر على انكلترا وهو في خلال ذلك لايضيع فرصة لا يحتج بها . ومن اشهر مواضيع احتجاجه مسألة دنشواي فقد كان في مقدمة المنادين بظلم الحكم على اهلها واستكتب الاهلين عرائض الالتماس العفو

وقع عليها ١٢٫٥٠٠ من المصريين ورفعها الى الجناب العالي • وكان في اثناء ذلك يخدم مصلحة الدولة العلية من طرق كثيرة فانعم عليه جلالة السلطان بالرتب والالقاب حتى بلغ الرتبة الاولى من الصنف الثاني والنيشان المجيدي الثاني • وتعلقت به قلوب المصريين وتعشقوه بما لم يسبق له مثيل فلما تشكل الحزب الوطني في العام الماضي انتخبوه رئيساً له طول حياته ولكنهُ كان رحمه الله قصير الحياة فتوفي في العاشر من فبراير الماضي وهو في الرابعة والثلاثين من عمره • فانتخبوا مكانه رفيقه في جهاده محمد بك فريد رئيساً للحزب ومديراً للالوية الثلاثة

٢ — صفاته واعماله

كان رحمه الله متوسط القامة قمحي اللون سريع الحركة جريئاً مقداماً فصيح اللهجة قوي العارضة شديد الثقة بنفسه واسع الآمال طموحاً للعلى مستقل الفكر صريح القول • وكان عصبي المزاج والعصبي يغلب فيه الذكاء وحدة الذهن وسرعة الخاطر وكانت هذه الطبائع ظاهرة في الفقيد ظهوراً واضحاً اذ كثيراً ما كنا نراه في اثناء نضاله يكاد يغلب على رأيه لما يظهر لنا من حجة خصمه فما هو الآ ان يصدر اللواء في اليوم التالي فنراهُ قد تدرع بدفاع ايدهُ بشواهد تاريخية انتبه لها • وكانت تساعده على ذلك قوة الحافظة

وكان فيه من طبائع العصبيين سرعة الانفعال • وسريعو الانفعال يغلب فيهم التقلب في الراي ولم يكن كذلك ولكنه كان شديد الوطأة على مخالفيه ولو كانوا من اساتذته او اقرب الناس اليه • وسرعة الانفعال مع هذه الشدة قد يبعثان على الفشل في الاعمال العظمى لانها تفتقر الى التساهل والتكظم والصبر على المكاره فالفقيد سدَّ هذا النقص بجرأته وعلو همته وثقته بنفسه • فكان اذا نهض لامر اقتحمه اقتحام الاسد فريسته وجاهد في سبيله بيده ولسانه وجنانه لا يعجزه السفر ولا يبالي بالتعب فقضى زهرة شبابه ينتقل من قارة الى قارة ومن عاصمة الى عاصمة لا يتحول عن منبر عربي حتى يعلو منبراً افرنجياً • اذا كتب رايت الحماس يتجلى بين سطوره واذا خطب انقض كالصاعقة او انهال كالسيل • واذا توهم في احد وقوفاً في طريقهِ ناهضه وبارزه لا يبالي بمنصبه او مقامه • وكان لا يهاب عظيماً ولا يراعي خليلاً ولا نزيلاً ولا سيما في اوائل ادواره • وهذا هو سبب ما كان يبدو في بعض اقواله يومئذ من التعريض بالنزلاء او الدخلاء لاعتقاده انهم يخالفون مصلحة مصر • وفهم القوم يومئذ انه يعني بالدخلاء السوريين فعاتبوه فصرح انه انما يعني فئة منهم يعتقد انها تكره مصلحة مصر • فلم يبق لهم حجة عليه لان القائل

اولى بتفسير اقواله . وقد يعذر على تعريضه بالسوريين اذا ساء الظن بهم فقد مرّ بهم اعوامٌ في اواسط الاحتلال لم يقم كاتبٌ يدعي الدفاع عن مصلحة مصر الا حمل عليهم واتهمهم بتعمدوه تصريحاً او تلميحاً وهم ساكتون دائبون على اعمالهم حتى تحقق العقلاء بتوالي الاعوام ان السوري لا يقلّ غيرة على مصلحة مصر من اخيه المصري وان السوريين طائفة ذات شان في المجتمع المصري فعاد الفريقان الى التحاب والتقارب . وكان الفقيد في مقدمة اولئك العقلاء

وكان رحمه الله نزيه النفس عفيف الازار صادق اللهجة طاهر الجيب لا يلذ لهُ من احوال الحياة غير التفكير في الغاية التي وقف قواه عليها وهي خدمة بلاده باشرف السبل واتمها . وكان يعتقد ان الاستقلال اول خطوة يجب السير بها ويعني بالاستقلال خروج الانكليز من مصر بمساعدة دول اوربا ورجوعها الى ما كانت عليه قبلهُ . واستجمع قواه في هذا السبيل فسافر وكتب وخطب وجادل وناقش لهذا الغرض . وكان يرى مصلحة مصر مرتبطة بمصلحة الاسلام على العموم فكان شديد المدافعة عنه كثير السعي في نصرته . ومن اقصى امانيه ان يكون نصير المسلمين في اربعة اقطار الارض . وقد اطلعنا بعض الاصدقاء على كتاب من بعض رجال ابن الرشيد يؤخذ منه ان الفقيد سعى منذ بضع سنوات في السفر الى نجد لملاقاة ذلك الزعيم هناك . وقرأنا في تأبين بعض مريديه انهُ كان ينوي استئذان جلالة السلطان في ان يكون خطيب المسلمين في المدينة يوم وصول السكة الحديدية اليها وانهُ كان يهيىء اسباب الرحيل الى اليابان لحضور معرضها ونقل نتائج الافكار الكبيرة لربط العلائق مع الشعب الياباني على ان يمرّ في اثناء طوافه ببلاد الهند ليرى احوال النهضة الاسلامية هناك — كل ذلك يدل على كبر نفس هذا الرجل وسعة مطامعه فهل كان مخلصاً في سعيه حسن القصد بما يقوله ؟ فاذا ثبت انهُ كذلك حق للمصريين ان يبكوه ويعظموه وان لم يروا ثمر عمله لان الاعمال بالنيات . والاَّ فلا فضل لهُ .

ويظهر لنا من تدبر اعماله انهُ كان مخلصاً واليك الدليل :

(١) ثباته في المبدأ الذي قام في نفسه منذ كان تلميذاً لا يسمع صوته الاَّ رفاقه حتى صار خطيب المحافل ومتكلم القوم وزعيم الحزب الوطني وصاحب الالوية الثلاثة — له دعوة واحدة كانت تتجلى في مطالبه اذا كتب او خطب او ناقش او باحث بين الاصدقاء او الاعداء بالعربية او الافرنجية على حد سواء

(٢) انقطاعه لهذه الدعوة وتفانيه في سبيلها حتى شغلته عن سائر مطالب الحياة

وملاذ الشباب فلم يتزوج ولا جلس لشرب او لهو ولا التفت الى جمال او طرب . لا يلذ له غير التحدث بالوطن او الاستقلال او الجلاء . وقد يتبادر الى الذهن انه فعل ذلك طمعاً بالمال وهذا باطل لان الرزق من القلم اضيق من شقه . و يقول آخرون ان غرضه الشهرة الواسعة وقد نال منها مالم ينله سواه من اهل هذا الجيل حتى تناقلت ذكره صحف العالم الافرنجي وحدها ١١٥٠٠٠ مرة في اثناء جهاده فضلاً عن جرائد الشرق الاقصى والادنى وعرف اسمه كثيرون لا يعرفون اسم اعظم رجال مصر ـ ولكن طلب الشهرة في سبيل المصلحة العامة ليس من المعائب بل هو من اكبر دعائم العمران وطلاب الشهرة اعظم رجال العالم

(٣) اجماع الذين عاشروه من رفقائه واصدقائه على حبه واعتقاد الاخلاص فيه فضلاً عن الآخرين مما لا يتأتى لغير المخلصين . لان الانسان اذا سعى في مشروع عمومي طمعاً بمال او جاه لا تلبث حقيقة حاله ان تنكشف لعشرائه الاقربين او شركائه في عمله فينفضون من حوله كما اصاب كثيرين من زعماء الاحزاب في العالم القديم والحديث ففسدت نيات اصحابهم وذهبت مساعيهم ادراج الرياح . وقد يبقى مع الزعيم المنافق اناس يداجونه و يداجيهم التماساً للكسب . ولكن اصحاب مصطفى كامل ثبتوا في ولائه حياً وميتاً وهم يستهلكون في سبيل نصرته وفيهم جماعة من نخبة العقلاء والفضلاء ومعظمهم اكبر منه سناً واوفر مالاً واعرض جاهاً و بعضهم اغزر منه علماً وقد نصروه بعقولهم واموالهم وقلوبهم ولم يستنكفوا من تصدره في مجالسهم ولا داخلهم الحسد من رئاسته عليهم

٣ — هل هو رجل عظيم

يختلف الحكم في عظمة الرجال باختلاف الامم والاجيال فبعضهم يقيسون العظمة بكبر المطامع وسعة الفتوح او بكثرة الاموال و بعضهم يقيسونها بمقدار النفع الذي يترتب على ظهور ذلك الانسان . فمن الفرنساويين من يعدُّ بونابرت اكبر رجال فرنسا لكثرة فتوحه وكبر مطامعه و بعضهم يقدم باستور عليه لانه خدم الانسانية باكتشافاته المكروبية . وآخرون يفضلون رجال الدين والشارعين . وعندنا ان الرجل العظيم انما يكون عظيماً بما يخلفه من الاعجاب والاثر الحسن في نفوس معاصريه . اذ قد يكون عظيماً بنفسه ولا يوفق لاتمام عمله فيؤسس لمن يأتي بعده . وعلى هذا القياس نعدُّ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده عظيمين لان الاول من مؤسسي النهضة السياسية والثاني من مؤسسي النهضة الدينية الاصلاحية وعلى هذا القياس ايضاً نعد مصطفى كامل عظيماً لانه احيا في الامة المصرية جامعة الوطن وهو القائل لو لم اكن مصرياً لوددت ان اكون مصرياً . وعلم المصريين المجاهرة بطلب حقوقهم واسمع

دول اوربا اصواتهم . فهو من اكبر مؤسسي النهضة السياسية المصرية . ولم يأت جمال الدين الافغاني عملاً لايستطيع مصطفى كامل مثله واعظم منه لو بلغ الى مثل سنه . ألم يواقف اعظم دول الارض حتى عرّض نفسه للنفي او الطرد ؟ وقد تفانى في خدمة مبداه حتى مات شهيدًا في ريعان شبابه

على ان ذلك لايمنعنا من انتقاد اعماله لان العصمة لله وحده ولكل امرىء رأيه . والذي نراه ان الفقيد رحمه الله كان متطرفًا في آرائه يعادي من ينتقدها او يخالفه فيها . واذا حمل على خصمه بالغ في الغض من فضله وقد ينكر حسناته ولو كانت ظاهرة كالشمس . وكان مغاليًا في استسهال مطالبه لانه طلب الاستقلال العاجل وقرائن الاحوال تشهد ان ذلك الطلب سابق لاوانه . ولعله تعمد التطرف جريًا على سياسة المتطرفين Radical من احزاب الامم المتمدنة الذين يطلبون البعيد فاذا لم ينالوه نالوا بعضه . ومن ثمار هذه السياسة في مصر نهوض المعتدلين وتجرؤ الخائفين من ارباب الصحف على طلب الاصلاحات الممكنة . ومن ثمار سياسة التطرف ايضًا سرعة نمو الشعور الوطني لما في تلك السياسة من الحماس المثير للاحساس والحامل على التضافر والتعاون

على اننا نرى انه لو وجه تلك الهمة الشماء او بعضها لاستدرار الاموال وانشاء المدارس العالية لكان ذلك اقرب الى الغرض المقصود من سعيه بدليل انه انما قام بموازرة ابناء تلك المدارس ولولاهم لم يستطع عملاً يذكر فكلما زاد عددهم زاد مشروعه قوة وثباتًا وتهيأت الامة ان تحكم نفسها فاذا طلب الاستقلال بعد ذلك لايجد المحتلون حجة للبقاء . ولم يكن يعجزه انشاء عدة كليات كبرى بما فطر عليه من قوة العارضة وعلو الهمة و بما له من المكانة في نفوس الاغنياء . ولا ننكر ما للفقيد من الايادي البيضاء في نصرة التعليم والتربية ولكننا في حاجة الى اكثر من ذلك كثيرًا كما بيناه في غير هذا المكان . فنرجو من خليفته على عمله ان ينظر في هذا الاقتراح

ان الفقيد احيا الشعور الوطني بحماسه وجرأته وجاءه الموت السريع في ابان جهاده فذهب شهيدًا . وعرف المصريون له ذلك فاتحدوا في البكاء عليه وتعاونوا في تعظيمه وتكريمه فظهر الشعور الوطني بعد موته اكثر مما كان ظاهرًا في حياته . فنتقدم الى الساعين في مصلحة الامة من مريديه وغيرهم ان يؤيدوا هذا الشعور بتعميم التعليم العالي ليكون اجتماع الامة عن تعقل وروية وذلك ادعى الى الغرض المراد والسلام



كارلوس الاول

ملك البورتغال

ولد سنة ١٨٦٣ وتوفي ١٩٠٨

مرّ كارلوس الاول ملك البورتغال في اول فبراير الماضي في مركبته ومعه الملكة وولداه ولي العهد والبرنس عمانوئيل في لشبونة فلما اقتربوا من الترسانة اطلق عليهم بعض البورتغاليين بنادقهم فقتلوا الملك وولي العهد واقتصت الحكومة من الجانين وولت البرنس عمانوئيل الملك وهو في التاسعة عشرة من عمره · وسبب هذه الجريمة ان في بلاد البورتغال حزبين سياسيين يتداولان السيادة المحافظون والاحرار مثل حزبي الامة الانكليزية لكنهما اقل عملاً واضعف رأياً · فالف السنيور فرنكو احد كبار الساسة البورتغاليين سنة ١٩٠١ حزباً آخر من نوابغ الحزبين استعان بهم على اصلاح الامة والحكومة وقوي حزبه حتى انتخبوه وزيراً في اواسط سنة ١٩٠٦ ثم وقع بينه وبين النواب اختلاف فزعم انهم يعرقلون مساعيه في

الاصلاح وابى تجديد انتخابهم للعام الماضي حسب العادة ثم حل المجلس البلدي في لشبونه وارادان تجري اعمال الحكومة واجراءات الدولة باوامر عالية يصدرها الملك ووافقه الملك على ذلك وحدثت فتنة اهلية اخمدها الجند فسكت الشعب عن غل وحقد وتواطأ جماعة منهم على قتل الملك لانه اطاع وزيره في الاستئثار بالنفوذ واغتنموا خروجه في مركبة مكشوفة في ذلك اليوم وقتلوه مع ولي عهده كما تقدم

والملك المشار اليه من أسرة براكانزا التي تولت البورتغال في أواسط القرن السابع عشر واول ملوكها جوانو الرابع قبض على ازمة الملك سنة ١٦٤٠ واما كارلوس الاول الذي نحن بصدده فهو ابن الملك لويز الاول ووالدته ماريا بيا بنت فكتور عمانوئيل ملك ايطاليا السابق . تزوج كارلوس في ٢٢ مايو سنة ١٨٨٦ بماري امبلي بنت فيليب دوق اورليان (كونت دباري) وتولى عرش البورتغال في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٩ وليس له من الولد الا اثنان ولي العهد الذي قتل وعمانوئيل الذي خلفه

وكان كارلوس الاول رحمه الله جميل الخلقة قوي العضل ماهراً في استعمال البندقية ليس في البورتغال كلها من يحسن اطلاق الرصاص مثله . وكان مولعاً بركوب الخيل ولعب الكرة (تنس) وهو مصور ماهر ونقاش دقيق وموسيقي من الطبقة الاولى وله مقدرة عجيبة على درس اللغات . فقد اتقن سبع لغات يتكلم في خمس منها كما يتكلم لسانه . وله ولع بمطالعة اشعار شكسبير وقد نقل بعضها الى اللغة البورتغالية

ومن غريب امر هذه الدولة ان الموت كثيراً ما يأتيها شديداً او مزدوجاً من ذلك ان لويس والد كارلوس المذكور لما اصيب بمرض الموت اصيب اخوه اوغسطس بمرض عضال وتوفي كلاهما في بضعة ايام ولما تتوج كارلوس توفيت عمته بغتة وقد قتل بالامس هو وولي عهده معاً

وكان كارلوس كثير الاحترام لوالدته يستشيرها في اموره وهي عاقلة حكيمة ومع كبر سنها حفظت جمالها وقوامها وصحتها وفيها سلامة النية مثل ابيها فكتور عمانوئيل والشعب البورتغالي يحبها وهي ترأس اكثر مشروعاته الخيرية . وكان قبل توليه الملك كثير الشغف بمشاهدة تناطح الثيران الشائع في اسبانيا والبورتغال فكان يذهب الى مرسح المناطحة متنكراً ليس للفرجة ولكنه كان يدخل حلقة البراز للاشتراك في تلك العادة الوحشية . وعادة البورتغاليين في مناطحة الثيران تختلف عن عادة جيرانهم الاسبان لان المناطحة عندهم لا يقتل فيها الثيران ولا الخيول . ويمنعون اذى الثيران عن الافراس بان يغطوا رؤوس قرونها

بادوات مسلطحة . وكان اهل القصر يعرفون تنكر ولي العهد (يومئذ) ومبارزته الثيران ويعدونها بسالة كبرى . وجرى حديث ذلك بين يدي نساء القصر وهو حاضر فقالت احداهن « وهل يجسر ولي العهد على مبارزة الثيران وقرونها مكشوفة » فاجاب على الفور « افعل ذلك في اقرب وقت » . فاول مناطحة حدثت بعد هذا الاجتماع نزل الدون كارلوس (ولي العهد) الى الساحة والناس في مجالسهم والسيدات مجالس خاصة واكثرهم يعلم ان ذلك المتنكر انما هو ولي العهد . ولم يكن يؤذن لثور غير مغطى القرون ان يدخل المرسح من قبل ولكنهم ادخلوا واحداً في ذلك اليوم اجابة لطلبه فنزل ولي العهد وبيده النبال وهوم بها على الثور ثم اطلقها عليه فهاج وهجم على عدوه فاراد ان يخلى من طريقه فزلقت رجله على بقعة رطبة من الارض هناك فامسك الناس انفاسهم واختلجت قلوبهم خوفاً عليه فاسرع احد المبارزين داخل الحلقة بملاءة حمراء نشرها امام الثور وهو يخاف ذلك اللون فتراجع ونهض الدون كارلوس في تلك اللحظة وهو غير مستعد للدفاع ولحظ الثور قيامه فتحول نحوه وانقض عليه كالصاعقة فلم ير كارلوس منقذاً غير الفرار السريع ووثب من المرسح الى المقاعد من فوق الجدار الفاصل بينهما وثبة طويلة ولم تكد رجله تتجاوز حافة الجدار حتى وصل الثور واعمل قرنه في الجدار وهو من خشب فخرقه خرقاً كبيراً ولو لم يفر ولي العهد لكانت تلك الصدمة له وهي مميتة . فنجا من قرون الثيران ولكنه لم ينج من انتقام الانسان



دانتي شاعر الايطاليان توفي سنة ١٣٢١ راجع ترجمته في السنة الرابعة من الهلال صفحة ٤٤٢

اثار التمدن الاسلامي

تمهيد

نريد بآثار التمدن ما يتخلف عنه من الآثار الاجتماعية او الادبية او العمرانية مما نشأ في عهده او ترتب عليه • ولكل تمدن آثارٌ خاصة به لا تزال باقية الى الآن — حتى الامم التي نشأت قبل زمن التاريخ وهذه أكثر آثارها من الابنية المتهدمة والكهوف المنقورة في الصخور • على انها خلفت آثارا دينية أو اجتماعية لم يعد تعيين اصحابها ممكناً • فالعادات والمعتقدات القديمة التي توارثتها الاجيال من اقدم أزمنة التاريخ انما هي من آثار أمم «تمدنت» قديماً وكانت هذه المعتقدات والعادات من ثمار تمدنها • كالقول بالارواح مثلاً او عبادة الاجرام او الاسلاف • ومن الآثار العلمية والصناعية للامم التي ذهبت قبل زمن التاريخ اختراع النار واصطناع الخبز واكتشاف ملح الطعام والطبخ وصناعة الغزل والحياكة والنسيج • ومن آثارها البنائية الكهوف والتماثيل المنحوتة والاسلحة الصوانية والمعدنية وكلها تدل على تمدن انقضى قبل عهد التاريخ ولا يتيسر لنا معرفة اصحابه — حتى في اميركا فقد عثروا بين انقاضها على اهرام وتماثيل تدل على تمدن ذهب قبل اكتشافها

وللامم التي تمدنت بعد عهد التاريخ آثارٌ لا تزال باقية الى اليوم • فمن آثار التمدن الفينيقي مثلاً احرف الهجاء المنتشرة في العالم الآن لان الفينيقيين وضعوها ونشروها في اثناء اسفارهم التجارية شرقاً وغرباً فاخذها عنهم اليونان في أوربا والكلدان في اسيا والعرب في اليمن وعن هذه الفروع تشعبت الخطوط الشائعة في العالم المتمدن باوربا واميركا واسيا حتى في الهند وفارس • فضلاً عن الخطوط التي اهمل استعمالها ولا تزال منقوشة على اطلال اليونان القديمة وقبرص وبطرا وتدمر واليمن وغيرها ولا تزال اسماؤها الفينيقية حجة على اصلها • ومن آثار الفينيقيين الملاحة والاسفار في الاتجار والاستعمار ومن آثارهم البنائية بقايا مدافنهم وتماثيل آلهتهم

ومن آثار التمدن المصري القديم هياكل العبادة على الشكل الشائع عند أهل الاديان اليوم واحراق البخور في الصلوات ونحت التماثيل ثم قلدهم بها اليونان • ومن آثارهم العلمية علم الزراعة وعلم التشريح ساعدهم على ذلك التحنيط وخصائص العقاقير

وعلم التصوير الملون • ومن آثارهم الدينية الكهانة والتثليث والتقميص ومن آثارهم الاجتماعية التعاويذ والتمائم ناهيك بآثارهم السياسية في تنظيم الحكومة وانشاء الجند وآثارهم البنائية كالاهرام والمسلاَّت وغيرها

ومن آثار التمدن الاشوري او الكلداني العلمية مثلاً علم الطب لانهم وضعوا اساسه وعلم الفلك والنجامة والسحر وآثارهم البنائية مشهورة في العراق

ومن آثار التمدن الاسرائيلي التوراة والشرائع والتوحيد وان لم يكن من مبتكراتهم لكنهم نشروهُ وعليه بنت التعاليم الدينية • ومنها ظهور الانبياء وتوسطهم في اعمال البشر وقلما خلفوا آثاراً بنائية

وآثار التمدن اليوناني القديم كثيرة • فمن آثارهم الاجتماعية والعلمية فن الروايات التاريخية ومثاله الالياذة والميتولوجيا بما فيها من تناسل الآلهة وتجسدها وتفاوتها في المراتب ثم الخطابة والسباق والالعاب الرياضية والحكم الجمهوري والفكر الديموقراطي والفلسفة والمنطق والطقوس الدينية النصرانية في الشرق والنقوش • ومن آثارهم الخطابة وفن المحاماة وفن التمثيل والمدارس وأندية العلم • واما آثارهم البنائية فقد ملأَت المتاحف باوربا فضلا من الابنية القائمة في بلاد اليونان وغيرها الى الآن

اما التمدن الروماني فآثاره العلمية قليلة بالنظر الى عظمته وطول مكثه لان الرومانيين اقتبسوا علم اليونان وفلسفتهم لكنهم اشتغلوا بالسياسة والشرائع المدنية فخلفوا شرائع هي أساس النظام الاجتماعي والسياسي في أوربا الى اليوم • فالشريعة التي وضعها يوستنيان اشهر من ان تذكر ونظام الدول الامبراطوري او الجمهوري قلدته الدول التي نشأت على انقاضها في أوربا ونظام الجند وتدريبهم وأقسامهم • ومن آثارهم الدينية الكثلكة في أوربا وغيرها • ومن اهم آثار التمدن الروماني اللغة اللاتينية — نعم انها لم تبق شائعة على الالسنة ولكنها دخلت في كل لغة من لغات أوربا فترى في بعض هذه اللغات الفاظاً او تراكيب لاتينية اقتبسها اصحابها منها والبعض الآخر هو بقية اللاتينية • فضلاً عن الآثار البنائية في المتاحف والمعاهد والاطلال

هذه امثلة من آثار التمدن في الامم القديمة على اختلاف اماكنها وأعصارها تمهيداً لما سنأتي عليه من آثار التمدن الاسلامي • وانما نريد بالاثر ما لا يزال باقياً الى الآن وقد اثر في الحياة الاجتماعية فلا عبرة عندنا بما قد يكون من مظاهر التمدن او ثماره اذا كان قد ذهب اثره • فالتمدن الاسلامي من هذا القبيل اكثر آثاراً من سائر ضروب التمدن

في سبقته واشدها تاثيراً في احوال العمران على الاجمال ولبيان ذلك نقسم تلك الآثار الى ثلاثة اقسام كبرى (١) آثار اجتماعية (٢) آثار علمية او ادبية (٣) آثار عمرانية او بنائية ونتكلم عن كل منها على حدة

١ — آثار التمدن الاسلامي الاجتماعية

قبل الخوض في هذا الموضوع ننظر في حال الاجتماع البشري قبل الاسلام ليظهر تاثير التمدن الاسلامي فيه • ظهر الاسلام والعالم المتمدن محصور حول البحر المتوسط وعلى شواطيء بحر فارس وبحر قزوين والبحر الاسود يتنازع السيادة عليه دولتان احداهما نصرانية وهي الروم في الغرب والاخرى مجوسية وهي الفرس في الشرق والحدود بينهما ملتقى الجيوش ومسيل الدماء • وكان العالم على الاجمال في فترة وقد تضعضعت النصرانية في الشرق بما وقع فيها من الانقسام وما أصابها من الخلل وتحولت المعتقدات والمذاهب من الجوهر الى العرض ومن المعاني الى الالفاظ • فلو لم يقم الاسلام ويذهب باحدى الدولتين ويضعضع الاخرى لظلتا في خصام وحروب حتى تغلب احداهما وتنشر سلطتها ودينها على الاخرى • فربما غلب الفرس فتصبح المجوسية ديانة اهل الشام ومصر وسائر الشرق الادنى ولو غلبت الروم لنشرت النصرانية في الاهواز وكرمان وخراسان

نهضة الشرق

قضت دولة الرومان قروناً عديدة وهي صاحبة السيادة على شواطيء البحر الابيض واعلامها تخفق على قلاع الشام ومصر وشواطيء افريقيا الشمالية ولا نعرف عما وراء ذلك الا قليلاً عن بلاد المغرب كأن قارة افريقيا برمتها غير موجودة او كأن اهلها من غير البشر واذا سمعوا عنهم فمثل سماعنا عن سكان المريخ او الزهرة . وكان الفرس من الجهة الاخرى قلما يعرفون عما وراء بحر السند او الاوقيانوس المحيط وقلما يحركون سكانها الا لحرب او غزو — والعلم محصورٌ في بقعة صغيرة وفي طائفة قليلة من الخاصة وسائر العالم في فتور

فلما ظهر الاسلام وحمل العرب على تلك الممالك بجامعتهم و بداوتهم اهتزت اعصاب الدول ولكنها لم تستيقظ حتى ذهبت الفرصة واستولى العرب على مملكة فارس ومعظم مملكة الروم . وخافت الروم على مابقي في يديها فاحتفظت به وعملت على اصلاحه . ودخل معظم الشرق في حوزة المسلمين فساسوه وجمعوا كلمته وزادوا في رقيه . وقربوا بين

اطرافه فنهض الشرق نهضة لم يسبق لها مثيل في تاريخه القديم ولا الحديث . لم يكن للمشارقة شأن يذكر قبل الاسلام الا الامم التي نشأت بين النهرين وما يليها كالاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين وكلها ذهبت قبل دولة الرومان . واما عند ظهور الاسلام فلم يكن باقياً من دول الشرق غير الفرس وكان سائر الشرق في ظلمة دامسة او في خمول او سبات والاسلام ايقظها ورقاها وجمع بينها وهاك اشهر الامم التي نهضت بالاسلام :

١ — العرب

كان العرب محصورين في جزيرتهم القاحلة وهم اهل بادية وخشونة وشظف من العيش يسمعون بالرومي او الفارسي فيعظمون قدره ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى ولم يتجاوزوا جزيرة العرب الا قليلاً . فلما ظهر الاسلام واجتمعت كلمة العرب نهضوا للفتح واوغلوا في البلاد وفتحوا الامصار . ولم يكن زجر عمر ليوقف تيارهم فانساحوا في الارض حتى نصبوا اعلامهم على ضفاف الكنج شرقاً وشواطىء البحر الاتلانتيكي غرباً وضفاف نهر لوار شمالاً واواسط افريقيا جنوباً وملأُوا الارض فتحاً ونصراً واحتلوا مدائن كسرى وقيصر واقاموا في المدن واركنوا الى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت انسابهم بتوالي الاجيال وضعفت عصبيتهم فضاعت سلطتهم . والقبائل التي قامت بنصرة الاسلام ونشره قبائل مضر وانصارها من العدنانية والقحطانية . ولم تنتشر العرب بالفتح فقط ولكنهم كانوا ينزحون بالمهاجرة باهلهم وخيامهم وانعامهم التماساً لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة . فقد جلت بطون من خزاعة الى مصر والشام في صدر الاسلام لان ارضهم اجدبت فمشوا يطلبون الغيث والمرعى وكذلك كانت تفعل العرب كلما اصابها جدب حتى كانت لهم اعوام خاصة يجلون بها الى مصر والشام يسمونها أعوام الجلاء . وكانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام اذا اجدبت ارضهم يمموا العراق وفارس فيعطيهم الفرس التمر والشعير ولكنهم كانوا لايقيمون هناك بل يرجعون الى بلادهم خوفاً من الذل في سلطان دولة اعجمية . اما بعد الاسلام فكان المقام يطيب لهم في بلاد فتحها آباؤهم او اعمامهم او اخوالهم وغرسوا فيها اعلامهم وجعلوها فيئاً لهم

وبعد ان كان العرب اهل بادية وشظف وجاهلية تحضروا وانشأُوا الدول وساسوا الممالك ونبغ منهم العلماء والفلاسفة ورجال السياسة واستبحر عمرانهم وتبسطوا في الرخاء وافترشوا الخز ولبسوا الحرير

٢ — الترك

وكان الاتراك ايضاً اهل بادية يقيمون في اواسط اسيا بين الهند والصين وسيبيريا ولم يعرفوا عن اهل الغرب من اليونان او الرومان الا قليلاً وكان الفرس يقتنونهم للرق اوالخدمة ويهادونهم كما يتهادون المتاع . فلما جاء العرب وفتحوا بلادهم وجندوهم نهضوا في جملة الناهضين وتولوا الامارات ثم انشاوا الدول العظمى في فارس والعراق والشام ومصر واسيا الصغرى والقسطنطينية وافغانستان وتركستان . واشهرها الدولة الطولونية والايلكية والاخشيدية والغزنوية والسلجوقية بفروعها ودول الاتابكة التي تخلفت عنها . ويزيد عدد الدول التركية الاسلامية على ثلاثين دولة . واتسع سلطانهم حتى وطئت خيولهم اواسط اوربا ونبغ منهم القواد والساسة والفقهاء والكتاب وشادوا القصور والمساجد والمعاهد وانشاوا المارستانات والمدارس والتكيات واكثر ما بقي من آثار الاسلام في مصر والشام والعراق من بنائهم

٣ — المغول

والمغول طوائف رُحل كانوا يقيمون حوالي بحيرة بيقال في جنوبي سيبيريا ولم يظهروا للعالم الا بعد الاسلام وكانوا قبل ذلك قبائل يعيشون بالغزو والنهب والصيد والقنص . فلما احتكوا بالمسلمين في تركستان ورأوا دولهم وجيوشهم عملوا على الاقتداء بهم حتى عمدوا الى فتح ممالكهم ففتحوها ببداوتهم وخشونتهم وامعنوا فيها قتلاً ونهباً وحرقاً على يد جنكيز خان . لكنهم ما لبثوا ان تحضروا لمعاشرتهم المسلمين في فارس والعراق وانشاوا دولاً عظمى حكمت الشرق خمسة قرون ونصف قرن اشهرها اربع دول كبرى هي دول اقطاي وطلوي وجوجي وجغطاي وتفرعت منها دول اخرى امتدت سطوتها وخفقت اعلامها على زنقاريا وبلاد المغول والقبجاق وتركستان وفتحوا المملكة الاسلامية وامعنوا في بلاد فارس والعراق والشام ونبغ منهم الساسة والقواد . وبعد ان كانوا اهل اوثان اعتنقوا الاسلام وشادوا المساجد والمدارس والمراصد وعمروا المدن في اقصى الشرق اقاموا فيها الابنية الباذخة والقصور الشامخة وغرسوا الحدائق والبساتين

٤ — البربر

ويراد بهم بدو افريقيا الشمالية وهم قبائل رحل كانوا قبل الاسلام من الهمجية والجهالة على جانب عظيم . وكانوا اصحاب اوثان يعتصمون بالجبال ويتقاضون الى الكهان يكرهون المدنية واهلها . وقد قاسى اليونان والرومان من غزوهم ونهبهم عذاباً شديداً ولم يكن لهم شغل غير ذلك . ولاقى العرب ايام الفتح مشقة كبرى في اخضاعهم . فلما اخضعوا واعتنقوا

الاسلام تجندوا للخلفاء والامراء وافتتحوا البلاد ولا سيما في الغرب فاكتسحوا الاندلس بقيادة طارق بن زياد وكانوا عوناً كبيراً في قيام دولة الادارسة والدولة المروانية والدولة الفاطمية وانشاوا دولة الملثمين والمرابطين والموحدين والمصامدة وآل زيري وغيرهم مما لا يحصى وقد جندوا الجنود وبنوا المعاقل واخذوا باسباب المدنية

٥ — الزنوج

كان الزنوج ولا يزال السواد الاعظم منهم حتى الآن من احط الامم منزلة وأفسدهم اخلاقاً واصبرهم على الذل والمسكنة يحملون الى الافاق كما تحمل الاغنام ويباعون بيع السلع لا يرون في ذلك اجحافاً لانهم في الواقع ادنى رتبة في البشرية من الامم المتمدنة . فكانوا يرضخون تحت نير المتمدنين راضين قانعين وكانوا يعبدون الحجارة او الشجر وبعضهم لا يفهم معنى الدين او العبادة . وكان المعروف من مواطنهم عند ظهور الاسلام شمالي افريقيا وبعض غربيها وشرقيها فلما انساح العرب في الارض للفتح او المهاجرة ذهبت قبائل منهم الى اواسط افريقيا فضلاً عن شواطئها فاكتسب الزنوج منهم اخلاق الامم المتمدنة واعتنقوا الاسلام ثم انتظموا في الجندية وتألفت منهم فرق جاربت تحت رايات الخلفاء والسلاطين بالعراق ومصر والشام واتخذ الخلفاء فرقاً منهم خدماً لمنازلهم وارتقى بعضهم في بلاط الخلفاء حتى صاروا من اهل الحل والعقد وتولى بعضهم الحكومة ثم تجندوا لانفسهم ونهضوا كما تنهض الامم الراقية فالفوا جيشاً حاربوا به الدولة العباسية عدة سنين حتى اقلقوا راحتها وفتحوا المدن وكادوا يؤسسون دولة اسلامية كبرى . على انهم أنشأوا دولاً صغرى في اواسط افريقيا وغربيها ونبغ منهم الحكام والقواد واشهرهم كافور الاخشيدي صاحب مصر . وظهر غير واحد من الشعراء ونظموا القصائد الحسنة ونبغ منهم جماعة من القراء والفقهاء

٦ — سائر الامم

وقس على ذلك انتقال امم الشمال كالكرج والارمن والاكراد والخزر والصقالبة والروم وغيرهم نحو الجنوب . فقد كان المسلمون يجندون من كل امة ويستخدمون الرجال من كل طائفة ويفسحون المجال للمواهب فيرتقي الرجل على قدر اجتهاده ومواهبه فربما كان خادماً فيصير وزيراً او قائداً او سلطاناً بلا تمييز بين الطوائف والنحل . كان السلطان صلاح الدين كردياً والملك الافضل امير الجيوش ارمنياً وبدر غلام المعتضد تولى قيادة الجند ونقش اسمهُ على الاتراس والاعلام وابلى في خدمة مولاهُ بلاء حسناً حتى قتل في سبيل نصرته . ويحكم اصله

من الغلمان وارتقى حتى صار امير الامراء وهي اعلى رتب الدولة العباسية . وجوهر قائد جند الفاطميين الذي فتح لهم مصر وبنى القاهرة في اواسط القرن الرابع للهجرة كان مملوكاً رومياً . وبلغ تعظيمهم امره واكرامه انهُ لما اقلع من المغرب قادماً الى مصر لفتحها ترجل اولاد الخليفة المعز واهله ومشوا بين يديه . وكان قبله كافور الاخشيدي المتقدم ذكره وهو خصي اسود ارتقى بمصر حتى استقل باحكامها سنة ٣٥٥ هـ ويانس الصقلي الخصي اصله خادم مؤنس الخادم وتقدم مع ذلك في اعمال الدولة وعظمت منزلته حتى ولي الولايات ومهر في السياسة . وبرجوان الاستاذ كان خصياً ابيض ارتقى في الدولة الفاطمية الى رتبة الوزارة ووزر للعزيز بالله والحاكم وتلقب بامين الدولة وهو اول من لقب بذلك في الدولة الفاطمية . وقراقوش الطواشي وزير صلاح الدين الايوبي بلغ ارقى مناصب الحكومة في الدولة الايوبية وعميد الملك احد كبار القواد الاتراك كان من الخصيان . وكذلك شقير الخادم صاحب البريد في مصر والشام ايام بني طولون . ومؤتمن الخلافة في الدولة الفاطمية كان خادماً خصياً وقس على ذلك تقدم الصقالبة في دولة بني امية بالاندلس وتقدم الخدم والخصيان في دول السلاجقة وبني بويه وسائر دول الاسلام في تلك العصور

الجامعة الاسلامية

ومن آثار التمدن الاسلامي في نظام الاجتماع انه هدى كثيراً من الامم الوثنية الى عبادة الله ولولاه لظلت تلك الامم على ضلالها وفيها المجوسي والبوذي والبرهمي وعابد الحجر والصنم . فكانت جزيرة العرب قبل الاسلام اكثرها اهل جاهلية واوثان وكان الفرس مجوساً والهنود براهمة واهل اواسط افريقيا فتشية والاتراك وثنيين والصينيون بوذيين . فلما ساد المسلمون وانتشروا في الارض تغلب الاسلام على تلك الاديان فعمّ جزيرة العرب وبلاد فارس وتركستان واواسط افريقيا وشواطئها وانتشر في بلاد الهند وجزائرها وفي الصين وغيرها . فضلا عمن اسلم من اهل الذمة . فالاسلام جمع أمم شتى تختلف لغة واخلاقاً وعادات بجامعة واحدة هي جامعة الدين ويقدر المسلمون اليوم بنحو ٢١٠ ملايين وهم منتشرون في مصر والشام والعراق والمغرب وجزيرة العرب وفارس والهند وجزائرها وخصوصاً ملقا وتوابعها وبورنيو وسرواك وفي اواسط افريقيا ولا سيا نياجرا في افريقية الشرقية وزنجبار وفي تركستان وافغانستان والصين ومنهم جماعات في أميركا وأوستراليا واسبانيا وجزائر المحيط وغيرها على ما فصلناه في الهلال الرابع من هذه السنة

جامعة اللغة العربية

انتشر الاسلام وانتشرت معه اللغة العربية لغة النبي واصحابه ولغة القرآن والحديث وسائر كتب الدين لجعلها المسلمون لغة الدولة والحكومة والجند فانتشرت في البلاد التي ساد فيها العرب او دخلها الاسلام فاصبحت لغة المسلمين أن لم يكن للتفاهم بها فلكي يقرأوا بها القرآن ويؤدوا بها الصلوات • فما من مسلم الا ويقرأ العربية كثيراً او قليلاً فاذا لم يقرأها قرأ لغته باحرفها — فالتمدن الاسلامي لم يخلف مثل ما خلفه المصريون القدماء من الآثار البنائية كالاهرام والبرابي والمسلات ولا ما خلفه اليونان والرومان من المراسح او الميادين او التماثيل لكنه خلف آثاراً مطبوعة في النفوس يتوارثها الابناء عن الآباء كانه وسم الامم التي دخلت في سلطانه بسمات خالدة أهمها الدين واللغة فبعض الامم وُسمت بالسمتين معاً كمسلمي الشام ومصر والعراق وبعضها وسمت باحداهما كالفرس والترك فانهم اتخذوا الاسلام ولم يتخذوا اللغة العربية والبعض الآخر اتخذ اللغة دون الدين كاهل الذمة في العالم العربي

وهناك سمة ثالثة شملت تلك الامم كافة مسلمهم وذميهم عربيهم وفارسيهم وتركيهم وهنديهم وهي الخط العربي فبعد ان كان هذا القلم محصوراً عند ظهور الاسلام بفئة قليلة من الصحابة وبعض اهل الذمة انتشر بانتشار اللغة العربية ثم تجاوزها الى لغات العالم الاسلامي ولا تزال تكتب به الى الآن • ويبلغ عدد الامم الذين يكتبون بالاحرف العربية ١٦ امة وهي الامم العربية والفارسية والافغانية والتركية العثمانية والشاغطائية والقازانية والاذربيجانية والاورنبرجية والداغستانية والكردية والاوردية (الهندستانية) والكشميرية والملقية والسندية والبربرية في المغرب والريفية في مراكش • غير لغات القبائل السودانية المجاورين للاسلام ولم تدون لغاتهم فانما اذا كتبوا فانهم يكتبون بالحرف العربي

اما الذين يتكلمون اللغة العربية اليوم فمحصورون بجزيرة العرب والعراق والشام ومصر والمغرب والسودان وبعض شواطىء افريقيا وجزائرها ويقدر عددهم بنحو خمسين مليوناً

فللتمدن الاسلامي فضل كبير في نهضة الشرق وجمع شتاته ولم يقتصر تأثيره على الشرق ولكنه تناول الغرب فانهضه بعد غفلته اقتداء بالمسلمين او خوفاً من تيار فتوحهم بعد ان احتكوا بهم في أوربا اذ وطئت خيولهم شواطىء نهر لوار بفرنسا وزادت معرفتهم بهم في اثناء الحروب الصليبية واطلعوا على حقيقة المسلمين وما عندهم من اسباب المدنية

والعمران والعلم فاخذوا يقلدونهم فيما حتى انشأوا التمدن الحديث على ما نراه . وساعد على نهضتهم يومئذ فتح المسلمين القسطنطينية وفرار علمائها الى اوربا ومعهم العلم والفلسفة فكانوا من جملة اسباب هذه النهضة . وللمسلمين فضل في تحريك الهمم بفتح القسطنطينية وسنأتي على بقية الكلام

آداب الفرس قبل الاسلام

وتاريخ الكتابة عندهم

سألنا صديقنا الدكتور شبلي شميل عن آداب الفرس وعلومهم قبل دخولهم في الاسلام واصطباغ لغتهم بالصبغة العربية واستعمالهم الاحرف العربية واستبدال ثلاثة ارباع الفاظهم بالفاظ عربية . والجواب يقتضي النظر في لغة الفرس وفي علومهم وفي الكتابة عندهم

١ — لغة الفرس

الفرس يسمون انفسهم ايرانيين والناس يسمونهم فرساً ويعنون بلفظ «الفرس» عادة اكثر كثيراً من مدلوله الاصلي لانهُ في الاصل اسم جزء صغير من بلاد فارس التي تراها مرسومة على الخارطة واقع في الجنوب بين خوزستان وكرمان فاطلقه العرب على بلاد ايران كلها . كما اطلق الفرس قبل ذلك اسم العرب على اهل جزيرة العرب كافة وهو في الاصل اسم سكان جزئها الشمالي فقط . فاذا اردنا بالفرس الايرانيين على الاجمال فتاريخهم قديم يرجع الى عصر الشعب الآري لان الايرانيين فرع منهُ . يليه العصر الذي كان فيه الايرانيون والهنود شعباً واحداً ثم عصر الايرانيين القديم وهم قبائل متفرقة فالعصر الاشوري الذي كانوا فيه تحت سلطة الاشوريين نحو القرن العاشر قبل الميلاد يليه العصر المادي الذي ظهرت فيه دولة مادي اقدم دول الايرانيين سنة ٧٠٠ ق م ثم يبدأ العصر الفارسي الحقيقي بظهور الدولة الكيانية سنة ٥٥٠ ق م حتى قهرها الاسكندر سنة ٣٣٠ ق م تليها فترة ملوك الطوائف من سنة ٣٣٠ ق.م الى ٢٢٦ ب م . وفي هذه السنة ظهرت الدولة الساسانية وامتدت سيادتها الى ايام الاسلام وذهبت بفتح العرب فارس سنة ٦٥٢م وهو العصر الفارسي الاسلامي ولا يزال

فالايرانيون توالت عليهم عدة اطوار سياسية اختلفت فيها لغتهم باختلاف تلك الاطوار فكانت في الاصل قريبة من اللغة الهندية القديمة اي السنسكريتية ثم اخذت

تتنوع بعد افتراق الايرانيين عن الهنود. ولا نعرف شيئاً عن حالها قبل قيام دولة مادي اذ لم يقف النقابون على اساطير ايرانية في عهد الدولة الاشورية او قبلها . ولكنهم يستدلون من احوال أخر ان اللغة الايرانية اصابها تغيير في عهد الدولة الاشورية يشبه ما اصابها في دولة العرب فدخلها كثير من الالفاظ الآرامية او الكلدانية كما دخلت الالفاظ العربية بلغة فارس بعد ذلك . فتاريخ اللغة الفارسية تختلف اطواره عن اطوار تاريخ امة الفرس (الايرانيين) ويمكن حصره في اربعة اعصر :

(١) العصر الايراني الاصلي : يبدأ قبل زمن التاريخ وكانت اللغة فيه آخذة في النمو على الفطرة . وينتهي بدخول الايرانيين في حوزة الاشوريين

(٢) العصر الآرامي : ويبدأ بسيطرة الاشوريين في القرن العاشر قبل الميلاد الى ظهور الدولة الكيانية في بلاد فارس الحقيقية سنة ٥٥٠ ق م وتدخل فيه الدولة المادية. وهو يمتاز بدخول بعض الالفاظ الاشورية او الآرامية في اللغة الفارسية وبعض الخرافات والعادات السامية حتى قالوا انها تغلبت على خرافاتها المادية الاصلية ولم يقفوا على آثارها ولكنهم كتبوا بها او بفرع يشبهها « الزندافسته » كتابهم الديني وتعرف باللغة الزندية

(٣) العصر الفارسي الاول : في عهد الدولة الكيانية ويسمون لغته اللغة الفارسية القديمة وقد وجدوا امثلة منها في الصخر منقوشة على اطلالها بالحرف الاسفيني الاشوري. واللغة الفارسية المذكورة فرع من اللغة الايرانيـة او اختها لكنها غلبت على السنة شعوب ايران كما غلبت لغة قريش على السنة قبائل العرب بعد الاسلام وهي لغة قبيلة منهم

(٤) العصر الساساني : وهوالذي قامت فيه دولة آل ساسان سنة ٢٢٦ م الى ظهور الاسلام وتعرف لغته باللغة الفهلوية وقلما تختلف عن سابقتها بمبانيها ومعانيها . وهي اللغة التي ظلت شائعة في بلاد ايران الى ظهور الاسلام وبها كانت تدون كتب العلم والدين . وبها نقشت آثار هذه الدولة على انقاض مدائنهم وعلى نقودهم واختامهم ومجوهراتهم وبها نقلت كتب اليونان وغيرها وعنها نقل ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة وكتاب مزدك وخداينامة في السير وآيين نامة والآداب الكبير والآداب الصغير وعنها نقل جبلة بن سالم كتاب رستم واسفنديار وبهرام شوس وعنها نُقل هزار افسانة اصل كتاب الف ليـلة وليلة وسير ملوك الفرس وغيره في عهد التمدن الاسلامي

واللغة الفهلوية يسمونها ايضاً اللغة الفارسية الوسطى تمييزاً لها عن الفارسية القديمة التي تقدم ذكرها وعن الفارسية الحديثة التي يتكلم بها الفرس الآن . والفرق بينهما كثرة الالفاظ

العربية التي دخلت اللغة الفارسية الحديثة بعد الاسلام وخصوصاً على اثر قيام الدولة العباسية اذ انخرط الفرس في تلك الدولة سياسة وعلماً وادباً . واخذت اللغة الفهلوية بالزوال شيئاً فشيئاً حتى ذهبت عن الالسنة وظلت في الكتب ولاسيما كتب الدين القديم على مذهب الزردشتية المجوسية واصحاب هذا المذهب يعدون ذلك اللسان مقدساً لانهُ لغة دينهم فيفضلون تدوينهُ بهِ . ولا عجب فان بعض الامم يتبركون بالاحرف التي كانوا يكتبون بها لسانهم القديم . كذلك فعل كهان مصر فكان يعدون الحرف الصوري الهيروغليفي مقدساً فينقشون به صلواتهم او آثارهم مع وجود الحرف الديموطيقي وهو اخف على الايدي . واعتبر ذلك ايضاً بما فعله نصارى الشام لما دخل الاسلام بلادهم وغلبت اللغة العربية على السنتهم فظلوا حيناً يكتبونها بالحرف السرياني الذي كانوا يكتبون به لغتهم الاصلية ويسمونه الكرشوني

فاللغة الفارسية او الايرانية ترجع الى اربع لغات (١) اللغة المادية وما قبلها ولم يعرفوا كتابتها (٢) اللغة الزندية وهي لغة الزندافستة اي كتب الدين عندهم لم يكتب بها غيرها (٣) اللغة الفارسية القديمة ولانعرف منها غير ما تخلف من الاساطير المنقوشة بالحرف الاسفيني في فرسبوليس (٤) الفهلوية وهي لغة الدولة الساسانية (٥) اللغة الفارسية الحديثة التي يتفاهم بها الفرس اليوم ولها فروع كثيرة اشهرها الافغانية والبلوشستانية والكردية والباميرية والأوسقية

٢ — علوم الفرس وآدابهم

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود كما تقدم وهم أمة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون فجردت على بلادهم جيشاً قد يمتنع على اعظم دول الارض اليوم حشده ونقله بمهماته ومؤونته من اواسط اسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرناً ؟ فالدولة التي هذا مبلغ قوتها لا يخلو من ادب وعلم والفرس اهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لاسباب التمدن فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها وان كان ما وصل منهُ الينا قليلاً . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والانواء . فقد احرزوا شيئاً منها وخصوصاً لانهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في أبان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وقد تقدم انهم كانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر بلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب فبعد ان اخرب ابنية تلك المدينة وشوه نقوشها نسخ ما كان مجموعاً من ذلك في

الدواوين والخزائن هناك ونقله الى اللسان اليوناني والقبطي . وبعد فراغه من نسخ حاجته منه احرق ما كان مكتوبا بالفارسية واخذ ما كان يحتاج اليه من علم النجوم والطب والطبائع وبعث به وبسائر ما اصاب من العلوم والاموال والخزائن والعلماء الى مصر وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام

وليس ذلك كل ما كان عند الفرس من كتب العلم فقد عثروا في اوائل القرن الرابع للهجرة على مخابئه في رستاق جي بفارس هي عبارة عن ازج معقود بالحجارة وجدوا فيه كتباً كثيرة مكتوبة في لحاء التوز وفيها اصناف من علوم الاوائل باللغة الفارسية القديمة وقد تبين من قراءتها على ماذكره ابن النديم « ان طهمورث ؟ الملك المحب للعلوم والعلماء خاف الامطار على كتب العلم فأودعها ذلك الرستاق » وهي كتب نفيسة في علم النجوم وعلل حركاتها مما كان عند الفرس والروم والكلدان . وعثروا نحو ذلك الزمن أيضاً على ازج آخر انهار فانكشف عن كتب كثيرة لم يهتد احد الى قراءتها . والظاهر ان عادة حبس الكتب في المغاور ونحوها كانت شائعة في ذلك الزمان — قال ابن النديم « والذي رأيته انا بالمشاهدة ان ابا الفضل ابن العميد انفذ الى هنا في سنة نيف واربعين (وثلاثمائة) كتباً متقطعة اصيبت باصفهان في سور المدينة في صناديق وكانت في اليونانية فاستخرجها اهل هذا اللسان مثل يوحنا وغيره وفيها اسماء الجيش ومبلغ ارزاقهم . . . الخ »

على ان الشائع من علوم الفرس لم يكن يتجاوز بعض الاشعار والاخبار وكتب العقائد والاديان الى ايام سابور بن ازدشير من الدولة الساسانية في اواسط القرن الثالث للميلاد وفي ايامه ظهرت طائفة المانوية وانتشبت بين سابور والروم حروب انتهت بنصرته وقد حمل معه عدداً كبيراً من اسراهم الى بلاده فأنشأ لهم في الاهواز مدينة سماها جنديسابور نسبة اليه واكرم وفادتهم فحببوا اليه العلم فعمل على استرجاع علوم الفرس من اليونان اوالاستعاضة بمثلها . فبعث الى بلاد الروم استجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية واختزنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انو شروان العادل (من سنة ٥٣١ — ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد اضحت فقر بعض اصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في الارض وجاء منهم جماعة الى انوشروان فاكرم وفادتهم وامرهم بتأليف كتب الفلسفة او نقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب وألفوا

فيها الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين و بعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انو شروان انهُ من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت اساساً لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

ولم يقتصر انو شروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود ايضاً من السنسكريتية الى الفارسية وانشأ في جنديسابور مارستاناً (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند و بلاد اليونان وكانوا يعلمون فيه الطبين الهندي والابقراطي فجمع بين الحسنيين . و بلغ هذا المارستان من الشهرة مالم يسبق له مثيل وكان له شأن كبير بعد الاسلام

وجملة القول ان الفرس اشتغلوا قبل الاسلام في الفلسفة والطب والادب والشعر وتثقفت عقولهم وذاع صيتهم وكان لهم اطلاع خاص في علم النجوم واحكام الافلاك مما توارثوه عن اسلافهم او نقلوه عن جيرانهم . وقد زها العلم عندهم في ايام انو شروان العادل — والعلم لا يزهو الاَّ في ظل العدل والحرية

٣ — الكتابة عند الفرس القدماء

لا سبيل الى معرفة القلم الذي كان يكتب به الايرانيون القدماء في العصر الايراني الاصلي او لعلهم لم يكتبوا . اما العصر الآرامي فكان الايرانيون في قسمه الاول من القرن العاشر الى السابع ق م تحت سيطرة الاشوريين وفي قسمه الثاني الى اواسط القرن السادس تحت الماديين ولا يعقل ان يكون للقوم دولة ورثت دولة متمدنة لها كتابة وكتب وعلم وصناعة ولا تدون لغتها . والغالب ان الايرانيين في ذلك العصر استخدموا القلم الاسفيني الذي كانت تكتب به لغة اشور و بابل في ذلك العهد مثل هذا الشكل [illegible] وهو قلم الكلدو بين يومئذٍ في العالم الاشوري ما بين النهرين وغيره والمستشرقون يتوقعون العثور على قرميدات ايرانية بالحرف الاسفيني في العراق او فارس او غيرها

[illegible]

الحرف الارامي

ولما شاع القلم الآرامي المتفرع عن الفينيقي واستخدمه اهل بابل واشور استعمله الفرس الايرانيون على الغالب ايضاً في تدوين اخبارهم وان كنا لم نقف على شيء من ذلك الى الان ولكننا نعلم ان الآرامي المذكور هو اصل الاقلام الشائعة اليوم في الهند وفارس غير العربي

اما العصر الفارسي الاول اي الدولة الكيانيـة التي منها كورش وداريوس فقد استخدمت القلم الاسفيني او الاشوري في تدوين آثارها . وقد قرأوا اساطير هذه الدولة الاسفينية في اطلال اصـطخر (فرسبوليس) وهي واضحة وضوحاً تاماً بحيث يعجب الناظر اليها من بقائها محفوظة على هذه الصورة بعد ان مرّ عليها نحو ٢٤ قرناً . وبلغ مجموع الكلمات التي وقفوا عليهـا في تلك الآثار ٤٠٠ كلمة

اما العصر الساساني او الفارسي الاوسط فهو عصر الاكاسرة الذين منهم ازدشير وسابور وانوشروان وغيرهم وكانت كتابتهم بحرف خاص بالكتب المقدسة يقال له الزندي مؤلف من ٣٠ حرفاً ساكناً و١١ حرفاً متحركاً وبالحرف الفهلوي وكلاهما تختلف عن الحرف الآرامي . وللفهلوي شكلان يعرف احدهما بالفهلوي الآرامي والآخر بالفهلوي الساساني وتراهما مرسومين في هذا الشكل . وهناك فروع فهلوية أخرى يختلف كل منها عن الآخر كاختلاف الخط النسخي عندنا عن الرقعة او الثلث او الديواني باختـلاف الاعصر او الغرض المراد منها . فالحرف الفهلوي الذي نقش على النقود يختلف عن الذي نقش على الاحجار وهذا يختلف عن حرف الكتب وقد وجدوا نقوشاً فهلوية في آثار اصطخر هي احدث عهداً من الآثار الاسفينية لكنها اقل وضوحاً منها وهو القلم الذي دونت به كتب العلم وكان يكتب به بها قواد الفرس الى قواد العرب للمخابرة بشان الحرب وقد ابدل الحرف الفهلوي في المملكة الاسلامية بعد رسوخ قدم العرب في فارس بالحرف العربي على انه لا يزال شائعاً عند اتباع زردشت لتدوين كتب الدين عندهم لما قدمناه من احـترام الامم الكتابة واعتبارها جزءاً من الدين

الفهلوي الساساني	الفهلوي الارامي	
		ا
		ب
		ج
		د
		ه
		و
		ز
		ح
		ط
		ي
		ك
		ل
		م
		ن
		ف
		ر
		س
		ش
		تش

القول والعمل

اذا اراد الله بقوم سوءا اعطاهم الجدل ومنعهم العمل

(عمر)

كل من يأتي عملاً حسناً يميل طبعاً الى التنويه به التماساً لحسن الاحدوثة . لان الانسان مفطور على حب الشهرة فيلذُّ له ان يسمع ثناء الناس على اعماله والاعجاب باقتداره . وقد ينوه هو بعمله ليستدرَّ الثناء من سامعيه . فاذا رأى الناس يثنون على اعماله من عند انفسهم امسك هو عن ذكرها والغالب في الناس ان لا يكلفوا رجل العمل ان يتكلم عن نفسه بل هم يذيعون فضله ويزدادون رغبة في اذاعته كلما رأوه ساكتاً عنه' فاذا اكثر من تحدثه باعماله مالوا الى تنقيصها وان كانت جليلة

والغالب في رجال الاعمال ان ينقطعوا للعمل واعمالهم تترجم عنهم . فمن لم ينل اعجاب الآخرين عمد الى مدح نفسه وتعظيم عمله فاذا لم يؤانس اصغاء او تأميناً استجهل الناس ونسبهم الى غمط النعمة . واذا سمعهم يثنون على فاضل من ابناء مهنته بما يشفُّ عن تفضيله اصبح همه تنقص ذلك الاميل فيشتغل بالطعن وذاك مشتغل بالعمل . واذا تدبرت احوال الناس ودرست اخلاقهم رأيت اكثرهم انتقاداً للاعمال اعجزهم عن الاتيان بمثلها كأنَّ الناس رجلان قوَّال وفعَّال

التكتم في العمل

وقد لا يجد العاجز لنفسه عملاً يطريه ومع ذلك فهو يكلف الناس امتداحه فينتحل عملاً لم يعمله او يرجع الى الافتخار بالآباء واعمالهم . ولا يخلو ان يكون لابيه او جده او احد من اهله عمل يستحق الذكر فياخذ في اطرائه ويفتخر به . ولو عقل لاقتدى بذلك السلف وعمل مثل عمله . واذا لم يجد بين اسلافه من يفاخر بعمله فتش عن شيء يميزه عن سواه' وان كان لا يهمُّ الناس كجمال سحنته او رشاقة قدِّه او رخامة صوته او فصاحة لسانه . وقد يتفاخر بما يأكله او يلبسه وهو منتهى السخف والصغار . وكبير النفس يلتمس الشهرة من طريقها الحقيقي — يلتمسها بالعمل والجد واذا امتدحوه فوق استحقاقه خجل وازداد تواضعاً وواصل السعي حتى يدرك مبلغ ظنهم فيه . وهو في كل حال يحرك يده ويعمل فكره ويشغل وقته بالعمل

واسعد الامم حالاً امة كثر فعَّالوها وقل قوَّالوها واذا نظرت في طبائع الامم اليوم رأيتها

تتفاوت قولاً وفعلاً ورأيت اكثرها تصدرًا في مصاف الدول العظمى اكثرها اعتمادًا على الاعمال دون الاقوال — هذه دولة الانكليز والانكليزي لا يتكلم الا قليلاً ولكنه يعمل كثيرًا تجالسه فتراه هامدًا باردًا اذا تكلم خاض صوته لا يرفعه ولو غضب ولا يهمه من اقوالك الا ما يترتب عليه العمل . فاذا علم انه لا يخرج عن الكلام لا يهتز له ولو كان فيه سباب او تقريع . ويمثل اقتصار الانكليز على العمل دون القول حادثة ذكروا انها جرت لجندي من جيش الاحتلال ركب حمارًا الى العباسية والسائق يعدو في اثره وهو يشتم حماره وراكبه اعتمادًا منهُ على جهل الراكب اللغة العربية . فسمع شتمه رجل يعرف اللسانين فاستوقف الراكب واخبره ان الحمار يشتمه فقال « وهل شتمه هذا يحول دون وصولي الى العباسية ؟ »

قال « لا »

قال « فما الذي يهمني من كلامه اذًا ؟ »

والانكليزي لا يفوق الفرنساوي ذكاء وحدة وربما كان دونه فيهما ولكنه يسبقه بالعمل فيعمل ويواصل العمل كما يقولون في اصطلاحهم « بطيئاً ولكن ثابتاً » والفرنساوي قد تسوقه حدة مزاجه الى مزاعم ووعود لا يقوى على القيام بها كلها فيظهر قوله اكثر من فعله . والشرقيون اقرب مزاجاً الى الفرنساويين وهم يقلدونهم باخلاقهم وآدابهم فغلب القول عندنا على العمل فتراناً اذا خطر لاحدنا مشروع سياسي او علمي او فني ضاق صدره عن كتمانه فيعمد الى التحدث بهِ وربما اعلنه قبل ان يتحقق اقتداره على القيام به فيذهب كلامه ضياعاً

وقد تكون علة الفشل بُعد المشروع عن الامكان اوان يكون من قبيل النظريات التي لا تنطبق على العمل كرأي بعضهم ونحن في هذه الازمة المالية وغلاء المساكن ان يعتصب السكان على اصحاب الاملاك حتى يخفضوا الاجور . وهو رأي جميل ولكنك لواردت تطبيقه على العمل لما وجدت الى ذلك سبيلاً لان الاعتصاب لا فائدة منه ان لم يكن مصحوباً بقوة يخافها المعتصب عليه على حياته او على ماله كأن يهددوه بالقتل مثلاً وهذا لا يفيد في حكومة منظمة او ان يُخلوا المساكن والمخازن لتبقى خالية لا يقتضي عليها اجرة فيتدارك هذه الخسارة باسترضاء المستاجرين بتخفيض الاجرة وكيف يمكن اجماع سكان بلد او حي من احيائه على اخلاء مساكنهم واين يسكنون . وقد نقع في هذه الخطاء لاننا نقلد الامم المتمدنة باعمال لا تلائم احوالنا فيجني علينا اجتهادنا . وفي الناس طائفة من الاذكياء ارباب الهمم

ينقصهم تطبيق النظر على العمل اذا خطر لهم مشروع اكتفوا بتطبيقه على احكام العقل فيشيعونه في الملأ و يسعون فيه فاذا ارادوا اخراجه الى حيز العمل ظهر لهم مستحيلاً او قريباً من المستحيل . وذلك كثير في الناس وهو علة الفشل غالباً في مشروعات اهل الذكاء والنشاط لانهم يشيعونها قبل تطبيقها على العمل وانما يبعثهم على ذلك كونها حسنة بذاتها او بالنظر الى احوال ليس لنا مثلها

وربما اكتفى بعضهم من لذة العمل بطنطنة الجرائد وحديث المادحين وقد يكون العمل بنفسه قابلاً للظهور لو اقتصر اصحابه على السعي فيه سرًّا وصبروا على الافتخار به حتى يتم . ولكنهم يضيعون حماسهم واندفاعهم بالقيل والقال . وكثيرًا ما يثير الحمد ضغائن بعض الناس فيضعفون عزائمهم فيقضون اوقاتهم بالجدل بلا طائل كما اتفق لنا في كثير من مشروعاتنا بما لا يحتاج الى تفصيل ولو تكتمنا ودرسنا كل مشروع درساً كافياً ووضعنا اساسه على صخرثم اخرجناه كاملاً لما خفنا فشلاً ومن الاحاديث المأثورة « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود »

شهادة التاريخ

وفي التاريخ شواهد كثيرة تؤيد ما قلناه فلا تكاد تجد بين عظمائه عظيماً فاز بمشروع سياسي او علمي او اجتماعي الا وكان الكتمان معتمده ولا تجد قوالاً استطاع عملاً عظيماً ولاسيا في السياسة ومن اهم شروط الدهاء فيها الكتمان . فرجال العمل منهم يتسترون في مساعيهم فيؤلفون الاحزاب و يدخرون الاموال و يبثون الدعاة سرًّا حتى اذا تحققوا نجاح امرهم ظهروا وفازوا — كذلك فعل مؤسسو الدول وكبار القواد وقد يتقارع العظيمان ويتساجلان فيغلب الكتوم — اعتبر ذلك باعمال ابي مسلم الخراساني ناقل الملك من الامويين الى العباسيين فانه بث الدعوة العباسية تحت طي الخفاء في خراسان وفارس والامويون غافلون حتى انتبه لها عاملهم على خراسان نصر بن سيار فكتب اليهم شعرًا قال فيه :

ارى خلل الرماد وميض نار   و يوشك ان يكون لها ضرامُ
فان لم يطفها عقلاء قوم   يكون وقودها جثث وهامُ
فان النار بالعودين تذكو   وان الحرب اولها الكلامُ

ولم يصدّق الامويون قوله حتى كان ما كان من ذهاب دولتهم وابو مسلم ينسب فوزه الى التكتم يدلك على ذلك قوله من قصيدة :

قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت   عنهُ الملوك بنو مروان اذ حشدوا

ولم يفز المنصور عليه ويتمكن من قتله الا بالتكتم كما هو مشهور · وتوارث العباسيون ذلك حتى صارت الاسرار من قواعد سياستهم وشاعت الجاسوسية حتى في صدر دولتهم ولم يفوزوا الا بذلك · ولو تكتم جعفر البرمكي لم يبلغ الرشيد خبره ولو لم يتكتم الرشيد لعلم جعفر عزمه على قتله فتدارك امره واعتبر ذلك في سائر دهاة العرب وغيرهم · والعلويون انما غلبوا في الدولتين الاموية والعباسية لانهم لم يتبعوا سياسة التكتم بل اقتدوا بجدهم علي ابن ابي طالب وكان يرى التجسس صغاراً فيصرح بما يخطر له فيستعد اعداؤه لمناوأته · وقس على ذلك ساسة العالم قديماً وحديثاً · ومن اهم اسباب غلبة الالمان على الفرنساويين سنة ١٨٧٠ دهاء بسمارك وتجسسه وتكتمه والفرنساويون يجاهرون وينادون استخفافاً بعدوهم وهو يسعى سراً في استطلاع اسرارهم وسائر احوالهم

الكتاب والمخترعون

دع السياسة وانظر في سائر اعمال الناس فانها تفتقر الى العمل اكثر مما الى القول · فمن عزم على تأليف كتاب مثلاً اذا كان من اهل العمل اشتغل بدرسه وتأليفه ولا ينشر خبره حتى يتمه الا ما تقتضيه الحال من مشورة او استعانة · فاذا رأى بعد الشروع به ان يعدل عنه لا تخجله الخيبة · على ان مجرد التحدث بالكتاب قبل اتمامه قد يدعو الى ابقافه · ولكن جرت عادة بعض الكتاب عندنا ان احدهم اذا خطر له ان ينشئ جريدة اعلن عزمه وعين الاثمان وعدد الشروط واخذ في اطراء عمله فضلاً عن اطراء الجرائد له ويندر ان يكون مشروعه مبنياً على اساس متين لان الغالب في القوّال ان لا يكون فعالاً · فاذا لم يصادف نجاحاً في صحيفته القى التبعة على القراء وطعن في جهلهم وعقوقهم وزعم انهم لا يقدرون الاعمال حق قدرها وهم براء من تلك التبعة — وان كنا لا ننكر جهل السواد الاعظم من العامة مثل شأنهم في كل امة · ولكن الكاتب الذي اوقف نفسه لافادة الناس يجب عليه اولاً ان يعرف كيف يعلمهم فيكتب لهم ما يفيدهم ويشوقهم ويسهل فهمه عليهم — فاذا فعل ذلك استغنى عن اتهام الامة بالعقوق والجهل ولم يضطر الى الترفع عن خطابهم وحبس قلمه غضباً وانتقاماً

كثيراً ما نقرأ ان بعض كتابنا الافاضل وعلمائنا الاماثل امسكوا عن التأليف او التحرير لانهم يرون الامة جاهلة لا تدرك قدر العلم والعلماء وان احدهم اذا الف كتاباً او نشر صحيفة لا يصادف اقبالاً ولا يلقى كسباً · ولا يخفى ان من واجبات الكاتب الحقيقي ان يعوّد الناس على المطالعة بطلاوة اسلوبه وحسن اختياره فيتطامن قليلاً ليأخذ بيد

العامي وينهضه اليه لا ان يجلس على كرسيه متشامخاً و يباعد ما بينه وبينه ثم يعنفه لانه لم يفهمه . وشكوى اولئك الكتاب لا تقتصر على الطعن بالقراء ولكنها تتناول كل كاتب راجت صحيفته او كتبه لانهم يزعمون ان العامة لا يروج لديهم غير السفاسف والمواضيع التافهة . وهذا وهم اذ لا يعقل ان يكون سبب هذه النهضة اشتغال الكتاب بالسفاسف والقول المراء وهذه صحفنا ترتقي وتتقدم نحو الكمال كل عام عما قبله ولا ينكر فضلها في خدمة الوطن وترقية نفوس الامة الا المكابر . اما تقاعد اولئك الكاتبين او ترفعهم فسببه لا نقول قلة البضاعة اذ قد يكون بينهم علماء فطاحل وانما هو « انهم لم يتعودوا العمل فلما ارادوا خدمة الامة لم يؤسسوا عملهم على قواعد عملية فاكتفوا بما يبدو من حسن مشروعهم لاول وهلة لما يسمعونه من اعجاب مريديهم وتملقيهم وتوهموا ان صدور اول عدد من صحيفتهم كاف لاقبال الناس على الاشتراك من كل صوب فتنهال عليهم النقود انهيال الغيث . فلما صدرت نفثات اقلامهم لم يؤانسوا اقبالاً سريعاً فتوقفوا عن العمل والقوا التبعة على القراء المساكين وطعنوا في الكتاب الآخرين واحتقروا ما يكتبونه وينشرونه وقالوا فيه ما قالوه . ولا يشمل هذا الحكم كل من رجع عن مشروع باشره اذ قد يكون لرجوع بعضهم اسباب قهرية لا سبيل الى دفعها

واعتبر ذلك في ارباب المهن والمخترعين وهؤلاء يشتغلون في معاملهم صامتين حتى اذا وُفق احدهم الى اختراع او اكتشاف اظهره واكتفى باظهاره اعلاناً واطراء فاذا كان عمله عظيماً قرظه الناس وخلده التاريخ واذا كان حقيراً لا يزيده اطراء صاحبه الا حقارة . واما الذين كلما خطر لهم خاطر من اختراع او رأي جديد تصدوا لنشره وبيان ما يرجى من نفعه فهؤلاء يغلب ان يأوبوا بالفشل للاسباب التي قدمناها . وكتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير في انسان لا يمسك سره

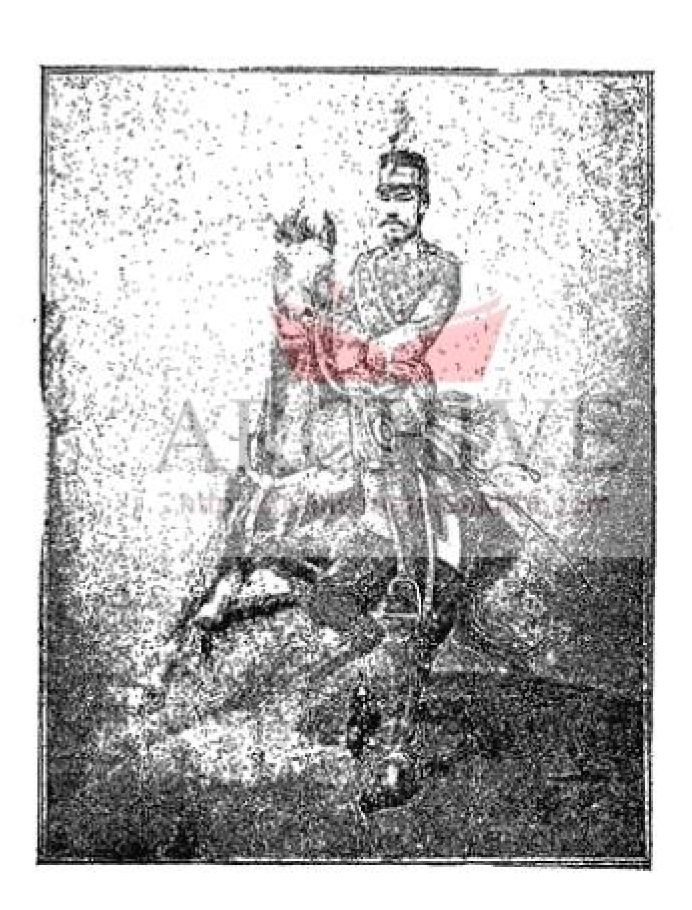
ربوهم على العمل

فاذا تقرر ان الانسان يكون اما قوالاً او فعالاً وجب علينا ان نربي اولادنا على « العمل » بالثبات والتؤدة حتى لا يطيشوا لاول خاطر يخطر لهم فتحرج صدورهم عن كتمانه قبل ان ينضج وتتهيأ له الاسباب فيقضون اعمارهم بالتحدث عما ينوون عمله من العظائم ومافي امكانهم اتيانه من الاختراعات او المشروعات لو توفرت لهم الاسباب التي توفرت لسواهم وان هؤلاء لم ينجحوا الا لنعو بلهم على النفاق او لتوفيقهم الى صدفة عمياء . ولو اشتغل اولئك بالصبر والثبات لنالوا ثمار اتعابهم على قدر قواهم ومواهبهم وكفوا الناس عواقب بطالتهم

احوال الدول المعاصرة

٤ ـ اليابان

١ ــ ملكها



الميكادو امبراطور اليابان

يدعو اليابان مملكتهم « نيبون » اي مشرق الشمس ويسمونها احياناً نيبون العظمى كما يسمي الانكليز مملكتهم بريطانيا العظمى لانها مؤلفة من جزر نيبون اكبرها . ويلقبون امبراطور اليابان « كوتاي » ويعرف في الخارج باسم الميكادو اي « الباب الشريف »

على نحو تسمية حكومة الدولة العثمانية بالباب العالي . واليابان يكرهون التفخيم في القابهم

والامبراطور الحالي اسمه «موتسوهيتو» ولد في كيوتو سنة ١٨٥٢ فهو الآن في السادسة والخمسين من عمره وخلف اباه على كرسي الملك سنة ١٨٦٧ وهو في الخامسة عشرة ويزعم انهُ متسلسل من جد اسمهُ جيموتنو اي ابن السماء وانه الملك المئة والحادي والعشرون من اعقابه . وان دولتهم تأسست سنة ٦٦٠ قبل الميلاد . وفي سنة ١٨٦٩ تزوج موتسوهيتو الاميرة هروكو بنت الامير ايتشيجو احد عظماء الاشراف . والزواج عند اليابانيين ترتيبي بمعنى ان الرجل حتى الامبراطور نفسهُ لا يختار زوجتهُ بطريق المحبة . وليس له ان يتزوج فتاة من العائلة المالكة بل هو يختار امرأته من احدى العائلات الخمس العظمى في اليابان . ويجوز له ان يقتني احدى عشرة زوجة من العائلات الوسطى مع ان تعدد الزوجات محرم في مذهبهم . ولا تسمى امبراطورة الا الزوجة الاولى

والامبراطور طويل القامة ليس في رعيته رجل اطول منه . يمشي بقدم ثابتة . وكان في اول حكمه يلبس اللباس الياباني ثم بدله باللباس الافرنجي ويغلب ان يتخذ السراويل (البنطلون) من نسيج أحمر وسائر البدلة بيضاء . وقد يتخذ ثوبه من اللون القرمزي والابيض وقبعتهُ سوداء . وفي الايام الاخيرة اكثر ما يظهر للناس بثوب عسكري يشبه أثواب القواد ويتقلد سيفاً مذهباً ويزين صدره بالاوسمة المرصعة . وهو يكره البحر والنزول فيه ولذلك لم يقتن يختاً خصوصياً مع ان بلاده محاطة بالمياه وكثيراً ما يضطر لركوب البحر الى احدى الجزر فينتقل في مركب بخاري

ولما تولى الملك اخذ في تعلم اللغات الافرنجية فرأى ذلك شاقاً عليه فعدل عنهُ وهو يتداول مع السفراء والسياح من الافرنج بواسطة التراجمة . وقد ذكر بعض الذين خبروه من النزالة الانكليزية في يوكوهاما انه من الفطنة والتعقل والحكمة على جانب عظيم ومع انهُ قضى طفوليته منقطعاً عن الناس على عادة ملوك الشرق في تربية أولادهم فقد تمكن من مطالعة آداب لغته واكثرها عن الصين وعلمائها وفلاسفتها . وأتقن كتابة الشعر وترتيب الازهار على النمط الياباني . وقد فطر على حب الاطلاع وله ارادة قوية ورغبة شديدة في اقتباس التمدن الحديث وتنوير اذهان رعاياه . فبعد ان كان معدوداً عندهم حاكماً روحياً لا ينظر اليه احد ويبقى حياً واذا ذكروه قدسوه كما يقدسون الآلهة واذا جلس اليهم في حفلة او جمعية تقنع وقعد بعيداً ولم يكن يلبس الثوب مرتين ولا يتناول طعامه من طبق واحد دفعتين — فقد أصبح يجالس الامراء ويفاوضهم ويركب

في مواكبهم . ومع ذلك فانه قاسى في سبيل الحصول على هذه الحرية عذاباً شديداً . وكان نصيره في هذا الجهاد الماركيز ايتو اكبر رجال سياسته

٢ — اولاده

(١) البرنس موتوهيتو ولد في ٣١ اوغسطس سنة ١٨٧٩ وبويع لولاية العهد في ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٩ ولقب ولي العهد عندهم « كوتايشي » وتزوج في ١٠ مايو سنة ١٩٠٠ بالبرنس ساكادو ابنة البرنس كويو . وولد لهُ حتى الآن ثلاثة اولاد البرنس هيرهيتو ولد سنة ١٩٠١ والبرنس ياسو هيتو ولد سنة ١٩٠٢ والبرنس نو بو هيتو ولد سنة ١٩٠٥

(٢) البرنس هيرو ماسا كو ولد ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٨

(٣) البرنسيس فوسا كو ولدت سنة ١٨٩٠

(٤) البرنسيس نوبوكو ولدت سنة ١٨٩١

(٥) البرنسيس توسيكو ولدت سنة ١٨٩٦

وبمقتضى الشريعة الملوكية المقررة سنة ١٨٨٩ ينتقل ملك اليابان بالارث الى الذكور فاذا لم يكن للملك اولاد انتقل الى اقرب اقاربه او اولاده . ورواتب العائلة ٣٠٠٠٠٠٠ ين والين يساوي عشرة قروش مصرية

٣ — نظام حكومتها

ان نظام حكومة اليابان دستوري تأسس سنة ١٨٨٩ والامبراطور بمقتضى هذا الدستور رأس المملكة لهُ حقوق الملك وبيده القوة التنفيذية بعد مشورة رجال شوراه وهم مجلس الوزراء وهو يشكل هذا المجلس . وله ايضاً مجلس خصوصي يبحث في الشؤون الهامة المتعلقة بالدولة اذا رأى الامبراطور استشارتهم . وللامبراطور الحق في اشهار الحرب وعقد الصلح وامضاء المعاهدات . اما سن القوانين فيلتمس فيه مصادقة مجلس الامة وهو عندهم مؤلف من مجلسين مجلس الاعيان والنواب . وللامبراطور حق خاص في المصادقة على القوانين وفي استدعاء مجلس النواب وفي فتحه او اقفاله او تأجيله او حله ولا بد في سن اي قانون كان من التماس مصادقة مجلس الامة ولكل من المجلسين الاعيان والنواب وضع المشاريع وعرضها على الحكومة

ويتألف مجلس الاشراف من (١) رجال العائلة المالكة (٢) اصحاب رتبتي البرنس والماركيز من سن ٢٥ فما فوق وهم ١٢ برنساً و٢٥ مركيزاً (٣) الكونتية والبارونية من هذا السن فما فوق وعدد المنتخبين لذلك ٩٠ كونتاً و٣٦٢ فيكونت و ٢٩ باروناً (٤) الرجال

الذين يتجاوز سنهم ٣٠ سنة وقد نالوا من الامبراطور تشريفاً على خدم قاموا بها للدولة ولكل طائفة من هؤلاء شروط في طرق انتخابهم ومدة عضويتهم

اما مجلس النواب فينتخب بمقتضى قانون وضعته الحكومة سنة ١٩٠٠ وعليه جرى انتخاب النواب سنة ١٩٠٢ وهو يقضي بان يكون عدد النواب ٣٧٩ نائباً يقسمون على الولايات باعتبار اهميتها . وبالاجمال ينوب العضو الواحد عن ١٢٦,٠٠٠ نفس والانتخاب سري واما الذين يجوز لهم ان ينتخبوا فهم (١) كل ياباني لا يقل عمره عن ٢٥ سنة (٢) كل نزيل لاتقل مدة اقامته في البلد الذي يصوت لنائبه عن سنة واحدة (٣) كل الذين يدفعون للحكومة خراجاً لا يقل عن عشرة يانات (نحو مئة غرش مصري) في السنة على ان يكون قد دفع هذه الضريبة عن سنة فاكثر . واما عضوية النواب فهي تجوز لكل ياباني تجاوز سن الثلاثين على الاجمال بقطع النظر عن مقدار ما يدفعه من الرسوم او الضرائب . وانما يحرم من هذه العضوية اعضاء العائلة المالكة والقضاة والجباة ورجال الضابطة والجند تحت السلاح والكهنة والطلبة والمعلمون في المدارس الصغرى والمقاولون الذين يعاملون الحكومة والموظفون الذين يشتغلون في جمع اصوات الانتخاب . والامبراطور هو الذي يختار رئيس مجلس الاشراف ونائبه ورئيس مجلس النواب ونائبه . راتب الرئيس ٥٠٠٠ يان في السنة والنائب ٣٠٠٠ يان وراتب العضو من الاشراف او النواب ٢٠٠٠ يان

٤ — احصاؤها

تتألف مملكة اليابان من خمس جزر كبرى غير مايلحقها من الجزر الصغرى ومساحتها جميعاً ١٤٧,٦٥٥ ميلاً مربعاً وعدد سكانها حسب الاحصاء الاخير ٤٧,٨١٢,١٣٨ نفساً يزيد الذكور فيهم على الاناث نحو ٣٠٠,٠٠٠ نفس واليابانيون طبقات يتألف احصاؤها على هذه الصورة :

٦٦	العائلة المالكة
٥,٠٥٥	الاعيان
٢,١٦٧,٣٨٩	اصحاب الرتب (ثابت)
٤٤,٥٥١,٣٨٠	العامة
٤٦,٧٢٣,٣٤٠	

ومنهم في الغربة ١٤٨,٦٠٠ نفس . وقد ربحت اليابان بعد حربها الروسية بور ارثر وداليان وما يليهما من البر والماء والسكة الحديدية بين شاشون و بور ارثر ومناجم الفحم هناك ونصف جزيرة سخالين

٥ — مدارسها

ان التعليم في اليابان اجباري وعدد تلامذة المدارس للعام الماضي نحو ٧,٥٥٣,٠٠٠ نفس تتوزع في المدارس على اختلاف طبقاتها . وهذا جدول بانواع المدارس وعددها وعدد معلميها وتلامذتها :

نوع المدرسة	عدد المدارس	المعلمين	التلامذة
مدارس صغرى	٢٧,٣٨٣	١٠٥,٣٠١	٥,١٥٤,١١٣
« وسطى	٢٦٨	٤,٩٠٢	١٠١,٨٢١
« عالية للذكور	٨	٢٨٦	٤,٩٠٤
« « للبنات	٩٦	١,٤٩٥	٢٩,١٣٤
« ابتدائية	٦٤	١,٢٠٤	١٩,٤٠٤
« « عليا	٣	١٦٨	١,٣٢١
« الفنون الخصوصية	٢,٠١٩	٥,٥٢٠	١٣٩,٩٩٤
« مختلفة	١,٩٢٢	٦,٢٤١	١٢٢,١٣٩
« جامعة	٢	٤١١	٥,٨٥١
« كندرجارتن	٢٩٥	٧٨٣	٢٦,٠٩٢

والجامعتان مؤلفتان من عدة كليات للطب والأدب والعلم والرياضيات والزراعة

٦ — ماليتها

بلغ مجموع دخلها للعام الماضي نحو ٤٩٥,٠٠٠,٠٠٠ يان او نحو ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه والخارج نحو ذلك

وأهم ابواب الدخل عندها خراج الارض ومجموعه نحو ٨٦,٠٠٠,٠٠٠ يان وضرائب المشروبات الروحية وهي نحو ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ يان و حصر التبغ ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ودخل البوسطة والتلغراف ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ يان وضرائب الكسب والتجارات ورسوم الصناعة ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ يان وأهم النفقات استهلاك الدين وفائدته وذلك نحو ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ يان في السنة ونفقات الجيش البري والبحري ٧٩,٠٠٠,٠٠٠ يان وبلغت نفقات الحرب الروسية التي تحملتها اليابان من سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٦ نحو ١,٩٨٢,١٩٠,٠٠٠ يان او ١٩٨,٢١٩,٠٠٠ جنيه

٧ — جنديتها

تنظم الجند الياباني نحو سنة ١٨٧٢ على يد ضباط فرنساويين ثم عهد بتنظيمه وتدريبه سنة ١٨٨٥ الى ضباط المانيين فنظموه على الطرز الالماني والجندية عندهم عمومية واجبارية وكل ياباني بلغ السابعة عشرة من عمره وجبت عليه الجندية الى سن الاربعين . على انهم لا ينتظمون في الخدمة فعلاً الا من سن العشرين ومدة الخدمة تحت السلاح ثلاث سنين تليها اربع سنين واربعة أشهر رديف

وبلغ عدد الجند الياباني في حال السلم للعام الماضي ٢٤٠،٠٠٠ وأما في حال الحرب فتجرد اليابان ٨٠٠،٠٠٠ واما بحرية اليابان فتنقسم الى خمس نقط في كل منها ثكنات واحواض وحصون وترسانات والجند البحري مؤلف عندهم من خمسة أميرالية و٣٩ نائب اميرال و٦٦ قبطاناً و١١٩ قومنداناً ونحو ١،٠٠٠ ملازم غير ضباط الطب وأما انفار البحرية فعددهم ٣٢،٦٤٠ ويكون مجموع الجند البحري ٣٦،٠٠٠

وقد تقدمت البحرية اليابانية في الاعوام الاخيرة تقدماً ادهش ساسة أوربا واصبحوا ينظرون الى الشرق الاقصى غير نظرهم من قبل لانهم رأوا من بحرية اليابان في محاربتها الصين والروس ما لم يكونوا يتوقعونه من اهل ذلك البلد البعيد . وقد زادت عمارتهم بما اكتسبوه في اثناء تلك الحروب من بوارج الصين وروسيا . وبعد ان كانوا يصطنعون بوارجهم في أوربا اواميركا اصبحوا يبنون بعضها في بلادهم. وهم آخذون في بناء عدة سفن تأهباً للحرب التي يخشى شبوبها بينهم وبين الاميركان على اثر ما نشأ بينهما من العدوان في العام الماضي . وقدروا سفن اليابان الحربية لآخر السنة الماضية كما يأتي :

دوارع حربية حديثة	٢٠
طوافات مدرعة	١٣
طوافات اعتيادية	١٧
سفن طوربيد	٣
نسافات	٤٨
سفن طوربيد حديثة	٤٧
(الجملة)	١٤٨

ولعلها اوصت على سفن اخرى

٨ — حاصلاتها وتجارتها

اهم حاصلات اليابان الرز وبلغت غلته لسنة ١٩٠٥ نحو ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ يان ولها دخل كبير من المعادن فبلغت اثمان ما استخرجوه من مناجمها سنة ١٩٠٤ على هذه الصورة والقيمة باليان

نحاس	٥٣,٥١٢,٣٤٣
كبريت	٤٢,٦٢٣,١٧٥
فضة	١٦,٣٠٠,٠٠٠
فحم	١٠,٧٧٢,٧٠٧
منغنيس	٩,٣٤٤,٤٨٢
حديد	١٠,١٧١,٠٠٠
رصاص	٣,٠٠٠,٠٠٠

غير حاصلات اخرى من الذهب والانتيمون والبترول وغيرها وفيها معامل للنسج كبيرة قدروا ما صدر من منسوجها القطني للعام الماضي بنحو ١٥,٠٠٠,٠٠٠ يان

اما التجارة فبلغ صادرها لسنة ١٩٠٦ نحو ٤٢٤,٠٠٠,٠٠٠ يان ووارداها نحو ٤١٨,٠٠٠,٠٠٠ يان اكثرها للولايات المتحدة انكلترا والهند الانكليزية والصين والمانيا على هذه النسبة

	الوارد من	الصادر الى
الولايات المتحدة الاميركية	١٠٤,٢٨٦,٠٠٠	٩٤,٠٠٠,٠٠٠
انكلترا	١١٥,٣٨٠,١٠١	١٣,٠٠٠,٠٠٠
الهند الانكليزية	٩٠,٢٢٦,٠٠٠	٧,٩٩٧,٠٠٠
الصين	٥٢,٦١٨,٤٠٠	٩٨,٦٨١,٠٠٠
المانيا	٤٢,٤٧٩,٠٠٠	٤,٣٦٠,٠٠٠
الهند الهولندية	١٤,٨٣٠,٠٠٠	١,٢٣٣,٠٠٠
بلجيكا	١١,٠٠٠,٠٠٠	٦٦٥,٠٠٠

هذه اكثر الممالك معاملة لليابان بالتجارة ويظهر من مقابلة هذه الارقام بمثلها منذ بضع سنين ان قسماً كبيراً منها تحول من الولايات المتحدة والمانيا الى انكلترا بعد حرب الروس

قتل الملوك والعظماء

قال دعاة الفوضى اذا عبث الملك بمرافق الامة واستبد بامرها جاز لها ان تشق عصا الطاعة وتوقع به حرصاً على راحتها وضناً بسلامتها وقاموا يعملون بهذا القول وينهجون هذا المنهج ودأبهم التمويه على زعانف القوم واثارة خواطرهم بنشر هذا المبدأ بينهم فيبعثونهم على التعويل عليهم والركون اليهم في حين ان الاكثرين منهم يتخذون هذا المبدأ ذريعة لنيل مأرب او ادراك غاية او مسألة اخرى يعرفها اهل السياسة وارباب الرئاسة

ومن وقف على كتب السير وما فيها من الحوادث التي تشير الى قتل الملوك والعظماء ودرس تلك الحوادث درساً دقيقاً لا يعتم طويلاً حتى يتبين الشوائب التي لطخت بها فكم من بريء اهرق دمه باسم الحرية والاستقلال وكم من عظيم قتل باسم العدل وما كان اولئك القاتلون الا مقلقين لراحة الامم متنكرين بعلائم الاصلاح لائذين بمبادىء الارشاد فان وهموا انهم يجرون المغنم من قتل ملوكهم فقد خاب ظنهم لانهم في كل حادثة من هذا القبيل كانوا يجرون المغارم و يزيدون المضار و يحصل من بعد جريرتهم انفعال ربما افضى الى هلكة الامة ودمارها

وقد شجب هذه العادة جميع العقلاء واستنكروها وحملوا على اهلها وانحوا عليهم بالانتقاد القارص وكان القدماء يحرمون قتل الملوك و يقتصون من القاتل باشد صنوف الآلام فاذا حاول احد قتل الملك ولم تصب رميته كان يؤخذ ويكوى بمياسم محماة لاذعة في ذراعيه وساقيه ثم تربط اطرافه الى اربعة رؤوس من الخيل تتجاذبها حتى تنفصل عن بدنه وتحرق اعضاؤه كلها ويذر رمادها في الهواء . وكان اذا قتل الملك تحرق يد القاتل في النار والكبريت ويفتح في بدنه ثقوب يصب فيها الرصاص الذائب والزيت الغالي والكبريت والزفت ويطرد اهله من البلد ويدمر مسكنه ويترك قاعاً صفصفاً الى آخر الدوران . وحجة الناقمين على الملوك انهم يقتلونهم دفاعاً عن حقوق الامة ويندر ان يكونوا صادقين وانما يجرهم الى ذلك غالباً الحسد لفقرهم وضعتهم ولا ذنب للملوك في ذلك لانهم انما جروا الفقر لانفسهم بكسلهم وبطالتهم فيفتكون بالملوك والعظماء باسم الحرية وما اجدرها بان تدعى الفوضى فكم من عظيم مات شهيداً عن الحق وكم من طاهر سفك دمه باسم الحق . هذه مدام رولاند حكموا عليها في خلال الثورة الفرنسوية بالاعدام فنظرت الى المقصلة (الآلة التي تقطع

بها الرؤوس) وقالت ايتها الحرية! ايتها الحرية كم من جريمة ترتكب باسمك» والكاردنال وولسلي لما حكم عليه بالاعدام ظلماً وعدواناً قال جملة ماثورة «الموت دواء مرّ ولكنه يشفي من جميع ادواء الحياة» وقال كرنمر حين حكم عليه بالاحراق «فلتحرق هذه اليد اولاً لانها ختمت ضد الديانة الحقة»

واذكر من عظماء القرون الاولى يوليوس قيصر وهو الذي تقلب في مناصب الدولة الرومانية في القرن الاول قبل الميلاد ونازل اماً كثيرة في صميم بلادها واخضع الشعوب العاصية ولم يزل يواقع من واقعه ويصارع من صارعه حتى احرز ثقة الامة الرومانية وكسب مودتها واصبح قائدها الاكبر وزعيمها الاعظم وظهر في الحرب المدنية على خصومه على ان الزمان لم يصف له فقلب له ظهر المجن واقام عليه بضعة انفار معظمهم من المقربين اليه. وذكروا ان احد السحرة حذره من منتصف شهر مارس فلم يابه له فلما كان اليوم المضروب اقبل قيصر على مجلس الامة وما قعد في مجلسه حتى فاجأه المتآمرون وطعنوه بخناجرهم عشرات من الطعنات وما زالوا به حتى قتلوه وطعنه بروتس ايضاً وهو اقرب المقربين اليه فنظر اليه وقال له هذه الجملة الماثورة «وانت يا بروتس ايضاً» ثم اسلم الروح على ايدي الظلمة الفاجرين

ويحضرني من تاريخ القرون الوسطى حادثة الامام عمر بن الخطاب وهي تشبه حادثة قيصر من بعض الوجوه فقد كان ذاهباً في احد شوارع المدينة فلقي ابا لؤلؤة فقال هذا اعدني على المغيرة فاجاب عمر وما هي صنعتك وكم هو خراجك فقال اما خراجي فهو درهمان كل يوم واما صنعتي فانا نجار ونقاش وحداد فقال عمر ليس خراجك كثيراً على ما في يديك من الصنعات وقد نمي الي انك لو اردت ان تعمل رحى تطحن في الهواء لما تعذر عليك فقال ابو لؤلؤة نعم اني استطيع ان اصنع هذه الرحى ولو كنت اسلم لكنت اعملها لك. فعرف عمر ان الغلام يتوعده ثم قفل الى بيته وذكروا ان كعب الاحبار نبهه الى انه مقتول بعد ثلاثة ايام كما نبه السحرة يوليوس قيصر من قبل حتى اذا جاء الاجل وقد دخل عمر المسجد في المدينة يصلي بالناس فلما نهض حتى يكبر دخل في الجامع ابو لؤلؤة ومعه خنجر له راسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات احداها تحت سرته وهي التي قضت عليه فمات سنة ٢٣ ﻫ وقس على ذلك مقتل عثمان بن عفان وقد قتله المسلمون باسم العدل والحرية وعلي بن ابي طالب فتله ابن ملجم احد الخوارج وهم كالفوضو بين اليوم وخبر مقتلهما مشهور لا حاجة بنا الى ذكره

ولعل افظع حادثة من هذا القبيل قتل الملك شارل الاول قتله كبار الامة في القرن السابع عشر للبلاد بدون ذنب ارتكبه او جريمة اقترفها بل قتلوه افتراء وبهتانا قتلوه باسم العدل والحرية كان هذا الملك يهوى خير امته ويتوخى في سياسته رفع شأنها واعلاء كلمتها ناصبه بضعة من اعيانه ومنهم كرومول فغلبوه وصدعوا بيضته وحكموا عليه بالقتل فركبوا مركباً خشناً لم يركبه الانكليز من قبل فقد تعودوا ان يشاهدوا عظماءهم وشرفاءهم وامراءهم يرفعون على المشنقة ولكنهم لم يسبق لهم رفع ملك ليقطعوا راسه وربما خلعوا الملك من سدّة السلطان او اماتوه في شقاء على انهم لم يجسروا في حين من الاحيان على الايقاع به فادت الاقطار واهتزت ودهشت الامة وارتعشت وبقي المجلس مصراً على اعدام الملك ولما احس الملك شارل بدنو الاجل تجلد وعمد الى الاستئذان من اولاده الصغار قبل الرحيل وكانت الملكة وابناء الاكبران شارل وجامس متغيبين عن البلد فأتى بولده الصغير ووضعه على ركبته وقال له « يا ولدي الآن سيقطعون رأس ابيك » فنظر الولد نظر الدهشة والذهول وقال « ماذا تقول يا ابي ؟ » . فقال الملك « افهم ماذا اقول لك . سيقطعون رأسي ولعلهم ينصبونك على العرش بعدي فلا تقبل ان تكون ملكاً ولا ترقَ الى العرش واخوك جامس وشارل في قيد الحياة وسيقطعون رأس اخويك اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً ويمكن ان يقطعوا رأسك ايضاً فلا تقبل الملك » فاجاب الولد « سأمزق نفسي يا ابي اولاً اموت يا ابي » وبكى الولد فعندئذٍ سالت العبرات من عين الملك وبكى بكاء مرًّا ثم اخذ الى المشنقة فقال « انا اموت في سبيل حرية البلاد وشرائعها » ولما اوشك ان يقطع رأسه قال له اسقفه ستنتقل من الارض الى السماء بعد لحظة فقال الملك « اذهب من دنيا فاسدة الى سماء نقية طاهرة حيث لا تقلق النفوس » ثم قطع رأسه وكان ذلك سنة ١٦٤٥

وفي القرن الماضي قتل الروس ملكهم اسكندر الثاني وفي القرن الذي قبله قتل الفرنسيس ملكهم لويس السادس عشر في اثناء الثورة المشهورة وفي هذا القرن قتل الاميركان رئيسهم وقتل اهالي البرتغال ملكهم . فاذا انعمت الروية في هذه الحوادث وتقصيتها تماماً وتدبرت البواعث التي بعثت المشاغبين على ارتكاب تلك الافاعيل تبين لك انهم ماقاموا بها الا لأغراض معروفة ومقاصد مخصوصة دع عنك انها افضت دائماً الى مالم تحمد مغبه ولم تشكر نتيجته . فبعد ان قضوا على قيصر مثلاً لم تزد الامة الرومانية الا ارتباكاً وقلقاً قالوا انهم ارادوا ان ينقذوا الرومان من سلطان باغ . فبعث الله لهم رجلاً

ابغى وسلطاناً اطغى · وقال ابن ملجم وجماعته انهم ارادوا ان يريحوا الدنيا من خليفة الضلالة فهل اراحوها وهل انجوا الامة بقتل علي من رجل ضال ام اوقعوها في ورطة اشد· وقال اعيان الانكليز انهم ودّوا ان يتخلصوا من عتو شارل فارجع الى التاريخ وانظر من خلفه · جاء بعده ذلك الرجل العاتي الظالم كرومول وان كان شارل ظالماً فكرومول اظلم بكثير فقد امر احد القواد ان يطرد من مجلس الاعيان الذين تمنعوا من الحكم على شنق الملك وظلم امة الانكليز ظلماً شديداً وجرى نفس الامر في فرنسا تخلف لويس نابوليون الجبار الذي ارهق فرنسا واعنتها وسفك دماء ابنائها وجعلها اضعف الدول وما حدث لهذا البلد حدث لغيره

خليل الخوري



عجائب المخلوقات

اكبر اللحى

طبيعي في الانسان ان يرسل لحيته كما يرسل شعر راسه بل هي اولى بالارسال لانها تميز الرجل من المرأة · ولكن الامم القديمة اختلفت في هذا الشأن فالاسرائيليون كانوا يرسلون لحاهم ويحترمونها وقد حافظوا عليها في اثناء عبوديتهم بمصر وهم يفتخرون انهم خرجوا من وادي النيل ولحاهم معهم · اما المصريون فلم يكونوا يرسلون لحاهم ولكنهم كانوا يوقرون اللحى ولذلك كانوا يلبسون لحى مستعارة في الاحتفالات الدينية الكبرى ويصورونها في وجوه آلهتهم الذكور

والعرب كانوا يرسلون لحاهم مثل سائر الشرقيين وظلوا على ذلك بعد الاسلام وتفننوا في اشكال اللحى وضروب اصلاحها والوان خضابها وكانت تعد من شعائر التقى والعلم والوجاهة · فالخلفاء والامراء والفقهاء والعلماء كانوا يرسلونها ويحتفظون بما يقع منها في اثناء التمشيط ويحرقونه حتى لا تمس كرامته · واول من خالف هذه القاعدة السلطان سليم الفاتح (سنة ١٥١٢ــ١٥٢٠م) فقص لحيته وامر رجاله بذلك فوقع امره كالصاعقة على

المسلمين ولا سيما الفقهاء • وفي مقدمتهم قاضي القضاة فشكا الى السلطان من هذا الامر فاجاب السلطان مازحاً « قد قصصت لحيتي حتى لا يبقى لوزيري شيئاً يقودني به » يشير الى استبداد الوزراء في ذلك العهد • ولم يطل قص اللحى فعاد الناس الى ارسالها

وكان الاشوريون ومن خلفهم من الفرس يرسلون لحاهم و يتفننون في تطييبها وخضابها • وذكروا حروباً انتشبت بين شعوب اسيا بسبب اللحى منها حرب قامت بين التاتار والفرس واخرى بين التاتار والصين سفكت فيهما دماء غزيرة • وسبب الحرب الاولى ان التاتار كانوا يقصون لحاهم فاتهموا الايرانيين بالكفر لانهم لا يقصونها وتخاصموا ثم تحاربوا وهكذا يقال في سبب الحرب الاخرى

وكان اليونان في اعصرهم الاولى يرسلون لحاهم حتى ظهر الاسكندر وحمل على العالم فامر رجاله بقص لحاهم لئلاً يستعين الاعداء في ساحة الوغي بالقبض عليها • وكان لهذه البدعة تأثير في العالم الروماني ايضاً فاقتدى الرومان باليونان واصبح ارسال اللحى عندهم دليل الهمجية ولذلك سموا الشعوب الجرمانية التي تساقطت عليهم من الشمال « بربر » Barbar من « باربا » في اللاتينية اللحية والباربر صاحب اللحية لان اولئك الشعوب كانوا يرسلون لحاهم بلا نظام او ترتيب فكسبهم هيأة وحشية


جول ديمول صاحب اكبر لحية في العالم

ومن تاريخ اللحى في التمدن الحديث ان بطرس الاكبر قيصر الروس وضع ضريبة على اللحى والظاهر ان الانكليز سبقوه الى مثلها وهو قلدهم • فمن دفع الغرامة اذن له

بإرسال لحيته والا فانهم يحلقونها له بالقوة ولم يبق لها مثل هذه القيمة عندهم الآن . وكان الاسبانيون يكرمون اللحى كثيراً ومن امثالهم بعد ان بطلت هذه العادة « لما اضعنا لحانا اضعنا انفسنا » وكذلك كان البورتغاليون فان جوان كاسترو لما اقترض الف بندقية من مدينة جوا رهن عندهم خصلة من لحيته وقال « ان ذهب العالم كله لا يساوي هذا الجزء من اكاليل بسالتي »

واما بالنظر الى الطوائف المسيحية فالكنيسة الارثوذكسية تدافع عن اللحى وتعدّ ارسالها ضرورياً والكنيسة الكاثوليكية ضد ذلك . لا يمكننا ان نتصور بطريركاً بدون لحية كما يصعب علينا ان نتصور بابا بلحية وكان من العادات القديمة ان من يقصر شعر رأسه ويطيل شعر لحيته يكرمونه لانه يفعل فعل الكهنة والاوسمة البابوية التي اصدرها البابوات في بابولي من ايام اكلمندوس السابع الى اسكندر الثاني اي من سنة ١٥٢٣ــ١٦٩١ فيها لحية وكانت لحية اكلمندوس المذكور طويلة وسوداء

والناس في كل عصر يتفاوتون بطول لحاهم وكثافتها باختلاف الامزجة والاعمار والاقاليم واطول لحية بلغ الينا خبرها لحية رجل فرنساوي اسمه جول ديمون ولد في فريلين بالشمال سنة ١٨٥٣ ويقيم الآن في انطريف (فلاندر الغربية بفرنسا) فهو الآن في الخامسة والخمسين من عمره وطول لحيته ثلاثة امتار و٦٥ سنتيمتراً اذا ارسلها انجرت على الارض كما ترى الشكل ولذلك فهو يحبسها في جيب خاص بها

امثلة من الاكتفاء في الشعر

أقول لبدر تمٍّ قد رماني بسهمٍ من لواحظه الفواتن
قتيلك كيف تحييه فنادى ألم تؤمن فقلت بلى ولكن

يشير في اكتفائه الى الآية القرآنية — بل ولكن ليطمئن قلبي — وآخر

يقولون من هذا الذي مت في الهوى به كمداً يا رب لا عرفوا الذي

يريد الذي مت في هواه — وآخر واقتبس

بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الاعمال تتلى
وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الناس قل لا

يريد آية — قل لا اسئلكم عليه اجراً الا المودة في القربى

صحة العائلة

الى المرأة

١ كيف تحفظين جمالك

أخص المرأة بهذا الخطاب لان الجمال لازم لها بل ربما كان الجمال كل المرأة • نعم ان التي ترى نفسها محرومة من هذه النعمة لايتعذر عليها ان تكون موضع إعجاب الرجل وحبه بما لها من صوت الام او الاخت أو الزوجة او المربية ولكن الجمال وحده هو الهادي الامين الموصل الى قلب الرجل من أقرب الطرق • وجمال العقل لا ينكر تأثيره في النفس ولكن قلما ينتبه المرء اليه بادىء بدء لانه مقود بالظواهر في أكثر أعماله والظواهر تشغل ثلاثة ارباع حياة المرأة

لحياة المرأة في جمالها ولذلك قيل المرأة الجميلة تموت مرتين

ولا تتوهم سيدتي الحسناء اني سأسرد لها من أصناف العقاقير ما تعلم ومالا تعلم فان بعضها كالسيف ذي الحدين إن اتى بنفع فلا يؤمن معه الضرر ولكنني جاعل بحثي معها في الصحة : صحة الجسم والبشرة والوجه لان الادوية تفنى والعقاقير تنسى ولا يبقى للمستقبل من الطب الا ما كان ذا علاقة بالهيجين اي علم الصحة

هذا العلم اذا عمل الانسان بمبادئه امكنه ان ينال نصيبه من الحسن بسهولة لانه يتيح الفرد غاية ما يمكن جسمه ان يكتسب من الجمال وذلك بالتربية الصحية التي يجب الاخذ بها منذ الصغر لان هناك عادات سيئة يكتسبها الولد في المدرسة وخارجها فضلاً عن العاهات الخلقية فتكون نتيجتها تشويه الملامح وافساد الحسن فاذا لم يعنَ منذ الحداثة بعلاقاتها او معالجتها رسخت في الجسم الآخذ بالنمو وذهبت ببقية ما فيه من تناسب في التكوين وبهاء في المنظر ولطف في الحركات • فالكساحة مثلاً ضربة قاضية على الجمال بما ينجم عنها من اعوجاج العمود الفقري وليونة العظم وارتخاء الاعضاء وتشوه الخلقة ولكن علم الصحة يقوى عليها بالتغذية الملائمة وعيشة الخلاء والنور والرياضة وما شاكل

فيخفف وطأة المرض ويزيل أثر هذه العاهات مع الزمن ويرجع للجسم رونق الفتوة وقوة الشباب • وكذلك داء الخنازير الكثير الانتشار بين الاولاد والذي يمكنك ان تعرف صاحبه بين الف من زكامه المزمن وشفتيه السميكتين وأسنانه المعوجة والبثور الجلدية الظاهرة فيه فانه غير مستحيل ايقاف سير هذا الداء واستئصال شأفته بالطب الملائم والعيشة الصحية المنتظمة

اذاً علم الصحة امٌ حنون تسهر منذ المهد على الشعر والاذن والعين والبشرة الناعمة فتحفظ لها حالاتها الطبيعية وتمنع القشرة والاكزيما والرمد والبثور والنمش والثآليل وما شاكل • وتحفظ رشاقة القد وليونة المعطف وتمنع تحدب الظهر وترهل البطن • والانسان الممتلىء صحة جميل كيفما نظرت اليه لان الصحة تخلع على الجسم حلة شباب دائم وتلقي عليه اشعة شمس آذار (مارس) بخلاف المرض الذي يقود الى الهرم الباكر بما من اصفرار وتجعد وجمود نظر وحؤول في الجلد والاظافر والشعر

وقد سبق فقلنا قبل هذه المرة ان امتلاء الجسم وتضخم العنق واحتقان الوجه لاتدل على الصحة التامة بل ان السمن داء كالهزال او هو شرٌ منه والآن نبدأُ بالكلام عن سبب السمن لانه مضر بالجمال وبالصحة معاً

اما ضرره بالصحة فمشهور وحسبك ان تعرف ان زيادة الثقل تخفف من قوة الحركة ونشاط العضل وان ضيق التنفس الحادث من تجمع الدهن حول القلب وعضلات الصدر لا يساعد على القيام بالاعمال العضلية التي تحتاج الى قوة ووقت

واما ضرره بالجمال فلا اخال سيدتي المرأة تجهله او تنكره وفي كل يوم شاهد منها على كرهها للسمن وتجافيها عنه بما تعمله او تحاول عمله لاذابة هذه الزوائد التي تذهب بتناسب التكوين ووضوح الملامح في الوجه وتملأُ الفراغ اللازم وجوده في الجسم لزوم الظل في الصور الشمسية فتجعل الوجه والجسم قطعة واحدة لا جاذب فيها ولا رواء لها • ناهيك من ذلك بان السمن يجر وراءه اخلاقاً وعادات غير مستحسنة كالكسل والهرب من الحركة واجتناب الرقص والرياضة والسباحة وكل ما من شأنه التعويد على الخفة والرشاقة و يمهد السبيل للامراض كالنقرس والاستسقاء والقروح الجلدية في الارجل

اسباب السمن — من الناس من يولد سميناً ولكن اكثرهم يصل اليه بعد الثلاثين بحكم الوراثة و يساعد في تكونه قلة الحركة والاشغال العقلية يدلك على ذلك كثرة السمن في رجال الكهنوت واصحاب الرئاسة • ومن الادوية ما يسهل السمن كالزرنيخ والزئبق كما

ان بعض الاحوال تفعل ذلك كزمن اليأس عند المرأة او بعد الابلال من الحمى · اما التغذية فهي بوجه الاجمال من الاسباب التي تسهل حدوث السمن ولا يستثنى منها اللحوم فقد برهن بعضهم باختباره في الكلاب ان اللحم يحدث السمن احياناً كالمواد الدهنية والنشوية وغيرها

العلاج —

احسن معالجة للسمين هي ان يتبع طريقة مخصوصة للتغذية لان تأثير الغذاء يبقى متواصلاً في اليقظة والنوم والراحة والعمل والليل والنهار· وهذه الطريقة هي الاعتدال في المأكل والمشرب · رأى بعض العرب سميناً فقال له « ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك » وقد كان الافراط في الطعام موضوع الباحثين في كل عصر ومصر ولم يبق من الفلاسفة والمشترعين من لم يسن له شرائع و يظهر فضائل الاعتدال ومساوىء النهم والبطنة ومع ذلك لم يتعود الانسان الاقلال من الطعام بل زادت الشراهة فيه مع التفنن · فهل للجنس اللطيف ان يفتح عينيه للنور ويرضى باتباع النصائح الآتية لان فيها حفظ جماله

قبل كل شيء انصحه ان يتعود القيام عن الطعام وفي النفس شهوة له وان يقلل من الشرب والنوم وان كان احب شيء الى السمين ان ينبذ العقاقير بعيداً منه لان ضررها اكبر من نفعها ولا سيما الحوامض والخل · وكذلك الحمام السخن بل ان الحمام السخن يزيد السمن لانه يرخي النسيج الخلوي و يساعد على امتلائه بالدهن · والافضل الاستحمام بالماء البارد مع التمسيد او بماء البحر والسباحة

من الطعام

يسمح له	ولا يسمح
قليل من الشاي واقل منه من القهوة	المآكل المملحة
قليل من النبيذ الابيض	المشروبات على انواعها حتى اللبن
لحم الفرخة والديك والخروف مشوياً · والمرق الحساء (الشوربا) بالخضر	الاثمار الحلوة كالمشمش والنجاص والكرز
الخبز المحمص · البقول والسلطة	الارز والمعجنات كلها
واذا كان لابد من الحلواء فقليل من الشوكولاتا او المربيات	البيض في الصباح
من الاثمار البطيخ الاصفر وما كان قليل الحلو	

الثورة الفرنساوية

سنة ١٧٨٩

ان الثورة الفرنساوية التي انتشبت نارها في اواخر القرن الثامن عشر من اكبر حوادث التاريخ علاقة بالتمدن الحديث وقد هزت العالم وقلبت الافكار وغيرت وجه السياسة وحلت قيود الاستعباد وهي اول نصر حازه العامة على الخاصة فكانت مثالاً لسائر الامم وعبرة لاصحاب السيادة. فاخذت القوى تتوازن والحقوق تتقاضى من ذلك الحين. وما من امة ارادت النهوض او التمست الاصلاح الا كان لها بالثورة الفرنساوية مرشداً يهديها في سبيل الصواب او نذيراً ينبهها الى ما وقعت به تلك من الشطط. وحديث القوم عندنا اليوم «الاستقلال والنهضة والدستور» ونحوها فيحسن بنا نشر اسباب تلك الثورة وما جرت اليه من النتائج نقتطف ذلك من كتاب «تاريخ التمدن الحديث» لسينوبس ترجمة ادارة الهلال تحت الطبع. وهو من افضل الثقات في هذا الموضوع قال:

١ — الحكومة والهيئة الاجتماعية بفرنسا

في اواخر القرن الثامن عشر

النظام القديم

ظلت الهيئة الاجتماعية والحكومة حتى اواخر القرن الثامن عشر تنتهج العادات القديمة التي تالفت شيئاً فشيئاً منذ العصور الوسطى. واذ جعل الفرنساويون خلال هذا القرن يفكرون في المسائل السياسية ويبحثون فيها تبين لهم ان معظم الشؤون التي يعيشون وسط محيطها سيئة تضاد العقل والانسانية وهي التي عملت الثورة على محقها وعرفها الناس باسم «النظام القديم»

واخذ النقدة هذا النظام في ثلاثة امور: الاول قيام الملك بالسلطة المطلقة من غير رقيب ولا زاجر. والثاني قيام الهيئة الاجتماعية على التفاوت بين طبقاتها. والثالث اتباع الحكومة السبل الشاذة والاعمال الفاسدة. اما الملكية والسلطة المطلقة فالمراد بها ان الملوك كانوا قد نظموا الحكومة على اسلوب جعلوا به كل السلطة تحت مطلق اوامرهم اعتبر ذلك بملك فرانسا

كيف انه جمع كل السلطات في يده فكان هو صاحب السلطة التنفيذية يوظف العال حتى افراد الكهنة و يشهر الحروب و يعقد السلم والتحالف و يحشد الكتائب ويدير جميع المصالح . وهو صاحب السلطة التشريعية وكل امر يصدرهُ كاف لاحداث التغيير في سنن الحكومة والقضاء ولامره قوة القانون اذ لم يكن في فرانسا شريعة مسنونة سوى العادات القديمة واوامر الملوك . وله السلطة القضائية مبدئياً وكانت الاحكام تصدر باسمهِ والقضاة معدين لخدمته يقيلهم من مناصبهم [1] او يسترد الدعوى منهم فتفصلها لجنة مخصوصة . وله السلطة المالية ايضاً فيعين المصارف و يضع الضرائب ويجبيها على الشكل الذي يريده

وتوصلاً لقيامهِ بكل هذه السلطات كان يحتاج الى العال فكان له في العاصمة الوزراء المؤلفون لمجلس الملك (وقد احتفظوا على الالقاب القديمة وهي المستشار للقضاء والمراقب العام للمالية والوزراء لغير ذلك من المناصب العالية) وكان لكل مقاطعة ناظر ونواب الا انهم مجردون من كل حق ذاتي فيوظفون او يقالون من مناصبهم تبعاً لارادة الملك واختياره

وكان الملك وعماله متمتعين بالسلطة المطلقة وكانوا يقولون ان هذه السلطة لا يجب ان تكون استبدادية بل ان على الملك ان يحكم بحسب العوائد القديمة التي يسمونها شرائع المملكة الاساسية الا ان هذه الشرائع الاساسية لم تكن مدونة فلا يتاتى لانسان ان يقول عن ثقة شيئاً من مضمونها

وفي سنة ١٧٨٧ قرر البارلمان انه لا يحق للملك وضع ضريبة جديدة من غير ان يستشير نواب الامة . وكان هذا القرار سنة جديدة اذ ان كلاً من لويس الرابع عشر والخامس عشر وضع ضرائب كثيرة حال كون النواب لم يكونوا قد اجتمعوا منذ ١٦٥ سنة وفي جلسة ١٩ نوفمبر جاء مستشار الدولة مع الملك الى المجلس وصرح فيه باسم الملك عن مبادىء السلطنة فقال ان المبادىء المقبولة من الامة جمعاء تؤيد ان للملك وحدهُ السلطة العليا في مملكتهِ وانه لله تعالى فقط يؤدي الحساب عن حسن قيامهِ بسلطته فالسلطة التشريعية محصورة في شخصه وهو لا يتابع ولا يشارك احداً فيها . فينتج من هذه السنة الوطنية القديمة ان الملك لا يحتاج الى سلطة غير عادية لادارة شؤون سلطنته وليس بوسع ملك فرنسا ان يتلقى من نواب طبقات الامة الثلاث الا الآراء الصائبة . وانه يبقى ابداً الحكَمَ السامي لما يبدون وما يشكون . فاعترض البارلمان على الخطاب بملء الاحترام

(١) ولما كانت مراتب القضاء تباع في القرنين ١٦ و١٧ لم يكن في وسع الملك ان يقيل احداً من الوظيفة حتى يرجع عن منصبه واذ كان الملوك يحتاجون دائماً الى المال ليتمتعوا بهذا الحق فابت القضاة في مراتبهم يستحيل عزلهم بالفعل ولكن ليس بالحق

والوقار فامره الملك ان يصادق على امره بالاستقراض وطلب الدوك دورليان ان يدوّن في السجل ان الامر قد سجل بامر جلالته فعارض البارلمان في ذلك لانهُ مخالف للقانون فقال لويس السادس عشر بصوت خافت « سيّان عندي » ثم اردف هذه العبارة بقوله « نعم انه قانوني لاني اريدهُ » وحقيقة الحال لم يكن للحكومة قانون غير ارادة الملك واذا تعذر عليه النهوض بجميع سلطته كان الوزراء والوكلاء يحكمون ويستبدون في حكمهم اذ ليس من سنة محدودة يأتمرون بها ولا يشاركهم في سلطتهم انسان

وقد بقي من السلطات القديمة اثران هما البرلمان والحكومات الاقليمية في بعض الولايات ولم يكن للبارلمان من سلطة اخرى غير فصل الخصومات بين الافراد . أما الدعاوي التي كانت تُقيمها الحكومة فانها تُفصل في مجالس خصوصية وفي مجلس الدولة. فليس في وسع البرلمان ردع الحكومة عن مظالمها . أما المجالس الاقليمية فلم تكن قائمة الا في بضع ولايات من مثل بريطان وبوركون وبروفانس ولانكيدوك والبلاد الصغيرة من بيرانه . وقد انتهى بها الحال الى عقد جلسات تستمر بضعة ايام ليس لها في خلالها مجال للعمل الا لتقرير الضرائب العقارية وتوزيعها على الولايات

فلذلك كان عمال الملك وولاة الامر يتصرفون في جميع الامور على اهوائهم وليس للعموم ان يأتوا شيئاً ابداً حتى ولا ان يرمموا جسراً او كنيسة الا باجازة الحكومة وفي معظم الولايات لم يكن فوق مجالس العموم جمعية قط حتى ولا للمشورة بل لم يكن للاهلين من سبيل لتقديم شيء من مطالبهم أو اقتراحاتهم للحكومة

وعلى هذا الطرز كان العمّال ينهضون بما أوتوا من السلطة من غير ان يشاركهم فيها احد او يكون عليهم رقيب اذ لم يكن لاحد ان يسيطر على اعمالهم أو ان يخوّل حق الوقوف عليها. ولم يكن من سابقة لاجتماع قوم يدعون للتفتيش عن ادارة احدى الولايات أو عن الحكومة العامة في المملكة . ولم يكن من شيء يحاكي مجالسنا العامة أو مجالس النواب . ولم يكن من حق الجرائد البحث في احكام العمال وما يعملون لأن المراقب كان يمنعها وهب انهُ اتيح لها ذلك فلا يتأتى لها الاطلاع على اعمال كانوا يتمونها سرًّا وهذا التستر كان شأن الوزراء واتباعهم وسائر العمال وذلك ان يفصلوا الاحكام وينهوا الاعمال تحت حجب الخفاء بحيث يستحيل على احد الاطلاع على ما يعملون . وقد قال نا كر « ان فرنسا تساس في صميم الادارات » وكانوا لا يعرفون ايضاً كمية الدخل ولا الخرج وقد ادت القحة بنا كر الى ان كان يخرج جداول الحساب خالية من كل ضبط ودقة وقصارى

القول انه لم يكن ثمت من سلطة مستقلة ولا سعي بنشر الاخبار لايقاف المفاسد عند حدها أو على الاقل للاشارة اليها ولم يكن من العمال من يخشى الرأي العام لانهم جميعهم كانوا اقوياء غير مسئولين عما يعملون وانهم ليقتدرون على استخدام سلطتهم في ارضاء اهوائهم والاحسان الى اصدقائهم والتحامل على اعدائهم

وكان الملك يتصرف في دخل الدولة كأنه دخله الخاص ومتى اخذ من الخزينة مالاً فكأنه ينفق من ماله فينفق فضلاً عن نفقات قصرو ار بعين مليون فرنك يهديها لمن شاء كأنها رواتب رجال البلاط . فان عائلة بوليناك وحدها اخذت منه ٧٠٠,٠٠٠ ليرة . وجملة القول ان كل موجودات الخزينة كانت تحت مطلق تصرفه والتوقيع منه على وصل يمكن حامله من قبض المال . لذلك استحال تنظيم ميزانية الدولة تنظيماً قانونياً

وما كانوا يتدبرون في المصرف بحيث يتوازن مع الدخل ولذلك فيبقى الدخل في الغالب أقل من المصرف فيسدون النقص بالاستقراض . وكان وضع الضرائب على خاطر الحكومة وفي كل سنة كان المجلس يقرر المال المرتب على كل ولاية الا ولايات الدولة فكان في وسعها وحدها البحث في مقدار ضرائبها وفي الطريقة التي توزع بها على الاهلين حسب اقتدارهم المالي. أما سواها من ولايات فرنسا فكان العمال يقومون بكل الشؤون فيوزع الوكلاء والنظار الخراج على سكان النواحي وكانوا يرون عليهم تخفيفها في الاحايين عن المزارع التي لاصدقائهم فيها املاك واما في القرى فلم تكن توزع على حسب ممتلكات الاهلين ولا عملاً بسنن مقررة وانما قدر ثروتهم على حسب العادة القديمة . وكان للجباة حق التصديق على اقتدار المزارع وعلى الجزم بما يجب ان يؤدبه كل واحد من الاهلين فيزيدون أو ينقصون كما يتراءى لهم . ولهذا جعل الفلاحون يتظاهرون بالفقر والمسكنة لئلا يزيدوا اتاوتهم فيقيمون في البيوت الحقيرة و يخفون مؤنهم

أما المال المضروب على المشروبات والملح فان الحكومة كانت تعطيه بالالتزام لبعض الشركات فيجبيها عمالها و يخولون من السلطة مثل ما يخول موظفو الحكومة و يدخلون البيوت ليروا اذا كان ثمت ملح اشتراه صاحب البيت من الملح المهرب . اما المهربون (باعة الملح المزور) فكان يحكم عليهم بالجلد و بالابعاد فكانوا يقبضون في كل سنة على الفين او ثلاثة آلاف منهم وانتهى الامر بالحكومة في بعض الولايات انها تداركت الخلل فعينت لكل عائلة القدر الذي يحق لها ابتياعه من الملح على ان هذا الملح معد للطبخ ولا يجوز استعماله لتمليح جلد الخنزير كل ذلك مما جعل الاهلين يتبرمون و يشكون من جور

هذه الضريبة وشدتها

مع ان الضرائب في فرنسا لهذا العهد يربو مقدارها على خمس مرات عما كانت في القرن الثامن عشر. فان الاهلين استفدحوها يومئذٍ واستثقلوها بما لا يشعرون بمثله اليوم لانها لم تكن ترمى على الناس بالقسط وباعتبار غنى المفروضة عليهم وكانت تجبى بالجور والعنف.
وقس على هذه الضرائب قانون القرعة العسكرية فانه منذ وضعهُ لويس الرابع عشر بفوض امر اجرائهِ للعمال فيعفون منهُ جميع اولاد الاغنياء من الفلاحين

حرية الصحافة والحرية الشخصية

وكان جماعات البوليس الذين انشأهم لويس الرابع عشر أشد وطأة على الاهلين من سائر عمال الحكومة وكانت لجنة المراقبة تفحص كل الكتابات ويبقى حجزها متوقفاً على خاطر المراقب وهواه واذا تورطت المطابع فنشرت ما لا يجيزه المراقب أُخذ اصحابها بالقصاص الصارم حتى بالسجن المؤبد (الكوربك) وتؤخذ المؤلفات المطبوعة من غير اجازة الى الحاكم فتحكم بابادتها. وفي الاحايين كان يحرقها المباشر اعتبر بما وقع لرسائل فولتير الفلسفية ولرسالة ديدروعن العميان ولكتاب روسو بعنوان اميل. وكانوا يقبضون احياناً على المؤلفين ويزجونهم في الباستيل من غير محاكمة. فقد سجن فولتير فيه مرتين ولهذا هجر فرنسا واقام في لورين وبروسيا وفارني ليكون ثمت آمناً غوائل المراقبة ومكاره السجن وقد زج فرارا في الباستيل لابحاثه عن ملوك الفرنك ولحكمه اكاذيب بعض التقاليد المروية عن منشأ الملكية

وجملة القول لم يكن للمطبوعات شيء من الحرية حتى كاد يستحيل نشر الجرائد اليومية لان المقالة لم تكن تُطبع حتى تعرض للتدقيق فيها. أما الجرائد المنتشرة برضا المراقبة فلم تكن تخوض في المباحث السياسية او في الاخبار غير ما تبلغها الحكومة اياه تبليغاً رسمياً. ولم تكن الاديان لتزيد في حريتها على المطبوعات لان المذهب الكاثوليكي كان الزامياً اعتبر بما لفظهُ لويس السادس عشر في يمين تتويجه « اني اقسم ان ابذل بكل امانةٍ جميع سلطتي لكي ابيد من كل انحاء مملكتي كل هرطقة تشجبها الكنيسة » ولهذا لم يكن في وسع البروتستانات او اليهود الاجهار بشعائر مذهبهم. ومنذ منع المذهب البروتستاني في البلاد سنة ١٦٨٥ جعل أتباعه يجتمعون سرًّا في الاماكن المنفردة فاذا تأتى للحكومة الاكتشاف على احدى مجتمعاتها حكم على القسوس بالقتل وعلى المجتمعين بالسجن المؤبد

ولم يكن الكاثوليك انفسهم احرارًا لانه حظر على اصحاب الفنادق منهم استعمال اللحم يوم الجمعة وفي الصوم ومنع الفعلة عن العمل ايام الآحاد والاعياد

ولم تكن الحرية الشخصية مصونة فكان في وسع البوليس القبض على من شاء من الناس وزجه في السجن ما اراد من الزمن غير مسؤول عما يعمل . وكان يكفيهم ان يكون بايديهم عند القبض على احد الناس امر صادر من الملك اسمهُ في التاريخ « الرسالة المختومة » فمن يقبض عليه بموجب هذا الامر يزج في احد السجون التي لا سلطة للقضاء عليها واشهرها الباستيل في باريز فيبقى الرجل سجيناً فيها حتى يتلقى الحاكم الامر باطلاق سبيله . وكثيراً ما كان ينسى السجين فيقضي السنين الطوال في السجن كما حدث للاتيد الذي اقام في الباستيل خمساً وثلاثين عاماً لانه اساء الى مدام بومبادور . وكانت تلك الرسائل المختومة بين ايدي الوزراء وموظفيهم يصدرونها ليس لاعداء الدولة فقط بل لاعدائهم الخصوصيين ايضاً وبلغ بهم الامر انهم صاروا يبيعونها ممضاة على بياض فيضع المشتري فيها اسم عدوه وينفذها عليه . وكثيراً ما اتخذها الاباء وسيلة للتخلص بها من اولادهم العقوقين . وقد قال مالشارب للويس الخامس عشر سنة ١٧٧٠ « لا يأمن واحد من اهل مملكتك على حريته ان تذهب ضحية الانتقام لانه ما من عظيم بلغ مقاماً يجعله في حرز من بغضاء الوزير وما من حقير يأمن بضعفه من بغضاء كاتب المزرعة » فانحصار الملكية القديمة في شخص الملك وانفراده في ادارة حكومتها افضيا الى استعمال الطريقة الاستبدادية المطلقة التي لا مراقبة تعدلها ولا حق لاحد يصد اعتسافها

طبقات الامة والامتيازات

كانت الهيئة الاجتماعية في العصور الوسطى مؤلفة من طبقات كثيرة لا تتساوى في الحقوق . على ان الملوك لم يهتموا بالغاء هذا التفاوت ليستتب لهم تأييد سلطتهم في رعيتهم ولذلك ظلَّ اهل الطبقات العالية متمتعين بحقوقهم الخصوصية (الامتيازات) . وكانت الامة تقسم رسمياً الى ثلاث طبقات لكلٍّ منها نيابة تمثلها في مجالس الامة

فكان الكهنة اعلى الطبقات ولهم وحدهم من الاملاك الوسيعة ما يقرب من ربع ارض المملكة فضلاً عما كانوا يضربونهُ مسانهة من المال على الحاصلات مما يسمونهُ العشر ومقداره مئة وخمس وعشرون مليوناً في السنة واما املاكهم فلم تكن تدفع من الضرائب شيئاً ولا تؤدي من الاتاوة الا نحو عشرة ملايين كل خمس سنوات على ما يقرره مجلس الكهنة مرة كل خمس سنوات . وكان من حقوقهم مراقبة المدارس الابتدائية والمستشفيات ودور الاحسان ولهم ان يحفظوا سجلات يدونون فيها العماد والزواج والدفن واشباه ذلك من الاعمال التي كانت تنوب فيها مناب بلديات هذه الايام . فضلاً عن المحاكم الكنسية لمقاضاة رجال الكهنوت المخالفين للقانون الكنسي ولفصل قضايا الزواج

اما النبلاء فكانوا قديماً يملكون كل الارضين تقريباً وقد احرزوا كل السلطة الحاكمة فبقي لهم حتى يومئذ اثر منها . الاَّ ان الفلاحين جعلوا يستملكون الارض شيئاً فشيئاً حتى صاروا يملكون نحو ثلث الارضين واخذوا يحرثون الارض ومع هذا ظلوا على طاعة سادتهم الملاكين القدماء عملاً بالسنن المشروعة منذ القرون الوسطى المعروفة في القرن الثامن عشر بحقوق الاقطاع . ومعظم تلك الحقوق لم تكن في حقيقتها الا اتاوى يسيرة على الاملاك تؤدى لهم مسانهة [١] الا ان بعض الاشراف كان يسرف في اعنات الفلاحين واغضابهم في مقاضاتهم رسوم الطحن وارغامهم على الاذعان لحقوق الصيد وهي توجب عليهم ترك الطيور تجتاح زرعهم ولا يعارضون الصيادين في مطاردتها بين تلك الزروع ولو داسوها باقدامهم

ومن ثمَّ انتقلت السلطة من الاشراف الى عمال الحكومة الا انهُ كان للاشراف ميزة فكان دخولهم في المناصب ايسر منالاً لهم مما هو لغيرهم . فكل وظائف البلاط الملكي كانت تحفظ لهم لانهُ لم يكن دخول القصر مباحاً الا للنبلاء ولا يجوز لسواهم المراتب العالية في الجيش حتى انهُ منذ سنة ١٧٨١ لم يكن يعين بين الضباط الا النبيل وهم وحدهم ينالون وسامات الشرف كوسام الروح القدس والقديس لويس والجدارة العسكرية . وظلوا معافين من الضرائب القديمة ومن الجزية ومن اسكان رجال الحرب

وفضلاً عن هذه الامتيازات القانونية كان النبلاء يعاملون بالاحترام في كل مكان سواء كان في ادارات الحكومة او في المحاكم [٢] العمومية . ففي كنائس القرى كان للنبيل كرسي الشرف . وكانت تعطى لهم جميع الوظائف المهمة تفضيلاً لهم عن سواهم وكانوا في كل المجتمعات اسياداً طبيعيين لمن حولهم من غير الاشراف — وحدث لفولتير انهُ تخاصم مرة مع الدوك دي روهان فبينما كان يتناول الطعام يوماً في احد البيوت واذا برجل يدعوه لشغلٍ هامٍ وما خرج لظاهر البيت حتى قبض عليه خدم الدوك واوسعوهُ ضرباً بالعصا فلم يقتدر فولتير على اخذ حقهِ بواسطة الحكومة ولما ازاح الخبر زجَّ في الباستيل ولم يخرج منهُ حتى اشارت الحكومة عليهِ بالابتعاد عن البلاد ليتناسى ما كان

(١) ان حقوق القضا التي كانت للشريف لا تخوله شيئاً من السلطة الحقيقية بل كان يتعين عليه ان يستعين بالقاضي

(٢) وكان الشائع على الالسنة ان النظام القديم يقضي على الشريف المجرم بقطع الرأس وعلى الجاني من غيرهم بالشنق وليس ذلك بالواقع فان القصاص كان يتوقف على نوع الجناية فان اللص الذي يقطع السابلة يعاقب بالشنق ولو كان شريفاً وقد جرى ذلك مرارا

ويلي الكهنة والاشراف طبقة الاوساط التي لم تكن تعرف الا بعددها وهي الطبقة الثالثة يراد بها جمهور الامة وتنقسم في ذاتها الى عدة درجات و بينها مراتب جمة ممتازة. فان الملوك كانوا يبيعون مراتب القضاء والمالية فأوجدوا بذلك طبقة رجال الرداء ولهم حق القضاء وجباية الضرائب باسم الملك . وكان بين هؤلاء العمال جماعة نالوا مراتبهم بالارث من آبائهم فمن تفوّق منهم دخل في مصاف الاشراف . فالمستشارون في البارلمان يصيرون من الاشراف بعد الجيل الثالث اما غيرهم من القضاة وموظفي المالية والكتبة ومحرري المقاولات والمدّعين العموميين فانهم يظلون من غير النبلاء ولكنهم يتمتعون بالاعفاء من الجزية ومن اسكان العسكر كما يتمتع به الاشراف فضلاً عما كان لهم من السلطة التي تخولهم اياها مناصبهم

وتجدُ بين العملة اليدويين الذين يؤدون الجزية قوماً حائزين على الامتياز بممارسة صنعتهم والبيع في الحوانيت كما كان ذلك الامتياز في الاجيال الوسطى بحيث ان المشتغلين بالحرفة الواحدة يجتمع اساتذتهم ولا يقبلون بينهم طالباً الا بعد مضي بضع سنين في الطلب وبعد اداء رسم يتقاضونه . وبما ان دائرة الاعمال كانت ضيقة ادى امتياز الاصطناع الى حصر الاعمال في ابناء الاساتذة واذا حاول واحد من الناس الاصطناع او البيع ولم يكن من الداخلين في احدى تلك الجمعيات عرّض نفسه للحبس ولضبط امواله

ونصارى القول ان الهيئة الاجتماعية كانت مؤسسة على التفاوت والامتياز فاصبح ذلك سبباً لاثارة خواطر الاوساط وجعلوا ينكرون اعتلاء بعض الناس عن بعض بسبب اصلهم وشرعوا يقولون ان الرجل من الاوساط يماثل الآخر من النبلاء ولذلك فهم يطلبون مناصبهم

التشويش والفساد

وكان اعداء الطريقة القديمة ينتقدون على الحكومة تشويش نظامها وقسوته فان تقسيم البلاد الى حكومات ومقاطعات [1] وولايات Diocèses Généralités جرى تدريجاً عن غير خطة عامة وانما بالاضافة والالحاق ولذلك جاء مشوشاً غير منتظم الاتساق فكان بين الولايات ما اتسعت دائرته حتى انه يعادل اربعاً او خمساً من المقاطعات فهذا الزمن في فرنسا بينما كنت ترى منها ما كان بمساحة ولاية واحدة فقط كمقاطعة اكد مثلاً فانها تحتوي عشرين ناحية ومقاطعة روان تحتوي على ما ينوف

(١) ان كلمة المقاطعة Province التي اعتادوا استعمالها للتقسيم الجغرافي القديم في فرنسا لم تكن الكلمة المستعملة قديماً لهذا المعنى

عن السبعمائة — ولم تكن تلك الاقسام تشترك في شؤون المصالح بل كانت كل واحدة منها تقيم اعمالها المدنية والعسكرية على حدة غير ملتفتة الى الاخرى فارتبك الحال وتشوش على شكل لا مثيل له

واحتفظت كل واحدة من تلك الولايات بعاداتها واقيستها واوزانها ومساحتها ولم يكن لها قانون عام ولا عرفت شيئاً من الحقوق العمومية فاصبحت تجارة الولايات وعلاقاتها بعضها مع بعض من اعسر الاعمال وزد على ذلك ان البلاد القائمة على الحدود كانت كأنها منفصلة عن سائر المملكة لانهم ابقوا فيها بعد ضمها الكمارك القديمة التي كانت من قبل فعدم الانتساق في التقسيم والتباين اوجب التلبك في الاعمال والعاقة في تيسير الاشغال فاستاء المستنيرون وطلبوا التقسيم على هيئة متناسقة وان توحد العادات والموازين والمكاييل

وظلت السلطة في فروع الادارات المختلفة تتبع النهج القديم على ما فيه من الجور والعنف . فكانت المالية توزع الضرائب على نمط يبهظ بثقله عاتق الفقراء من الناس وبقيت الجزية سائرة على نهج القرن الخامس عشر ومثلها الضرائب الموضوعة ايام لويس الرابع عشر كالاعناق والخمس فانها ضربت على ان يشترك في ادائها الممتازون وصارت كرفيقاتها لا ترمى عليهم بالقسط وفاز النبلاء بان تخلصوا منها . اما جباية هذه الضرائب فالقي عبئها الثقيل على كاهل الآخرين فكانت بملء العنف حتى اذا ابى المكلف الاداء اقام الجابي في بيته ينفق من ماله . ولم يكن الجباة من العمال المأجورين بل من اهل القرى الذين يجبرون على تحصيل مال الضرائب مجاناً على انهم يسألون عما يتعذر عليهم جبايته وفوق هـذا كان عمالها يموهون على الناس بالسلطة الممنوحة لهم من الحكومة فيأخذون منهم اكثر من المتعين عليهم . اما الدعاوي التي كانت تقام بينهم وبين سائر الناس فتنظر فيها مجالس المالية الخصوصية وتلك كان من مصلحتها الاخذ بناصر الضامنين . وكان الحشدة في الجيش يجندون الفرق بالعنف ويسمونها المتطوعة ويقيمون على تدريبهم بالشدة حتى اذا اخلّ الجندي بشيء كان قصاصه الضرب بالعصا

اما القضاء فظلّ على النسق الذي كان عليه في القرن السادس عشر فكانت مناصب القضاء تؤخذ بالرشوة او بالارث الا ان اصحابها يضطرون الى التعرض للامتحان قبل ان يتولوها ولكن لم يعرف انهُ رفض في الامتحان واحدهُ ولو كان جاهلاً غرًّا بل يستوي في حكمه الذين يعلمون والذين لا يعلمون . اما في القرى فلبث القضاء على حاله القـديم بايدي الاشراف وكان قـد بقي لهم من السلطة ما يكفي لاعنات المتخاصمين من غـير ان ينفعوهم في

شيء (١) وكان لهم اربع محاكم يعلو بعضها بعضاً بحيث يستطاع استئناف الدعوى من محكمة الى اخرى ولذلك كانت الدعاوي تستغرق السنين الطوال وكان المدعون العموميون والمحامون ومحررو المقاولات يبذلون وسعهم في اطالة مدتها حتى ان القضاة انفسهم كانوا ينتفعون من التطويل اذ يأخذون من المتداعين الاجور على قدر ما تشغل الدعوى من الزمن وكثيرًا ما كانت نفقات القضاء تستغرق قيمة الشيء المختلف عليه اما القضاء في الجنايات فعلى النهج القديم · ويبقى المتهم في السجن ما اراد القضاة ويترك للتعذيب ويحاكم سرًا وليس له ان يعهد بالدفاع الى محامٍ ويحكم عليه قضاة دأبهم ابدًا تجريم كل متهم وظلوا على التعذيب البربري القديم كالدمغ بالحديد المحمي والربط بالعمد والجلد بالسياط والشنق والصلب والدولاب

هذه هي العادات التي اتفق لها ان اجتمعت وعرفت باسم النظام القديم (٢) وفي القرن الثامن عشر صار القوم يحسبونها مظالم · ولم يقتصر حسبانها جورًا على الذين اصيبوا منها ولكن شاركهم في استفداحها الذين استفادوا منها كالاشراف والكهنة والاغنياء

٢ ــ الثورة

اصل الثورة

كان عداة النظام القديم يتوقعون من الحكومة ان تنهض للاصلاح من ذاتها على ان وزارة تيركو بينت لهم ان الطبقة الممتازة لن تتخلى عن امتيازاتها من غير مناوأة الذين يعملون على نزع حقوقها لذلك جعلوا يقولون بوجوب الثورة لمحو المظالم وتجديد الدولة

ولم يكونوا يعرفون في بادىء الامر باي الذرائع تحدث الثورة والناس على مراتبهم ينتفعون بصد تيار الثورة فالملك وعماله يتفعهم صدّها استبقاء لسودهم المطلق والممتازون احتفاظاً بامتيازهم وليمرحوا في تفوقهم · على ان الحكومة والممتازين كانوا قد جمعوا في ايديهم كل القوى حتى التسلط على المستائين فتمنعوهم الكلام · وفي سنة ١٧٨٧ جاء فرنسا

(١) بقيت في فرنساوية من النظام القديم لانه كان من جملة الذين نهضوا بالثورة بعض المتشرعين الذين انتضوا للاصلاح العام في القضاء على ان عداد المتشرعين قل جدا وصارت المحاكمة اكثر اختصارا واصبح التقاضي مجانا

(٢) ان بعض السنن من النظام القديم متصلة بزمن الاقطاع والبعض الآخر وهو القسم الاعظم منه وضع في القرن السادس عشر على عهد الملكية المطلقة الا ان المستنيرين من رجال القرن الثامن عشر كانوا يكرهون العصور الوسطى ولذلك اعتادوا ان ينسبوا اليها كما يكرهون وكانوا يحسبون كل السيئات مهما كان نوعها من اعمال زمن الاقطاع

ارثور يون الجوالة الانكليزي فقال « ان الاهلين يتحدثون بشؤون بلادهم اقل مما يتحدثون عن احوال هولاندا » وما مرّ على كلامه العامان حتى حدثت الثورة فدلّ ذلك على ان سير الفتنة كان سريعاً جداً والسبب في ذلك ان الحكومة والاشراف عوضاً عن ان يتعاونوا على كبح المستائين شرعوا يتخاصمون في ما بينهم حتى تولاهم الوهن جميعاً

وكان الداعي الى اختصام الفريقين المسئلة المالية وذلك ان الحكومة كانت منذ نصف قرن تنفق من الاموال ما يزيد على دخلها حتى صار النقص عادة مألوفة في ميزانيتها والدين يتراكم مع الايام . ومما زاد في الطين بلة حرب اميركا الذي اتمّ تضعضع توازنها المالي اذ انفقت في سبيل تلك الحرب نحواً من نصف مليار فرنك وجعلت تسدد هذا النقص بالاستقراض فاستدان نكر في خلال خمس سنوات ٤٥٠ مليوناً (فضلاً عن الاربعين من السلفيات وخمس واربعين مليوناً من البيوع) واستدان خلفه كالون ٦٥٠ مليوناً . فربا هذه القروض جعل الميزانية تزداد نقصاً حتى بلغ الثمانين مليوناً سنة ١٧٧٣ ومئة واثني عشر مليوناً سنة ١٧٨٧ وكان يمكن لهذه الخطة ان تستمر جارية لو بقيت المالية بادارة ماليّ ماهر مثل نكر لانه يعرف كيف يحصل على النقود حيث سبق له فاكتسب ثقة الماليين باخراجه لهم سنة ١٧٨١ ميزانية الدولة بشكل يلمح منه زيادة الدخل على النفقة [1] ولكن ما عتم ان حان الوقت فرفض الماليون اقراض الحكومة خشية افلاسها ولم يعد للحكومة من سبيل للحصول على المال اللازم لها الا بالرجوع الى طريقة تيركو وهي تخفيض النفقات بالغاء الرواتب والوظائف التي لا فائدة منها وزيادة الدخل بوضع ضريبة يستوي في ادائها الغني والفقير. ذلك ما طلبه كالون على انه يقتضي لاتمام هذا الطلب عقد مجلس للبحث في الاصلاح فجمعت الحكومة هذا المجلس من الاعيان الذين اختارتهم حاسبة انهم يصادقون عليه ومثل ذلك زعم العامة وطفقوا يهزأون من الاعيان بان يبيعوا قطعاً خشبية القطعة منها باربعة دراهم . وهي صور متحركة ذات مفاصل تشير برأسها اشارة الايجاب

ولكن تعارضت في هذه القضية منافع الحكومة والممتازين فكان يعوز الحكومة الغاء الامتيازات المالية لتزيد ايراد ضرائبها واصرّ الاعيان ان لا يؤدوا الضرائب وقد استفدحوا امرها وتخيلوها تحط من شأنهم — وبذلت الحكومة جهدها في حفظ سلطتها المطلقة من غير مراقبة وما استشارت الممتازين الا للمصادقة على اقتراحها وكان الممتازون يغتنمون

(١) كانت هذه الزيادة واهية وانما وضع الميزانية تطميناً للناس كأنه اعلان يدعوهم به لادائها وقد كشف ميرابو عن حالة المالية النقاب في تلك الاونة

ارتباك الحكومة لمراقبة اعمالها والبحث في سياستها ولعرض مساعدتهم عليها — وكانت الحكومة تريد المساواة (على الاقل في الضرائب) مع بقاء سلطتها المطلقة وكان الاعيان يريدون نشر الحرية السياسية مع بقاء الامتياز وهكذا كان الذين يهمهم بقاء النظام القديم على حاله عوضاً عن ان يتحدوا للدفاع عنه جعلوا يختصمون وكل فريق منهم يحاول الايقاع بخصمه . وتوالى على الحكومة مقاومات ثلاث وهي :

(اولاً) ان الاعيان الذين جمعهم كالون رفضوا التصديق على مطالبه فأُقيل وأُبدل منه بلومان دي بريان فاراد وضع ضريبة جديدة وعقد قرض جديد . الا انهُ رغب في تامين الدائنين وذلك يقضي بتسجيل امر الاستقراض في بارلمان باريز

(ثانياً) رفض البارلمان في باريز التصديق على القرض مالم يؤت بالبرهان على الحاجة الماسة للاستقراض . فتجاوز بذلك حد سلطته اذ لم يكن له الحق الا بابداء شكواه الى الملك وليس له ان يحاجه في اوامره ومن ثمّ شعر المجلس بان الشعب في باريز يعضده فاعلن ان الامة التي يمثلها نوابها لها وحدها الحق بالمصادقة على ما يضع الملك من الضرائب ولذلك فهو يرجو الملك ان يجمع نواب مملكته (هذه الآراء كانت مستمدة من انكلترا الا انها لم يعمل بها في فرانسا منذ قرنين) فترددت الحكومة في اختيار الطريقة التي تنتهجها وسعت في تسكين الاستياء بوعودها لنواب الامة آخذة شيئاً من الاصلاح بان ارجعت الحقوق المدنية للبروتستانت وانشأت مجالس المقاطعات لمساعدة النظار ومراقبتهم وحاولت ان تحمل البارلمان على الموافقة بابعاده الى ترويه ثم بحضور الملك لجلساته واخيراً بانتزاعها منه حق التصديق على الاوامر الملكية

(ثالثاً) انحازت حكومات الولايات ومجالس المقاطعات الى البارلمان واعترضت على استبداد الوزراء وظهرت الفتن ايضاً في بريتان وبروفانس والدوفينه وقد اثارها النبلاء لتستمر لهم الامتيازات ومع ذلك اتحد الاشراف في الدوفينه مع الاوساط واستعادوا نظام الولايات القديم الذي الغي في القرن السابع عشر وطلبت حكومات فيزيل الحرية السياسية ليس فقط للدوفينه بل لكل فرنسا ولهذا يمكن حسبان هذه الفتن طلائع الثورة

فزعزعت هذه المقاومات اركان النظام القديم واخذ الناس يتباحثون في هذه الشؤون في جميع مجتمعاتهم وكادت مراقبة المطبوعات ان تبطل عملها فطبع في سنتي ١٧٨٧ و ١٧٨٨ الوف من الرسائل في انتقاد السلطة المطلقة والامتيازات ونشاء عن ذلك رأي عام كان يتزايد قوة ورسوخاً واتفق ان رجع يون الى فرنسا سنة ١٧٨٨ فوجد البلاد مضطربة

وسمع الاهلين في كل مكان يتحدثون بدنو الثورة وهذه الخواطر والاحاديث سابقات لسنة ١٧٨٩ ولم تتمكن الحكومة من ايجاد المال حتى للانفاق على اسس حاجاتها ولم يبق في خزينتها نصف مليون فرنك فوعدت بعقد جلسات البارلمان سنة ١٧٩٢ الا انها استدعت النواب في ٥ مايو من سنة ١٧٨٩ وتوقفت عن وضع دينها في خلال ذلك

النواب العموميون

ورغبة في الحصول على المال اذعنت الحكومة لطلب اسعاف الامة ولعقد اجتماع نوابها لكن بقي عليها حل مسألتين مهمتين

(الاولى) هل يمثل النواب في المجلس طبقات الهيئة الاجتماعية ام الامة بامرها؟ وهل يؤلف المجلس كسابق عادته من الطبقات الثلاث (الكهنة والاشراف والاوساط) وكل طبقة تتباحث وتقرر لوحدها ؟ فاذا تألف المجلس على هذا الشكل حصلت الطبقتان الممتازتان (الكهنة والاشراف) على الاكثرية ضد نواب القسم الثالث — اوهل يسيرون على منهاج جديد يمنح فيه نواب القسم الثالث من القوة ما يناسب اهميتهم ؟ وقد حسب اشياع حزب الاوساط ان نسبة عدد حزبهم في الامة الى عدد غيرهم من الاحزاب الاوساط كنسبة ٩٩ الى ١٠٠ ولذلك يرون من العدل ان يمنحوا من القوة ما يعادل قوة تينك الطبقتين وبهذا يكون لهم من النواب في المجلس قدر ما يكون للطبقتين معاً — ذلك ما كانوا يسمونهُ مضاعفة القسم الثالث وان يكون الاقتراع مشتركاً لتكون اصوات نواب الاوساط موازية لاصوات نواب الممتازين وهذا ما اطلقوا عليه اسم الاقتراع الفردي

(الثانية) ما هي الشؤون التي يتفاوض بها النواب ؟ أفي القضايا المالية فقط ؟ ام في كل الادارة ؟ وهل يجب اقتصارهم على البحث في اصلاح الضرائب ؟ اويكون من حقوقهم البحث في الاصلاح العام لسائر الشؤون ؟

على ان هاتين القضيتين كانتا متلازمتين فان رجال الامتياز كانوا يرتضون بقبول اصلاح الضرائب الا انهم كانوا يريدون المحافظة على مالهم من الامتياز فاذا جرى الاقتراع حسب النظام القديم تبقى لهم الاكثرية وحصروا الاصلاح ضمن الاعمال المالية اما العامة فيريدون الاصلاح العام فاذا جرى الاقتراع الفردي صارت الادارة اليهم فاحدثوا انقلاباً . فوقع الخصام بين الممتازين ونواب الاوساط سنة ١٧٨٨ وهكذا اصبح البارلمان والاشراف الذين جاؤا ليحاربوا السلطة المطلقة يحاربون لتعزيز الامتيازات طالبين ان يستدعى النواب ليقترعوا على الطرز القديم (الانتخاب حسب الطبقات) فاستاء الشعب

من ذلك ولم يرتضوا منهم

فصار من واجب الحكومة تعيين الشكل الذي يتفاوض به النواب . وكان لها اما ان تعمل على خاطرها فتحصر الاصلاح وتؤيد جانب الممتازين او تحدث التغيير فتعضد الامة فاصبحت الحكم بين الممتازين ومن بقي من الامة . وكان عليها ان تبت الحكم فيها لأحد الفريقين ولكنها لم تكن تجسر على بث رأيها حتى انها وهي المطالبة بفض الخلاف كان الوزير نا كر يتظاهر بالحياد غير متشيع لفريق دون آخر الا انه عاد فمنح الاوساط حق مضاعفة عدد نوابهم من غير ان يفصل مسألة الاقتراع الشخصي ولم يعط حكماً فاصلاً للمجلس بشيء من الحقوق

وجرى انتخاب نواب المجلس بحيث ان كل طبقة في كل بلدة او موضع انتخبت نوابها على حدة فكان الكهنة والاشراف ينتخبون نوابهم مباشرة (١) وكان انتخاب العامة لنوابها على درجتين وذلك ان يجتمع أهل كل قرية وينتخبوا عنهم نواباً ثم يأتون قصبة المقاطعة و ينتخبون نواباً عنهم وكل جمعية من تلك الجمعيات تضع لائحة حسب العادة القديمة تتضمن شكاياتهم وما يطلبون للاصلاح . وكانت تلك المطالب متشابهة في كل ما يتعلق بالحكومة العامة لاسيما وان نواب المدن كانت قد تلقت مثالاً للمطالب التي يرغبون فيها وقد اتفقت الطبقات الثلاث على اعتبار النواب العموميين جمعية من وظيفتها تمثيل الامة واجمعوا على طلب اصلاح المالية ووضع دستور مكتوب يكفل للامة حقوقها ويحدد سلطة الحكومة وطلب نواب الاوساط فوق ذلك الغاء الامتيازات وان تجمع الطبقات الثلاث الى هيئة واحدة يكون الاقتراع فيها شخصياً اما الحكومة فلم تتخذ اقل تدبير لادارة المجلس وخصائصه . وفي ٥ مايو من سنة ١٧٨٩ فتحت الحكومة الجلسات في فارسايل من غير ان تجزم في النهج الواجب اتباعه ولا في الشؤون التي يبحث فيها

الجمعية الوطنية

فاشتبك الخصام بين الفريقين على الهيئة التي يشكل بها المجلس فالحكومة عملاً بالعادة القديمة اجلست نواب كل طبقة على حدة فلم يرض نواب الاوساط عن هذا التفريق لانه متى عمل به جرى الاقتراع حسب الطبقات ولذلك ابوا الاشتراك بالمفاوضة قبل ان تقرر مسائل الاقتراع ورفض الكهنة والاشراف الانضمام الى نواب الاوساط . والحكومة خلال ذلك تزداد ميلاً لعضد الاعيان واستمر الانقطاع عن العمل ستة اسابيع حتى نهض

(١) كان للمطارنة وبعض الاعيان حق بالعضوية لمجرد كونهم ممتعين بدرجتهم الكهنوتية او بلبالتهم

نواب الاوساط فاتخذوا قاعدتين فاصلتين وذلك انهم اعلنوا في ١٧ يونيو امكانهم الاستغناء عن نواب الطبقتين الاخيرتين لانهم هم ممثلو الامة وقد اطلقوا على اجتماعهم اسم الجمعية الوطنية يعنون بذلك ان حق المفاوضة باسم الشعب الفرنساوي منوط بنواب العامة . ثم استدعوا نواب الطبقتين الممتازتين الى حضور جلساتهم على ان يكون لهم حق الاقتراع بالتساوي

وفي ٢٠ يونيو اغلقت الحكومة القاعة التي يجتمع فيها نواب الاوساط فقصدوا مكان لعب الاكرة واقسموا الايمان ان لا يفترقوا حتى يسن دستور الدولة مؤسساً على المبادئ القويمة . وكان ذلك بمثابة تصريح انه لا يمكن للملك حل الجمعية . وبذلك صار نواب العامة سلطة كبرى مستقلة

وغولت الحكومة يومئذ على ان تضع بياناً للمفاوضة وكان ذلك في جلسة ملكية عقدت في ٢٣ يونيو طلب فيها الملك اصلاح الضرائب والاحتفاظ بالامتيازات . وكان الملك يريد الاحتفاظ بالفروق القديمة بين طبقات الامة الثلاث لان بها يرتبط افرادها ارتباطاً محكماً بنظام المملكة . فوجد الاوساط هذا البيان غير واف بالمقصود فبدأوا بالتمرد على الملك اذ أبوا ان يخرجوا من القاعة عقيب قراءة الاعلان

فاستفحل الخصام يومئذ بين السلطتين . فعزمت الحكومة ان تنصر الممتازين والجمعية الوطنية معاً على انها كانت تستند الى التقليد والقوة المادية ومع انها مختلة فقد شعرت بتخلي الرأي العام عنها ناهيك بانحياز الباريزيين الى الجمعية الوطنية وتطرق الوهن الى أتحاد الممتازين ثم انضم بعض صغار الاعيان والكهنة الى العامة وشرعوا يجلسون معهم في المجلس ولذلك سلم الملك لهم وامر الباقين من نواب الطبقتين الممتازتين بحضور جلسات الجمعية الوطنية

الباستيل

وكان قد بقي للحكومة يومئذ القوة العسكرية وهي قادرة على استخدامها لفض الجمعية الوطنية عملاً بما اشار به الملكيون على لويس السادس عشر وخشي اشياع الثورة انصاعه لتلك الآراء لاسيما وان الحكومة جمعت الكتائب في فارسايل وتريد ان تسيرها الى باريز حيث كان الاضطراب في اقصى درجاته . وكان موسم عام ١٧٨٨ ماحلاً جداً فهرع الى باريز جماعات البائسين الجياع وعصابات اللصوص الاشقياء اتوها من الضواحي ومعهم العملة من اهل سانت انطوان وسانت مارسو وكلهم تألبوا يداً واحدة لمقاومة الحكومة

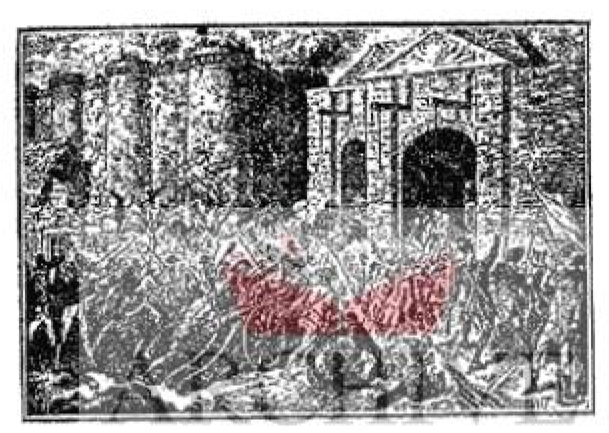


الجياع الثائرون

وخشي الباريزيون بطش الجند بهم ولذلك منعوهم من الدخول الى باريز ومن ثم تألفوا جماعات للدفاع وكان للملك في العاصمة حصن منيع عند مدخل ضاحية سانت انطوان يقال له الباستيل جعلوه سجناً للمذنبين السياسيين يزج فيه كل من صدرت ضده رسالة مختومة فضمّ كثيرين من رجال العلم والكتبة المجيدين وكان السجناء في تلك الاونة قليلي العدد ولم يكن حماته الا نفر من العاجزين واخرون من السويسيين على ان ما اتى هؤلاء من الظلم والقسوة جعلهم مكرهة الشعب ورمزاً للسلطة الاستبدادية

ومنذ تقلد الباريزيون السلاح حملوا على الباستيل وكان عسكر الدولة في باريز قد صار يومئذ فرقتين احداهما الحرس الفرنساوي الذي لطول عهده في العاصمة امتزج بالاهلين حتى اذا نشبت نار الثورة عضد الثائرين بدلاً من مناوأتهم ولهذا تمكن الباريزيون من حصر الحصن الملكي . وكان في جملة زعماء الهاجمين واحد من صغار القواد في الفرقة الملكية للحرس الفرنساوي . فلما سلم حاكم الباستيل اخذ الحصن وللحال شرع القوم

يهدمونه ويرقصون طرباً بين انقاضه • وليس اخذ الباستيل في ذاته بالامر الخطير انما مجده زعماء الثورة وحسبوه فوزاً مبيناً لانه كان رمزاً الى استظهار الامة بالقوة على الحكومة الملكية والحق يقال ان الملك احسّ من نفسه بالانقلاب على امره وكان يومئذ (الرابع عشر من يوليو) في فارساي مع الجمعية الوطنية فجاء الجمعية في اليوم التالي وقال « ثقة مني بامانة رعيتي امرت الكتائب بالانسحاب عن باريس وعن فرساي فافوضكم واكلفكم اعلان سكان العاصمة بذلك »



الهجوم على الباستيل

ومن ثم انسحب وقام اعضاء الجمعية في اثره الى قصره بين تهاليل الجماهير من الخلق وعزف الموسيقى التي كانت تتغنى بانشودة مطلعها « اين يمكن ان يكون افضل لك من حضن عائلتك » ومع أن الملك عدل عن استخدام جنده لمقاومة الباريزيين والجمعية الوطنية فان الباريزيين تقلدوا السلاح وتألفوا حرساً وطنياً تحت أمرة لافاييت من اشياع الجمعية الوطنية • فانتقلت القوة من الملك الى الجمعية

واصبحت هذه الجمعية المعززة من الباريزيين منفردة بالسلطة الحقيقية ولذلك حسب اخذ الباستيل تاريخ بدء الثورة وهو الرابع عشر من يوليو لسنة ١٧٨٩ وهي السنة الاولى للحرية

(الليلة الرابعة من اوغسطوس) : منذ الاستيلاء على الباستيل تداعت اركان الحكومة الملكية في فرانسا كلها وعمّ الخلل جميع فروعها ولم يبق من البوليس من يحافظ على الراحة وتوطيد الامن في البلاد ولذلك جعل يطوف البلاد عصابات من اللصوص للسلب وتكتب

جماعات من اهل المدائن حراساً للدفاع عن شؤونهم • واذ شاع في الارياف بين الفلاحين ولاسيما في الشرق ان الجمعية الوطنية أطلقت الحرية للناس اخذ القوم بها على ما أحبوا منها على ان التكاليف التي كانت تبهظ بثقلها الظهور فهي المرتبات السنوية والسخرة المعينة للاشراف وهي ما يسمونها حقوق الاقطاع

فشرع الفلاحون يهاجمون قصور الاشراف ويأخذون الدفاتر التي كانوا يدونون فيها الاتاوات والسجلات ويطعمونها للنار وفي اماكن كثيرة نهبوا القصور واساؤا الى الاشراف وتوعدوهم شراً

ولما اتصلت اخبار هذه الفتن بالجمعية الوطنية عزمت على سن قانون يتكفل بتأمين البلاد وجرى البحث في امر هذا المشروع في جلسة التأمت في الليلة الرابعة من اوغسطس بحثوا فيها بتسكين الاضطراب في الولايات وتوطيد الحرية السياسية وتامين الملاكين على حقوقهم الصحيحة

فنهض نفر من الاشراف وطلبوا ان يعلن ان حقوق الاقطاع ستفتدى من العامة وان السخرة والرق الشخصي يلغيان من غير تعويض فقام نائب من بريتون وقال ان الشعب قد احرق القصور لتحترق فيها الصكوك المؤيدة لحقوق الاقطاع وان من الواجب الاعتراف بجور تلك الحقوق التي أحرزت في زمن الجهل والظلام فاثار هذا الخطاب خواطر النواب وجعل الكثيرين من الطبقات الممتازة ينهضون الواحد اثر الآخر ويعرضون التنازل عن امتيازاتهم

فقابلت الجمعية ما عرضوه بملء التحمس وقررت الغاء التفاوت بين الوطنيين من سكان العاصمة والولايات وبذلك ابطل الامتياز في التوظيف والغي قضاء الاشراف وحقوق الصيد وبرج الحمام وعدم حق التصرف بالملك والعشور وامتيازات املاك الدولة والمدن والقرى وابتياع المناصب بالرشوة وامتيازات اصحاب الحرف

وعملت وساماً (مدايل) احياء لذكر الاتحاد والولاء بين جميع الطبقات ولالغاء كل الامتيازات ولما ظهر من خلوص كل الافراد الذين سعوا في سعادة الامة ورفاهها فكانت الليلة الرابعة من اوغسطس قد قضت دفعة واحدة على كل الفروق الفاصلة بين الطبقات وأتيح فيها تأسيس هيئة اجتماعية جديدة على دعائم المساواة

وكتب ما تقرر من المبادىء في هذه الليلة في لائحة بدىء فيها هكذا « ان الجمعية الوطنية الغت النظام الاقطاعي الغاء تاماً »

نهاية النظام القديم

ان النظام القديم كان يشوبهُ ثلاث خصال

الاولى : انه كان للملك السلطه باجمها من غير مراقبة فكان السيد المطلق

ثانياً : كان اهل المملكة منقسمين الى ثلث طبقات لا تتساوى في الحقوق

الثالثة : ان اعمال الحكومة كانت جارية على السنن القديمة عافيهامن التشويش والغلطة

فالجمعية الوطنية بانتزاعها السلطة من الملك وبالغائها الامتيازات هدمت سلطة الملك المطلقة ولاشت التفاضل بين الوطنيين ومن ثم اخذت على نفسها تجديد بناء الحكومة على شكل واحد بسيط منتظم

ولما آلت على نفسها تجديد الدولة بدأت بهدم فرانسا القديمة ورغبت قبل الاخذ بترميم البناء الجديد ان تطهر الموضع من آثار الماضي فاعملت على الغاء كل النظام القديم حاسبة ذلك اولى من اصلاحه • ولذلك ابطلت كل المناهج القديمة التي ورد في مطالب المنتخبين ان فيها جوراً وحيفاً ثم توجت الدستور الجديد بالبيان الآتي :

« ان الجمعية الوطنية لرغبتها في تطبيق الدستور الفرنساوي على المبادىء التي اعلنتها الغت الغاء باتاً جميع السنن التي تخدش الحرية والمساواة في الحقوق »

فلم يبق لديها ميزة للنبلاء ولا لاصحاب الاقطاع ولا للحسب الموروث ولا لاختلاف الطبقات ولا تعترف بشيء من حقوق الاقطاع ولا بالقضاء الموروث ولا بالالقاب ولا بالمقامات والمراكز الناجمة عنها ولا بنظام الفوارس ولا بغير ذلك من سيادة الا لعمال الدولة حين اتمام وظائفهم • وليس ثمت من رشوة او ارث لمطلق الوظائف العمومية وليس لجماعة من الامة او الواحد من الاهلين اقل امتياز ولا خروج عن الحق العام الذي يناله كل واحد من الفرنساويين ولا تعتبر رئاسة المهن ولا جماعات الحرف والصنائع ولا تعترف الشريعة بالنذور الدينية او بغيرها من المواثيق والعهود التي تنابذ الحقوق الطبيعية او الدستور

ومنذ سنة ١٧٨٩ بطلت كل الشؤون القديمة مثل مجلس الملك ومجلس الحكومة والنظار والبرلمان والمحاكم والضرائب والالتزام واعلن ان املاك الكهنة من جملة املاك الوطنيين وهكذا لم يبق شيء من النظام القديم

اثار التمدن الاسلامي

٣ — اثاره العلمية فى التمدن الحديث

قد تقدم في كلامنا عن آثار التمدن الاسلامي الاجتماعية ان معظمها يتعلق بالشرق وشعوبه · واما آثاره العلمية فانها قاصرة على الغرب واهله ونعني بها تأثير ذلك التمدن في اوربا قبل نشوء تمدنها الحديث · لان اهم عوامل هذا التمدن مقتبسة من ذلك او قائمة على انقاضه كما قام التمدن الاسلامي على انقاض التمدنين الروماني والفارسي — سنة الله في خلقه · ولا يسع المقام هنا تتبع كل عامل من عوامل التمدن الحديث الى مصدره في التمدن الاسلامي فنقتصر على بيان العوامل العلمية وهي اهمها وربما اتينا على غيرها في فرصة اخرى · وقد تعود كتابنا اذا ذكروا فضل العرب على اوربا اكتفوا بالاشارة الى ذلك اجمالاً كقولهم « ان الغرب اخذ علومه من الشرق او من العرب » ولم نجد بينهم من عين العلوم التي اخذوها او الكتب التي نقلوها ليكون القول ارسخ في الذهن واثبت للفهم اذ قد يُحمل ذلك القول الاجمالي على المبالغة فلا يعتد به — ونحن متهمون بالميل الى المبالغة في الاقوال والمفاخرة بالاسلاف ! ولذلك فاننا آتون في ما يلي بما يتسع له المقام من الفوائد التي اصابها اصحاب التمدن الحديث من المسلمين باحتكاكهم بهم في ابان تمدنهم او بما تعمدوه من الاخذ عنهم فنذكر العلوم التي اقتبسها الافرنج عنهم والكتب التي نقلوها من العربية الى السنتهم ومن نقلها ومتى

١ — احتكاك الافرنج بالمسلمين

نشأ التمدن الاسلامي في الشرق ونقل اصحابه علوم اليونان والفرس والسريان والهنود الى لسانهم ونظموا الحكومة وانشأوا المدارس والمستشفيات والمراصد والمكاتب في بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والقاهرة وفي طليطلة وغرناطة وقرطبة واهل اوربا غارقون في غياهب الاجيال المظلمة يشتغلون بالنزاع والخصام وقد اقفلوا على كتب اسلافهم في الاديار والمعابد فقلَّ من يلتفت الى بحث او درس الاَّ ان يكون من قبيل الجدال في مذهب ديني لم يبق من حقيقته غير الالفاظ · وقد انحصرت معارفهم بما يحيط بهم الاَّ بصيصاً اتصل بهم ممن جاورهم من العرب في الاندلس واطراف ايطاليا وفرانسا واذا سمعوا عن امم الشرق فانما يسمعون غمغمة اضعف البعد صوتها فاختلطت مقاطعها وانقلبت معانيها ·

فاساؤا الظن بالشرق والشرقيين والاسلام والمسلمين . وزادهم نقمة وحقداً ما كان يقاسيه بعضهم من المسلمين في الاندلس من حرب او فتح . حتى اذا هاجهم صائح الجهاد لانقاذ بيت المقدس لبوه وحملوا على الشرق بخيلهم ورجلهم عدة حملات عرفت بالحملات الصليبية فتح الافرنج بيت المقدس سنة ١٠٩٩ واستبدوا فيه الى سنة ١١٨٧ ثم ظلت الحروب سجالاً بينهم وبين المسلمين في سوريا حتى خرجوا منها سنة ١٢٩١ فرأوا في اثناء ذلك من احوال الشرقيين مالم يعرفوه — رأوا علماً وسياسة ونظاماً وادارة قد ننتقدها اليوم ونرى فيها نقصاً ولكنها من ارقى ما بلغت اليه الدول في تلك الاعصر . فلما خرجوا من سوريا رجعوا وفي انفسهم اثر حسن حملهم على التشبه باولئك الغالبين فاخذوا يفكرون في الخروج من ظلماتهم وليس بين ايديهم من اسباب الانارة غير ما الفه العرب او ترجموه او لخصوه فأخذوا بنقله الى لسان العلم عندهم وهو اللغة اللاتينية . على ان بعضهم زاد نقمة على من بقي في اوربا من المسلمين نعني الاندلسيين فعملوا على اخراجهم بالقوة انتقاماً لما اصابهم في سوريا وكانوا قد فتحوا بعض مدائنهم فاتموا فتحها جميعاً في اواخر القرن الخامس عشر للميلاد وخرج المسلمون منها وهو آخر عهدهم بها

واتفق في اثناء ذلك قيام آل عثمان في آسيا الصغرى وقد شاهدوا رجوع الافرنج عن الشرق مدحورين فاستخفوا بهم وطمعوا في بلادهم فحملوا على اوربا من جهة المشرق كما حمل عليها العرب في صدر الاسلام من جهة المغرب . فاكتسحوا بعضها وفتحوا القسطنطينية في اواسط القرن الخامس عشر وهي يومئذ مجتمع العلماء والحكماء وخزانة العلم والفلسفة فهرب اهلها من وجه الاتراك واوغلوا في اوربا ومعهم كتبهم وعلومهم . وشعر الافرنج من ذلك الحين بحاجتهم الى الاتحاد ونبذ الشقاق لئلا يغتالهم الغرباء فاتحدوا اوتسالموا ونهضوا للاصلاح . وذلك طبيعي على اثر كل حرب او ثورة فآل نهوضهم الى انشاء التمدن الحديث وهم انما تنبهوا من بعد احتكاكهم بالمسلمين في الشرق وفرار علماء اليونان اليهم من القسطنطينية

وكانوا قد اخذوا في تمهيد السبيل لهذا التمدن قبل ذلك الفتح ببضعة قرون بما كانوا يتعلمونه في مدارس الاندلس او ينقلونه من كتبها الى اللاتينية او غيرها . كانهم نهضوا يلتمسون الرقي السياسي والعلمي معاً فحملوا على المسلمين في مدائنهم وعمدوا الى اقتباس علومهم من مدارسهم وهم ينظرون الى الشرق يومئذ كما ننظر نحن اليوم الى اوربا فكانوا يرجعون الى العرب في تقرير الحقائق وحل المشاكل وكثيراً ما كان قياصرة القسطنطينية اوغيرهم من ملوك

ربما يلجأون الى علماء بغداد او قرطبة او غيرها في حل معضلة فلسفية او علمية او طبية · فلا عجب اذا رأينا اهلها يعولون في تعليم ابنائهم على مدارس المسلمين فيرسلونهم الى مدرسة قرطبة وطليطلة للتبحر في العلم كما نرسل نحن ابناءنا الى كمبريدج او اوكسفورد · وقد بدأ الافرنج في اقتباس علوم العرب من القرن العاشر للميلاد ولم يفرغوا منها الا بعد انقضاء القرن الخامس عشر واليك البيان :

٢ — المترجمون من العربية الى اللاتينية

قضى الافرنج في نقل علوم العرب الى السنتهم ولا سيما اللاتينية خمسة قرون (من القرن العاشر الى الخامس عشر) فنبغ عشرات من المترجمين نقلوا مئات من الكتب في الطب والفلسفة والطبيعيات والالهيات وغيرها ولو اردنا تفصيل اعمالهم لضاق بنا المقام فنكتفي بمجملها · ونقسم عصر الترجمة المشار اليه الى اربعة اطوار : الاول طور التمهيد خارج الاندلس · والثاني طور طليطلة العام لاشتغال الافراد بالترجمة من عند انفسهم · والثالث طور الفونس صاحب قشتالة لانه انشأ مجمعاً لنقل تلك الكتب على نفقته · والرابع طور اوربا لاهتمام ملوكها بنقل تلك العلوم

اولاً طور التمهيد : يبدأ هذا الطور بالقرن العاشر للميلاد واول من وصل الينا خبره من المترجمين البابا سلفستر الثاني في اواخر القرن العاشر وكان قبل البابوية يسمى جربر ارتقى من مهنة التعليم الى رتبة الاسقفية وتنقل في ابرشيات عديدة حتى بلغ درجة البابوية · وكان مطلعاً على اكثر علوم عصره باختلاف مواضيعها لانه قضى مدة طويلة في الاندلس يتلقى العلم في مدارسها وهو اول من انتبه الى نقل علوم المسلمين الى اللاتينية لافادة اهل زمانه فنقل جانباً من كتب المنطق والفلسفة والنجوم وغيرها وقد عني الموسيو اولريب بنشرها معاً

وجاء بعده هرمان المقعَّد المتوفى سنة ١٠٥٤ م وقد قرأ العلم في كتب المسلمين وان لم يأت مدارسهم فاستجمع اليه كتبهم تعلم بها الموسيقى والهندسة والنجوم ونقل كثيراً منها في علوم مختلفة سيأتي ذكر بعضها

وظهر في اثناء ذلك عالم شرقي اسمه قسطنطين الافريقي قضى شبابه في المغرب (شمالي افريقيا) وهو يطالع ويدرس ثم انتقل الى سالرنو في ايطاليا وفيها المدرسة الشهيرة فازداد علماً وهمة فترجم الى اللاتينية أهم كتب العرب في الطب والفلسفة مما نقله العرب عن اليونان او الفوه من عند انفسهم في العلاج والعقاقير ومنها كتب خاصة بالرمد

والحميات وغيرها وسيأتي ذكر اهمها واسماء مؤلفيها

ثانياً طور طليطلة العام : اصبحت طليطلة في القرن الثاني عشر للميلاد بين امها من الافرنج للترجمة او التأليف كما كانت بغداد في القرن التاسع على عهد الرشيد والمأمون بمن اجتمع فيها من التراجمة واهل العلم السريان والفرس والهنود . وبين النهضتين فرق عظيم لان نقلة العلم في العصر العباسي كانوا يجتمعون في بغداد على الغالب بامر الخلفاء وفيهم نخبة الادباء والعارفين باللغتين اليونانية والعربية لما كان الخلفاء يبذلونه من المال في استقدامهم واستثمار قرائحهم . واما في طليطلة فكان طلاب المعرفة يقدمون على العمل في اثناء ذلك الطور من تلقاء انفسهم وقلَّ منهم من يتقن العربية فجاءت منقولاتهم الى اللاتينية اقل ضبطاً ووضوحاً مما نقل للعرب قبلهم من اليونانية الى العربية

وكانت طليطلة في ذلك القرن حافلة بالعلماء والفلاسفة وفيها جماعة كبيرة من الفرنساويين شخصوا اليها واقاموا فيها للاستفادة ماديا وادبيًا . واكثر طلبة العلم يومئذ من الكهنة او الرهبان وفي جملتهم ريمون اسقف طليطلة اقام فيها من سنة ١١٣٠ الى سنة ١١٥٠ وهو اول من اشتغل بنقل العلوم من مصدرها الاصلي في طليطلة واخذ ينشرها في اوربا . بدأ عمله على يد اثنين احدهما يعرف العربية العامية والآخر يعرف اللغة اللاتينية فكانت منقولاته الاولى ضعيفة مشوشة ثم اشتغل الذين جاؤوا بعده باتقان اللسان العربي وضبط الترجمات . وترجم ريمون كتبا في الفلسفة والنجوم وغيرها فلما انتشرت في اوربا رغب الناس في مثلها فتقاطر الطلبة الى طليطلة من سائر اقطار اوربا واشتغل بعضهم في نقل القرآن واشتغل الآخرون في نقل العلوم على اختلاف مواضيعها . واشهر اولئك النقلة افلاطون الطيبوري وادلار الباطي ويوحنا الاشبيلي وكونديسالفي وهرمان الدلماتي ومرقس الطليطلي وروبرت الرتيني ودانيال المورلي . واكثرهم عملاً جيرار الكرموني وقد ناهزت ترجماته ثمانين كتاباً جمعت علوم القدماء على الاجمال في المنطق والفلسفة والرياضيات والنجوم والطبيعيات والكيمياء والتنجيم وغيرها بعضها لليونان كارسطو وارشميدس واقليدس وبطليموس وابقراط وغيرهم وبعضها للعرب كالفارابي وثابت بن قرة واولاد موسى والخوارزمي والكندي والفرغاني وجابر بن افلح وما شاالله وابن الهيثم وكلها منقول عن العربية . وظلت طليطلة قرنين وهي ملتقى طلبة العلم ونقلة الكتب

ثالثاً طور الفونس ملك قشتالة : هو احد ملوك اسبانيا الذين حاربوا العرب في القرن الثالث عشر ويسمونه « الحكيم » لانه مع ما كان من محاربته العرب ومنافسته

سائر ملوك اسبانيا على السيادة فقد تفرغ لخدمة العلم فجمع اليه المترجمين والمؤلفين كما فعل خلفاء العرب في بغداد قبله ُ ببضعة قرون واستحثهم على نقل العلوم لمنفعة الامة على نفقته وتمتاز الترجمات التي نقلت على يده بانها لم تنقل من العربية الى اللاتينية رأساً بل نقلت اولاً الى اللغة الاسبانية القشتالية ومنها الى اللاتينية وظل بعضها في القشتالية . وانشأ الفونس مدرسة كبرى جامعة في بلنسية هي اول جامعة في اسبانيا فعل ذلك اقتداءً بجيرانه العرب ونقلت هذه الجامعة بعد ذلك الى سلمنكة

واستقدم الفونس جماعة من علماء العرب الاندلسيين الى عاصمته للاستعانة بهم في مشروعه فاحضر ابن راجل والقبيصي من طليطلة وقربهما اليه وسماهما استاذيه . واستقدم ابن موسى ومحمداً من اشبيلية . ويوسف بن علي ويعقوب ابن سنا من قرطبة . وبعث الى غسكونية والى باريس فاحضر نحو خمسين عالماً وعهد اليهم الاشتغال في نقل كتب العلم فقضوا في نقلها نحو نصف قرن وهو ينفق فيهم ويخلع عليهم ويقوم بما يحتاجون اليه من مرافق الحياة لهم ولاهلهم . واشهر اولئك النقلة يهوذا بن موسى وربي ساج وصموئيل ليفي من اليهود وفرنان الطليطلي وغيرهم

رابعاً ﴿ طور سائر اوربا ﴾ : ونريد به العصر الذي اشتغل الافرنج فيه بنقل كتب العرب خارج الاندلس . وكل نقلة هذا الطور في اوربا الا اثنين احدهما اتيان الانطاكي في انطاكية والآخر فيليب الطرابلسي في طرابلس . وعمل بعض ملوك اوربا عمل الفونس القشتالي فجمع المترجمين اليه ونشطهم . وممن فعل ذلك فريدريك الثاني صاحب المانيا وايطاليا المتوفى سنة ١٢٥٠ وهو من اعظم نوابغ القرون الوسطى وكان محباً للفلسفة يقرب العلماء والفلاسفة ويكاتبهم . واشهر الذين اجتمعوا تحت لوائه من النقلة ميخائيل سكوت الانكليزي ترجم نحو عشرين كتاباً . وسار منفريد بن فريدريك على خطوات ابيه فكان من جملة النقلة عنده ُ هرمان الالماني واتيان المسيني ومنفريد نفسه ُ ترجم كتاباً لارسطو بقلمه . واقتدى بهما شارل دنجو بفرنسا واليه رفعت ترجمة الحاوي للرازي نقلها فراغوت اليهودي

وكان عصر اولئك الملوك زاهياً كما كان عصر الزهو العباسي ثم تقاعد الناس عن العمل لعلهم اكتفوا بما لديهم وعمدوا الى التأليف كما فعل العرب . وآخر من عرفنا اسماءهم من المترجمين غير الذين تقدم ذكرهم ارمينكو وفيلنوف وكرومر وسمعان الجنوي وبتافينوس وغيرهم . ويزيد عدد المترجمين الذين علمنا بهم على خمسين مترجماً

٣ — الكتب المنقولة من العربية

بلغ عدد الكتب التي نقلوها نحو ٣٠٠ كتاب نقلت من اللغة العربية الى اللاتينية رأساً الا قليلاً نقل بواسطة لغة قشتالة وقليلاً بواسطة العبرانية . وتقسم الكتب المذكورة حسب مواضيعها على هذه الصورة :

عدد الكتب المترجمة	مواضيعها
٩٠	في الفلسفة والطبيعيات
٧٠	« الرياضات والنجوم
٩٠	« الطب
٤٠	« النجامة والكيمياء

فهذه الكتب نقلها الافرنج الى اللاتينية ثم نقلوا بعضها الى السنتهم . وتبلغ الكتب المذكورة نحو ضعفي ما نقله العرب من علوم القدماء الى لسانهم فلو تحاسب الشرق والغرب قبل نهضتنا الاخيرة لكان الغرب مديناً لنا لان العرب لم ينقلوا من كتب القدماء اكثر من ٢٠٠ كتاب نحو ثلثها فقط نقل من اليونانية والباقي من الفارسية والهندية والسريانية فيكون عدد الكتب التي اخذها الشرق من الغرب نصف التي اخذها الغرب منه . لكن الغرب وفى ما عليه في نهضتنا الاخيرة بما اخذناه من اسباب التمدن الحديث . ونقلة العلم في العصر العباسي لم يزيدوا على ثلاثين مترجماً . اما نقلة التمدن الحديث فقد زادوا على خمسين . ويقال نحو ذلك في عدد المؤلفين اليونانيين الذين نقل العرب عنهم وعدد المؤلفين العرب الذين نقل الافرنج عنهم فاليونانيون لم يزد عددهم على بضعة عشر عالماً واما المؤلفون العرب الذين نقل الافرنج عنهم فيزيدون على بضع عشرات هذه اسماء اشهرهم :

في الفلسفة : الكندي وقسطا بن لوقا والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن باجه وابن الطفيل وما شاالله وابن جبريل وحنين بن اسحق والسرخسي وغيرهم

وفي الرياضيات والنجوم : ثابت بن قرة واولاد موسى والخوارزمي وابن الهيثم والفرغاني والبتاني وجابر بن افلح والبتروجي وابن الصفار والقبيصي والزرقالي وغيرهم

وفي الطب : سرابيون الاكبر والاصغر وماسويه الاكبر والاصغر والرازي وابن الجزار والزهراوي وعلي بن عباس وعيسى بن علي والمجوقي وابن سينا وابن زهر واسحق الاسرائيلي وابن بطلان وابن جزلة وغيرهم

والكتب العربية التي نقلوها الى اللاتينية طائفتان (١) الترجمات وهي التي نقلها العرب عن اليونان وابقوها كما هي فهذه نقلها الافرنج من العربية لكنهم نسبوها الى مؤلفيها الاصليين فلا نتعرض لذكرها (٢) المؤلفات التي الفها المسلمون من عند انفسهم بعد درس علوم القدماء وهي القسم الاهم . والعلماء اليونان الذين نقل الافرنج كتبهم عن العربية اشهرهم ارسطو وافلاطون وابقراط وجالينوس واوقليدس وارشميدس . واما علماء العرب فقد تقدم ذكرهم واليك امثلة من الكتب التي ترجمها الافرنج و بجانب الكتاب اسم مؤلفه واسم مترجمه وبعضها لم يعرفوا مترجمه كما ترى :

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه	اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
السمع والبصر	الكندي	الكريموني	الاغذية	الرازي	الكريموني
الغاية	»	»	علل المفاصل	»	مجهول
الاحكام	»	»	امراض الجلد	»	»
التوحيد	»	»	الترياق	»	»
الاسباب المختلفة	»	مجهول	الجدري والحصبة	»	»
مستقبل المعرفة	»	»	القانون	ابن سينا	الكريموني
خصائص العناصر	الفارابي	»	قلب الانسان	»	فيلنوف
السمع الطبيعي	»	الكريموني	الارجوزة في الطب	»	ارمنكو
المنطق	»	»	شرحها	»	»
مطالع العلم	»	كنديسالفي	الشراب	»	الباغوس
اقسام الفلسفة	»	»	النفس	»	الاشبيلي
العلوم	»	الكريموني	ما بعد الطبيعة	»	كونديسالفي
العقل والمعقول	»	مجهول	الطبيعيات	»	»
الكيمياء	»	»	السماء والعالم	»	»
الحاوي	الرازي	فراغوت	مختصر الحيوان	»	سكوت
المنصوري	»	الكريموني	التعريفات	»	مجهول
الضوء	»	»	الكيمياء	»	»
الاقسام	»	»	الحجر الفلسفي	»	»
المدخل في الطب	»	»	الحدود	»	»

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
المنطق	ابن سينا	مجهول
الفلسفة الاولى	«	«
الكليات	ابن رشد	ارمنكو
شرح ارجوزة ابن سينا	«	«
ية المفردة	«	ماين
الترياق	«	مجهول
السموم	«	«
شرح السماء والعالم	«	سكوت
« النفس	«	«
القوى الطبيعية	«	«
الرجم	«	«
الماجسطي	ثابت بن قرة	«
الاوزان	«	«
تركيب الدوائر	«	«
التصور	«	الاشبيلي
السيارات	«	مجهول
الثوابت	«	«
التقارب والتباعد	«	«
الدائرة المثمنة	«	«
التناسب	«	«
أحكام النجوم	ماشاالله	الاشبيلي
احكام القرانات والممازجات	ماشاالله	«
الاسطرلاب	«	مجهول
الدائرة	«	الكريموني
البول	اسحق الاسرائيلي	قسطنطين
الحميات	اسحق الاسرائيلي	قسطنطين
العناصر	«	الكريموني
الاغذية	«	«
الحدود	«	«
الجراحة	الزهراوي	«
الرق	«	سمعان الجنوي
النظر والعمل	«	مجهول
التصريف	«	«
الملكي	علي بن عباس	قسطنطين
تقويم الابدان	ابن جزلة	فراغوت
« الصحة	ابن بطلان	«
تذكرة الكحالين	عيسى بن علي	مجهول
التيسير	ابن زهر	بتافينوس
البسائط	سرابيون	سمعان الجنوي
صناعة جالينوس	ابن رضوان	الكريموني
الكتب الاربعة	«	بامر الفونس
الطبيعة ومابعدها	الغزالي	كوندبسالفي
الزيج	الخوارزمي	ادلار الباطي
المدخل	«	«
الجبر	«	الكريموني
الهندسة	اولاد شاكر	«
ينبوع الحياة	ابن جبريل	كونديسالفي
حركات النجوم	البتاني	الطيبوري
مئة مسألة	«	مجهول
الزيج	«	اويزت الرتبني
القانون	«	بامر الفونس

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه	اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
الجبر	ابو كامل شجا	الكريموني	المنطق	السرخسي	مجهول
الاسطرلاب	ابن الصفار	مجهول	النفس والروح	قسطا بن لوقا	الاشبيلي
الآلات الكروية	جابر بن افلح	«	التعاويذ	« «	فيلبوف
النصرانية والاسلام	البتروجي	سكوت	اللاهوت	جابر	الكرموني
زاد المسافر	ابن الجزار	قسطنطين	الانواء	ابن العوام	«
المدخل في النجوم	القبيصي	الاشبيلي	الزيج	الزرقالي	«
الشفق	ابن الهيثم	الكريموني	السموم	الميموني	المسيفي
المختصر	سرابيون	«	النجوم	الفرغاني	الكريموني والاشبيلي
الحميات	ماسويه	مجهول	زهر النجوم	البلخي	الاشبيلي
الجراحة	«	فراغوت	الاختيار	«	مجهول
الايساغوجي	حنين	مجهول	الرمد	«	«

هذه الكتب كلها من مؤلفات العرب غير ترجماتهم التي لم يحدثوا فيها تغييرًا ونقلها عنهم الافرنج ولم نتعرض لذكرها · اما التي ذكرناها فانها من مؤلفات العرب وليست هي كل ما نقلوه · واكثرها موجود في المكاتب الدولية الكبرى في اوربا كالمكتبة الاهلية بباريس ومكاتب اوكسفرد وكمبردج و برلين ولندن وفينا ورومية ومنشن وغيرها · وهي هناك حتى الآن معروضة لمن يريد الاطلاع عليها · وبعضها قد ترجم غير مرة ومنها طبعت ترجمته اللاتينية ونشرت مرارًا كالقانون لابن سينا وكتاب النجوم للفرغاني والحاوي للرازي وارجوزة ابن سينا في الطب والتيسير لابن زهر ومعظم مؤلفات ابن سينا وابن رشد والفارابي · وبعضها نقل الى اللغات الافرنجيـة الحية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية وغيرها · وبعض هذه الترجمات قد ضاع اصلها العربي وتقادم العهد عليها قبل ان ينتبه الناس لضبط اخبارها فذهب كثير من اسماء مترجميها واختلطت اسماء بعض المؤلفين بالبعض الاخر لان نقلتها لم يضبطوا تلك الاسماء ضبطًا حسنًا فوقع فيها التحريف وتغيير شكلها وابتعدت عن الاصل بعدًا كثيرًا وهذه اشهر الاسماء المحرفة :

ابو الحسن ابن بطلان	Elchasen Ellimitar	ابن وافد	Eben Guefith
ابو القاسم بن علي الموصلي	Canamusali	ابن زهر	Avenzoar

ابن جبريل	Avicebron	الرازي	Razés
ابو بكر ابن طفيل	Abubacer	ابو القاسم الزهراوي	Abulcasis
ابن باجة	Avenpace	ابن سينا	Avicenne
ابو معشر البلخي	Aboumasar Abalachi	ابن رشد	Avirroés
ابن الهيثم	Alhacem	الغزالي	Algazel
ابو اسحق النقاش الزرقالي	Arzachel	ابن داود	Avendaut

٤ — آثار العرب في تمدن الافرنج

فنهضة اوربا لانشاء التمدن الحديث تعدُّ من آثار التمدن الاسلامي للاسباب التي قدمناها . وقد يعترض على ذلك بأن العلوم التي اقتبسها الافرنج من العرب ليست من موضوعاتهم وان الافرنج لم يستفيدوا منها الا في اول نهوضهم ثم تغيرت او ابدلت بالعلوم الحديثة المبنية على المشاهدة والاختبار بعد الاكتشافات الطبيعية الحديثة وعلى علم الكروب والكيمياء وغيرها وان العلوم القديمة لم يبق شيء منها واننا انما اشترطنا في صدر هذه المقالة ان لا نعد من آثار التمدن الا ما كان باقياً الى الآن

والجواب على ذلك : اولاً ان هذه العلوم مع كونها منقولة في الاصل من امم اخرى فقد رقاها العرب وتوسعوا فيها وادخلوا بعضها في بعض فوصلت الى الافرنج ولها صبغة خاصة بالعرب فلا يصح نسبتها الى اصحابها الاصليين الا ما بقي منها على اصله فهو ينسب الى صاحبه اليوناني او الفارسي كالجغرافية والماجسطي لبطليموس وكتاب البلدان لابقراط والصناعة الطبية لجالينوس وسر الاسرار والخواص والسياسة وغيرها لارسطو والهندسة لاوقليدس . وقد نقل منها الافرنج في اثناء تلك النهضة نحو نصف ما نقلوه عن العرب ولم نتعرض لذكره . على ان للعرب فضلاً حتى في ما ترجموه حرفياً لان بعض الاصول التي نقلوا عنها ضاعت ولم يبقَ سبيل الى تلك العلوم الا من الترجمات العربية . ومن المؤلفين اليونانيين الذين ضاعت مؤلفاتهم و بقيت ترجماتها العربية . ثموخارس وارستلوس ومنيلاوس وثاوون . ومن هذا القبيل كتاب كليلة ودمنة فان اصله الفارسي ضاع وعوّل الافرنج في نقله على ترجمة ابن المقفع العربية وكذلك كتاب الفلاحة النبطية فقد نقله ابن وحشية عن السريانية وضاع الاصل فنقله الافرنج عن العربية وقس على ذلك

ثانياً : ان للعرب اكتشافات علمية وطبية وطبيعية لم يكن القدماء يعرفونها وقد اخذها الافرنج في جملة ما اخذوه ولا تزال باقية الى الآن عندهم رغم الاكتشافات

ـدية . فالعرب اول من استخدم المرقد (البنج) وقد اخذه الافرنج ولا يزال متبعاً في ـطب وان اختلفت المواد المستعملة للتبنيج . وهم اول من استخدم الكاويات في الجراحة ـصفوا علاج اليرقان وهم اول من عالج خلع الكتف برد المقاومة واول من قدح العين ـي عالج ظلام العدسة البلورية بعملية الكتركتا ولا تزال باقية . واشاروا بتفتيت الحصاة ـو ما وصفوه من الامراض كالحصبة والجدري وكثير من آرائهم لا تزال متبعة

ومن اثارهم في هـذا التمدن علم الكيمياء الحديث المبني على التجربة والعمل فانه ـن موضوعات العرب . وهم اول من استحضر العقاقير على الطريقة الجديدة بالتقطير والترشيح . ـصيدلة ايضاً من مبتكراتهم وهم اول من انشأ حوانيتها وقد اخذها الافرنج عنهم ولا تزال ـائمة عندهم . واهم المستحضرات الكيماوية من مكتشفات العرب كالحامض النتريك والكبريتيك ـالنتروهيدرو كلوريك والبوتاسا وروح النشادر وحجر جهنم والسلماني والراسب الاحمر ـلح الطرطير وملح البارود والزاج الاخضر والكحول والقلي والزرنيخ والبورق وغيرها وكلها ـن اهم المواد الطبية الكيماوية التي لا يستغنى عنها في الطب او الصيدلة او في المعامل الكيماوية ـغيرها من مصانع الاكتشاف والاختراع

ناهيك بما بقي من آثار هذا التمدن في علم النبات فان الافرنج بنوا اكثره على كتب العرب ـساس الزراعة الحديثة من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وهو منقول عن العربية كما ـقدم . غير ما اخذوه عن العرب من احكام النجوم وقواعدها فقد تغير كثير منها ولكن آثارهم لا تزال باقية في اسماء بعض الكواكب وغيرها من مصطلحات ذلك العلم . وغير القواعد ـرياضية التي اخذها الافرنج من كتب العرب ولم تتغير ولا يزال اسم Algorism شاهداً ـلى ذلك وهو تحريف « الخوارزمي » ويعبرون به عن فرع خاص من الرياضيات ومن ـهذا القبيل الجبر فانه من اصل عربي يشهد بذلك اسمه العربي عندهم

واهم آثار التمدن الاسلامي الرياضية الارقام فهي هندية الاصل اخذها العرب عن ـلهنود واخذها الافرنج عن العرب فنحن نسميها هندية وهم يسمونها عربية . وللعرب زيادات ـي كل العلوم التي نقلوها عن اليونان فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

ومن آثار العرب في العلم الحديث انهم حفظوا كثيراً من تواريخ الامم الشرقية التي ـولاهم لضاع اكثرها ولا سيما تاريخ العرب والفرس والهنود وغيرهم . والعرب اول من وضع ـلمعجمات التاريخية والجغرافية واول من الف موسوعات العلوم (دائرة المعارف) التي يسميها ـلافرنج انسكلوبيديا وعنهم اخذها الافرنج ولا تزال باقية عندهم الى الآن



خليل الخوري

مؤسس الصحافة العربية في سوريا

ولد سنة ١٨٣٦ وتوفي سنة ١٩٠٧

تمهيد في النهضة العلمية الحديثة ونصارى الشام

نريد بالنهضة العلمية الحديثة الانتقال الذي اصاب آداب اللغة العربية في القرن الماضي على اثر اختلاطنا باهل التمدن الحديث واقتباسنا علومهم المبنيــة على المشاهدة والاختبار واقتفائنا آثارهم في انشاء المطابع والجرائد وغيرها من عوامل هذا التمدن. وكان العلم قبل هذه النهضة لا يزال على النمط القديم الذي بني على انقاض التمدن اليوناني والفارسي منذ نيف والف سنة . فكان معوَّلهم في الطب على ابن سينا والزهراوي وفي الحيوان على الجاحظ والدميري وفي الكيمياء على جابر والرازي وفي النبات على ابن البيطار وقس على ذلك سائر العلوم الطبيعية والرياضيــة . على انهم قلما كانوا يشتغلون بهذه العلوم وانما كان معوَّلهم في الاجيال الوسطى على العلوم اللسانيــة كالصرف والنحو والشعر وبعض العلوم

الادبية . وكان ذلك قاصرًا تقريبًا على المسلمين ولا سيما من حيث الشعر واللغة جريًا على سنة الاستمرار ولما جاءنا التمدن الحديث وقد حملهُ الينا نصارى الغرب كان نصارى الشام اسبق الى اقتباسه من المسلمين

واذا اعملنا الفكرة في تاريخ هذه النهضة في الشام على الخصوص رأيناها مرت في نموها على ثلاثة اطوار : الاول يبدأ بدخول ابراهيم باشا الشام سنة ١٨٣٢ وينتهي بحادثة سنة ١٨٦٠ لان ابراهيم حمل معهُ غرض ابيه من التقريب بين الطوائف المختلفة ليجتمع العرب تحت لوائه وينصروه في تأييد دولته . والتفت الى نصارى الشام على الخصوص لقيام بعض رجالهم في نصرته . وكانت مصر قد سبقت سائر المشرق الى انشاء المدارس على النمط الحديث ولا سيما الطب . وكان مع ابراهيم جماعة من الاطباء المتخرجين في مدرسة الطب المصرية واراد مثل ذلك للسوريين فاجاز لهم ارسال عدد من ابنائهم الى مدرسة الطب المصرية يتعلمون فيها على نفقة حكومتها — جعل ذلك قاعدة متبعة لم تبطل الا من عهد قريب

لم تطل اقامة ابراهيم في الشام فخرج منها سنة ١٨٤٠ وخلف في نفوس اهلها احترامًا للعائلة الخديوية ورغبة في وادي النيل وشوقًا الى علومه فأمهُ كثيرون تلقوا فيه الطب وغيره وعادوا الى بلادهم ينشرون ثمار رقيهم بين اهليهم وذويهم . فحدثت في نفوس القوم نهضة رافقها قدوم بعض جالية الافرنج من المبشرين وترغيب الناس في تعليم ابنائهم مجانًا فنبغ من نصارى الشام غير واحد من الادباء والشعراء كاليازجي الكبير وكرامة ومراش وحسون ودلال وبعضهم اشتغل بالعلوم العصرية كالدكتور مشاقة بالشام وآخرون بالتاريخ كطنوس الشدياق ونبغ في هذا الطور ايضًا مارون النقاش واضع علم التمثيل في اللغة العربية

ويبدأ الطور الثاني بالحوادث المشومة التي اصابت بلاد الشام سنة ١٨٦٠ فاهتزت جوانبها وانتقل المصابون من اهلها الى بيروت وداخلت فرنسا في شؤونها ووجدت سائر الامم وسيلة لانفاذ المبشرين فابتنوا المدارس الكبرى والفوا الجمعيات وطبعوا الكتب في العلوم الحديثة وغيرها فنشأت طائفة من الاطباء والعلماء والكتاب انشأوا الصحف والفوا الكتب اونقلوها او لخصوها . واصبحت بيروت مبعث العلوم العصرية ومنشأ رجال الصحافة وكتاب الادب والسياسة . وفي هذا الطور نبغ مؤسسو هذه النهضة وفيهم اشهر كتاب الشام وشعرائها في القرن الماضي كالبستاني واليازجي والشدياق واديب ونقاش وشميل ونقلا ونوفل ومداقة وخوري وغيرهم واكثرهم من المسيحيين اللبنانيين . ووافق ذلك قيام اسماعيل على عرش الخديوية المصرية وقد رغب الناس في النزوح الى مصر ونشط اهل الادب فنزح اليها جماعة منهم انشأوا

فيها الصحف ومثلوا الروايات والفوا الكتب ونظموا الشعر . وينقضي هذا الطور بالانقلاب السياسي الذي اصاب مصر على اثر الحوادث العرابية

والطور الثالث يبدأ بالاحتلال الانكليزي بمصر لتكاثر الوفود من ادباء السوريين في اثنائه الى وادي النيل للعمل بالادب او التجارة او خدمة الحكومة او الزراعة او غيرها وكان لهم شان كبير في الحركة العلمية والمالية والصحافية . وكانت الهجرة في اول الامر قاصرة على المسيحيين ثم تطرقت الى المسلمين فهاجر منهم جماعة من الكتاب والعلماء لاسباب لامحل لها هنا . فكأن الشام في الطور الثالث من نهضتها قد تقهقرت الى الوراء او انها وقفت حيث كانت . ويمتاز هذا الطور في بيروت بنبوغ طائفة من ادباء المسلمين اشتغلوا بالصحافة والعلوم الحديثة فضلاً عن الادب والشعر . فالنهضة العلمية في الشام مرت على ثلاثة اطوار يبدأ كل منها بفتح او ثورة ولا تزال في الطور الثالث

خليل الخوري

ولد سنة ١٨٣٦ في الشويفات من اعمال لبنان ثم انتقلت عائلته الى بيروت مهجر اللبنانيين ولاسيما بعد دخولها في حوزة الدولة المصرية على عهد ابراهيم ولم يكن فيها مدارس كبرى فتلقى مبادىء العلم في بعض المدارس الطائفية للروم الارثوذكس على ما تأذن به احوال ذلك العصر وكان فيه ذكاء ونشاط ونفسه تبغي العلى فطلب الرقي من طريق القلم ولا سبيل اليه يومئذ الا بخدمة الحكومة وهي عسيرة على غير المسلمين الا لمن تفقه بالعلم واتقن اللغة التركية فاخذ بتعلمها وتعلم اللغة الفرنساوية على اساتذة مخصوصين حتى اتقنهما تكلماً وكتابة . فتاقت نفسه للاشتغال بالقلم فاقدم على الصحافة وهو اول من فعل ذلك في الشام فانشأ جريدة « حديقة الاخبار » سنة ١٨٥٧ قبل انقضاء الطور الأول من هذه النهضة وهو في الحادية والعشرين من عمره . وما زالت تصدر وحدها في بيروت حتى صدر الجنان للبستاني سنة ١٨٧٠ وظلت الحديقة تصدر الى العام الماضي فاوقفها رحمه الله مراعاة لصحته

وافضت مصر الى سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وشخص الى الشام سنة ١٨٥٩ واقام في بيروت ثلاثة ايام فاحتفل به وجهاؤها وكان اذا مشى في الطرقات نثر الذهب على الناس فاحبوه ورغبوا في بلده . ولا يقدم على ذلك غير الاديب الهمام فشخص صاحب الترجمة الى مصر وكان ينظم الشعر من صباه فنظم قصيدتين رفعهما الى سعيد باشا وحظي بمقابلته فاعجبه ادبه وذكاؤه فعهد اليه ان يؤلف كتاباً في تاريخ مصر . فعاد الى سوريا والحرب الاهلية

ثانية اظفارها وقد جرت المذابح في دمشق وحاصبيا ودير القمر وغيرها والف الباب العالي لجنة دولية مندوبها العثماني فؤاد باشا الشهير فاحتاج الى مأمور يحسن التفاهم بينه و بين الناس فوقع اختياره على صاحب الترجمة فتعين في معيته وكان رفيقه في مهمته. ولما رجع فؤاد ظل خليل بمعية قبولي باشا الى الفراغ من تلك المهمة

وكان في اثناء ذلك يشتغل بتأليف تاريخ مصر ففرغ منهُ سنة ١٨٦٤ وقد صارت الخديوية الى اسماعيل باشا فحمل الكتاب اليه فاجازه بالفي جنيه . ولم نقف على ذلك الكتاب ولا سمعنا به قبل البحث عن ترجمة هذا الفقيد . وعاد خليل الى سوريا وقد اصبح موضع اعجاب رجال الدولة فجعلت الحكومة جريدته رسمية لنشر اوامرها واخبارها . ولما انشأت مطبعة سورية وجريدتها عهدت اليه بادارتهما واوعزت اليه حكومة لبنان على عهد فرنكو باشا ان يصدر جريدته باللغتين العربية والفرنساوية وبذلت له في مقابل ذلك ثلاثة الاف غرش كل شهر . وعهدت اليه الحكومة العثمانية تفتيش المدارس غير المسلمة في سوريا وعينتهُ مديراً للمطبوعات فيها وهي توالي عليه الانعام بالرتب والنياشين . ثم عينته سنة ١٨٨٠ مديراً للامور الاجنبية في ولاية سوريا وظل في هذا المنصب حتى احيل على المعاش قبيل وفاته

وكان له شقيق اديب اسمه سليم فيه نشاط اخيه وذكائه فاشترك مع سميه المرحوم سليم شحادة في تأليف معجم مطول في التاريخ والجغرافية لو تم لكان احسن ذخيرة لاداب اللغة العربية سمياه آثار الادهار . فتوفي سليم الخوري سنة ١٨٧٥ ولم يصدر من الكتاب الا بضعة اجزاء فتوقف العمل . وكانت تلك الوفاة صدمة قوية على صاحب الترجمة وخسارة كبيرة على اللغة العربية

صفاته واعماله

كان رحمه الله طويل القامة حيوي المزاج قوي البنية ابيض اللون اشهل العينين اسود الشعر بشوشاً مع هيبة ووقار . وكان دمث الاخلاق حسن المحاضرة رقيق الجانب ميالاً الى البساطة بعيداً عن الابهة والبهرجة رحب الصدر متوقد الذهن سريع الخاطر دقيق الاحساس وتظهر رقة شعوره على الخصوص في شعره الغزلي . وكان وجيهاً حسن الوفادة بيته منزل الولاة والوزراء يرتاحون فيه من عناء الاسفار . ولهُ صداقة مع اكبر رجال الدولة وكلمته نافذة عندهم ونال الاوسمة والنياشين من معظم دول اوربا فضلاً عن رتب الدولة العلية ونياشينها

وجمع الى الوجاهة والسياسة الادب والشعر فرافق هذه النهضة من اولها وكان له شأن في اكثر عواملها . فقد رأيت انه مؤسس الصحافة السورية وقد انشأ مطبعة نشر فيها عدة كتب . وهو من مؤسسي الشعر العصري وكان شاعرًا مطبوعًا يميل بشعره الى السهولة والرشاقة وقد نظم الشعر في صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته وله عدة دواوين مطبوعة اكثرها في الغزل والمديح والتهنئة والرثاء واكثر مدحه للسلاطين ورجال الدولة ولذلك سموه شاعر الدولة وكان لطريقته بالشعر العصري وقع حسن لدى المستشرق رينو الفرنساوي لنقل مثالاً منها الى اللغة الفرنساوية نشره في المجلة الاسيوية الفرنساوية وفي الديبا وغيرها . وذكره لامارتين الفرنساوي الشهير في مؤلفاته واثنى عليه واظهر اعجابه به وكانت بينهما صداقة ومراسلة . على انه كان صديقًا لكثيرين من ادباء معاصريه من شعراء الترك والفرس والعرب . واشهر دواوينه زهر الربى والعصر الجديد والسمير الامين والشاديات والنفحات وكلها مطبوعة وتحتوي على ما نظمه الى سنة ١٨٨٤ اما منظوماته بعد ذلك فهي مجموعة في ديوان كبير لم يطبع ويمتاز عن سائر الشعراء انه لم يستجد بشعره قط ولولا ضيق المقام لاتينا بامثلة من منظومه واحسنه في النسيب

وله فضلاً عن الشعر كتب ومقالات في مواضيع شتى اكثرها منشور في جريدته ومنها رواية النعمان وحنظلة المشهورة وهي التي نظمها بعد ذلك المرحوم الشيخ خليل اليازجي وسماها المروأة والوفاء وترجمها الى الفرنساوية ميشيل بك مرسق . وله رواية اجتماعية اخلاقية نشرها في الحديقة اسمها « وي اذن لست بافرنجي » وترجم عن التركية كتاب تكملة العبر لصبحي باشا وهو تتمة تاريخ ابن خلدون وطبعه . وتولى ادارة ترجمة الدستور التي قام بها المرحوم نوفل نوفل وطبع مجلديه الاول والثاني ونشر عدة كتب مفيدة . وله خطب كثيرة بعضها غير مطبوع وكان منشطًا للمشروعات الادبية او الخيرية من الجمعيات او المدارس او الصحف او غيرها

ولصاحب الترجمة حادثة غريبة في زواجه يندر اتفاقها ـ وذلك انه احب في شبابه نحو سنة ١٨٦٠ سيدة فاضلة من آل بسترس اسمها كاتبة ابنة موسى بسترس وكانت من العلم والادب على جانب عظيم وقد حال اهلها دون اقترانهما وزفت كاتبة الى وجيه من آل نوفل ثم توفيت وله منها ابنتان فتزوج خليل احداهما « ظافر » سنة ١٨٨٧ ولم تعش معه الاّ سنة رحمهما الله

صحة العائلة

الى المراة

كيف تحفظين جمالك

٢ — الهزال

كتبت المرة السابقة عن السمن آفة الجمال وا كتب اليوم عن الهزال لانه آفة لاتقل عن الاولى في تشويه محاسن الخلقة ومهما اجتهدت المرأة الهزيلة بتنميق ملابسها وتحسين ظواهرها فلا تجد سبيلاً الى اخفاء كل عيوب الجسم الناتجة عن هزاله • وقد قيل كل دبوس تنزعه المرأة من ثيابها يفضح لحسنها عيباً مستوراً • وقلما تجد امرأة مصابة بهذا النحول لاتفرغ الجهد في محاربته مستنجدة قوى الطبيعة الممكنة واني لا اذكر في حياتي ذات هزال صادفتها ولم يكن جل حديثها معي الاستفهام عن دواء ناجع لهذا الداء • فالاطباء والخياطات خير من تستجير بهم المراة عندما ترى نفسها محرومة من صفاء اللون وتناسب الشكل وامتلاء الوجه والصدر والاوراك — ولكن خدمة الطبيب اذا صحت احسن من خدمة الخياطة لان نتيجتها حياة الجسم حياة كاملة وهو الجمال الصحيح الباقي لاغش فيه ولاتغير • ولهذا احببت ان أقوم بالواجب نحو هذا الجنس الكلي القدرة فادله على طريقة يمكنه بها الاستغناء عن حشو الحرير والقطن والكاوتشوك وسائر تلك البضاعة المعروضة في بعض المخازن والتي يجفل من منظرها عف الازار كانها الحقيقة ماثلة امام عينيه

الهزال نوعان الاول خلقي لا يحرم صاحبه القوة والارادة والعمل وهو من صفات المزاج العصبي ذلك المزاج الذي لم تمنع مزاياه وفضائله أن يكون آفة على صاحبه بما يسبب له من الالم والانفعال • والثاني ناتج عن ضعف بعض الاعضاء وسوء التغذية فيؤول بصاحبه الى الضعف والانحطاط والذبول • وينطوي تحت سوء التغذية العادات السيئة كشرب الخل والابسنت والافراط في اتباع الشهوات والاجهاد العقلي والسهر والمقامرة والحر الشديد الى آخره • والهزيل يكون عادة طويل الجسم دقيقه خفيف

الاوراك ظاهر الاضلاع مستطيل العينين كبير الفم محدد الذقن كثير الاكل

العلاج : يتوهم الناس ان العقاقير كافية لتكسب الجسم سمناً ويساعد هذا الوهم على الانتشار بعض الاطباء الذين لا يحجمون عن اعطاء الادوية في هذا السبيل وقد انتشرت في السنين الاخيرة عادة الحقن تحت الجلد بمركبات الزرنيخ حتى صارت « مودة » يستبقها نساء سوريا ومصر وقد اظهرن والحق يقال شجاعة عظيمة بقبولهن وخز الابرة وان لم يكن من ورائها ألم • ولكن يا لخيبة الرجاء فان اكثر من استعمل الحقن لاجل السمن لم يصل الى غاية وما ذلك الا لان المداوي لم ينظر في حال المداوى واخلاقه وتصرفه في المعيشة وفاته ان السر في السمن ليس في الادوية والمركبات الكيمية

وصلنا الى النقطة الهامة والموقف الخطير — هنا ارى القارىء المتشوق يميل بكليته لمعرفة هذا السر الموعود به وهو يظن انني سأ كاشفه مخبآت الحقب وانشر له ما طوته الاجيال الغابرة في بطون الاساطير ومحاريب الآلهة ولا يخطر له في بال ان ما سأذكره من الوصايا البسيطة كاف ليقوده الى الغاية المقصودة — فالتغذية والرياضة والاستحمام امور سهلة التناول وكل واحد منا يعتقد انه يقوم بها حق القيام وقد جربها تسعة اعشار الذين يتمنون ان يسمنوا ولم تزدهم درهماً ومع ذلك فهي هي التي اريد ان احدث سيداتي الكرائم بفضائلها متى روعيت فيها شروط الاعتدال والحكمة

اما الغذاء فالعبرة فيه ان تقدم للمعدة طعاماً لا يتعبها • ولا يضر تقليل الكمية لان الطعام القليل على سهولة هضمه انفع من الكثير اذا لم يهضم • ولهذا لا يمكن هنا ان نحدد مقادير الغذاء فهي تختلف باختلاف الامزجة والمعد والاولى بالانسان ان يدرس نفسه بنفسه ويتفهم حالة استعداده الطبيعي • والغذاء القادر على الباس الجسم حلته الكاملة يجب ان يدخل في تركيبه كثير من الدهن والنشاء والسكر • فالخبز والسكر والارز والبيض والزبدة والاشياء المعجونة بالسكر والاثمار على انواعها ولاسيما اذا أخذت بالسكر كلها نافعة ولكن يجب مراعاة الاحوال الجوية والفصول فلا يكثر من الدهن مثلاً في الصيف لان المآكل الدهنية تفضل في الشتاء والاسماك واللحوم والمخ تؤكل ايضاً في الايام الباردة اكثر مما تؤكل في الحر • ولكن المعد القوية قد لا يؤثر فيها الاخلال بشروط استعمالها • ومما يحسن أخذه في الشتاء لدفع الهزال زيت كبد الحوت ولا يتوهم القارىء انها تذكرة طبية اخطها له بحكم العادة فزيت السمك غذاء لا دواء وهو جامع لعناصر كثيرة تقوي الدم وتفيد في التعويض عما ينفد من الجسم بالاحتراق وهو ابعد من

ان يكون نظير تلك العقاقير السامة التي تقوم بها وا أسفاه اكثر صناعتنا • وهاك خطة الغذاء التي يجب على المذيل اتباعها :

يؤخذ في الصباح قليل من الشوكولاتا او الشورباء المطبوخة بالشعيرية وبعد ساعتين طعام مؤلف من البيض الجديد ومعه شيء آخر ولا بأس بقليل من القهوة • وغداء الظهر لا يؤخذ الا بعد هضم سابقهِ هضماً تاماً وهو لحم او سمك مع الارز او المكرونة وصنف حلو كالارز باللبن او البيض باللبن (كريما) وفي المساء شيء قريب من هذا والمجال واسع في اختيار الصنف الموافق من امثال هذا الطعام وهو بالتغيير والتبديل لا يسبب ضجراً او قرفاً • ويكثر من العنب في ايامه لانه من انفع الاثمار واحلاها

واما الشراب فيسمح منه بالبيرا الطيبة وقليل من النبيذ الاحمر ويمنع الحوامض الا في التابل (السلطة) وحامض الليمون افضل من الخل

واما الرياضة فهي تنفع في الهزال كما تنفع في السمن بشرط ان لا يفرط الانسان في استعمالها . ووجه النفع فيها تهييج القابلية للاكل ومساعدة عمل الهضم ولا تتعذر الحركة على المرأة وامامها طرق متنوعة لاتيانها فالرقص نافع في ذاته ولكن لا كما ترقص فتاة اليوم بسرعة تقطع الانفاس وتنهك القوى وتسيل العرق صبًّا من الجسم • والنزهة اليومية ضرورية ولكن في المرأة استعداداً للقعود ولا سيما بعد الاكل فعليها محاربة هذه العادة والخروج كل يوم بعد غداء الظهر • واذا لم يتيسر لها الذهاب الى سان ستفانو او الجزيرة فعندها مخازن التجار الكبيرة وبيوت الخياطات الشهيرات • واذا لم تقبل بهذه ولا تلك فليس لها الا زيارة بعض صواحبها وهناك تفرغ ويفرغن ما في صدورهن من اخبار واحاديث يرتحن اليها فترجع وقد زال عنها العناء وطفح عليها السرور وهو اكبر عامل على سمنها

بقي علينا ان نقول كلمة عن الاستحمام : فالماء البارد لا يسمن بخلاف المألوف والمشهور عنه والافضل للهزيل استعمال الماء فاتراً كل يوم وسخناً كل خمسة ايام لان الماء السخن يجعل النسيج رخواً والخلايا واسعة فيسهل امتلاؤها والمرأة التي تباشر اللبس عند خروجها من الحمام السخن تتأكد هذا القول بما تلاقيه من الصعوبة في تركيب المشد وربطه

هذه هي النصائح التي احببت ان اسرّها الى سيداتي الكرام خفيفة نظيفة كما يرين خالية من كل تعقيد بعيدة عن الاقرباذين لا اثر فيها ليد الصيدلي ، ولا انسى ان اختمها بالتحذير من الحزن والحرب من كل مايكدر والتمتع ما امكن بعيشة الخلاء وملذات الطبيعة الطاهرة

الدكتور فياض

باب السؤال والاقتراح

السوريون في اميركا

(الاسكندرية) بطرس افندي الياس سمعان

كم هو عدد المهاجرين السوريين في اميركا وما هي ثروتهم وهل نفعها عائد على بلادهم ام هو منحصر في تلك القارة

الهلال — وافق وصول هذا السؤال وجود صديقنا امين افندي غريب صاحب المهاجر النيويوركي نزيل القاهرة الآن فكلفناه الجواب عليه لانه من اعلم الناس باحوال اميركا من سائر الوجوه فاجاب بما يأتي:

« عدد المهاجرين السوريين في اميركا غير معروف · ومعرفته حتى على وجه التقريب امر مستصعب الى حد ان يكون مستحيلاً لاسباب مهمة · منها ان المهاجرة من سوريا مع كونها المرجع الوحيد الصادق لمعرفة عدد المهاجرين الى اميركا هي غير قانونية ولا مضبوطة · وربما كان ثلاثة ارباع الذين يذهبون الى العالم الجديد يفعلون ذلك سراً بدون اعلام الحكومة خوفاً من تمنعها عن اجازة السفر لهم · ومع ان عدد ابناء سوريا في اميركا اصبح اليوم هائلاً بكثرته, لا نظن دفاتر الحكومة في بيروت ولبنان وما هنالك تشير الى وجود اكثر من بضعة آلاف نسمة

« واذا شئنا بعد ذلك ان نعد السوريين في اميركا باحصاء رسمي حالت دون ذلك عقبات كثيرة · منها انهم مشتتون في البلاد تشتيتاً غريباً يصعب لحاقهم فيها ومنها ايضاً ان بعضهم في بعض النواحي ولاسيما الولايات المتحدة قد امتزجوا بالاميركيين امتزاجاً نهائياً واصبحوا لايهمهم ان يذكروا انهم في الاصل سوريون وعندهم ان الرجل بعمله وحيثيته لا بانتسابه الى غيره

« ومما اتذكره ان بعض رجال الدين السوريين في اميركا اهتموا منذ سبع سنوات تقريباً باحصاء عدد ابناء رعاياهم المختلفة فحالت المشقات الكثيرة دون ذلك وابطل السعي

« ثم ان التقدير الخيالي وحده في هذا الموضوع لا يجوز التعويل عليه لان الفرق بين التقدير وبين الحقيقة قد يكون بكل سهولة عظيماً الى حد نصف العدد . خذ لك مثالاً على ذلك ان جمعية كنيسية اميركية في نيويورك احبت يوماً ان تقوم بخدمة السوريين في تلك المدينة وتجمع عددهم وانواع اشغالهم وطرق معائشهم في كتيب تنشره بين الاميركيين وتفهم الشعب شيئاً عن الجالية المقيمة بين ظهرانيه . ومع كل مقدرة الاميركيين على البحث ومواصلة السعي ومع كل معونة الجرائد العربية النيويوركية لتلك الجمعية في تسهيل الطرق وجدت صعوبة كلية قبل مباشرة العد الذي لم يفهم اكثر العامة اسبابه وغايته وجاء الكتيب المذكور ناقصاً . ومن كل اتعابها وارسالها الرواد والعدادين قالت في كتابها المذكور ان عدد السوريين في مدينة نيويورك يتراوح بين خمسة آلاف وعشرة آلاف نسمة

« فاذا كانت الحالة هكذا في مدينة واحدة هي ارقى مدن اميركا على الاطلاق والاحصاء فيها يجب ان يكون اسهل منه في غيرها ترى كيف يمكن احصاء القوم الضاربين في الوف الوف المدن من بلاد كولمبس . على اني ابسط هنا مقدمات يمكن للقارىء اللبيب الاستنتاج منها — اذا اراد الاستنتاج

« ابتدأت المهاجرة الفعلية من سوريا الى اميركا منذ خمسة عشر عاماً . اي انه قبل ذلك العهد لم تكن المهاجرة بالنظر الى عددها شيئاً يستحق الذكر . وصارت تتدرج في كثرتها شيئاً فشيئاً حتى ان معدل الداخلين الى الولايات المتحدة من السوريين بلغ في العام الماضي نحو ستة آلاف نسمة . ولا يمكننا القياس بذلك على السنين السابقة . اولاً لاننا لا ندري كم كان التدرج كبيراً بين السنين ولا دفاتر ادارة المهاجرة الاميركية تفيدنا شيئاً لانه ما كل السوريين مقيدة اسماؤهم فيها تحت اسم سوريين . فهنالك الاتراك والعرب والمصريون وغير ذلك مما يمكن ان يكن شاملاً سوريين وغيرهم في وقت واحد

« ثم ان الولايات المتحدة هي في ما يقال المهجر الاكبر . هذا ما اتفقت عليه جرائد الناحيتين الشمالية والجنوبية بمعنى ان السوريين في الولايات المتحدة هم اكثر منهم في غير مكان ويقال والعهدة على القائلين ان عدد السوريين في الولايات المتحدة يتراوح بين مئة الف ومئة وخمسين الف نسمة . وانا شخصياً اظنه حوالي مئة الف . ومع كون المبالغة ممكنة وقريبة في هذا الصدد لا يستطيع من يتجول في بلاد واشنطون ان ينسب ذلك الى المبالغة . لانه قلما يجد مدينة او قرية من تلك المدن والقرى التي لا تعد الا يجد فيها اثراً للنطق

بالعربية · وقد اجمع المحققون والخبيرون من اولئك المهاجرين على ان حركة الرجوع من اميركا الى سوريا ليست كبيرة الى حد ان تؤثر على تقدير العدد · وبالعكس الزيادة فانها متواصلة بنمو غريب

« وبعد الولايات المتحدة تأتي البرازيل بكثرة عدد السوريين فيها ويوجد من ينازع هذا الرأي ويعتقد ان البرازيليين من اخواننا مثل الاميركيين عدداً ان لم يكونوا اكثر · وقولنا الاميركيين هنا نعني به السوريين الساكنين الولايات المتحدة · والصعوبات التي تحول دون احصاء السوريين في الجمهورية الشمالية الكبرى توجد اضعافها في البرازيل وبعد ذلك تأتي جمهورية الارجنتين في الجنوب ثم المكسيك في الشمال وهلمَّ جراً

« وخلاصة القول ان عدد السوريين المهاجرين في اميركا غير معروف ولا يمكن ان يعرف وانما يجوز ان يقال ان في العالم الجديد كله نحو اربعمئة الف نسمة ونحن نعلم ان هذا القول يحتاج الى اثبات ونشكر كل الشكر لمن يثبت لنا قولاً سواه

« ومن سوء الحظ ايضاً ان ثروتهم مجهولة اكثر من عددهم · ففي مدينة نيويورك وحدها نحو مئة تاجر سوري لا يقل مجموع دائرة اشغالهم تصديراً وتوريداً عن عشرة ملايين ريال سنوياً · والارباح تتراوح بين الخمسة والعشرة في المئة لكن النفقات الشخصية اصبحت اليوم تعادلها · والسنة المالية الحاضرة التي تنتهي في الولايات المتحدة في شهر حزيران (يونيو) ستكشف للسوريين في نيويورك عن خسائر جسيمة بداعي الضيق المالي الذي جرى وما اجرى على اثره من وقوف الشغل ومن الافلاسات · اما في داخلية الولايات المتحدة فالارباح بوجه العموم احسن منها في المدينة والمصاريف اخفُّ · ويوجد من السوريين افرادٌ متموّلون الى درجة حسنة ولكن لا احد في ما نعلم يتجاسر على ابداء رأي في ما يمكن ان تكون درجة الثروة العمومية · فالاشغال متنوعة تتناول كل صنف في كل مكان · ورؤوس المال لا تعرف من مجرد رؤية الاشغال · والاموال المودعة في المصارف كثيرٌ منها نائمٌ في سبات عميق لا يتحرك ولا ينمُّ على وجوده بشيء · وبينما الواحد يشتغل بعشرة آلاف ريال ويربح الفاً في السنة ترى غيرهُ يشتغل بألف فقط ويربح الفين · وبينما صاحب الخمسين الف ريال يعيش على طريقة لا تشير الى وجود شيء من المال بين يديه ترى غيرهُ يعيش كاصحاب الملايين وانت لا تدري من اين يجلب المال · وهكذا تجد ان اهل بابل بعد غضب الله عليهم لم يكونوا اشدّ جهلاً باحوال بعضهم بعضاً مما في اميركا متى جاء دور الاحصاءات الرسمية

«اما اذا كان هذا النحل الخارج من خلية سوريا يمتص عصارات الزهور في مشارق الارض ومغاربها يعود يوماً او يرسل جناه الى خليته الاصلية فمجرى الاحوال الحاضر يدل على ان سوريا قد نالت نصيبها من العالم الجديد وصار عليها ان تكتفي بما نالت

«وقد اشترى المهاجرون الى اميركا اراضي واسعة في سوريا لم يستطيعوا ان يستثروها . وقد شادوا منازل كثيرة ولم يقدروا ان يسكنوها . وقد حنوا الى ارض جدودهم حنين الابل الى الماء ولم يستطيبوا الاقامة فيها . وقد اصبحت الافكار منذ الآن فصاعداً منصرفة الى رأي الشاعر القائل

وما وطن الانسان غير الموافق وما اهله الادنون غير الاصادق

« فلو قدَّرنا ان الرغبة الشديدة في الرجوع من اميركا الى سوريا الكامنة في قلوب الاغنياء من السوريين المهاجرين هي رغبة يمكن ادراجها يوماً الى حيز التصميم والسعي لشد الرحال نجد ان التصميم نفسه يقتضي من الوقت لتصفية الاشغال على طريقة موافقة ما تقصر دونه مدة الحياة انا اعرف كثيرين من التجار يقول واحدهم انني ارضى بتصفية اشغالي مع خسارة الف ليرة ان امكنني ذلك وسامع هذا القول يعلم منه اولاً كم هناك من الصعوبة في سبيل تصفية الاشغال وكم من تردد بعد ذلك في قبول خسارة الالف ليرة . والاموال كما هو معلوم مثل الاولاد (كما كثروا كما عزوا)

« ولا عبرة بما نراه من رجوع بعض الافراد الى سوريا واقامتهم فيها اولاً لانهم ليسوا بالنسبة الى مجموع المهاجرين من اخوانهم سوى نقطة في بحر . وثانياً لان وجودهم في سوريا بحالة حسنة هو عينه يشبه مجرى كهربائياً يندفع في قلوب جيرانهم ويحركها على السفر الى اميركا اقتداء بهم . فاذا جلب المهاجر الواحد من اميركا الى سوريا مبلغ الف ليرة لا شك ان سوريا تنتفع بوجود هذا المال فيها لكنها تفقد مقابلة قوة مئة رجل من الذين يدفعهم اتيان هذا المال الى محبة السفر . » انتهى

اقتراح على الشعراء

نرجو من حضرات الشعراء نظم هذا المعنى في بيتين وهو «العقل لا يبطل عمله ما دمت في يقظة فاستخدمه في ما يفيد لانه كالنار الموقدة اذا لم تستخدم حرارتها ذهبت ضياعاً»

وموعد نشر الاجوبة في الهلال القادم

الاسلام والتمدن

(الاسكندرية) سعيد افندي سليم

لابد انكم اطلعتم على اقوال اللورد كرومر في كتابه « مصر الحديثة » عن الاسلام والمدنية وما نشرته الجرائد الاسلامية من الرد عليه · وبما انكم من اكثر كتاب هذا العصر اشتغالاً بالاسلام والتمدن فنرجو ابداء رأيكم في « هل الاسلام يخالف مجاري التمدن او يقف في سبيل الارتقاء الاجتماعي » وعهدنا بكم الاخلاص في الحكم والصراحة في القول · ولا عذر لكم في السكوت عن هذا السؤال لاننا نطلب الجواب عليه بالنظر الى القواعد الاجتماعية وهي من ابحاث مجلتكم

(الهلال) اذا تخالف الدين والمدنية ولم يكن بدٌّ من اجتماعهما فلا مندوحة عن تعديل احدهما حتى يوافق الآخر · فاذا اقتضت المدنية امراً يخالف قاعدة من قواعد الدين فعلينا ان نعدّل ذلك الامر حتى يوافق تلك القاعدة او نؤولها حتى توافقه · مثال ذلك : كان المفهوم من كتب الدين مثلاً ان الارض ثابتة والفلك يدور حولها وهو رأي قدماء الفلكيين فلما ثبت بالعلم الحديث ان الارض تدور لم يعدم رجال الدين وسيلة لتأويل اقوال الكتب حتى توافق هذه الحقيقة · وفي سفر الخليقة نصٌّ صريح ان الله خلق العالم في ستة ايام فلما ثبت بعلم الجيولوجيا ان الخلق لم يتم الا في مئات الالوف من السنين هان عليهم تفسير قول التوراة بان المراد باليوم من قول موسى دهرٌ من الادهار الطويلة وقس على ذلك سائر ما ثبت من الحقائق العلمية

ويقال نحو ذلك في الحقائق الاجتماعية فاذا اقتضى تمدن القوم العمل بمبداء اجتماعي يخالف بعض نصوص الدين وثبت للقائمين بامرهم فائدة ذلك المبداء في اجتماعهم فسروا آيات الكتاب بما يوافقه ـ فالنصرانية مثلاً ليس فيها نص صريح يمنع اتباعها من التزوج بامرأتين فاكثر ولو شاؤوا لكان تعدد الزوجات جائزاً عندهم ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة اقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها وكان ذلك شائعاً في الدولة الرومانية فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امرأة حراماً كما هو مشهور · وبعكس ذلك الزواج عند المسلمين فالقرآن أجاز تعدد الزوجات بشرط اذا روعي كان الزواج بغير واحدة محرماً · ولكن المسلمين وهم العرب في صدر الاسلام اقتضت سياستهم الاستكثار من النسل ليتكاثر عددهم ويقووا على الاحتفاظ بالملك الذي فتحوه

وهم قليلون (١) ووافق ذلك كثرة ما احرزوه من السبايا في اثناء الفتوح فضلاً عن زيادة النساء على الرجال بعد الحروب التي قتل فيها الالوف من الرجال فلم يعدموا تاويلاً يجيز لهم التزوج بغير امرأة

واعتبر ذلك في سائر ما يظهر من التخالف بين الدين والمدنية • ولا يؤخذ مما تقدم ان الدين يتبع المدنية دائماً بل هي كثيراً ما تذعن له صاغرة اذا كانت مصلحة الامة في جانبه فالمدنية الحديثة مثلاً تقتضي اطلاق الحرية الشخصية فاذا لم يكبح الدين جماحها آلت الى تفشي الفحشاء والفوضى وسائر الرذائل

يقولون ان التمدن الحديث يفصل بين الدين والسياسة فهل هو يفصل بين الدين والاجتماع؟ ولو امعنت النظر لرأيت للدين أثراً في كل سبب من اسباب هذا التمدن لانه جزء من وجدان الامة وهو أساس آدابها الاجتماعية ومرجع معاملاتها العائلية فضلاً عن دخوله في الشرائع والاحكام لاستيلائه على آراء الشارع والقاضي والامير والوزير ان لم يكن بالتلقين فبالارث او بالفطرة • ففصل الدين عن السياسة او عن الاجتماع فصلاً تاماً مستحيل فلا بد من التوفيق بينهما على الاسلوب الذي قدمناهُ

والتوفيق بين هذين العاملين يختلف اسلوبه في الامة الواحدة باختلاف اطوار مدنيتها وفي المدنية الواحدة باختلاف اطوار الامة الواحدة وتباين احوال الامم المختلفة • فترى الدين الواحد مساعداً لبعض الامم على الرقي العمراني وتراه في الامة الاخرى من اكبر علل تقهقرها • وتراه يلائم الامة الواحدة في طور من اطوار تمدنها ولا يلائمها في طور آخر الا بالتعديل او التاويل • فالنصرانية اتخذتها الدولة الرومانية وطبقتها على ما يوافق تمدنها وعدلت تمدنها حتى يوافق النصرانية واصبحت مدنية الرومان وديانتهم متلائمتين وتعاشرتا قروناً متوالية • فلما ذهب التمدن الروماني وقام التمدن الحديث على قواعد تختلف عن قواعد ذاك لم ير اصحاب هذا التمدن بدًّا من التوفيق بينهُ وبين الدين بالتفسير او التأويل او التعديل لا يرون في ذلك بأساً • فأولوا طول عمر الخليقة كما تقدم وعللوا اعمار الآباء الاولين الطويلة فقالوا ان المراد بها اعمار القبائل لا الاشخاص وعدلوا خبر الطوفان وكان المفهوم من كتب الدين انهُ عم الارض كلها فلما ثبت بالعلم انهُ لم يعمها لم يعدموا وسيلة لتأويل المراد بلفظ الارض في الكتاب • وقس على ذلك — وقد يكتفي بعضهم باستقلال الدين عن العلم فيقول « ان كتب الدين انما

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٠ ج ٤

نزلت لترشد الناس الى خلاص نفوسهم لا لتعليم الطبيعيات او الفلك او الطب ، ولكن العاقل الذي يحترم الدين يشق عليه ان يكون بينه وبين العلم الصحيح تناقض فيسلم الى التأويل

والاسلام ونريد به القرآن لم ينقصه شيء من عوامل التمدن فقد تضمن قواعد الاجتماع والسياسة والحرب وغيرها . وهو اساس التمدن الاسلامي الذي بهر العالم بشريعته وسياسته وابهته وعلومه وآدابه مما لم يدركه تمدن قبله . ومع ذلك فقد اضطر اصحابه الى تأويل بعض الآيات لتلائم بعض الاغراض السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية اوغيرها . ونقتصر هنا على ما يتعلق بالاجتماع كتعدد الزوجات وتضييق الحجاب وسهولة الطلاق فقد اولوها لتوافق احوالهم الاجتماعية او السياسية في ذلك العهد . لكن ذلك التأويل يخالف ما يقتضيه التمدن الحديث وهذا اهم ما ينتقدونه على الاسلام اليوم . لان تضييق الحجاب يقف في سبيل تعليم المرأة . وتعدد الزوجات وسهولة الطلاق يشوشان نظام العائلة — ولا يرتقي شأن الامة ما لم ترتق المرأة وتنتظم العائلة

فالحجاب الضيق الذي ينتقده اصحاب التمدن الحديث على المسلمين انما هو من ثمار التمدن الاسلامي وليس من قواعد الاسلام . وحيثما أشير الى الحجاب في القرآن أريد به ستر العورة كتغطية الرأس او اليدين ولا بأس منه . ولكنهم ينتقدون الحجاب الضيق اي حبس المرأة في بيتها والتضييق عليها وسببه شيوع التسري في صدر الدولة لكثرة الجواري الحسان من السبي او الرقيق وكان الرجل قبل ذلك لا يعرف غير امرأته فتشتتت شعائره بين عدة نساء واختلفت الظنون بينه وبينها وهو صاحب العصمة ورب العائلة فسد في وجهها الدروب واقام عليها الارصاد والعيون لانه ساء الظن بها وخافها فغادرها تجالس الخدم والجواري واعلن ارتيابه من امانتها واصبح يفتخر بانها لا تخرج من المنزل الا الى القبر . ومعاملة المرأة على هذه الصورة يخالف تعاليم القرآن وانما اجازه المفسرون ليوافق احوالهم الاجتماعية . فالقرآن يأمر بالمودة والرحمة بين الزوجين وهذا نص الآية « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقوله « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » وقوله « وعاشروهن بالمعروف » . ولكن الرجل ابى الا الاستبداد والاستئثار ولا سيما بعد انقضاء عصر العلم اذ اقتصر الفقهاء على النظر في الابحاث الدينية الجدلية وخيم الجهل على العقول كما اصاب النصرانية في الاجيال المظلمة فأخذوا يفسرون الآيات والاحاديث على ما يوافق اميالهم واهواءهم . وكانت الاحكام قد فسدت واستبد الحكام

في الناس فعادت عاقبة ذلك على المرأة المسكينة

وتعدد الزوجات اجازه المسلمون في صدر الاسلام للاسباب التي قدمناها بالتأويل والتفسير. اما القرآن فقد اجازه بشرط العدل بين النساء ثم قال ان العدل لا يستطاع وهذا نص الآية « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » وقال في محل آخر « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » فاذا جمعت بين الآيتين رأيت فحواهما اقرب الى النهي عن تعدد الزوجات منها الى الامر به . ولذلك رأيت الغالب في العقلاء واهل المروأة ان يكتفوا بزوجة واحدة وكان ذلك سهلاً في عصر التسري اذ قد يأتي النسل من بعض الجواري فلا يجد الرجل ضرورة للاضرار رغبة في النسل . على ان تعدد الزوجات ظل متبعاً في اهل الفضيلة والعقل الى اليوم ولكن على قلة . واذا احصي المتزوجون بغير امرأة لا نظنهم يزيدون على خمسة في المئة او عشرة من مجموع المتزوجين وهم في الغالب من العامة واذا كانوا من الخاصة فقد فعلوا ذلك لاسباب قهرية

وكذلك الطلاق فالعقلاء يذهبون الى كرهه بناء على بعض الآيات الواردة في هذا الشأن كقوله « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما » وقوله « وان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً » وفي الحديث « ابغض الحلال عند الله الطلاق »

وقس على ذلك كثيراً من قواعد الاسلام التي تظهر مخالفة لمجاري التمدن الحديث و يمكن تفسيرها بما يوافقه . فيقال بالاجمال ان ما ينتقدونه على المسلمين من عوائق المدنية ليس من الاحوال الثابتة او هو يمكن تفسيره على الاقل بما يوافق روح هذا التمدن . ولا يليق بابناء القرن العشرين ان يعودوا الى ما كان عليه اهل القرون الوسطى الذين كانوا اذا ارادوا تحقير امة فاخروها بدينهم ولا يزال عند بعض كتاب الافرنج بقية من هذه العادة لما يقرأونه من مطاعن عصور التعصب على الاسلام وهم لا يعرفون عنه الا قليلاً فلا ينبغي الالتفات الى ما يقولون . كما اننا نعتب على بعض اخواننا المسلمين الذين يتطرقون من الدفاع عن الاسلام الى الطعن في النصرانية وهذا ايضاً من بقايا تلك العصور المظلمة

فالمدنية تتقلب في نموها وارتقائها على اطوار مختلفة وربما دخل الدين في بعض شؤونها وعارضها في بعض احوالها . و يختلف ذلك باختلاف الاديان . فالنصرانية مثلاً دين ايمان ومحبة وشعور رقيق وآداب سامية وزهد وتقشف فلا دخل لها في التمدن الا من بعض احوال

الاجتماع ولا يخشى وقوفها في طريقه . واذا وقفت ولم يمكن تأويلها ظل التمدن في سبيـ[ـله]
خالفها كما حدث بمسألة الطلاق في اوربا واميركا لهذا العهد فان الامم المتمدنة تجاوزت [فيه]
احكام الدين بلا تأويل ولا تعديل . اما الاسلام فانه دين سياسة واجتماع وحرب ا[قام]
المسلمون على احكامه دولاً لها نظامات سياسية وادارية وعسكرية واجتماعية . فالسيا[سة]
فيه متحدة بالدين فاذا اقتضى التمدن الحديث ما يخالف احكامه لا يستطاع تجاوزها الا
بالتأويل والتفسير . وهذا ما يتوخاه عقلاء المسلمين اليوم

فاللورد كرومر لو انصف الاسلام لا كتفى بانتقاد ما هو شائع بين المسلمين من عوائق
التمدن واعترف بالنهضة التي نهضها عقلاؤهم لازالة هذه العوائق وقد الفوا الكتب وجردوا
اقلامهم والسنتهم لمحاربتها . فكتب المرحوم الشيخ احمد فارس ثم قاسم بك امين
بوجوب رفع الحجاب عن المرأة المسلمة وترقية شأنها بالعلم والتربية . وصوت قاسم بك
امين وانصاره لا يزال يرن في آذاننا حتى الساعة . وجاهر المرحوم الشيخ محمد عبده
بوجوب تفسير القرآن تفسيرًا يوافق العلم الحديث وافتى بمسائل عديدة تسهل المعاملة
بين المسلمين وغيرهم من ارباب التمدن الحديث . وقام هو واصحابه يحاربون البدع
ويقولون بابطالها لانها تخالف هذه المدنية . وكتب آخرون يقولون بفصل الدين عن
السياسية لئلا يتخالفا فيبعث تخالفهما على الوقوف في سبيل المدنية

فالمسلمون في نهضة اصلاحية اذا خلوا فيها لا يبقى بين الاسلام والمدنية تخالف ولا
يخشى وقوفه في سبيل الارتقاء الاجتماعي



حافظ والسوريون

اشترك جماعة من فضلاء السوريين وادبائهم في اكرام حافظ افندي ابراهيم الشاعر
المشهور اعترافاً بما في منظومه ومنثوره من حسن الظن بالسوريين . احتفلوا بذلك في
فندق شبرد مساء ٢٤ مارس الماضي اجابة لدعوة مجلة سركيس . وسركيس افندي هو
مقترح ذلك الاحتفال مثل تفننه في سائر اعماله . وقد اراد به التقريب بين المصري
والسوري وصرح في دعوته « ان الغرض الاصلي من هذا الاحتفال اكرام الامة المصرية
جميعها في شخص شاعرها واحد ابنائها وازالة ما علق ببعض الاذهان من سوء التفاهم »
فافتتح في مجلته اكتتاباً جمع به مبلغاً اشترك في ادائه السوريون باربعة اقطار الارض مما يدل
على رغبتهم جميعاً في اكرام المصريين . وكانت الحفلة شائقة حضرها المكتتبون وجماعة من

نخبة فضلاء المصريين والقيت فيها الخطب وتليت القصائد وكلها ترمي الى توطيد عرى المودة بين مصر وسوريا . فبدأ صاحب الدعوة ببيان الغرض من الحفلة ثم تليت الخطب والقصائد وهي :

خطبة في الشعر والشعراء لسليمان افندي البستاني

قصيدة « مصر وسوريا » لنقولا افندي رزق الله

خطبة في اكرام الرجال لسليم بك باخوس

قصيدة « مقام ابراهيم » للامير شكيب ارسلان

خطبة بما يناسب المقام لاسماعيل بك عاصم

قصيدة « حافظ بين مصر وسوريا » لامين افندي البستاني

خطبة بهذا المعنى لرفيق بك العظم

قصيدة « شعر المهاجرين » لاسعد افندي رستم

كتاب من ادارة مرآة الغرب بنيويورك موضوعه تحية الصحافة للشعراء

قصيدة « تحية النزيل لشاعر النيل » للدكتور شدودي

وفي اثناء ذلك قدموا لحافظ قلماً (ريشة) من ذهب وارداً من جمعية رواق المعري بالبرازيل ودواة من فضة جميلة الصنع . واخيراً انبرى حافظ وانشد قصيدة نظمها لهذا الاحتفال هذا نصها :

لمصر أم لربوع الشام تنتسبُ : هنا العلى وهناك المجد والحسبُ
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما : قلبُ الهلال عليها خافق يجب
خدران (للضاد) لم تهتك ستورهما : ولا تحوّل عن مغناهما الادب
أمُّ اللغات غداة الفخر أمهما : وان سألتَ عن الاباء فالعرب
أيرغبان عن الحسنى وبينهما : في رائعات المعالي ذلك النسب
ولا يمتّان بالقربى وبينهما : تلك القرابة لم يقطع لها سبب
اذا ألمت بوادي النيل نازلة : باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعي في ثرى الاهرام ذو ألم : اجابه في ذرى لبنان منتحب
لو اخلص النيل والاردنّ ودّهما : تصافحت منهما الامواه والعشب
بالواديين تمشى الفخر مشيته : يحف ناحيتيه الجود والدأب
فسال هذا سخاء دونه ديم : وسال ذاك مضاء دونه القضب

نسيم لبنان كم جادتك عاطرة — من الرياض وكم حياك منسكب
في الشرق والغرب انفاس مسعرة — تهفو اليك وا كباد بها لهب
لولا طلاب العلى لم يبتغوا بدلاً — من طيب رياك لكن العلى تعب
كم غادة بربوع الشام باكية — على أليف لها يرمي به الطلب
يمضي ولا حلية الا عزيمته — وينثني وحلاه المجد والذهب
يكرّ صرف الليالي عنه منقلباً — وعزمه ليس يدري أين ينقلب
بأرض (كولمب) أبطال غضارفة — أسد جياع اذا ما ووثبوا وثبوا
لم يحمهم علم فيها ولا عدد — سوى مضاء تحامى ورده النوب
أسطولهم أمل في البحر مرتحل — وجيشهم عمل في البر مغترب
لهم بكل خضم مسرب نهج — وفي ذرى كل طود مسلك عجب
لم تبد بارقة في أفق منتجع — الا وكان لها بالشام مرتقب
ما عابهم أنهم في الارض قد نثروا — فالشهب منثورة مذكانت الشهب
ولم يضرهم سرالا في مناكبها — فكل حي له في الكون مضطرب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا — الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
أو قيل في الشمس للراجين منتجع — مدوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت — أم اللغات بذاك السعي تكتسب
فأين كان الشاميون كان لها — عيش جديد وفضل ليس يحتجب
هذي يدي عن بني مصر تصافحكم — فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة الا الشام عاج على — ربوعها من بنيها سادة نجب
لولا رجال تغالوا في سياستهم — منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم — فانما الفخر في الذنب الذين كتبوا

ثم ختمت الجلسة وهي اول جلسة من هذا النوع

قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩٠٨

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩٠٨ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

الفراغ مفسدة

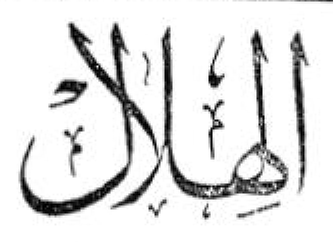
من نظم مصطفى افندي صادق الرافعي الشاعر المعروف نقلا عن الجزء الثاني من ديوان «النظرات» تحت الطبع

مكانك إنما الدنيا زحامُ ... وغاية كل من فيه الأمامُ
وليس لدى الطبيعة من فراغ ... والأ ما استقام لها نظامُ
فان ضاقت مذاهبها اماتت ... فما حيٌّ له فيها دوامُ
ولو أنَّ الورى فيهم فراغٌ ... لتمَّ بعودة الموتى الزحامُ
تأمَّلْ هذه الدنيا تجدها ... من الساعات آلتها الانامُ
فليس يُرى لظاهرها نظامٌ ... اذا ما كان داخلها اصطدامُ
فلا تجعلْ فراغك غيرَ نفعٍ ... فذاك الصدْعُ للعمْرِ انثلامُ (١)
أضِعْهُ كما تشاء وضعه انى ... أردتَ بشرط انك لا تلامُ
فعامك في البطالة كالثواني ... وإن دقيقةً نفعتك عامُ
ولا تخشَ المتاعب واحتملها ... فليس بهمَّة يَغنى الهمامُ
اذا لانَ الحسامُ لعلّةٍ لا ... يلين لعلّة الرأس الحسامُ
عجبت لمن يرى الدنيا ويحيا ... بلا عملٍ ولا أملٍ يرامُ
تمرُّ به الحوادث صادحاتٍ ... وليس له بما يجري اهتمامُ
وفي بحر الحياة تراه صخراً ... على جنبيه للموج التطامُ
ويزعمُ أنه يفني الليالي ... وليس بنقصهنَّ له تمامُ
يعزُّ عليه أن يسعى لعزٍّ ... فكيف تراه يَسأمُ مايُسامُ
وان يجد الفراغ شبيه موتٍ ... فذلك كلما فرغ الطعامُ
فيا أهل الفراغ أرى حياةً ... يُشابهها بمعناهُ الحِمامُ
فانتم في قصوركمُ لحومٌ ... وانتم في قبوركمُ عظامُ

مصطفى صادق الرافعي

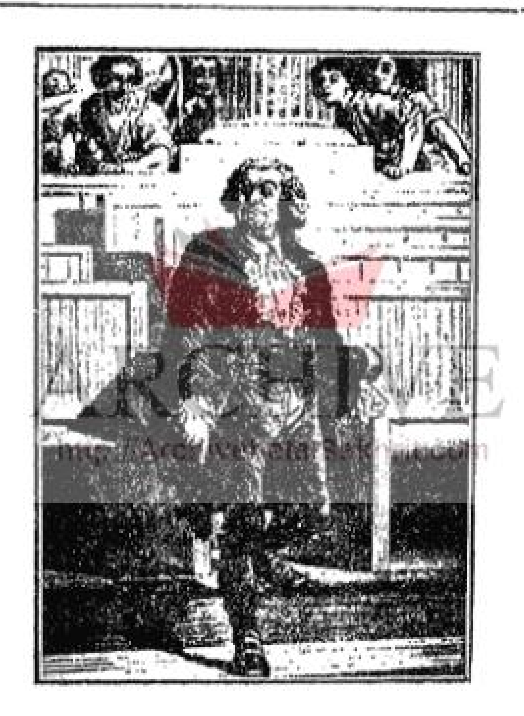
---

(١) يريد بذاك الصدع الفراغ نفسه



الجزء الثامن من السنة السادسة عشرة

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٨ و٣٠ ربيع اول سنة ١٣٢٦



ميرابو

خطيب الثورة الفرنساوية

يخطب في مجلس الامة



الثورة الفرنساوية

٣ – نتائج الثورة

١ – اعلان حقوق الانسان

عوّل مجلس التشريع عملاً برأي لا فايت على نشر المبادىء التي يشاد على دعائمها المجتمع الجديد قبل وضع الشرائع لتنظيم شؤون فرانسا المتجددة : فبعد البحث الدقيق وضع مواد حقوق الانسان وطبعها في اكتوبر سنة ١٧٧٩ واليك بنودها الاساسية :

« يولد الناس احرارًا و يعيشون لذلك وكلهم متساوون في الحقوق · والحقوق هي الحرية والتملك والامن ومقاومة الجور · وقوام الحرية ان يستطيع الانسان العمل بكل ما يريد من غيران يضرّ بغيره »

« مبدأ كل سلطة يرجع الى الامة »

« والشريعة هي مظهر الارادة العامة ويحق لكل الوطنيين ان يشتركوا ذاتياً او بواسطة نوابهم في سنها ويجب ان تكون سواء للكل »

« وكل الوطنيين في حكمها سواء · ولذلك يمكن لجميعهم الدخول في المناصب والوظائف على نسبة اقتدارهم وذكائهم »

« لا يمكن ان يُشكى على انسان أو يقبض عليه او يحبس الاّ في ظروف يحددها القانون وعلى النهج الذي يسنّهُ »

« ولا يجوز ان يزعج احد بسبب آرائه ولو كانت دينية مالم يكن اظهارها مضرًا بالامن العام الذي ايدهُ القانون · ولكل وطني ان يتكلم اويكتب او يطبع بملء الحرية »

« وان توزع الضرائب على جميع الوطنيين بالسواء كلّ على قدر طاقته »

« وان التملك حق مقدس لا يستطيع احد انتزاعهُ مالم تدع المصلحة العامة اليه وتكون الحاجة لذلك قد ثبتت ثبوتاً قانونياً لا مناص منه وقد عوض عنهُ بثمن عادل · »

« ان من مبادىء الثورة ان تكون السلطة للامة وان جميع افرادها متساوون في الحقوق يتمتعون بالحرية ويأمنون على اشخاصهم وما يملكون حتى من الحكومة وشعارها الحرية والمساواة والاخاء »

٢ — مبادىء المجتمع الجديد

انتسخ التفاضل وصار الفرنساويون في حكم القانون سواء لا مميزة بينهم في الضرائب ولا في حق البكور ولا في حق ملاك على آخر . واضحت الشريعة لا تعترف بحقوق النسب وأتيح لجميع الناس تقلد المناصب من غير اختصاص بذوي الاحسان فنال الاوساط معظمها حتى صار اكثر العال منهم في القرن التاسع عشر وليس بينهم شريف او وجيه

واعتقت املاك الفلاحين من مرتبات الاشراف والمكوس الفادحة فازدادت قيمها

نبيعت الاملاك التي تخلى عنها الكهنة عام ١٧٨٩ والتي حجزتها الحكومة من ممتلكات المهاجرين فاشتراها الوطنيون . وصار ثلث الارضين في فرنسا في ايدي المزارعين الصغار (١) . واصبحت المهن حرة ابداً واصبح في وسع كل واحد من الناس اصطناع ما يريد على الشكل الذي يختاره . وصارت التجارة حرة وليس ثمة احتكار ولا حصر على البيع . ووزعت الضرائب بالسواء على الاهلين كل على قدر ماله واستبدل مجلس التشريع المكوس بضريبة عقارية توضع على البيوت ولا يستثنى من حكمها احد من الملاكين . واستعاض عن الجزية بمال الاعتاق والمنقولات والغى الضرائب غير المقررة على الخمور وهي التي اعادها نابليون تحت اسم الرسوم الموحدة غير ان الحكومة عدلت عن تلزيمها للافراد وشرعت تعهد بجبايتها لمأمورين وشرعوا ينظمون الميزانية سنة فسنة قبل حلول زمانها بحيث يستطاع بها المعادلة بين الدخل والخرج ولا تستطيع الخزينة ان تدفع مبلغاً من غير حوالة قانونية — واصبح دائنو الحكومة في أمن على ربا اموالهم يقبضونه في ابانه وجعلوا يقيدون ديون الحكومة في دفتر الديون العمومية الكبير منذ عام ١٧٩٣ بحيث لا يمكن التمييز بين الديون التي عقدتها الجمهورية والديون التي عقدتها الحكومة « الاستبدادية »

ثم ان الثورة وضعت مبدءاً مؤداه ان الامة وحدها هي صاحبة السلطة ولما كان لا يتهيأ لها ان تحكم بذاتها نتج عن هذا المبدأ طرائق شتى بحسب ما كان من تسليم الامة سلطتها للملك او للبارلمان او لجمعية تقوم بالامر لوحدها او لامبراطور — ان نابليون الاول اعظم سلطان مطلق وجد في فرنسا لم يأخذ لقب امبراطور الا بعد ان نشر اعلاناً للشعب يطالبه بذلك وهذا الضرب من الحكومة لا يضاد مبادىء الثورة

وقد ايدت الثورة الفصل بين السلطات فليس لعامل واحد او لهيئة واحدة أن تقوم

(١) ولعله يوجد في فرنسا اليوم من المزارعين الكبار قدر ما كان يوجد فيها قبل سنة ١٧٨٩ على ان ذلك مسبب عن تجديد تشكيلها سنة ١٨٠٠

بغير سلطة واحدة من ثلاث · التشريع والقضاء واصدار الامر

وقد نسقت الثورة ادارة الحكومة تنسيقاً منتظماً فصارت تجري باحكام كانها الآلة فان كل واحدة من مصالح الدولة ترجع الى وزارة ترفع اليها الرسائل والتقارير وتصدر منها الاوامر · وعدد القرارات يختلف لان من المصالح ما تكون احياناً مجتمعة الى غيرها في وزارة واحدة ثم تنفصل لتضم الى وزارة اخرى على انها في كل حال تبقى اعمالها غير متغيرة وتلك المصالح هي الادارة · والعدلية · والمالية · والخارجية · والحربية · والبحرية · والاديان · والمعارف · والفنون الجميلة · والاشغال النافعة · والتجارة · والزراعة · وعمال كل مصلحة يرجعون في امورهم الى الوزير الذي يكون على زعامة الادارة التي يعملون فيها — ولكي يكون توزيع السلطة اكثر انتظاماً وضعوا طريقة لتحديد اختصاص كل مصلحة وعملها تحديداً مدققاً فانقسمت كل فرنسا الى ولايات Departements والولايات الى ايالات Districts والايالات الى كور Cantons والكور الى مراكز Communes وكل عامل يقوم بعمله ضمن دائرة اختصاصه فكل ولاية يتولاها والٍ ولها امين صندوق ومجلس قضاء وكل دائرة منها يحكمها نائب الوالي يعاونه الجباة والمجلس — وبالاجمال ترى كل المصالح تنتهي الى نقطة مركزية على شكل واحد فترى خصائص العمال وواجباتهم واحدة في كل فرنسا بحيث يستطاع نقل العمال من جهة الى اخرى في البلاد · والاوامر واحدة لجميعهم تصدر على شكل اعلان ولذلك لم يبق اقل اختلاف بالادارة في كل انحاء فرنسا · والوزارة في باريس تنظر حتى في جزئيات الامور وتشرع لها شرعة واحدة يعم استعمالها · فتم بهذا الترتيب جمع السلطة في الحكومة المركزية جمعاً تاماً · على ان الملوك شرعوا يعملون الى هذه الغاية فما نالوا منها تمام الارب فاصبحت فرنسا لا تضارع في احكام هذه السنة

ثم ان المجلس التشريعي منح حق الادارة لمجالس ينتخب الاهلون رجالها فاصبح لكل مديرية مجلس بلدي ولكل ايالة او ولاية مجلس ادارة والتفت مجلس التشريع الى الجنائية واصلحها وابقي من نظامها القديم عادة فصل الخصومات في محكمة تؤلف على الاقل من ثلاثة قضاة · على ان هؤلاء القضاة صاروا بحيث لا يحسبون مناصبهم ملكاً لهم ولكنهم يتولونها كسائر الوظائف بعد ان ينتخبهم الاهلون · واستعاضوا عن مجالس الاشراف الصغرى في القرى بشيخ صلح ان يوفق بين الخصوم فيحول اذا استطاع دون قيام الدعوى · اما القضايا الجنائية فنزع حق فصلها من المحاكم وجعله في كل ولاية لمحكمة

تؤلف على طرز الجوري الانكليزي بأن يؤخذ من سكان الولاية اثنا عشر رجلاً يحكمون الفصل في تجريم المتهم . ومن ثم ينظر القاضي في المحاكمة ويعين القصاص . واعادوا ما كان جارياً في القرون الوسطى من المحاكمة العلنيــة الشفهية ومنحوا المتهم حق الدفاع عن نفسه بواسطة محامٍ — والغوا كل عرفٍ كان يُعتمد في الولايات وجعلوا القضاء في كل المحاكم يسير على قانونٍ واحد وان لا يؤخذ من المتداعين مال — لا يُقصد بذلك ان الدعوى لا يدفع عنها رسم ولا تكلف مالاً ولكن القصــد ان لا يأخذ القضاة مالاً من المتداعين

وقد غيرت الثورة علائق الحكومة مع الكنيسة وحتمت على مجلس الاكليروس ان يلغي الابرشيات ويجعل رسامة المطارنة بالانتخاب والغيت الكنيسة المسيحيــة على ان يعوض عنها بعبادة الكائن العظيم . ومن ثم وضعت مبادىء حرية الاديان وفصل الكنيسة فصلاً تاماً عن الحكومة « ليس لاحد ان يمنع انساناً عن ممارسة طقوس الدين الذي يختاره طالما كان محافظاً على القوانين . ولا يرغم احدٌ على الاشتراك في نفقات الدين الذي يعتقدهُ على ان الجمهورية لا تؤدي رواتب المذهب من المذاهب »

٣ — الدستور المدوَّن

ان اهم ما ينتقد الثوريون من الطريقة القديمة استبدادها فجعلوا سلطة الحكومة محدودة ضمن قانون مكتوب شبيه بالقانون الذي يحدد علائق الافراد فيما بينهم وقد كان من مطالب الوكلاء العموميــين في لوائحهم سن دستور مكتوب فانصرفت همم النواب لوضع الدستور واتخذت الجمعية اسم مجلس التشريع

وكان الرحالة الانكليزي يون يجول يومئذٍ في فرنسا فهزأ من عزم القوم على سن الدستور وقال « كأنهم يتخيلون وجود خطةٍ واحدةٍ لوضع الدستور كما يوجد طريقة واحدة لعمل طعام البودين » وكأني به قد اعتاد ان يرى في انكلترا الدستور السياسي والقانون المدني مؤسسين على العادات القديمة التي يحترمها جميــع الانكليز الا انهُ لم يكن في فرنسا تقاليد راسخة القدم ولذلك ذهبوا بان القانون المكتوب يكون الرادع الوحيــد لاستبداد الحكومة

وكانت فرنسا منذ الدستور الاول سنة ١٧٩١ قد غيرت كثيراً من شكل الحكومة ولكنها لم تخل قط من دستور مكتوب ومن ثم تحدتها كل الامم المتمدنة شيئاً فشيئاً في وضع دستورها الاَّ انكلترا

﴿ دستور عام سنة ١٧٩١ ﴾ ان الجمعية الوطنية اخذت على نفسها ان لاتفترق حتى تضع الدستور فقضت في تنسيقه عامين ونشرته سنة ١٧٩١ حين اقسم الملك ان يحافظ عليه وألف دستور سنة ١٧٩١ جماعة من الذين قاموا بالثورة وما كانوا يخشون السلطات التي كانت حتى في تلك الايام تتسلط على المجتمع والحكومة ويستريبون من الاعيان يعني بذلك ذوي الاحساب ومن استبداد السلطة الملكية فضلاً عن انهم اتخذوا قاعدة فصل السلطات عملاً برأي مونتسكيو (١)

ثم وضعوا تلك القاعدة الاساسية وهي « السلطنة للامة » وبذلك هدم اساس الحكومة القديمة اذ كان الملك هو السلطان الوحيد . ولكن الامة التي تنبعث عنها كل السلطات يتعذر عليها القيام بها الا بالاستنابة عنها فلا يقوم بالسلطة كلها الا العمال المكلفون بها . على انهم يعترفون بان الملك ينوب عن الامة بحق موروث وله ايضاً حق اختيار وزرائه اما السلطات الاخرى فبالانتخاب ولكنهم لم يريدوا ان يجعلوا حق الانتخاب مباحاً لكل الوطنيين على السواء وانما يعطى ذلك الحق لمن يدفع من الضرائب مايساوي قيمة شغل ثلاثة ايام فبذلك انشطر الوطنيون شطرين شطر فعال وهو المصوت وشطر منفعل وهو الذي لايحق له التصويت

وعملاً بنظرية مونتسكيو جعلوا السلطات ثلاثاً تشريعية وتنفيذية وقضائية وعهدوا بالسلطة القضائية الى قضاة ينتخبهم الشعب لمدة معينة وخولوا السلطة التنفيذية للملك ليقوم بها الوزراء تحت امره وجعلوا السلطة التشريعية في مجلس يؤلف من نواب منتخبين وقد دار البحث بينهم على مسألتين الاولى منهما : هل يجب ان تعطى السلطة التشريعية لمجلس واحد ام لمجلسين كما هو الحال في انكلترا ؟ والثانية : هل يجب ان يكون الوزراء من غير اعضاء المجلس ام من اعضائه كما هو في انكلترا ؟

ولقد اظهر الاختبار في قرن كامل ان المجلس الواحد معرض في ابان الهياج للسير في سبل تعود عليه بالندم العاجل ولذلك آل الحال بجميع الحكومات المتمدنة الى اتخاذ مجلسين . على ان الاختبار لم يكن حتى اواخر القرن الثامن عشر قد هداهم الى هذه الحقيقة

---

(١) يبنى هذا الرأي على معرفة ناقصة في الدستور الانكليزي فان مونتسكيو لتبعه في ذلك فقهاء الانكليز كان يزعم ان السلطة في انكلترا مشتركة بين البارلمان والملك وان للملك السلطة التنفيذية وللبارلمان السلطة التشريعية فاضافوا الى هاتين السلطتين السلطة القضائية التي استمدوا الرأي فيها من البارلمانات السابقة

بل كانوا يستغربون ايجاد سلطة ذات طرفين. وقد هزأ بها السياسي الاميركي فرنكلين المشهور اذ قال «ان حية ذات رأسين ارادت ان تشرب وكان الماء في موضعين فاراد الرأس الواحد ان يذهب بها الى الجهة اليمنى والرأس الثاني الى الجهة اليسرى فلبثت هي في مكانها وماتت من العطش» وزد على ذلك ان الذين كانوا يطلبون مجلساً ثانياً لايمكنهم ان يتناولوا الا مجلس اعيان وراثي كما هو الحال في مجلس اللوردات. والحال ان المجلس التشريعي لا يرغب في اسقاط مبدإ الاعيان ليقيم مبدءاً آخر مثله ولهذا قرر انشاء مجلس واحد

وظهر من الاختبار ايضاً ان الوزارة المشكلة من غير اعضاء المجلس ليس لها عليه نفوذ كاف للحكم فيحدث على اثر ذلك من الشحناء ما لا نهاية له بين ان الوزارة المشكلة بالاكثرية الغالبة في المجلس تحرز ثقته فيها وعضده لها. غير ان العمل بمبدإ توزيع السلطات منذ ١٧٨٩ حال دون تمتع نواب الشعب بحق الحكم لئلا تجتمع السلطتان التشريعية والتنفيذية. وقد سبق لانكلترا فاختبرت ذلك ولم تستصوب العمل به وترى كثيرين من الانكليز ينكرون على حكومتهم طريقتها و يعزون اليها ما ظهر من فساد البارلمان في بلادهم. اما الوزراء فرغبة في الحصول على الاكثرية كانوا يستميلون النواب ويسترضونهم وكان بوسع الملك ان يسعى لاستمالة زعماء المضادين بعرضه عليهم منصب الوزارة ولم ينجع نصح ميرابو لاعضاء المجلس التشريعي ان يسلبوا الملك حق الاستيزار من النواب فكان كلامه ذريعة فعالة لحمل المجلس على الجزم بان لا يستوزر احد من النواب لانهم كانوا يخشون ان يصير ميرابو وزيراً وبدأوا يوجسون شراً من علائقه مع الملك واتماماً للتفريق بين السلطات قرروا انه لا يحق للوزراء ان يتكلموا في مجلس النواب الا بما يتعلق في امور وزاراتهم

وكثر الجدال والبحث فيما يكون للملك من الحق في السلطة التشريعية اذ شرعوا يتساءلون هل يحق له رفض قانون اقترح المجلس عليه ؟ فطلب الملكيون ان يكون له حق الالغاء اما عداة الملكية فلم يرضوا ان يبقى للملك اقل سلطة تشريعية. ثم اتفق الفريقان ان يخول الملك حق التأجيل بحيث يسوف قوله الفصل الى مرور زمنين لالتئام المجلس التشريعي

وعلى هذا النمط عهد بالحكومة الى ثلاث سلطات رتبوها على نسق يجعل كل سلطة منها مستقلة بذاتها عن رفيقتيها. وكان المجلس التشريعي راغباً في تأييد مبدإ فصل السلطات خوفاً من عسف السلطة التنفيذية يعني بذلك سلطة الملك الذي الف

لاستبداد . فشرع المجلس يبذل جهده في اضعاف تلك السلطة الملكية بحصرها ضمن حدود معينة فكانت النتيجة رفع كل عمل عن عاتق الوزارة وصارت السلطة الحقيقية الوحيدة هي المجلس

اما ما يتعلق بالادارات فقد منح المجلس التشريعي للمنتخبين في المقاطعات حق انتخاب مديريهم غير ان الناس كانوا قد احتملوا كثيراً من جور العمال وصلفهم فلم يرضوا بمنح السلطة للافراد وانما جعلوا لكل درجة من درجات السلطة مجلساً . فكان للمديريات مجالس البلديات وللأيالات والولايات مجالس الادارة واقاموا ازاء هذه المجالس التنفيذية مجالس شوروية ومنحوا تلك الحكومات المحلية ليس فقط السلطة لتدبير شؤون الادارة وانما حبوها حق جباية الضرائب وتكتيب الحرس الوطني فكادت بذلك مديريات فرنسا ان تكون شبيهة بالجمهوريات المستقلة

وكان مجلس التشريع يوجس خوفاً من جور الملك ووزرائه ولذلك نظّم الحكومة على شكل يضمن فيه للمجلس التسوّد على السلطة التنفيذية ويجعل الولايات مستقلة عن العاصمة بعض الشيء وهكذا اضعف دستور سنة ١٧٩١ الحكومة المركزية كل الضعف وجعل السلطات المحلية قوية حتى الفوضوية . وزد على ذلك ان مجلس التشريع بتقريره ان لا يقبل احداً من اعضائه في المجلس العام الزم المنتخبين ان يرسلوا نواباً اغراراً

٤ ـ دستور سنة ١٧٩٣

ان الدستور عام ١٧٩١ ابقى على الملك والوزراء ومع انه صيرهم ضعفاء فقد حاولوا ان يعترضوا على مجلس التشريع بانه اراد النهوض بكل السلطة . وبحث في شؤون الكهنة والمهاجرين وحسبهم اعداء وسن القوانين بما يعاكسهم فابى الملك التصديق عليها ورفضها وقام خلال ذلك حزب جمهوري قليل الانصار الا ان له الكلمة النافذة في اهل ضاحية باريز فهاج يومئذٍ واستولى على التويلري والزم المجلس على المناداة بخلع الملك واستدعى مجلساً جديداً وهو الكونفانسيون (في ١٠ اوغسطس ١٧٩٢)

فقبض الكونفانسيون بيده على الحكومة ونهض باعمالها بواسطة لجان انتخبت من اعضائه ومن ثم شرعت بوضع دستور يخلو من الملكية فكان دستور سنة ١٧٩٣ الذي وضعته اللجنة بسرعة وصادق عليه الكونفانسيون من غير بحث طويل

وكان واضعو هذا الدستور من تلامذة روسو فوضعوه على مبدائه بان السلطة للشعب وحده ويجب عليه القيام بها مباشرةً وان الشعب يؤلف من كل رجل يبلغ الحادية والعشرين

من سنيه . والغى الفرق ما بين الوطنيين الفعالين والمنفعلين سنة ١٧٩٤ واوجب على المنتخبين ان يجتمعوا في مجلس ابتدائي ليس فقط لانتخاب النواب وانما للبحث في الشرائع واستعيض عن الجمعية بمجلس تشريعي ينتخب لسنة فقط وليس من حقه سن الشرائع وانما له ان يعرض الرأي بوضعها وللمجالس الابتدائية الحق في قبولها . وكانوا يظنون ان تلك المجالس قبلت بالسنن ولكن تبين ان نصف الولايات وزيادة واحدة على نصف عددها جميعاً لم يوجد فيها مجلس من عشرة يرغب فيها . واستعاضوا عن الوزارة بمجلس تنفيذي مؤلف من اربعة وعشرين شخصاً يختارهم المجلس التشريعي من جدول يقدمه المجلس الابتدائي باسماء المتأهلين

فابطل هذا الدستور الحكومة المركزية والجمعية الوطنية وندب كل الوطنيين لمقاومة السلطات القانونية « متى تعدت الحكومة على حقوق الشعب اصبحت الثورة حقاً مقدساً للشعب ولكل قسم منه واجباً لا مناص منه »

واذ كانت جيوش اوربا تكتسح فرنسا يومئذ اضطرت البلاد الى اقامة حكومة قادرة على الدفاع عنها فاتفق اهل الحل والعقد على ان لا يعمل بالدستور الى نهاية الحرب لانه لم يكن وقت لاجرائه وكانت الحرب لم تزل مستعرة حين خلع واضعو ذلك الدستور عن السلطة

٥ـ دستور السنة الثالثة

ان الكونفانسيون قبل ان يتفرق وضع دستوراً جديداً وبذل الهمة في تجنب هفوات دستور سنة ١٧٩١ سيما في منع اشياع الملكية من القيام بالاحكام

فانتزع هذا الدستور من المجلس الابتدائي كل سلطة وحصر حقوقه بتعيين اسماء المنتخبين الذين ينتخبون النواب ومنح حق الانتخاب في من تدر عليه املاكه مئتي فرنك في العام . وكان من مؤدى هذا الدستور العدول عن اعتماد مجلس واحد والجزم باتخاذ مجلسين احدهما يؤلف من خمسمئة عضو لعرض القوانين وثانيهما مجلس الشيوخ يؤلف من مئتين وخمسين عضواً للتصديق على القوانين التي تعرض عليه . ولا يعمل بقانون لم يتفق عليه المجلسان وكلا المجلسين يؤلفان بالانتخاب وانما تجنباً للتغييرات الفجائية لا يتجدد انتخابهما كل سنة وانما ينتخب ثلث الاعضاء سنوياً . وزد على هذا ان اصحاب الحل والعقد رغبوا في ابقاء الامر للحزب الجمهوري فقرروا ان يكون على الاقل ثلثا الاعضاء في المجلس الاول من جماعة الكونفانسيون

وعهد بالسلطة التنفيذية الى حكومة يقال لها الديركتوار على ان تؤلف من خمسة

رجال ينتخبهم مجلس الشيوخ من عشرة يقدم اسماءهم له مجلس الخمسمئة ويعاد الانتخاب في كل سنة على واحد من الرجال الخمسة

ومن خصائص الديركتوار ان يعينوا الوزراء ورؤساء القادة والسفراء . ويعقدون جلساتهم باللباس الرسمي ويقبلون العرائض ولكنهم ابقاء على قاعدة فصل السلطات ينبغي لهم ان يحافظوا على سلطتهم التنفيذية متجنبين المداخلة مع المجالس . على ان الوزراء لا يؤخذون من النواب وليس من حقوق الديركتورا ان يقترحوا اشتراع شيء من القوانين

ولم يكن لاحدى السلطتين من سبيل للتأثير على الاخرى ولذلك لما اشتبك الخصام بينهما اضطرها الحال الى احداث الانقلاب السياسي . وذلك ان الديركتوار الغى انتخاب المجالس مرتين فانتهى الامر بالدستور انه اصبح لا يعتبره احد من الفريقين

المتاولة في سوريا

اصلهم

ان اهل السنة يدعون المتاولة بالشيعة والرافضة وبني متوال واما هم فيدعون انفسهم الشيعة العلوية والعادلية والمتوالين . قال احد اشرافهم المنتمين الى الامام علي وقد سألته عن اصل كلمة متوالي « سمينا بذلك لاننا اتخذنا الامام علياً ولياً فاصل كلمة متوالي متولي وان اسمنا الشيعة العلوية » وكنت سألت يوماً رجلاً من عامتهم ما دينه فاجاب على الفور « انني متوالي » ثم راجعت صفحات المعاجم العربية فلم اجد في واحد منها بحثاً وافياً في اصل كلمة متوالي ولا اشارة اليها الا في محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني فقد ورد فيه ما نصه بالحرف الواحد « المتوالي واحد المتاولة وهم الشيعة سموا به لانهم تولوا علياً واهل بيته ومعنى تولوه اي نصروه »

ان المؤرخين الذين بحثوا في تاريخ سوريا عرباً كانوا ام افرنجة لايذكرون ما يروي الغليل عن اصل المتاولة واول من ذكر هذه الكلمة هو البطريرك الماروني اسطفان الدويهي في تاريخه عن اصل الموارنة ثم الامير حيدر الشهابي بتاريخه عن آل شهاب . وقد اتفق البطريرك والامير على ان في حمادة مشايخ المتاولة اتوا مع زمرتهم من بلاد الفرس وان اصلهم من تلك البلاد . اما فولنه الفيلسوف الفرنساوي فقد اثبت في كلامه عن سوريا ان المتاولة من اهالي سوريا الاصليين وانهم كانوا يسمون الحمدية ثم لقبوا

بالمتاولة في ابتدا القرن الثامن عشر • وذكر رنان الفرنساوي في كتابه «مهمة في فينيقية» كلاماً سمعاني مؤداه ان السلطان سليم الاول راى من اللازم ان يولي على مقاطعه الكورة في جبل لبنان الامراء الايوبيين الذين استحضرهم من كردستان ليكفوا الناس شر الحادية وكان ذلك سنة ١٥١٥ مسيحية • ويقول الجغرافي ملطبرون ان المتاولة هم من اهالي البلاد السورية الاصليين • وارتأى القس طمسن في كتاب التحريات عن الاديان في سوريا ان اصل المتاولة من بلاد اشور • وذكر المؤرخ العثماني جودت باشا المتاولة في تاريخه وقال «سموا بني متوال نسبة الى شيخ لهم اسمه متوال»

ويغلب على ظني ان اصل المتاولة من العرب وهذا لاينافي اختلاطهم بالاجناس العديدة التي قطنت سوريا • ومن مراجعه التواريخ يفهم ان اول ظهورهم كطائفة كان في بعلبك بعد تقلص ظل الصليبيين ومن هذه البلدة اتوا الى اعالي لبنان وتملكوها ولم يصدهم احد عن التقدم فسكنوا تلك الجهات وتكاثروا مع الايام حتى وصلوا الى شاطيء البحر وكان امراؤهم في بعلبك الحرافشة — وهي اسرة معروفة بعزة الجانب وشدة المراس اشتهر افرادها بالنجدة والشجاعة واصلهم على ما يقولون عربي من قبيلة خزاعة وهي منتشرة الى الآن في ضواحي بغداد • حدثني رجل من افراد هذه الطايفة في بعلبك انه لما ضايقت الحكومة امراء الحرافشة نظرا لعيثهم في البلاد فساداً نزح بعضهم الى قبيلة خزاعة الآنفة الذكر فاستقبلهم رجالها احسن استقبال واكرموا وفادتهم واعترفوا لهم بصلات النسب • واما روساء المتاولة الذين توطنوا لبنان فهم آل حماده الذين استفحل نفوذهم وقويت شوكتهم مع الايام ولا تزال هذه الاسرة الى الان ذات مقام رفيع عند قومها في الهرمل ولبنان • وجميع اهالي قصبة الهرمل وضواحيها هم من هذه الطائفة

قلت ان مؤرخي لبنان ادعوا ان اصل آل حماده من بلاد فارس ورووا بان كبيرهم حضر من تلك الاقطار ومعه اولاده سرحان واحمد المكنى بابي زعزوعه وذئب فاستوطنوا لبنان • على انني ارى ان هذه الاسماء عربية محضة سمي بها من القديم اودية واقعة جنوبي شرقي الشام كوادي سرحان وبرية حمادة كما ان اسماء عشائر المتاولة الساكنين جبال صيدا وصور المعروفة بجبيل عامل جميعها عربية كبني صعب وبني منكر وبني شكر وبني جابر وبني الشاعر وبني الصغير في مرجعيون

وورد في تاريخ الامير حيدر انه «بعد افتتاح السلطان سليم الاول سوريا ومصر استتبت الراحة في البلاد وتقاطر الناس وسكنوا الاماكن التي كانت خالية فاتى المتاولة من

جهات بعلبك وحلوا في قرى قاريا وحراجل وبقعاتا من مقاطعة كسروان واتى الشبون من جهات البقاع وسكنوا ساحل علما وفيترون وعرمون وجديدة كسروان واتى الدروز من جهات الشوف وسكنوا برمانا والمتن اما النصارى فرجعوا من قبرس والشواطىء البحرية وسكنوا الفتوح والكفور وعرمون » فيتضح من ذلك ان اصل المتاولة عربي لا فارسي كما يزعم البعض وفي درس هيئات اهل هذه الطائفة دليل اخر على صحة رأينا فانه يغلب فيهم بياض اللون وزرقة العيون وشقرة الشعر واحرار اللحى مما يدل على انه حصل في القديم امتزاج بينهم وبين الاجناس الاخرى التي سكنت سوريا كالافرنج والروم

عاداتهم واخلاقهم

اما ملابسهم فالساكنون في ضواحي المدن لا يختلفون في الملابس عن باقي الاهالي على انه في حمص وحماه والهرمل وبعلبك وجبل عامل لهم زي خاص بهم • فانهم يغطون رؤوسهم بالكوفيات ويقمطونها بالعقالات السوداء ويرتدون العباءة ويحتذي اكثرهم بالجزمات كما يفعل البدو • اما شرفاؤهم والسادة الذين ينتمون الى الامام علي يعتمون بالعمائم الخضراء ومشايخهم او علماؤهم يتعممون بعمائم من الشاش الابيض ويلبسون الجبة وجميعهم يرسلون لحاهم ويتركون ذؤابة في رؤوسهم ومن لاعقال له يتعمم بخرقة او منديل • اما نساؤهم فيلبسن الفسطان وتحته سراويل من خام مصبوغ ويلقين على رؤوسهن قناعاً طويلاً يستر بعضهن به انوفهن ويتقين به سائر الوجه اذا علمن باحد ينظر اليهن • اما نساء الشرفاء والمشايخ فيبالغن بالتستر ويحترسهن من ان يرى احد شعر رؤوسهن

والسواد الاعظم من المتاولة يتعاطون حراثة الارض وزراعتها يشقون في ذلك ولا يكسبون شيئاً يذكر حتى تراهم بحالة يرثى لها من الفقر اما المتاعب التي يعانيها نساؤهم فحدث عنها ولا حرج فانهن فضلاً عن الاشغال البيتية يشتغلن في الحقول ويحملن الاحمال الثقيلة ويقمن بكثير من اشغال الرجال • وقد شاهد بعضهم نساء منهم قد شددن الى النير للفلاحة بدلاً من البهيمة • واثباتاً لما ذكرته عن فقر المتاولة اروي انه داهمني المساء يوماً وانا في قرية بقرب سهل حمص فالتمست مأوى ابيت به ليلتي فطفت القرية وانتقيت افضل مساكنها وكان عبارة عن مراح داخله مقسوم الى مصطبة للناس ومذود للحيوانات ولم يكن فيه من ضروريات المعيشة سوى بيضتين ملفوفتين باوراق وموضوعتين في جراب مختفي في كوة من الحائط يصعب الاهتدا اليها لاول وهلة وقد فهمت ان سبب هذه

لاحتياطات الخوف من ظلم جباة الرسوم الاميرية

وبعض المتاولة في ضواحي حمص وحماه وفي الهرمل يحيكون انسجة ملابسهم بايديهم كالعباءات والأغطية المعروفة بالحرامي والمنشفات والسنايز (الاقية) وبعض المقيمين في قرى صيدا وبيروت وحمص يعتنون بتربية الدجاج وجمع بيضه وارساله الى المدن لبيعه واكثر نقلة الاحمال على الجمال هم من المتاولة ومنهم ايضاً من ينقلونها على البغال والحمير اما التجار منهم فلا يتجاوز عددهم بضع عشرات وثلاثة ارباع الحمالة او الشيالة في بيروت وصيدا وصور منهم وكذلك الحفارون ونقلة الحجارة والفعلة والمبيضون والصقالون وصباغو الاحذية ويكتفون باجرة طفيفة تتراوح بين خمسة غروش وثمانية كل يوم . وهم متقنون جداً لهم جلد على احتمال الشدائد وقد ابلت الجنود المأخوذة منهم بلاء حسنا في الحروب التي حاربتها الدولة العثمانية حتى ضرب المثل بشجاعتهم وصبرهم

وعامة المتاولة على جانب عظيم من الجهل اما المتعلمون منهم فيعرفون الصرف والنحو والبيان وقرض الشعر ولهم فيه ذوق سليم واكثر مشايخهم يبرعون في درس القرآن وهم لا يعتنون بالحديث ولهم المام في المباحث الدينية الاسلامية يجادلونك ساعات طوالاً ليقنعوك بانهم هم المسلمون الحقيقيون و يبغضون اهل السنة بغضاً شديداً كما هو مشهور عنهم والعامة تحترم المشايخ والمجتهدين احتراما عظيماً ويطيعونهم طاعة عمياء ومع وجود الحاكم المدنية من جزئية وحقوقية فانهم يؤثرون فصل ما يقع لهم من الدعاوي والمشاكل على ايدي مشايخهم ومجتهديهم . واتفق اني كنت يوماً في بيت احد مشايخهم فرأيت عنده جمعاً من غرباء ملته اتوا من جهات بعيدة ليقضي بينهم في حادث قتل كتموه عن الحكومة المحلية فقضى لهم وذهبوا راضين . ولهم مجتهد واحد في سوريا يقضي على مذهبهم درس علومه في كربلاء وبيده شهادة من مجتهد هذه البلدة يأذن له بها في تعاطي الافتاء واحكامه مبرمة واسمه السيد علي محمود مسكنه قرية شقرة في جبل عامل من قائمقامية صيدا وصور ومرجعيون وهذه اسماء بعض علمائهم :

السيد محمد نور الدين	في	قرية	النبطية العليا
السيد محمد محمود	«	«	شقره
السيد حسن ابراهيم	«	«	انصار
السيد حسن يوسف	«	«	النبطية السفلى
الشيخ عبد الحسين صادق	«	«	الخيام

الشيخ مهدي شمس الدين في قرية مجدل سالم
الشيخ حسين الحر « « جباع

وهذه هي القرى التي يقطنها المتاولة وعدد سكانها في شمال سوريا :

عدد	
٧٠٠	في عشر قرى من خراج حمص وحماه
٣,٠٠٠	في مديرية الهرمل وهو جبل تابع لقضاء البترون من اعمال لبنان لكنه منفصل عنه يطل على سهول حمص وعلى مقربة من نبع نهر العاصي وتدعى قصبة هذه المديرية الهرمل وجميع سكانها متاولة
٢,٠٠٠	في عشر قرى من قضاء البترون تشرف على الجهة البحرية
٧٠	في قرية من قرى قضاء الكوره
٣,٨٠٠	في اثنين واربعين قرية من قضاء كسروان
٦٥٠	في خمس قرى من قضاء المتن
٦٠٠	في خمس قرى من قضاء الشوف
١,٥٠٠	في ثماني عشرة قرية من قرى قضاء جزين
٥٠	في قرية بقرب بلدة زحله
٢٣,٠٠٠	في بعلبك وقرى هذا القضاء التابع لولاية سوريا
١٢,٤٧١	في قضا صيدا التابع لولاية بيروت
٢٣,٨٠٥	في قضا صور التابع لولاية بيروت
٣٥,٤٨٧	في قضا مرجعيون التابع لولاية بيروت
١٠٧,١٣٣	

يرى القارىء ان المتاولة في الاماكن الاخيرة اكثر منهم في باقي الجهات وقد نقلت عن تقويم الحكومة الرسمي لسنة ١٨٨٧ بعض هذا التعداد ومن التاريخ المذكور ادمجت الحكومة عدد المتاولة بعدد السنيين ولم يعد لهم ذكرٌ في السجلات الرسمية كطائفة خصوصية. وقد فقد المتاولة في هذه الايام ما كان لهم من النفوذ قديماً حتى ان اكثرهم باعوا املاكهم ولم يبق لهم منها شيء يذكر الاّ في بعلبك حيث لا يزال لهم ثلثا املاك القضاء بعد ان كان كله لهم . ومنذ برهة هاجر جماعة من ذكورهم لجهات امركا لكنهم لا يقيمون فيها

كثيرًا فكل من اكتسب منهم مئة الى مائتي ليرة رجع الى وطنه ظافرًا

الفرق بينهم وبين السنة

وتتمة للفائدة اذكر بعض مواضع الخلاف بين المتاولة والشيعة والسنيين وبعض ما يختص به المتاولة في بلادنا :

ان اهل السنة يؤمنون بعد البسملة والمتاولة لا يؤمنون

السنيون يسرون بصلوة الصبح والغروب والعشاء ويجهرون بصلوة الظهر والعصر اما المتاولة فيجهرون بصلوة الصبح والغروب والعشاء ويسرون بصلوة الظهر والعصر

السنيون يصلون صلوة الغروب عند غروب الشمس والمتاولة عند ظهور النجوم

السنيون يصومون رمضان بانتهاء شعبان او بحكم القاضي بروية هلال رمضان ويعيدون بحكم الروية او بامر شيخ الاسلام اما المتاولة فيصومون على الروية و يعيدون على الروية ويتمون الصوم ثلاثين يومًا

السنيون يكتفون ايديهم على صدورهم وقت الصلوة والمتاولة يسبلون ايديهم على اجنابهم

السنيون عند الوضو يبتدئون بغسل اليد من المعصم وينتهون الى الكوع والمتاولة يغسلون ايديهم من الكوع و ينتهون برؤوس الانامل

السنيون عند الوضوء يغسلون وجوههم بالراحتين والمتاولة باليد اليمنى فقط

يتخذ المتاولة قرصاً اشبه بدائرة صغيرة معجونًا من تراب كربلاء محل مقتل الحسين ابن علي فيعفرون جباههم به وقت الصلوة

السنيون يكتفون بمسح الخف عند الوضو لا سيما مدة السفر والمتاولة لا يتم عندهم الوضوء الا بمسح الرجل

السنيون يأكلون من ذبيحة اهل الكتاب اذا ذكر الذابح اسم الله قبل ان يذبح اما المتاولة فلا يأكلون من ذبيحة النصارى واليهود لاعتبارهم اياهم نجسين

يعتقد المتاولة ان الكفار نجسون والمشركون عندهم كفار ولذلك هم نجسون فكلما يلمسه الكافر من السوائل يحرم عليهم اكله لانه نجس ؛

المتاولة لا يسمحون للنصارى بدخول بيوتهم لا سيما اذا كانت اثوابهم مبلولة ولا يخبزون لهم خبزًا بافرانهم لئلا تتنجس . شربت مرة من ميزاب عين جارية في قرية يسكنها المتاولة وانت في تلك الاونه امرأة لتستقي وقبل ان تملأ وعاءها غسلت الميزاب الذي وضعت في عايه

لا يشرب المتاولة من وعاء شرب منه غير ابن ملتهم

قلّ ان يرشدك المتوالي الى الطريق

السنيون عندهم الخلافة غير محصورة فمن بايعه المسلمون كان خليفة اما المتاولة فيحصرون الخلافة بسلالة الامام علي وبنيه ويعتقدون ان القضاة الذين يسميهم الخليفة ليسوا قضاة بحق لانه متى بطل الاصل بطل الفرع ولا يجوز الحكم عندهم الا لعالم مجتهد مشهور ومأذون له من كبير علمائهم المتصل نسبه بالامام علي وبناء عليه لا يعتدون بحلف اليمين الكاذبة امام القضاة السنيين . اما بحضرة عالمهم المأذون له بالحكم فلا يجوز لهم ان يقسموا يميناً كاذبة

ان ارهب يمين يتجنبه المتوالي هو القسم بان يكون بريئاً من الوصاية للامام علي وان يكون شريك قتلة الحسين

يتبع المتاولة في مسائل الارث قول القرآن ويخالفون في بعض الاحوال عن السنيين

يجوز المتاولة المتعة وهو عقد نكاح موقت ببدل معلوم فمتى انقضى الاجل بطل العقد فتطلق الزوجة بتاتاً واذا كانت في حالة العدة تبقى الى انقضائها فان وجدت حاملاً تبقى حتى الولادة . ولا تحسب مثل هذه المرأة شرعية لان المرأة الشرعية لا يجوز تطليقها الا بعد المرافعة عند المجتهد حتى اذا وجد اسباب جوهرية شرعية اصدر حكماً بالطلاق

لا يجيز المتاولة الدفن تكراراً في قبر واحد ما لم يمحَ رسم ذلك القبر ويجهل المدفون فيه ويفضلون فتح قبر جديد لكل متوفى منهم ويكرهون جداً الدوس على القبور لانهم يبالغون في احترام موتاهم . يعتقد المتاولة بالخيرة وهي ان يؤخذ من سبحة حزاً مجهول العدد ثم تتلى البسملة وبعده يعد القسم المأخوذ من كل جهة حبتين حبتين فان كان الباقي حبة واحدة كان من الموافق للمرء ان يعمل العمل الذي ينويه وان بقي اثنتان يكون عمله مشؤوماً وان بقي ثلاث يخير بين العمل وعدمه وان لم يبق شيء فيراجع الامتحان

للمتاولة في كل سنة عشرة ايام احزان ابتداؤها بداية شهر المحرم وانتهاؤها في اليوم العاشر منه يختمونها بالبكاء والعويل وهي تذكار مقتل الحسين في كربلاء فلا يجوز لهم في هذه المدة تغيير ملابسهم ولا حلق شعورهم ولا مصافحة احد ولا يصومون ولا يكتحلون ولا يطبخون العدس والفول والحمص واللوبيا والحنطة والشعير والذرة ولا يأكلون الحرجير مطبوخاً مع اللحم . يميل المتاولة الى الايرانيين وقد ساعدهم هؤلاء مراراً في امورهم مع الدولة العثمانية نظراً لوحدة المذهب . ورجال الدولة يكرهون المتاولة كرهاً ظاهراً

(بيروت) جرجي ديمتري سرسق

بنات الشوارع

الخطر على الشبيبة المصرية

أتحسب اذا علمت ابنك في اكبر المدارس وثقفته في ارقى المعاهد وربيته احسن تربية وغرست في قلبه حب الفضيلة والتمسك بالآداب السامية واتخذت كل وسيلة لوقايته من الامراض الوافدة كالتلقيح بمادة الجدري والحقن بمصل الكوليرا . وهب انهم توفقوا الى وقاية الابدان من سائر تلك الامراض بالمصل او غيره وانك لم تغادر وسيلة للوقاية الا اتخذتها من حقن او تلقيح — أتحسب اذا فعلت ذلك كله وانت مقيم في القاهرة او الاسكندرية انك امنت على ابنك وفلذة كبدك من غوائل المرض او فساد الآداب؟ كلا واذا توهمت ذلك فانك في غرور

لا خلاف في ان التعليم والتربية يرقيان النفس ويهذبان الاخلاق فيجتنب صاحبهما اسباب الاوبئة ويبتعد عن مفاسد الاخلاق فيهجر المقامر والحانات واماكن الفحشاء . وقد يبلغ من عفة نفسه ان ترتعد فرائصه عند ذكر تلك الاماكن الجهنمية . ولكنه لا يزال مع ذلك عرضة لخطر هو اشد وطأة على الانسانية من سائر الاخطار لانه يتناول عذاب النفس والجسد . اذا اصاب شاباً ذهب بصحته وافسد آدابه وجرَّه الى بلايا الموت اخف منها وطأة واسهل مراساً

اذا شبَّ الفتى على كره الرذيلة كان في مأمن من غوائلها لبعده عن اسباب العدوى وقد يغريه عشراؤه على المنكر فيمسك نفسه ويعصاهم ولا ينفع عصيانه الا اذا كان شديداً فاذا سايرهم مرة ولو على سبيل التجربة واقترب من تلك الفخاخ اصبح الخطر اقرب اليه من حبل الوريد . لان الانسان مهما بلغ من تعقله مفطورٌ على الضعف وخصوصاً بين يدي المرأة ولا سيما اذا كان شاباً . فكيف اذا كان الخطر يعترضهُ في الساحات العمومية وعلى قارعة الطريق ويظهر له باحب الاشكال الى قلبه . يظهر في ثوب المرأة التي جعل الله بينها وبين الرجل تجاذباً هو اساس العمران فاتخذته بعضهن ذريعة الى الدمار . نعني بنات الهوى اللواتي بلغ من تساهل حكومتنا واغضائها ان تترك لهن الحبل على الغارب . فلا تتوارى الشمس حتى ترى العشرات منهن يخطرن في اكبر شوارع القاهرة والاسكندرية وسائر

المدن الكبرى يتحرشن بالمارة من ابناء السبيل يلتمسن صيداً ينلن به رزقاً، و قدلبسن وجوهاً نضب حياؤها فاعتضن عنه بالمساحيق والادهان وتدرعن بالخلاعة وقلة الادب حتى يعاف الابيُّ النظر اليهن من بعيد . لكنه اذا تكرر ذلك عليه ثانية وثالثة ورابعة اشرف على الخطر — الا الذين تعصمهم نفوسهم من قويي الارادة واصحاب المبدأ القويم وهم قليلون . ناهيك بفتاة ربيت في الشوارع وتمرست باساليب الخداع ان تغوي فتى غض الشباب سريع التصديق على عينيه غشاوة وفي قلبه ميلٌ وضعته العناية لغرض مقدس ولكن اكثر الشبان لايفهمون معناه

ولا تحسبن الخطر من ذلك السقوط يقتصر على خرق حرمة الآداب وتشويه وجه الفضيلة ولكنه يتناول الوقوع في داء هو اعضل الادواء واشدها وطأة وافظعها مغبة يتوارثه الابناء عن الآباء . واخفُّ عواقبه تشوبه الخلقة وفساد الدم وتعريض الاعضاء الرئيسية للمرض . وقد يؤول الى قطع النسل — على ان قطعهُ اخف وقعاً على الانسانية من تسلسل الداء الوخيم في الابناء والاحفاد وبئس المصير

فلا يعجبك من بنات الشوارع بياض الوجوه وبريق العيون ونظافة اللباس واعتدال القوام فان وراء ذلك البياض جيفة قذرة وفي خلال ذلك الدمم سمٌ قاتل . واكثرهن لم يصلن الى هذا القطر الا بعد ان نبذتهن بلادهن نبذ النواة ولو وجدن فيها مرتزقاً لم يتجشمن مشاق الغربة الى حيث يقضين الليالي غاديات رائحات يرمين الشباك ويحملن اسباب الاهانة والصغار . فويل لمن تزل قدمه ويقع في تلك الهاوية

واذا كان هذا مبلغ الخطر على الشبان الذين تربوا على العفة والبعد عن الرذيلة فما قولك بالذين اخذوا بنقائص هذا التمدن وقلبوا فضائله الى رذائل فلم يتعلموا من الحرية الشخصية غير اطلاق العنان لشهواتهم ومجالسة بنات الهوى على قوارع الطرق او في المركبات والمتنزهات . فهؤلاء لا نرجو لهم صلاحاً من عند انفسهم ولا ينجع فيهم نصح . وانما ينفع في تخفيف ذلك الويل استئصال السبب من جذره بابعاد تلك الاشراك عن الناس — وهل يستطيع ذلك غير الحكومة ؟ وهي ملح الارض على ما يقولون

واجبات الحكومة

ان حكومتنا تبذل الاموال الطائلة في وقاية رعاياها من اسباب الامراض فتجبر الآباء على تلقيح ابنائهم بلقاح الجدري وتشدد في اتخاذ الوسائل اللازمة لدفع الاوبئة الوافدة تحت طائلة القصاص . فاذا علمت بحادثة كوليرا او طاعون في منزل احاطت به الجند ومنعت

الناس من دخوله واحرقت كل متاعه ولا يدخله اهله الا بعد تطهيره على الطرق القانونية . واذا خالفها بعضهم عن جهل او بخل شددت عليه النكير وانفذت ما تريده قهراً ولو احوجها ذلك الى شد الوثاق او اطلاق الرصاص او غير ذلك من وسائل العنف . ولا تثريب عليها لانها تفعل ذلك في سبيل المصلحة العامة . وقس عليه ما تتوخاه من العناية في تطهير امتعة المسافرين و تضييق الحجر الصحي على الوافدين ولو كانوا اطفالاً اوشيوخاً ولو بعثها ذلك على تعذيبهم او احراق ثيابهم وغايتها من ذلك حميدة أيضاً . ناهيك بما تنفقه من الاموال في اصلاح الشوارع وحفر الترع واضاءة المدن وكنس الطرق ورشها — أرأيت اذا هي فعلت ذلك كله وكلفت الناس في سبيله ما يحتملون وما لا يحتملون رغبة في المصلحة العامة فانها اذا لم تتدارك الخطر الذي نحن في صدده كان عملها ناقصاً . لان تنظيف المجتمع المصري من تلك الادران السامة اولى من تنظيف الشوارع من الغبار . ووقاية الشبيبة المصرية من مهاوي الفساد وحماية ابدانهم من تلك الامراض القذرة اولى في اعتبارنا من تطهير منزل حدثت فيه اصابة بالتيفويد او الدفتيريا لان عدوى هذه الامراض وامثالها تنحصر في بعض الاقربين ولا تتعدى الجيل الواحد من الناس . واما تلك فانها تنتقل في الاعقاب حتى تؤول الى فناء الذرية

وقد يُعترض على ذلك بان الحكومة تتلافى هذه الاخطار بين اقامتهم لفحص المومسات . نعم . ولكنها لا تتمكن من ذلك لتساهل المنوط بهم تبليغ خبر اولئك العواهر فلا يفحص الاطباء منهن الا جزءاً صغيراً . واللوم يرجع اكثره على البوليس لان رجاله المكلفين بذلك لا يفهمون معنى الفضيلة ولا يدركون التبعة التي تلحقهم بالاغضاء الذي قد يكسبهم درهماً او يساعدهم على نظرة ولكنه يقتل المئات والالوف . فلو كان البوليس متعلماً متثقفاً لكانت المصيبة اخف من ذلك كثيراً — اقتبسنا هذه العادة الجهنمية من الافرنج واتقنا اقتباسها بحذافيرها ولكننا لم نحسن تدارك اضرارها كما يتداركها هم . فالبوليس مكلف بمنع بنات الهوى من الطواف على الشكل الذي نشكو منه ولكنه لا يفعل لاعذار لا طائل تحتها

هذه شكوانا على الخصوص من بنات الهوى اللواتي يتجولن في الشوارع الكبرى حول الازبكية بالقاهرة والمنشية بالاسكندرية . ولكننا نشكو شكوى عامة من اباحة الفحشاء والعبث باسباب العفاف — والعفاف سياج العمران

لا تفلح امة انغمس ابناؤها في حمأة الفحشاء ولا سيما اذا تنبهت ونهضت تطلب استقلالاً او نيابة اورقياً سياسياً او ادارياً والانغماس في الفحشاء انما يقع في اواخر

الدولة ويكون دليلاً على سقوطها . اما في اوائلها او في اثناء نهوضها فلا بد من تنزيهها عن تلك الدنايا لما يترتب على ذلك الانغماس من ضياع القوى العقلية والبدنية فيتولى صاحبهُ ضعف العزيمة والخمول فيذهب نشاطه وتسقط همته وتصغر نفسه — ومن كان عبداً لشهواته لاغرو اذا استعبده الآخرون . ولا يعترض بشيوع ذلك في اوربا فلنا عاداتنا وطبائعنا ولهم عاداتهم وطبائعهم وما يوافق قوماً قد لا يوافق آخرين

شهادة التاريخ

على اننا لانعرف احداً ينكر مضار الفحشاء وما تأول اليه من احوال الضعف عقلاً وبدناً . يدلك على ذلك اجماع الامم على تجنبها ولا سيما في اثناء تيقظها ونهوضها لاصلاح شؤونها . ولا خلاف في ان الامة الناهضة لافائدة من مساعيها ان لم يكن العفاف نبراسها اعتبر ذلك بما مر على الامم من ادوار التاريخ قديماً وحديثاً . فلا ترى دولة قامت وتأيدت الا وكان العفاف سياجها مع اعتبار طبائعها وسائر احوالها . وما من دولة ذهبت الا كان الانغماس في المنكرات من اكبر اسباب ذهابها . انظر الى دولة الرومان التي امتد رواق سلطانها على الخافقين وحملت اليها الجزية من اربعة اقطار المسكونة فانها حالما فسدت آداب اهلها فسد نظامها ووهنت قواها وما لبثت ان سقطت وكان سقوطها عظيماً . ولو تتبعت تواريخ الامم على اختلاف الزمان والمكان لرأيتها تتشابه من هذه الحيثية وكلها قد ذهبت فريسة التهتك والابتذال

ولكن مالنا وللامم البعيدة اليك دولة العرب التي قل ان بلغت دولة مبلغها من العظمة والسطوة وهي انما بلغت ما بلغته من ذلك في صدر الاسلام على عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعيدهم من التابعين وتابعي التابعين الذين اتخذوا العفاف نبراساً وعملوا بمقتضى الكتاب والسنة فاتسع ملكهم ودانت لهم الرقاب حتى اذا كانت ايام دولة بني العباس وقد بلغت شمسها الهاجرة في عهد الرشيد والمأمون مالوا الى البذخ وانقطعوا الى الشهوات فاذا كانت ايام المعتصم ومن بعدهُ تعاظم اقتناؤهم للجواري والمماليك واطلقوا لشهواتهم العنان فانغمسوا في الفساد واكثروا من التهتك والفحشاء فذلت نفوسهم وخارت قواهم وتغلب عليهم الاتراك والتتر والاكراد وغيرهم فذالت دولتهم واندك طود ملكهم واندثرت اعلام مجدهم ولم تقم لهم قائمة من ذلك الحين

على اننا لانحتاج الى النظر بعيداً وشاهدنا قريب في دارنا هذه مصر السعيدة فقد جاءها المغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة المحمدية العلوية والمنكر ضارب اطنابه فيها بما احله

الامراء المماليك من المحرمات وقد ضرب بت الذلة والمسكنة على المصريين حق لم يكن يرجى لهم بث من ذلك الموات وخصوصاً بعد الحملة الفرنساوية التي زادت الاباحة واطلقت سراح المومسات فعلم محمد علي باشا الداء و بادر الى الدواء فشدد النكير على كل منكر وعمل على قطع دابر المتهتكات نفياً وقتلاً ويحكى انه علم بارتكاب بعض رجاله منكرًا من هذا القبيل فامر به و بالمرأة فاغرقا في النيل معاً ولا از يدك علماً بعاقبة ذلك ولسان الحال شاهد عدل

وبالغ المغفور له سعيد باشا في اتباع العفاف حتى في الحلال لاعتقاده بما ينجم عن اطلاق هوى النفس من ضعف العزائم فقد ذكروا انه لما سافر في اوائل سنة ١٢٧٩ﻫ الى اوربا لمعالجة نفسه من داء السرطان كتب الى قائمقامه في مصر بطلب جميع الضباط المصريين من بلادهم واقامتهم في قصر النيل ومداومتهم على التدريس في القوانين العسكرية وهذا قوله «ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم ولو تركناهم على هذا الحال الذي لا يعود عليهم الا بالوبال لفقدوا العافية والنظر وصاروا عبرة لمن يعتبر . وبما اننا نحن الذين ربيناهم ورقيناهم واظهرناهم فلا يصح لنا تركهم في هذا الحال الذي ذكرناه فقد اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن بالعين والتشديد عليهم بمداومة التدريس ليلاً ونهارًا في قصر النيل »

وزد على ذلك ان الفحشاء منكر من المنكرات التي ينهى عنها الدين والشرع على اختلاف الاعصر فما من دين الا وهو ينهي عنها و يشدد العقاب على مرتكبيها . والشرائع لم توضع عبثا سواء كانت دينية اومدنية وهي مجمعة على اضرار هذا المنكر

على اننا اذا سلمنا مع القائلين باطلاق الحرية اقتداء بالدول المتمدنة وان ذلك الشر ضروري لا مندوحة عنه بشرط ان تتولى الحكومة مراقبته وتعهد المومسات بالكشف الطبي منعاً لانتشار الامراض ايثارًا لاختيار اهون الشرين لانها في حال تخالف ما كان على عهد محمد علي وانها تعجز عن منع الفحشاء -- اذا سلمنا معها بذلك فانها لا تنجو من غائلة اللوم على امر هو عندنا من الاهمية بمكان عظيم وذلك ان اماكن الفحشاء هذه معظمها في اواسط المدينة وعلى الشوارع العمومية بحيث تكون أشرا كها اكثر اصابة فضلاً عن الاضرار التي تلحق بالعائلات الساكنة في ذلك الجوار . فالحكومة مطالبة شرعاً وعرفاً بدفع هذه المحظورات بتنقية المدينة من هذه الاوساخ وتطهيرها من هذه الارجاس واذا كانت لا تستطيع استئصال شافة اولئك الابالسة فلا اقل من اخراجهن من قلب المدينة الى مكان بعيد في ضواحيها فلا يذهب اليهن الا المستهالك في سبيل شهواته وهذا حيانه كماته وينجو كثير من الشبان

الذين انما ينقادون الى تلك الاماكن انقياد الشاة الى الذبح اما بلفظة او باشارة او على اثر كاس من الخمر او قدح من (البيرا) وهم ليسو مفطورين على الرذائل ولكن وجود تلك الفخاخ في وسط المدينة وعلى قارعة الطريق هو الذي جرهم الى هذا المنكرلان اولئك المومسات يحرشن بهم باساليب الخلاعة مما تشمئز منه النفوس ولا ينجو منهن الا الذي رسخت قدمه في المبادي الصحيحة ولكن الضعفاء في الناس اكثر كثيراً من الاقوياء فلو اكانت هذه الاماكن خارج المدينة لما وصل اليها الا المنغمس في شهواته ولا سبيل الى صلاحه ولا فائدة من وعظه

من الملوم

فاللوم واقع معظمهُ على الحكومة وهي الوصية على الناس تراقب اعمالهم وتتولى هدايتهم ووقاية ابدانهم فعليها التبعة الاولى يشاركها فيها الاباء · ولا يخلو الشبان انفسهم من هذه التبعة ولا سيما في هذا العصر عصر النور والعرفان وهم لا يجهلون عواقب هذه المنكرات

والانكى من كل ذلك ان مرتكبي هذه الدنايا اكثرهم من اهل اليسار وهم الذين يرجو الوطن منهم رفع مناره وتعزيز شأنه — نعم ان ذلك لما يزيد المصيبة كبراً · ومن البلية ان يكون المال وسيلة للخراب والناس انما يسعون فيه طلباً للعمار وهو بالحقيقة قوام العمران افيتخذه اولئك الاغرار وسيلة لهدم اركان الهيئة الاجتماعية وتدنيس الآداب العمومية · أليس من موجبات الاسف ان يكون بيننا شبان وهبهم الله جسماً صحيحاً وعقلاً صحيحاً وقد تعلموا وتهذبوا وتثقفوا فضلاً عن استعدادهم الطبيعي للعمل وقد وقف خلو جيوبهم عثرة في سبيل اعمالهم وربما قضوا السنين الطوال يحرقون ويتحرمون لقصر ايديهم عن إعمال قد حال فقرهم دون مباشرتها ولو باشروها لجاءت بالنتائج العظيمة لوطنهم او لبني الانسان كافة · وان يكون في الجانب الآخر شبان وُلدوا في نعيم وعز وتربوا في بحبوحة السعادة والرفاء لا يعرفون للدينار قيمة الا بما يسهل لهم من طرق الفحشاء والعياذ بالله فينفقون الاموال الطائلة في سبيل امر ينكره الشرع والعرف وتنفر منه الآداب وتخافهُ الفضيلة ويرتجف لهوله العمران لانهُ هادم لاركانه مقوض لدعائمه كأن الغنى وسيلة لارتكاب الدنايا فبئس الغنى ويا حبذا الفقر

اما المومسات فبعد انَ خلعن العذار لم يبق عليهن بعد خلعه لومٌ وفيهن المحمولة على ذلك لضيق ذات يدها وانما الذنب للذين حملوها عليه من نقص التربية · وقد بين ذلك طانيوس افندي عبده بقصيدة نظمها بناء على اقتراح صديق غيور على الآداب العمومية

سماها بنت الرصيف ونشرها في مجلته (الراوي) الصادرة في آخر مارس الماضي وهذا نصها

ما الذنب ذنبك بالذي وصموكِ فلقد نشأتِ كما اراد ذووكِ

***

تركوكِ لا ادباً يصون عن الخطل ومضوا بلا أمل فعشتِ بلا امل
وشقيتِ حتى هوَّن الذل الزلل لم يظلموكِ بانهم ذلوكِ بل
ظلموا العفاف وكل طهر فيكِ

فغدوتِ مثل الغصن مال مع الهوى والنجم من اوج الطهارة قد هوى
لا عطف فيكِ ولا حنان ولا جوى يدعوكِ ارباب الهوى بنت الهوى.
لو انصفوا بنت الرصيف دعوكِ

فلأنتِ عار الحب وهو مقدس والحب ارق في النفوس وانفسُ
من ان تحن اليهِ هذي الانفس فدعي الغرام باهله يتقدسُ
وهواكِ فاستغني بهِ شاريكِ

قد قيدوا اسمكِ بالسجل وسجلوا هذا البغاء عليكِ في ما سجلوا
والحرق في هذي الدفاتر اجمل لكنهم لو يعقلوا لم يفعلوا
فكانهم باكفهم قادوكِ

بئست حرائر كنت انتِ سياجها وبطون ام قد غدوت نتاجها
اتنزعين عن الطهارة تاجها ويقال انكِ قد غدوتِ علاجها
واذا شفين فمن عسى يشفيكِ

تتصيدين برغم انف الشارعِ مهج الرجال على رصيف الشارعِ
من كل مغترّ بوجهٍ لامعِ يتقربون اليكِ قرب الطالعِ
حتى اذا قربتهم نبذوكِ

وجدوا الدواء لكل داء مسقمِ الا وباءكِ فهو يخلط بالدمِ
ما السم بين نيوب ارقط ارقمِ ادهى وافتك من لمى ذاك الفم
فالموت ثاوٍ في مراشف فيكِ

بنت الرصيف اذا رُحمتِ فانما رحموا شقاءً فيك بات مجسما
رحموا هواناً فوق نفسك خيما رحموا شباباً بالمذلة قد نما
لولا الشقا والذل ما رحموكِ

والله لو كنت الجمال ممثلا ما نلت من نفس الأبي مؤملا
ان الجمال يجل حتى يبذلا فاذا تبذل بات محتقرًا فلا
حسن بلا طهر وحسن سلوك

اجور المنازل

تاريخ غلائها من سنة ١٨٠٠ — ١٩٠٧

ارتفت الاجور في اثناء ذلك ٢٩ مرة

يتحدث الناس في المنازل واجورها وغلاء اسعارها في اثناء النهضة المالية وقد اعتصب جماعات في مصر والاسكندرية للدفاع عن حقوق المستأجرين والسعي في تعديل الاجور على نسبة الحالة المالية العامة . ولا نبحث الآن في تخطئة هذا العمل او تصويبه ولكنا نقتصر على البحث في تاريخ هذا الغلاء والاسباب التي جرت اليه . نقتطف ذلك من مذكرة رفعها سعادة ارتين باشا الى المجمع العلمي المصري في الشهر الماضي عن اسباب غلاء الاسعار في القاهرة وتاريخ ذلك الغلاء في قرن وبعض القرن من سنة ١٨٠٠ — ١٩٠٧

فهو يرى ان أجور المنازل ارتفعت في اثناء ذلك القرن تسعًا وعشرين مرة اي ان المسكن الذي كانت اجرته سنة ١٨٠٠ جنيهًا واحدًا صارت اجرته اليوم ٢٩ جنيهًا ولبيان ذلك اقتصر على البحث في منازل القاهرة واحيائها وعلى اهم اسباب الغلاء فيها قال :

كان عدد سكان القاهرة سنة ١٨٠٠ على تقدير الحملة الفرنساوية نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس و بلغ عددهم بالاحصاء الاخير لسنة ١٩٠٧ نحو ٦٠٠٠٠٠ فتضاعف سكان هذه المدينة في اثناء قرن واحد ثلاث مرات . ولما انسحب الفرنساويون من مصر سنة ١٨٠١ لم يكن عدد الافرنج في القاهرة يتجاوز بضع مئات وهم الآن اذا حسبنا اليونان منهم يناهزون ٤٠٠٠٠ وهم على الغالب من اهل الثروة والعمل والنشاط ولا ريب انهم كانوا من اكبر العوامل في ترقية شأن هذه العاصمة من اربعين سنة على الاقل اي منذ اخذوا يتكاثرون فيها كما سنبينه

لما ثار اهل القاهرة في اثناء الحملة الفرنساوية كان اخماد تلك الثورة شاقاً على الفرنساويين وقتل فيها كثيرون ولا سيما من سكان الحسينية و بولاق وتهدمت اكثر المنازل فيهما ولا

لا تزال ترى بعض انقاضها هناك الى اليوم . وكان الفرنساويون في اثناء تلك الثورة وقبلها قد هدموا كثيرًا من الابنية لمنع الحصار وتوسيع المسالك لهم في ذهابهم وايابهم

ولما افضت الحكومة الى محمد علي كانت القلعة آهلة بالجند من الانكشارية وعائلاتهم فامر باخراجهم ليقيم فيها مع حاشيته وجنده وعمد من الجهة الاخرى الى تحسين المدينة وتوسيع شوارعها وتنظيمها ورفع المتهدم منها فساعد ذلك على تقليل عدد المساكن والناس مع ذلك يتقاطرون الى مصر التماسًا للرزق . وفي ايام الخديو اسماعيل (سنة ١٨٦٣ الى ١٨٧٩) زادت العناية في تنظيم القاهرة وتوسيع شوارعها وعمد رحمه الله الى تقليد الفرنساويين بما فعلوه في باريس فامر بفتح الشوارع الكبرى التي تخترق المدينة بين اطرافها بما يستلزمه ذلك من هدم الابنية . ومن آثار عنايته في هذا السبيل فتح شارع كلوت بك وشارع محمد علي وتقسيم ارض الازبكية وكانت المدينة قد ضاقت بسكانها لكثرة الوافدين في النصف الثاني من القرن الماضي ولا سيما من الافرنج بترغيب اسماعيل وبما كانوا يرونه من بذله في تحسين المدينة او في ملذاته الشخصية

واذا ذكرنا الافرنجي الوافد على مصر ينبغي ان نضيف اليه اثنين او ثلاثة من الوطنيين بين خادم وطاهٍ وسائس فهؤلاء وعائلاتهم يقدرون بعشرة انفس على الاقل لكل افرنجي من الطبقة الوسطى . وكانت سكناهم على الغالب في جهات الازبكية وتزايد عددهم من سنة ١٨٦٠ فعمدت الحكومة الى اقتطاف حديقة الازبكية (وهي لم تسوَّر بعد) ومساحته ثمانية افدنة فقسمتها الى قطع بيعت بسعر نصف جنيه المتر واقيمت عليها الابنية . اذن اسماعيل ببيع ذلك النصف اقتداء بما فعله الفرنساويون بباريس قبله اذ قسموا بعض حديقة لوكسمبورج وباعوها للبناء . ولكن الناس انتقدوه يومئذ لانه افسد تلك الحديقة القائمة في وسط المدينة فاعتذر بانه انفق ما اجتمع لديه من اثمان تلك القطع في اصلاح ما بقي من الحديقة حتى صارت على ما هي عليه الآن

وفي سنة ١٨٦٨ قسمت الحكومة ارض الاسماعيلية قطعًا عرضتها للبيع باعت المتر بنصف جنيه ايضًا كما باعت ارض الازبكية واشترطت على الشاري ان يبني بيتًا لا تقل قيمته عن الفي جنيه . وفعلت نحو ذلك سنة ١٨٨٠ في حي التوفيقية وباعته بمثل ذلك الثمن وهو ثمن غالٍ في اعتبارهم حينئذ فاقتصر عليه الافرنج وغيرهم من اهل اليسار وتحولت انظار المسلمين والسوريين والاقباط واليهود نحو الفجالة والظاهر والعباسية . والارض هناك يباع مترها يومئذ بخمسة غروش الى ٢٠ غرشًا

وكانت العادة الى سنة ١٨٦٠ ان يبني الانسان المنزل طبقة واحدة لسكناه مع عائلته فلما تكاثر الناس بالسرعة التي قدمناها اخذوا يبنون المنازل طبقتين او ثلاثا وثمن الارض في اواسط المدينة ما زالت ترتفع واخذ الناس في بناء المخازن حول الازبكية ولم يكن منها مخزن واحد سنة ١٨٦٠ ثم تكاثرت كما تعلم . والاجور تتصاعد بلا انقطاع حتى ادركت اليوم اجور اكبر المراكز التجارية في مدائن اوربا الكبرى

وتوجهت العناية من الجهة الاخرى الى اتقان الابنية وتزيينها بالادهان ووسائل النظافة والتطهير والانارة وتفريق المياه في الغرف وغيرها مما لم يكن الاسلاف يعرفونه او يشعرون بالحاجة اليه فآل ذلك الى زيادة النفقة في البناء والتزيين على المالك وزيادة الاجرة على المستأجر فمنذ خمسين سنة كان المنزل المؤلف من طبقة ارضية (بدرون) وطبقة عليا او طبقتين مع كل ما تحتاج اليه العائلات من اسباب الراحة والمنافع المنزلية لا تزيد نفقة بنائه على اربعة الى ستة جنيهات عن المتر المربع . ومثل هذا البناء اليوم يكلف ضعفي هذا المبلغ او ثلاثة اضعافه . فالقصور الكبرى التي نشاهدها في القاهرة مؤلفة من ست طبقات او سبع يكلف المتر المربع من بنائها ٢٥ جنيهاً ان لم يكن اكثر

اما الاجور فتضاعفت اكثر من ذلك كثيراً لان المنزل الذي كانت اجرته في اوائل القرن الماضي ١٦٠ غرشاً في الشهر اصبحت اجرته سنة ١٨٨٢ نحو ٢٠٠ غرش وصارت سنة ١٩٠٧ نحو ٥٠٠٠ غرش

فالقاهرة بدأت سنة ١٨٦٠ بالخروج عن حدودها القديمة فامتدت غرباً نحو بولاق حتى تجاوزت النيل من جهة الجيزة والجزيرة وشمالاً نحو شبرا والعباسية . وجنوباً نحو السيدة زينب ومصر القديمة . واخذ الاغنياء والمتوسطون من ذلك الحين يهجرون اواسط المدينة ويقيمون في خارجها فاصبح كثير من المنازل داخل المدينة خالياً مهجوراً وكثير منها هجرها اصحابها ليقيموا في الضواحي اقتداء بالافرنج او التماساً للهواء النقي . فقصور درب سعادة ودرب الجماميز والدرب الاحمر وغيرها صارت مساكن للفقراء واصبحت حدائقها عششاً وقصورها دوراً بسيطة ومع ذلك فاجورها ارتفعت

ومنذ ثلاثين سنة كانت ارض حوش الشرقاوي او معروف تؤجر لبناء العشش بسعر المتر خمس بارات واما الآن فاجرة المتر في حوش الشرقاوي غرشان وفي معروف قرب قصر النيل يباع المتر الواحد بعشرين جنيهاً فهجر الاوساط تلك الاماكن فراراً من الغلاء حتى اراضي الحكر التي لم تغير اسعارها من اول القرن التاسع عشر اعادت نظارة الاوقاف

النظر فيها ورفعت اسعارها من ٢٠٠ الى ٥٠٠ مرة في اثناء العشرين سنة الاخيرة حسب مواقعها من مراكز الاشغال

فيؤخذ من الخلاصة التاريخية التي ذكرتها عن توسيع نطاق القاهرة وتحسينها ونموها في القرن الماضي ان المنازل زادت اجورها ٢٨ ضعفاً مع ان السكان لم يزد عددهم على خمسة اضعاف (كما ترى ادناه)

ولا يخفى انَّ المضاربات على ارض البناء بمصر في الاعوام الاخيرة زادت اثمانها زيادة فاحشة وانما يعزينا على هذا الصعود التعلل بان بلادنا سائرة في سبيل الثروة والرفاه مثل ارقى بلاد العالم

اسعار المأكولات

وبحث ارتين باشا ايضاً في مذكرته المشار اليها بحثاً ضافياً في اسباب غلاء الاسعار بمصر على الاجمال ولا سيما المأكولات وسائر مرافق الحياة فاتى بتاريخ هذه الاسعار من اول القرن الماضي الى اليوم واسند كلامه الى الجبرتي ورجع الى السجلات الرسمية واورد احصائيات جزيلة الفائدة عن نمو التجارة والزراعة والسكان وغيرها التماساً لاسباب الغلاء الحقيقية ومن اهم تلك الاسباب ان السكان زاد عددهم في اثناء تلك المدة اكثر من زيادة مساحة الارض المزروعة كما ترى في هذا الجدول :

السنة	الارض المزروعة بالفدان	السنة	عدد السكان
١٨١٣	٣,٠٥٤,٧١٠	١٨٢١	٢,٥٣٦,٤٠٠
١٨٤٠	٤,٣٩١,٢٢٦	١٨٤٦	٤,٤٧٦,٤٤٠
١٨٧٥	٤,٧٠٣,٤٥٦	١٨٧٣	٥,٢٥٠,٠٠٠
١٨٨٤	٤,٨٤٨,١١١	١٨٨٢	٦,٨١٣,٩١٩
١٩٠٦	٥,٣٣٩,٦٣٨	١٩٠٧	١١,٢٠٦,٣٥٩

فترى مساحة الارض الزراعية تضاعفت من اوائل القرن الماضي الى الآن اقل من مرتين اما السكان فزاد عددهم نحو خمسة اضعاف

ثم اورد جدولاً طويلاً للاسعار على الاجمال من سنة ١٨٠٠ الى الآن لم يغادر صنفاً من لوازم الحياة او المدنية الا ذكر سعره سنة ١٨٠٠ و ١٨٢٧ و ١٨٨٠ و ١٩٠٧

اقتطفنا منه الجدول الآتي والاثمان بالمليم والجنيه

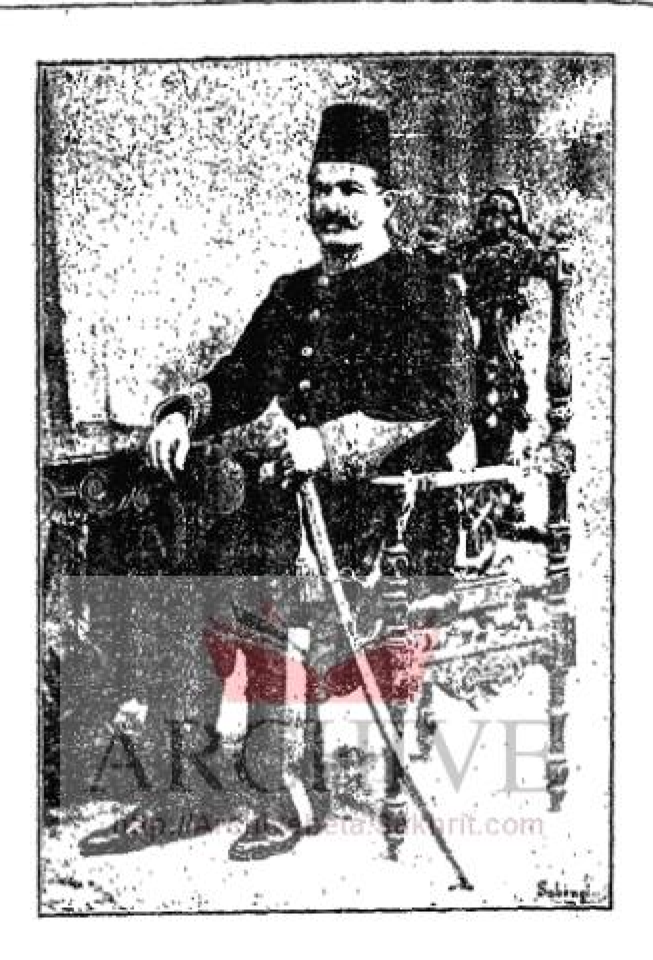
الاسم	الوزن	١٨٠٠	١٨٢٧	١٨٨٠	١٩٠٧
زبدة	الرطل	—	,٠١٦	٠٠,٠٣٤	٠,٠٦٠
الحنطة	الاردب	,٢٨٤	,٣٨٤	١,٠٠٠	١,٤٠٠
البن	الرطل	—	,٠٦٤	,٠٤٠	,٠٦٠
الفحم	الاقة	,٠١٤	,٠١٣	,٠٠٧	,٠١٠
القطن	القنطار	٢,٠٠٠	—	٢,٥٠٠	٣,٥٨٠
التمر	الرطل	—	,٠٠٣	,٠٠٤	٠,٠٠٨
الذرة	الاردب	,١٧٥	—	,٦٥٠	٠,٧٥٠
الدقيق	الكيس ٨٠ اقة	—	—	,٩٥٠	١,٣٠٠
الفول	الاردب	,٠٦٧	,٢٢٤	,٧٤٥	١,٢٥٠
الجبنة	الرطل	—	,٠٠٤	,٠٢٠	٠,٠٢٠
زيت الزيتون	الاقة	—	,٠٤٨	,٠٤٥	٠,٠٨٠
« السمسم	القنطار	١,٣٦٠	—	٢,٠٠٠	٣,٠٠٠
اللبن	الرطل	—	,٠٠١ ½	,٠٠٥	٠,٠١٠
العدس	الاردب	,٢٠٠	,٤٨٠	,٦٠٠	١,٣٠٠
البيوت	الاجرة (اقلها)	—	٠,٠١٦	٠,١٠٠	٢,٠٠٠
البيوت	الاجرة (معظمها)	—	١,٦٠٠	٢٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
العسل	الرطل	,٠٠٦	,٠١٣	,٠٣٠	٠,٠٢٥
الضاني	الرأس	,٣٧٠	—	,٨٠٠	٣,٠٠٠
علفة الحمار	في اليوم	,٠٠٦	—	,٠٣٠	٠,٠٦٠
« البقرة	«	,٠١٤	—	,٠٤٠	٠,٠٩٠
« الجمل	«	,٠٢٠	—	,٠٥٠	٠,١٠٠
البيض	كل ٨٠ بيضة	—	,٠١٦	,٠٨٠	٠,٤٠٠
البصل	القنطار	,٠٧٠	—	,١٥٧	٠,٢٥٠
الفاعل	باليوم	,٠١٥	,٠٠٨	,٠٤٠	٠,٠٦٠

الاسم	الوزن	١٨٠٠	١٨٢٧	١٨٨٠	١٩٠٨
ريش النعام	القنطار	—	—	٥,٠٠٠	١٠,٠٠٠
الرصاص	»	٢,٧٥٠	—	٠,٢٥٠	٠,٥٥٠
العنب	الاقة	—	٠,٠٤٠	٠,٠١٠	٠,٠٢٠
الرز	»	—	٠,٠٤٠	٠,٠١٥	٠,٠٢٥
الصابون	الرطل	٠,٠١٥	٠,٠٢٤	٠,٠١٥	٠,٠٢٠
الملح	»	—	٠,٠٠٣	٠,٠٠٢	٠,٠٠٠½
السكر	»	٠,٠١٠	٠,٠١٦	٠,٠٠٩	٠,٠١٠
العجل	الرأس	٠,٩٠٠	١,٢٨٠	—	٢,٠٠٠
لحم البقر	الرطل	—	٠,٠٠٤	٠,٠٢٠	٠,٠٣٠
« الجاموس	»	—	—	٠,٠١٨	٠,٠٣٠
« الغنم	»	—	٠,٠٠٤	٠,٠٣٠	٠,٠٤٥

اجور المستخدمين

وبحث سعادته أيضاً في اجور المستخدمين وقابل بما كانت عليه في اول القرن الماضي وما بلغت اليه الآن ورجع في تحقيق ذلك الى الجبرتي ثم الي ولكنسن الرحالة الانكليزي الذي كان في مصر سنة ١٨٣٠ ونقل من رحلته جدولاً عن مقادير اجور المستخدمين سنة ١٨٢٧ وكانت اسماء مناصبهم تختلف عن اسمائها الآن فسماها ارتين باشا بالاسماء المألوفة اليوم التماساً للايضاح كما ترى في الجدول الآتي :

	الراتب السنوي بالجنيه
ناظر الداخلية وحاكم مصر العليا العام	٣١,٠٠٠
المدير	٨٤٠ — ١,٥٠٠
وكيل المديرية	٤٢٠ — ٦٠٠
مأمور مركز	٩٦ — ١٩٢
معاون	٨٠ — ١٦٠
عمدة او شيخ	٨٠



سليم صيدناوي

صاحب اكبر محل تجاري في الشرق

ولد بسنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٩٠٨

المراد عندنا من نشر تراجم العظماء اما تدوين اعمالهم ليبقى ذكرهم اقرارًا بفضلهم واعجابًا بمواهبهم او نشر تلك الاعمال للاعتبار بسير اصحابها قدوة لسواهم او للسببين جميعًا . فترجمة بونابرت والاسكندر ومعاوية والمنصور وبسمارك وغلادستون يراد بها تخليد اعمال اولئك العظماء والاعجاب بما اتوه من الاعمال العظمى . وترجمة كولمبوس مكتشف اميركا وباستور مكتشف المكروب وغوتمبرج مخترع الطباعة وغيرهم من اصحاب الفضل على المجتمع

الانساني يراد بها على الغالب تدوين افضالهم على صفحات التاريخ · واما تراجم دزرائيلي وبالسي وسليني وروتشيلد وغيرهم من رجال النشاط والاجتهاد الذين ولدوا فقراء واكتسبوا الثروة او العلم او الصناعة بجدهم ونشاطهم فيراد بها فضلاً عن تخليد ذكرهم الاقتداء باعمالهم وكلما اقتربت سير هؤلاء من حاجات القراء زادت الفائدة من نشر تراجمهم · فترجمة رجال السياسة او الادارة او الحرب لا تفيدنا شيئاً في ما نرجوه من التقدم في اعمالنا. واما رجال العلم او التجارة او الصناعة اذا كانوا قد نالوا ما نالوه من الثروة او الجاه بجدهم وامانتهم فترجمة حالهم فيها قدوة حسنة للشبيبة من ابناء هذا الجيل ـ ودرهم قدوة خير من قنطار تعليم

وقد جرت العادة ان يقتصر ارباب الاقلام عندنا على ترجمة العلماء او القواد او رجال السياسة ونحن اشدّ احتياجاً الى ترجمة التجار العصاميين الذين اثروا بالطرق القانونية الموافقة لشروط النجاح · لان التجارة اهم مصادر الارتزاق في بلادنا · ومن الاوهام الشائعة « ان الثروة لا تنال بطريق الحلال وان الانسان الامين المستقيم يعيش فقيراً و يموت معوزاً وانما يثري الكاذبون اهل الحيل والنفاق » · وهم في ذلك اقوال واشعار وأمثال · وهو عذر الذين يفشلون في سعيهم مع رغبتهم في العمل وسهرهم واستقامتهم فينسبون فشلهم الى صدقهم وسلامة نيتهم · وهم انما فشلوا لافتقارهم الى بعض معدات النجاح كالذكاء او المعرفة او الثبات او نحو ذلك لان الاستقامة وحدها لا تكفي ولو رافقها السعي والسهر · واليك اهم ما يحتاج اليه الانسان من شروط النجاح على العموم :

شروط النجاح

(١) المعرفة : اول ما يحتاج اليه طالب النجاح في هذه الحياة ان يكون متقناً لعمل من الاعمال الصناعية او التجارية او الزراعية او القلمية كان يكون نجاراً ماهراً او تاجراً محنكاً في اصناف التجارة او عارفاً الحساب التجاري او مزارعاً يعرف أصول الزراعة علماً وعملاً او عالماً بفن من الفنون القلمية او متقناً مهنة من المهن العلمية كالطب او المحاماة او الترجمة او الانشاء او نحو ذلك · ويكفي ان يعرف مهنة واحدة معرفة جيدة لا ان يعرف غير واحدة معرفة ناقصة فان المكثر لا يتقن والنجاح يحتاج الى اتقان

(٢) حسن الاختيار : وهو ان يحسن الانسان اختيار المهنة الملائمة لمواهبه ويضعها في المكان الموافقة له · فلا يتعاطى الصناعة وهو مفطور على التجارة ولا يشتغل بالعلم اذا لم تتوفر فيه المواد اللازمة له · ولا يتعاطى عملاً حيث لا يرجى له رواج كان يتجر بالاقمشة السميكة في البلاد الحارة او ينشىء معملاً لمصنوعات لا تروج في تلك البلاد او انها

تكلف اكثر مما تكلفه اذا حملت اليها من الخارج أو نحو ذلك مما لا يمكن حصره وانما يكفل بتمييزه الذوق السليم

(٣) الثبات : كثيرًا ما يفشل العامل ولو توفرت فيه المعرفة اللازمة وحسن الاختيار ويغلب ان يكون سبب فشله استعجاله في استثمار عمله . فاذا لم يذق ثمر سعيه عاجلاً عدل عنه وشكا سوء حظه او نقم على الزمان لانه لا يساعد غير الجهال ... وقد يأتي بالشواهد القريبة عن اناس افلحوا وهم اقل منه معرفة وقد فاته انهم انما افلحوا بالثبات او بغيره من الاسباب التي لم تتوفر فيه وهي لازمة للنجاح

(٤) الاستقامة : من الامثال الشائعة على ألسنة صغار الباعة ان هذا الزمان لا ينفق فيه غير النفاق ولا يروج فيه غير الغش وهم يقولون ذلك في كل زمان . وهو غير الواقع لان الاستقامة والامانة من اهم شروط النجاح ولاسيما في هذا العصر عصر الحق والحرية وما نجاح الكاذبين الا الى حين . على ان الاستقامة وحدها لا تفيد شيئاً لان المستقيم اذا جردته من المعرفة والثبات كان كالحيوانات لانها سليمة القلب لا تعرف الغش ويندر ان تسرق او تخدع ... وانما يشترط في الاستقامة ان تكون دعامة للمعرفة لا ان تكون هي رأس مال العامل وحدها

(٥) الاجتهاد : قد تتوفر في الرجل المعرفة والاستقامة والثبات وحسن الاختيار ولا يصيب الا نجاحاً قليلاً لكثرة المناظرين له في مهنته او لاسباب اخر . فلا يتم نجاحه الا بالجد والسهر وقد يكون الرجل متوسط الذكاء والمعرفة فيعوض جده عن ذلك النقص

(٦) مراقبة الفرص : ان اغتنام الفرص من اكبر اسباب النجاح وهي على الغالب أهم وسائل الاثراء . اذ قد تسنح للانسان فرصة اذا تنبه لها واغتنمها اغنته عن سعي كثير او فتحت له باباً للكسب الطائل الذي لا يتوقعه من عمله الاعتيادي

(٧) اسلوب المعاملة : هذا سر عظيم من اسرار النجاح اذ قد يكون الانسان متقناً ثابتاً مستقيماً مجدًّا ساهرًا ولا يصيب نجاحاً كبيرًا لانه لا يحسن معاملة الناس او انه اتخذ في معاملتهم اسلوباً لا يرضيهم . وينبغي لطالب النجاح ان يتحلى بالاخلاق الرضية مع خفة الروح ورقة الطبع ودقة الشعور . فاننا نعرف غير واحد من اشهر المتقنين لاعمالهم وقد فشلوا لانهم لم يحسنوا الاسلوب في المعاملة وكثيرًا ما يتوقف نجاح المرء على حسن اخلاقه اكثر مما على حدة ذهنه وذكائه

فسليم صيدناوي الذي نحن في صدد ترجمته ولد فقيرًا ونال ثروة طائلة وشهرة واسعة بجده واستقامته وتيقظه وثباته وحسن اسلوبه على ما تراه في ما يلي :

ترجمة حاله

ولد سليم في دمشق سنة ١٨٥٦ من عائلة معروفة هناك وكان ابوه المرحوم يوسف صيدناوي سمسارًا تجاريًا . فربي في حضن والديه وتلقن مبادىء القراءة والكتابة على قدر ما تسمح به احوال تلك الايام . فقد كانوا اذا اتقن احدهم القراءة في المزامير او الاناجيل وعرف شيئًا من الحساب قالوا « انهُ ختم علمهُ » وكان والده كثير التفكير في مستقبل بنيه ويرى ان الشاب لا يأمن الفقر مالم يتعلم صناعة من الصنائع الضرورية فادخل سليماً في محل خياطة افرنجية وكانت حديثة العهد في سوريا يومئذ فتعلمها وما زال يشتغل بها حتى انتقل الى مصر سنة ١٨٧٩

وكان اخوه سمعان وهو اصغر منه بسنتين قد اتى مصر سنة ١٨٧٧ وكان من صغره ميالاً الى التجارة فخدم وهو في دمشق في محل تجاري نحو ثلاث سنوات مع رغبة ابيه في تعليمهِ الصناعة عملاً بالمبدإ الذي قدمناه . وقد علمه صناعة الحياكة لكنه كان اكثر ميلاً الى التجارة . وجاء مصر سنة ١٨٧٧ بلا رأس مال فلقي فيها عمه المرحوم نقولا صيدناوي وكان تاجرًا في الحمزاوي ببيع الحرائر والخرداوات فخدم عنده ونفسه لا تطاوعهُ على البقاء في الخدمة . واتفق بعد خمسة اشهر من خدمته عند عمه ان تاجرًا سوريًا اسمهُ الياس جمالي توفي عن اولاد قاصرين وله محل تجاري في الحمزاوي اراد الاوصياء تصفيته فاغتنم سمعان هذه الفرصة وتصدى لتصفيته فسلموه اليهِ وعمل في اثناء التصفية على استخدام بعض ما يقبضه من ثمن المبيع في ابتياع بعض الاصناف وتصريفها مع سائر البضائع على ان يكون له نصف ربحها وللمحل النصف الآخر . ولما قارب الفراغ من التصفية بلغت تلك الارباح ٢٨٥ جنيهًا نصفها له . فاتفق مع الاوصياء على استبقائها كلها بيده وان يدفع عن النصف الآخر وعن ثمن بضائع باقية في المحل قيمتها ١٤٠ جنيهاً فائدة قانونية . فكان رأس مال ذلك المحل نحو ٥٠٠ جنيه ثلثاها دين على سمعان يدفع فائدته ٣٠٠ غرش كل شهر

فصرف سمعان عنايته في طلب النجاح بالطرق الحلال وكان سبب نجاحه على الاكثر انهُ اهتدى بتفكيره وسهره الى المصدر الاصلي للبضائع التي كان يبيعها في محله وهي الحرائر والمناديل وكان تجار القاهرة يستوردونها من الاستانة فعرف هو ان تجار الاستانة يستجلبونها من اوربا فاستجلبها من هناك رأسًا وباعها بارخص مما كان غيره يبيعها بهِ فراجت تجارته واتسع شغلهُ

فلما قدم سليم الى مصر كان سمعان في محله المشار اليه فاشتغل سليم اولاً بالخياطة من طريق التجارة فاشترك مع الخواجه متري صالحاني في محل للخياطة والتجارة وحصة سليم من رأس المال دفعها اخوه . و بعد قليل احترق المحل وذهب رأس المال كله . وكان بين سليم وسمعان تآلف وتحاب فوق تآلف الاخوة كانهما شخص واحد. وكان للمرحوم سليم انعطاف على اخيه منذ الصغر فلما احترق المحل اغضى سمعان عن تلك الخسارة وشارك اخاه في الباقي معه ففتحا حانوتاً في الموسكي عند مدخل شارع منصور باشا لا تزيد مساحته على اربعة امتار مربعة اقام فيه سليم وظل سمعان في الحمزاوي . وعقدا الشركة رسمياً باسم « سليم وسمعان صيدناوي » سنة ١٨٧٩ اي منذ ٢٩ سنة . واخذا في العمل بنشاط وامانة وهما عازبان يقيمان في غرفة بوكالة يعقوب بك بالحمزاوي ليس فيها من الاثاث الاَّ سرير ينام عليه احدهما ومقعد ينام عليه الآخر. و يأكلان في مطعم بغاية ما يكون من البساطة والاقتصاد. وقد سمعناهما يذكران ذلك بعد ان بلغا ما بلغاه من بسطة الجاه وسعة الثروة لا يرون في ذكره حطة ولا صغاراً

اساس النجاح

واساس نجاحهما بعد الشركة حادثٌ يشبه ما يروى عن نجاح بيت روتشيلد يدلُّ على ثمار الامانة والاستقامة . وذلك ان سليماً وهو في حانوته المشار اليه اتته خادمة من قصر البرنس مصطفى فاضل باشا وابتاعت منه ثوبي دانتلا بستة عشر غرشاً (تعريفة) وفهمت انه يعني ١٦ غرشاً صاغاً فدفعت المبلغ ومضت وهو لم ينتبه لمقدار مادفعته لاشتغاله بسواها ثم عدَّ النقود فرأى المرأة دفعت ضعفي ما يطلب منها ولم يكن يعرف مكانها . فجاءت في اليوم التالي لتبتاع ثوبين آخرين وبيدها ١٦ غرشاً اخرى فاخبرها ان الثمن ٨ غروش وهي القيمة التي بقيت لها بالامس واعطاها الثوبين ولم يأخذ منها شيئاً . فدهشت المرأة لهذه الامانة وهي نادرة الوقوع لاسيما في معاملة الاغنياء لطمع الناس باموالهم . وقصَّت ذلك على سيدتها فشاع خبر تلك الحادثة في بيوت الوجهاء من الامراء واقاربهم فرغبوا جميعاً في معاملة ذلك التاجر المستقيم . وكان سليم يعرف شيئاً من التركية سهل عليه معاملتهم وما زالوا يزدادون ثقة بامانته كل يوم حتى اصبحوا لا يبتاعون فرشاً او ثياباً او قماشاً الا بمشورته او على يده

فاشتهر بالامانة والاستقامة بين الاغنياء فزادت مكاسبه وضاق ذلك الحانوت عليه فانتقل سنة ١٨٨١ الى حانوت اكبر منه في الموسكي ايضاً يطلُّ على الخليج — ثم وسعوه من داخله بعد ذلك وهو شطر محلهم الحالي وفيه اصناف السجاد والفرش . ولما اخذ

ذلك المحل اجتمع الاخوان للتعاون على العمل وظل محل الحمزاوي لهما . وما زالت اشغالهما تتسع ورأس مالهما يكبر وكلما ضاق المحل وسعاه حتى لم يبق سبيل الى توسيعه فاتخذا محلاً تجاهه جعلاه المحل المركزي وفيه الكتاب والحساب

ومما يعدُّ خطوة كبرى في طريق النجاح اعتمادهم في المسواق على اوربا . بدأوا بذلك سنة ١٨٨٥ في فرصة عرضت لهما وذلك ان المرحوم سليماً اصيب بانحراف في صحته فوصف له الاطباء الاستشفاء باوربا فاغتنم وجوده هناك وخابر المعامل التي تشتغل باصناف تجارته ورأى فرقاً كبيراً بالاسعار فعاملها رأساً فصار ذلك قاعدة في المسواق كل عام . واقتسم الشغل بين الاخوين فتولى سليم المسواق والحسابات وانفرد سمعان بتنظيم ادارة البيع وما زالا في تقدم والشغل ينمو ويتسع ويتفرع حتى اصبح محلهم في القاهرة اعظم محل تجاري في الشرق عدد عماله يناهز ١٥٠ عاملاً من الباعة والكتاب غير المستخدمين الصغار وغير مستخدميهم في اطيانهم وعقاراتهم واعمالهم الاخرى فضلاً عن محلاتهم الفرعية في منشستر وليون وباريس والاسكندرية وغيرها وغير البنك الذي انشأوه قبل العام الماضي شركة مساهمة باسم « بنك صيدناوي وظريفة ونحاس وشركاهم » وانعم عليهما الجناب العالي بالرتبة الثانية مع لقب بك . وفي العام الماضي جعلا محلهم التجاري بالقاهرة شركة مساهمة اسمها « سليم وسمعان صيدناوي ليمتد » وظلت شركتهما الاصلية في العقار والطين باسم « سليم وسمعان صيدناوي » اما ثروتهم فنحو ثمانمئة الف جنيه ثلثاها عقار واطيان والثلث الآخر في التجارة

حساب الحق او العشور

قد رايت انهما اسسا شركتهما على الاستقامة والامانة وقد سيجاها بالاحسان على اسلوب جعلا الاحسان فيه فرضاً عليهما لا يتوقعان عليه اجراً . وذلك انهما تعاهدا منذ تأسيس الشركة وهما في ذلك الحانوت الصغير ان يخصصا خمسة في المئة من الربح تفرق في الفقراء على سبيل الزكاة . فاصبحا يجردان المحل في كل سنة فاذا عرفا الربح اخرجا خمسة في المئة منه للاحسان وسميا هذا المال « الحق او العشور » ينفق في سبل البر . ما زال ذلك دأبهما الى الآن وقد زادت اموال العشور بزيادة ارباحهما ففتحا لها حساباً خاصاً في دفاتر خاصة وربما بلغ مقدارها الآن نحو ٢,٠٠٠ جنيه في العام تنفق في اعالة الفقراء لا يفرقان في ذلك بين المسلم والمسيحي واليهودي وغيره للكساء او الطعام او المأوى او بتزويج العذارى اللواتي يحول الفقر دون زواجهن . فكم من عائلة سترها احسانهما وكم من بيوت امست لولاهما خراباً . يفعلان

ذلك ولا يمدانه احساناً واذا اردت التنويه بذكره تجاهلا وقد ينكرانه ولكن الحق يأبى الا الظهور. فلا عجب اذا رايت آثار احسانها ظاهرة في الجمعيات والعائلات والمستشفيات والمدارس والكنائس . وهي امثولة للاغنياء يحسن تحديها والعمل بها. فان المحسنين بينهم قليلون واذا عملوا براً نفخوا بالبوق وضربوا بالطبل واشاعوا ذلك على صفحات الجرائد التماساً لحسن الاحدوثة

صفاته واخلاقه

كان سليم رحمه الله ربع القامة ممتلئ الجسم مخلص الطوية صادق اللهجة لا يحلف ولا يخلف وكان واسع الصدر طويل الاناة شديد الميل الى المسالمة والتساهل صبوراً على العمل شديد المحافظة على الوقت كثير الرغبة في مواساة الحزانى واعالة المساكين فاذا احتضر والده وعلم قبل موته ان سليم صيدناوي سيكون وصياً على اولاده مات قرير العين مطمئن الخاطر ولذلك كثرت الوصايات اليه وهو لا يبالي بما ينفقه في سبيلها من الوقت او الصحة. فضلاً عن اعماله في خدمة اوقاف الطائفة الكاثوليكية وعلى توسطه في حل المشاكل بين الشركاء او الاقرباء او الاصدقاء

ومع كثرة شواغله كان كثير الائتناس بأهله لا يبرح بيته زاهراً مشرقاً بقرينته وهي ابنة عمه نقولا صيدناوي الذي تقدم ذكره في صدر هذه المقالة لما فطرت عليه من الذكاء واللطف والتعقل وحب المطالعة فلم تكن تدخر وسعاً في سبيل راحته فاذا اوى الى منزله خففت عنه متاعب الحياة بلطفها وحسن اسلوبها كما ينبغي ان تكون المرأة الفاضلة . ويعمد هو الى ملاعبة اولاده او اولاد اخيه ومداعبتهم فيذهب تعبه وتتجدد قواه فيزداد نشاطاً على العمل

العبرة والموعظة

نحن في مقام ترجمة المرحوم سليم صيدناوي ولكننا لم نزد بداً من الكلام عن اخيه ايضاً لارتباطهما في العمل وتعاونهما على الخير . اما العبرة بما تقدم فهي ان نجاح هذين الاخوين حجة دامغة على ان الاستقامة والصدق ضروريان للنجاح وان ذلك النجاح لا يكون مأموناً ان لم يتعهده اصحابه بالاحسان زكاة او صدقة فتزداد المكاسب وينجو صاحبها من غوائل الحسد . ليس لان الحسد يضر المحسودين ولكن الانسان اذا ارتقى باي باب من ابواب العمل كثر حساده ومنتقدوه وكلما كبرت نفسه كثر الطاعنون فيه — ومن الناس من لا يهمه ما يقال عنه وانما

همه ان تزيد ثروته احبه الناس او ابغضوه . ومنهم من لا يهمه الكسب بقدر ما يهمه حب الناس . فهؤلاء يتلافون الطعن والحسد بالاحسان والتواضع والتلطف وقد يكون احسانهم عن احساس ديني التماساً للثواب وكلا السببين الاخيرين حسن نافع لان النتيجة منهما اعالة الضعفاء وعمل الخير . واما الذين يقتصر همهم على جمع المال لا يبالون بما يقال عنهم فانهم نموّ غريب في جسم الاجتماع ينمو بامتصاص غذائه و يعود بالضرر عليه

اما الصيدناويان فانهما افضل مثال لما ينبغي ان يكون عليه رجال الثروة واهل الجاه وهما مع ثروتهما وجاههما يتوخيان البساطة في اساليب معاشهما و يبذلان الالوف في اعالة الفقراء . وهما مثال في الجد والنشاط يشتغلان من الصباح الى ما بعد العشاء شغلاً شاقاً يعرفه كل من زار محلهما ورأى حركة العمل فيه

ومن اسباب نجاحهما غير ما تقدم من الامانة والنشاط واغتنام الفرص حسن الاختيار فقد اختارا العمل واقتسماه على حسب استعداد كل منهما سليم للمسواق والادارة والحسابات وسمعان لادارة البيع . ومن تلك الاسباب أيضاً الثبات فقد ثبتا في شغل واحد ثلاثين سنة وهو الاتجار بالحرائر والخرداوات لم يتحولا عنه وانما وسعوه بما يلائم ان يكون ملحقاً به . ومنها اسلوب المعاملة وهما مشهوران باللطف والتواضع فلا يخرج الشاري ولا البائع من محلهما الا راضياً

الجامعة المصرية

نهضة جديدة

نهض مشروع الجامعة المصرية نهضة جديدة بعد ان سكن في خلال الازمة المالية في العام الماضي وأهم ما بعث على هذه النهضة : اولاً تعيين نظارة الاوقاف خمسة آلاف جنيه في العام بامر الجناب العالي ومصادقة الحكومة وهو راتب حسن . وثانياً ان حسن بك زايد وهب خمسين فداناً من اطيانه للمشروع وذهب وفد كبير من قبل لجنة الجامعة برئاسة البرنس فؤاد باشا رئيس تلك اللجنة الى سراي حسن بك زايد في عزبة سرساوة منوفية لقبول وقف تلك الهبة وكان الاحتفال بذلك عظيماً خطب فيه دولة البرنس المشار اليه وعلوي باشا وقاسم بك امين واحمد بك زكي مما استنهض الهمم و بعث على السخاء فوعد

كل من ابراهيم باشا مراد والسيد بك ابي حسين بمثـل ما تبرع بهِ حسن بك زايد ووعد غيرهما من الحضور بمثل ذلك مما يبعث على احياء الامل باتمام هذا المشروع الجليل

وقد أصدرت لجنة الجامعة قرارًا يعدُّ شروعاً بالعمل وذلك انها قررت مباشرة عملين الاول ارسال بعض الشبان الى أوربا والثاني القاء بعض الدروس بمصر وهذا نص القرار المذكور:

اولاً ـ الارسالية

« الغرض من الارسالية التي تقوم بها الجامعة أعداد عدد من الطلبة ليكونوا أساتذة للجامعة في المستقبل وقررت ان يكون عددهم الآن عشرة منهم خمسة لتلقي العلوم وخمسة لتلقي الآداب وتكون مدة اقامة كل منهم بحسب ما يلزم لنيل أعلى شهادة في الفرع الذي يخصص له الطالب

« ويشترط في الطلبة المرسلين ان يكونوا مصريي الجنس وان يؤدوا امتحاناً تحريريًّا شفهيًا للوقوف على درجة استعدادهم وسعة مداركهم ولياقتهم وأميالهم الى التعليم والتعلم والتحقيق من سلامة ذوقهم واعتدال مبادئهم

« وسيكون انتخاب طلاب الارسالية من حائزي شهادة البكالوريا الا انه في السنين الاول تنتخب اللجنة من طلاب المدارس العليا ومتخرجيها من ترى فيهم اللياقة

« ولاجل أن يكون عند اللجنة ضمانة لما تصرفه من النفقات في هذا السبيل يجب على كل مرسل أن يمضي تعهدًا كتابيًا بان يخدم الجامعة بعد رجوعه عشر سنين بالاقل وفي مقابل ذلك ترتب له الجامعة بعد نجاحه نظير قيامه بالتدريس فيها ماهية من ٣٥ الى ٨٠ جنيهًا شهريًّا واذا نكث الطالب عهده بعد الرجوع يسترد منه ما صرفته الجامعة عليه فضلاً عن ان الجامعة ستتفق مع الحكومة في انها لا تقبل في خدمتها مثل هذا الناكث بعهدها والحكومة يهمها ألا توظف من يظهر اخلاله بالتعهد

« وسيكون الارسال الى انجلترا او فرنسا وسويسرا او المانيا . ففي انجلترا ترسل الطلبة الى جامعة اكسفورد وكمبردج وليدس وفي فرنسا الى جامعة باريس وسيصرف على كل طالب يرسل لانجلترا مبلغ ٣٠٠ جنيه تقريبًا وعلى من يرسل لفرنسا ٢٤٠ جنيهًا تقريبًا . وعلى ذلك تكون ميزانيـة الارسالية مبلغ ٣٠٠٠ جنيه تقريبًا

ثانيا — التدريس

« ترى الجامعة انه يحسن من الآن ان تعلن ما يكون عليه نظام التعليم بها ريثما يتم

الطلبة الموجودون بالارسالية دروسهم ويحضرون لمصر مستعدين للتدريس فيها

« والطريقة التي تراها مؤدية الى هذا الغرض هي اجتلاب علماء من الخارج موقتاً لتدريس المواد المزمع تدريسها . والذي ينقص القطر المصري الآن ليست المدارس العلمية او المدارس التي يخرج منها المحامون والمهندسون والاطباء بل ينقصها المدارس التي تعلم العلم لذاته دون مجرد الربح — لذلك ستكون الابحاث التي يتناولها التعليم في الجامعة واسعة جداً و يعلم فيها تاريخ المدنية وتاريخ العلوم والفلسفة والتشريع والطب باوسع التعاليم

« وفي النية ان تضع الجامعة تحت نظر طلابها بعد بضع سنوات كل العلوم البشرية وبما ان ايرادها يسمح لها من الآن ان تقوم بنفقة اعطاء اربعة دروس يدرسها اربعة اساتذة يستجلبون من الخارج فقد اختارت من بين المواد اربعة مواد أشد اجتذاباً لميل الطلبة المصريين وهي تاريخ التمدن القديم في الشرق وتاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ الآداب العربية والفرنساوية والانجليزية وقد تقرر ان تكون مدة السنة الدراسية في الجامعة ثمانية اشهر من نوفمبر الى يونيه . والمنتظر انهُ سيعطى في كل فرع من فروع التعليم اربعون درساً في السنة وعند ما يتيسر كل المعدات ويتوفر المحل اللائق يشرع في تدريس كل العلوم »

ملاحظاتنا

هذا هو قرار لجنة الجامعة بنصه ويؤخذ منهُ ان اعضاءها جزاهم الله خيراً يبذلون ما في وسعهم لاخراج هذا المشروع الى حيز العمل وقد احسنوا في ارسال جماعة من ابناء الوطن لتلقي العلوم العالية في اوربا ليكونوا اقدر على خدمة العلوم والمعارف . وقد اعجبنا من ذلك التقرير قولهم « ان الذي ينقص القطر المصري الآن ليست المدارس العلمية او المدارس التي يخرج منها المحامون والمهندسون والاطباء بل ينقصها المدارس التي تعلم العلم لذاته دون مجرد الربح لذلك ستكون الابحاث التي يتناولها التعليم من الجامعة واسعة جداً ويعلم فيها تاريخ المدنية وتاريخ العلوم والفلسفة والتشريع والطب باوسع التعاليم » وهو قريب من الواقع فان ابناءنا احوج الى التربية العقلية والادبية منها الى العلوم الفنية ولكن لنا على هذا التقرير ملاحظتين :

الاولى : اننا لم نرَ فيه ذكراً للغة العربية على الاطلاق فلم نعلم هل تنوي الجامعة ان تلقي تلك العلوم باللغة العربية او باللغات الافرنجية والذي يتبادر الى الاذهان مما نعلمهُ

من غيرة اعضائها على حفظ الجامعة العربية ورفع شأن الامة المصرية انهم يريدون احياء هذه اللغة وهذا لا يتم طبعاً الا بان تكون هي قاعدة التعليم كما بينا ذلك في مقالاتنا السابقة عن المدرسة الكلية والتعليم في المدارس المصرية وغيرها في اهلة هذه السنة . فاذا كان احياء اللغة العربية من جملة اغراض هذه الجامعة فما معنى استقدام معلمين من الافرنج لتعليم فروع العلم التي قرروا الشروع بتدريسها .. ؟ العلهم يعتقدون خلو مصر من بضعة علماء يستطيعون تعليم تاريخ تمدن الشرق او التمدن الاسلامي او آداب اللغة ؟ — نجلهم عن هذا الاعتقاد ونحن نقرأ لخطباء نادي المدارس العليا والجمعية الجغرافية وغيرهما محاضرات اكثرها في امثال هذه المواضيع وهناك جماعة كبيرة من فضلاء المصريين فيهم الكفاءة اللازمة وقد ذكرت الجرائد اسماءهم غير مرة . وهب انهم ليسوا من العلم بالدرجة التي يتوهمونها بالاساتذة الافرنج فلا يعجزهم التوسع بالمطالعة والاهتمام في اثناء التدريس حتى يدركوا الدرجة المطلوبة . واذا قالوا بخلو اللغة العربية من الكتب اللازمة وان كتابها عاجزون عن التأليف في تاريخ التمدن القديم في الشرق او تاريخ التمدن الاسلامي او آداب اللغة العربية فليقيموا من يترجمها او يلخصها من الافرنجية على ما يوافق اذواق الشرقيين . وذلك خير من تعليم تلك العلوم بلغة اعجمية الا اذا كانت الجامعة لا تنوي جعل اللغة العربية قاعدة التدريس او لا ترى فائدة من احيائها فلنا عند ذلك كلام آخر نقوله في اوانه

والملاحظة الثانية — انا توهمنا من خلال ذلك المنشور ان دروس الجامعة ستكون اشبه بالمحاضرات منها بالدروس القانونية . فاذا اصاب ظننا كانت الفائدة من هذا المشروع اقل كثيراً مما تحتاج اليه الامة المصرية . لان مثل هذه المحاضرات لا تستحق هذا الاهتمام وجمع هذه الاموال اذ قد يستغنى عنها بما يتلى في الاندية العلمية الحديثة من الخطب الادبية والفلسفية والتاريخية . وانما نحن في حاجة الى مدرسة كلية تلقى فيها العلوم باوقات معينة ويطلب من التلامذة الملازمة كل يوم على السماع والاسماع والمراجعة على نحو ما هو جار في المدارس المصرية بعد تعديل اسلوبها . اما اعطاء اربعين درساً في السنة من كل علم اي نحو درس واحد كل اسبوع فلا يأتي بالفائدة المطلوبة ولا سيما اذا كان المراد جعل الحضور اختيارياً كما يفعلون في مدارس اوربا الكبرى . وكون هذا الاسلوب معولاً عليه في اوربا لا يستلزم ملاءمته لنا ونحن في حاجة الى الاجبار على التعليم والتدقيق في السؤال عما فهمناه وما لم نفهمه حتى تألف بمرور الاجيال حضور الدروس الاختيارية من تلقاء انفسنا

ان التعليم الذي ننادي بحاجتنا اليه ونعنف الحكومة على التقصير فيه ليس الخطب الاختيارية في المواضيع الاجتماعية او التاريخية وانما هو اجبار الشبان على تلقي العلوم ومراقبة سيرهم في تلقيها حتى تنغرس في اذهانهم مع تعهدهم في اثناء ايام المدرسة بالتربية المبنية على المبادي القويمة حتى تتهذب نفوسهم وترتقي اخلاقهم فيشبون على معرفة ما لهم وما عليهم ويدركون معنى الحرية الشخصية · وهذا لا يتأتى بغير المزاولة والملازمة والقدوة الحسنة

هذه ملاحظاتنا على ما فهمناه من منشور اللجنة ولعلها ارادت غير ما فهمناه فيكون غرضها احياء اللغة العربية وتربية نفوس الشبان وترقية اخلاقهم حتى يكونوا رجالاً وفيهم الكفاءة لينولوا شؤونهم بايديهم فنعتذر عن ملاحظاتنا · والاَّ كانت الجامعة المصرية مثل جامعات الهند التي نقرأ اسماءها في تقريراتهم الرسمية وما هي الاَّ لجان للامتحان او المحاضرات سموها جامعات تساهلاً او تمويهاً · واذا كانوا لا يفهمون من لفظ الجامعة غير ما تقدم فاننا نتنازل عن الاسم ونطلب « مدرسة كلية » لتلقي العلوم العالية وترقية النفوس على نمط المدرسة الكلية السورية فانهُ اقرب الى احتياجاتنا من سائر طرق التعليم · والمال الذي جمع باسم هذا المشروع حتى الآن يكفي وحده للمسير به ويضمن مستقبله · فان المال المكتتب به يبني الدار للدرس ويستحضر المعدات الضرورية · والوقفيات والمرتبات تقوم بالنفقات السنوية اذا فرض ان التعليم فيها مجاني · ومتى رأى الناس ثمار هذه المدرسة تنافسوا في السخاء عليها وكلما اجتمع مبلغ ينفق في بناء جديد او معدات أخرى واذا اقتصروا على ما دفعوه كان كافياً للمدرسة المطلوبة

حكم انكليزية

للدكتور وربات

الحقائق والاوهام — من يعيش في الحقائق لا يفتقر ومن يعيش في الاوهام لا يغنى

العمل الكثير — كلما عمل المرء زادت قوتهُ على العمل فمن لا يعمل شيئاً يعجز عن عمل شيء ومن يباشر عملاً انما يعدُّ نفسهُ للشروع في عمل آخر

اللطف مع الحزم — الحزم بلا لطف جافٍ منكر واللطف بلا حزم ضعيف معيب

الفيلسوف الحقيقي — يسهل على الانسان ان يطرب اذا كان قلبهُ خالياً من الهم واما الفيلسوف الحقيقي فهو الذي يجعل الجو صافياً في يوم الغيوم

صحة العائلة

الى المرأة

كيف تحفظين جمالك

٣ ـ البدن والوجه

قد يتوهم العامة ان هذا الغلاف الخارجي الذي يسمونه الاديم او الجلد او البشرة يقتصر عمله على وقاية الجسم من مؤثرات الجو وتغيرات الهواء المحيط به و يفوتهم انه عضو عامل ذو وظائف حيوية يشبه بها الرئتين والكليتين بل ربما كانت المواد التي تفرز بالعرق من مسامه العديدة اكثر مما تفرزه الرئتان بالهواء والكليتان بالبول - وانه اذا حال دون عمله حائل سد منافذه وابطل افرازه كان الموت من وراء ذلك كما يجري للحصان الذي يدهن بالقطران او للانسان في بعض حوادث الجدري الذي يعم فيه الطفح و يغطي وجه الجسم كله

فالجلد اهم مما يتصورون والعناية به ضرورية كالغذاء والهواء والنوم وهو لا يسامح من يوليه صفحة الاعراض و يتغاضى عن تنظيفه فلا يلبث ان يتغير على صاحبه فيخشن بعد ان كان لين الملمس و يكمد بعد ان كان باهي اللون وتظهر فيه حبوب و بثور وقشور مختلفة وكلها آفة على الجمال وعلى الصحة لان النظافة حجر الزاوية الذي بدونه ينتقض بناء الهيكل النظافة للبدن كالرقة للنفس على قول روشفوكولد او كالطهارة للاخلاق على راي يا كون بل هي كما يقول الانكليز اخت التقوى بل كما ورد في الحديث بابلغ صورة « النظافة من الايمان »

ولقد عرفت الاديان قيمة الماء فجعلت له نصيباً من شرائعها بالعماد والوضوء وكان الاستحمام عند اليونان من اقدس واجبات الضيافة وعند الرومان من اعظم مظاهر مدنيتهم واكثر النبي والمشترع من استعماله والامر به والان في هذا العصر المتمدن بلغ الاهتمام به لدى البعض مبلغ الغنج (والغندرة)

الماء يقوي الجلد و يسهل وظائف الافراز والامتصاص و ينبه دورة الدم ويجرف

الدقائق المندثرة والخلايا المينة الباقية عليه والتي هي جثث تفسد بالترك فتنبعث عنها روائح نتنة . وهو ضروري في الشتاء كما في الصيف للكبير والصغير والمتعود عليه يطول شبابه ويبقى رواؤه لان الهرم اول ما يبتدىء بالجلد

والماء سخناً افضل للتنظيف ولكن لاغنى عن استعماله بارداً لجعل البشرة قادرة على احتمال تاثيرات الجو . والصابون افضل مساعد للماء ولكنه قد يضر بالبشرة الناعمة لكثرة البوتاس الموجود فيه (الصابون الرخو او الاسود)

على كل انسان ان يغسل مرتين في النهار وجهه ويديه ورجليه والاعضاء السرية ويأخذ كل عشرة او خمسة عشر يوماً حماماً فاتراً . اما الحمام المسكوبي والسخن والبخاري فمضر بجمال المرأة وكذلك حمام البحر اذا اكثر منه

والتمسيد بعد الحمام نافع ولا باس بتعطير الماء ببعض الجواهر الطيبة اذا كان الجسم كثير الافراز او قوي الرائحة كعطر الكولونيا او صبغة البخور او باضافة قليل من بورات السودا (البورق)

اما المياه المالحة فنافعة في اذابة الدهن عن بعض الابدان السميكة وذلك باضافة ٣٠٠ جرام من كربونات السودا او في ازالة القشور والبقع الجلدية فيضاف ١٠٠ كرام من سلفور البوتاس ولا يكون هذه الاعشورة الطيب

ومن اراد تليين البشرة يضع في الماء ٥٠٠ كرام من الكليسرين او من النشاء والجلاتين ونخالة القمح وللاعضاء السرية يستعمل مغلي ورق الشاي الاخضر او سبلات الورد الاحمر

ومن اراد ان يبقى لحمه شديداً متماسكا فليجتنب الحمام السخن والثياب التي تعطي حرارة كالفرو والريش وليجتنب ضغط الجسم بالمشد ورباط الجوارب

ولا تقتصر النظافة على العناية بسطح الجلد واستعمال الماء كما بينا بل هي تتناول نظافة الدم بالتغذية الملائمة لان العلاقة مكينة بين الجلد والمعدة والجهاز العصبي . وسنعود الى الافاضة في هذا الموضوع في مكان آخر . حسبنا ان نعرف الآن ان الاحداث النفسانية من غضب وحزن وما شاكل قد تحدث اكزيما والتهاباً في الجلد عند من كان ذا استعداد

وانه يجب العيشة في الهواء المطلق واختيار الغذاء ولا سيما في الربيع والخريف عند ما يأخذ العام بالمشيب او ترجع الى السنة شبيبتها فتمنع الحوامض والمنبهات والقددات ويقلل من اللحوم ولا يشرب غير الماء

الوجه — وصلت الآن الى اهم شيء يسترق عناية الانسان ويجعل اهتمامه به فوق

كل اهتمام . فما السمن ولا الهزال ولا رخاوة الجسم وآفات البدن المستترة بشيء لدى اقل تغيير يصيب هذه الصورة الماثلة امام كل عين والتي لا يمكن اخفاؤها عن الانظار لمن اراد البقاء في حضن الاجتماع . وقد قال افلاطون احسن منظر في العالم وجهٌ جميل وكم من الناس لاميزة لهم ترفعهم مقاماً وتنيلهم مراماً غير ما انعمت عليهم بهِ الطبيعة من طلعة جذابة هي كالبلورة الصافية لا تغشاها كدورة . ولو اردت ان تحد الوجه الجميل لوجدت صعوبة في ذلك فما اعظم الفرق بين وجه جوبتير اليونان ووجه بوذا الهنود . قال فولتير الضفدعة جميلة في عين الضفدع وما تورد الخدود وتحمير الشفاه وتخطيط العيون باجمل في نظر الحوراني من الوشم الذي يغطي الشفتين ورأس الانف والذقن او في نظر ابن دنقلة من الشطب الذي يرسم ثلاثاً في الوجنات . قال اديب كلٌّ بأعين عاشقيه اجمل وقال اليازجي الاب :

عين قد استحسنت مرأى فطاب لها   والله يعلم سر العين في الصور

وجمال المحيا خلقي لا تستطيع الصحة ابداعه ولكنها تستطيع تحسين الملامح وتكميلها لان جمال الوجه يقتضي جمال العقل والنفس مع الصحة البدنية ألا ترى كيف ان الآلام تسبب تجعداً في الوجه وانقباضاً في الملامح والذي يغذي الحقد فؤاده وتتنازعه التصورات الشريرة لا تجد في جبينه اثراً للصفاء والاشراق ولطف السمات . قال اللورد بيرون العواطف كامواج البحار لها مدٌّ وجزر ولا ارى كالوجه مظهراً لذلك فعليه تصعد هذه الامواج وتهبط مراراً في اليوم الواحد فاصفرار خوف واحمرار حياء وانقباض حزن وانبساط سرور . وكلما تكررت هذه المظاهر رسخ اثرها في الوجه فتكونت منه السحنة لان الوظيفة تنشىء العضو كما ترى في الممثلين الذين يعرفون كل بسحنته الخاصة وهذا ما يبين لك لماذا الفقير لا يشبه الغني في سحنته ولا المتكبرُ الوديعَ ولماذا حديث النعمة يختلف غالباً عمن ربي في مهد الدلال وتقلب في معاطف الترف والرخاء

اذا عرفت المرأة هذا اجتهدت ما امكن باجتناب الاحداث النفسانية والبعد عن الغضب والحسد وما شاكل حفظاً لوجهها الصافي ان تغشيه آثار تلك العواطف فتذهب بالتكرار ملامحه الطبيعية وتقوم مقامها تجعدات الافتكار الكثيرة والآلام المعنوية

والفرح كالحزن يغير بالتكرار حالة الوجه الاولى لان الافراط في الضحك كالافراط في البكاء

ومما يفيد في جمال الوجه ويمنع زواله السريع مداراة المعدة والكبد ومحاربة الامساك

وعدم حبس الصفراء باستعمال الحقن الباردة وعدم التعرض طويلاً لاشعة الشمس المحرقة والعناية بالرحم وانتظام العادة الشهرية. ويغسل الوجه مرتين في اليوم بمنشفة مبلولة ويكون الماء فاترًا في الصيف وباردًا في الشتاء

اما المساحيق والعقاقير المختلفة التي تباع في المخازن والاجزاخانات سواء صنعت هنا ام كانت من اوربا فاكثرها مضرّ بالوجه وبالصحة والاسنان لدخول الرصاص في تركيبها والبودرة التي يسمونها بودرة الارز لا تحوي من الارز الاّ الاسم وهي مركبة من الطباشير والبزموت والجبس والتوتيا والمانيزا وهي لا تضر ضرر الاسفيداج المنتشر استعماله عند بعض النساء

والصابون مضر بالوجه والافضل استعمال ما كان منه أبيض شفافًا معمولاً بالكليسرين واستعمال الكليسرين من حين الى حين ينفع في إزالة التجعدات السطحية ولكن الاكثار منه ينشف الجلد ويجعله خشنًا . وقد يمكن للتجعد استعمال ما يأتي :

عصير بصل الزنبق الابيض	٦٠ جرامًا
عسل	٦٠ جرامًا
شمع ابيض مذوب	٣٠ جرامًا

قليل منه عند المساء

وهناك بعض وصايا لا يجوز اغفالها لوقاية رونق الوجه كمنع الاكثار من تقبيله والاعتدال في الغذاء والنوم والرياضة في الهواء المطلق وعدم غسل الوجه بالماء الدافق الغزير واستعمال النقاب من حين الى آخر عند الخروج من البيت

واما الحبوب والبثور والنمش وما شاكل فليس هنا محل الكلام عنها وزيارة الطبيب فيها افضل من قراءة ما يكتب

الاسكندرية الدكتور فياض

تعبير المرآة — نظرت عجوز في مرآتها فرأت ان عينيها قد غارتا ووجهها تجعّد ولونها زال فقالت انهم لا يتقنون عمل المرآة كما كانوا يعملون من قبل

الجمال والصلاح — المرأة الجميلة تعجب العين والمرأة الصالحة تعجب القلب فالاولى درّة والثانية كنز

افضل النساء — تتميز المرأة الفاضلة بسعادة زوجها وحسن تربية اولادها

باب السؤال والاقتراح

محمد بيرم

❋ سندوة بمصر ❋ احمد افندي عدس

قرأنا في ما نقل من كتاب « مصر الحديثة » اللورد كرومر الاعجاب بالشيخ محمد بيرم التونسي فمن هو؟ نرجو نشر ترجمة حاله

❋ الهلال ❋ هو من علماء تونس ووجهائها ومن اكثر المسلمين تفانياً في نصرة الاسلام . ولد في تونس سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠) ويتصل نسبه ببيرام احد قواد الجند العثماني الذي جاء تونس بقيادة سنان باشا سنة ٩٨١ هـ تفقه صاحب الترجمة في جامع الزيتونة ونشأ حرّ الضمير يكره الاستبداد فسرَّه انشاء مجلس الشوري في الحكومة التونسية على عهد الصادق باشا وكان من اكبر نصرائه وتولى رئاسة المجلس الوزير خير الدين باشا . وتعين بيرم سنة ١٢٨٧ هـ مدرساً في الجامع المذكور وبعد سنتين توفي والده عن ثروة طائلة وظهرت في اثناء ذلك فتنة عمومية في الايالة التونسية على اثر انحلال مجلس الشورى فشقَّ ذلك عليه وتمكنت علائقه مع خير الدين باشا من ذلك الحين لاتفاقهما في النقمة على الحكومة

وفي سنة ١٢٩٠ هـ عاد خير الدين باشا الى الوزارة الكبرى في تونس فجاهر بيرم بنصرته وصرح بآرائه السياسية على صفحات الجرائد وهو اول من تجاسر على ذلك هناك .. واعجب الوزير بنشاطه وتعقله فعهد اليه ادارة الاوقاف سنة ١٢٩١ هـ فاحسن ادارتها ونظمها واصيب في السنة التالية بانحراف حمله على السفر الى اوربا للاستشفاء واخذ من ذلك الحين في تأليف رحلته المعروفة بصفوة الاعتبار . ولما عاد الى تونس عُهدت اليه نظارة مطبعة الحكومة التي تطبع « الرائد التونسي » مع ادارة الاوقاف

واستقال خير الدين باشا من الوزارة سنة ١٢٩٤ هـ فشق ذلك على بيرم واوشك ان يستقيل لولم يؤانس ترغيباً ممن خلفه . وسافر سنة ١٢٩٥ الى اوربا للاستشفاء ولقي في باريس للارشال مكماهون فاكرمه وحضر المعرض العام وشاهد كثيراً من ثمار قرائح اهل هذا

التمدن فلما عاد الى تونس اخذ في تنظيم مستشفاها على نحو ما رآه في مستشفيات اوربا

ووقع في اثناء ذلك بين قنصل فرنسا الكونت دوسانسي والحكومة التونسية نزاع على قطعة ارض كانت الحكومة منحته اياها لتربية الخيل على شروط اخل بها فارادت استرجاعها فابى وبينما هي تنازعه وتجادله عليها ذهب الوزير وهو يومئذ مصطفى بن اسماعيل الى تلك الارض ودخلها عنوة في زمرة من اعوانه فاغتنم القنصل هذا التعدي لتمكين سيادة دولته في تونس فرفع امره اليها وطلب عزل الوزير فخاف هذا واسرع الى الترضية فعينوا لجنة تحكيم كان بيرم احد اعضائها فاخذ جانب الدفاع عن الحكومة بكل قواه وكان نحيف البنية مصاباً بمرض في الاعصاب الموصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم يستخدم المورفين لتسكين آلامه فاثر ذلك في صحته واضطر ان يشخص الى باريس للاستشفاء واما اللجنة فصدر حكمها لمصلحة القنصل

ونهض التونسيون على اثر ذلك يطلبون الجنوح من الحكم الاستبدادي الى الشورى وسعوا في ذلك سعيا حثيثاً لم يأت بنتيجة لان امير البلاد يومئذ لم يعضد مطالبهم و يقال ان ذلك كان بتحريض فرنسا لانها تعتقد ان الحكومة الدستورية تخالف مصلحتها هناك . واما بيرم فقد كان في مقدمة الراغبين في الشورى وعاتبهُ الامير على تعضيده الاهالي في مطالبهم فاجابه بحرية لم يعهد مثلها و بين لهُ خطأه . وتوجه تلك السنة الى باريس كالعادة واغتنم وجوده هناك فرفع الى حكومتها تقريراً مسهباً يشكو فيه سوء تصرف القنصل ووقوفه في سبيل كل مشروع نافع للبلاد . و بلغ خبر ذلك الى القنصل فزاد غضباً ونقمة واتفق في اثناء طلب التونسيين الشورى ان الدول كانت مشغولة بخلع اسماعيل باشا خديوي مصر وكان الصدر الاعظم في الاستانة يومئذ خير الدين باشا ونظراً لما يعلمونه من علائق بيرم بخير الدين استنتج الفرنساويون ان مطالب التونسيين لم يكن الغرض منها الاّ فتح السبيل لمداخلة الباب العالي واتهموا صاحب الترجمة انهُ الواسطة بذلك . ولما بلغهُ الخبر استعفى من مناصبه في تونس وعزم على البقاء بعيداً عنها لكنه عاد اليها بعد الحاح اصدقائه . وكان قد فهم وهو في باريس رغبة فرنسا في ضم تونس الى املاكها ضماً كلياً وانها اغرت الوزير مصطفى فالاَها طمعاً بالترقي فذهبت آمال صاحب الترجمة بانقاذ بلاده فعزم على الخروج منها فلم تأذن الحكومة بسفره فاحتال بطلب الرخصة للحج فاذن له فخرج سنة ١٢٩٦ وجاء مصر وسافر منها الى الحرمين ثم يمم سوريا فالقسطنطينية فاحسنت الدولة وفادته . ولكن الوزير التونسي كتب الى الباب العالي بارجاع الشيخ بيرم لانهُ لم

يقدم حساباً عن ادارة الاوقاف التي كانت في يده فنصره خير الدين باشا ولم يسلمه . ولما تم لفرنسا ضم تونس الى املاكها سنة ١٢٩٨ عزلت الوزير مصطفى وعاملته معاملة الخائن

واشتغل الشيخ محمد بيرم في اثناء اقامته في الاستانة بالكتابة والتحرير وراعى صحته فتحسنت كثيراً وقلّ استعماله للمورفين وكانت وجهته النظر في ما آل اليه حال البلاد الاسلامية من طمع الاجانب ووصف الادوية لملافاة ذلك ولم يجد الكلام نفعاً

ولما تحقق رسوخ قدم فرنسا بتونس يئس من العودة اليها فاراد ان يكون قريباً من اهله فانتقل الى مصر بعد الحوادث العرابية سنة ١٨٨٤ وقد باع املاكه في تونس ونقل عائلته منها وانشأ في مصر جريدة سياسية اسمها «الاعلام» تصدر ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت اسبوعية وكانت خطتها محاسنة الانكليز والاستفادة منهم فانتقد بعضهم عليه هذه الخطة لانها تخالف ما كان عليه في تونس وانه انما هجرها فراراً من الحكم الاجنبي فكيف يكاف المصريين عكس ذلك . ولكن الذين يرون رأيه كانوا يعتذرون بانهُ انما حث على محاسنة الانكليز والاستفادة منهم لان معاكستهم وامر البلاد في ايديهم لا يجدي نفعاً وان مجافاة الفرنساويين اوجدت اسباباً ساعدتهم على ضم تونس الى بلادهم. وقد الجأهُ الى انتهاج هذا المسلك ايضاً ما قاساه من ظلم الحكم الاستبدادي وما آنسهُ من العوامل المحركة في مصر باغراء بعض الاجانب لايغار صدور الناس على حكامهم مما يعود بالضرر

واضطر بعد اقامته سنتين بمصر ان يعود الى اوربا فتمم سياحاته فيها وعاد الى مصر فعينتهُ الحكومة سنة ١٨٨٩ قاضياً في محكمة مصر الابتدائية وكثيراً ما كلفته الوزارة كتابة ملاحظاته على القضاء الشرعي لانهُ كان واسع الاطلاع فيه وما زال عاملاً مجتهداً رغم ما يعتوره من المرض حتى توفي سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩)

وقد خلف آثاراً كتابية اكبرها كتاب صفوة الاخبار بمستودع الامصار طبع بمصر في خمسة اجزاء وهو عبارة عن رحلة عامة في اوربا ومصر والشام والحجاز وغيرها وذكر فيها كثيراً من الحقائق التاريخية والاجتماعية عن بلاد العرب وتونس والجزائر لا تجدها في كتاب آخر واكثرها شاهدهُ بنفسه اوكان داخلاً فيه ولا سيما تاريخ تونس والجزائر . ولهُ ما خلا ذلك رسالة في «تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص» ومختصر في فن العروض ورسالة في «التحقيق في شأن الرقيق» بحث فيها عن كيفية معاملة الرق عند المسيحيين وذهب فيها ان منع الحكومات الاسلامية لتجارة الرقيق شرعي وكتاب «تجريد الاسنان للرد على الخطيب رينان» رد فيه على ما كتبه رينان في الاسلام والعلم

ورسالة في جواز ابتياع اوراق الديون التي تصدرها الممالك الاسلاميـة حتى تبقى اموال المسلمين في بلادهم ولا يحجبهم عنها اشتباه الربا وهو لاينطبق في هذه الحالة عليها . والف كتاباً مسهباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى وجوب انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين طبقات الناس . وله كتابات اخرى لم نقف على اسمائها ويؤخذ من مجملها ان صاحب الترجمة كان من محبي الاصلاح وتقريب المسلمين من عوامل التمدن الحديث وازالة ما قد يعترضهم من اشباه الموانع الدينية على نحو ما كان يفعله الشيخ محمد عبده رحمهما الله

قصيدة المعاياة

﴿ ومنه ﴾

اطلعنا في المؤيد على مقالة للاستاذ المغربي بشأن قصيدة المعاياة وانها من نظم ابن الخشاب ولكننا لم يتيسر لنا الاطلاع على نصها فهل تنشرونها في الهلال

﴿ الهلال ﴾ ان القصيدة المشار اليها ١١٢ بيتاً وهي منشورة في الجزء الخامس من كتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكي طبع مصر مطلعها :

سلا صاحبي الجزع من ابرق الحمى عن الطيبات الخرد البيض كالدمى
وعوجا على اهل الخيام بحاجر ورامة من اهل العراق فسلما

الى ان يخلص الى الغزل فيقول :

فبين خيام اغيد يخطف الحشا مريض جفون للصحيحات اسقما

ثم يخلص الى مدح « عبد الرحمن » ويثني على علمه وفضله ويأخذ في القاء الاسئلة عليه في سبيل المعاياة ولكن المراد غامض في كثير من الابيات لنقص في التصحيح ربما كان سببه ضعف النسخة الخطية الاصلية فجاءت بعض الابيات مختلة الوزن غامضة المعنى كقوله من اول الاسئلة :

فان كنت من اهل الكتابة والتقى بنفسك فيها لا تخاف تهضما
فما ألف من بعدنا (؟) مريضة مصاحبة عيناً تخوفها العمى
تظن اذا الراوي غدا ناطقاً بها زمير نعام في الفلاة ترنما
وباء اذ امتدت غدت غير نفسها وصارت حديثاً عن حراك مترجما

الى ان يقول :

وان كنت من اهل البلاغة جامع الا — غات بانواع الاقاويل قيما
فما كلمات هنّ عرب صرائح — يعود الفصيح(؟) ان شذاهنّ اعجما
وان قلبت اعيانهن وصحفت — ترى مضعفاً فيهن من كان ثمنا
وما الحمل والثيات والزام بعده — وما الجعفر اثبات(؟)تترى وزغلما
وما الشيخ والقرعان والجمع والتقى — وفق (؟) التوالي والهيابة والجما
وما المنقفيس والملاجيح والكنا — وطارسة والعارصات (؟) عظلما

ثم يخرج الى امثلة لغوية كقوله :

وما اسم اذا ثنيته وجمعته — تنصف فيها رمته وتسهما
وماحرف عطف ليس يوجد عاطفاً — اذا المرؤ آلى في المقال واقسما
وما مصدر قد الزم الرفع دائماً — وما اسمان ان ثنيت بالجزم الزما

ثم يأتي على امثلة تاريخية كقوله :

فمن جعل الاجماع في البيع حجة — وصيره في الصرف طباً مرخما
ومن رد ما قال ابن عباس عامداً — ودان بما قال ابن حفص توهما
وماذا يرى النعمان في اهل قرية — اقاموا اماماً للانام مخدماً
وما رأي شيخ العلم مالك في امرىء — تمجس قصداً بعد ما كان اسلما
يحل اذا ما احرم الناس بالضحى — واما احل الناس بالليل احرما
وليس بذي ذنب يعاب بفعله — ولا قيل يوماً قد اساء واجرما

الى ان يقول :

ومن حظر التزويج الا بثيب — وصير تزويج البكار محرماً
وقال زكاة المرء من نصف ماله — تكون والاّ صار نهباً مقسماً
ومن ملك الدنيا الخؤون باسرها — ثمانين يوماً بعد عام تصرما
يذبح اولاد الانام تجبرا — ويستحيي للنسوان منهم تذمما

الى ان يقول في الختام :

لعمرك انا قد سالناك لينا — ولم نقصد المعنى العويص المغمغما
ففكر ولا تعجل بما انت قائل — ومر منجداً تبغي الجواب ومتهما
فان انت فيما قد سألنا بيانه — اصبت فحق ان تعز وتكرما

وان انت اخطأت الصواب ولم تجب فحقك ان يحثى عليك وترجما
فمالك علم بالامور وانما قصاراك ان تروي كلاماً منظماً

السفر الى القطب

⁂ ديبوا في بنسلفانيا ⁂ عبد افندي معلوف

هل من الممكن الوصول الى القطب الشمالي وما هي الركائب التي يسافرون فيها وهل اذا وصل احدهم الى هناك تصبح الارض التي يطأها ملكاً لدولته

⁂ الهلال ⁂ لا دليل على استحالة الوصول الى القطب الشمالي ولكن الادلة على صعوبة ذلك كثيرة . واما وسائل النقل فالسفن ومركبات السحف على الجليد وفي السفن آلات لاختراق الجليد ووسائل للتدفئة وتوليد الحرارة مما يطول شرحهُ ومن وطيء ارضاً لا مالك لها كانت ملكهُ بحق وضع اليد فكيف اذا رفع فوقها علماً دولياً

الاصنام في الكعبة

⁂ سان سلفادور باميركا ⁂ عبد الله افندي زبلح

من بني الكعبة ومن ادخل اليها الاصنام في الجاهلية

⁂ الهلال ⁂ سنفصل ذلك في كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » الذي يصدر ملحقاً لهذه السنة ان شاء الله

الحمل عشر سنوات

⁂ الاسكندرية ⁂ عبد الرحيم افندي حسب الله

في الاسكندرية امرأة تقول انها حامل منذ عشر سنوات والجنين مات في بطنها ولا يزال هناك الى الآن وتظهر لمن يراها انها حامل فما تعليل ذلك

⁂ الهلال ⁂ تعليلهُ ان الجنين قد يموت في بطن امه و يستقر في الرحم في اغشية تكسوه كما يصيب اي جسم غريب دخل الجسم ولم يؤذه ولا هاجه . فتمتص رطوباته حتى

يصير جافاً كالمومياء ولا تصل اليه اسباب الفساد فيبقى فيه زماناً طويلاً وعلى هذا المبدإ تبقى بنادق الرصاص في بعض اجزاء الجسم اعواماً طويلة ولا تؤذي صاحبها

مجلة زراعية

الابراهيمية شرقية — احمد افندي مختار

ما هي المجلات الزراعية التي تصدر بمصر

الهلال — ليس في مصر الآن مجلة زراعية خصوصية

الفراغ مفسدة

اقترحنا على حضرات الشعراء نظم المعنى الآتي في بيتين :

« العقل لا يبطل عمله ما دمت في يقظة . فاستخدمه في ما يفيد لانه كالنار الموقدة اذا لم تستخدم حرارتها ذهبت ضياعاً »

فوردت علينا الاجوبة الآتية ننشرها حسب تاريخ ورودها وبعضهم نظمه غير مرة وآخر سبكه في ثلاثة ابيات بدل اثنين وهذه هي الاجوبة :

١

العقلُ يعملُ ما ظللتَ بيقظةٍ وقواهُ لا تنفكُّ عن مجراها

فاصرفْ حجاكَ الى المفيدِ لعلَّهُ يكفيكَ في هذي الحياةِ شقاها

والعقلُ مثلُ النارِ ان لم تستفدْ منها تلاشت في الفضاء قواها

(مصر) الدكتور ابراهيم شدودي

٢

إستخدمِ العقل في ما تستفيد به فانهُ عاملٌ ما دمت يقظانا

العقل كالنار فاستخدم حرارتها من قبل ان تذهب النيران ضيعانا

العقل يعمل ما يقظتَ فنلْ بيقظته انتفاعا

كالنـار موقدةً اذا اهمالتها ذهبت ضياعا

مثل العقل الذي تزهو به　　مثل النار التي توقدها
قد تلظت فاستفد من حرّها　　انما اهمالها يخمدها

انما العقل ما تيقظت يقظا　　نُ فروضهُ في مراد افادا
وهو كالنار اوقدت فاذا لم　　تغتنم حرها استحالت رمادا
(الاسكندرية)　　طانيوس عبده

٣

لا يُبطِلُ العقلُ أعمالاً يريد بها　　خيراً لصاحبه ما دام يقظانا
العقل كالنار فاستخدم حرارته　　فيما يفيد وان اهملتهُ هانا
(مصر)　　محمود الجبالي بسكرتارية مجلس النظار

٤

انفق قوى العقل في ما تستفيد به　　فالعقل ما لم تنم عيناك يشتغل
كأنهُ النار ان شئت انتفعت بها　　او شئت راحت ضياعاً وهي تشتعل
(القاهرة)　　نقولا رزق الله

٥

لعقلك اعمالٌ وما دمتَ يافظاً　　تجدّد فاستخدمهُ في النفع والهدى
ترى انهُ كالنار ثارت حرارةً　　اذا اغفل استخدامها ذهبت سدى
الخيارية (دقهلية)　　عبد العزيز صبري

٦

اعمل حجاك لما يفيدُ فانما　　يخبو اذا منك التيقظ ضاعا
كالنار ان لم يُستَفَدْ بحرارةٍ　　فيها تولت في الهواء ضياعا
(القاهرة)　　احمد زكي ابو شادى

٧

مادمت في يقظة فالعقل مشتغلٌ　　أيضاً ومشتغلٌ لا يبطل العملا
والعقل كالنار فاستخدم حرارته　　في مايفيد والا فانذب الاملا
جمرك الاسكندرية　　ابراهيم حنين

٨

العقل كالشمس لاينفك مشتغلا　　مادمت في يقظة فاشغله بالعمل

كأنه النار ان اهملتها ذهبت سدى وذلك عين العجز والفشل

المطرية (دقهلية) حسين عبد الفتاح الجمل

وقال حافظ افندي ابراهيم بما يقرب من هذا المعنى ووعد بنظم المعنى الاصلي في فرصة اخرى :

عجبت للعقل يقظانا وصاحبه في غفلة عنه لم يبلغ به امدا
كطالب النار يذكيها ويشعلها حتى اذا ايقظتها كفه رقدا

الدين بعض الوجدان

اقتراح

تقترح على الشعراء نظم المعنى الآتي في بيتين او بضعة ابيات وهو « رأيت اناساً يستغربون بقاء الاديان ويتمنون زوالها ولو زالت لاختلقوا شيئاً يعبدونه لان الدين جزء من الوجدان واقوى تعزية لبني الانسان »

باب الاخبار العلمية

نوابغ الاطفال واقوياء الشيوخ

يختلف رجال الاعمال قدرة على العمل باختلاف الاعمار والغالب ان الرجل يبلغ اشده ويكون اقوى على الاعمال بين سن الثلاثين والخمسين وقد شذ عن هذه القاعدة جماعة كبيرة عني المستر رولاند في تحري اخبارهم وتدوينها واستقصاء اعمالهم والسن الذي نبغوا فيه ونشر ذلك في مقالة بمجلة السانتشري . وقد وفق الى بضع مئات من هؤلاء بدأوا اعمالهم وهم اطفال وآخرين اتوا اعمالاً شاقة بعد ان ادركوا الشيخوخة :

تحت سطح الارض مسافة اربع ساعات ينورونه بالكهربائية وفيه بحيرة سماها ستيجيان . و بعد ان يقطع السائح بحيرة ستيجيان في قارب يصل الى ازقة ومعابر مختلفة الشكل فمنها باب الشيطان وغرفة يهوشافاط ودار الجيولوجيا . وقيل ان ذلك الكهف من عجائب القارة

مصر حمدي حريز

مطبوعات جديدة

تكاثرت المطبوعات عندنا حتى ضاقت صفحات الهلال عن تقريظها او وصفها فنكتفي بذكرها في مجموعات حسب مواضيعها وسنعود الى التوسع في بعضها

١ – الجرائد والمجلات

(١) الزهرة : هي مجلة للشبان والبنات لصاحبها محمود افندي عزمي حسيب تصدر بمصر مرة في الشهر في ٣٢ صفحة بقطع كبير بدل اشتراكها ثلاثون غرشاً بمصر و ٤٠ غرشاً في الخارج (٢) القطر المصري : مجلة سياسية وطنية ادبية زراعية صناعية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها احمد افندي حلمي في ٤٠ صفحة بقطع الهلال بدل اشتراكها ستون غرشاً وفيها رسوم متقنة (٣) الاستقلال : مجلة قضائية كانت شهرية فصارت اسبوعية لصاحبها نجيب بك شقرا المحامي الشهير بدل اشتراكها مئة غرش (٤) الكاشف : جريدة اسبوعية تصدر من القرشية مرة في الاسبوع لصاحبها احمد افندي الكاشف بدل اشتراكها خمسون غرشاً في السنة (٥) الاحرار : جريدة وطنية حرة سياسية مالية تجارية تصدر في حلوان مرة في الاسبوع لصاحبها محمد بك وحيد بدل اشتراكها خمسون غرشاً بمصر و ٦٠ غرشاً في الخارج (٦) العزيز : جريدة ادبية اخلاقية سياسية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها مصطفى افندي عبد الله ومديرها ابوزيد افندي حسن بدل اشتراكها ستون غرشاً بمصر و ٨٠ في الخارج (٧) النهضة : جريدة اجتماعية اصلاحية سياسية ادبية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها اسماعيل بك غصبرنسكي بدل اشتراكها عشرة غروش عن شهرين (٨) الاقدام : جريدة اسبوعية تصدر بمصر لصاحبها ورئيس تحريرها عز الدين افندي صالح بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً بمصر و ٢٥ فرنكاً في الخارج وهي انتقادية مزينة بالرسوم (٩) الاسد الاسلامي : جريدة دينية سياسية ادبية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها

سليمان افندي الباروني بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً بمصر و١٥ فرنكا في الخارج (١٠) الفكاهات العصرية : مجلة روائية ادبية تاريخية تصدر مرتين في الشهر لصاحبها عبد الله افندي غزاله كل جزء منها رواية مستقلة في نحو ١٦٠ صفحة ينتقيها من احسن الروايات التي تفيد مطالعتها الشبان والشابات بدل الاشتراك ٤٠ غرشا بمصر و١٢ شلينا في الخارج

٢ — كتب تاريخية وعلمية وغيرها

(١) المزهر في علوم اللغة للسيوطي : طبعة جديدة بنفقة الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الازهرية بمصر ويطلب منه ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٢ غرشاً واجرة البريد غرشان (٢) كتاب الاضداد في اللغة لابن شداد الانباري : طبعة جديدة بنفقة الشيخ محمد سعيد الرافعي المذكور ويطلب منه ومن مكتبة الهلال ثمن النسخة ٩ قروش والبريد غرش ونصف (٣) آداب الاسلام : تاليف صالح بك حمدي نجل المرحوم حماد باشا قدمه للجناب العالي وهو يطلب من المؤلف وثمن النسخة ٧ قروش والبريد غرش (٤) حياتنا الادبية : تاليف صالح بك ايضاً ويطلب من حضرته وثمن النسخة ٥ قروش (٥) رسالة الغفران : لابي العلاء المعري طبعة امين افندي هندية وتطلب من مكتبته بمصر وثمن النسخة ١٢ غرشاً غير البريد (٦) كتاب البدء والتاريخ : صدر الجزء الرابع من هذا التاريخ وهو ينسب الى ابي زيد احمد ابن سهل البلخي وهو لمطهر بن طاهر المقدسي اعتنى بنشره وترجمته الى الفرنساوية الموسيو كلمان هوار المستشرق الفرنساوي الشهير وقد طبع الاصل والترجمة معاً في نحو خمسمائة صفحة كل جزء ويطلب من محل لِيرو بباريس (٨) بلاغات النساء : هو كتاب في الادب حوى طرائف من بلاغات النساء وكلامهن وملح ونوادر واخبار ذوات الرأي منهن واشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام تأليف احمد ابن ابي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ هـ صححه احمد افندي الالفي وهو فريد في بابه ويطلب من مكتبة الهلال وسائر المكاتب الشهيرة وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان (٨) العقود اللؤلؤية : صدر الجزء الثاني من ترجمة هذا الكتاب الى الانكليزية بقلم السير ردهوس المستشرق في كمبردج واسم الترجمة بالانكليزية The Pearl-strings وقد وقف على نشره الاساتذة براون ونيكولسن وروجرس وطبع بنفقة لجنة جيب الشهيرة . والكتاب باصله العربي لعلي بن الحسن الخزرجي وهو تحت الطبع الآن في مطبعة الهلال . وتطلب الترجمة الانكليزية من محل لوزاك في لندن وبريل في لايدن (٩) المفضليات : هو كتاب فيه مختارات

المفضل الضبي اختارها من شعراء العرب للمهدي العباسي بطلب ابيه ابي جعفر المنصور في جزئين وقف على طبعه وشرحه وصححه ابو بكر بن عمر الداغستاني المدني بنفقته ونفقة حمزة ابن الحلواني المدني ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش واجرة البريد غرش (١٠) حادثة دنشواي : هو جزء خاص من مجلات المجلات العربية بحادثة دنشواي الشهيرة بما يقتضيه ايضاحها ووصفها من الرسوم الكثيرة والوقائع الجارية من يوم حدوث الواقعة الى اطلاق سراح المسجونين في ١٦٠ صفحة بقطع الهلال ويباع هذا الجزء على حدة بخمسة غروش ويطلب من ادارة مجلات المجلات العربية بمصر (١١) جواهر الحكماء : هو كتاب يشتمل على كتاب الادب الكبير لابن المقفع وكتاب بهجة المجالس وانس المجالس للامام الحافظ الاندلسي وفيهما ادب ونصائح وحكم عني بطبعها عوض افندي واصف صاحب مجلة المحيط ورئيس تحرير مصر في مجلد واحد . يطلب من حضرته وثمن النسخة ثمانية غروش والبريد غرش (١٢) حقوق الامم : هو كتاب في الحقوق المتبادلة بين الامم الفه بالتركية البارون اطوقار النمساوي ونقله الى العربية المرحوم نوفل نوفل الطرابلسي طبع اولاً في بيروت سنة ١٨٧٣ وقد اعيد طبعه ملحقاً بجريدة الحقوق ويطلب منها (١٣) لائحة ترتيب المحاكم الاهلية : هي جزء من كتاب التعليقات القضائية على المحاكم المصرية تأليف فيليب بك جلاد صاحب قاموس الادارة والقضاء ويطلب من حضرته (١٤) انجيل برنابا : هو الانجيل الذي وصفناه في الهلال الاخير من السنة الماضية وقد نقله الى العربية الدكتور خليل سعادة وعني بتصحيحه ونشره السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في نحو ٢٥٠ صفحة وهو يطلب من حضرته وثمن النسخة ١٥ غرشاً والبريد غرشان (١٥) التربية : هو كتاب التربية الشهير للفيلسوف سبنسر نقله الى العربية محمد افندي السباعي احد محرري «الجريدة» وطبع بعناية ادارتها ويطلب منها (١٦) صحة الانسان في وقاية الاسنان : هذا كتاب يدل اسمه على موضوعه تأليف خليل افندي حداد حكيم الاسنان القانوني طبع في بيروت في ٦٨ صفحة مزينة بالرسوم وتطلب من المكتبة الكلية في بيروت وثمن النسخة ثلاثة بشالك (١٧) نادي دار العلوم : اهدانا هذا النادي مجموعة الخطب التي تليت فيه بموضوع تسمية المسميات الحديثة وهو يطلب منه وثمن النسخة غرشان ونصف (١٨) كولمب والعالم الجديد : هو تاريخ اكتشاف اميركا بقلم نجيب افندي المندراوي من موظفي حسابات المالية طبع في نحو مئة صفحة قطع وسط وتطلب من حضرته وثمن النسخة ثلاثة غروش

٣ ـ كتب مدرسية

(١) لآلي الانشاء : صدر القسم الاول من هذا الكتاب وهو يحتوي على رسائل في التهذيب والنظم والأدب والتصحيف ونحو ذلك مما تحتاج اليه تلامذة المدارس الابتدائية الفه الشيخ محمد حسن نائل المرصفي وفيه كثير من الالفاظ الدخيلة وما يقابلها من الالفاظ العربية الفصيحة ومطبوع طبعاً حسن في نحو ٢٠٠ صفحة ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثة غروش (٢) جغرافية زيدان : هي جغرافية عمومية تأليف شقيقنا ابراهيم افندي زيدان صدر الجزء الثالث وهو مقرَّر السنة الثالثة من المدارس المصرية والجزء الرابع مقرر السنة الرابعة منها وقد وقف على طبعه رزق الله افندي جوده ويباع الجزء من هذا الكتاب بغرشين ويخصم للمدارس ٢٥ في المئة ويطلب من مكتبة الهلال بمصر (٣) تنوير الاذهان : هو كتاب في تقويم البلدان ظهر الجزء الثالث منه وهو مقرر السنة الثالثة الابتدائية من دروس الجغرافية تأليف رشدي افندي كمال بعموم السكة الحديدية المصرية ويطلب من مكتبة هنديه (٤) اطلس جغرافي : اصدر محمد افندي سامي الكتبي بمصر اطلس جغرافيا ابتدائيًا فيه ثماني خارطات بالعربية ملونة تلوينًا حسنًا وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش واجرة البوسطة نصف غرش (٥) المسائل الحسابية : هو مقرر السنة التحضيرية لنيل الشهادة الابتدائية تأليف حسن افندي رفعت ويطلب من مكتبة الشعب وثمن النسخة غرشان

٤ ـ روايات

(١) شقاء المحبين : هي رواية ادبية غرامية تعريب المرحوم حنا عنحوري في جزئين طبعا على نفقة المكتبة الشرقية بمصر ويطلبان منها وثمن كل جزء عشرة غروش غير اجرة البريد (٢) هملت : رواية تمثيلية للشاعر الانكليزي شكسبير نقلها الى العربية الشيخ امين الحداد وطبعت بنفقة جورج افندي غرزوزي بالاسكندرية وتطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٣ غروش (٣) الارواح المتمردة : هو كتاب فلسفي تهذيبي في الاجتماع بشكل رواية تأليف جبران افندي خليل جبران نزيل اميركا على اسلوب شعري غير منظوم وفيه احساس دقيق يدل على خفة روح الكاتب وسعة خياله ويطلب من ادارة المهاجر في نيويورك (٤) شيرين : هي رواية تاريخية فكاهية تاليف السيدة لبيبة هاشم منشئة مجلة « فتاة الشرق » وهي تطلب من حضرتها



الجزء التاسع من السنة السادسة عشرة .

١ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٨ و ٢ جمادى اولى سنة ١٣٢٦

اشهر الحوادث واعظم الرجال



قاسم امين

قاسم امين

نصير المرأة المسلمة والداعي الى اصلاح العائلة

ولد سنة ١٨٦٥ وتوفي سنة ١٩٠٨

اصيب الاسلام في اوائل هذا القرن بفقد غير واحد من كبار رجاله ونوابغ عماله نخص بالذكر اثنين من دعاة الاصلاح الاجتماعي او الدبني احدهما الشيخ محمد عبده زعيم النهضة الاصلاحية الاسلامية في هذا العصر [1] والثاني قاسم بك امين نصير المرأة المسلمة والداعي الى اصلاح العائلة . وقد مات كلاهما وبينهما ثلاث سنين فخسرنا بذلك خسارة لا يعرف مقدارها الا الذين يعلمون افتقار الشرق الى ذلك الاصلاح ولا سيما العائلة فانها قوام الامة وقوام العائلة المرأة فلا تصلح الامة الا باصلاحها

المرأة العربية قبل الاسلام وبعده

تبين لنا من أبحاثنا في « تاريخ العرب قبل الاسلام » الذي سيصدر ملحقاً للهلال هذه السنة ان المرأة العربية كان لها مقام رفيع في التمدن العربي القديم فتعاطت الكتابة وتولت الادارة وعانت سائر اعمال الرجال في الالف الثالث قبل الميلاد اى منذ اكثر من ٤٠٠٠ سنة . وعرفنا دولاً عربية في اعالي الحجاز لا يتولى الملك فيها الا النساء . ناهيك بما تناقله العرب من اخبار بلقيس صاحبة اليمن والزباء (زينوبيا) صاحبة تدمر . عدا اللواتي اشتهرن في اثناء الجاهليـة من العرافات والكواهن ولا يتولى الكهانة الا الممتازون بالعقل والتدبير بعد ان ينالوا المقام الرفيع ويحرزوا العلم الواسع . ويقال بالاجمال ان المرأة في الجاهلية كان لها شأن وارادة وانفة ورأي وحزم . ونبغ غير واحدة منهن قبيل الاسلام وفي اوائله بالسياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة على اثر ما حصل من النهضة في النفوس والعقول يومئذ فاشتهر جماعة منهن بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال . وممن اشتهرن بالحزم والرأي خديجة بنت خويلد زوج النبي واسماء بنت ابي بكر وسكينة بنت الحسين وغيرهن [2]

(١) اقرأ ترجمته في الهلال العاشر من السنة ١٣
(٢) ترى تفصيل ذلك في الجزء الخامس من تاريخ التمدن الاسلامي

ظلت المرأة العربية على انفتها وعزة نفسها وسمو منزلتها في ايام الراشدين وزاد توسعها في طلب المعرفة اذ اتسع المجال للعقول والمواهب فنبغت غير واحدة بالشعر والادب واتت بعضهن اعمالاً يعجز عنها كبار الرجال . فلما افضت الدولة الى بني امية في اواسط القرن الاول للهجرة اصاب المرأة العربية صدمة قوية غيرت كثيراً من طبائعها لتكاثر الجواري والغلمان في دور الامراء وانغماس بعض الخلفاء في الترف والقصف وانتشار الغناء والمسكر وتكاثر المخنثين في المدن وتوسطهم بين الرجال والنساء بالباطل

ولما استبحر عمران المسلمين في العصر العباسي زادوا انغماساً في القصف والخلاعة وفسدت النية بين الرجل وامرأته وهو صاحب الذنب لانهُ بدد شعائره وامياله بين عدة نساء فقلت ثقة امرأته به . ولم ينضج التمدن في ذلك العصر حتى تنوسيت المرأة العربية وذهبت حريتها وغيرتها وانحطت نفسها وذهبت انفتها واستقلال فكرها . فاحتقرها الرجل وساء الظن بها وصار يعاشرها على غل وسوء راي يقفل عليها الابواب والنوافذ . واصبح الطعن في طباعها وسوء سريرتها شائعاً على السنة الناس حتى الفوا فيها الروايات والقصص ونظموا بها الشعر وتفننوا في وضع الجمل الحكمية والعبارات البليغة في تحذير الناس من المرأة وعدم الوثوق بها . هذه قصة الف ليلة وليلة تمثل حال المرأة في الاعصر الاسلامية الوسطى بعد شيوع التسري وانغماس المسلمين في الترف . واما الاشعار فاليك ما قاله ابو العلاء المعري :

اذا بلغ الوليـد لديك عشراً ... فلا يدخل على الحرم الوليد

وان خالفتني واضعت نصحي ... فانت وان رزقت حجا بليد

الا ان النساء حبال غي ... بهن يضيع الشرف التليد

واصبح الكاتب اذا اراد تعزية صديق على فقد بنت له قال ما قالهُ ابو بكر الخوارزمي اذ كتب الى رئيس بهراه يعزيه بينته وهو قوله :

« ولولا ما ذكرته من سترها . ووقفت عليه من غرائب امرها ، لكنت الى التهنئة اقرب من التعزية . فان ستر العورات من الحسنات . ودفن البنات من المكرمات . ونحن في زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة . فقد استكمل النعمة . واذا زف كريمة الى القبر . فقد بلغ امنيته من الصهر قال الشاعر :

ولم ار نعمة شملت كريماً ... كنعمة عورة سترت بقبر

وقال آخر : تهوى حياتي واهوى موتها شفقاً ... والموت اكرم نزال على الحرم

وقال آخر : وددت بنيتي ووددت اني وضعت بنيتي في لحد قبر
وقال آخر : ومن غاية المجد والمكرمات بقاء البنين وموت البنات
وقال آخر : سميتها اذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن و بيت »

هذا مثال من اراء ادباء المسلمين وشعرائهم في المرأة بين القرنين الرابع والخامس للهجرة وقد زادت حطة وصغارًا في الاجيال الاسلامية الوسطى تبعًا للتقهقر العام و بلغت غاية ذلك في القرون الاخيرة قبل هذه النهضة وقد تساوت في ذلك الانحطاط المرأة المسلمة وغير المسلمة من نساء الشرق الاسلامي على الاجمال والناس سكوت . لان القرائح جامدة والنفوس ميتة بما توالى على الناس من فساد الاحكام وتفشي الجهل

فلما اخذ القوم باطراف التمدن الحديث واستنارت العقول بالعلم انتبه العقلاء الى المرأة وعمدوا الى النظر في تحسين حالها ورفع شأنها — بدأ بذلك المسيحيون لكثرة اختلاطهم باصحاب هذا التمدن وقد اصابوا منه حظًا وافرًا اذ ليس في تقاليدهم او عقائدهم ما يمنع حريتها . ثم اخذ عقلاء المسلمين يفكرون في حال المرأة المسلمة و يشعرون بحاجتها الى الاصلاح لعلمهم ان الامة يتوقف اصلاحها على اصلاح المرأة . فطفقوا يتهامسون في ذلك تهيبًا من مقاومة تيار العامة الذين يعدون التضييق على المرأة من حقوق الرجل

ثم اخذ بعضهم يتظاهرون بنصرتها وانشئت المدارس لتعليمها وظهر القائلون بوجوب اصلاحها وليس بينهم من تصدى للمجاهرة بذلك على الملأ بالكتابة والخطابة لان الشجاعة الادبية كانت قليلة بيننا . واسبق المسلمين الى طلب الافراج عن المرأة في هذا العصر الاتراك في الاستانة لكثرة اختلاطهم بالاجانب وسبقهم في الاطلاع على اسباب التمدن الحديث . ولذلك كان كتابهم اسبق الى المجاهرة بوجوب رفع الحجاب واول من فعل ذلك من العرب هناك الشيخ احمد فارس صاحب الجوائب

اما في مصر فما زال العقلاء يتهامسون في هذا الموضوع وفي غيره مما يشعرون بحاجتهم اليه من الاصلاح الاجتماعي او الديني حتى صرح الشيخ محمد عبده بآرائه فلاقى ما لاقاه من المعارضة والنقمة وكانت وجهته الاصلاح الاسلامي على العموم بحل قيود التقاليد وتحكيم العقل في التفسير والتأويل الى ما فيه ترقية شؤون المسلمين . فكثر مريدوه والمؤمنون على اقواله وان قل المجاهرون بذلك على المنابر او في الصحف . ومن اولئك القليلين فقيد الامس قاسم بك امين فانهُ اخذ على عاتقه القيام باهم اسباب الاصلاح المطلوب نعني تحرير المرأة . تصدى لذلك بشجاعة يندر مثالها

الشجاعة الادبية

الشجاعة الادبية ان يقول الانسان اعتقاده ولو كان فيه ما يسوء الكبراء او يهيج عليه العامة مما يؤول الى الخطر على حياته او مصلحته . واصحاب هذه المنقبة قليلون ولاسيما في الشرق بعد ما توالى على اهله من انواع الذل والخسف . واما في ابان تمدنه فقد اشتهر من رجاله جماعة تضرب الامثال بشجاعتهم الادبية لسيادة العدل ونزوع ولاة الامور الى نصرة الحق والضرب على ايدي الظالمين . فلم يكن الناس يخافون ان يقولوا ما يعتقدون حتى كان الرجل من العامة ربما انتقد الخليفة او الامير في وجهه لا يخشى بأساً وقد تعود المسلمون ذلك من زمن الراشدين . فلما افضت الدولة الى بني امية وعمدوا الى الدهاء والشدة في تأييد سلطانهم امسكوا على الناس حريتهم . ومع ذلك فقد نبغ غير واحد بذلوا حياتهم في سبيل شجاعتهم كما اصاب ابا ذر الغفاري وحجر بن عدي الكندي وسعيد بن جبير وغيرهم . ولا تقتصر تلك الشجاعة على المسائل السياسية او الدينية بل هي لازمة في العلم والادب فقد عرض غاليليو حياته للخطر لمخالفة الاولين في قولهم عن ثبوت الارض

والانسان من فطرته حر الفكر يدلك على ذلك ما يبدو في كلام الاطفال من الصراحة والحرية ولكن تربيته على الخوف والحذر وتضييق الفكر منذ الصغر بالخرافات والاوهام تقيدان العقل حتى يعجز صاحبه عن التفكير الا على القالب الذي صب عقله فيه — فعلى طالب الاصلاح قبل ان يحل لسانه من خوف العقاب ان يحل فكره من قيود التقليد — هذه هي الخطوة الاولى نحو الشجاعة الادبية . وجمهور العامة مقيدو الفكر لا تتمشى افكارهم الا على الخطة التي رسمتها عاداتهم فتبدو آراؤهم مسبوكة في القوالب التي اقتضتها تربيتهم او معتقداتهم . فقبل ان نطالبهم بحرية القول او الشجاعة الادبية يجب علينا ان نعلمهم «حرية الفكر» اي ان نجعلهم ينظرون في ما يعرض لهم من المسائل بعين العقل لا بعين الغرض وان يبحثوا عن الحقيقة المجردة بقطع النظر عما غرس في اذهانهم مما يخالفها فيحكموا عقولهم وليس عاداتهم ومعتقداتهم — ذلك ما يعبرون عنه باستقلال الفكر

فمتى اطلق الرجل فكره من قيود الغرض او التقليد بقي عليه ان يصرح بما يرشده اليه عقله اذ قد يكون في تصريحه ما يسوء سواه او يعود عليه بالضرر فيمسك عنه خوفاً او مسايرة فيسكت . وقد يتمادى في جر المنفعة لنفسه فيقول عكس ما يعتقده التماساً لرضى الآخرين . ونرى امثلة من ذلك شائعة بيننا لهذا العهد

فالناس من هذا القبيل ثلاث طوائف طائفة غلبت عليها الاوهام وقيدتها التقاليد فلا تنظر في الامور الا بعين الغرض وبما تقتضيه تلك القيود فلا يلام اصحابها الا على الجهل. وطائفة حلت افكارها من تلك القيود ونظرت في الامور بعين العقل فظهر لاصحابها في شؤون العامة خلل يقتضي اصلاحاً فمنهم من يسكت عن ابداء رأيه خوفاً من غضب الجمهور او مراعاة لرئيس او صديق — وهي جبانة وضعف . ومنهم من لا يكتفي بالسكوت عن الحق بل يجاري تيار الجهلاء فيقول عكس ما يعتقد — وهو النفاق والرياء . ومنهم من يقول ما يعتقد بشجاعة وصراحة لا يبالي بما قد يلحقه بسبب ذلك من الضرر — وهي الشجاعة الادبية واصحابها هم رجال الفضل على المجتمع الانساني ومنهم كبار المصلحين والشارعين. وليس المصلح او الشارع الا رجلاً دعا الناس الى غير ما الفوه او تعودوه من اسباب الاصلاح الديني او الاجتماعي وضحى نفسه او مصلحته في هذا السبيل — وصاحب الترجمة من اولئك المصلحين

ترجمة حاله

كان ابوه امين بك ابن امير من امراء الاكراد أخذ رهينة في الاستانة على اثر خلاف وقع بين الدولة العلية والاكراد . ثم جاء الى مصر على عهد اسماعيل باشا وانتظم في الجيش المصري ورقي فيه الى رتبة اميرالاي وتزوج بكريمة احمد بك خطاب اخي ابراهيم باشا خطاب فولدت له أولاداً اكبرهم قاسم صاحب الترجمة

وليس في ترجمة قاسم امين ما نراه في تراجم رجال الحرب او السياسة من الحوادث العديدة فقد ربي كما يربو أمثاله من اولاد الوجهاء وتثقف في مدارس الحكومة المصرية وكان ممتازاً من صغره بالذكاء وحدة الذهن ولما اكمل دروسه كان في جملة الذين اختارتهم الحكومة للارسال الى اوربا يتعلمون بنفقتها على جاري العادة في ذلك الحين . فدرس الحقوق في فرنسا وعاد الى مصر سنة ١٨٨٥ فتعين وكيلاً للنائب العمومي في محكمة مصر المختلطة وما زال يرتقي حتى صار مستشاراً في الاستئناف وكان في كل اعماله مثال الامانة والنشاط واستقلال الفكر حتى توفاه الله بالسكتة في ٢١ ابريل الماضي وهو في الثالثة والاربعين من عمره

صفاته واعماله

كان رحمه الله ربع القامة اسمر اللون كثير التفكير قليل الكلام . وكان حرّ الفكر صادق اللهجة وقد زاده التبحر في القوانين والنظر في اقوال الفلاسفة الاجتماعيين استقلالاً في الفكر وصراحة في القول لان القضاء يعوّد صاحبه التمسك بالحق واجلال قدر الحقيقة

وممارسة القضاة الاحكام وتعودهم اذعان الناس لاقوالهم بلا مراجعة يزيدهم جرأة لابداء آرائهم في كل مسألة تعرض عليهم ولذلك رأيت المحاباة والرياء نادرين فيهم

وكان كبير النفس شديد الحرص على كرامتها ولذلك رأيناه محبًّا لامته راغبًا في رفع منزلتها لان حب الامة من حب الذات ولا يحب امته الا الذي يحب كرامة نفسه ومن يتغالى في خدمة امته فانما يفعل ذلك حبًّا بنفسه

واطلع قاسم على احوال الامم الراقية في اثناء اقامته باوربا فتمنى ان تكون امته مثلها نظر في اسباب الرقي فرآها كثيرة لا يمكن تناولها دفعة واحدة ولا يتيسر تناول شيء منها قبل اصلاح العائلة لان الامة تكون كما تكون العائلة والعائلة تكون كما تريد المرأة فوجه عنايته الى اصلاح المرأة المسلمة . وليس هو اول من رأى ذلك او فكر فيه كما قلنا ولكنه كان حازماً مقداماً لايكتفي بالقول والتذمر اوالاستسلام على عادة اكثر المفكرين بيننا ومنهم طائفة لا يقلون تعقلاً وسداداً عن المفكرين في العالم المتمدن ولكنهم يقولون ولا يفعلون — وهي آفة المشارقة . اما قاسم امين فكان فعالاً اذا اقتنع بصواب فكر اخرجه الى حيز العمل . فلما عرف الطريق المؤدي الى اصلاح امته بادر الى مباشرته وهو يعلم ما يعتور مشروعه من العقبات وما سيلقاه من مقاومة تيار الرأي العام . لان اصلاح المرأة يقتضي منحها الحرية ويتناول تقبيح الحجاب والنهي عن الطلاق وتعدد الزوجات مما يعده العامة من قبيل العقائد الدينية وهو ليس من الدين في شيء فاضطر ان يبين ذلك في اثناء بحثه . وبعد اعمال الفكرة الف كتابه « تحرير المرأة » واسمه ينم على منزلة المرأة المسلمة في اعتباره فهو يعدها مستعبدة وقد اخذ على نفسه ان يحررها . وعلم ان الناس سيكبرون قوله وينكرون عليه مشروعه — حتى المرأة لانها الفت الذل وتعودت ان تعتبر نفسها من ادوات المنزل . فلم يكن يتوقع ان يرى ثمرة سعيه في حياته فرضي ان يضع الاساس لسواه فصدر كتابه المشار اليه بقوله :

« وغاية ما اريد هو ان استلفت الذهن الى موضوع قل المفكرون فيه لا لان اضع كتاباً يوفي الكلام في شأن المرأة ومكانتها من الوجود الانساني . وقد يوضع مثل هذا الكتاب بعد سنين متى نبتت هذه البذرة الصغيرة ونما نباتها في اذهان اولادنا وظهرت ثمراتها وعملوا على التطافها والانتفاع بها »

ثم بين حاجة المرأة المصرية او المسلمة الى الاصلاح موجهاً كلامه الى الخاصة والعقلاء فاورد فصلاً في « ان حال المرأة في الهيأة الاجتماعية يتبع حال الآداب في الامة » لا يقرأه

قاريء الا توسم من خلال سطوره الحماس الشريف ونصرة الحقيقة وصدق اللهجة فقد افتتح كلامه بقوله :

« اني ادعو كل محب للحقيقة ان يبحث معي في حالة النساء المصريات وانا على يقين انه يصل وحده الى النتيجة التي وصلت اليها وهي ضرورة الاصلاح فيها . هذه الحقيقة التي انشرها اليوم شغلت فكري مدة طويلة كنت في خلالها اقلبها وامتحنها واحللها حتى اذا تجردت عن كل ما كان يختلط بها من الخطأ استولت على مكان عظيم من موضع الفكر مني وزاحمت غيرها وتغلبت عليه وصارت تشغلني بورودها وتنبهني الى مزاياها وتذكرني بالحاجة اليها فرايت ان لامناص من ابرازها من مكان الفكر الى فضاء الدعوة والذكر »

ثم اخذ يبحث في علاقة المراة بالامة و يورد الادلة والبراهين التاريخية والاجتماعية و يستنهض الهمم و يستحث القرائح على العمل بعبارات ملؤها الحماس والاخلاص قال:

« ولا يركن الى حب السكينة الا اقوام على شاكلتنا . فقد اهملنا خدمة عقولنا حتى أصبحت كالارض البائرة التي لا يصلح فيها نبات . وحتى مال بنا الكسل الى معاداة كل فكر صالح مما يعده أهل الوقت حديثاً غير مألوف سواء كان من السنن الصالحة الأولى أو قضت به المصالح في هذه الازمنة

« وكثيرًا ما يكتفي الكسول وضعيف القوى في الجدل بان يقذف بكلمة باطلة على حق ظاهر يريد ان يدفعه فيقول تلك بدعة في الاسلام . وما يرمي بهذه الكلمة الا حباً بالتخلص من مشقة الفهم أو الخروج من عناء العمل في البحث او الاجراء . كأن الله خلق المسلمين من طينة خاصة بهم واقالهم من احكام النواميس الطبيعية التي يخضع لسلطانها النوع الانساني وسائر المخلوقات الحية

« سيقول قوم ان ما انشره اليوم بدعة . فاقول نعم اني اتيت ببدعة ولكنها ليست في الاسلام بل في العوائد وطرق المعاملة التي يحمد طلب الكمال فيها »

وافاض في بسط الموضوع وتأييده فافرد فصلاً لتربية المرأة وهو يعتقد انها مساوية للرجل لا تختلف عنه الا بما يستدعيه اختلافهما في الصنف . وان تعليمها العلوم الطبيعية والعقلية والادبية يساعدها على القيام بواجباتها المنزلية وترقية نفوس ابنائها . وقسم الكلام في التربية الى التربية بالنسبة الى الوظيفة الاجتماعية وبالنسبة الى الوظيفة العائلية ثم تكلم في الحجاب — وكان قد الف كتاباً بالفرنساوية قبل « تحرير المرأة » ردَّ به على كتاب الدوك داركور الذي طعن فيه على المصريين وقبح اخلاقهم وعاداتهم واختصر قاسم في دفاعه

عن الحجاب هناك فافاض هنا في حقيقة الحجاب من الوجهة الدينية ومن الوجهة الاجتماعية واستأنف الكلام في «المرأة والامة» وبيَّن ارتباطهما في فصل طويل

وختم كلامه بفصل في «العائلة» وتوسَّع في الكلام على الزواج وشروطه وبيَّن ان الشريعة الاسلامية تأمر بحسن المعاملة وتنهى عن تعدد الزوجات وتقبح الطلاق مسنداً اقواله الى القرآن والحديث والقواعد الاجتماعية والاحكام العقلية . وفي كل فقرة دليل على صراحة فكره وصدق لهجته وتفانيه في خدمة امته . ومع ذلك فلم يكد يظهر كتابه وتتناقله الايدي حتى تصدى لتخطئته اقوام جاهروا بالسخط على صاحبه بين منتقد وهازئ اما تمسكاً بالقديم او مجاراة لاحساس العامة لارتباط ذلك بمصالحهم وطرق معائشهم . وفيهم من فعل ذلك عن اعتقاد خالص ولكن بعضهم تجاوز حد الانتقاد الى الاستهزاء والقول الهراء فاتهمه بعضهم بالمروق من الدين وآخرون بالخروج عن الآداب وزعم غيرهم انه يرمي الى قلب الحياة الاجتماعية المصرية وممالأة الانكليز على ضياع البلاد ...

اما هو فاغضى عن ذلك كله ورجع الى الموضوع فزاده بسطاً بكتاب آخر سماه «المرأة الجديدة» تكلم فيه عن «المرأة في حكم التاريخ» من اقدم ازمنته الى الآن في الامم القديمة والحديثة تأييداً لرأيه في وجوب تحريرها ورفع شأنها وفي «الواجب على المرأة لنفسها» وفصول في «الواجب على المرأة لعائلتها» و «التربية والحجاب»

ولم يكتف بطلب تحرير المرأة لكنه وضع لحريتها حدوداً وبين ما يجب عليها وما يحق لها. ووضع للطلاق نظاماً جعله نموذجاً تنسج الحكومة على منواله اذا شاءت تحرير المرأة واعطاءها حقها الشرعي والمدني . فقيَّد ارادة الرجل في الطلاق بحكم القاضي او المأذون بعد ان يرشد الزوج الى ماجاء في الكتاب والسنة من كره الطلاق عند الله وينصحه ويبين له تبعة عمله واذا ابى الاصغاء وسط حكماً من اهله وحكماً من اهلها للاصلاح بينهما . فاذا لم يفلح في ذلك كله اذن بالطلاق . ولا يخفى مافي ذلك من تدارك الاضرار التي تصيب العائلات بتسرع البعض في تنفيذ طلب الطلاق وقد يكون طلبه عن غضب موقت فاذا ثاب اليه رشده ندم على ما فرط منه

ظهرت كتابات قاسم في هذا الشان من تسع سنوات فشغلت الالسنة والاقلام عاماً او عامين تنبهت فيهما العقول وثارت الخواطر وقام الناس وقعدوا . وقد لاقى من العقلاء اعجاباً كثيراً فنصره بعضهم بالسنتهم واقلامهم وسكت الآخرون مجاراة للعامة

ونصرائهم . واكثرهم مجاهرة في نصرته واخذاً بيده زميلنا ابراهيم بك رمزي رئيس تحرير الجريدة الآن فانهُ انشأ يومئذٍ مجلة سماها « المرأة في الاسلام » جعلها وقفاً على هذا المشروع ظهرت سنة ثم احتجبت . ثم سكت الناس لا عن اهمال او اغفال ولكنها فترة الحضانة ريثما تتكيف عقول الامة لقبول تلك الآراء – كالتلقيح بالجواهر النافعة فانهُ يحدث عند دخوله البدن تهيجاً وقد يولد صديداً ثم يسكن في الظاهر ويعمل عملهُ رويداً رويداً . وقد اخذت نتائج ذلك السعي تظهر برغبة الناس في تعليم بناتهم وانشاء المدارس لهذه الغاية . وهذا من ادلة تسرُّب فكر قاسم بالتدريج

ستتوالى الاجيال وتمرُّ السنون قبل ان تحرر المرأة المسلمة لكنها ستتحرر وترتقي وتتولى الاعمال الهامة وترفع شأن العائلة كما كانت سالفاتها في جزيرة العرب منذ آلاف من السنين فاذا بلغت الى ذلك الرقي تذكر صاحب الفضل عليها وتعظم ذكرهُ فيبقى اسمهُ منقوشاً بحروف من نور على تاريخ الاجتماع الشرقي في التمدن الحديث

اعماله في غير تحرير المرأة

قد تمرُّ القرون والناس على ما ساقتهم اليه الفطرة في طلب المعاش لا يفقهون معنى الحياة ولا الاجتماع حتى تتمخض الطبيعة فتلد من ابنائها افراداً ينهضون بالامة الى ما يظنون فيه خيرها – هؤلاء هم اقطاب العالم ودعائم الحياة الاجتماعية فمنهم من يرى ثمرة سعيه وينال الفخر بحياته ومنهم من يراها خلفاؤُه ويطوبونه بعد موته

وصاحب الترجمة واحد من هؤلاء لم يجنِ ثمر سعيه ولكن معاصريه عرفوا فضله واعترفوا بما طبع عليه من سعة العقل وسداد الرأي والرغبة في خدمة الامة فعهدوا اليه باعز المشروعات لديهم نعني انشاء « الجامعة » فولوه رئاسة اللجنة فلم يدخر وسعاً في سبيلها الى آخر ساعة من حياته وله بشأنها خطبة القاها في حفلة حسن باشا زايد التي ذكرناها في الهلال الماضي كلها حكم وحجج واستنهاض وترغيب

ذكرنا للفقيد فضلهُ في نصرة المرأة لانهُ اظهر اعماله الاجتماعية ولكنهُ كان راغباً في سائر سبل الاصلاح يطلبها من ابوابها القانونية مع تطبيقها على القواعد الاجتماعية الصحيحة لا يغويه الطراء ولا يخيفهُ صياح ولا يستغرب نقمة الناس وتخوفهم من كل جديد . وكان يشير الى ذلك في اثناء اقواله ويحتاط له ويدفعه . وله في الاصلاح على اجماله مقالات كان ينشرها في المؤيد عنوانها « اسباب ونتائج واخلاق ومواعظ » لم يذكر فيها اسمهُ وكان لها وقع حسن

وله اقوال مأثورة وجمل يتناقلها الناس عنهُ و يتخذونها قاعدة او مثالاً نشرتها ادارة الجريدة في كتاب سمتهُ « كلمات لقاسم بك امين » هو عبارة عن مختارات افكاره او مذكراته وفيه حكم فلسفية اجتماعية وشذرات علمية يجدر بالادباء الاطلاع عليها والتمثل بها وهذه امثلة منها :

ان الذي مدحك بما ليس فيك انما هو مخاطب غيرك

اذا استشارك عدوك فاخلص له النصيحة لانه باستشارتك قد خرج من عداوتك ودخل في مودتك

تعصب اهل الدين وغرور اهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم . وليس بصحيح انهُ يوجد بينهما خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال ما دام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء . فمهما كثرت معارف الانسان لا تملأ كل فكره — بعد كل اكتشاف يحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي نهاية كل مسئلة يحلها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغداً يشتغل عقل الانسان بالعلم اسي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعه ذلك من التفكر في المجهول الذي يحيط بها من كل طرف هذا المجهول الذي كان ويكون بعد الذي لا قرار له ولا حد لا في الزمان ولا في المكان هو دائرة اختصاص الدين

ان كان في الوجود انسان يستحق ان يحسد على نعمته فهو العاشق

من اختباري لارباب الافكار الذين اختلطت بهم يظهر لي ان الحمية عندهم سطحية لاتذكيها نار تتوقد في القلب — حمية الفاظ متى انتشرت عادت هباء لا تترك اثراً بعدها

لا ادري ماهي غاية الكتاب الذين اذا ارادوا التعبير عن اختراع جديد يجهدون انفسهم في البحث عن كلمة عربية تقابل الكلمة الاجنبية المصطلح عليها كاستعمالهم مثلاً كلمة السيارة بدلاً من كلمة الاوتوموبيل . ان كان المقصد تقريب المعنى الى الذهن فالكلمة الاجنبية التي اعتادها الناس تقوم بالوظيفة المطلوبة منها على وجه اتم من الكلمة العربية وان كان مقصدهم اثبات ان اللغة العربية لا تحتاج الى اللغات الاخرى فقد كلفوا انفسهم امراً مستحيلاً اذ لم توجد ولن توجد لغة مستقلة عن غيرها مكتفية بنفسها

لا تكمل اخلاق المرء الا اذا استوى عنده مدح الناس وذمهم اياه (انتهت اقواله)

وجملة القول ان قاسم امين من المصلحين العظام الذين يحفظ التاريخ ذكرهم وتزداد منزلتهم رفعة وفضلهم ظهوراً بتوالي الاجيال . وفضله يشمل العالم الاسلامي على الاجمال بنصرته للمرأة المسلمة وله فضل خاص على القطر المصري بما نشره بين المصريين من النصائح الخاصة بهم . وبما كان له من القدوة الحسنة بين زملائه واصدقائه وغيرهم . لانه خدم القضاء ٢٣ سنة كان فيها مثال النزاهة واستقلال الفكر والشجاعة الادبية لا يراعي في الحق صداقة ولا قرابة ولا مقاماً — فموته خسارة يصعب تعويضها

جامعة ام كلية

والعلوم الادبية ام الطبيعية

الهلال اول من نادى بحاجة مصر الى مدرسة كلية بمقالة ظهرت في الهلال التاسع من السنة الثامنة عنوانها «مدرسة كلية مصرية هي حاجتنا الكبرى» قلنا في جملتها :

«نحن في حاجة الى مدرسة كلية تعلم العلوم العالية يتولى أمرها رجال يتخذهم التلامذة قدوة في الاعتماد على النفس والاقدام وحرية الفكر والقول ومعرفة الحقوق والواجبات . فاذا خرج التلامذة منها انشأ بعضهم المدارس في البلدان والقرى يبثون تلك الروح في ابنائها و يبثها الآخرون في رفاقهم بالاسواق والجمعيات والدواوين وفي المجالس العمومية والخصوصية»

ذلك ما قلناه منذ تسع سنوات وكنا كلما سنحت فرصة نعيد الكرة وننبه الاذهان الى ضعف التعليم ونستنهض الهمم لانشاء المدارس حتى تفضل مصطفى بك كامل الغمراوي منذ عامين باخراج ذلك القول الى حيز العمل فاقترح على الامة المصرية انشاء مدرسة كبرى سماها «جامعة» وفي اعتقادنا انه يعني «كلية» اى مدرسة تعلم العلوم العالية وتربي النفوس على استقلال الفكر والقول . فاستقبلت الامة اقتراحه بالترحاب والاستحسان وتألفت اللجنة لجمع الاكتتابات كما هو مشهور وقد ذكرناه في حينه

ولكن يظهر ان اللجنة اخذت اقتراح الغمراوي بمؤداه الحرفي فجعلت الغرض انشاء جامعة على نمط جامعات اوربا . والجامعة عندهم مؤلفة من عدة كليات . فتربصنا حتى تنشر اللجنة النظام الذى ستسير عليه في العلوم التي ستعلمها وفي كيفية التعليم . فلما صدر

منشورها المختصر الذي نشرناه في الهلال الماضي ذيلناه بملاحظتين بدتا لنا من مطالعته :
الاولى اننا لم نجد فيه ذكرًا للغة العربية ورجونا ان تكون هي قاعدة التدريس فيها .
والثانية اننا اعترضنا على الطريقة التي تنوي الجامعة السير عليها في التعليم وهي الخطب في بعض المواضيع الاجتماعية

ثم جاءنا كتاب نظامها الكامل والبشرى بدخولها في رعاية الجناب العالي ورئاسة الشرف لسمو ولي العهد . فكان ذلك باعثًا على الثقة في نجاح هذا المشروع . وقد سرَّنا ما رأيناه في نظامها عن اللغة العربية انها ستكون قاعدة التدريس فيها . واما التعليم فقد قالت انه « سيكون مماثلاً للحاصل في المدارس الجامعة باوربا مع مراعاة تطبيقه على احتياجات القطر المصري » وهو قول مبهم يحتاج الى ايضاح ولكن يظهر لنا من قرائن كثيرة اهمها ما أعلنت عزمها عليه من الشروع بالقاء الخطب انها ستجعل التدريس خطبًا في بعض العلوم على ما ذكرناه في الهلال الماضي أو محاضرات كما يفعلون في جامعات اوربا اي ان تعين اساتذة يلقي كل منهم خطابًا في الفن المختص به مرة او مرتين في الاسبوع يحضره الطلبة فيلتقط كل منهم ما يعلق في ذهنه من ذلك الخطاب على قدر اجتهاده وذكائه لا يجبره احد على الحضور ولا يطالب ببيان ما تعلمهُ الا في الامتحانات العمومية . وقد قلنا في الهلال الماضي ان هذه الطريقة وان افادت الافرنج في جامعاتهم فهي غير ما نحتاج اليه نحن لاختلاف احوالنا عن احوالهم . هم يلقون الخطب في المواضيع الاجتماعية او الاقتصادية او الطبية . او القضائية او غيرها من العلوم والفنون على شبان اتموا دروسهم العلمية ونالوا البكلوريا الحقيقية واما نحن فسنلقيها على حملة البكلوريا المصرية (او بكلوريا الخدمة الاميرية) وقد بينا الفرق بينهما في مقالة المدرسة الكلية المصرية في السنة الماضية — هذه هو المحور الذي عليه مدار الكلام

ان الخطب في المواضيع الاجتماعية او الاقتصادية او التاريخية جزيلة الفائدة ولكنها ميسورة لنا بغير المشقة التي يقاسيها اعضاء اللجنة والعناية التي يبذلونها في جمع الاموال ووضع النظامات . اذ يسهل القيام بالقاء هذه الخطب في الاندية العلمية والادبية التي نشأت بين أظهرنا في هذه الاثناء . على اننا نعد الخطب في هذه المواضيع كمالية بالنظر الينا — نحن في حاجة الى العلوم الاساسية التي يتلقاها حملة البكلوريا الحقيقية في العالم المتمدن والى التدريب على الدرس والبحث والتمحيص وترقية النفوس بالتربية المدرسية العالية . بل نحن في حاجة الى التربية اكثر مما الى العلم . وهذا لا يكون بالخطب والحضور الاختياري بل هو لا ينال الا بالزام التلميذ على تفهم الدرس واعادته على المعلم والمناقشة فيه حتى يرسخ في ذهنه . وبملازمة

الطلبة المدرسة معظم ساعات النهار تحت مراقبة اساتذة عقلاء يرقون نفوسهم بارشادهم وقدوتهم و بما يشكلونهُ لهم من الجمعيات الادبية و يعودونهم اياه من الخطب والمباحثات والمنافسة في التأليف والجدال وغير ذلك على نحو ما هو جار في المدرسة الكلية السورية

لما جاء الاميركان لنشر العلم في سوريا قضوا اعواماً في تجربة الطرق الملائمة للشرقيين وان خالفت طرق الغربيين فوصلوا الى طريقة هي افضل الطرق المؤدية الى هذا الغرض . فما بنا لا نستفيد من اختبارهم — ان انشاء هذه الجامعة خطوة مهمة في تاريخ هذه النهضة والآمال عالقة بها والابصار شاخصة اليها . فاذا لم نحسن وضعها على مايلائم حاجاتنا ذهبنا بآمال المكتتبين واضعنا اموالهم عبثاً واسأنا الى ابنائنا واحفادنا الذين نزعم اننا نهيء لهم سبيل الاستقلال بانشاء هذه المدرسة وامثالها . فينبغي ان نضع الاساس على الصواب قبل ضياع الفرصة . ويجب على كل منا ان يقول رأيه لاننا شركاء في النتيجة فيجب ان نشترك في مقدماتها . وفي اعتقادنا ان الشبيبة المصرية تحتاج الى مدرسة تعليم وتربية يدخلها الطالب لدن العود لين العريكة فلا يزال يتلقى العلم ويتمرس باسباب الترقي حتى يخرج مهذباً مثقفاً قوي الارادة نشيطاً هماماً مستقل الفكر يحب وطنه و يتفانى في خدمته . وهذا لا يتأتى بالحضور الاختياري لسماع الخطب . لان معظم هذه المحامد ينال بالقدوة والمباحثة والمعاشرة اناء الليل واطراف النهار . وبعبارة أخرى اننا في حاجة الى مدرسة يسبك فيها الطالب سبكاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده

العلوم الطبيعية ام الادبية

وكتب الينا غير واحد يسألوننا رأينا في العلوم التي يحسن بالجامعة تقديمها : العلوم الطبيعية كالطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والرياضيات والفلك وغيرها ام العلوم الادبية كالتاريخ والفلسفة والاقتصاد والشعر ونحوها من المباحث الاجتماعية والادبية؟ والجواب على ذلك ان جميع هذه العلوم لازمة لتوسيع مدارك الشبان وترقية نفوسهم ولكن العلوم الطبيعية اولى بالتقديم لانها تنير الاذهان بالاطلاع على اسرار الكون ونواميسه وكلها حقائق ثابتة مترابطة تدرب العقل على النظر الصحيح والحكم الصواب . فيظهر له الكون كما هو ويدرك حقيقة الموجودات ويسهل عليه تعليل الحوادث . فلا تأخذه الاوهام والخرافات واذا قرأ التاريخ او الادب او نظر في نظام الاجتماع بعد ذلك كان نظره صادقاً وكان حكمه اقرب الى الصواب

فالطبيعيات تعلمنا مثلاً نواميس السمع والبصر والاثقال والميكانيكيات والجاذبية

المغنطيسية والكهربائية وغيرها فلا نصدق ان زرقاء اليمامة رأت جيش العدو على مسافة ثلاثة ايام ولا نخاف الشنق اذا احمر ولا السماء اذا أرعدت ونهزأ بما يرد في احاديث القوم من اخبار العفاريت وغرائب الحوادث المخالفة لنواميس الطبيعة • والكيمياء تكشف لنا عن الظواهر التي نراها في التحليل والتركيب فلا نصدق ان الحجر يتحول الى طعام او النحاس الى ذهب ونعلم ان المادة لا تتلاشى • والمطلع على مبادي علم الفلك لا يخاف على القمر من الحوت ان يبتلعه ولا يزعج اهله وجيرانه بضرب النحاس

والتاريخ الطبيعي يعلمنا ان الانسان لا يعمر خمسمائة سنة او الف سنة وان الآدميين وسائر اصناف الحيوان قلما اختلف شكلها او حجمها من اول عهد التاريخ الى الآن • ومبادىء الفسيولوجيا والتشريح تعلمنا كيف تتألف اجسام الناس وكيف يتحول الطعام الى غذاء ويتطهر في الدم الرئتين فلا نصدق ان الانسان يعيش اشهراً او اعواماً بلا طعام ولا ان مدة الحمل تتجاوز اشهرها المعدودة

والجيولوجيا تدلنا على عمر الارض وما في جوفها من الطبقات وتبين لنا اسباب الزلازل والبراكين وغيرها — وقس على ذلك سائر العلوم الطبيعية التي تعلم في المدارس الكبرى باوربا • فطالب البكلوريا عندهم يتعلم الفلسفة الطبيعية والفسيولوجيا والكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجيا والفلك والمنطق والفلسفة العقلية والادبية والجغرافية الطبيعية والظواهر الجوية والاقتصاد السياسي فضلاً عن التاريخ والجغرافية واللغات وغيرها

وفي مدارسهم المعدات اللازمة لبسط هذه العلوم وايضاحها بالمشاهدة والتجربة كالمعارض التشريحية وفيها اجزاء الجسم واعضاؤه باشكالها • والمعارض الجيولوجية وفيها اصناف المعادن والاحجار حسب طبقات الارض ومواقعها • والمعارض النباتية وفيها اصناف النبات على اختلاف الاقاليم والاصقاع ناهيك بالآلات الفلكية والمراصد لمشاهدة الاجرام ومراقبة حركاتها والمعامل الكيماوية لتحليل المواد وتركيبها ومسارح الحيوانات ومعارض عظامها وبقاياها على اختلاف الانواع والاجناس غير المعارض الطبيعية لتجربة الميكانيكيات والبصريات والسمعيات وغيرها

فالشاب الذي يدرس هذه العلوم على هذه الكيفية يخرج من المدرسة وقد استنار عقله واتسعت مداركه وعرف نواميس الطبيعة وتفاعل العناصر وطبائع الاجسام فيدرك عظمة الكون وحقيقة الانسان فلا يأخذه الغرور ولا تخدعه الاوهام • واذا سمع خطاباً في التاريخ او الادب او الفلسفة او التمدن او اداب اللغة فهم منه غير ما يفهمه حامل

البكلورية المصرية التي لم يتلق صاحبها من هذه العلوم الا شذرات من الكيمياء والطبيعيات والرياضات يتلقاها على عجل لقلة المعدات اللازمة لايضاحها وتفسيرها

فالناشئة المصرية تحتاج قبل كل شيء الى العلوم الطبيعية التي توسع المدارك وتعلم الانسان حقيقة هذا الوجود من حيث علاقة الارض بسائر الاجرام السيارات والثوابت وتكشف له عما يجري على سطح هذه الكرة من تفاعل القوى واسبابها ونتائجها وطبائع ما ينبت فيها من النبات او يسرح عليها من الحيوان واسباب ما يغلي في باطنها من الحمم او يتساقط عليها من المطر او يهب فوقها من الرياح • وتدله على تركيب جسمه واسباب نموه وطرق غذائه وتوالده ونواميس عقله واخلاقه — يحتاج الشاب المصري الى هذا كله قبل الجنوح الى النظر في العلوم الاجتماعية او الفلسفية او التاريخية او درس تمدن الامم او آداب لغاتهم • ولا يتم ذلك الا بمدرسة كلية علمية تلقى فيها هذه العلوم كما تلقى في المدرسة الكلية الاميركانية

فنستلفت انتباه لجنة الجامعة الى هذه الملاحظات لانها صادرة عن قلب يحب مصر ويغار على مصالحها • فاللجنة المشار اليها اذا ارادت ترقية الشعب المصري واعداده ليحكم نفسه فعليها ان تبدأ بانشاء مدرسة علمية كبرى على نحو ما قدمنا تقيم فيها اساتذة من اهل الفضل يفيدون التلامذة بقدوتهم كما يفيدونهم بعلومهم ويكون التعليم فيها بالحفظ والاسماع والمراجعة والمناقشة كما ذكرنا • واذا ارادت القاء الخطب في اثناء ذلك بالعلوم الاجتماعية او الاقتصادية او غيرها من الادبيات فانه يكون مفيداً

هذه كلمات نقولها في سبيل المصلحة العامة وقد نكون مخطئين في بعضها او كلها وانما قلنا ما نظنه صواباً — والمباحثة تجلو الحقيقة • وقد همنا النظر في هذا الموضوع دون سائر المواضيع التي تتناقش فيها الصحف او يتحدث بها الناس لاعتقادنا انه اهمها كلها بالنظر الى مصلحة مصر لان ما يتطلبه اهلها من الاستقلال او الدستور او الحرية او الثروة او غيرها لا ينال بغير العلم • والعلم للعقول كالغذاء للابدان لا يصح تناوله الا في نسق وعلى مقدار بالتدريج الملائم للصحة والنمو • فكما اننا لا نطعم الطفل الرضيع اللحوم والتوابل باعتبار انها تغذي البالغين وتقويهم لعلمنا انها تلبك معد الاطفال وقد تقتلهم • فلا ينبغي ان تكلف حملة البكالوريا المصرية تلقي المسائل الفلسفية والاجتماعية العالية قبل تقوية عقولهم بالعلوم الطبيعية والرياضية ونحوها

صدى النفوس

ورجع الصدى

هي قصيدة فلسفية للدكتور شميل بعث بها الى الهلال وقد ضمنها رأيه في اقتراحنا على الشعراء بالهلال الماضي « ان الدين جزء من الوجدان واكبر تعزية لبني الانسان » وصدرها بمقدمة في الشعر والشعراء قال :

كلمات املاها عليَّ اقتراح الهلال تكاد تكون غير مقفاة ليس لها من رنة الرويّ ماألفته الاسماع العادية من تناسب الوقع . والرويّ للشعر العربي كالموسيقي للغناء . فان لم تبلغ في إجادة المبنى حدّ الافادة في المعنى فهي لغير شاعر

شعر ليس لهُ من صناعة التنظم غير الوزن . عاطل من كل جمال الاَّ حلي الحقيقة ولكن الحقيقة فيها بمقال ليس لها جمال الخيال . فان فعل في البعض فعــل الوباء في الجرد فالاطباء كالانبياء انما أرسلوا رحمة للعالمين

موضوع ينبو الفهم عنهُ وليس يلزم من ذلك ان يكون سلبياً . ولقد قال أحد الحكماء اذا قرأت شيئاً ولم تفهمه فافحص فهمك اولاً واحذر ان يخونك العلم اذا صدقك الفهم

صوت من بين ملايين الاصوات هل يجزع منهُ ؟ وان لم يضرب على وترها فهل يفقدها لذة نغمها ؟ وهل تكدر نقطة صفاء البحر العظيم اذا ونمت فيه ؟ وان كدرته فما اعظم جرأته !

ما احلى الاماني لولا انها خيال شاعر وما امرّ الحقيقة لولا انها السبيل الى الرشاد

خواطر أُوحت بها اليَّ تلك النفس الطاهرة صاحبة نفوس الشعراء [1] فقلت ابن نفس القائل :

وان مديح الناس حقٌ وباطلٌ ومدحك حقٌ ليس فيه كذابُ
اذا نلت منك الودَّ فالمال هينٌ وكل الذي فوق التراب ترابُ

من نفس القائل :

اقول للحيان وقد صفرت لهم وطابي و يومي ضيّق الجُحْر معورُ
هما خطتنا اما اسارٌ ومنــةٌ واما دمٌ والقتل بالحر اجدرُ

(١) مقالة بهذا العنوان للمرحومة عفيفة كريمة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني نشرت في المقتطف شهر مايو من هذه السنة

واخرى اصادي النفس عنها وانها لمورد حزم ان فعلت ومصدر

هذا قاله شاعر البداوة على قمة جبل بلقي عليك به درساً عالياً في الاخلاق ولم يثنه الاباء عن مأتى الحصافة والحزم لئلاً تكون الصلابة القاصمة خرقاً في سياسة المنفعة

وذلك قاله شاعر الحضارة قائماً يسأل على اعتاب المدنية مع انه امير شعراء المولدين في صناعة النظم وكبر النفس

انت تستطيع ان تترجم شعر هوجو وموسه وروستان وتستفيد من ذلك غرضاً اجتماعياً وبحثاً ادبياً اخلاقياً وعبرة تاريخية . ولكنك لا تستطيع ان تترجم شعر المتنبي وابي تمام والبحتري ولا ان تستخلص منه شيئاً من ذلك غير بعض الحكم والامثال مشتتة في تلك الادغال لا رابط ينسقها . ولماذا ؟ لان هوجو اطلّ في شعره على العالم اجمع فنظر الى الحقائق وبما له من قوة الخيال وحسن السبك ربطها وكساها من شعره حلة مهيبة رهيبة في النفس كما كساها موسه رقة وجمالاً وروستان نظر الى الوقائع فا كسبها من قوة خياله ومتانة شعره وقعاً في النفوس جعلها ابلغ في العظة

١ فلو عني المتنبي واقرانه بالامور نظيرهم وقصدوا فيها الى مرامي اجتماعية عالية أكان خانهم خيالهم ؟ اولا كانوا فاقوا شعراء الافرنج في دقة الوصف وقوة التصور وسعة الخيال فعوضاً عن ان يتبسطوا في ذلك الاسلوب الجاهلي ويضعوا لنا ما اذا رُوي رَوى مطامع النفوس وظمأ العقول . بل عوضاً عن ان ينحوا النحو الذي نحاه بعدهم شعراء الافرنج في وصف الطبيعة الصامتة والناطقة وينزعوا الى اغراض اجتماعية استغواهم ذلك البذخ الذي عاشوا في وسطه واستهوت الخلاعة نفوسهم فأذلوا لها قرائحهم ونهجوا في شعرهم ذلك المنهج الغريب في المدح والغزل والتصابي والاستجداء حتى غلب هذا الاسلوب على صناعة الشعر العربي وألفته الطباع واستسهلته السلائق لعدم الارتباط فيه بقيد وصار جماله لا يقوم الا بالاغراب في تلك المعاني المبتذلة

وكيف يترجم ردفٌ يقعد صاحبه كانه كثبان عالج وقلب يحرق بناره الرجلين ويثب من الصدر الى العين . وقد رأيت قلباً خرج من تحت الابط في صدمة قطار ولكني لم ارَ قلباً تخطى سنن الطبيعة في خروجه من الجسم

والشاعر العربي الذي يمكن ان يترجم اكثر شعره من غير ان تفقده الترجمة جماله هو شاعر الحقائق القائل

ما الخير صومٌ يذوب الصائمون له ولا صلاةٌ ولا صوفٌ على الجسد

وانما هو ترك الشرّ مطّرحاً ونفضك الصدر من غلٍّ ومن حسد
مادامت الوحش والانعام خائفة فرمياً فما صح امر النسك للاسد

والقائل

وقد زعموا هـذا النفوس بواقياً تشكل في اجسامها وتهذبُ
ولوكان يبقى الحسُّ في شخص ميتٍ لأَ كيت ان الموت في الفم اعذبُ

والذين يقولون هذا القول هم الذين يحبون الحياة اكثر من سواهم . والقائل :

كذب الظن لا امام سوى العقـ ـل مشيرًا في صبحه والمساء
انما هـذه المـذاهب اسبا بٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء

ولا شك ان ابا العلاء المعرّي هو فيلسوف الشعراء قاطبة واكثر شعراء العرب علماً وأرجحهم عقلاً وهو الوحيد بينهم الذي ترفعت نفسه عن تلك الدنايات ومال عقله عن سفساف القول الى الحقائق ومحاربة الضلال

لا اقول ذلك حطّاً من سليقة شعرائنا المولدين من متقدمين ومتأخرين فانهم وايم الحق اعلى الشعراء كعباً في الصناعة واوسعهم خيالاً ولا اقول اسماهم . وانما اقول ذلك طعناً في اسلوبهم العقيم المبتذل فانهم وقفوا تلك القرائح الجيدة على امور لا تفيد القارىء فائدة ادبية أو اجتماعية او تاريخية ولو كتبوها نثرًا لخجلوا من دناءة نفوسهم وسخروا من اغراب عقولهم

ولعلهُ كان للمولدين من شعرائنا يدٌ ليست اقل شؤماً من يد علماء الكلام في تقهقر التمدن العربي كما ان تلك الاشعار الحماسية في عصور الجاهلية واثرها في النفوس كانت مبعثاً لقيام دولة العرب في الاسلام و بزوغ تمدنها و بلوغها فيه الشأو الذي بلغته

ولعلنا اليوم على فجر نهضة جـديدة فاني ارى من بعض شعرائنا نزوعاً الى وضع الشعر في اسلوب يرمي الى غاية اجتماعية (١) ولا نعدم قرائح متوقدة من شعرائنا المطبوعين فلعلهم لا يلبثون طويلاً حتى يرونا منهم امثال هوجو وروستان وسواهم فان النظم طوع بنانهم فما عليهم الاَّ ان يعملوا عقولهم و يجيلوا نظرهم في ما حولهم فلا تضن الطبيعة عليهم بمكنوناتها والاجتماع باسراره والتاريخ بعبره ولا اقلَّ من ان يدخلوا بنفوسهم الى اعماق نفوسهم . . . . . . وهذا جوابي على اقتراح الهلال :

---

(١) اشارة الى ديوان الخليل

فؤادك ما بين المنيّة والمنى ... يسائل ام ما في حجاك من الظما [١]
اذا ما ترامى العقـلُ يجلو حقائقاً ... شكا القلب أنّ الغبن في ذلك الجلا [٢]
وما الغبن الا ان يرى القلب هائماً ... وتخفى على العقل الحقائق في الدنى [٣]

لقد قلت ان الدين ضربة لازبٍ ... وجزء من الوجدان في اعمق الحشا [٤]
وإنّا اذا لم نعبد الله ربنا ... عبدنا ولو إلاًّ [٥] اقمناه من صوى [٦]
فلولا من النفس السجينة بارق ... يمزّق سجف الجسم ما كان ذا الصبا [٧]

ولو انت أعملت الرويّة لا الهوى [٨] ... لادركت ان الدين لاصوت بل صدى [٩]
صدى حبنا البقيا لهول حقيقة [١٠] ... وزلفى دلجنا للذي يحفظ البقا [١١]

(١) أقلبك الذي وقف بك بين الموت ومنى النفوس بحفظ البقاء لتحقيق ما به من الرجاء؟ أم عقلك الذي وقف بك هذا الموقف لما به من الظماء لاستجلاء الحقائق والشغف بها؟

(٢) أي ان العقل كلما انجلت له الحقائق قلت اماني القلب فشكا الغبن فكأنّ كثرة الاماني فيه وانجلاء الحقائق للعقل على طرفي نقيض لا يجتمعان

(٣) أي ان الغبن الحقيقي هو ان يرى القلب مسترسلاً في امانيه والعقل جاهلاً للحقائق لان ذلك شرٌّ في الدنيا مؤكد

(٤) الوجدان عند الطبيعيين هو الذات التي يقوم بها شعور الفرد وهو في اجزاء البدن وملازم له . وهو النفس عند سواهم و يقتضي ان يكون مفارقاً مستقلاً

(٥) الالّ الاله

(٦) جمع صوّة وهي علم من حجارة

(٧) فلولا طموح النفس النزيلة في الجسم الى المرجع الاعلى ومحاولتها تمزيق الحجاب الذي يصدها عنه لما كان بها هذا الحنين اليه

(٨) يريد بالهوى أميال القلب

(٩) و بالصوت والصدى الجوهر والعرض

(١٠) أي لهول حقيقة الموت

(١١) أي صدى حبنا البقاء ولما كانت حقيقة الموت صادعة رجونا البقاء في صورة

حببنا (ب) الذي فينا حببنا رجاءنا   حببنا الذي نرجو نحب لمقتنى (١)
وهمنا به في الارض طوراً وتارةً   صبونا الى ملك وطوراً الى السما (٢)

عبدنا به رباً مثيباً معاقباً   ويقضي ولا ردٌّ ويقضي كما يشا
رجوناه رحماناً اردناه عادلاً   خشيناه جباراً كقيل اذا عتا
دعونا اليه الناس بالحلم والتقى   دعوناهم بالنار والسيف في القلى (٣)

وما الحب من ادنى فاعلى الى الرجا   فما فوق الا الشوق في كبد السهى (٤)
ترقى بنا حتى النهى وهو دونها   كما في نيوب الليث او في حشى الصفا (٥)

اخرى . وتزلفنا للذي ظنناه يقدر ان يهبنا هذا البقاء بان افرغنا فيه كل حبنا

(ب) حبَّ الثلاثي غير مألوف ولكنه جاء في قول الشاعر * ووالله لولا تمره ماحببته *

(١) ثم فسر هذا الحب بانه محبة الذات الغريزية فينا التي تجعلنا نحب كل ما فينا ونحب بقاءنا وهي التي جعلتنا نحب رجاءنا لما تولد فينا حبًا يبقائنا ونحب الذي رجونا منه تحقيق هذا الرجاء واستمسكنا بذلك استمسا كنا بكل شيء حببناه فامتلكناه

(٢) أي همنا بهذا الحب نهيم في طلب رغائبنا فطلبناها اولاً في الارض فعبدنا الجماد والنبات والحيوان والانسان نفسه ثم صبونا الى السماء فعبدنا الشموس والكواكب . وكنا كلما انجلت الحقائق لنا اكثر ننتقل فيه من شيء الى آخر حتى طفرنا الى ما وراء الطبيعة

(٣) أي عبدنا رباً تصورناه كعتاة ملوكنا واطلقنا عليه كل ما اطلقناه عليهم وتقربنا اليه بالخوف والتمليق كما تقربنا اليهم ودعونا الناس اليه تارة باللين وتارة بالشدة بحسب مركزنا من القوة او الضعف و بحسب مصلحتنا

(٤و٥) اي ان حب الذات هذا الذي ترقى بنا من ادنى الى اعلى الى الرجا فاقصى درجات الكمال العقلي ليس خصيصاً بنا بل هو عامٌّ على جميع مواليد الطبيعة الجماد والنبات والحيوان وهو نفس الشوق او الجاذبية العامة التي تحفظ نظام الاجرام المعبر عنها بالسهى ونفس القوة الموجودة في الحيوان الذائد عن نفسه بسلاحه ونفس القوة الموجودة في الجماد الحافظ لذاته بالجاذبية الالتصاقية والانقابية المعروفة بالالفة ايضاً . يريد بذلك ان كل

فان كان هذا الميل هدي نفوسنا رُوَيدك ان الكائنات به سوا(١)
فأين مكان النفس فيها من القوى واين نبي العالمين الى الهدى(٢)

وان كان كالوجدان غير مفارق فلم لا نراهُ في جميع بني الورى(٣)
ووجداننا هلاّ رأيت بانهُ يقوم بغير الجسم ان حل(٤) ما استوى(٥)
ألم ترَ أنا فيه تحت طوارىء تعدد(٦) فيها او تعدّ له الرقى(٧)

القوى الموجودة في الانسان موجودة في سائر مادونه من الكائنات وان الاختلاف بينها اختلاف نسبة فقط وارتقاءٌ في التركيب وانها كلها تفعل لغاية واحدة هي حفظ الذات . اي انها كلها من اصل طبيعي واحد كما في قوله :

لولا الهوى وبديع الشوق يهذبه ما صحَّ في الكون معنى من معانيه
ولا سرى النجم في العلياء وانتظمت لهُ المواقع تقصيه وتدنيه
شوق تكامل من ادنى الوجود الى اعلى فاعلى الى اعلى اعاليه
حتى تناهى وقلب المرء تلهبهُ نارٌ من الحب يذكيها وتذكيه

(١و٢) اي اذا كان هذا الميل الى المعبود حبًا بيقائنا دليلًا على صحة هدي نفوسنا أفلا ترى انا وسائر الكائنات فيه سواءٌ فاين معبودها واين نبيها اليه وكيف تفرق نفوسها عن قواها الملازمة لها اسوةً بما فعلناه في انفسنا نحن ؟

(٣) اي اذا كان هذا الميل الى المعبود كالوجدان غير مفارق كان يقتضي ان يكون عامًا على الجميع كالوجدان والحال ان كثيرين لا يشعرون به

(٤) الضمير للجسم (٥) الضمير للوجدان . ثم عطف وقال ان الوجدان نفسه ليس شيئًا مستقلاً عن نظام الجسم وتركيبه فلو حل الجسم ما استقام الوجدان ولا بقي له من اثر الا مثل ما في البسائط المنحل الجسم اليها على حد قوله :

ان اركاننا تدوم وتبقى تلك أعياننا تعيش سنينا

(٦) اي يتعدد (٧) وعزز ما تقدم بقوله ان الطوارىء التي تعرض للجسم في الحياة كالامراض والآفات تؤثر في هذا الوجدان فتجعله غير واحد في الجسم الواحد فترى الانسان مثلاً في وجدانين متميزين . فاما ان نعلل ذلك حينئذٍ بان الوجدان حالة من احوال البدن كالصداع والزكام مثلا ونعالجه كما نعالج سائر امراض الجسم والاّ

اذا ما منينا بالحقائق مُرة فهل في التمني خير ما يُبلغ المنى
نقيم به من حائل الوهم معقلا وكم ذا نلاقي ان نشأ دكه عنا
ترى المرء في رشد الى أفق دينه هناك يغيب الرشد والصوب والنهى

ولوع الفتى فيه ولوعٌ بعادةٍ ترسخت الاجيال فيها على المدى [1]
ولكنما العادات مهما تضاءلت فناموسها الرجعى وناموسنا الرجا [2]

لئن كان في الاديان ردع لجاهل فكم قد جنى جان علينا بها بغى
وان كان فيها من عزاء لبائس ولكنها لا تقنع العقل والحجى
وان يك للانسان قسط مؤجل فهلا هدى هاد بغير الذي هدى
اذا كان مخلوقاً كما شاء ربه فاذا جنى غير الذي ربه جنى
وان قلت مخلوق وحر مهدد فهذا مقال لست أفهمه أنا [3]

(مصر) الدكتور شبلي شميل

تنفطر الى استعمال الرُقى للزوم القول حينئذ بالحلول المتعدد اخراجاً للارواح الشريرة كما يفعل المشعوذون وهذا مناف للعلم كما لا يخفى

(١) اي ان الانسان يتمسك بالدين كما يتمسك بكل عادة أخرى انتقلت اليه بالوراثة والتي يكون سلطانها اشد وارسخ كلما تكررت في الاجيال

(٢) اي ان العادات مهما ضعفت بالعلم فقلما يستطيع الانسان ان يتخلص منها بسهوله لخضوعه فيها لناموس في الوراثة شديد الوطأة هو ناموس الرجعي (Atavisme) ويراد به انتقال صفات الاجداد طبيعية كانت ام ادبية الى الاحفاد ولو لم تظهر في الابناء كأنها تمر فيهم كامنة الى سواهم ولذلك كان من الصعب جداً ان يتخلص الانسان من أثر المتوارث ولومهما ارتقى الا في الاجيال البعيدة والعصور المتطاولة . وبناء عليه فالرجاء معقل لنا قوي لانه عريق فينا اولاً ولانه آخر ملجأ لنا نلوذ اليه دفعاً لما نكره حباً ببقائنا فلا غرو اذا استمسكنا به واندفعنا معه الى غير ما تدلنا عليه الروية

(٣) الابيات كلها مثلما في قوله :

قسم الناس بين خالق يجازى ثم قوم يعد ذاك مجونا
بين خلق نعد فيه المعافى ونعد المألوم والمسكينا
هل دريتم بما جنيتم فظلم [1] موت انتم وانتم الظالمونا

السكتة

تعددت الاسباب والموت واحد

لا أرى موضعاً يصح فيه التمثيل بقول الشاعر العربي مثل هذا الموضع · فالسكتة — ويراد بها الموت السريع الذي يفاجئ الانسان على حين غرة منه ومن ذويه فيخطف اقامه في لحظة ويأخذه من ساحة الجهاد والعمل او وسط الملاهي والملذات واحياناً من فراش الراحة والنوم — ليست مرضاً مستقلاً بل هي نهاية لامراض عديدة تختلف في اسبابها وتتشعب اعراضها الى ان تلتقي حول هذه النقطة

ولسنا هنا في موقف الشعر والفلسفة لنذكر فضائل هذه الميتة ومزيتها في اراحة المائت من حشرجة الصدر وعذاب الاحتضار وكفايته حسرة الفراق والم التودع واغنائه عن سماع البكاء المتقطع ومرأى العيون المسترقة وستره عنه الباب الذي سيخرج منه والحفرة التي سيهبط فيها · وانما اردنا ان نبين حقيقة هذا الموت الذي هو في الواقع موت بطيء كغيره وليس فجائياً الا في الظاهر بالنسبة لما نعهده من ظواهر الصحة فيمن يصاب به

اعلم ان المرض لا يهجم على الجسم السليم فجأة ولا يستولي على القوي دفعة واحدة بل هناك درجات يمرّ بها الجسم قبل ان تغادره العافية واطوار مختلفة يتقلب فيها قبل ان يتمكن منه الضعف والانحطاط · وقد يسري الداء في الاعضاء زمناً طويلاً من غير ان يتنبه له حامله ولولا الطوارئ الفجائية التي تنتج عنه لبقي مجهولاً حتى الموت · فالكحول مثلاً سم قاتل ولكن كثيرين من المدمنين عليه لا يشعرون بضرره فاذا ما اصاب الواحد منهم طارئ كصدمة او جرح او نزلة صدرية ظهرت اعراض التسمم فجأة واصاب المريض مايسمونه الهذيان الكحولي

وكثير من الناس يصابون بامراض القلب او البول الزلالي او السكري ولا يعرفون ذلك الا بطريق الصدفة بعد فحص القلب او البول وكم افادت شركات السوكرتاه في مثل هذه الاحوال برفعها الحجاب عن امراض مخبأة · والفالج الذي يصيب الانسان في ساعة يكون اقل الناس انتظاراً لها فيحسبه داء مستقلاً ليس الا عبارة عن مرض خفي افسد الاوعية الدموية بطول الوقت وذهب بمرونة الشرايين حتى صار تمزيقها سهلاً · وهذا المرض الخفي قد يكون الزهري وقد يكون الزلال وقد يكون غيرهما فاذا تمزق شريان صغير من شرايين الدماغ انفجر الدم منه وانسكب بين مصادر الحركة فضغط عليها وابطل عملها

وكان النتيجة شلل الاعضاء الخاضعة لهذه المركز . ور بما ذهب الدم المرتشح بالامتصاص فارتفع الضغط عن الدماغ وشفي العليل . الا انه يبقى تحت خطر اصابة ثانية نظرًا لضعف شرايينه واستعدادها للتمزق لادنى سبب

والسكتة التي هي وقوف حركة القلب لا تحدث مالم يكن هناك علة في القلب او فيما له علاقة بالقلب وهي وان جاءت فجأة فقد تكون احيانًا منتظرة الوقوع كأن يكون الرجل مصابًا باحد تلك الامراض التي عرفت بالاختبار انها تنتهي على هذه الصورة ولكنها في كثير من الاحيان تباغت العليل مباغتة قبل ان يعرف ما به

وقد كانوا في الماضي يظنون الموت بالسكتة ناتجًا عن انقطاع كيس شرياني او احتقان دماغي ولكن الاحصاءات العديدة التي اجروها على الموتى اظهرت ان حوادث الموت بانقطاع الشريان لا تتجاوز ٤ في الالف واما الموت بالاحتقان فلم يجدوا له اثرًا حتى انكره بروارديل رئيس كلية باريس سابقًا

والذي وجدوه من اسباب الموت الفجائي هو تحوُّل القلب الى مادة دهنية والتهاب صمامة القلب والتامور والتهاب الكلية وقرحة المعدة والتهاب صديدي في الدماغ والتهاب غلاف الرئة وغير ذلك من امراض القلب والشرايين والرئة . يكفي في اكثر هذه الاحوال ان يصيب العليل صدمة ما او انفعال خفيف او ان يأخذ حمامًا باردًا لتقف حركة قلبه . واما الشيوخ والبالغون من الضعف فيكفيهم الانتقال من حالة الاضطجاع الى الوقوف ليمتنع القلب عن العمل

وقد يحدث الموت بغتة في اواخر الحمى التفوئيدية في طور الهبوط او في الدفثيريا بشلل القلب

وقد يتكون في القلب او في احد الشرايين المعتلة والاوردة جلطة دموية يمنع تكونها في حالة الصحة ملوسة الاوعية وسريان الدم فيها بسهولة فتندفع هذه الجلطة في تيار الدورة الى ان تقف في نقطة اتصال شريان بآخر وتسد مجرى الدم

وقد يصيب الدماغ آفة يتأثر بها العصب الكبير المدبر لحركة القلب فتبطل وظيفته .

وقد يكون المريض مصابًا بداء المفاصل وهو الداء الذي قال عنه احد مشاهير الاساتذة انه يلحس المفاصل ولكنه يعض القلب فاذا لم يعن بالقلب و يدار كما يجب اثرت به سموم الداء فوقف عن العمل

و يطول بنا الشرح لو اردنا تعداد كل الامراض التي تنتهي بالموت فجأة . اما التاثيرات

النفسانية فانها تحدث الموت بالافعال المنعكسة واذا لم يكن في القلب سابق علة او ضعف لا تقوى عليه فتوقفه

والادمان على المورفين يفضي احياناً الى الموت الفجائي . وقد قرأت مؤخراً في الجرائد الفرنساوية حادثة غريبة من هذا القبيل وهي ان الدوق دي شولن تزوج بفتاة اميركانية غنية وعاد الى باريس ليقيم معها في قصره القديم ففاجأه القدر المحتوم في صبيحة اليوم الثاني وهو ممتلئ حياة وقوة ونشاطاً . واسفر التحقيق والبحث عن عادة قديمة فيه وهي حقن ذاته بالمورفين كل يوم . ومن غرائب الاتفاق انه قبل ان يذهب الى اميركا ويتزوج كان عالقاً بحب احدى الممثلات الباريسيات كانت تسكن معه في القصر فوجدها ذات صباح ميتة في سريرها لاحراك بها وكان السبب استعمالها المورفين ايضاً فقد اخذت هذه العادة عنه وماتت بها قبله

خلاصة القول انه يموت امامك عشرة بالسكتة ولا ترى بين العشرة واحداً يشبه الثاني في مرضه الذي تفي عليه وهذا ما يدلك على ان السكتة ليست داء مستقلاً بل نهاية للداء او بالاحرى لادواء مختلفة كما اشرنا في صدر هذه المقالة

الاسكندرية — الدكتور فياض

حكم انكليزية

للدكتور ورتبات

الكلام والعمل — الكلام للنساء والعمل للرجال

تدبير الزوج — سئلت امرأة عن حفظ محبة زوجها لها ورضائه بها قالت اني اعمل كل مايرضيه واصبر على كل ما لا يرضيه

النفقة — انفق على لباسك غاية وسعك وعلى طعامك اقل من وسعك وعلى منزلك اكثر من وسعك

لؤم عدم الشكر — عدم الشكر مختصر كل انواع اللؤم لانه عيب لا يشاهد ابداً منفرداً عن غيره من العيوب

الشيخ والشاب — هزأ شاب جاهل بعالم لكبر سنه فقال العالم « الحمار اذا بلغ العشرين اكبر سناً من رجل بلغ الستين »

ديوان الخليل

بحث شعري

«منشدٌ للغرامِ لم يشدُ إلاّ   كان إنشادُهُ نواحاً شجيّاً»
«شاعرٌ كان عمرهُ بيتَ تشبيـ — ـبٍ وكان الانين فيه الرويّاً»
«انّ في نظمهِ لحساً لطيفاً   باقياً منهُ في السطور خفيّاً»

هي ابيات قالها خليل مطران في الشاعر الفرنسوي الفرد ده موسه رأيناها في ديوانهِ المنوّه به وقابلنا بين حالتي الواصف والموصوف وشعر الاول والثاني فوجدناها تنطبق اتمّ الانطباق على الاثنين : كأن الشاعر العربي وصف حالهُ لما وصف حال الشاعر الافرنجي ·

خليل مطران من شعراء العصر المعدودين فجاء ديوانهُ حادثاً يذكر في عالم الادب وبابه فجديرٌ بنا ان ندرس هذا الشاعر وشعره قائلين كلمتنا في هذا وذاك

من المقرر ان لحياة الكاتب والوسط الذي يعيش فيه والبلاد التي ينشأ فيها تأثيرًا كبيرًا على كتابتهِ ونرى على ذلك دليلاً واضحاً في « ديوان الخليل » · · · دبّ شاعرنا ونشأ تحت سماء سوريا الجميلة بين جبالها وقممها البيضاء وبحرها وامواجه الزرقاء فجاء شعره رقيقاً لطيفاً · ترعرع وكبر في وادي النيل بين آثار المدنية القديمة وصروحها العظيمة فكان انشاده عظيماً فخيماً · عاش تارةً في القرى والجبال فتشرب حب الفضيلة والطبيعة فرأينا نظمهُ زاهرًا طاهرًا · وطورًا في المدن فراعه ما فيها من التعاسة والشقاء والرياء فالقى الينا شعره مبكيًا زاجرًا

لقد اصاب لما قال ان القارئ « يدارجهُ مدارجة تمثلهُ لديه في كل حالة مرَّ بها » لان ديوانه بالحقيقة رسم تمثلت لنا فيه كل اطوار صاحبه وارتسمت في صفحاتهِ كلّ عواطف قلبه · وهذا سرّ محاسن هذا الشعر العديدة ومعايبهِ القليلة كما سنرى · · · وصف لنا حياتهُ في صباه فتمثلناه :

نزقاً بينهنَّ[1] غرًّا لعوبًا   لاهياً عن تبصُّرٍ واعتبارِ
مستقلاً عظيمها مستخفاً   ما بها من مهابةٍ ووقارِ
نتبارى كأنما فراشا   روضةٍ ما لنا من استقرارِ

(١) بين آثار بعلبك

ثمّ بعد ان كبر وخاض معترك هذه الحياة نلقاهُ :

في هجرةٍ لا انس فيها للغريب ولا صفاء
تتقاذفُ الافاقُ بي قذف العواصفِ للهباء
وتحيط بي لجج الصروف فمن بلاءٍ في بلاء

وهكذا يمكننا ان ندرس حياة خليل شطرًا شطرًا من مطالعة ديوانه سطرًا سطرًا قلنا انه عاش بين جمال الطبيعة ومظالم البشر وهذا ما قوّى فيه الخيال والشعور . . . ومعروف ان هاتين القوتين هما جناحا الشاعر يحلق بهما الى اعلى سماء الشعر . ويأمن من تهشمهما اذا كان العقل رائده في حياته العلوية . وقد قال خليل في مقدمته ان شعره هو « شعر الحياة والحقيقة والخيال » اي ان الذي اوحى به هو الحس والعقلُ والمخيلة . وهذا هو التقسيم الذي نتبعهُ في درس شعره

١ — الخيال

هو أقوى قوانا العقلية لانه وحده القوّة الفاعلة الموجدة وسائر القوى كالحس والحافظة والعقل ليست الاّ قوى مفعولة تتأثر وتعمل بما يطرأ عليها . واذا كان الشعر كما حدّه مرمونتل « صورة تتكلم او كلامًا يصوّر » وهو كذلك يكون الخيال شرط الشاعرية الاول . وقد قيل : « الشعر هو ابن الخيال البكر » وبفضل هذه القوة يفوق الشاعرُ المصوّر لانهُ كثيرًا ما بكلمةٍ واحدة يمثل لنا مشهدًا يقتضي تصويره الوانًا مختلفة وتفاصيل متعددة . وكثيرًا ما رأينا خليلاً ادق تصويرًا وابلغ رسماً من امهر المصورين فاذا وصف الجندي الجريح وقائده يقلده وساماً قال :

« . . . . وقلّدهُ وساماً وكلُّ جراحة فيه وسامُ »

واذا كانت نفسه مثقلةً بالهم يرى ذاك الهم :

« . . . . . . كبحرٍ ضم في جوفه البعيد غريقًا »

واذا شكت عينهُ المسهدة طول الليل فهي :

« تحسب السرج في حشاهُ قروحًا وترى الشهب في سماهُ حروقًا »

وهذا بيت تكاد تكون كل كلمةٍ فيه صورة حسيّة :

واذا تبسم امامه عبدٌ يرى ابتسامه مثل « . . . وميض في حالك مسوّدِ »

ويرى الليلة الجميلة :

« اشبه بالجارية الغراء في حلة شفافة سوداء »

واذا تمثل الشمس منيرة في كبد السماء تصوّر له مخيلته المتقدة هذا المشهد تصويرًا يعجز عنه قلم المصوّر :

تبعث الشمس باهرات شعاعٍ تغتدي بانحدارها شبه ربد
فهي في الافق تارة مسحات من بهار وتارة نثر ورد
وهي بين الغصون نسج دقيق من نضار يشف عن لا زورد

واذا رأى قرطين (حلقًا) في اذن حسناء يصفهما « درًّا جرى من صدف »
واذا رأى تلك الحسناء مكللة بزهر الفل يعجب « بالورد يحمل فلاً »
واذا كانت تلك الغادة مقبلة يراها :

« ... كالغصن اثقله الجنى فمال قليلاً واستوى متقوّما »

واذا وصف السفن الحربية مائسة على ظهر البحار وصفها : « ... كالجن في جد العواصف تلعب »
واذا وصف سلطة الملك المطلق قال فابدع :

وكأنّ درّة سيفه عين ترى كم تحت قائم سيفهِ آجالا

واذا تكلم عن هم الفتاة الذي لا يطول وصفه :

كطائرٍ راقهُ غديرٌ فرفَّ جانحًا وطار

واذا وصف جبلاً مزحلقًا صوّره :

كثير الثلوم كأن الفتى اذا زلَّ يهوي على مبردِ

وهو بيت من قصيدة عصماء عنوانها « فتاة الجبل الاسود » فيها من بديع الوصف ماشاء الخيال وشاء التفنن • من ذلك انهُ لما يصف جمال الفتاة بارزة الى ساحة القتال لايصفه كجمال غيرها من الحسان بل يراعي مقتضى الحال و يتخذ كل استعاراته من العبارات الحربية فيقول :

لهيبُ الحروبِ في وجنتيهِ والنقع في شعرهِ الاسود
وفي عينه مثل برق السيوف وظل المنية في الاثمد

وفي هذا القول من مراعاة المقام مالا يخفى على لبيب ... ولمَّا تنكشف حقيقة هذا الفتى أو بالاحرى هذه الفتاة فتكشف عن صدرها امام قائد الاعداء يبدع خليل في وصفها ايما ابداع مع ماهناك من صعوبة الموقف التي كانت قادت غيره الى البذيء من الكلام . اما هو فقال :

وابرز نهدَي فتاةٍ كعابٍ بطرفٍ حييٍّ ووجهٍ ندي
كحقي لجين بقفلي عقيقٍ وكنزين في رصد مرصد
فكبّر مما رآهُ الامير وهلل كلٌّ من الشهد
وراعهما ذانك التوأمان وطوقاهما من دم الاكبد
ووثبهما عند ما أُطلقا الى ظاهرِ الدرع والجسد
كوثب صغار المها الظامئات نفرنَ خفافاً الى مورد

ويطول بنا المقال لو جئنا على ذكر كل ما توحي الى شاعرنا مخيلته من لطائف الابتكار كوصفه اشعة رنتجن والليل والنيل وليمون يوسف افندي • اما وصفه قلعة بعلبك فهو مجمع الصور وملعب الخيال . . . هذا قليل من كثير اوردناه لبيان عمل المخيلة في شعر خليل وان كان هناك استعارات مطروقة وتشابيه مبتذلة ففي ماتقدم وغيره ما يشفع ويكفي لاظهار مقدرة صاحب هذا الديوان

وبالاجمال فان الخيال في شعر خليل يحسن ويحلي كل ما تقع عليه ابصار الشاعر فيمكنه ان يقول كما قال للحبيبة :

وابدل نورَ الشمس ماشاءت المنى عقيقاً وتبراً ما كبا ونضارا
وانظم من زهر الدجى لك خاتماً وتاجاً وعقداً فاخراً وسوارا
واصنع نوطاً باهراً من هلالها وانسج من غزل الضياء دثارا

غير ان الخيال وحده لا يجعل المرء شاعراً فيكون نظمهُ والحالة هذه بارداً جامداً يطربنا و يبهجنا لكنه لا يحرك فينا ساكناً ولا يثير عاطفة كما نلاحظ ذلك في شعراء الوصف . فان هناك اساساً ثانياً يقوم عليه بيت الشعر وهو الحس او الشعور

٢ — الشعور

قال خليل في مقدمتهِ « وليس اكثر شعري هذا بين الطرس والمداد الا مدامع ذرفتها وذفرات صعدتها وقطع من الحياة بددتها ثم نظمتها فتوهمت اني استمدتها » وهكذا يتحقق لنا قوله الاول ان شعره ليس فقط « شعر خيال » بل هو ايضاً « شعر حياة » . . . ومن القول ما يؤثرُ وان خلا من كل صورة لانهُ صورة الحياة الحقيقية . وفي ديوان خليل قسم وافر من هذا القبيل كقوله مثلاً في « مشاكاة » وهو من اوائل قصائده :

ارى مثل سهدي في الكوكبِ احلّ به مثل ما حلّ بي

ونجتازُ هذا الفضاء الرحيب الا بنا فهو لم يرحب

أمرّ هواكَ الى صاحبٍ يؤاخيك في همك المنصب

اما كلُّ ذي كلفٍ متعبٌ شريك لذي الكلف المتعب

فهذه ابيات كلها رقة وشعور مع انها خالية من الصور واشكال البديع اللفظي . ومن تصفح ديوان خليل يجد ان اختيار المواضيع وحده يدل مع حدة الخيال على شعور كبير فالحادثة البسيطة تهيج عواطفهُ وتثير اشجانهُ فينظمها ويجيء نظمهُ محركاً عواطف قارئه مهيجاً احزانه . اسمعهُ يتكلم عن سرير الطفل تظنهُ الام الحنون :

ويهزهُ خفقُ الفؤادِ على مناجاة الضمير

واذا سمع ذاك الطفل يناغي في مهده فضل مناغاتهُ على هديل الطيور وتغريد البلابل :

« . . . . فكلما انشد علم الطيور النغما

وجمع الملائك حول المهدِ يسمعها شدوَ المنى والسعدِ

هو يشعر بالالم فيصور لنا القلب المتألم : « كشلوٍ بانياب الهموم مبضع »

ويدرك اي تاثير يصيب القلب المجروح فيمثل عواطفه المكسورة

كجرحٍ قد أُلطفه بلهوي وان هو مسهُ غيري أُضامُ

هو يفهم قيمة الدمعة التي قال عنها لا مارتين أن فيها من الشعر اكثر مما في كل دواوين الشعراء فيمثل لنا الدموع غاسلة كل اثم مطهرة من كل جرم

هو ذاق من الحب حلوهُ ومرهُ فيمثل لنا الحب تارة غاية الحياة وطوراً الباعث الى كل عمل عظيم :

والحب الزم للارواح ما عظمت وقد يكونُ لها ادعى الى العظم

بل يفهمنا ان لا مناص للقلب البشري من الوقوع في هذا الشرك .

احباي اني مذ انفت من الهوى شقيٌ فكونوا الدهر فيه سكارى

ويقول عن قلبه وهو يعني كلَّ قلب :

يبغي الشفاء مع الولوع ولا شفاء مع الولوع

ألف الصبابةَ فهي امٌّ مرضع وهو الرضيع

والطفل يشقى بالفطام فكيف يقبلهُ مطيع

اما الذي لم يعرف هذه العاطفة فهو لم يدرك سر هذه الحياة :

من لم يحب فما الصفاء لهُ صفو وما اكداره كدر

ويرى الحياة ولايعيش كما ‏ مرت على مرآتها الصور

واليك تحديده للحب اجمالاً :

الحب في المعنى العميم الكامل ‏ معنى المراحم والفداء الشامل

ويضيق نطاق هذه المقالة عن ذكر كل ما يجول في صدر شاعرنا الرحب من العواطف والشعائر كحنينه الى الوطن ونزوعه الى الاصدقاء وهيامه بالمعالي . فان فؤاده كصحيفة حساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها بل هو الغصن الرطب يميل به كل نسيم او وجه البحيرة الصافي تحركه كل ريح وهو القائل عن نفسه :

والذي درعه فؤاد رقيق ‏ فجريح إن يقتحم اويقاحم

ومن أراد أن يعرف طوايا هذا الفؤاد الرقيق فليطالع المساء وهي من غرر القصائد أنشدها خليل وهو عليل في مكس الاسكندرية فيرى « قلباً اذابته الصبابة والجوى » ويسمع الشاعر يشكو اضطراب خواطره الى البحر وهو :

ثاو على صخر اصم وليت لي ‏ قلباً كهذي الصخرة الصماء

يتنابها موج كموج مكارهي ‏ ويفتها كالسقم في أعضائي

والبحر خفاق الجوانب ضائق ‏ كمدا كصدري ساعة الامساء

تغشى البرية كدرة وكأنها ‏ صعدت الى عيني من أحشائي

فمن منا لم يشعر بمثل هذه الكآبة ولكن قليل من له مثل هذه المقدرة ليبرز مثل هذه العواطف . يتمنى شاعرنا ان يكون له قلب « كالصخرة الصماء » ونحن نتمنى ان يبقى قلبه هكذا رقيقاً ليأتي بمثل هذه الآيات البينات . فكما ان الشجرة لايسيل ماؤها الا من جراحها فكذلك قلب الشاعر لايسيل شعره الا من جراحه ... أو كما ان المفقود لايجود بخمره مالم تضغطه الآلة العاصرة كذلك قلب الشاعر لايجود برقيق القول ما لم تضغطه يد الاحزان والشقاء ... قال اسكندر دوماس لما طالع ديوان فيكتور هوغو وفيه مافيه من توجع فؤاده فليتبارك الرب الذي يرسل لنا مثل هذه المصائب ليخرج من صدرنا مثل هذا الهتاف البديع .. »

٣ ـــ العقل

راينا في شعر خليل عمل القوتين الاساسيتين في الشعر وهما قوتان قد تشردان اذا لم يكن هناك قوة ثالثة وهي العقل تخفف من غلوائهما . وقد اصاب قدماء اليونان اذ صوروا الشاعر في مركبة يقودها جوادان جامحان هما « الخيال والشعور » وجعلوا

زمامها في يد « العقل » لئلا يطوّحا بالشاعر الى الهاوية . وهذا ما قصده ايضاً من حدّد الشعر بانهُ « الفلسفة تحمل زهرّا . » وهذا ايضاً ما اراد خليل لما قال ان شعرهُ « شعر خيال وحياة وحقيقة »

شهد الفيلسوف جول سيمون احتفالاً أُقيم اكراماً لنابليون الثالث فنظر الى الشعب المجمهر الهاتف هتاف النصر نظرة غضب وازدراء وقال لمن حوله : « هكذا يخلقون الظلام . . . » هذا ما قاله فيلسوف الافرنج فاسمع ما قاله شاعرنا عن كسرى :

هم حكموه فاستبدّ تحكماً ... وهمُ ارادوا ان يصول فصالا
والجهل داء قد تقادم عهده ... في العالمين ولا يزال عضالا
لولا الجهالة لم يكونوا كلهم ... الا خلائق اخوة امثالا
لكن خفض الاكثرين جناحهم ... رفع الملوك وسوّد الابطالا
واذا رايت الموج يسفل بعضهُ ... الفيت تاليهُ طغى وتعالى

وليس شاعرنا ليشن الغارة على السلطة بل يرغب فيها ان تكون عادلة مبنية على العقل والتروي الا وهو القائل « والحكم اعدل ما يكون جدالا » لكنه هو الاستبداد يملي عليه مثل هذه الابيات المحركات :

نعم هي دار للملوك عتيقةٌ ... ولكن غدت للفحش دارًا ومِيسما
بناها بمال الناس قام جبايةً ... ولو ذوّبوا تذهيبه لجرى دما

وكذلك هو يشجب الاعمال الجائرة اينما رآها . اسمعه يخاطب ملوك مصر اصحاب الاهرام :

لم يغنكم بنه البناء عالياً ... والارض نهباً والملوك اعبدا
وكان يغنيكم جميل الذكر لو ... خفضتم الحد وشدتم بالهدى

وما هذا الا لانهُ فهم مهمة الكاتب لا سيما الشاعر الا وهي الدعوة الى الخير ومناصرتهُ والتنفير من الشر ومقاومتهُ فاذا رأى القويّ يعبث بحقوق الضعيف يهتف :

فيم احتباسك للقلم ... والارض قد خضبت بدم
سدد قويم سنانه ... في صدر من لم يستقم
نبه به أمم الزوال ... فعله يحيي الرمم
اليوم يوم القسط قد ... نام الاولى ظلموا فقم

يري خليل اجيال الناس « تجيء وتنقضي » يرى الممالك « تشيد بالصوارم

وتفنى بالمعايب فبعد ذلك يقول :

ولم ار شيئاً كالفضيلة ثابتاً نبت عنه آفات البلى والمعاطبُ

رأيناه وقد كادت المصائب تصرعه يصيح من قلب مكلوم :

غلبتني صروف دهري على صبري وافنته نارها في الملاحم

الامان الامان القيت سيفي وطويت اللواء تسليم راغمْ

ولكن هي نفثة مصدور فلا يلبث أن يعود فيظهر مظهر الرجل الجالد :

شأني مكافحة الخطوب اذا دجا نقع الحوادث في الليالي السود

وفي « ديوان الخليل » قصائد كبيرة تتطلب درساً مستقلاً لما جاء فيها من المبادىء الاجتماعية يضطرنا ضيق المقام الى التنويه بذكرها فقط مثل « وفاء » و « العقاب » و « حكاية عاشقين » و « الجنين الشهيد » و « الطفل الطاهر » انما جاء في هذه الاخيرة ما يؤاخذ عليه صاحب الديوان الفاضل

⁂

كلُّ ما ذكرناهُ من مختارات الخليل جميلٌ بهي وهناك ايضاً حسنات عديدة وبدائع شتى أنى لنا ان نذكرها كلها في هذه العجالة . وهي على ما تجد فيها من الجمال والسناء كالجواهر تراها اجمل واسنى اذا ما رأيتها منظومةً في عقدها لا منثورة مستقلة كما اوردناها

قلنا في مطلع كلامنا ان شعر خليل كرسم تمثل لنا فيه تفاصيل حياة صاحبه . وان هذا ربما كان سرَّ اكثر محاسنه وبعض معايبه اعني ان هذا ما جعله مبتكراً في ابراز مكنونات صدره لانه لا يصف الا ما يشعر به ولا ينظم الا عواطف قلبه اي ان شعره « شعرٌ شخصي » بكل معنى الكلمة ... لكن ذلك احياناً يجعله غير مفهوم عند العموم فلا يقف على جليته الا من كان له المام بحياة صاحبه . فكنا نتمنى حينذاك ان ننسى « خليلاً » ولا نرى الا « رجلا » ونشعر اننا نحن هذا « الرجل » ولعلَّ ذلك ما دعا البعض الى اتهام شعر خليل بالتعسف . ونحن في بعض قصائده كنا نرى ضياءه من خلال غيوم — غيوم شفافة لا تحجب ذلك الضياء الباهر لكنها تخفف من لمعانه — بيد اننا كنا نرى شمس العواطف لاتلبث ان تمزق اديمها فتعود تسطع بلا كلف في سماء مخيلته

وهناك ايضاً شيءٌ من الاسهاب يكاد القارىءُ يملُّ منه لو لم يكن موقناً انه يلاقي بعد هذه القشور اللباب الطيب وبعد هذا التراب المعدن الصافي وقلما يخطىءُ ظنه

وبالاجمال فان الطبيعة قد حبت خليلاً كل مايلزم ليكون شاعراً حقيقياً . ولهذا يكاد

كل فكر يلده دماغهُ يكون شعرا . وعلى لوح مخيلته تنطبع كل الافكار بهيأة الاشعار فهو كشجرة الليمون تحمل في آن واحد وفي كل آن زهرًا وورقًا وثمرًا ...

وقد عرف شاعرنا ان يستفيد من لغات الاجانب دون تقليد . وينهج منهج قدماء العرب دون تقييد . فحفظ صبغة العرب في التعبير . وادخل طرق الافرنج في التأليف والتفكير . فجاءت نتيجة ذلك انه ارغم الشعر العربي على اداء الحاجات الجديدة دون ان يتخطى ما سن له من القواعد القديمة . قلنا بلا تقليد ولا تقييد لان الخليل نزوع الى الحرية في كتاباته كما هو مشغوف بها في حياته

قال خليل في مقدمته : « وغاية ما اتمناه لدى القراء ... ان يشاركوني في وجداني أثناء مطالعتهم لهذا الكتاب . فيرضوا عن الفضيلة كما رضيت . و يأسوا من الرذيلة كما اسيت . وان يستفيدوا من مناصحاتي . ويتخذوا ادوية لجراحاتهم من جراحاتي . » ونحن قد رضينا واسينا واستفدنا وتداوينا كما شاء . وهذا لعمري اجمل ثناء واوضح دليل على بلاغة شعر الخليل (مصر) انطون الجميّل

الجن

عند الامم القديمة

كثيرون يزعمون ان العرب هم المنفردون في الاعتقاد بوجود الجن وفي ذلك من الخطا ما فيه فانك لو رجعت الى اسفار الامم القديمة من كل جيل ومذهب لرأيت هذا الاعتقاد فاشياً بين الكل شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً لا يتنصل منه احد ولكن على تباين في الآراء وتفاوت في المزاعم

فالظاهر ان الاعتراف بوجود من يتوقع منهُ الشرّ كالاقرار بوجود من يرجى منهُ الخير من مقتضيات هذا الكون الانساني لا محيد عنهُ لكل ذي لسان ناطق برشده العقل الى انه من اهل الخلود وانهُ ضيف مجتاز هذا الوجود والاَّ فما بال الامم على تباعد انحائها واختلاف آرائها وتغاير مذاهبها وتناقض مشاربها تجمع على هذا الامر كان افرادها متواطئون عليه فكلهم — وما شذَّ الاَّ النادر — يقول باله يثيب وشيطان يعذب وجن يخيف وقس بين ذلك ينازعها عاملا الياس والرجاء . ويبدو لها انها بنت البقاء . دون سائر

ذوات الارواح التي تقلها الغبراء وتظللها السماء و ينعشها الهوآء . وان كانت خاضعة مثلهن لاحكام الزوال والفناء

الجن عند الهنود

ورد في (الميثولوجيا) الهندية ان ارواحاً شريرة اسمها « رقشاسة » ومعنى اسمها الجبابرة خلقت قبل الجو والحيوانات وهي ترصد الآجام والمقابر . وتتلهى باثارة الموتى من اجداثهم والتحرش بهم . وهي تأكل لحوم الاحياء من البشر وتشرب دماءهم وتتخذ لها صوراً مختلفة واشكالاً متباينة . ثم هي لا تزال حاضرة عند تقديم القرابين وذبح الاضحية للآلهة لكي تفسد على الناس شعائرهم وتغري المعبودات برد تلك القرابين ورذل مقدميها . ولذلك هي اشد ضرراً على البشر من سائر الجن

وقد ذكر في الكتب (السانسكريتية) القديمة ان النساك وخدمة الدين طالما استنجدوا القوات العلوية للنجاة من شرور هذا الصنف الغادر من الجن الكثير العدد وهم لا يزالون يزيدون نمواً وانتشاراً بزيادة عدد من يموتون من الائمة واصحاب الكبائر . لان ارواح هؤلاء تكون الى زمن من نوع (الرقشاسة) المذكورين واشهر هذه الفئة الطاغية المنقسمة الى فرق ومراتب واغناهم (رافانا)

وما ادراك ما (رافانا) هي روح شرير زائد القحة والجرأة كثير المطامع والشهوات حتى انهُ زين لهُ في بعض الازمنة ان يخضع الارض ومن عليها والهاوية ومن فيها والسماء ومن فوقها الى حكمه و يجعل العالم المطلق عبداً خادماً لا هوائه ورغائبه . فتمادى جوراً وعسفاً وتناهى بغياً وطغياناً حتى أنّت من حيفه الارض والسموات . واستولى الرعب على قلوب المعبودات في اخدارها والملوك في عروشها وكان موطنه اذ ذاك مدينة (الانكا) عاصمة جزيرة سيلان فساءَ وشنو [1] العظيم كبير آلهة الهنود هذا الامر الجلل ورأى ان

(١) ان لوشنو هذا المدعو ايضاً (راما) ثلاثة تجسدات . فالتجسد الاول كان يراد به تخليص البراهمة من جور الكشترية — اي اهل السيادة والحرب من الهنود — الذين صاروا يعطلون الشعائر الدينية ويمتهنون خدمة الهيا كل فتجسد بصورة ابن ناسك قديس من البراهمة اسمه (جامادغي) وسمي (باراسوراما) ومعناه راماذو الفاس فجدَّ في آثار الكشترية حتى محا ذكورهم وابادها واستحيا الاناث ليتزوجن البراهمة فيحيا بهن نسل الحربيين . والتجسد الثاني هو الذي يكلمنا عنده في المتن وكان المقصود منه انقاذ المعبودات من جور (رافانا) وسمى نفسه فيه (تشزرا) اى القمر والتجسد الثالث باسم

يتجسد ثانية لينقذ الاكوان والمعبودات من شر (رافانا) ويرد الى المخلوقات طمأنينتها وسلامها فتجسد في الجهة المقابلة من الهند في صورة (راما تشندرا بن داسرتا ملك ابو زيا من امرأته كسالبا) وبعد ان تواثق مع (موغريقا) ملك طائفة القرود على الايقاع برافانا مضيا الى البوغاز الفاصل بين جزيرة سيلان والبر والقيا هنالك جسرًا من الصخر اجتازاه الى الجزيرة ثم باشر القتال مع رافانا فلم يثبت الخبيث ام المعبود المتجسد وحليفه فسقط بين ايديهما هالكاً غير ماسوف عليه

واهالي جزائر (ملديف) يقولون انه كان يجيئهم من ناحية البحر جنيّ كانه مركب مملوء بالقناديل فلا ينجون من شره الا باعطائه فتاة بكرًا يتركونها له في بيت الاصنام حتى اذا اصبحوا وجدوها مهتوكة ميتة . وما برح ذلك شأنهم حتى زار مدينتهم رجل صالح يدعى ابو البركات البربري فلما حان زمان مجيء الجني اخذت النساء يبكين ويندبن فسالهم عن السبب فقالت له عجوز منهن ان لها بنتاً بارعة في الجمال اصابتها القرعة بحسب العادة الجارية في المدينة وستكون في الغد ضحية للجني . فقال انا انوب عنها وذهب الى بيت الاصنام متخفياً واخذ يتلو آيات من القرآن العزيز فلما سمع الجني تلاوته غاص في البحر ولم يعد بعدُ . وقد قال ابن بطوطة في رحلته ان هذه الحادثة كانت سبباً لدخول اهالي

(بالاراما) ولقب فيه (لنغالا زواجا) ومعناه الذي رأيته المحراث . وفيه ادخل الفلاحة الى البلاد وعلم الاهالي الزراعة والفنون ثم صعد مع امرأته (سيتا) الى السماء . ويقال ان راما هذا هو نفس (باخوس) عند اليونان و (رعما) المذكور في مواليد (كوش) في سفر التكوين . وان ملك طائفة القرود المذكور في المتن هو نفس (بعلوس)]

ويزعم بعض علماء الانكليز ان راما في تجسداته الثلاثة انما هو شخص واحد ظهر في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد وعبر عنه في التوراة باسم (رعما) وان اتحاده مع ملك القرود ايماء الى اتفاقه مع سكان الهند الجنوبية المتوحشين على فتح جزيرة سيلان . لان اولئك السكان كانوا يسمون زمانئذٍ بالقرود . وان (رافانا) يراد به طاغية من البشر كان ملكاً على جزيرة سيلان . وحدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد الهند كافة فعثا وسطا حتى سلط الله عليه (رعما) الهنديّ فاتحد مع بعلوس على اهلاكه واستخلاص سيلان منه

واخبار (راما) مدوَّنة في قصيدة طويلة تشتمل على خمسة وعشرين الف بيت او دوبيت تسمى (رامايانا) نظمت باللغة السنكريتية وترجمت مرارًا الى اللغة الهندية الحديثة والى بعض لغات اوربا

تلك الجزائر في الاسلام

الجن عند اهالي اوربا

والرومانيون يقولون انه يوجد عذراء من الجن كانت تقيم في غابة اسمها (اريسيا) على مقربة من رومية واسم العذراء المذكورة (ايجيريا) وان ملكهم نوما بومبيليوس اتخذها زوجة وكانت تساعده على اخضاع الشعوب المتوحشة وتدير معه مهام المملكة. فلما مات زوجها جزعت عليه جزعاً شديداً واعتزلت في تلك الغابة على حضيض جبل. وهناك كانت تذرف دموعاً غزيرة بلا انقطاع. فحزنت عليها الالهة (ديانا) لما رأته من اشجانها فحولتها الى عين لا ينقطع ماؤها ابداً وسميت عندئذٍ عذراء العيون وشيد بجوارها هياكل للعبادة كانت نساء الرومان يقصدنها بنذورهن متخذات لها اعياداً يحتفلن بها احتفالاً كبيراً. لانها كانت تحفظهن عند الولادة من سائر الجن

والجرمانيون يزعمون ان في المياه جناً يطلق عليها اسم (اليفنة) ويسميها الانكليز (مرميدة) واهل شمالي اوربا (نكسن) قال سكان سواحل البلطيك انها تظهر على شكل الخيل. واما في المانيا فيقولون انها تقيم في نهر (الب) وانها اظرف من جن بحر البلطيك وقد تخرج ليلاً من المياه وتقصد النار التي يتركها رعاة المواشي لتتدفأ بها. وتكون هناك على هيئة نساء جميلات مستترات بشبه برقع لهن وجوه زهراء وشعور شقراء مسترسلة على اكتافهن. وقد تعشق الرجال فتخلص الحب لمن كان اهلاً لها وتساعده في ساحات الحروب وتقيه بنفسها سهام الاعداء ولا تنفك مولعة به مرافقة له ساهرة على مصلحته وراحته حتى الموت. ولكن اذا خانها ذهبت به الى البحر او ضفة النهر وجذبته بنفسها الى اللجة فتميته غرقاً. وهي على ماقيل ذات صوت شجي هو مصدر حفيف الغابات وخرير الانهار الذي يطرب الحزين ويؤنس الغريب

وكان القدماء من اهالي اوربا الشمالية اذا ارادوا استمالة اولئك الجن طرحوا في البحار والانهر ثماراً وازهاراً وذهباً ولؤلؤاً وعطراً استعطافاً لهم. وجد في بحيرة (تولوز) اشياء كان يستعطف بها سكان فرنسا القديمة تلك الجن. ومن اغرب ما جاء في التاريخ ان (سيبيون) الروماني لما فتح (تولوز) وجد في البحيرة المذكورة مئة الف ليبرة ذهباً ومثلها من الفضة فاستقبح العامة سلب تلك الاموال المقدسة فثاروا به وبجنده ثورة قتل بها من الرومانيين ثمانون الف رجل في معركة واحدة

اما السكنديناڤيون وهم اهل اسوج ونروج وهولاندا والدانيمارك فيعتقدون بوجود

طائفة من الجن اسمها (إلفة) او (الفر) وهي حاذقة عالمة تقسم الى فئتين فئة تعرف بالجن الصالحة ويقال لها جن النار او جن النور تقيم في بلاد الغيم التي يتولاها صاحب الشمس لها وجوه تلمع كالصباح وعيون اجمل من الكواكب وشعر ذهبي يروق مرآه للناظرين . وفئة مخيفة جدًّا تسمى (سفورت الفا) وهي عدوّة للنور واشد سوادًا من الزفت ذات منظر قبيح مشوَّه ولا تقيم الا في باطن الارض

واهل القرون الوسطى من هؤلاء كانوا يعتقدون ان هذه الجن تختطف الاطفال واذا احبت احداها رجلاً ذهبت به الى موطنها تتلذذ بمباشرته ولا تمكنه من العود الى بلاده وهم يزعمون ان ملكتهم نقلت السيد (توماس السيدون) الملقب بالشاعر الى بلادها وحجزته في قصرها سبع سنين كان فيها موضوع غرام الملكة المذكورة وصبابتها . وهي على رأيهم جميلة المعاني حسنة المنظر اثوابها من أشعة القمر وتعمّ بعمامة في اعلاها جرس صغير وتحتذي زجاجاً رقيقاً نقياً شفافاً فاذا وجد انسان عند الصباح حذاء أو جرساً مما تلبسه تلك الجن ملقى على العشب نال من التي اضاعته كل ما يتمناه . وهي في الشتاء تقيم في كهوف الجبال وتعيش فيها كسائر الناس تطالع الكتب وتعرف الامور المستقبلة وتطرق الذهب والفضة وتتخذ لذاتها حلى من الياقوت والزمرد وكبار اللآلي . ومتى بدا فصل الربيع تخرج من مغائرها وتجول في اكناف الجبال تستنشق الهوا العطر والنسيم البليل وتتسلق الاشجار لتقطف منها الازهار . ولتراقب الناس الذين يمرون بالقرب منها حتى اذا اقبل الليل تجتمع في الحقول ماسكة كل منها بيد الاخرى بحيث يتألف منها حلقة تأخذ في الغناء والرقص في ضوء القمر . وقد ترعى ماشيتها عند ضفاف الانهر ولايزال هذا حالها الى ان يغادرها الشتاء

ومع ان (الالفة) غير منظورة فالذين يولدون يوم الاحد يمكنهم ان يروها وهي على نحافتها وجمالها ولطف بنيتها لها من القوة ما يكفي لحمل اثقل الصخور واكبرها ماشية بها مسافات بعيدة وتقدر على ربط رجل وضبطه ولو كان من اقوى الرجال . واذا لمست بيتاً هزته وزعزعته وهي تحب في الغاب شجر البلسان والزيزفون والحور الرومي

وكان لها في انكلترا وسكوتلانده ملك وملكة . وكانت جزيرتا (ستزن) و (روجن) في بحر البلطيق خاضعتين لهما . وقد شوهد ملكها راكباً مركبة يجرها اربعة افراس ويدل على تنقله وتجوله في مملكته الواسعة الاطراف صهيل الخيل ودوي الماء والضوضاء الذي يحدثه اعوانه في الهواء

واليونانيون يقولون ان عذارى من الجن اعتنين بتربية (جو بتير) وهو طفل فاهدى اليهن قرن الخصب وهو احد قرني العنزة التي رضع لبنها عندهم

وقالوا ان (اغينور) ملك فينيقية تزوج بالجنية (فيسلي) فولدت له اوربا فنشأت ذات جمال فائق و بياض ناصع فشغف بها المشتري وتمثل لها بصورة ثور وتذلل لها كثيراً حتى ركبته طمعاً بلين قياده فاسرع بها نحو البحر وسبح بها الى جزيرة (كريت) وهناك تزوجها فولدت منه خمس بنين وثلاث بنات فتزاوجوا وتوالدوا وابتنوا هنالك مدناً وأنشأوا قبائل . وعلى هذا يكون الكريتيون من سلالة الكواكب والجن ولذلك نار فتنتهم لا تطفأ وحركات ثوراتهم لا تسكن

والروسيون الاقدمون يقولون ان (الفامبيره) فريق من الجن يسكنون القبور وانهم يقومون من قبورهم و يمتصون دماء الاحياء وهم نيام وان (الدمفوي) جني البيوت يتراءى للنساء حال انفرادهن . وان في الانهار عفاريت تسمى (ثور يانوي) وفي الغابات ابالسة اسمها (لياسنك)

والسلاف البلطيكيون يزعمون ان للجن الهاً خاصاً يسمونه (دتشرنو بوغ) اي الاله الاسود . وللبشر الهاً آخر اسمه (بيالبوغ) اي الاله الابيض

واهل جبال (البرانس) يعتقدون وجود الجن في الغيوم التي تغشى ذروات جبالهم وفي ظلال الغابات وعلى ضفاف الانهر ولهم في ذلك اخبار غريبة لا يحتمل المقام استيفاءها

الجن عند اليهود وغيرهم

والعبرانيون يقولون ان الجن تدخل في البشر فتبليهم بالجنون وهي تسكن الارض وتتراءى للناس و يستخدمها السحرة والعرافون للانباء عن المغيبات وكشف المستورات وهو عين ما يعتقده المصريون . ومن يرجع الى تواريخهم وتقليداتهم يرها طافحة بما يدل على رسوخ هذا الاعتقاد رسوخه في سائر الامم التي تجاورهم كالعرب والفرس والسريان والكلدان وسكان فينيقية وسائر بلاد فلسطين و بالجملة فان القول بوجود الجن لم تخلُ منه امة من امم الارض قديمها وحديثها بائدها و باقيها . ولو شئنا ان نورد عن كل منها مثالاً لاضعنا وقتاً عبثاً واملانا القارئ فكفى بما اثبتناه دلالة على ما لم نثبته والله من فوق كل ذي علم عليم

(س . ع .)

الفينيقيون واكتشاف اميركا

حضرة صاحب مجلة الهلال

قرأت مقالة في اللغة الاسبانيولية للكاتب فرنسسكو فرنندس احد اعضاء الاكادمية الملكية الاسبانيولية بحث فيها مطولاً عن اكتشاف اميركا فاحببت ان ألخص منها ما يهمنا نحن السوريين في هذا الموضوع لانه ينبئنا عن الاعمال العظيمة التي اتاها آباؤنا الاولون (الفينيقيون) قال الكاتب المذكور:

قبل فتح مضيق «كالبه» (بوغاز جبل طارق) كان الاتصال بحرًا بين شعوب اسيا وجنوبي اوربا وبين اميركا صعباً . ويقول علماء الطبيعة ان ارض ما بين النهرين التي تكونت من محمولات دجلة والفرات ومصر التي هي هدية النيل كما قال هيرودوتس لم تكونا في عالم الوجود . ولما فتح ذلك المضيق قبل العصر الفينيقي بقليل على مايظن كان من نصيب الفينيقيين ان يعبروه حبًا بالاكتشاف والاستطلاع وجابوا الاوقيانوس الاتلانتيكي بجرأة لامزيد عليها . والغالب ان شعوب اوربا وافريقيا المتاخمين لهذا الاوقيانوس جابوه ايضا بجهات مختلفة كما يظهر من بعض القرائن . فلما اصبح عبور المضيق سهلاً هاج الشوق سكان افريقيا واسيا لاستكشاف الاراضي المجهولة الواقعة وراء الاوقيانوس غرباً وكانت قادس الفينيقية النقطة التي تبدأ منها تلك الرحلات . واتصل بملك اسرائيل وبالملك بختنصر كثير من الاخبار التي كان الفينيقيون ينقلونها عما في تلك الاراضي الغربية من الكنوز الثمينة

ويتضح ذلك من كتابات صولون وافلاطون عن «قارة الاطلانتيد» ومن ايضاحات سترابون وبلينيوس عن الرحلات البحرية الخارجية والافادات المنسوبة الى ميداس ورواها ديودوروس وارسطو واليانوس . فمن اقوال الاخير منهم قوله بالحرف الواحد: «ان اوربا واسيا وافريقية جزر محاطة بالبحور . وهناك قارة اخرى عظيمة الاتساع جدًا يسرح فوقها حيوانات ضخامتها غير اعتيادية واناس قاماتهم مضاعف قاماتنا وفيها المعادن الثمينة بكثرة ولذلك كان الذهب عندهم رخيصاً» انتهى كلام الكاتب — فاذا امعنا النظر فيه وقابلناه بما نعلمه من اختصاصات الارض الاميركية علمنا انه يعني بتلك القارة بلاد اميركا لان البقر في الولايات المتحدة مثلاً اكبر من النيالاندي ومن ثور اسبانيا وافريقيا واسيا وان «اللياما» التي هي بمثابة الماعز عندنا هي اكبر منه ايضاً . وان اهل باتاغونيا

وبعض قبائل اميركا هم اعظم هامة من اليونان

ويظهر ان هذه الافكار كانت شائعة بين شعوب آسيا الغربيـة والوسطى وزادها ثبوتاً ما كان ينقله عنها الفلسطينيون والفينيقيون على عهد سليمان الحكيم وبختنصر ملك بابل ويؤيد ذلك نبوات اليهود المتعددة التي كانت تشير الى اسبانيا والجزر الغربية النائية وهذه النبوات كتبت في اثناء السبي البابلي وملك بابل بوخذنصر هو سيد الجاليات الفينيقية في اسبانيا . وكانت هذه الجاليات ترسل سنوياً الى وطنها اخبار اكتشافاتها ورحلاتها فكان اليهود الذين في اسر بابل يطلعون على رحلات اهل صور وقرطاجة المتعددة وما فيها من الافادات الثابتة . ويتضح لنا ذلك جلياً ما قاله بريليوس وديودوروس فالاخير منهما يصف الجزر الغربيـة في الفصل الخامس من كتابه ويذكر اكتشافاً جديداً للفينيقيين وهذا نصُّ قوله حرفياً :

« ان في الاوقيانس المقابل لليبيا جزيرة كبيرة جداً بعيدة عن افريقيا نحو الغرب مسافة عدة ايام بحراً لم يكن القدماء يعرفون عنها شيئاً لبعدها عن سائر المعمورة غير ان الفينيقيين اكتشفوها مؤخراً وكيفية اكتشافها انهم كانوا بجوار شواطىء افريقية الغربية فهبت عليهم زوبعة عظيمة القتهم في عرض البحار وبعد سفر شاق عدة ايام القوا مراسيهم في تلك الجزيرة المجهولة وعند رجوعهم اخبروا بما رأوه من خصب تلك الارض » اه

وقد ورد في الجزء الخامس والتاسع عشر والعشرين من الكتاب نفسه ما ملخصه :

« ان الفينيقيين قالوا بعد رجوعهم انهم شاهدوا في تلك القارة انهراً عظيمة تجري فيها السفن الكبرى وانها آهلة بالسكان واراضيها مزروعة باعتناء »

وورد أيضاً في هذا الكتاب « ان اهل صور ارادوا ان يقيموا فيهـا جالية غير ان اهل قرطاجة الفينيقيين منعوهم من ذلك لانهم ارادوا تركها ملجأً لهم اذا اصاب جمهوريتهم مصاب » وعدا هذه البينات جاء في فصل ٨٤ من كتاب الغرائب المنسوب الى ارسطو ما معناه : « ان اهل قرطاجة الفينيقيين كانوا يختلفون الى تلك الجزيرة واستوطنها بعضهم غير ان حكام الجمهورية لم يرق لهم هذا الامر ومنعوا السفر لها وامروا بقتل الذين استوطنوها خوفاً من تمردهم في المستقبل »

وجاء في هذا الكتاب ان فينيقيي قادس وهم يرتادون شواطىء افريقية الغربية قذفتهم زوبعة عظيمة نحو الغرب ورمتهم على ارض اكثرها مغمور وجدوا فيها اسماكاً كبيرة كانوا يملحونها ويحملونها الى قرطاجة » فمع غموض هذه الاخبار عن اسفار الفينيقيين الى اميركا

يمكننا ان نؤيد صحتها بما لدينا من الادلة اللغوية بعد درس اشتقاقات وتراكيب لغات امم الازتيك والاراكوا والبور وهي من لغات هنود جزيرة سانتودومنكو وبالاخص اللغة الكاريبة فان كولمبس مكتشف اميركا قال في بعض كتبه ان هنود جزائر الانتيل كانوا يسمون الذهب « توهب » وهي ذات اللفظة التي كان الفينيقيون والكلدانيون يستعملونها لهذا المعدن كما ان العرب يسمونه « ذهب » . وكذلك الاسماء « غواهيرو » « وهيبارو » المستعملة عندهم محرفة عن اصل ارامي أو فينيقي . وفي لغة جزيرة هايتي الاصلية ما يؤيد هذا القول فانهم يلقبون العزة الالهية « تاما هو يانا » والفم « بوتا » والبكر « رابو » والجاسوس « زوقة » والحجر « ابني » وهي الفاظ فينيقية أو آرامية

ولغة هذه الجزيرة التي عمت جزر بحر الكريب الى الاراضي المتاخمة لنهر الامازون كانت بدون شك اعظم لغات اميركا شيوعاً فكانت تلقب بلغة « كريبة » ومعناها في الارامية كريم ونبيل وفيها آثار تدلُّ على أصلها الارامي اكثر من سواها . والاشتقاقات اللغوية فيها تبتدئُ بحرف « اللام » اداة التعريف للمذكر وبحرف « ت » للمؤنث وصيغة الجمع التي تنتهي بحرف « أ » لاهي مذكر ولا مؤنث — وتصاغ النسبة عندهم باضافة الياء كما في العربية فيقولون « هو براري » اي من جزيرة هوبرار . واما الاسماء التي ينتهي مفردها بالياء فتجمع بالميم كما في العبرانية . وارجو من علمائنا الاعلام المطلعين على اللغة الفينيقية والارامية ان يزيدونا ايضاحاً بهذا الموضوع ولهم الفضل

(كولمبيا) شكري ابو شعر

(الهلال) للعلماء المحققين مناقشات كثيرة في حقيقة قارة الاطلانتيد . واول من ذكرها وروى خبرها افلاطون قال : ان جده سمع صولون يقول انهُ من مضي تسعة آلاف سنة قبل عصره تغلب الاثينيون على امة كانت تقطن هذه الجزيرة وكانت شديدة البطش . وزعم صولون انه نقل هذه الاحدوثة عن الكهنة المصريين ووصف افلاطون هذه الجزيرة نحو ما ذكرتم . وقد سبق لنا الكلام بشأنها في السنتين الثالثة والرابعة من الهلال . ومن الراجح ان الفينيقيين عبروا بوغاز جبل طارق ومخروا في الاوقيانوس الاطلانتيكي واكتشفوا ارضاً يابسة ولكن هل تلك الارض هي اميركا او الجزائر الخالدات او شواطيء افريقيا الغربية او قارة او جزيرة كانت في ذلك الاوقيانوس قديماً وخسفت بها الارض فغارت في الماء — تلك مسائل لم يتصل احد الى حلها حلاً مرضياً فذهب بعضهم ان قارة الاطلانتيد التي ذكرها افلاطون واكتشفها الفينيقيون جزيرة كبيرة

كانت في الاوقيانوس الاطلانتيكي وقد خسفت تغمرتها المياه • وبرى الرحالة علي بك العباسي الذى ارتاد مراكش وسائر افريقية الشمالية في اوائل القرن الماضي « ان المراد بالاطلانتيد قسم في شمالي افريقية يمتد من جبل الاطلس عند حدود الصحراء الغربية الى البحر المتوسط » وعنده ان هذه البقعة من الارض كانت جزيرة يحيط بها البحر المتوسط من الشمال والشرق والاطلانتيكي من الغرب • وكان في جنوبها بحر يتصل بالاوقيانوس ثم جف باسباب جيولوجية ومكانه الان صحراء ليبيا الشهيرة • وذهب آخرون ان المراد بالاطلانتيد قارة اميركا نفسها وهو مذهب فرنسسكو فرنندس صاحب هذه المقالة وادلته لا تكتفي لتقرير هذه الحقيقة فالمسألة لا تزال معروضة للبحث



صحيفة العائلة

الى المرأة

كيف تحفظين جمالك

٤ – الشعر

لقد بعد عنا الزمن الذى كان فيه الرومانيون يبتاعون الاصلع بنصف ثمن ولم نعد ننظر الى الشعر نظر اجدادنا الاقدمين من حيث علاقته بالجمال واعتباره اصلاً له ولكن هذا لا يمنع ان يمسنا الم الانفعال والاسف كلما رأينا شعور رؤوسنا تتساقط بسرعة فيخلع علينا سقوطها حلة الكبر العاجل والشيخوخة السابقة اوانها وكم من الذين ينتابهم الصلع في وقت يريدون فيه ان يظهروا بمظهر الشباب والقوة فتراهم يحاولون اخفاء عمرهم وتصغيره كما يفعل النساء ولا يدخرون وسعاً في سبيل استرداد شعرهم المفقود

واذا كان هذا حال الرجل فما ظنك بالمرأة وهي ترى في الشعر اقصى آمالها واسمى زينة لانها تصطاد بشباكه الاعين والقلوب والقرائح فتنشد فيه الاغاني وتنظم الاشعار وتجمع مجال الاستعارة والتشبيه فالشعر عند العرب هو الظلام الحالك والارقم الاضلاض وعند

الا ترخ أشعة الشمس وامواج الذهب قال المتنبي

وضفرن الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

وهو هو الزي الباقي على فناء الزمان الثابت على اختلاف الاذواق وتقلب العادات تغيرصوراً ويتبدل اشكالاً وتبقى حقيقته كما هي • وما جمال هذه الرؤوس الصغيرة كرؤوس الاولاد الا بهذه المظلة المستديرة النازلة على الجبين الجدولة فوق الرأس المتموجة حول الاصداغ المغطية الاذان المتصلة بالحواجب تحسبها كثيفة الجوانب متماسكة الخيوط ولو قصدت لجمعها في قبضة كف وربما بقي منها في يمينك كتلة غير ذات حياة كانت مستترة تحت دقة الصناعة ورشاقة العمل

وليس الشعر من مميزات الجمال فقط بل هو دليل الصحة والقوة وواسطة دفاع ضد مؤثرات الجو من برد وحرارة ورطوبة وطوارىء الجهاد من صدمة او سقطة او غير ذلك • حسبك دليلاً على مزيته في وقاية الرأس من الرطوبة امتصاصه العجيب لها بدليل استعماله في قياس رطوبة الجو • وفي الطب حوادث شتى كان فيها الصلع سبباً للزكام والصداع والالام عصبية في جلدة الرأس فزالت كل هذه الاعراض بتغطية الراس العاري بشعر مستعار

اسباب سقوط الشعر وعلاجه

(١) الوراثة (٢) الامراض على اختلافها عمومية كالسل والحمى او موضعية كالاكزيما والقرعة (٣) العمل العقلي كالتأليف وكثرة التفكير (٤) الافراط في الشهوات والسهر والحياة في المدن الكبرى (٥) الافراط في المآكل ولاسيما اللحوم (٦) طريقة مشط الشعر وجدله حسب الزي الجديد وكيه بالنار وتغطية الراس دائماً (٧) عدم النظافة

العلاج : من البديهي ان احسن علاج يحفظ للراس شعره ويُنميه هو منع الاسباب التي ذكرناها او الاحتياط للوقاية من نتائجها واليك بعض النصائح التي يجب اتباعها في مثل هذه الاحوال :

العرق والقشرة مجال للفساد والاختمار وسبب لتهيج جلدة الراس وضعف بصيلات الشعر فعليك بمحاربة هذين العدوين ولاسيما لان اختلاط الشعر بعضه ببعض سهل فيصعب مشطه ويسهل تقصيفه • مشطي الشعر بلطف وضفريه بدون تعقيد ليترك للهواء سبيلاً الى جلدة الراس

لتكن اسنان المشط غير حادة والفرشاة غير قاسية وليحفظ كل ماله علاقة بالشعر من

مشط ودبابيس وغيرها في وعاء فيه سبيرتو او محلول فينيك خفيف لا رائحة له فان ذلك يمنع امراضاً جلدية متنوعة

لا تكثري من استعمال الماء والصابون فذلك ينفخ على التمادي بصيلات الشعر فتجف الشعرة وتسقط واستعملي ماء النخالة او البابونج فاتراً ممزوجاً بصفار البيض مرتين في الشهر اما الدهون فاستعمالها مضر لانها توسخ الشعر وتستدعي غسله مراراً والاحسن استعمال الزيوت ولا سيما زيت الخروع معطراً او الكليسيرين مع السبيرتو بنسبة واحد الى عشرة

ومن الناس من ينزع الشعر الابيض من الراس فهذا مضرٌّ لانه يساعد على الصلع ومن اراد ان يطول عمر شعره فلا ينتفه • وكذلك عادة قص الشعر عند الذكور قصاً يكاد يكون حلاقة فهو لا يفيد في حفظ الشعر وربما سبب المآ في الاسنان والحلق وما شاكل

اما الاولاد فالافضل ان يترك شعرهم الى السنة الثالثة او الرابعة ولا يجب ان يقص شعرهم الطويل دفعة واحدة • ومن كان شعره كثيفاً فيحسن قص بعضه من حين الى حين لان الشعر الكثيف يأخذ من الدم بعض المواد المغذية كالحديد والكبريت والجير وغيرها • اهم مغذيات الشعر النشويات والحبوب لوجود الحديد والمانغنيز فيها بكثرة ولذلك كان اكلة النبات اطول شعراً من اكلة اللحوم وقد وجد بالاختبار ان الحيوانات التي تكثر في طعامها من الملح يكون جلدها اشد لمعاناً واكثف شعراً — فالملح في الطعام نافع للشعر

يعتقد « لاسار » ان سقوط الشعر ناتج عن وجود مكروبات في الرأس ولهذا يشير باستعمال الطريقة الآتية التي ايد الاختبار نفعها :

غسل الشعر كل يوم بصابون قطران شهراً كاملاً او شهرين ثم فركه بعد كل مرة بالمحلول الآتي

سليماني		٥٠ سنتكراماً
كليسرين	من كلٍّ	٥٠ كراماً
كولونيا		
ماء		١٥٠ كراماً

ويترك الشعر حتى ينشف ثم يعاد الفرك بما يأتي :

نفتول B.	٥٠ سنتكراماً
سبيرتو	١٠٠ كرام

وبعده يفرك بالمحلول الآتي :

حامض سليسليك ٢ كرام
صبغة البخور ٣ «
زيت مقدم الثور ١٠٠ «

وفائدة هذا المحاول الثالث تليين الشعر وتأثيره بالامتصاص في عناصر غذائه ولونه

صبغ الشعر

هذه العادة قديمة ماخوذة عن الفرس وجيرانهم ولكنها في اكثر الاحيان مضرة لدخول مواد سامة في تركيب الصبغة كاملاح الرصاص والفضة والنحاس والزئبق والكلس والبزموت والقصدير الخ . والصبغة الاميركانية الشقراء اخف ضرراً لخلوها من هذه المواد واما الصبغة التي تباع في المخازن الكبيرة في زجاجتين او ثلاث فضررها كبير لدخول املاح الفضة فيها . والصبغة التي تؤثر بالتدريج مضرة لاحتوائها املاحاً رصاصية . ومهما قيل عن الصبغات وادعى الذين يستعملونها انها غير مضرة لا يحسن بالعاقل ان يستسلم لها ويثق بها فقد ذكروا حوادث دماغية انتهت بالموت وسببها صبغة شعر

يوجد مع ذلك صبغات غير مضرة ولكن لسوء الحظ قصيرة البقاء منها الفلين المحروق والحناء ومسحوق العفص وغيره . والمستحضرات الحديدية والكبريتية اذا اخذت عن طريق المعدة قد تكسب الشعر سواداً ولهذا اشار بعضهم باعطاء الاولاد من المسحوق الآتي فيسود شعرهم الضارب الى الشقرة :

بروتوكلات الحديد ٠٫٢٠ سنتكراماً عند الاكل في برشانة صغيرة

ويعطى معها للشرب ليموناذا كبريتية

ويمكن حفظ الشعر الكستنائي الغامق من الشيب بغسله صبحاً ومساء (بفرشاة ناعمة) بمغلي الشاي او قشر الجوز الاخضر . واما الشعر الاسود فيمكن تحويل لونه الى الشقرة بمحلول البوتاس بنسبة عشرة في المئة يستعمل يومياً

الافضل في نظر علم الصحة ان يبقى الشعر على حاله الطبيعية ومن ظن انه بصبغه يزيد جمالاً فقد اخطأ لان الجمال في الشعر لا يتم الاّ اذا كان لونه في تناسب مع لون الوجه فليعتبر بذلك سيدته السمراء اللون السوداء العينين والحاجبين التي تحاول ابدال حلتها السوداء باشقر اصطناعي و يعتبر سيدي الكهل الذي لا يجديه اخفاء بياض فوديه وقد نشت الايام اسراره في كل تقاطيع وجهه وما اصدق قول بعضهم فيمن يستعين بالصبغة انه يحمل الغش على رأسه

(الاسكندرية) الدكتور فياض

الدين بعض الوجدان

اجوبة الاقتراح

اقترحنا على شعرائنا في الهلال الماضي نظم المعنى الآتي في بضعة ابيات وهو :
رأيت اناساً يستغربون بقاء الاديان و يتمنون زوالها ولو زالت لاختلقوا شيئاً يعبدونه لان الدين بعض الوجدان واقوى تعزية لبني الانسان »
فورد علينا الاجوبة الآتية ننشرها حسب تاريخ ورودها :

١

تمنى زوال الدين قومٌ لجهلهم — وادهشهم منهُ بقاءٌ مجدَّدُ
فلو انهُ اودى تلمس اهلهُ — على الرغم معبوداً لهم وتعبدوا
فما الدين الاَّ سلوةٌ وفضيلةٌ — تكمّل وجدان النفوس وتسعدُ

بني سويف — قسطنطين شدودي

٢

زعم الأُلى ضلوا السبيل بانناً — بالعلم نستغني عن الاديان
لكنهم لو امعنوا وتبصروا — رأوا اجلال فضيلة الايمان
فالدين للانسان اعظم سلوة — بل انه جزءٌ من الوجدان
والله لو جحد ابن آدم ربهُ — لسعى الى استنباط ربٍ ثاني

الاسكندرية — طانيوس عبده

٣

لا بدَّ للمرء من دين يعوذ بهِ — من الشدائد في دنياه والخطرِ
والدين طبع غريزيٌ فلست ترى — الاَّ القليل بلا دينٍ من البشر
وكل قوم وان ضلت مذاهبهم — لهم الهٌ وكل الفرق في الصورِ
ذا يعبد الشمس تحييه اشعتها — وذاك يحسب كل الحول في القمر
وذاك يعبد ثوراً انت تأكلهُ — وذاك يعبد اصناماً من الحجر
فاعبد الها برى ذا الكون من عدمٍ — واستغفر الله في ليلٍ وفي سحرِ

مصر — الدكتور شدودي

ضلّ الأولى يستغربون سلامة الـ أديان في هذا الوجود الفاني
فلو انها زالت لما قعدوا عن اسـ تنباط شيء للعبادة ثاني
فالدين اقوى التعزيات الى بني الـ إنسان بل جزء من الوجدانِ

(طنطا) رزق الله نعمة الله عبود

العالَم بعد الف سنة

نشرت جريدة «مرآة الغرب» التي تصدر في نيويورك مقالة عنوانها «صفحة من صحيفة الكون تاريخها ١٥ مايو سنة ٢٩٠٨» اكتشفها «زهير» الغرض منها بيان ما سيكون من امر هذه المدنية بعد الف سنة فتخيل الكاتب انها انتقلت من اوربا واميركا الى اواسط افريقيا واصبحت نيويورك وباريس خرائب يتفقدها علماء خط الاستواء يومئذٍ كما تتفقد آثار اليونان والرومان الآن . ويتخلل ذلك تمثيل ما يرجى حصوله من تقدم وسائل النقل والوسائط الصحية ونحوها فتصور الكاتب ان جريدة تصدر في مدينة نابالا من اعمال افريقيا الوسطى ١٢ مرة في اليوم نشرت خبر لجنة تاريخية سافرت لاكتشاف آثار نيويورك نقتطف منها ما يأتي :

«وقف القراء في جميع انحاء العالم على خبر سفر اللجنة التاريخية التي ركبت الهواء في المنطاد «تومومو» تحت رئاسة الاستاذ ساموما للتنقيب في خرابات مدينة نيويورك القديمة التي كانت كما هو معلوم اعظم مدينة من مدن الدولة الاميركية المنقرضة وقد وردنا اليوم من الاستاذ ساموما كتاب مطول فيه خبر سفرتهم واكتشافاتهم لغاية تاريخه . ومن جملة ما جاء فيه انهم لم يتمكنوا من الوصول الى ضفاف الهدسن قبل مضي يومين وساعتين وقد نشرنا الخبر في وقته وسبب تأخرهم هذا ان احدى الآلات الدافعة الثلاث تعطلت في اثناء الطريق وهم على علو خمسة الاف قدم فاوقفوا السير ريثما اصلحوها واتفق ان مرّ بهم منطاد البريد العمومي وهم على تلك الحال فساعدهم ملاحوه واعاروهم آلة كانت معهم بدلاً من الدافعة التي كانت قد تعطلت

«وحين وصولهم الى خرابات نيويورك باشروا العمل بجد ونشاط فوفقوا الى الوقوف على آثار عديدة من جملتها لوح من حجر نقشت عليه باللغة الانكليزية التي كانت لغتهم

(اذ لايخفى انه كان لكل امة لغة خصوصية قبل وجود اللغة العمومية التي عمت الدنيا منذ نيف وثمانمائة سنة) هذه الكلمات : « المرجو من الناس ان لايبصقوا على البلاط داخل البناية » مما يدل على ان القوم في ذاك الزمن لم يبلغوا من المدنية شأواً كبيراً اذ انهم كانوا على ما يستدل من تلك الكتابة يجهلون قواعد الصحة الاولية • ووجدوا ايضاً علبة من خشب كتبت عليها هذه الكلمات « مشدات باريزية » نسبة الى باريز في اوربا ولما فتحت العلبة وجد فيها نوع من الصدرات مصنوعة من قضبان حديدية ومن فوقها قماش كتاني كان النساء عندهم يستعملنها • وهي من آثار الهمجية وقد يستدل من الكتابة على العلبة ان باريز كانت منشأ تلك الازياء

« ووقفوا ايضاً على بقايا مطبعة حديدية (اذ انهم كانوا يستعملون الحديد في تلك الايام) و يظهر من الموتور (المحرك) الصغير انهم كانوا يستخدمون الكهرباء لتدويرها ومما يستحق الذكر ان الحروف (المصبوبة) التي وجدت هناك ليست انكليزية بل من لغة كانوا يسمونها العربية والشعوب التي تتكلم تلك اللغة كانت تسكن في اليمن والحجاز ومصر وسوريا والجزائر ومراكش وهي لغة الدين الاسلامي • وقد يستدل من وجود هذه المطبعة في اخربة نيويورك ان فن الطباعة كان معروفاً ليس فقط عند الاميركيين والاوربيين بل عند الاسيويين ايضاً • ومن غرائب الاتفاق انهم وجدوا صفحة والحروف عليها مصفوفة كأن العامل كان يحضرها للطبع قبل حدوث ذاك الزلزال الهائل الذي دمر نيويورك وابتلعها بوسمباي فما كان من اعضاء اللجنة الا انهم وضعوا عليها حبراً وطبعوها على ورق فظهرت الكتابة باجلى ظهور لحللوها • وبواسطة مفتاح المرحوم الاستاذ اكرامو توصلوا لترجمتها كلها فاذا بها اهم ما اكتشفوه الى الآن • ففي تلك الصفحة خبر مآله ان الدولة الاميركية ارسلت عمارتها الى الاوقيانوس الباسيفيكي خوفاً من مهاجمة اليابان لبلادها على تلك الشواطئ والعمارة كما لا يخفى عبارة عن عدة مراكب بحارية وعليها آلات اسمها المدافع تقذف قنابل مميتة والسفن مدرعة بالحديد كانوا يستعملونها لقتال بعضهم بعضاً في ما كانوا يسمونه الحروب في ايام الظلمة والتوحش • ويستدل ايضاً من ذاك الخبر ان اليابان كانت في اثنائها دولة ذات شأن وذلك قبل استيلاء الروس عليها وجعلهم اياها مستعمرة لتقديد السمك وزراعة الارز • وجاء فيها ايضاً تحت عنوان « محلية » ونظنهم يعنون بهذه الكلمة ما هو داخل الولايات المتحدة انه عاد من الداخلية حضرة الوجيه الفاضل المقدام طنوس افندي غنطوس البرديني فاستنتج الاستاذ ساموما ان المذكور احد ملوكهم والا لما وضعوا كل

ـه النعوت لاسمه ولا سيما كلمة مقدام ٠ وهو يرجح ان المذكور كان بطلاً شهيراً وانتبح لمم ـلاد والمدائن و يظن انه ربما كان من سلالة الامو يين الذين اكتشفت آثارهم في ـبة الشام ٠ غير ان رفيقه الاستاذ تاروتخ يخالفه في رأيه و يقول ان الاسم لا يدل على ـونه عربيًا فهو يرجح انه من سلاطين التتر ٠ ويقول الحكيم لاوميس الذي هو من افراد ـبة ان كليهما مخطئان لانه جاء بعد ذلك الوصف قول الجريدة « والمشار اليه عازم على ان ـاع عجلة صغيرة تجر باليد لبيع الفواكه » (انتهى)

باب السؤال والاقتراح

قدم الارض

﴿ الاسكندرية ﴾ مصطفى افندي محمد الحسيني

قرأت في بعض الكتب ان الارض تكونت بالوف او ملايين من السنين والذي ـلمه من كتب الدين انها تكونت في ستة أيام فكيف استطاع العلماء اثبات قدمها ٠ وقد ـلمت انهم يعرفون ذلك من علم الجيولوجيا فهل لكم ان تبينوا لنا القاعدة التي يبنون ـليها حسابهم في بيان قدمها فاني مع احترامي للعلم واعتقادي انهُ قائم على قواعد ثابتة ـرى مندوحة للشك في هذا الشأن ٠ وقد يتفق انكم كتبتم عن هذا الموضوع في بعض ـلتكم القديمة فلا تحيلونا عليها وانا على يقين انكم لم تنشروا شيئًا من هذا القبيل منذ ـشر سنين او اكثر

﴿ الهلال ﴾ قد ذكرنا شيئًا من هذا القبيل في السنة الثالثة من الهلال في فصول ـكنا نكتبها في « اركان العلوم الطبيعية او خلاصة ابحاث العلماء الطبيعيين » ولا باس من الاتيان على خلاصته لتباعد عهده :

ان الارض قديمة جدًا ربما زاد عمرها على ٢٠٠ مليون سنة كما سيتضح لكم من الادلة الجيولوجية ٠ اما مخالفة ذلك لظاهر ما في سفر التكوين فلا عبرة فيه وقد اصطلح علماء الدين

في مثل هذه الحال ان يؤولوا عبارة الكتاب حتى تطابق العلم فالايام الستة التي جاء في التوراة ان الله صنع الارض بها يقولون ان المراد بكل يوم منها دور من الادوار مؤلف من آلاف السنين · اما الادلة العلمية على قدم الارض فمرجعها الى علم الجيولوجيا اي علم طبقات الارض واساسه البحث عن كيفية تكون هذه الطبقات · لان قشرة الارض مؤلفة من طبقات مرتبة بعضها فوق بعض ترتيب اوراق الكتاب · ولو بحثت في تلك الطبقات لرأيتها يختلف بعضها عن بعض مادة وكثافة فقد يكون بينها طبقة لا تزيد كثافتها على كثافة الورق الثخين وطبقة أخرى تزيد كثافتها عن بضع أذرع فاول ما يخطر في ذهن الباحث « كيف تكونت هذه الطبقات »

ولبيان ذلك تأمل مجرى النيل المبارك انهُ يجري من اقاصي السودان فيجرف في مسيره اتربة واجساماً أُخر خفيفة وخصوصاً في ايام الفيضان ويلقيها في البحر المتوسط · وقد مرَّ عليه في هذه الحال قرون متطاولة ومعلوم ان اصل ماء النيل وسائر الانهار من الامطار والامطار تنتج عن تكاثف الابخرة المتصاعدة عن سطوح البحار وهي نقية صافية لا شيء فيها من الاتربة او الاملاح · فكأن مياه الامطار جارف يجرف الاتربة من البر ويلقيها في البحر دائماً ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء · فاذا كان مجرى النهر بطيئاً كالنيل مثلاً رسب بعض مجروفاته في اثناء جريه والنيل يفيض كل سنة على ما يجاوره من الارض ثم يجف الماء عنها فتبقى الاتربة هناك راسبة على شكل طبقة رقيقة تتألف منها بتوالي السنين طبقات مثل عدد السنين التي استغرقتها في رسوبها فهم يحسبون عمر وادي النيل بعدد طبقاته

ولكن النيل لبطء جريه لا يحمل من المجروفات الا ما كان دقيقاً خفيفاً اما الانهر فمنها ما يحمل حصى واحجاراً واخشاباً بنسبة سرعته وكثرة مائه وهي تستقرُّ اخيراً في مصب تلك الانهر والانهر تصبُّ غالباً في البحار فتترسب تلك الرواسب في قاع البحر طبقات منضدة بعضها فوق بعض · فلو فرضنا الكشاف قاع البحر يوماً لامكننا معرفة عمر تلك الرواسب من عدد طبقاتها · ثم أنَّ البحار نفسها تلاطم امواجها الشاطئ على الدوام فتفتت صخوره وتحولها الى حصى دقيقة او رمال ترسب في قاع البحر طبقات تتخللها بقايا الحيوانات أو النباتات البحرية التي عاشت وماتت في اثناء ذلك الرسوب

هذا ما نشاهده الآن من تفاعل الامطار والاتربة والبحار وقد كان جارياً على مثل هذا النمط أيضاً في سائر ادوار الارض فالطبقات الارضية التي نشاهدها على هيئة جبال او تلال او سهول الآن انما هي رواسب تولدت بجرف اتربة البر الى البحر بالسيول والانهار كما

قدم الأ النذر اليسير مما ينسب تكونه الى عمل البراكين

ويترتب على تكوّن طبقات الارض بالترسيب ان تكون افقية الوضع او قريبة من ذلك لانا نشاهد رواسب المياه الآن مرتبة بعضها فوق بعض على وضع افقي كترتيب حراشف البصل . ولكننا نرى كثيرًا من الطبقات القديمة المؤلفة منها الجبال مثلاً مائلة على الافق نرى بعضها عاموديا . اي بدلاً من ان تكون تلك الطبقات موازية لسطح البحر نراها قائمة عليه ولولا ذلك ما استطعنا ان نشاهد الأ اعلاها او ما ينكشف لنا منها بحفر الآبار او نحت الجبال . و يترتب على ما تقدّم ايضاً ان تكون تلك الطبقات مرتبة من الاسفل الى الأعلى نسبة قدمها بان يكون اقدمها اسفلها واحدثها اعلاها والواقع خلاف ذلك اذ قد نرى اقدم طبقات الارض على قمم الجبال واحدثها في قاع البحر والسبب في ذلك تمزق قشرة الارض بعمل البراكين والزلازل وتفاعل حرارة باطن الارض فان تلك الحرارة كثيرًا ما مزقت قشرة الارض وجعلت اسفلها اعلاها وبالعكس قبل عهد التاريخ بقرون على انها لا تزال تفعل مثل ذلك الآن ولكنه عمل بطيء لا يشعر به الأ بمرور الاجيال

ولا يؤخذ مما تقدم ان طبقات الارض تولدت مرتبة بعضها فوق بعض كحراشف البصل بان تكون كل طبقة تكوّنت في دور واحد مؤلفة من مادة واحدة تكسو الارض غلافاً متساوي الكثافة ممتدًا على سطحها كله كما تغلف البصلة قشرتها . فان ذلك يقتضي رسوب تلك الطبقة في وقت واحد ومن مادة واحدة وسطح الارض تام الكروية وقد علمت ان الرسوب لا يحصل الا بجرف الاتربة وغيرها من الجبال والسهول الى البحار وذلك لا يكون الا اذا كان سطح الارض غير منتظم بل يجب ان تكون فيه الجبال والاودية والسهول والبحار — فيعترض اذ ذاك « كيف استطاع العلماء تعيين تعاقب الطبقات في الزمن وكيف عرفوا ان الطبقة الفلانية تكوّنت قبل الطبقة الفلانية اذا لم تكن لكل طبقة مادة واحدة وتركيب واحد يميزها عن سواها »

وفي الجواب على ذلك نفرض اننا ونحن نحفر في بعض جهات الاسكندرية وصلنا الى طبقة رملية وجدنا في خلالها نقودًا ضربت في عهد الاسكندر الاكبر وان آخرين عثروا على طبقة دلغانية في جهات العراق فيها مثل هذه النقود ألا نحكم لاول وهلة ان هاتين الطبقتين تكوّنتا في القرن الرابع قبل الميلاد وان تكن احداها رملية والاخرى دلغانية

ويماثل هذه النقود في طبقات الارض بقايا الحيوانات التي عاشت في زمن كل طبقة فان لكل دور من ادوار الارض نوعاً من تلك الحيوانات يتدرج من أدنى أنواع النبات الى

اعلى انواع الحيوان فاذا عثرنا بطبقات عديدة في اماكن مختلفة فيها بقايا نوع واحد من هذه الانواع نعلم انها تكونت في زمن واحد ونستدل من مقابلة منزلة هذه الحيوانات في سلم الحيوان على نسبتها الى الطبقات الاخرى

وقد بحث علماء الجيولوجيا في طبقات الارض فوجدوا ان كثافة كل ما وصلوا اليه من قشرة الارض المؤلفة بالرسوب المتقدم ذكره ١٣٠,٠٠٠ قدم وذلك يساوي ٢٥ ميلاً أي جزءا من مئة جزء من كثافة الارض بين مركزها وسطحها . وقد قسموا الطبقات المؤلفة منها تلك القشرة الى مجاميع يشمل كلاً منها زمن فكان عدد تلك الازمان اربعة تعد من الاسفل الى الاعلى اي من الأقدم الى الأحدث فسموا الطبقات التي تكونت في الزمن الأول طبقات الزمن الأول وهي تقسم الى دورين ويقسم الدور الاول الى مجاميع يعرف اقدمها بالطبقات اللورنتية وتبلغ كثافتها ٣٠,٠٠٠ قدم والطبقات الكمبرية وكثافتها ١٨,٠٠٠ قدم والطبقات السيلورية وكثافتها ٢٢,٠٠٠ قدم ويقسم الدور الثاني الى ثلاثة مجاميع أقدمها الطبقات الديفونية او الحجر الرملي القديم ثم الطبقات الفحمية وفيها الفحم الحجري ثم الطبقات البرمية او الحجر الرملي الحديث وكثافة هذه المجاميع الثلاثة نحو ٤٢,٠٠٠ قدم . وطبقات الزمن الثاني تتضمن الطبقات الترياسية والطبقات الجورية والطبقات الكلسية وكثافتها كلها ١٥,٠٠٠ قدم

ويلي ذلك طبقات الزمن الثالث وكثافتها ٣,٠٠٠ قدم ثم طبقات الزمن الرابع وهو الاخير ولا يزال آخذاً في التكون والظاهر انهم لم يضيفوا كثافته الى مقدار كثافة القشرة

واما ما يتخلل هذه الطبقات من احافير الحيوان فتتدرج فيه الانواع الى الكمال من أقدمها الى احدثها . ففي الطبقات اللورنتية آثار أدنى انواع الحياة مما لا تتميز فيها اشكال الحيوان لدقتها ولما توالى عليها من الزمان تحت الضغط والحرارة فهي أقرب الى الصخور المتبلورة منها الى الرواسب المائية ولكنهم يؤكدون انها في الاصل رواسب او مفرزات حيوان بحري في غاية البساطة والدقة . وفي الطبقات الكمبرية متحجرات الاعشاب البحرية وبعض ذوات الاصداف وهكذا تتدرج انواع النبات والحيوان حتى تظهر في طبقات الزمن الثالث احافير الحيوانات الفقرية وفي الزمن الرابع تظهر احافير الانسان وحيوانات اخرى لا تزال عائشة على سطح الارض

ولادراك مقدار الزمن اللازم لتكوين كل هذه الطبقات نبحث في تكون جزء منها لاتزال الاقيسة على تكونه ظاهرة في اعمال الطبيعة الآن وهي الطبقات الفحمية .

فان الفحم الحجري عبارة عن مخلفات غابات او احراج كثيفة من النبات غطتها مجروفات الماء في زمن من الازمان وبقيت تحت الضغط أدواراً مستطيلة حتى تحولت بتأثير حرارة باطن الأرض الى فحم كما يحولوا الخشب الآن الى فحم باحراقه تحت التراب

وبالبحث في هذا الفحم نرى انه مؤلف من طبقات تتخللها طبقات أخرى من الدلغان يغشي كلاً منها طبقة رقيقة من الحجر الرملي • وقد تتوالى هذه الرواسب الثلاثة مرات عديدة جداً • ففي مناجم الفحم في سوث وباس بلاد الانكليز تتكرر طبقات الفحم ثمانين مرة وبين الطبقة والاخرى طبقتان احداهما دلغانية والاخرى رملية وقد تبلغ كثافة الطبقة الواحدة من الفحم على حدة ثلاثين قدماً وحسبوا جملة كثافة الطبقات الفحمية فبلغت ١٤,٠٠٠ قدم

ويستنتج من ترتيب الطبقات الفحمية على هذه الصورة ان كل طبقة من الفحم كانت في زمن من الازمان غابة من النبات غضة نمت وتغذت على الطبقة الدلغانية التي تحتها ويؤيد ذلك انهم وجدوا بفحص الطبقة الدلغانية انها تتخللها آثار جذور والياف نباتية وبفحص الطبقة الفحمية ايضاً وجدوا معظمها اشجاراً كبيرة من السرخس وانواعاً من الطحالب والسرو وما شاكل ولكنهم علموا ان معظم مادة الفحم مؤلفة من الياف تلك الاشجار وبذورها • فكأن تلك النباتات كانت تنمو وتتساقط اوراقها واثمارها كل سنة وتتراكم تلك المتساقطات سنة بعد سنة اجيالاً متطاولة ثم تغشاها الرمل او الاتربة المحمولة اليها بالامطار او السيول • ثم تنمو غابة اخرى على تلك الاتربة وتتساقط اوراقها واثمارها ثم تغشاها اتربة اخرى وهكذا

فكم يقتضي من الزمن لتكون مثل هذه الطبقات الفحمية من متساقطات هذه النباتات على هذه الكيفية فاحسب اولاً الزمن اللازم لنمو تلك الغابة وكم يقتضي لها من السنين حتى يتألف من متساقطاتها مثل هذه الكثافة من الفحم الصلب • ثم كم يقتضي من الزمن لغمر تلك الغابة بالرمال والاتربة حتى تتكون طبقات ترسيبية • فان الاتربة انما حملت اليها بالسيول حتى صارت تلك الغابات مستنقعات تغمرها المياه وترسب في قعرها الاتربة • ثم كم يقتضي من الزمن لجفاف تلك المستنقعات وتكون غابة اخرى على رواسبها وهكذا على ممر الادوار وقد قدر الدكتور دوسن معدل ما اقتضى لتكوين الطبقات الفحمية فقال ان كل قدم من الفحم الحجري يقتضي ان يكون مؤلفاً من خمسين جيلاً من اجيال النبات وفي بعض مناجم الفحم ما كثافته ١,٠٠٠ قدم من الفحم فقدر

الاستاذ هكسلي الفيلسوف الانكليزي الشهير ان الطبقات الفحمية وحدها تكونت في مدة لا تقل عن ستة ملايين سنة

والطبقات الفحمية جزء صغير من طبقات الارض فاعتبر ذلك في كثافة قشرة الارض البالغة ١٣٠,٠٠٠ قدم مع تقدير ان كثيراً من الطبقات تستغرق زمناً اطول كثيراً مما استغرقته الطبقة الفحيمة واعلم ايضاً ان بين تكوّن الطبقة وتكوّن الاخرى ازماناً طويلة مرّت ولم يتكوّن بها شيء

وزد على ذلك اننا انما نبني احكامنا على ما اكتشفناه من طبقات الارض ولكن هناك طبقات اخرى لم تصل اليها معرفتنا وخصوصاً ماتغشاه البحار من الارضين. فاننا انما كشفنا ما كشفناه من طبقات الارض في جزء من اليبس ولكن البحار تغمر اكثر من ضعفي الارض . فما الذي بنينا حكمنا عليه الا شذرات صغيرة من كتاب كبير ضخم . وقد قدّر السير شارلس لبل الجيولوجي الشهير الادوار الجيولوجية التي تكوّنت قشرة الارض فيها فبلغت ٢٠٠ مليون سنة على الاقل

متوارثان توفيا معاً

كوبري القبة محمود افندي فوزي

اذا مات متوارثان في يوم واحد وفي زمن واحد وكان احدهما في المشرق والآخر في المغرب فمن الوارث منهما اولاً

الهلال القاعدة الشرعية ان الحي يرث الميت مهما قلّ الزمن الذي وجد فيه الوارث على قيد الحياة بعد وفاة مورثه . فاذا انتفى العلم بمن مات اولاً ممن يتوارثون فلا توارث بينهم ويرث كل منهم ورثته الاحياء مثل ذلك الغرق والحرق في مكان واحد ووقت واحد حيث لا يعلم من مات اولاً فلا يتوارثون . اما اذا اتحد اوقت الموت واختلف المكان فبما ان التوقيت نسبي فالزمان يحد نفسه مختلف ومثال ذلك متوارثان ماتا الظهر في يوم اول مايو سنة ١٩٠٨ احدهما في باريس والآخر في مصر فالذي مات اولاً في الحقيقة هو ميت مصر لان الظهر يحل في مصر قبل ان يحل في باريس بنحو ساعتين من الزمان وانما يعتبران انهما ماتا في زمن واحد ولا يتوارثان اذا مات ميت مصر الظهر ومات ميت باريس نحو الساعة الثانية بعد الظهر في اليوم الواحد

(ابراهيم الجمال)

فرنسا الا نحو سنة ١٨٥٠ وكانوا قبلاً يقفلون المكاتيب بواسطة الشمع الاحمر

(وارد الماس في الولايات المتحدة) اشترى الاميركيون سنة ١٩٠٦ من الماس ما يقرب ثمنه من ٢٢٦ مليونا من الفرنكات ولكن الازمة المالية اثرت في هذه التجارة فلم يزد ثمن ما اشتراه الاميركيون في السنة الماضية على ١٦٣,٥٠٠,٠٠٠ فرنك وكان هذا التأثير اكثر ظهوراً في شهر دسمبر الماضي لأن ثمن ما ورد فيه من الماس ١,٠٣٢,٠٠٠ فرنك وقد كان في نفس الشهر من سنة ١٩٠٦ نحو ٣١,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

(اقدم جريدة في اوربا) اظهر احد اساتذة جامعة هيدمبرج اثناء خطبة له صورة اقدم جريدة وجدت في اوربا والنسخة الاصلية محفوظة في مكتبة الجامعة وهي تحتوي على ١٢ صفحة عليها تاريخ سنة ١٦٠٩ . وفي اول صفحة فاتحة لناشر هذه الجريدة وهو جوهان كارولس قال فيها انه يطبع جرائد منذ بضع سنين وان هذه الجريدة تكملة لاخرى سبق نشرها . ومجموعة سنة ١٦٠٩ فيها ١١٥ ورقة ولا ينقصها الا العدد ٣٤ وهي تحتوي على رسائل اسبوعية جاءتها من ١٧ مدينة في اوربا ولا سيا فرانكفورت وامستردام وبروكسل وليون ورومية وفينا وهذه اقدم ما حفظ من الجرائد في اوربا واميركا

مطبوعات جديدة

جرائد ومجلات

(١) ضياء الشرق : جريدة سياسية علمية ادبية تصويرية تصدر في القاهرة كل يوم لمنشئها محمود بك حسيب صاحب مجلة المجلات العربية بدل اشتراكها ١٨٠ غرشاً بمصر و٥٥ فرنكاً في الخارج (٢) وادي النيل : جريدة يومية سياسية ادبية تجارية تصدر في الاسكندرية لمديرها ومؤسسها محمد افندي الكلزة بدل اشتراكها ١٣٠ غرشاً بمصر و١٥٠ في الخارج (٣) صدى المكسيك : جريدة ادبية انتقادية تجارية سياسية تصدر في المكسيك مرتين في الاسبوع لصاحبها بطرس افندي الخوري ومحررها فيليب افندي جرجي بدران بدل اشتراكها عشرة ريالات مكسيكية في المكسيك و٣٠ فرنكاً في الخارج (٤) الميزان : جريدة ادبية اخبارية تجارية تصدر في سانباولو مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها اسطفان افندي غلبوني بدل اشتراكها ٢٠٠ غرش في البرازيل

و٢٥ في الخارج (٥) الشعب القبطي : مجلة قبطية حرة تصدر في الاسكندرية لمحررها « مكسيموس » بدل اشتراكها ٢٥ غرشاً (٦) الاسماء : مجلة علمية تاريخية جغرافية في بيان اسماء الكتب والمؤلفين تصدر في مصر لصاحبها عارف بك البغدادي بدل اشتراكها مئة غرش في مصر و٣٠ فرنكاً في الخارج

كتب مختلفة

(١) مصريون قبل كل شيء : هو خطاب مطوّل في توثيق الاتحاد بين المسلمين والاقباط لاحمد بك زكي سكرتير ثاني مجلس النظار القاه بناء على دعوة جمعية الرابطة الشيخية بمصر وقد نشرته معظم الصحف المصرية (٢) مطالع البدور في محاسن ربات الخدور : تأليف السيد محمد سليم بك ابو الخير الانسي صدر الجزء الاول منه في ١١٢ صفحة وسيصدر الجزء الثاني قريباً وثمن الجزئين معاً خمسة غروش ويطلب من المؤلف بمصر (٣) يوم في كرم : هو كتاب تهذيبي لحوادث وصية والدعاد من اميركا الى سوريا لمؤلفه شكري افندي الخوري صاحب جريدة ابو الهول التي تصدر في سانباولو بالبرازيل ويطلب من حضرته (٤) بحر الآداب : صدرت الطبعة الخامسة من الجزء الثاني لهذا الكتاب لمؤلفه الاخ بلانج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير بمصر في ٣٢٠ صفحة قطع وسط مزينة بالرسوم المتقنة . وهو كتاب مدرسي يطلب من حضرته ومن المكاتب الشهيرة (٥) دروس القراءة : هو كتاب مدرسي لتعليم القراءة صدر القسمان الاول والثاني منه تأليف محيي الدين افندي الخياط ضمنه اشكال الحروف وكثيراً من الفوائد الاخلاقية والدينية والتزم طبعه محمد افندي شاكر ياسين ويطلب من حضرته في بيروت (٦) رسالة في الترجمة : تأليف سليم افندي عواد المترجم بمحكمة اسكندرية المختلطة بين فيها شروط الترجمة وفوائدها

تقارير وقوانين

(١) تقرير مصلحة البوسطة المصرية لسنة ١٩٠٧ (٢) الدليل المفيد في اشغال البريد لسنة ١٩٠٨ ويباع في جميع مكاتب البوسطة بغرش واحد وصفحاته ٣٦٠ صفحة كبيرة (٣) قانون نادي دار العلوم بالقاهرة (٤) قانون لجنة المؤتمر الاسلامي (٤) دليل السلام : دليل تجاري تصدره جريدة السلام في بونس ايرس بالارجنتين كل عام باللغتين العربية والاسبانيولية (٢) رسالة الجمعية العمومية المصرية وفيها بيان حقيقة الملاحظات التي علقها اللورد كرومر على بعض قرارات هذه الجمعية وظهرت في كتابه الابيض اهمها المجلس البلدي

ومحلات الميسر والحجاج وبيع اراضي الحكومة ومجلس نيابي والتعليم العام واللغة العربية والضرائب الوقتية والتعليم الديني والمحاكم الشرعية والاوقاف (٦) تقرير جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت وهو الرابع لسنة ١٩٠٧ (٧) اعمال اربع سنوات في مستشفيات الرمد التابع لمصلحة الصحة العمومية بمصر للدكتور فرجوس ماكن رئيس المستشفيات المذكورة (٨) احصاء السفن التي مرت في قناة السويس سنة ١٩٠٧ اصدره قلم الاحصاء بنظارة المالية المصرية في اللغة الفرنساوية (٩) جمعية الاتحاد السوري بطنطا خلاصة اعمال هذه الجمعية لسنتها الأولى (١٩٠٧)

❋ مطامع نابوليون ❋ صدر الجزء الخامس من رواية مطامع نابوليون تأليف اسكندر دوماس وتعريب اسكندر افندي صباغ وهو جزؤها الاخير ثمنه اربعة غروش وثمن الاجزاء الخمسة معاً عشرون غرشاً وتطلب من مكتبة الهلال

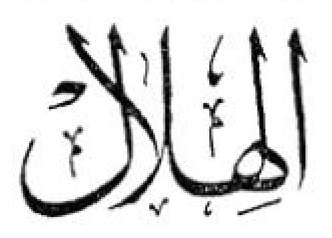
العرب قبل الاسلام

الجزء الأول

ملحق السنة السادسة عشرة من الهلال

اعلنا في اول هذه السنة ان ملحقها سيكون كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » ولكن بعد درس هذا الموضوع والاطلاع على ما كتبه فيه المسلمون وغيرهم من كتبة العرب وما ذكره اليونان والفرس . وما وفق النقابون الى كشفه من الآثار المنقوشة في اليمن الحجاز وحوران و بطرا وتدمر وسائر مشارف الشام وما تحويه نقوش بابل ومصر وغيرها من اخبار العرب تبين لنا ان هذا التاليف لايكون وافياً الا اذا جعلناه في مجلدين الاول في تاريخ العرب والثاني في ادابهم وعاداتهم نلحق كل منهما بسنة من سني الهلال

فلحق هذه السنة هو الجزء الاول من هذا الكتاب وموضوعه اصل العرب وتواريخ دولهم الحضرية في بابل ومصر واليمن وحضرموت والحجاز و بطرا وتدمر وحوران والعراق وغيرها واخبار قبائلهم البادية في الحجاز ومشارف الشام بما يفتقر اليه ذلك من الخرط والرسوم وصور الخطوط والآثار وغيرها لزيادة الايضاح . وسيصدر مع الجزء الآتي من الهلال وهو الاخير و يفرق على المشتركين الذين سددوا ما عليهم للادارة حسب العادة المتبعة في كل عام



الجزء العاشر من السنة السادسة عشرة

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨ و ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٢٦

أشهر الحوادث وأعظم الرجال



شاميل

القائد القوقاسي الاسلامي

ولد سنة ١٧٩٧ وتوفي سنة ١٨٧٠

١ — قوقاسيا

هي ولاية روسية مساحتها ١٨٠,٦٠٣ اميال مربعة يدخل فيها جبل القوقاس وما يليه من الشمال والجنوب يحدها بحر قزوين من الشرق والبحر الاسود من الغرب ويحدها من الشمال استراخان ومن الجنوب ارمينيا واذربيجان وهي قسمان شمالي شرقي يعدونه من قارة اوربا واسمه سيسقوقاسيا وجنوبي غربي وهو من اسيا واسمه ترانسقوقاسيا والاول يشتمل على حكومات سبتاوروبول وكوبان وتيرك · والثاني يحتوي على حكومات تفليس وباكو واليصابابول واريفان وداغستان وقوطاي وباطوم والبحر الاسود والقارس وزاكاتالي

عدد سكان قوقاسيا ١٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس وهم اخلاط من امم شتى ترجع الى خمسة اجناس وهي

اولاً — الجورجيون وهم الذين يطلق عليهم اسم الكرج ويسمونهم احياناً قرطاليين لانهم يتكلمون لغة يسمونها قرطالي ويظن علماء الانسان انهم بقية الايبيريين الذين عرفهم اليونان في جنوبي جبال القوقاس في اقدم ازمنة التاريخ وهم ينقسمون الآن الى خمس بطون (١) الجورجيون الاصليون (٢) الايمريتان (٣) المنغرليان (٤) الجوريان (٥) السوانيان وهؤلاء اقرب الى البداوة من سائر بطون الجورجيين ولم تتمكن روسيا حتى الان من اخضاعهم الاخضاع التام · وقد ذكرهم قدماء المؤرخين اليونان حوالي تاريخ الميلاد وكانوا يومئذ امة شديدة البطش

ثانياً : القبائل الجبلية واهل البادية نعني الجراكسة وهم بطون عديدة ترجع الى ثلاثة اصول (١) الجركس الاصليون ويسمون انفسهم « اديغه » وكانوا قديماً يقطنون شواطىء البحر الاسود من جوار انابا الى بزونتا الى كوبان · والجركس اعظم امم القوقاس سطوة واصعبها مراساً وهم امة شديدة البطش لها في التاريخ الاسلامي شأن كبير انشأوا دولة مصرية من دول المماليك وسنعود الى ذكرهم (٢) الابخازيون (٣) القاباردان

ثالثاً : الاوست وهم امة منفردة عن سائر امم القوقاس بلغتها وعاداتها ويظن انها آرية الاصل تشبه الجرمان

رابعاً : التشتشان وهم يسكنون سفح جبال القوقاس من الشرق الى وادي تيرك

خامساً : اللسغان وهم يشملون على الغالب كل من سكن شرقي القوقاس مؤلفون من عدة بطون وافخاذ لا فائدة من تفصيلها ويقال على الاجمال ان مقرهم في الجبال

الممتدة شرقاً الى كزبك الى بابا داغ وجبال داغستان نحو الشمال الشرقي بين السلسلة الوسطى وبحر قزوين وأرقى بطون هذا الشعب على الاجال الاوار وهم يحاذون التشتشان في الشمال

وفي قوقاسيا لفيف من الشعوب التترية التركية يقيمون على حدود داغستان بين الجبال وبحر قزوين • وكذلك القوزاق والكوبان والتيرك وهذه القبائل بين بادية وحاضرة مختلطة بالشعوب الاصلية اختلاطاً كبيراً

الجركس

هم اهم امم القوقاس من حيث التاريخ العام يقيمون غالباً في شمالي جبل القوقاس وشرقيه يختلفون عن سائر امم قوقاسيا من حيث الاصل واللغة فهم يسمون انفسهم اديغه كما تقدم والروسيون يسمونهم جركس او شركس وقد استلفتوا انتباه العالم المتمدن على الخصوص في اثناء جهادهم للتخلص من نير الروس في اثناء القرن الماضي كما سيأتي وقد غلبوا على امرهم وتبدد شملهم ولكن التاريخ لا يبخسهم حقهم

عرف الجركس في ايامهم بجمال التكوين وبساطة العادات والنجدة والفروسية مع البسالة وشدة البطش وتفانيهم في سبيل الاستقلال وكانت حكومتهم قبل دخولهم في حوزة الروس اشبه بالاقطاع وكانوا ينقسمون الى ثلاث طبقات الامراء ويسمونهم بشي والاشراف « يورك » والعامة او الفلاحون ويسمونهم « هكتل » فضلاً على انقسامهم الى عشائر وعائلات كانت تتنازع وتتغازى شأن اهل البادية • فمن اخذ اسيراً استعبدوهُ واستخدموه في حراثة الارض اوخدمة المنازل • وكانت حكومتهم نيابية اوجمهورية لكل فرد منهم صوت اورأي في مصلحة الامة من التجريد للحرب اوالتداعي الى الصلح وكان لهم مجلس عام يجتمعون فيه للمداولة بالشؤون العامة فالامراء والاشراف انما يتولون شؤون الحكومة بارادة الشعب وهم الذين يكلون اليه ذلك باختيارهم ولم يكن لهم شريعة مدونة فكانت الاحكام تجري على التقليد اوالعادة • اما المسلمون منهم فكانوا يتقاضون الى الكتاب والسنة ويقعد للحكم في الغالب الشيوخ فيذعن المتقاضون لاحكامهم بلا مراجعة

وكان الجركس على الوثنية الاولى ثم دخلت النصرانية بلادهم وعقبتها الاسلامية فتغلبت على سائر الاديان فاسلم الامراء والاعيان • ولكن بقي في طقوسهم وعباداتهم شيء من آثار دياناتهم السابقة • والجركس اهل عقول قوية لكنهم قلما اشتغلوا بالصناعة او العلم الا الشعر

والموسيقى فقد كان لهم فيها نصيب حسن ولغتهم خصوصية لم يدونوها ولهم تقاليد توارثوها بالتلقين شعرًا وفيها اخبار اسلافهم من حرب او غزو · فالجركسي يعلم ابنهُ ركوب الخيل والصيد ورمي النبال او الرصاص وغير ذلك مما يقوي عضله ويعوده على الحروب وانما يعلمونهم من الامور العقلية الفصاحة وسرعة التعبير عن الفكر

ولهم في الزواج طرق كثيرة اغربها ان الجركسي اذا وقع اختيارهُ على فتاة ورضي ابوها به صهرًا ودفع المهر المتفق عليه نقدًا او خيلاً او ماشية بقي عليه ان يأتي في جماعة من اصحابه مدججين بالسلاح ويحمل خطيبته من بيت ابيها قهرًا · وللجركسي سلطة مطلقة على امرأته واولاده · ومع جواز تعدد الزوجات عند المسلمين فان عادات البلاد كانت تحول دون تزوجهم بغير امرأة وتحظر الطلاق الا عند الضرورة · وهم يحترمون السن احترامًا يفوق التصديق ويكرمون الاضياف اكرامًا فائقًا وهي طبائع البداوة تتشابه في الامم · فاذا نزل ضيف على احدهم بالغ في اكرامه واقام رجلاً في خدمته ومتى رحل اصحبهُ بمن يحرسهُ حتى يبلغ مأمنهُ

ومن عاداتهم طلب الثار فاذا قتل لاحدهم اخ او ابن او نسيب لا يزال يتبع القاتل حتى يقتله ولو بعد اعوام الا اذا دفع الدية او وفق الى طفل من عائلة القتيل يأخذه الى منزله ويربيه حتى يبلغ رشده ويعيده الى اهله فيغتفرون عمله ويغضون عن الانتقام · واذا فرَّ القاتل من طالبيه واستطاع قبل القبض عليه ان يدخل بيت بعض اهلهم ويلمس يد بعض نسائهم فانهُ ينجو من غضبهم ويصبح في ذمة تلك المرأة · والسارق اخف ذنبًا في اعتبارهم ممن يدلُّ عليه ويكشف سرقتهُ · ومن اكبر العيوب عندهم ان يحكم على السارق بردّ ما سرقه الى اصحابه · وقد يعابون على هذه العادة لولا انها من جملة مقتضيات البداوة وانما يعابون على عادة اخرى يندر وجودها في الناس نعني بيع ابنائهم · فالجركسي يسهل عليه ان يبيع بناته لا يرى في ذلك بأسًا أو عارًا واكثر سراري عظماء الاستانة منهنَّ

وتاريخ هذه الامة سقيم لا يعرف اولهُ ولم تتمكن دول التاريخ القديم من الوصول اليهم او الاستيلاء عليهم الا بعض تجار اليونان زعموا انهم بلغوا الى هناك · واول نبأ صادق عن حال الجركس لا يتجاوز القرن الثاني عشر للميلاد اذ دخلت في حوزة الجورجيين ودخلتها النصرانية وما زالوا عليها الى القرن الثامن عشر ثم ساد فيها الاسلام · وكان دخوله على يد فقيه مسلم اسمه منصور · اما العامة فما زالت تعاليم الوثنية والنصرانية شائعة بينهم · وخرج الجركس من حوزة الجورجيين الى سلطة التتار على يد خانات القرم حتى انقذهم ايفان الاول

تبصير الروس من سلطتهم وادخلهم في سلطته ولم يرضخوا للروس حقيقة الاعلى عهد بطرس الاكبر ومن خلفه من القياصرة في جملة قوقاسيا

اول من عرف القوقاس من الامم المتمدنة اليونان وقد ذكرهم هيرودوتس وغيره من مؤرخيهم وجغرافييهم مما يطول بنا تفصيله وانما نقتصر على تاريخها الحديث ولا سيما من حيث النزاع بينهم وبين الروس في سبيل الاستقلال . فالروس توجهت مطامعهم من اوائل القرن الماضي الى قوقاسيا على اثر دخول جورجيا في حوزتهم وكانت القوقاس تحت سلطة الدولة العثمانية اسماً فتنازلت عنها للروس في معاهدة ادرنة سنة ١٨٢٩ ولكن القوقاسيين لم يعجبهم ذلك التنازل ولا قبلوا به فجرد الروس عليهم الحملات الكبرى وهم يجاهدون في سبيل استقلالهم قضوا في ذلك ٢٨ سنة انتهت بالفشل ودخولهم في حوزة الروس قسراً ولكنها خلدت لهم ذكراً جميلاً مثل ذكر القرطاجنيين مع رومية قبلهم والبوير في الترانسفال بعدهم وبطل هذا الجهاد وقائد القوقاسيين في طلب الاستقلال شاميل القائد الباسل الذي نحن في صدده

٣ — شاميل

هو امام ديني وقائد حربي اصل اسمه «صموئيل» فتحرف الى شاميل ولد سنة ١٧٩٧ في قرية «اول» من اعمال غمري بين الاسفان في داغستان وتفقه في العلوم الاسلامية بالمولا جمال الدين من كبار فقهاء تلك الديار وتزوج ابنته . وفي القوقاس يومئذ طائفة من المريدين هي شبه جمعية سرية غرضها الجهاد في سبيل الاسلام بجمع كلمة المسلمين من قبائل القوقاس السنية والشيعية تحت راية واحدة لانقاذ بلادهم من مطامع الروس . فانتظم شاميل في جملتها وترقى فيها حتى اصبح من كبار رجالها ديناً وسياسة واشتهر بشجاعته وحماسه في الدين وتفانيه في نصرة المسلمين . ظهر لهم ذلك لاول مرة في معركة جرت بين اهل قبيلته بقيادة اميرهم كامي مولا وجند الروس فابلى شاميل في تلك الحرب بلاء حسناً فنال ثقة مواطنيه وكثر انصاره والتفوا حوله وسلموا اليه قيادتهم سنة ١٨٣١ في قتال جرى بينهم وبين الروس في جهات غمري موطن شاميل فقاتل قتالاً عنيفاً وكان الجند الرومي كثيراً جداً بقيادة الجنرال اوزن فظهر الروسيون وتراجع القوقاسيون الى غمري وحاصروا فيها . وقاسى الروسيون هناك عذاباً شديداً لكنهم فتحوا البلد وقتلوا كامي مولا ومعظم رجاله وسقط شاميل جريحاً بين القتلى فظنه الناس قتيلاً فلم يلتفتوا اليه واسف رجاله على موته . ثم ما لبثوا ان رأوه عائداً اليهم ففرحوا به وعدوا رجوعه

شورًا وكانت قيادتهم قد افضت الى قائد آخر فلم يبال شاميل ان يحارب تحت امره للجهاد في سبيل وطنه ودينه . ثم قتل ذلك القائد وقتل سائر رجال حاشيته ولم ينج منهم الا شاميل وكانت نجاته معجزة اخرى فزاد القوقاسيون احترامًا له وثقة به فاقاموه امامًا دينيًا وقائدًا حربيًا وعاهدوه على الاستهلاك في طاعته

فقضى شاميل في ذلك المنصب ٢٥ سنة حارب به الروس في مواقع كثيرة اولها سنة ١٨٣٧ والجند الروسي بقيادة الجنرال ايفرتس والثانية سنة ١٨٣٩ اوشك ان يقع فيها اسيرًا بحصن اكولجو ولكنه نجا بمعجزة أخرى . فازدادت ثقته بنفسه واعتقد اتباعه انه يفعل ذلك بكرامة خاصة فعادوا الى التكاتف ولم يضعفهم الفشل وتحوّل النصر الى جانبه فجرت بينه وبين الروسيين حروب سنة ١٨٤٣ فتح بها بلاد الاوار كلها فانشأ لنفسه دولة ونظم حكومة خضعت لها كل القبائل الناقمة على الروسيين في تلك الاصقاع وجعل مقره في دارغو. وفي سنة ١٨٤٦ رفع اعلامه على جبال التيرك ولكنه لم يستطع الاحتفاظ بها فغلب على امره واخذ نجمه بالافول من ذلك الحين

واتخذ الروس في محاربته خطة جديدة ضايقوه بها وذلك انهم جعلوا يحرقون الزرع في القرى ويفنون الماشية ويخربون المنازل في كل مكان يظنون فيه نفعًا لشاميل ورجاله . فانحصرت قوتهم في الاماكن التي يقيمون فيها او يدافعون عنها واتيح له مع ذلك في اثناء حرب القرم مضايقة الروسيين فهزمهم الى تفليس لاشتغال الدولة عنه بمحاربة الدول العظمى واولاده يجاهدون معه واخذ احدهم اسيرًا فاستبدله باسيرين من ابناء جورجيا

ولم يكن ضعف امره ليقلل شيئًا من شهرته فطار صيته في انحاء العالم واهتم به الفرنساويون على الخصوص والفوا فيه الكتب ومثلوا الروايات وصوروه ومعه رجاله وقد نهضوا للجهاد . فلما فرغ الروسيون من حربهم حوّلوا اهتمامهم الى القوقاس فجردوا جندًا عظيمًا اشهر قواده باراتنسكي ومستنسكوف وافدوكيمو فاكتسح هذا سنة ١٨٥٨ بلاد ارغون وامعن فيها نهبًا وقتلاً واحرق قراها ومغارسها وتمكن مستنشكوف بعد حرب شديدة من التضييق على شاميل في حصن فيدينو وهو يدافع دفاع الابطال حتى باد اصحابه قتلاً او اسرًا او تسليمًا ولم يبقَ الا هو في نفر من خاصته . ولما ايقن بسقوط الحصن انتقل الى حصن غونيب وامتنع فيه ففاجأه الروس في ١٦ اكتوبر سنة ١٨٥٩ واسروه وساقوه الى بطرسبرج فاستقبله القيصر اسكندر احسن استقبال واكرمه كما يكرم الرجل العظيم وعين له راتبًا مقداره ١٠٠٠٠ روبل بما يحتاج اليه من اسباب الراحة واقامه في مدينة كالوغا

وبالقبض على شاميل انتهى دفاع القوقاسيين ويئسوا من الاستقلال فسلموا لحكم القضاء ودخلوا في طاعة الروسيين ولا يزالون على ذلك الى الآن . أما شاميل فنقل بعدئذٍ الى مدينة كيف ثم استأذن في الحج فاذن له ومات في المدينة . واكرم الروسيون اولاده فتعين احدهم قائداً في جند الروس ودخل الآخر في الجندية العثمانية . والناظر في تاريخ هذا القائد العظيم يرى مشابهة كلية بينه وبين الامير عبد القادر الجزائري الذي حارب الفرنساويين في الجزائر نحو ذلك الزمن . وترى ترجمة حاله مفصلة في السنة الاولى من الهلال وكلا الرجلين قائد حربي وخطيب ديني ومدبر سياسي

٤ ـ مناقبه وصفاته

كان شاميل شجاعاً باسلاً ثابت الجنان قوي الارادة شديد العزيمة يدلك على ذلك ثباته في جهاده رغم ما لقيه من الفشل وما يعلمه من قوة عدوه . وكان ذا دهاء وسياسة حتى نظم دولة وانشأ حكومة وسن لها القوانين والشرائع . وكان مع ذلك تقياً شديد الثقة بالله كثير الاتكال عليهِ وربما اعتقد في نفسه قوة روحانية ليست في سواه . وقد يعذر على ذلك نظراً لما اتفق له من النجاة من مخالب الموت غير مرة على اسلوب غريب . والانسان ميال من فطرته على الاغترار بنفسه فاذا آنس في اعماله نجاحاً نسب ذلك الى اقتدار فيه وارتفع في عيني نفسه فاذا تكرر نجاحه اخذه الغرور واعتقد تفوقه على اترابه وقد يكون نجاحه صدفة لا يد له فيها ويزيده غروراً ما يؤانسه من اعجاب الناس بمواهبه لانهم يتزلفون الى كل ناجح بالثناء والاطراء . فلا يلام شاميل بما طبع عليه من البسالة والذكاء والدهاء اذا اعتقد في نفسه التفوق على اترابه بعد ان اتفق له النجاة من الموت مراراً بما يشبه المعجزات ويظهر مما رواه عنه سنت اوجان الكاتب الفرنساوي ان شاميل كان يعتقد شيئاً من ذلك او يتظاهر بالاعتقاد على الاقل .

يرى الكاتب المشار اليه ان شاميل كان يعول في جمع كلمة رجاله على التأثير الديني في عواطف مريديه وقص حادثة تؤيد ذلك قال : ان اهل تشتشان ادركهم الضعف من محاربة الروس فعولوا على استنصار شاميل فان لم ينصرهم سلموا للعدو . فبعثوا الى شاميل وفداً بهذا المعنى . فلما اقبلوا على مقر الرجل تهيبوا مخاطبته فتقدموا الى والدته ان تتلطف في تبليغه وتستطلع رأيه فاطاعتهم وذهبت الى ابنها وكان شديد الاحترام لها فاستقبلها وسألها عن غرضها فقالت « اطلب الخلوة لامر اعرضه عليك »

فاطاعها وخلا بها طويلاً وفي الصباح التالي ذهب احد رجال الوفد للاستفهام عن

النتيجة فرأى المرأة تبكي وتنتحب فسألها عما بها فقالت « ان ابني لا يقدر على الجواب الا بعد ان يستخير الله بالصوم والصلاة فالذي يؤمر به يفعله »

وبالواقع ان شامبل امر مكان دارغو ان يجتمعوا في الساحة الكبرى ينتظرون ما يأتيه من الالهام ودخل هو المسجد اختلى فيه يوماً وليلة والناس في الخارج يسجدون ويصلون . وبعد يوم آخر اشرف شامبل على الناس وهو شاحب اللون احمر العينين من البكاء فاشار الى احد مريديه فاقترب منه فهمس في اذنه فذهب المريد الى والدة شامبل فساقها اليه فصعد شامبل الى سطح المسجد وقال « انقل اليكم خبراً هائلاً ان اهالي تشتشان نسوا ما عليهم وتغاضوا عما اخذوه على انفسهم فسوّلت لهم جبانتهم الخضوع لاعدائنا الروس وتمادوا في القحة حتى خاطبوني بذلك على يد وفد انفذوه اليّ والوفد وسط والدتي المسكينة وبناء على الحاحها استمهلتها حتى استخير الله فاستخرته كما تعلمون . ولكن با للاسف انه قد امرني ان اعاقب اول من خاطبني بذلك بمئة جلدة وهي والدتي فلا بد من الاذعان لامر الله » واشار الى بعض المريدين فشدوا وثاقها وجلدوها حتى غاب رشدها وجثا هو عند قدميها يقبلها و يستغفرها و يمرغ وجهه عليها فضج الناس ومدوا ايديهم نحو المسجد على سبيل الاسترحام

اما شامبل فنهض بعد ذلك وقد اشرق وجهه وابرقت عيناه والتفت نحو السماء وصاح قائلاً « قد قبلت العناية الالهية ان احتمل انا ما بقي عن والدتي » وتقدم الى والدته مبتسماً مستغفراً وامر المريدين ان يشدوا وثاقه ففعلوا واعطاهم سياطاً ضربوه بها حتى تمت المائة وهو يحتمل ذلك بالصبر والسكون فلما فرغ من ذلك نهض والتفت الى الوفد فوبخهم على ضعفهم فتراموا بين يديه وعفروا وجوههم بالتراب واستغفروه فانهضهم وسامحهم وامرهم بالرجوع الى قومهم وان يخبروهم بما رأوه . فرجوعهم على هذه الصورة وقص الخبر كما شاهدوه يكفيان لانهاض الهمم وجمع الكلمة والتفاني في سبيل الجهاد

صدى النفوس ورجع الصدى

(اصلاح) كتب الينا الدكتور شميل ان نصلح بيتاً من قصيدته المنشورة في مقالة « صدى النفوس » في الهلال الماضي على هذه الصورة :

البيت الوارد في صفحة ٥٢٦ هكذا :

وجداننــا هلاَّ رأيت بانهُ يقوم بغير الجسم ان حل ما استوى

يقرأ هكذا :

ووجداننـا هل انت الفيت انهُ يقوم بغير الجسم ان حُل ما استوى

الى المرأة

كيف تحفظين جمالك

٥ – الفم والاسنان

يصدق على الفم ما قلناه عن سائر اجزاء الوجه من علاقته بالجمال ودلالته على الصحة بل ان العناية به يجب ان تبلغ نهايتها لان المرأة الجميلة ذات التقاطيع الحسنه المتناسبة واللون الصافي والبشرة النقية والشعر الكثيف اللامع اذا كانت قبيحة الفم فقد اضاعت ثلاثة ارباع سلطتها ونفوذها وبالعكس فحيث يكون الفم الجميل كما قال جان جاك لا يكون منظر قبيح ابداً ولقد شبهوا الثغر اللطيف بالوردة في كما تشتهي الاعين تفتيحها وطالما حوم الشعراء كالفراش حول هذه الزهرة واغرقوا في وصف محاسنها وجعلوا بين الشفاه مطلع الفجر ومبعث السحر وآنسوا من الابتسامة برقاً وعصروا من القبلة خمراً ورأوا وراء العناب برداً وتحت العقيق دراً اما الفم الوسخ فهو باعث على النفور والاشمئزاز اذا انفتح من عن اسنان مسوسة او مكسرة صفراء تحولت الابصار عنه وسدت دونه المناخر اجتنابا للروائح المنبعثة منه. قال احد الكتبة لو فقدت هيلانة الجميلة سناً من اسنانها لما اضرمت حرب تروادة ولبقيت الالياذة في عالم الغيب

والفم مرآة من مرايا الجسم تستدل منه على مزاج الانسان احياناً وحالته الصحية عموماً وشتان بين المصاب بفقر الدم واختلال وظائف الهضم والصحيح القوي من حيث لون الشفاه ونقاء اللثة وطهارة الاسنان وانتظامها. من اجل ذلك ترتب على المعتني بفمه الاعتناء بصحته العمومية ايضاً لمحاربة العلل الناشئة او الكامنة فيه كالخنازير والانيميا والسكر والزلال وما شا كل. ان الشفاه الغليظة اكثر ما تكون في المزاج الخنازيري واللون الطبيعي للفم هو القرمزي عند البيض فاذا حال الى اصفرار فدليل فقر الدم او ازرقاق فصعوبة الدورة والتنفس ويجب ان تكون الشفاه رطبة ناعمة في الحالة الطبيعية اما النشوفة فمن البول السكري واما الخشونة والتشقق فمن تلبك المعدة غالباً

والوسائل الموضعية التي تستعمل مباشرة لصحة الفم بسيطة تنحصر في النظافة وتقوية الغشاء ببعض المواد القابضة والمطهرة والوقاية من تقلبات الطقس وتعاقب السخونة والبرد

التي كثيرًا ما تسبب شقوقًا في الشفاه واحسن ما يستعمل في مثل هذه الاحوال مرهم الخيار او الكليسرين النقي بشرط ان لا يكثر منه لئلا يفضي الى افساد لون الشفاه والذهاب بلمعانها

اما الاسنان فوظيفتها طحن الطعام لا تكسير الاجسام الصلبة او قطع الخيوط فالذي يستخدم اسنانه لهذه الغاية فقد اخرجها عن عملها الذي خلقت له واضر بها ومهد للسوس سبيلاً اليها . وللحرارة الشديدة تأثير بليغ في الاسنان كما للبرودة . اعتبر بالانكليز والاسبان الذين يتناولون الشاي والشوكولاتا في درجة الغليان . كذلك تعاقب الحار والبارد عليها

بعض المياه المعدنية كالمياه الحديدية او الكلسية تفسد الاسنان

المآكل الحامضة والحلويات تضر بالاسنان وتسبب تسويسها ولهذا يحسن غسل الاسنان عقيب الطعام بالماء الفاتر وتنظيفها بالمسواك بشرط ان لا يكون من المعدن فانه يؤذيها ولو كان ذهبًا

تأثير التبغ في الاسنان الغليون يؤذي الاسنان ويسبب احيانًا قروحًا في اللثة والشفاه . اما الدخان فقد ادعى بعضهم انه لا يضر بل ربما افاد النيكوتين الذي فيه بتحويله حموضة الفم وقتله الجراثيم الموجودة فيه . وكان غبار الفم الذي يتركه على الاسنان فيسودها غلافًا واقيًا لها على زعمهم . وقد وجد بالاختبار ان المدمنين على التدخين قلما يشكون من تسوس الاسنان او اوجاعها الهائلة تلك الاوجاع التي قال عنها احد شعراء الفرنسيس انها تؤلم اكثر من تبكيت الضمير . فاذا صح ذلك فقد يكون بواسطة سلفاسينور البوتاس التي وجدها كلود برنار الشهير بكثرة في لعاب المدخنين

ولا يكفي غسل الفم بعد الاكل لحفظه سليماً بل يجب استعمال الفرشاة صباحاً ومساء لمنع تكون الرواسب الكلسية (الحافور) التي تسبب غالبًا سقوط الاسنان . واكثر ما يكون الحافور عند المستعدين للنقرس الذين يفرطون في ملذات المائدة ولكن استعمال الفرشاة منذ الصغر يمنع حدوثه

والفرشاة الناعمة خير من غيرها واسلم عاقبة وهي لا تستعمل ناشفة بل مبلولة او مغموسة بمسحوق خصوصي وليست كل المساحيق نافعة للاسنان بل منها ماهو شديد الضرر ولهذا يجب الحذر من كل ما يباع بهذا الاسم . الحذر كل الحذر من البودرة التي تكسب الاسنان بياضا ناصعًا فهي تفعل بالحوامض التي تدخل في تركيبها ونتيجتها اكل الاسنان

وعندي ان افضل منظف الاسنان هو كلورات البوتاس مذوباً في الماء او ممزوجاً بمسحوق آخر فان اردت استعماله مذوباً اضفت اليه صبغة الكاشو وبعض نقط من عطر النعناع وان فضلت استعماله مسحوقاً مزجته بخشب الكينا لتقوية اللثة والفحم النباتي لامتصاص الغازات وعطرته بما تريد . وهنا لا بد من ان استلفت الانظار الى مسحوق الفحم فان الاكثار منه قد يبقي له اثراً بين ثنايا اللثة كالوشم في المعاصم

تسوس الاسنان يكثر في زمن الحبل وقد عال احد الاطباء ذلك بتوارد الاملاح الكلسية لتكوين عظام الجنين ولهذا يسهل اجتناب هذه الآفة بتقوية الحبلى باعطائها مركبات الجير وربما كان من وراء هذا السبب وحام المرأة وطلبها الجبس والجير والطباشير وما شاكل لانه عبارة عن حاجة طبيعية في الجسم كما يحدث للفراخ البياضة فتذهب في طلب الجبس والجير لتبني لصفارها بيتاً متيناً

وقد يبتدئ تسوس الاسنان من الاشهر الاولى للحياة فيسبب للاطفال حبوباً وقروحاً يطول شفاؤها وتؤثر على نموهم . اما اسنان اللبن فليجتنب ما امكن قلعها . وياحبذا لو يؤلف مشاهير اطباء الاسنان عندنا عيادة مجانية يؤمها الاولاد لتنظيف اسنانهم والكشف عليها فان في ذلك فائدة لهم يعرفونها متى كبروا ويقدرونها قدرها . وقد قلت من قبل ان الحوامض تؤثر في الاسنان فيجب تنبيه الاولاد الى ذلك لما عرف فيهم من الميل الى الاكثار منها . وكذلك السكر فانه يضر ايضاً بتحوله في الفم الى حامض

والاكثار من اكل اللحوم يساعد ايضاً في تطرق السوس الى الاسنان وقد اثبت كلوب الاميركاني ان الخبز الاسود يقوي الاسنان لكثرة الفوسفات فيه فيحسن بالاباء ان يعودوا اولادهم عليه وان لا يغصبوهم على اكل اللحم متى لم يأنسوا منهم ميلاً اليه . انظر الى اسنان الفلاحين فانها بيضاء نظيفة سليمة لان غذاءهم اكثره نبـاتي والاشربة الكحولية قليلة بينهم وحياتهم العقلية خالية من الاضطراب . الشغل العقلي يضعف الاسنان ويوقف نموها واليك برهان على ذلك ما تراه في المدارس فقد تبين بالاختبار ان اسبق التلامذة الى الدرس والنجاح اقبحهم اسناناً في الغالب

خلاصة ما تقدم : ان العناية بالفم موضعية وعامة اما العامة فهي تقوية الصحة ومراقبة حالة المعدة وتربية الاولاد بابعادهم عن العادات المضرة بالاسنان من حيث الاكل وغيره واما الموضعية فهي النظافة بغسل الفم صباحاً عند القيام من النوم ومساء قبل الدخول الى السرير وغسله في النهار بعد الاكل دائماً واجتناب الماكل التي تؤثر بتركيبها الكيمي في

غلاف الاسنان الخارجي فأكله او تبريه . ولا يسعنا قبل الختام الا تحريض العامة على مشورة طبيب الاسنان كلما اضطرت الحاجة الى ذلك لئلا يستفحل الخطب وتصير المعالجة صعبة مولمة او طويلة مملة

الاسكندرية — الدكتور فياض

اخبار علمية

النقود في بريطانيا احصى بعضهم النقود الذهبية في بريطانيا العظمى وحدها بالاعتماد على احصاء دور الضرب وميزانيات المصارف الكبرى فبلغ ذلك نحو ١٦٧,٩٠٠,٠٠٠ جنيه ولو كان معوَّل العمل على النقود الذهب لما كان هذا المبلغ كافياً للمعاملات ولكنهم يستعينون بالاوراق المالية وهي اضعاف الذهب يستدل على ذلك من مجموع المبالغ التي صرفتها بنوك انكلترا للعام الماضي وذلك ١٢,٧٣٠,٣٩٣,٠٠٠ جنيه

البطالون في اميركا عدد العمال في الولايات المتحدة وهم الذين تجاوزوا العاشرة من العمر يبلغ ٢٩,٠٧٣,٢٣٣ نفساً فكان عدد الذين لم يجدوا عملاً يتعاطونه في السنة الماضية حتى كان منهم في بعض اشهر السنة نحو ٦,٥٠٠,٠٠٠ نفس بلا عمل ظل نصفهم بدون عمل نحو اربعة اشهر

وكيل الهلال بالقاهرة

نرجو من حضرات المشتركين ان يعتمدوا حضرة اسعد افندي كوكباني وكيلاً للهلال في القاهرة وان يدفعوا اليه بدلات الاشتراك بوصولات ممضاة من مدير الهلال ويعوِّلوا عليه بسائر اشغال المطبعة

الدستور العثماني

تأخر صدور الهلال عن ميعاده شهراً بسبب نقل المطبعة والاشتغال بطبع تاريخ العرب قبل الاسلام فجاءتنا البشائر ونحن نخط آخر صفحة منه بنيل الامة العثمانية الدستور (في ٢٤ يوليو) فلم نتمالك عن ابداء سرورنا بهذه النعمة التي طالما تمنيناها وكدنا نيأس من الحصول عليها وسننشر تاريخ هذا الانقلاب السياسي ونوفي البحث حقهُ في الهلال القادم ان شاء الله

مطبوعات جديدة

ان اتمام رواية عروس فرغانة في هذا الهلال ذهب بمعظم صفحاته فاضطررنا الى اغفال اكثر ابوابه الا المطبوعات الجديدة فانها تراكمت عندنا ولم نستحسن تاجيل ذكرها الى السنة القادمة لئلا يبطئ على القراء العلم بها والاستفادة منها . ونظراً لكثرتها اكتفينا بذكرها مختصراً مع ان بعضها يستحق العناية بالتقريظ والانتقاد فنعود اليه في فرصة اخرى

١ ـ كتب تاريخية

(١) **معجم الادباء ويسمى ايضاً ارشاد الاريب الى معرفة الاديب : تأليف ياقوت** الحموي صاحب معجم البلدان جمع فيه تراجم المشاهير من النحويين واللغويين والنسابين والقراء والاخباريين والمؤرخين والوراقين والكتاب وغيرهم مرتبة على احرف الهجاء في عدة اجزاء . وهو اوسع كتب التراجم التي وصلت الينا واوفاها . وقد كان ضائعاً والناس يأسفون لضياعه اذ ليس بين ايديهم ما يغنيهم عنه حتى ظفر صديقنا الاستاذ مرجليوث بنسخة وحيدة من جزئه الاول في مكتبة اوكسفورد فعني بنشرها على نفقة لجنة تذكار جيب . وبذل الجهد في ضبطها رغم ما يحول دون ذلك من العوائق لان النسخة المشار اليها وحيدة لا يمكن الرجوع الى غيرها في ايضاح ما تشكل قراءته من الفاظها . فاضطر الى مراجعة الكتب الأخرى التي اقتبس المؤلف عنها او نقلت هي عنه او توارد الخبر فيهما . ككتب الاغاني والفهرست وحكمة يشوع بن سيراخ وصبح الاعشى والمحاسن للبيهقي والبيان والحيوان للجاحظ وغرر الخصائص وزهر الآداب وجمهرة الامثال ومسرح العيون وفوات الوفيات والمزهر وابن خلكان وكتاب التصحيح ويتيمة الدهر للثعالبي وكتاب الوزراء للصابي ومعجم ياقوت وغيرها عشرات من الكتب المطبوعة وغير المطبوعة . وقد اشار الى ما اخذه في ذيول الصفحات ونبه الى ما التبس عليه قراءته . فجاءت هذه الطبعة مضبوطة قليلة الخطأ تدل على سعة علم الاستاذ في آداب اللغة العربية وصبره على التنقيب والتحقيق . وصفحات هذا الجزء ٤٣٠ صفحة بقطع الهلال ومع ذلك فهو لا يحوي الا جزءاً من حرف الالف وآخر مترجميه « احمد بن الصفار » فاعتبر كم يكون حجم هذا المعجم لو كان كاملاً . وقد كتب الينا الاستاذ المشار اليه انه ذاهب الى الاستانة للبحث عن اجزاء اخرى سمع بوجودها هناك . وفقه الله الى اتمام هذه الخدمة فانها من اجل ما تخدم بها آداب هذه اللغة جزاه الله خيراً

(٢) **كتاب الحجج الراهنة في ابطال دعاوي الموازنة :** تأليف المرحوم القس يوسف

داود مطران السريان يطلب من المكاتب الشهيرة بمصر وثمنهُ خمسون غرشاً والبريد ٤ (٣) نبذة تاريخية في ما جرى لطائفة الروم الكاثوليك من سنة ١٨٣٧ فما بعدها للبطريرك مكسيموس مظلوم طبعها الخوري قسطنطين الباشا وتطلب من مكتبة الهلال وثمنها ثلاثة فرنكات والبريد غرش ونصف (٤) عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فما كثر: تأليف جميل بك العظم محاسب المعارف في بيروت صدر الجزء الاول في ٣٤٠ صفحة (٥) مصطفى كامل باشا في ٣٤ ربيعاً: وهو يحتوي على سيرة الفقيد المشار اليه واعماله من خطب واحاديث ورسائل سياسية وعمرانية صدر الجزءان الاول والثاني منهُ وهما يباعان في مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش

٢ — كتب ادبية وشعرية ولغوية

(١) رسائل البلغاء: هو كتاب يتضمن ماعرف لعبد الله بن المقفع وعبد الحميد الكاتب من الرسائل والنتف والحكم نشر في مجلة المقتبس تباعاً ويطلب منها (٢) فلسفة العمر: هي رسالة حكمية ادبية في اربعة ادوار الانسان الطفولية والشبيبة والكهولة والشيخوخة وما في طيها من عبر وحكم عربها عن الفرنساوية صالح افندي حمدي حماد واضاف اليها تراجم المشاهير الواردة اسماؤهم فيها وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد نصف غرش (٣) كتاب كنوز لبنان المرصودة: يتضمن النظامات والقرارات الرسمية المتعلقة بلبنان بقلم باحث عصري مقيم بالقطر المصري (٤) مبادىء الاقتصاد السياسي: تأليف محمد افندي فهمي حسين المحامي ظهر الجزء الاول منهُ ويطلب من مؤلفه ومن المكاتب الشهيرة بمصر وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان (٥) المنهج المسلوك في سياسة الملوك: تاليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس للهجرة الفهُ للملك الناصر صلاح الدين الايوبي طبع بنفقة احمد زكي افندي ابو شادي ومحمد افندي رشدي ويطلب منهما وثمن النسخة خمسة غروش (٦) غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب: تاليف الشيخ محمد الاسفرايني طبع بنفقة الشيخ عبد الفتاح الحجاوي النابلسي في مجلدين ويطلب من حضرته بمصر (٧) الاسلام روح المدنية او الدين الاسلامي واللورد كرومر: تاليف الشيخ مصطفى الغلاييني في بيروت ردَّ فيه على ما جاء في كتاب مصر الجديدة عن الاسلام والمسلمين ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش (٨) كتاب الكرماء: تاليف ابي هلال العسكري نشره وضبطه محمود افندي الجبالي بسكرتيرية مجلس النظار ويطلب من حضرته (٩) تقرير

شركة غريشام للتأمين على الحياة: صدر هذا التقرير بالانكليزية وفيه ميزانية هذه الشركة العام الماضي ويؤخذ منها انها في تقدم عظيم وقد علمنا من مصادر اخرى انها حازت ثقة الناس والميزانية تؤيد ذلك (١٠) الكون والمعبد او الفنون الجميلة والكنيسة: هي ارجوزة نظمها الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني وتطلب من مخائيل افندي رحمه في بيروت وثمنها فرنك (١١) ديوان الحمويات: نظم السيد محمد الحسن الحموي نزيل حلوان ويطلب من حضرته (١٢) كتاب المنتخبات الفريدة في الشذرات والمباحث المفيدة تعريب عوض افندي جندي بادارة خزينة السكة الحديدية المصرية صدر الجزء الاول بنفقة مجلة المفتاح ويطلب منها (١٣) مؤنس الجلاس بمفاخر العباس: هي مجموعة قصائد مرفوعة الى الحضرة الفخيمة الخديوية نظمها حضرة الارشمندريت ايليا الديب رئيس كنيسة السور بين الارثوذكس بالاسكندرية والمنتخب لمطرانية صور وصيدا (١٤) المنجد: هو معجم مدرسي للغة العربية على شكل قاموس لاروس الصغير في اللغة الفرنساوية تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي وقد ضبط مواده بالشكل الكامل. وهو اول قاموس من هذا النوع في اللغة العربية صفحاته ٧٤٠ صفحة وفيه مئات من الصور لايضاح بعض المعاني ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٣٢ غرش واجرة البريد اربعة غروش (١٥) ليالي سطيح: هو كتاب لحافظ افندي ابراهيم الشاعر المشهور ضمنه آراءه ونتيجة تفكيره في حال المجتمع المصري من حيث الادب والشعر والاخلاق والآداب على اسلوب جديد في اللغة العربية. ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد نصف غرش

٣ — الروايات

(١) النهاية او آخر ايام نابوليون الكبير: رواية غرامية تاريخية تأليف جيرار دي بوريجار عربها خليل افندي زينية صاحب جريدة المصور وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش (٢) ربة الجمال: رواية تاريخية غرامية ادبية تشتمل على حوادث هنري الرابع ملك النافار وانتصاره على اعدائه وما جرى له مع غبزيلة الحسناء تاليف اوغست ماركيه الفرنساوي وتعريب اسكندر افندي الخوري صدر الجزء الاول وثمنه ستة غروش ويطلب من المكتبة الشرقية (٣) مكائد الرجال: هي رواية اخلاقية ادبية تعريب المرحوم المعلم شاكر شقير الطبعة الثانية في جزئين بنفقة المكتبة الاهلية في بيروت وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثمانية قروش صاغ (٤) الفتاة المظلومة: هي احدى روايات الفكاهات العصرية. الفها بالفرنساوية شارل ميروفيل الروائي الفرنساوي ونقلها

الى العربية الدكتور شدودي الطبيب البصري المشهور وهي تطلب من ادارة الفكاهات العصرية .

٤ — جرائد ومجلات

(١) صدق الاخاء : مجلة علمية اجتماعية ادبية شهرية تصدر بمصر لمديرها حسن بك عزت بدل اشتراكها ١٠ غروش بمصر و١٥ بالخارج (٢) حدائق الظاهر : هي مجلة تاريخية ادبية في شكل القصص او الروايات لصاحبها احمد زكي افندي ابو شادي ومحمود افندي عباسي سنتها ٢٤ عدداً بدل اشتراكها ٤٥ غرشا بمصر والسودان و٧٥ في الخارج وثمن الجزء ثلاثة غروش وهي تباع في مكتبة الهلال (٣) التذكرة : مجلة علمية دينية اجتماعية تصدر بمصر مرة كل اسبوعين لصاحبها السيد احمد خليل بالسكرية بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً بمصر وخمسون في الخارج (٤) الشهاب : هي جريدة سياسية ادبية فكاهية تصدر في مونتريال كندا مرتين في الاسبوع لصاحبها ومحررها ميخائيل افندي ناصيف زربطاني بدل اشتراكها خمسة ريالات اميركية (٥) المصباح : جريدة عثمانية مصرية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها حسين افندي الخادم بدل اشتراكها ٧٠ غرشاً بمصر و١٠٠ في الخارج (٦) الشعب المصري : جريدة وطنية اسبوعية تصدر في الاسكندرية لمنشئها احمد افندي رفعت بدل اشتراكها خمسون غرشاً (٧) الجهاد : جريدة انتقادية ادبية اخبارية تصدر في مصر مرة في الاسبوع لصاحبها السيد سعيد والقليني بدل اشتراكها ٩٧ غرشاً

خاتمة السنة السادسة عشرة

هذا هو آخر هلال من السنة السادسه عشرة وقد جاء صغيراً لاشتغال معظمه بتتمة الرواية «عروس فرغانة» على جاري عادتنا من ختام رواية السنة قبل دخول السنة التالية . وقد دخل هلال هذه السنة في طور جديد من التحسين في انتقاء المواضيع ودرسها . وملحقها كتاب في موضوع من اهم المواضيع واوعرها (العرب قبل الاسلام) . ولا يسعنا الا الثناء على حضرات المشتركين لما آنسناه من اقبالهم وتنشيطهم وحسن ظنهم ونرجو ان نثابر على التحسين في العام المقبل وما بعده وعلى الله الاتكال